

893.7M281

0
2

Columbia University
in the City of New York
Library



BOUGHT FROM

THE

Alexander I. Cotheal Fund

for the

Increase of the Library

1896

كِتَابُ الْخَطِّ الْمَقْطَرِ

المسماة

بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار يختص
ذلك باخبار أقليم مصر والنيل وذكر القاهرة
وما يتعلق بها وبأقليمها (تأليف) سيدنا
الشيخ الامام علامة الأنام تقي الدين
أحمد بن علي بن عبد القادر بن
محمد المعروف بالمقرزي

رحمه الله ونفع

بعلومه آمين

الجزء الثاني

(مبيعه بمكتبة ملتزمه)

(حضرة الفاضل الشيخ احمد علي المليجي السكتي الشهير)

« بمصر قريبا من الجامع الازهر المنير »

(طبع بمطبعة النيل بمصر سنة ١٣٢٤ هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر تاريخ الخليقة

اعلم أنه لما كانت الحوادث لابد من ضبطها وكان لا يضبط ما بين العصور وبين الحوادث الا بالتاريخ المستعمل العام الذي لا ينكره الجماعة أو أكثرها وذلك أن التاريخ عليه لا يكون الامن حادث عظيم يملأ ذكره الاسماع وكانت زيادة ماء النيل ونقصانها يعتبرها أهل مصر ويحسبون أيامها بأشهر القبط وكذلك خراج أراضى مصر إنما هي أوقاتها بذلك وهكذا زراعات الاراضى إنما يعتمدون في أوقاتها أيام الأشهر القبطية وسلكوا فيها سبيل أسلافهم واقتفوا مناهج قدمائهم وما برح الناس من قديم الدهر العوايد احتيج في هذا الكتاب الى ايراد جملة من تاريخ الخليقة لتعيين موقع تاريخ منها فان يذكر ذلك يتم الغرض فأقول التاريخ عبارة عن يوم ينسب اليه ما يأتي بعده أيضا التاريخ عبارة عن مدة معلومة تعد من أول زمن مفروض لتعرف بها الاوقات ولا غنى عن التاريخ في جميع الاحوال الدنيوية والامور الدينية ولكل أمة من الأمم تاريخ محتاج اليه في معاملاتها وفي معرفة أزمنتها تنفرد به دون غيرها من بقية الامم الاوائل القديمة وأشهرها هو كون مبدأ البشر ولاهل الكتاب من اليهود والنصارى والمجوس في كفيته وسياقة التاريخ منه خلاف لا يجوز مثله في التواريخ وكل ما يتعلق ببدء الخلق وأحوال القرون السالفة فانه مختلط بتزويرات وأساطير لبعده العهد وعجز به عن حفظه وقد قال الله سبحانه وتعالى ألم يأتكم نبي الذين من قبلكم قوم نوح ونمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله فالاولى أن لا يقبل من ذلك الا ما يشهد به أنزل من عند الله يعتمد على محضته لم يرد فيه نسخ ولا طرقة تبديل أو خبر ينقله الا وإذا نظرنا في التاريخ وجدنا فيه بين الامم خلافا كثيرا وسأتلو عليك من ذلك ما لا تأخذه بمجموعة في كتاب وأقدم بين يدي هذا القول ما قيل في مدة بقاء الدنيا

ذكر ما قيل في مدة أيام الدنيا ماضيها وبقاياها

اعلم أن الناس قد اختلفوا قديما وحديثا في هذه المسألة فقال قوم من القدماء بالاكوار والادوار وهم الدهرية وهؤلاء هم القائلون بعود العوالم كلها على ما

عليه بعد ألف من السنين معدودة وهم في ذلك غالطون من جهة طول أديوار النجوم وذلك أنهم وجدوا قوما من الهند والفرس قد عملوا أديوارا للنجوم ليصححوا بها في كل وقت مواضع الكواكب فظنوا أن العدد المشترك لجميعها هو عدد سني العالم أو أيام العالم وأنه كلما مضى ذلك العدد عادت الأشياء إلى حالها الأول وقد وقع في هذا الظن ناس كثير مثل أبي معشر وغيره وتبع هؤلاء خلق وانت تقف على فساد هذا الظن إن كنت تخبر من العدد شيئا ما وذلك أنك إذا طلبت عددا مشتركا بعده أعداد معلومة فأنك تقدر أن تضع لكل زيج أياما معلومة كالذي وضعه الهند والفرس فهؤلاء حيث جهلوا صورة الحال في هذه الأديوار ظنوا أنها عدد أيام العالم فتفطن ترشد وعنده هؤلاء أن الدور هو أخذ الكواكب من نقطة وهي سائرة حتى تعود إلى تلك النقطة وأن الكبر هو استئناف الكواكب في أديوارها سيرا آخر إلى أن تعود إلى مواضعها مرة بعد أخرى وزعم أهل هذه المقالة أن الأديوار منحصرة في أنواع خمسة • الأول أديوار الكواكب السيارة في أفلاك تدويرها * الثاني أديوار مراكر أفلاك التدوير في أفلاكها الحاملة * الثالث أديوار أفلاكها الحالة في فلك البروج * الرابع أديوار الكواكب الثابتة في فلك البروج * الخامس أديوار الفلك المحيط بالكل حول الأركان الأربعة وهذه الأديوار المذكورة منها ما يكون في كل زمان طويل مرة واحدة ومنها ما يكون في كل زمان قصير مرة واحدة فأقصر هذه الأديوار أديوار الفلك المحيط بالكل حول الأركان الأربعة فإنه يدور في كل أربع وعشرين ساعة دورة واحدة وباقي الأديوار يكون في أزمنة أخرى أطول من هذه لا حاجة بنا في هذه المسألة إلى ذكرها قالوا وأديوار الكواكب الثابتة في فلك البروج تكون في كل ستة وثلاثين ألف سنة شمسية مرة واحدة وحينئذ تنتقل أوجات الكواكب وجوزهراتها إلى مواضع حضيضها ونوهراتها وبالعكس فيوجب ذلك عندهم عود العوالم كلها إلى ما كانت عليه من الأحوال في الزمان والمكان والأشخاص والأوضاع بحيث لا يتخالف ذرة واحدة وهم مع ذلك مختلفون في كمية ماضي من أيام العالم وما بقي فقال البراهمة من الهند في ذلك قولاً غريباً وهو ما حكاه عنهم الأستاذ أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني في كتاب القانون المسعودي أنهم يسمون الطبيعة باسم ملك يقال له إبراهيم ويزعمون أنه محدث محصور الموت بين مبدأ وانتهاء عمره كعمرها مائة سنة برهومية كل سنة منها ثلثمائة وستون يوماً زمان النهار منها بقدر مدة دوران الأفلاك والكواكب لاثارة الكون والفساد وهذه المدة بقدر ما بين كل اجتماعين للكواكب السبعة في أول برج الحمل باوجاتها وجوزهراتها ومقدارها أربعة آلاف ألف سنة وثلثمائة ألف ألف سنة وعشرون ألف ألف سنة شمسية وهو زمان اثني عشر ألف دورة للكواكب الثابتة على أن زمان الدورة الواحدة ثلثمائة ألف سنة وستون ألف سنة شمسية واسم هذا النهار

بلغتهم الكلية وزمان الليل عندهم كزمان النهار وفي الليل تسكن المتحركات وتستريح الطبيعة من انارة الكون والفساد ثم يثور في مبدا اليوم الثاني بالحركة والتكون فيكون زمان اليوم بليته من سنى الناس ثمانية آلاف ألف سنة وستائة ألف ألف سنة وأربعين ألف ألف سنة فاذا ضربنا ذلك في ثلثمائة وستين تبلغ سنو أيام السنة البرهومية ثلاثة آلاف ألف ألف سنة وعشرة آلاف ألف ألف سنة وأربعمائة ألف ألف سنة شمسية فاذا ضربناها في مائة يبلغ عمر الملك الطبيعي البرهموى من سنى الناس ثلثمائة ألف ألف ألف سنة وأحد عشر ألف ألف سنة وأربعين ألف ألف سنة شمسية فاذا تمت هذه السنون بطل العالم عن الحركة والتكوين ماشاء الله ثم يستأنف من جديد على الوضع المذكور وقسموا زمان النهار المذكور الى تسع وعشرين قطعة سموها كل أربع عشرة قطعة منها نوبا وسموها الخمس عشرة قطعة الباقية فصولا وجعلوا كل نوبة محصورة بين فصلين وكل فصل محصورا بين نوبتين وقدموا زمان الفصل على النوبة الى تمام المدة وزمان الفصل هو خمسا الدور والدور جزء من ألف جزء من المدة فاذا قسمنا المدة على ألف تحصل زمان الدور أربعة آلاف ألف سنة وثلثمائة ألف سنة وعشرين ألف سنة وخمسة أضعى زمان الفصل ألف ألف سنة وسبعمائة ألف سنة وثمانية وعشرون ألف سنة وزمان النوبة عندهم أحد وسبعون دورا مقدارها من السنين ثلثمائة ألف ألف سنة وستة آلاف ألف سنة وسبعمائة ألف سنة وعشرون ألف سنة وقد قسموا الدور أيضا بأربع قطع أولها أعظمها وهى مدة الفصل المذكور وثانيها ثلاثة أرباع الفصل ومدتها ألف ألف سنة ومائتا ألف سنة وستة وتسعون ألف سنة وثالثها نصف الفصل ومدته ثمانمائة ألف سنة وأربعة وستون ألف سنة ورابعها ربع الفصل وهو عشر الدور المذكور ومدته أربعمائة ألف سنة واثنتان وثلاثون ألف سنة ولسكل واحد من هذه القطع الأربع اسم يعرف به فاسم القطعة الرابعة عندهم كلكال لانهم يزعمون انهم في زمانها وان الذى مضى من عمر الملك الطبيعي على زعم حكيمهم الاعظم المسمى عندهم برهمكوت ثمان سنين وخمسة أشهر وأربعة أيام ونحن الآن في نهار اليوم الخامس من الشهر السادس من السنة التاسعة ومضى من النهار الخامس ست نوب وسبعة فصول وسبعة وعشرون دورا من النوبة السابعة وثلاث قطع من الدور المذكور أعنى تسعة أعشاره ومضى من القطعة الرابعة أعنى من أول كلكال الى هلاك شككال عظيم ملوكهم الواقع في آخر سنة ثمان وثمانين وثمانمائة للاسكندر ثلاثة آلاف سنة ومائة سنة وتسع وسبعون سنة وقال انما عرفنا هذا الزمان من علم الهى وقع لنا من عظماء انبيائنا المتأهلين برواياتهم جيلا بعد جيل على ممر الدهور والازمان وزعموا أن في مبدا كل دور أو فصل أو قطعة أو نوبة تجديد أزمنة العوالم وتنتقل من حال الى حال وأن الماضى من أول كلكال الى شككال ثلاثة آلاف ومائة

وتسع وسبعون سنة والماضي من النهار المذكور الى آخر سنة ثمان وثمانين وثلثمائة للاسكندر
ألف ألف سنة وتسعمائة ألف ألف سنة واثنان وسبعون ألف ألف سنة وتسعمائة ألف
سنة وسبعة وأربعون ألف سنة ومائة سنة وسبع وسبعون سنة فيكون الماضي من عمر الملك
الطبيعي الى آخر هذه السنة ستة وعشرين ألف ألف ألف سنة وثلثمائة ألف ألف ألف
سنة وخمسة عشر ألف ألف سنة وتسعمائة ألف ألف سنة واثنين وثلاثين ألف ألف
سنة وتسعمائة ألف سنة وسبعة وأربعين ألف سنة ومائة سنة وتسعا وسبعين سنة فاذا زدنا
عليها الباقي من تاريخ الاسكندر بعد نقصان السنين المذكورة منه تحصل الماضي من عمر
الملك بالوقت المفروض والله أعلم بحقيقة ذلك وقال الخطاوا اليعز في ذلك قولاً أعجب من
قول الهند وأغرب على ما نقلته من زيج أدوار الانوار وقد خص هذا القول من كتب أهل
الصين وذلك انهم جعلوا مبادئ سنينهم مبنية على ثلاثة أدوار الاول يعرف بالعشري مدته
عشر سنين لكل سنة منها اسم يعرف به والثاني يعرف بالدور الاثني عشري وهو أشهرها
خصوصاً في بلاد الترك يسمون سنيهم بأسماء حيوانات بلغقي الخطاوا اليعز والثالث مركب
من الدورين جميعاً ومدته ستون سنة وبه يؤرخون سنى العالم وأيامه ويقوم عندهم مقام
أيام الاسبوع عند العرب وغيرها واسم كل سنة منها مركب من اسميها في الدورين جميعاً
وكذلك كل يوم من أيام السنة ولهذا الدور ثلاثة أسماء وهى شانكون وجونكون وخاون
ويصير بحسبها مرة أعظم ومرة أوسط ومرة أصغر فيقال دور شانكون الاعظم ودور جونكون
الاوسط ودور خاون الاصغر وبهذه الادوار يعتبرون سنى العالم وأيامه وجملتها مائة وثمانون
سنة ثم تدور الادوار الثلاثة عليها مرة أخرى وافترق وقوع مبدأ الدور الاعظم في الشهر
الاول من سنة ثلاث وثلثين وستائة ليزد جرد واسمها بلغتهم كادره وبلغه العرب سنة الغار
وكان دخول أول فرودين هذه السنة من سنى العرب يوم الخميس وهو بلغتهم سن جن ومن
هذا اليوم وعلى هذا التاريخ تترتب مبادئ سنينهم وأيامهم في الماضي والمستقبل وشهورهم اثنا
عشر شهراً لكل شهر منها اسم بلغة الخطا وبلغه اليعز لاجابة بنا هنا الى ذكرها ويقسمون
اليوم الاول بليته اثني عشر قمماً كل قسم منها يقال له جاغ وكل جاغ ثمانية أقسام كل قسم
منها يقال له كه ويقسمون اليوم بليته أيضاً عشرة آلاف فك وكل فك منها مائة مياو
فيصيب كل جاغ ثمانمائة وثلاثة وثلاثين فكاً وثلاث فاك وكل كه مائة وأربعة أفناك وسدس
فك وينسبون كل جاغ الى صورة من الصور الاثني عشرة ومبدأ اليوم بليته عندهم من
نصف الليل وفي منتصف جاغ كسكو يتغير أول النهار وآخره بحسب الطول والقصر من
قبل أن كل جاغ ساعتان مستويتان وفي منتصف النهار يتصرف جاغ يوند وهم يكبسون في
كل ثلاث سنين قرية شهراً واحداً يسمونه سيون ليحفظوا بالكبس مبادئ سنى الشمس في

زمان واحد من سنة أخرى ويكبسون أحد عشر شهرا في كل ثلاثين سنة قرية ولا يقع عندهم شهر الكبس في موضع واحد بعينه من السنة بل يقع في كل موضع منها وكل شهر عدة ايامه اما ثلاثون يوما أو تسعة وعشرون يوما ولا يمكن عندهم أكثر من ثلاثة أشهر متوالية تامة ولا أكثر من شهرين ناقصين ومبادئ شهورهم يوم الاجتماع ان وقع اجتماع النيرين نهارا فان وقع الاجتماع ليلا كان أول الشهر في اليوم الذي بعد الاجتماع وزمان السنة الشمسية بحسب أرصادهم ثلثمائة وخمسة وستون يوما وألفان وأربعمائة وستة وثلاثة فلكا والسنة أربعة وعشرون قسما كل قسم منها خمسة عشر يوما وألفان ومائة وأربعة وثمانون فلكا وخمسة اسداس فلك ولكل قسم من هذه الاقسام اسم وكل ستة أتمام منها فصل من فصول السنة فاسم أول قسم من فصولها الحن وأوله أبدا حيث تكون الشمس في ست عشرة درجة من برج الدلو وهكذا أوائل كل فصل انما تكون في حدود أواسط البروج الثابتة وكان بعد مدخل الحن من أول الدور الستيني في السنة المذكورة احد عشر يوما وسبعة آلاف وستمائة وستين فلكا واسم مدخله بي خاني وكان بعد دخول السنة الفارسية المذكورة بخمسة وعشرين يوما ويبعد مدخله عن أول الدور في كل سنة بقدر فضل سنة الشمس على سنة الدور وهو خمسة أيام وأربعة وعشرون فلكا فان زادت الايام على ستين يوما كان الباقي بعد الحن في تلك السنة عن أول الدور الستيني ويتفاضل البعد بينهما في كل سنة بقدر فضل سنة الشمس على سنة القمر التي هي ثلثمائة وأربعة وخسون يوما وثلاثة آلاف وستمائة واثنان وسبعون فلكا ومقدار الفضل بينهما عشرة أيام وثمانية آلاف وسبعمائة وأربعة وستون فلكا فان زادت الايام على زمان الشهر القمري الاوسط الذي هو تسعة وعشرون يوما وخمسة آلاف وثمانمائة وستة أفلاك نقص منها هذا العدد واحتسب بالباقي فاذا عرفت هذا من حسابهم فاعلم أن عمر العالم عندهم ثلثمائة ألف ون وستون ألف ون كل ون عشرة آلاف سنة مضى من ذلك الى أول سنة ثلاث وثلثين وستائة ليزدجرد وهي دور شانكون الاعظم ثمانية آلاف ون وثمانمائة ون وثلاثة وستون ونا وتسعة آلاف وسبعمائة وأربعون سنة فتكون المدة العظمى على هذا ثلاثة آلاف ألف ألف ألف سنة وستائة ألف ألف ألف سنة بهذه الصورة ٣٦٠٠٠٠٠٠٠٠ ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله وانما ذكرت طرفا من حساب سني البراهمة وطرفا من حساب سني الحظا والايعز المستخرج من حساب الصين ليعلم المنتصف أن ذلك لم يضعه حكماؤهم عبثا ولا مرما جدد قصير أنه وكم من جاهل بالتعالم اذا سمع أقوالهم في مسدة سني العالم يبادر الى تكذيبهم

من غير علم بدليلهم عليه وطريق الحق أن يتوقف فيما لا يعلمه حتى يتبين أحسن طريقه فيرجعه على الآخر والله يعلم وأتم لا تعلمون * وقال أصحاب السند هند ومعناه الدهر الداهر ان الكواكب وأوجاتها وجوزهراتها تجتمع كلها في أول برج الحمل عند كل أربعة آلاف ألف سنة وثلاثة آلاف ألف سنة وعشرين ألف ألف سنة شمسية وهذه مدة سني العالم قالوا وإذا جمعت برأس الحمل فسدت المكونات الثلاث التي يحويها عالم الكون والفساد المعبر عنه بالحياة الدنيا وهذه المكونات هي المعدن والنبات والحيوان فإذا فسدت بقى العالم السفلى خرابا دهرًا طويلًا إلى أن تتفرق الكواكب والأوجات والجوزهرات في بروج الفلك فإذا تفرقت فيها بدأ السكون بعد الفساد فعادت أحوال العالم السفلى إلى الأمر الأول وهذا يكون عودًا بعد بدء إلى غير نهاية قالوا ولكل واحد من الكواكب والأوجات والجوزهرات عدة أدوار في هذه المدة يدل كل دور منها على شيء من المكونات كما هو مذکور في كتبهم مما لا حاجة بنا هنا إلى ذكره وهذا القول منتزع من قول البراهمة الذي تقدم ذكره * وقال أصحاب الهازروان من قدماء الهند ان كل ثمانية آلاف سنة وستين ألف سنة شمسية يهلك العالم بأسره وبقي مثل هذه المدة ثم يعود بعينه ويمتد البدل وهكذا أبدًا يكون الحال لا إلى نهاية قالوا ومضى من أيام العالم المذكورة إلى طوفان نوح عليه السلام مائة ألف وثمانون ألف سنة شمسية ومضى من الطوفان إلى سنة الهجرة المحمدية ثلاثة آلاف وسبعمائة وثلاث وعشرون سنة وأربعة أشهر وأيام وبقي من سني العالم حتى يتبدى ويفنى مائة ألف وبضع وسبعون ألف سنة شمسية أولها تاريخ الهجرة الذي يؤرخ به أهل الإسلام * وقال أصحاب الأزهير مدة العالم التي تجتمع فيها الكواكب برأس الحمل هي وأوجاتها وجوزهراتها جزء من ألف جزء من مدة السند هند وهذا أيضا منتزع من قول البراهمة * وقال أبو معشر وابن بونخت ان بعض الفرس يرى أن عمر الدنيا اثنا عشر ألف سنة بعدة البروج لكل برج ألف سنة فكان ابتداء أمر الدنيا في أول ألف الحمل لان الحمل والثور والجوزاء تسمى أشرف الشرف وينسب إلى الحمل الفصل وفيها تكون الشمس في شرفها وعلوها وطول نهارها ولذلك الدنيا كانت إلى ثلاثة آلاف سنة علوية روحانية طاهرة ولان السرطان والاسد والسنبلة منقصة فان الشمس تخط من علوها في أول دقيقة من السرطان وكان قدر الدنيا وأبنائها منحطًا في الثلاثة آلاف الثانية ولان الميزان أهبط الهبوط وبئر الآبار وضد البرج الذي فيه شرف الشمس دل على أنه أصاب الدنيا واكتسب أهلها المعصية والميزان والعقرب والقوس اذا نزلتها الشمس لم تزد الا انحطاطًا والايام الا نقصانًا فلذلك دلت على البلى والضيق والشدة والشر وحيث تبلغ الآلاف إلى أول الجدى الذي فيه أول ارتفاع الشمس وارتفاعها على شرفها

وفيه تزداد الايام طولا والدلو والحوت اللذان تزداد الشمس فيهما صعودا حتى تصل لشرفها فيدل على ظهور الخير وضعف الشر وثبات الدين والعقل والعمل بالحق والعدل ومعرفة فضل العلم والادب في تلك الثلاثة الآلاف سنة وما يكون في ذلك فعلى قدر صاحب الالف والمائة والعشرة وعلى حسب اتفاق الكواكب في أول سلطان صاحب الالف فلا يزال ذلك في زيادة حتي يعود أمر الدنيا في آخرها الي مثل ما كان عليه ابتداءها وهي في ألف الحمل وكلما تقارب آخر كل ألف من هذه الالوف اشتد الزمان وكثرت البساي لان أواخر البرج في حدود النحوس وكذلك في آخر المئين والعشرات فعلى هذا الانقضاء للدنيا اذا كان الزمان يعود الى الحمل كما بدأ أول مرة وزعموا أن ابتداء الخلق بالتحرك كان والشمس في ابتداء المسير فدار الفلك وحرت المياه وهبت الرياح واتقيدت النيران وتحرك سائر الخلائق بماهم عليه من خير وشر والطالع تلك الساعة تسع عشرة درجة من برج السرطان وفيه المشتري وفي البيت الرابع الذى هو بيت العافية وهو برج الميزان زحل وكان الذنب في القوس والمريخ والجدي والزهرة وعطارد في الحوت ووسط السماء برج الحمل وفي أول دقيقة منه الشمس وكان القمر في الثور وفي بيت السعادة وكان الرأس في برج الجوزاء وهو بيت الشقاء وفي تلك الدقيقة من الساعة كان استقبال أمر الدنيا فكان خيرا وشرها وانحطاطها وارتفاعها وسائر ما فيها على قدر مجارى البروج والنجوم وولاية أصحاب الالوف وغير ذلك من احوالها ولان المشتري كان في السرطان في شرفه وزحل في الميزان في شرفه والمريخ والشمس والقمر في اشرافها دلت على كائنة جليلة فكان نشو العالم وانبرز زحل فتولى الالف هو والميزان وكان المشتري في الطالع مقبولا وكذلك جميع الكواكب كانت مقبولة فدل على نماء العالم وحسن نشوه وكان زحل هو المستولى والعالى في الفلك والبرج طويل المطالع فطالت اعمار تلك الالف وقويت ابدانهم وكثرت مياهم وكون الميزان تحت الارض دل على خفاء اول حدوث العالم وعلى ان اهل ذلك الزمان ينظرون في عمارة الارضين وتشديد البنيان ثم ولى الالف الثاني العقرب والمريخ وكان في الطالع المريخ فدل على القتل في ذلك الالف وسفك الدماء والسبي والظلم والجور والخوف والهلم والاحزان والفساد وجور الملوك وولى الالف الثالث القوس وشاركه عطارد والزهرة بطلوئهما وكان الذنب في القوس فدل المشتري على التجدة في تلك الالف والشدة والجلد والبأس والرياسة والعدل وتقسيم الملوك الدنيا وسفك الدماء بسبب ذلك ودلت الزهرة على ظهور بيوت العبادة وعلى الانبياء ودل عطارد على ظهور العقل والادب والسكلام وكون البرج مجسدا دل على انقلاب الخير والشر في تلك الالف مرات وعلى ظهور ألوان من آيات الحق والعدل والجور ثم ولى الالف الرابع الجدي وكان فيه المريخ فدل على ما كان

في تلك الالف من اوراق الدماء ودلت الشمس على ظهور الخير والعلم ومعرفة الله تعالى وعبادته وطاعته وطاعة أنبيائه والرغبة في الدين مع الشجاعة والجلد وكون البرج منقلباً هو والبرج الذي فيه الشمس دل على انقلاب ذلك في آخرها وظهور الشر والتفريق والقسم والقتل وسفك الدماء والغصب في اصناف كثيرة وتحول ذلك وتلونه وكون الجدي منحطاً دل على انه يظهر في آخر تلك الالف الحسن الشبيه بصفة زحل والمريخ وانقطاع العظماء والحكماء وبوارهم وارتفاع السفلة وخراب العامر وعمارة الخراب وكثرة تلون الاشياء وولي الالف الخامس الدلو بطول القمر وكان القمر في الثور فدل الدلو لبرودته وعسره على سقوط العظماء وعطلة امرهم وارتفاع السفلة والعبيد ومحمدة البخلاء وظهور الخيش الاسود والسواد وعلى كثرة التفتيش والتفكر وظهور السكلام في الاديان ومحبة الخصومات وكون القمر في شرفه يدل على قهر المملوك وظهور ولاة الحق ونفاذ الخير وظهور بيوت العبادة والسكف عن الدماء والراحة والسعادة في العامة وثبات ما يكون من العدل والخير وطول المدة فيه وكون البرج مائياً يدل على كثرة الامطار والفرق وآفة من البرد يهلك فيها الكثير ويلى الالف السادس برج الحوت بطول المشتري والرأس فدل على المحمدة في الناس عامة وعلى الصلاح والخير والمرور وذهاب الشر وحسن العيش ولسكل واحد من الكواكب ولاية ألف سنة فصار عطارد خاتماً في برج السنبلة وزعم ابن بونجت أن من يوم سارت الشمس الى تمام خمس وعشرين من ملك انوشروان ثلاثة آلاف وثمانمائة وسبع وستون سنة وذلك في ألف الجدي وتدير الشمس ومنه الى اليوم الاول من الهجرة سبع وثمانون سنة شمسية وستة وعشرون يوماً ومن الهجرة الى قيام يزدجرد تسع سنين وثلثمائة وسبعة وثلاثون يوماً فذلك الجميع الى أن قام يزدجرد ثلاثة آلاف وتسعمائة وست وستون سنة * وقال ابو معشر وزعم قوم من الفرس أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة بعدة الكواكب السبعة * وزعم ابو معشر أن عمر الدنيا ثلثمائة ألف سنة وستون ألف سنة وأن الطوفان كان في النصف من ذلك على رأس مائة ألف وثمانين ألف سنة * وقال قوم عمر الدنيا تسعة آلاف سنة لكل كوكب من الكواكب السبعة السيارة ألف سنة وللرأس ألف سنة وللذنب ألف سنة وشرها ألف النذب وأن الاعمار طالت في تدير آلاف الثلاثة العلوية وقصرت في آلاف الكواكب السفلية وقال قوم عمر الدنيا تسعة عشر ألف سنة بعدد البروج الاثني عشر لكل برج ألف سنة وبعدد الكواكب السبعة السيارة لكل كوكب ألف سنة وقال قوم عمر الدنيا احد وعشرون ألف سنة بزيادة ألف للرأس وألف للذنب وقال قوم عمر الدنيا ثمانية وسبعون ألف سنة في تدير برج الحمل اثنا عشر ألف سنة وفي تدير برج الثور احد عشر ألف

سنة وفي تدبير الجوزاء عشرة آلاف سنة فكانت الاعمار في هذا الربع اطول والزمان
أجد ثم تدبير الربع الثاني مدة أربعة وعشرين ألف سنة فتكون الاعمار دون ما كانت في
الربع الاول وتدبير الربع الثالث خمسة عشر ألف سنة وتدبير الربع الرابع ستة آلاف سنة
وقال قوم كانت المدة من آدم الى الطوفان الفين وثمانين سنة واربعة اشهر وخمسة عشر
يوما ومن الطوفان الى ابراهيم عليه السلام تسعمائة واثنين وأربعين سنة وسبعة أشهر وخمسة عشر
يوما فذلك ثلاثة آلاف ومائتان وثلاث وعشرون سنة وقال قوم من اليهود عمر الدنيا
سبعون ألف سنة منحصرة في ألف جيل ولفقوا ذلك من قول موسى عليه السلام في صلاته
ان الجيل سبعون سنة ومن قوله في الزبور ان ابراهيم عليه السلام قطع معه الله تعالى عهد
البقاء البشر ألف جيل فجاء من ذلك أن مدة الانبيا سبعون ألف سنة واستظهروا لقولهم
هذا بما في التوراة من قوله واعلم أن الله الهك هو القادر المهيمن الحافظ العهد والفضل
لحبيه وحافظي وصاياء لالف جيسل * وذكر أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي في
كتاب أخبار الزمان عن الاوائل أنهم قالوا كان في الارض ثمان وعشرون أمة ذات
ارواح وأيد وبطش وصور مختلفات بعدد منازل القمر لكل منزلة أمة مفردة تعرف
بها تلك الامة ويزعمون أن تلك الامم كانت الكواكب الثابتة تدبرها وكانوا يعبدونها
ويقال لما خلق الله تعالى البروج الاثني عشر قسم دوامها في سلطانها فجعل للحمل اثني عشر
ألف عام وللثور أحد عشر ألف عام وللجوزاء عشرة آلاف عام وللسرطان تسعة آلاف عام
وللالسد ثمانية آلاف عام وللسنبلية سبعة آلاف عام وللميزان ستة آلاف عام وللعقرب خمسة
آلاف عام وللقوس أربعة آلاف عام وللجدي ثلاثة آلاف عام وللدلو ألفي عام وللحوت ألف
عام فصار الجميع ثمانية وسبعين ألف عام فلم يكن في عالم الحمل والثور والجوزاء حيوان
وذلك ثلاثة وتلاثون ألف عام فلما كان عالم السرطان تكونت دواب الماء وهوام الارض
فلما كان عالم الاسد تكونت ذوات الاربع من الوحش والبهائم وذلك بعد تسعة آلاف عام
من خلق دواب الماء والهوام فلما كان عالم السنبلية تكون الانسان الاولان وهما آدمانوس
وحنوانوس وذلك لتقام سبعة عشر ألف عام لخلق دواب الماء وهوام الارض ولتقام ثمانية
آلاف عام من خلق ذوات الاربع وخالقت الارض في عالم الميزان ويقال بل خلقت الارض
اولا وأقامت خالية ثلاثة وثلاثين ألف عام ليس فيها حيوان ولا عالم روحاني ثم خلق الله
تعالى هوام الماء ودواب الارض وما بعد ذلك على ما تقدم ذكره فلما تم أربعة وعشرون
ألف عام لخلق دواب الماء وهوام الارض ولتقام خمسة عشر ألف عام من خلق ذوات الاربع
ولتتم سبعة آلاف عام من لدن تكون الانسانين خلقت الطيور ويقال ان مدة مقام
الانسانين واسلمهما في الارض مائة ألف وثلاثة وتلاثون ألف عام منها لرحل ستة وخمسون

ألف عام وللمشترى أربعة وأربعون ألف عام وللمريخ ثلاثة وثلاثون ألف عام ويقال ان
الامم المخلوقات قبل آدم هي كانت الجنية الاولى وهي ثمان وعشرون امة بازاء منازل القمر
خلقت من أمزجة مختلفة اصلها الماء والهواء والارض والنار فتباين خلقها ففنها أمة خلقت
طوالا زرقا ذوات اجنحة كلامهم قرقعة على صفة الاسود ومنها امة أبدانهم ابدان الاسود
ورؤسهم رؤس الطير لهم شعور وآذان طوال وكلامهم دوى ومنها امة لها وجهان وجه
أمامها ووجه خلفها ولها أرجل كثيرة وكلامهم كلام الطير ومنها امة ضعيفة في صور الكلاب
لها أذنان وكلامهم همهمة لا يعرف ومنها امة تشبه بني آدم أفواهم في صدورهم يصفرون
اذا تكلموا تصفيرا ومنها امة يشبهون نصف انسان لهم عين واحدة ورجل يقفزون بها
قفزا ويصيحون كهصياح الطير ومنها امة لها وجوه كوجوه الناس وأصابع كاصابع
الاسلحاف في رؤسهم قرون طوال لا يفهم كلامهم ومنها امة مدورة الوجوه لهم شعور بيض
وأذنان كاذناب البقر ورؤسهم في صدورهم لهم شعور وثدى وهم اناث كلهن ليس فيهن
ذكر يلقحن من الريح ويلدن امثالهن ولهن اصوات مطربة يجتمع اليهن كثير من هذه
الامم لحسن اصواتهن ومنها امة على خلق بني آدم سود وجوهمم ورؤسهم كرؤس
الغربان ومنها امة في خلق الهوام والحشرات الا انها عظيمة الاجسام تأكل وتترب مثل
الانعام ومنها امة كوجوه دواب البحر لها أنياب كانياب الحنازير وآذان طوال ويقال ان
هذه الثمانية والعشرين امة تناحكت فصارت مائة وعشرين امة * وسئل أمير المؤمنين علي
ابن أبي طالب رضي الله عنه هل كان في الارض خلق قبل آدم يعبدون الله تعالى فقال نعم
خلق الله الارض وخلق فيها الجن يسبحون الله ويقدسونه لا يقترون وكانوا يطيطرون الى
السماء ويلقون الملائكة ويسلمون عليهم ويستعلمون منهم خبر ما في السماء ثم ان طائفة منهم تمرت
وعنت عن أمر ربها وبغت في الارض بقير الحق وعدا بعضهم على بعض وجحدوا الربوبية
وكفروا بالله وعبدوا ما سواه وتغايروا على الملك حتى سفكوا الدماء وأطهروا في الارض
الفساد وكثر تقاتلهم وعلا بعضهم على بعض وأقام المطيعون لله تعالى على دينهم وكان ابليس
من الطائفة المطيعة لله والمنسجحين له وكان يصعد الى السماء فلا يحجب عنها الحسن طاعته
ويروى أن الجن كانت تفترق على احدى وعشرين قبيلة وأن بعد خمسة آلاف سنة ملكوا
عليهم ملكا يقال له شمال بن ارس ثم افترقوا فملكوا عليهم خمسة ملوك وأقاموا على ذلك
دهرا طويلا ثم أغار بعضهم على بعض وتحاسدوا فكانت بينهم وقائع كثيرة فأهبط الله تعالى
اليهم ابليس وكان اسمه بالعربية الحارث وكنيته ابو مرة ومعه عدد كثير من الملائكة فهزمهم
وقتلهم وصار ابليس ملكا على وجه الارض فتكبر وظنى وكان من امتناعه من السجود
لآدم ما كان فأهبطه الله تعالى الى الارض فسكن البحر وجعل عرشه على الماء فألقيت

عليه شهوة الجماع وجعل لقاحه لقاح الطير وبيضه ويقال ان قبائل الجن من الشياطين خمس وثلاثون قبيلة خمس عشرة قبيلة تطير في الهواء وعشر قبائل مع لهب النار وثلاثون قبيلة يسترقون السمع من السماء ولكل قبيلة ملك موكل يدفع شرها ومنهم صنف من السعالي يتصورون في صور النساء الحسان ويتزوجن برجال الانس ويلدن منهم ومنهم صنف على صور الحيات اذا قتل أحد منهم واحدة هلك من وقته فان كانت صغيرة هلك ولده أو عزيز عنده * وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال ان السكلاب من الجن فاذا رأوكم تأكلون فأتقوا اليهم من طعامكم فان لهم انفسا يعني انهم يأخذون بالعين وقد روى ان الارض كانت معمورة بأمم كثيرة منهم الطم والرم والجن والبن والحسن والبسن وان الله تعالى لما خلق السماء عمرها بالملائكة ولما خلق الله الارض عمرها بالجن فعماتوا وسفكوا الدماء فأنزل الله اليهم جنسدا من الملائكة فأتوا على اكثرهم قتلا وأسرا فكان ممن اسر ابليس وكان اسمه عزازيل فلما صعد به الى السماء أخذ نفسه بالاجتهاد في العبادة والطاعة رجاء أن يتوب الله عليه فلما لم يجد ذلك عليه شيئا خامر الملائكة القنوط فأراد الله أن يظهر لهم خبث طويته وفساد نيته فخاف آدم فامتحنه بالسجود له ليظهر للملائكة تكبره وابانة ماخفي عنهم من مكثوم أنبيائه والى عمارة الارض قبل آدم ممن أفسد فيها أشار بقوله تعالى حكاية عن الملائكة أنجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء يعنون كما فعل بها من قبل والله أعلم بمراده وقال أبو بكر بن احمد بن على بن وحشية في كتاب الفلاحة انه عرب هذا الكتاب ونقله من لسان السكلدانيين الى اللغة العربية وانه وجده من وضع ثلاثة حكماء قدماء وهم صعرية وسوساد وفوقاي ابتداء الاول وكان ظهوره في الالف السابعة من سبعة آلاف سنة زحل وهي الالف التي يشارك فيها زحل القمر وتممه الثاني وكان ظهوره في آخر هذه الالف واكملة الثالث وكان ظهوره بعد مضي أربعة آلاف سنة من دور الشمس الذي هو سبعة آلاف سنة وانه نظر الى ما بين زمان الاول والثالث فكان ثمانية عشر ألف سنة شمسية وبعض الالف التاسعة عشر قد اختلف أهل الاسلام في هذه المسألة أيضاً فروى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال الدنيا جمعة من جمع الآخرة واليوم الف سنة فذلك سبعة آلاف سنة وروى سفيان عن الاعشى عن أبي صالح قال قال كعب الاحبار الدنيا ستة آلاف سنة * وعن وهب بن منبه أنه قال قد خلا من الدنيا خمسة آلاف سنة وستة آلاف سنة اتى لاعرف كل زمان منها ومن فيه من الانبياء فليل له فكلم الدنيا قال ستة آلاف سنة وروى عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أجلكم في أجل من كان قبلكم من صلاة العصر الى مغرب الشمس وفي حديث أبي هريرة الحقب ثمانون

عاما اليوم منها سدس الدنيا والحقب هنا بكسر الحاء وضمها * قال أبو محمد الحسن بن أحمد
 ابن يعقوب الهمداني في كتاب الاكلیل وكأن الدنيا جزء من أربعة آلاف وسبعمائة وثلاثة
 وعشرين جزءا وثالث جزء من الحقب على أن السنة القمرية ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما
 وخمس وسدس يوم فاذا كانت الدنيا ستة آلاف سنة واليوم ألف سنة تكون سنين قمرية
 ستة آلاف ألف سنة فاذا جعلناه جزءا وضربناه في أجزاء الحقب وهي أربعة آلاف وسبعمائة
 سنة وثلاث وعشرون وثلاث خرج من السنين ثمانية وعشرون ألف ألف وثلثمائة ألف ألف
 وأربعون ألف ألف واذا كانت جمعة من جمع الآخرة زدنا مع هذا العدد مثل سدسه وهذا
 عدد الحقب * وقال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري الصواب من القول ما دل على صحته
 الخبر الوارد فذكر قوله عليه السلام أجلكم في أجل من كان قبلكم من صلاة العصر الى
 مغرب الشمس وقوله عليه السلام بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى وقوله
 عليه السلام بعثت أنا والساعة جميعا ان كادت لتسبقني قال فمعلوم ان كان اليوم أوله طلوع
 الشمس وآخره غروب الشمس وكان صحيحا عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله أجلكم في أجل
 من كان قبلكم من صلاة العصر الى مغرب الشمس وقوله بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار
 بالسبابة والوسطى وكان قدر ما بين أوسط أوقات صلاة العصر وذلك اذا صار ظل كل شيء
 مثابه على التحرى انما يكون قدر نصف سبع اليوم يزيد قليلا أو ينقص قليلا وكذلك فضل
 ما بين الوسطى والسبابة انما يكون نحو من ذلك وكان صحيحا مع ذلك قوله عليه السلام لن
 يعجز الله أن يؤخر هذه الامة نصف يوم يعنى نصف اليوم الذى مقداره ألف سنة فأولى
 القولين اللذين أحدهما عن ابن عباس والآخر عن كعب قول ابن عباس ان الدنيا جمعة من
 جمع الآخرة سبعة آلاف واذا كان كذلك وكان قد جاء عنه عليه السلام أن الباقي من ذلك في
 حياته نصف يوم وذلك خمسمائة عام اذا كان ذلك نصف يوم من الايام التي قدر الواحد منها
 ألف عام كان معلوما أن الماضي من الدنيا الى وقت قوله عليه السلام ستة آلاف سنة وخمسمائة
 سنة أو نحو ذلك وقد جاء عنه عليه السلام خبر يدل على صحة قول من قال ان الدنيا كلها ستة
 آلاف سنة لو كان صحيحا لم يعد القول به الى غيره وهو حديث أبي هريرة يرفعه الحقب ثمانون
 عاما اليوم منها سدس الدنيا فتيين من هذا الخبر أن الدنيا كلها ستة آلاف سنة وذلك أنه حيث
 كان اليوم الذى هو من أيام الآخرة مقداره ألف سنة من سنن الدنيا وكان اليوم الواحد
 من ذلك سدس الدنيا كان معلوما أن جميعها ستة أيام من أيام الآخرة وذلك ستة آلاف سنة
 وقال أبو القاسم السهلي وقد مضت الخمسمائة من وفاته صلى الله عليه وسلم الى اليوم بنيف
 عليها وليس في قوله لن يعجز الله أن يؤخر هذه الامة نصف يوم ما ينفي الزيادة على النصف
 ولا في قوله بعثت أنا والساعة كهاتين ما يقطع به على صحة تأويله يعنى الطبري فقد نقل في

تأويله غير هذا وهو أنه ليس بينه وبين الساعة نبى ولا شرعة غير شرعته مع التقريب لحينها كما قال تعالى اقتربت الساعة وقال أنى أمر الله فلا تستعجلوه ولكن اذا قلنا انه عليه السلام انما بعث في الالف الآخر بعد ما مضت منه سنون ونظرنا الى الحروف المقطعة في أوائل السور وجدناها أربعة عشر حرفا يجمعها قولك * (ألم ينطع نص حق كره) * (٣) ثم تأخذ العدد على حساب أبى جاد فيجىء تسعمائة وثلاثة ولم يسم الله تعالى أوائل السور الا هذه الحروف فاليس يبعد أن يكون من بعض مقتضياتها وبعض فوائدها الاشارة الى هذا العدد من السنين لما قدمناه من حديث الالف السابع الذى بعث عليه السلام فيه غير ان الحساب يحتمل أن يكون من مبعضه أو من وفاته أو من هجرته وكل قريب بعضه من بعض فقد جاء أثر اطها ولكن لا تأتكم الا بغتة وقد روى انه عليه السلام قال ان احسنت امتي فبقاؤها يوم من ايام الآخرة وذلك الف سنة وان اساءت فقصف يوم فى الحديث تنمى للحديث المتقدم ويان له اذ قد انقضت الخمسمائة والامة باقية وقال شاذ ان البلخي المنجم مدة ملة الاسلام ثمانمائة وعشر سنين وقد ظهر كذب قوله والله الحمد وقال ابو معشر يظهر بعد المائة والخمسين من سنى الهجرة اختلاف كثير وقال حراس ان المنجمين أخبروا كسرى انوشروان بملك العرب وظهور النبوة فيهم وان دليهم الزهرة وهي في شرفها والزهرة دليل العرب فتكون مدة ملك نبوتهم الف سنة وستين سنة ولان طالع القران الدال على ذلك برج الميزان والزهرة صاحبة في شرفها قال وسأل كسرى وزيره بزرجمهر عن ذلك فأعلمه ان الملك يخرج من فارس وينتقل الى العرب وتكون ولادة القائم بامر العرب تحس واربعين سنة من وقت القران وان العرب تملك المشرق والمغرب من اجل ان المشتري دليل فارس قد قبل تدبير الزهرة دليل العرب والقران قد انتقل من المثلثة الهوائية الى المثلثة المائية والى برج العقرب منها وهو دليل العرب ايضا وهذه الادلة تقتضى بقاء الملة الاسلامية بقدر دور الزهرة وهو الف وستون سنة شمسية وقال نفيل الرومي وكان فى ايام بني امية تبقى ملة الاسلام قدر مدة القران الكبيرة وهي تسعمائة وستون سنة شمسية فاذا عاد القران بعد هذه المدة الى برج العقرب كما كان فى ابتداء الملة وتغير وضع تشكيل الفلك عن هيئته فى الابتداء فحينئذ يفتر العمل ويتجدد ما يوجب خلاف الظن * قال واتفقوا على ان خراب العالم يكون باستيلاء الماء والنار حتى تهلك المكنونات بأسرها وذلك اذا قطع قلب الاسد أربعة وعشرين درجة من برج الاسد الذى هو حد المريخ بعد تسعمائة وستين سنة شمسية من قران الملة ويقال ان ملك رابستان وهي عزة بعث الى عبد الله أمير المؤمنين المأمون بحكيم اسمه دوبان في جملة هدية فأعجب به المأمون وساله عن مدة ملك بني العباس فاخبره بخروج الملك عن عقبه واتصاله في عقب أخيه وأن العجم تغلبهم على الخلافة فيتقلب الديلم أولا ثم يسوء حالهم حتى يظهر

الترك من شمال المشرق فيملكون الفرات والروم والشام وقال يعقوب بن اسحاق الكندي مدة ملة الاسلام ستمائة وثلاث وتسعون سنة * وقال الفقيه الحافظ أبو محمد علي بن أحمد ابن سعيد بن حزم وأما اختلاف الناس في التاريخ فان اليهود يقولون أربعة آلاف سنة والنصارى يقولون الدنيا خمسة آلاف سنة وأما نحن يعني أهل الاسلام فلا نقطع على علم عدد معروف عندنا ومن ادعى في ذلك سبعة آلاف سنة أو أكثر أو أقل فقد قال ما لم يأت قط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه لفظة تصحح بل صح عنه عليه السلام خلافه بل نقطع على أن لدينا أمدا لا يعلمه الا الله تعالى قال الله تعالى ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنتم في الامم قبلكم الا كالشجرة البيضاء في الثور الاسود والشجرة السوداء في الثور الابيض وهذه نسبة من تدبرها وعرف مقدار عدد أهل الاسلام ونسبة ما بأيديهم من معمور الارض وانه الاكثر علم أن للدنيا أمدا لا يعلمه الا الله تعالى وكذلك قوله عليه السلام بعثت أنا والساعة كهاتين وضم اصبعيه المقدستين السبابة والوسطى وقد جاء النص بأن الساعة لا يعلم متى تكون الا الله تعالى لا أحد سواه فصح أنه صلى الله عليه وسلم انما عني شدة القرب لافضل السبابة على السباحة اذ لو أراد ذلك لآخذت نسبة ما بين الاصبعين ونسب من طول الاصبع فكان يعلم بذلك متى تقوم الساعة وهذا باطل وأيضا فكان تكون نسبته صلى الله عليه وسلم ايانا الى من قبلنا بأننا كالشجرة في الثور كذبا ومعاذ الله من ذلك فصح أنه عليه السلام انما أراد شدة القرب وله صلى الله عليه وسلم منذ بعث أربعمائة عام ونيف والله تعالى أعلم بما بقى للدنيا فاذا كان هذا المدد العظيم لانسبة له عند ما سلف لقاته وتفاهته بالاضافة الى ما مضى فهو الذي قاله صلى الله عليه وسلم من اننا فيمن مضى كالشجرة في الثور او الرقة في ذراع الحمار وقد رأيت بخط الامير أبي محمد عبد الله بن الناصر قال حدثني محمد بن معاوية القرشي أنه رأى بالهند بلدا له اثنتان وسبعون ألف سنة وقد وجد محمود بن سبكتكين بالهند مدينة يؤرخون بأربعمائة ألف سنة قال أبو محمد الا أن لكل ذلك أولا ولا بد ونهاية لم يكن شئ من العالم موجودا قبله ولله الامر من قبل ومن بعد والله أعلم

ذكر التواريخ التي كانت للامم قبل تاريخ القبط

التاريخ كلمة فارسية أصلها ماروزنم عرب * قال محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف الباخي في كتاب مفاتيح العلوم وهو كتاب جليل القدر وهذا اشتقاق بعيد لولا أن الرواية جاءت به وقال قدامة بن جعفر في كتاب الخراج تاريخ كل شئ آخره وهو في الوقت غايته يقال فلان تاريخ قومه أي اليه ينتهي شرفهم ويقال ورخت الكتاب تورخا وأرخته تأريخا اللغة الاولى تميم والثانية لقيس ولكل أهل ملة تاريخ فكانت الامم تورخ أولا بتاريخ

الخلقة وهو ابتداء كون النسل من آدم عليه السلام ثم أرخت بالطوفان وأرخت بخت نصر وأرخت بفيلبس وأرخت بالاسكندر ثم بأغسطس ثم بأنطيس ثم بدقلطيانوس وبه تؤرخ القبط ثم لم يكن بعد تاريخ القبط الا تاريخ الهجره ثم تاريخ يزدجرد فهذه تواريخ الامم المشهوره وللناس تواريخ أخرى قد انقطع ذكرها * فأما تاريخ الخلقه ويقال له ابتداء كون النسل وبعضهم يقول بدو التحرك فان لاهل الكتاب من اليهود والنصارى والمجوس في كيفيته وسياقه التاريخ منه خلافا كثيرا قال المجوس والفرس عمر العالم اثناعشر ألف عام على عدد بروج الفلك وشهور السنة وزعموا أن زرادست صاحب شريعتهم قال ان الماضي من الدنيا الى وقت ظهوره ثلاثة آلاف سنة مكبوسة الارباع وبين ظهور زرادست وأول تاريخ الاسكندر ثلاثة آلاف ومائتا سنة وثمان وخمسون سنة واذا حسبنا من أول يوم كيومرت الذي هو عندهم الانسان الاول وجمعنا مدة كل من ملك بعده فان الملك ملصق فيهم غير منقطع عنهم كان العدد منه الى الاسكندر ثلاثة آلاف وثلاثمائة وأربعاً وخمسين سنة فاذا لم يتفق التفصيل مع الجملة وقال قوم الثلاثة الآلاف الماضية انما هي من خلق كيومرت فانه مضي قبله ألف سنة والفلك فيها واقف غير متحرك والطباع غير مستحيلة والامهات غير متمازجة والسكون والفساد غير موجود فيها والارض غير عامرة فلما تحرك الفلك حدث الانسان الاول في معدن النار وتولد الحيوان وتوالد وتناسل الانس فكثروا وامتزجت أجزاء العناصر للسكون والفساد فعمرت الدنيا وانتظم العالم * وقال اليهود الماضي من آدم الى الاسكندر ثلاثة آلاف وأربعمائة وثمان وأربعون سنة وقال النصارى المدة بينهما خمسة آلاف ومائة وثمانون سنة وزعموا أن اليهود تقصوها ليقع خروج عيسى ابن مريم عليه السلام في الالف الرابع وسط السبعة آلاف التي هي مقسدار العالم عندهم حتى تخالف ذلك الوقت الذي سبقت البشارة من الانبياء الذين كانوا بعد موسى بن عمران عليه السلام بولادة المسيح عيسى واذا جمع ما في التوراة التي بيد اليهود من المدة التي بين آدم عليه السلام وبين الطوفان كانت ألفاً وستمائة وستاً وخمسين سنة وعند النصارى في انجيلهم ألفان ومائتا سنة واثنان وأربعون سنة وتزعم اليهود أن توراهم بعيدة عن التخليط وتزعم النصارى أن توراة السبعين التي هي بأيديهم لم يقع فيها تحريف ولا تبديل وتقول اليهود فيها خلاف ذلك وتقول السامرية بأن توراهم هي الحق وما عداها باطل وليس في اختلافهم ما يزيل الشك بل يقوى الجلبة له وهذا الاختلاف بعينه بين النصارى أيضاً في الانجيل وذلك ان له عند النصارى أربع نسخ مجموعة في مصحف واحد أحدها انجيل متى والثاني لمارقوس والثالث للوقا والرابع ليوحنا قد ألف كل من هؤلاء الاربعة انجيالا على حسب دعوته في بلاده وهي مختلفة اختلافا كثيرا حتى في صفات المسيح عليه السلام

وأيام دعوته ووقت الصلب بزعمهم وفي نسبه أيضاً وهذا الاختلاف لا يحتمل مثله ومع هذا فعند كل من أصحاب مرقيون وأصحاب ابن ديسان انجيل يخالف بعضه هذه الاناجيل ولاصحاب ماني انجيل على حدة يخالف ما عليه النصارى من أوله الى آخره وزعمون أنه هو الصحيح وما عداه باطل ولهم أيضاً انجيل يسمى انجيل السبعين ينسب الى تلاميذ والنصارى وغيرهم ينكرونه وإذا كان الامر من الاختلاف بين أهل الكتاب كما قد رأيت ولم يكن لقياس والرأى مدخل في تميز حق ذلك من باطله امتنع الوقوف على حقيقة ذلك من قبلهم ولم يعول على شيء من أقوالهم فيه وأما غير أهل الكتاب فانهم أيضاً يختلفون في ذلك * قال أسوش بين خلق آدم وبين ليلة الجمعة أول الطوفان ألفا سنة ومائتا سنة وست وعشرون سنة وثلاثة وعشرون يوما وأربع ساعات وقال ماشاء واسمه منشا ابن أترى منجم المنصور والمأمون في كتاب القرائات أول قران وقع بين زحل والمشتري في بدء التحرك يعنى ابتداء النسل من آدم كان على مضي خمسمائة وتسع سنين وشهرين وأربعة وعشرين يوما مضت من ألف المريخ فوقع القران في برج الثور من المثلثة الارضية على سبع درج واثنين وأربعين دقيقة وكان انتقال الممر من برج الميزان ومثلثه اهلوايئة الى برج العقرب ومثلثه المائئة بعد ذلك بألفى سنة وأربعمائة سنة وأتقى عشرة سنة وستة أشهر وستة وعشرين يوما ووقع الطوفان في الشهر الخامس من السنة الاولى من القران الثاني من قرائات هذه المثلثة المائئة وكان بين وقت القران الاول الكائن في بدء التحرك وبين الشهر الذي كان فيه الطوفان ألفان وأربعمائة وثلاث وعشرون سنة وستة أشهر وأثنا عشر يوما قال وفي كل سبعة آلاف سنة وستين وعشرة أشهر وستة أيام يرجع القران الى موضعه من برج الثور الذي كان في بدء التحرك وهذا القول أعزك الله هو الذي اشتهر حتي ظن كثير من الملل أن مدة بقاء الدنيا سبعة آلاف سنة فلا تغتر به وتنبه الي أصله تجده أوهي من بيت العنكبوت فاطرحه وقيل كان بين آدم وبين الطوفان ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمس وثلاثون سنة وقيل كانت بينهما مدة ألفين ومائتين وست وخمسين سنة وقيل ألفان وثمانون سنة * وأما تاريخ الطوفان فانه يتلو تاريخ الحايقة وفيه من الاختلاف ما لا يطمع في حقيقته من أجل الاختلاف فيما بين آدم وبينه وفيما بينه وبين تاريخ الاسكندر فان اليهود عندهم أن بين الطوفان وبين الاسكندر ألفا وسبعمائة واثنين وتسعين سنة وعند النصارى بينهما ألفا سنة وتسعمائة وثمان وثلاثون سنة والفرس وسائر الجوس والكلدانيون أهل بابل والهند وأهل الصين وأصناف الامم المشرقية ينكرون الطوفان وأقر به بعض الفرس اسكنهم قالوا لم يكن الطوفان بسوى الشام والمغرب ولم يعمران كله ولا غرق الا بعض الناس ولم يتجاوز عقبة حلوان ولا بلغ الي ممالك المشرق قالوا ووقع

(م ٣ - خططي)

في زمان طمهورت وان أهل المغرب لما أنذر حكماؤهم بالطوفان اتخذوا المباني العظيمة كالطرمين بمصر ونحوها ليدخلوا فيها عند حدوثه ولما بلغ طمهورت الانذار بالطوفان قبل كونه بمائة واحدى وثلاثين سنة أمر باختيار مواضع في مملكته صحيحة الهواء والترية فوجد ذلك باصهان فأمر بتجليد العلوم ودفنها فيها في أسلم المواضع ويشهد لهذا ما وجد بعد الثلثمائة من سنى الهجرة في حى من مدينة أصهان من النسلال التى انشقت عن بيوت مملوءة أعدالاعدة كثيرة قد ملئت من لحاء الشجر التى تلبس بها القسي وتسمى التور مكتوبة بكتابة لم يدر أحد ما هى وأما المنجمون فانهم صححوا هذه السنين من القران الاول من قرانات العلويين زحل والمشتري التى أثبت علماء أهل بابل والكلدانيين مثلها اذا كان الطوفان ظهوره من ناحيتهم فان السقينة استقرت على الجودى وهو غير بعيد من تلك النواحي قالوا وكان هذا القران قبل الطوفان بمائتين وعشرين سنة ومائة وثمانية أيام واعتنوا بامرها وصححوا ما بعدها فوجدوا ما بين الطوفان وبين أول ملك بخت نصر الاول ألفى سنة وستمئة وأربع سنين وبين بخت نصر هذا وبين الاسكندر أربعمئة وست وثلاثون سنة وعلى ذلك بنى أبو معشر أوساط الكواكب في زيجه وقال كان الطوفان عند اجتماع الكواكب في آخر برج الحوت وأول برج الحمل وكان بين وقت الطوفان وبين تاريخ الاسكندر قدر ألفى سنة وسبعمائة وتسعين سنة مكبوسة وسبعة أشهر وستة وعشرين يوما وبينه وبين يوم الخميس أول المحرم من السنة الاولى من سنى الهجرة النبوية ألف ألف يوم وثلثمائة ألف يوم وتسعة وخمسون ألف يوم وتسعمائة يوم وثلاثة وسبعون يوما يكون من السنين الفارسية المصرية ثلاثة آلاف سنة وسبعمائة سنة وخمسا وعشرين سنة وثلثمائة يوم وثمانية وأربعين يوما ومنهم من يرى أن الطوفان كان يوم الجمعة وعند أبى معشر أنه كان يوم الخميس ولما تقرر عنده الجملة المذكورة وخرجت له المدة التى تسمى أدوار الكواكب وهى يزعمهم ثلثمائة ألف وستون ألف سنة شمسية وأولها متقدم على وقت الطوفان بمائة ألف وثمانين ألف سنة شمسية حكم بان الطوفان كان في مائة ألف وثمانين ألف سنة وسيكون فيما بعد كذلك ومثل هذا لا يقبل الا بحجة أو من معصوم * وأما تاريخ بخت نصر فانه على سنى القبط وعليه يعمل في استخراج مواضع الكواكب من كتاب الجسطى ثم أدوار قاليبس وأول أدواره فى سنة ثمانى عشرة وأربعمائة لبخت نصر وكل دور منها ست وسبعون سنة شمسية وكان قاليبس من جلة أصحاب التعلال وبخت نصر هذا ليس هو الذى خرب بيت المقدس وانما هو آخر كان قبل بخت نصر مخرب بيت المقدس بمائة وثلاث وأربعين سنة وهو اسم فارسي أصله بخت برسى ومعناه كثير البكاء والابن ويقال له بالعبرانية نصار وقيل تفسيره عطارد وهو ينطق وذلك لتجيبه على الحكمة وتغريب أهلها ثم عرب

فقل بخت نصر * وأما تاريخ فيلبس فانه على سني القبط وكثيرا ما يستعمل هذا التاريخ من موت الاسكندر البناء المقدوني وكلا الامرين سواء فان القائم بعد البناء هو فيلبس فسواء كان من موت الاول أو من قيام الآخر فان الحالة المؤرخة هي كالفصل المشترك بينهما وفيلبس هذا هو أبو الاسكندر المقدوني ويعرف هذا التاريخ بتاريخ الاسكندرانيين وعليه بقي تاون الاسكندراني في تاريخه المعروف بالقانون والله أعلم * وأما تاريخ الاسكندر فانه على سني الروم وعليه يعمل أكثر الامم الى وقتنا هذا من أهل الشام وأهل بلاد الروم وأهل المغرب والاندلس والفرنج واليهود وقد تقدم الكلام عليه عند ذكر الاسكندرية من هذا الكتاب * وأما تاريخ أغشطش فانه لا يعرف اليوم أحد يستعمله واغشطش هذا هو أول القيصرية ومعني قيصر بالرومية شق عنه فان أغشطش هذا لما حملت به أمه ماتت في المحاض فشق بطنها حتي أخرج منه فليل قيصر وبه يلقب من بعده من ملوك الروم ويزعم النصراني أن المسيح عليه السلام ولد لاربعين سنة من ملكه وفي هذا القول نظر فانه لا يصح عند سياقة السنين والتواريخ بل يجيء تعديل ولادته عليه السلام في السنة السابعة عشر من ملكه * وأما تاريخ أنطيس فان بطليموس صحح الكواكب الثابتة في كتابه المعروف بالجسطى لأول ملكه على الروم وسنو هذا التاريخ رومية

ذكر تاريخ القبط

اعلم أن السنة الشمسية عبارة عن عود الشمس في فلك البروج اذا تحركت على خلاف حركة السكل الى أى نقطة فرضت ابتداء حركتها وذلك أنها تستوفي الارمنة الاربعة التي هي الربيع والصيف والخريف والشتاء وتحوز طبائهما الاربع وتنتهي الى حيث بدأت وفي هذه المدة يستوفي القمر اثنتي عشرة عودة وأقل من نصف عودة ويستهل اثنتي عشرة مرة فعملت المدة التي فيها عودات القمر الاثنتا عشرة في فلك البروج سنة للقمر على جهة الاصطلاح وأسقط السكسر الذي هو أحد عشر يوما بالتقريب فصارت السنة على قسمين سنة شمسية وسنة قمرية وجميع من على وجه الارض من الامم أخذوا تواريخ سنهم من مسير الشمس والقمر فالأخذون بسير الشمس خمس أمم هم اليونانيون والسريانيون والقبط والروم والفرس والآخذون بسير القمر خمس أمم هم الهند والعرب واليهود والنصارى والمسلمون * فأهل قسطنطينية والاسكندرية وسائر الروم والسريانيون والسكندانيون وأهل مصر ومن يعمل برأي المعتد أخذوا بالسنة الشمسية التي هي ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم بالتقريب وصيروا السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما وألحقوا الارباع بها في كل أربع سنين يوما حتي انجبرت السنة وسموا تلك السنة كبيسة لانكباس الارباع فيها * وأما قبط مصر القدماء فانهم كانوا يتركون الارباع حتي يجتمع منها أيام سنة تامة وذلك في كل ألف وأربعمائة

وستين سنة ثم يكبسونها سنة واحدة ويتفقون حينئذ في أول تلك السنة مع أهل الاسكندرية وقسطنطينية * وأما الفرس فانهم جعلوا السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما من غير كبس حتى اجتمع لهم من ربيع اليوم في مائة وعشرين سنة أيام شهر تام ومن خمس الساعة الذي يتبع ربيع اليوم عندهم يوم واحد فالحقوا الشهر التام بها في كل مائة وست عشرة سنة واقتنى أثرهم في هذا أهل خوارزم القدماء والصفد ومن دان بدين فارس وكانت الملوك البشداية منهم وهم الذين ملكوا الدنيا بحذاقيرها يعملون السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما كل شهر منها ثلاثون يوما سواء وكانوا يكبسون السنة كل ست سنين ويوم ويسمونهم كبيسة وكل مائة وعشرين سنة بشهرين أحدهما بسبب خمسة الايام والثاني بسبب ربيع اليوم وكانوا يعظمون تلك السنة ويسمونهم المباركة * وأما قدماء القبط وأهل فارس في الاسلام وأهل خوارزم والصفد فتركوا الكسور أعنى الربع وما يتبعه أصلا * وأما العبرانيون وجميع بني اسرائيل والصائبون والحرانيون فانهم أخذوا السنة من مسير الشمس وشهورها من مسير القمر لتكون أعيادهم وصيامهم على حساب قرى وتسكون مع ذلك حافظة لأوقاتها من السنة فكبسوا كل سبع عشرة سنة قرية بستة أشهر ووافقهم النصارى في صومهم وبعض أعيادهم لان مدار أمرهم على نسخ اليهود وخالقهم في الشهور الى مذهب الروم والسرانيين وكانت العرب في جهالتها تنظر الى فضل ما بين سنتهم وسنة القمر وهو عشرة أيام واحدى وعشرون ساعة وخمس ساعة فيلحقون ذلك بها شهرا كلاتم منها ما يستوفى أيام شهر ولكنهم كانوا يعملون على أنه عشرة أيام وعشرون ساعة وكان يتولى ذلك النساء من بنى كنانة المعروفون بالقلامس واحدهم قلمس وهو البحر الغزير وهو أبو تمامه جنادة بن عوف بن أمية بن قلع وأول من فعل ذلك منهم حذيفة بن عبد قيس وآخر من فعله أبو تمامه وأخذ العرب الكبس من اليهود قبل مجيئ دين الاسلام بخو المائى سنة وكانوا يكبسون في كل أربع وعشرين سنة تسعة أشهر حتى تبقى أشهر السنة ثابتة مع الارزمة على حالة واحدة لا تتأخر عن أوقاتها ولا تتقدم الى أن حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله تعالى عليه انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرّمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين فخطب صلى الله عليه وسلم وقال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض فبطل النسيء وزالت شهور العرب عما كانت عليه وصارت أسماءها غير دالة على معانيها * وأما أهل الهند فانهم يستعملون رؤية الاهالة في شهورهم ويكبسون كل تسعمائة سنة وسبعين يوما بشهر قرى ويجمعون ابتداء تاريخهم اتفاق اجتماع في أول دقيقة من برج ما وأكثر طلبهم لهذا الاجتماع أن يتفق في احدى

نطقى الاعتدالين ويسمّون السنة الكبيسة بذمات فهذه آراء الخليفة في السنة * وأما اليوم فانه عبارة عن عود الشمس بدوران الشكل الى دائرة قد فرضت وقد اختلف فيه فجعله العرب من غروب الشمس الى غروبها من الغد ومن أجل أن شهور العرب مبنية على مسير القمر وأوائها مقيدة برؤية الهلال واللال يري لدن غروب الشمس صارت الليلة عندهم قبل النهار وعند الفرس والروم اليوم بليته من طلوع الشمس بارزة من أفق المشرق الى وقت طلوعها من الغد فصار النهار عندهم قبل الليل واحتجوا على قولهم بأن النور وجود والظلمة عدم والحركة تغلب على السكون لأنها وجود لا عدم وحياة لا موت والسماء أفضل من الارض والعامل الشاب أصح والماء الجارى لا يقبل عفونة كالراكد واحتج الآخرون بأن الظلمة أقدم من النور والنور طارئ عليها فالأقدم يبدأ به وغلبوا السكون على الحركة باضافة الراحة والدعة اليه وقالوا الحركة إنما هي الحاجة والضرورة والتعب تتعجه الحركة والسكون اذا دام في الاستقصاآت مدة لم يولد فسادا فاذا دامت الحركة في الاستقصاآت واستحكمت أفسدت وذلك كالزلازل والمواصف والامواج وشبهها وعند أصحاب التنجيم أن اليوم بليته من موافاة الشمس فلك نصف النهار الى موافاتها ايام في الغد وذلك من وقت الظهر الى وقت المصروبينوا على ذلك حساب أزياجهم وبعضهم ابتداء اليوم من نصف الليل وهو صاحب زيج شهر باراز انساء وهذا هو حد اليوم على الاطلاق اذا اشترط الليلة في التركيب فالما على التفصيل فالיום بانفراده والنهار بمعنى واحد وهو من طلوع جرم الشمس الى غروب جرمها والليل خلاف ذلك وعكسه وحد بعضهم أول النهار بطلوع الفجر وآخره بغروب الشمس لقوله تعالى وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم أتموا الصيام الى الليل وقال هذان الحدان هما طرفا النهار وعورض بأن الآية إنما فيها بيان طرفي الصوم لا تعريف أول النهار وبأن الشفق من جهة المغرب نظير الفجر من جهة المشرق وهما متساويان في العلة فلو كان طلوع الفجر أول النهار لسكان غروب الشفق آخره وقد التزم ذلك بعض الشيعة فاذا تقرر ذلك فنقول تاريخ القبط يعرف عند نصاري مصر الآن بتاريخ الشهداء ويسميه بعضهم تاريخ دقلطيانوس

ذكر دقلطيانوس الذي يعرف تاريخ القبط به

اعلم أن دقلطيانوس هذا أحد ملوك الروم المعروفين بالقياصرة ملك في منتصف سنة خمس وتسعين وخمسمائة من سنى الاسكندر وكان من غير بيت الملك فالما ملك تجبر وامتد ماىكه الى مدائن الاكاسرة ومدينة بابل فاستخلف ابنه على مملكة رومة واتخذ تحت ملكه بمدينة أنطاكية وجعل لنفسه بلاد الشام ومصر الى أقصى المغرب فالما كان في السنة التاسعة

عشر من ملكه وقيل الثانية عشر خالف عليه أهل مصر والاسكندرية فبعث اليهم وقتل منهم خلقاً كثيراً وأوقع بالنصارى فاستباح دماءهم وغاق كنائسهم ومنع من دين النصارى وحمل الناس على عبادة الاصنام وبالع في الاسراف في قتل النصارى وأقام ملكاً احدى وعشرين سنة وهلك بعد علل صعبة دود منها بدنه وسقطت أسنانه وهو آخر من عبد الاصنام من ملوك الروم وكل من ملك بعده فانما كان على دين النصرانية فان الذى ملك بعده ابنه سنة واحدة وقيل أكثر من ذلك ثم ملك قسطنطين الاكبر فأظهر دين النصرانية ونشره في الارض ويقال إن رجلاً ناز بمصر يقال له أجله وخرج عن طاعة الروم فسار اليه دقلطيانوس وحصر الاسكندرية دار الملك يومئذ ثمانية أشهر حتى أخذ أجله وقتله وعم أرض مصر كلها بالسبي والقتل وبعث قائده فخارب سابور ملك فارس وقتل أكثر عسكره وهزمه وأسر امراته واخوته وأنجن في بلاده وعاد بأسرى كثيرة من رجال فارس ثم أوقع بعامة بلاد رومة فأكثر في قتلهم وسبيهم فكانت أيامه شنة قتل فيها من أصناف الامم وهدم من بيوت العبادات ما لا يدخل تحت حصر وكانت واقعة بالنصارى هي الشدة العاشرة وهي أشنع شدائدهم وأطولها لانها دامت عليهم مدة عشر سنين لا يفتري يوماً واحدا يحرق فيها كنائسهم ويعذب رجالهم ويطلب من استتر منهم أوهرب ليقتل يريد بذلك قطع أثر النصارى وابطال دين النصرانية من الارض فهذا اتخذوا ابتداء ملك دقلطيانوس تاريخاً وكان ابتداء ملكه يوم الجمعة وبينه وبين يوم الاثنين أول يوم من توت وهو أول أيام ملك الاسكندر بن فيلبس المقدوني خمسمائة وأربع وتسعون سنة وأحد عشر شهراً وثلاثة أيام وبين يوم الجمعة أول يوم من تاريخ دقلطيانوس وبين يوم الخميس أول يوم من سنة الهجرة النبوية ثمانمائة وثمان وثلاثون سنة قريه وتسعة وثلاثون يوماً وجعلوا شهور السنة القبطية اثني عشر شهراً كل شهر منها عدده ثلاثون يوماً سواء فإذا تمت الاشهر الاثنا عشر أتبعوها بخمسة أيام زيادة على عدد أيامها وسموا هذه الخمسة الايام أبو عمنا وتعترف اليوم بأيام النسيء فيكون الحال في النسيء على ذلك ثلاث سنين متواليات فإذا كان في السنة الرابعة جعلوا النسيء ستة أيام فتكون سنوهم ثلاث سنين متواليات كل سنة ثمانمائة وخمسة وستون يوماً والرابعة يصير عددها ثمانمائة وستة وستين يوماً ويرجع حكم سنتهم الى حكم سنة اليونانيين بأن تصير سنتهم الوسطي ثمانمائة وخمسة وستين يوماً وربع يوم الا أن الكبس يخالف فإذا كان كبس القبط في سنة كان كبس اليونانيين في السنة الداخلة * (وأسماء شهور القبط) * توت بابه • هاتور • كيهك • طوبه • أمشير • برمها • برمودة • بشنس • بؤونه • أبيب • مسرى • فهذه اثنا عشر شهراً كل شهر منها عدده ثلاثون يوماً وإذا كانت عدة شهر مسرى وهو الشهر الثاني عشر زادوا أيام النسيء بعد ذلك وجعلوا النوروز أول يوم من شهر توت

ذكر أسابيع الايام

اعلم أن القدماء من الفرس والصفد وقبط مصر الاول لم يكونوا يستعملون الاسابيع من الايام في الشهور وأول من استعملها أهل الجانب الغربي من الارض لاسيما أهل الشام وما حواله من أجل ظهور الانبياء عليهم السلام فيما هنالك وأخبارهم عن الاسبوع الاول وبدء العالم فيه وأن الله خلق السموات والارض في ستة أيام من الاسبوع ثم انتشر ذلك منهم في سائر الامم واستعملته العرب العاربة بسبب مجاور ديارهم وديار أهل الشام فانهم كانوا قبل تحولهم الى اليمن ببابل وعندهم أخبار نوح عليه السلام ثم بعث الله تعالى اليهم هودا ثم صالحا عليهما السلام وأنزل فيهم ابراهيم خليل الرحمن ابنه اسمعيل عليهما السلام فتعرب اسمعيل وكانت القبط الاول تستعمل اسماء الايام الثلاثين من كل شهر فتجعل لكل يوم منها اسما كما هو العمل في تاريخ الفرس وما زالت القبط على هذا الى أن ملك مصر اغسطس بن يوحس فأراد أن يحميهم على كبس السنين ليوافقوا الروم أبدا فيها فوجدوا الباقي حينئذ الى تمام السنة الكبيسة الكبرى خمس سنين فانظر حتى مضى من ملكه خمس سنين ثم حملهم على كبس الشهور في كل أربع سنين يسوم كما تفعل الروم فترك القبط من حينئذ استعمال اسماء الايام الثلاثين لاحتياجهم في يوم الكبس الى اسم يخصه وانقرض بعد ذلك مستعملو اسماء الايام الثلاثين من أهل مصر والعارفون بها ولم يبق لها ذكر يعرف في العالم بين الناس بل ذرت كما ذكر غيرها من اسماء الرسوم القديمة والعادات الاول سنة الله في الذين خلوا من قبل وكانت اسماء شهور القبط في الزمن القديم توت بؤوني أتور سواق طوبي ما كير قامينوت برموتي باحون باوني اقبلي ايقا وكل شهر منها ثلاثون يوما ولكل يوم اسم يخصه ثم أحدث بعض رؤساء القبط بعد استعمالهم الكبس الاسماء التي هي اليوم متداولة بين الناس بمصر الآن من الناس من يسمى كيهك كياك ويقول في برمهات برمھوط وفي شنس بشانس وفي مسري ماسوري ومن الناس من يسمى الخمسة الايام الزائدة أيام النسي ومنهم من يسميها أبو عمنا ومعنى ذلك الشهر الصغير وهي كما تقدم تلحق في آخر مسري وفيه يزداد اليوم الكيس فيكون أبو عمنا ستة أيام حينئذ ويسمون السنة الكبيسة النقط ومعناه العلامة ومن خرافات القبط أن شهورهم هي شهور سفي نوح وشيث وآدم منذ ابتداء العالم وانها لم تزل على ذلك الى أن خرج موسى ببني اسرائيل من مصر فعملوا أول سنتهم خامس عشر نيسان كما أمروا به في التوراة الى أن نقل الاسكندر رأس سنتهم الى أول تشرين وكذلك المصريون نقل بعض ملوكهم أول سنتهم الى أول يوم من ملكه فصار أول توت عندهم يتقدم أول يوم خلق فيه العالم بمائتين وثمانية أيام أولها يوم الثلاثاء وآخرها يوم السبت وكان توت أوله في ذلك الوقت يوم الاحد وهو أول يوم خلق الله فيه

العالم الذي يقال له الآن تاسع عشرين برمهات وذلك أن أول من ملك على الأرض بعد الطوفان نمرود بن كنعان بن حام بن نوح فعمر بابل وهو أبو الكلدانيين وملك بنو مصر ابراهيم ابن حام بن نوح عليه السلام متش فبني منف بمصر على النيل وسماها باسم جده مصر ابراهيم وهو ثاني ملك على الأرض وهذان الملكان استعملتا تاريخ جدتهما نوح عليه السلام واستن بسننهم من جاء بعدهم حتى تغيرت كما تقدم

ذكر أعياد القبط من النصارى بديار مصر

روى يونس عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال اجتنبوا عيد اليهود والنصارى فإن السخط ينزل عليهم في مجامعهم ولا تعلموا رطانتهم فتخلقوا ببعض خاقهم * وعن ابن عباس في قوله تعالى والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما قال أعياد المشركين فقليل له أو ما هذا في الشهادة بالزور فقال لا إنما آية شهادة الزور ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا * أعلم أن نصارى مصر من القبط ينتحلون مذهب اليعقوبية كما تقدم ذكره وأعيادهم الآن التي هي مشهورة بديار مصر أربعة عشر عيداً في كل سنة من سنين القبطية منها سبعة أعياد يسمونها أعياداً كباراً وسبعة يسمونها أعياداً صغاراً * فالأعياد الكبار عندهم عيد البشارة • وعيد الزيتونة • وعيد الفصح • وعيد خميس الأربعين • وعيد الخميس • وعيد الميلاد • وعيد الفطاس • والأعياد الصغار • عيد الحبتان • وعيد الأربعين • وخميس العهد • وسبت النور • واحد الحدود • والتجلى • وعيد الصليب ولهم مواسم أخر ليست هي عندهم من الأعياد الشرعية لكنها عندهم من المواسم العادية وهو يوم النوروز وسأذكر من خبر هذه الأعياد ما لا تحده مجموعا في غير هذا الكتاب على ما استخرجته من كتب النصارى وتواريخ أهل الاسلام * عيد البشارة هذا العيد عيد النصارى أصله بشارة جبريل مريم بميلاد المسيح عليهما السلام وهم يسمون جبريل غبريال ويقولون مارت مريم ويسمون المسيح ياشوع وربما قالوا السيد يشوع وهذا العيد تعلمه نصارى مصر في اليوم التاسع والعشرين من شهر برمهات * عيد الزيتونة * ويعرف عندهم بعيد الشعانين ومعناه التسبيح ويكون في سابع أحد من صومهم وسننهم في عيد الشعانين أن يخرجوا سعف النخل من الكنيسة ويرون أنه يوم ركوب المسيح العنود وهو الحمار في القدس ودخوله إلى صهيون وهو راكب والناس بين يديه يسبحون وهو يأمر بالمعروف ويحث على عمل الخير وينهى عن المنكر ويباعد عنه وكان عيد الشعانين من مواسم النصارى بمصر التي تزين فيها كنائسهم فلما كان لعشر خلون من شهر رجب سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة كان عيد الشعانين فنع الحاكم بأمر الله أبو على منصور بن العزيز بالله النصارى من تزين كنائسهم وحملهم الخوص على ما كانت عاداتهم وقبض على عدة ممن وجد معه شيئاً من ذلك وأمر بالقبض

على ماهو محبس على الكنائس من الاملاك وأدخلها في الديوان وكتب لسائر الاعمال بذلك وأحرقت عدة من صلبانهم على باب الجامع العتيق والشرطة * عيد الفصح * هذا العيد عندهم هو العيد الكبير يزعمون أن المسيح عليه السلام لما تملاً اليهود عليه واجتمعوا على تضليله وقتله قبضوا بسلبه وأحضره الى خشبة ليصلب عليها فصلب على خشبة عليها لسان وعندنا وهو الحق أن الله تعالى رفعه اليه ولم يصلب ولم يقتل وأن الذي صلب على الخشبة مع الاصين غير المسيح ألقي الله عليه شبه المسيح قالوا واقتسم الجند ثيابه وغشى الارض ظامة من الساعة السادسة من النهار الى الساعة التاسعة من يوم الجمعة خامس عشر هلال نيسان للعبرانيين وتاسع عشرى برمهات وخامس عشرى آذار سنة (٣) ودفن الشبيه آخر النهار بقبر وأطبق عليه حجر عظيم وختم عليه رؤساء اليهود وأقاموا عليه الحرس باكر يوم السبت كيلا يسرق فزعموا أن المقبور قام من القبر ليلة الاحد سحرا ومضى بطرس ويوحنا التلاميذ الى القبر واذا اثياب التي كانت على المقبور بغير ميت وعلى القبر ملاك الله بثياب بيض فأخبرهما بقيام المقبور من القبر قالوا وفي عشية يوم الاحد هذا دخل المسيح على تلاميذه وسلم عليهم وأكل معهم وكلمهم وأوصاهم وأمرهم بأمر قد تضمنها انجيلهم وهذا العيد عندهم بعد عيد الصابوت بثلاثة أيام * (خميس الاربعين) * ويعرف عند أهل الشام بالمسلاق ويقال له أيضاً عيد الصعود وهو الثاني والاربعون من الفطر يزعمون أن المسيح عليه السلام بعد أربعين يوماً من قيامته خرج الى بيت عينا والتلاميذ معه فرفع يديه وبارك عليهم وصعد الى السماء وذلك عند اكمله ثلاثاً وثلاثين سنة وثلاثة أشهر فرجع التلاميذ الى اوراسليم يعني بيت المقدس وقد وعدهم بشتمار أمرهم وغير ذلك مما هو معروف عندهم فهذا اعتقادهم في كيفية رفع المسيح ومن أصدق من الله حديثاً * (عيد الخميس) * وهو العنصرة ويعملونه بعد خمسين يوماً من يوم القيام وزعموا أن بعد عشرة أيام من الصعود وخمسين يوماً من قيامة المسيح اجتمع التلاميذ في عليّة صهيون فتجلى لهم روح القدس في شبه السنة من نار فامتلاوا من روح القدس وتكلموا بجميع الاسن وظهرت على أيديهم آيات كثيرة فعاداهم اليهود وحبسوهم فنجاهم الله منهم وخرجوا من السجن فساروا في الارض متفرقين يدعون الناس الى دين المسيح * (عيد الميلاد) * يزعمون أنه اليوم الذي ولد فيه المسيح وهو يوم الاثنين فيحيون عشية ليلة الميلاد وستهم فيه كثرة الوقود بالكنائس وتزينها ويعملونه بمصر في التاسع والعشرين من كيهك ولم يزل بديار مصر من المواسم المشهورة فكان يفرق فيه أيام الدولة الفاطمية على أبواب الرسوم من الاستادين الحنكيين والامراء المطوقين وسائر الموالي من الكتاب وغيرهم الجلمات من الخلاوة القاهرية والمثارد التي فيها السميد وقربات الجلاب وطمافير الزلابية والسمك المعروف بالبورى * ومن رسم النصارى في الميلاد اللعب (٤ م - خططي)

بالتار * ومن أحسن ما قيل

ما اللعب بالتار في الميلاد من سقه * واتما فيه للإسلام مقصود

ففيه بهت التصاري أن ربهيم * عيسى بن مريم مخلوق ومولود

وأدركنا الميلاد بالقاهرة ومصر وسائر أقليم مصر موسما جليلا يباع فيه من الشموع المزهرة بالاصباغ المليحة والتمثيل البديعة بأموال لا تنحصر فلا يبقى أحد من الناس أعلاهم وأدناهم حتى يشتري من ذلك لاولاده وأهله وكانوا يسمونها الفوانيس واحداها فانوس ويعلقون منها في الاسواق بالحوانيت شيئا يخرج عن الحد في الكثرة والملاحه ويتنافس الناس في المغالات في أثمانها حتى لقد أدركت شمعة عملت فبلغ مصروفها ألف درهم وخمسمائة درهم فضة عنها يومئذ ما ينيف على سبعين مثقالا من الذهب وأعرف السؤال في الطرقات أيام هذه المواسم وهم يسألون الله أن يتصدق عليهم بفانوس فيشترى لهم من صفار الفوانيس ما يبلغ ثمنه الدرهم وما حوله ثم لما اختلت أمور مصر كان من جملة ما بطل من عوائد الترف عمل الفوانيس في الميلاد الا قليلا * (الغطاس) * ويعمل بمصر في اليوم الحادى عشر من شهر طوبه وأصله عند النصارى أن يحيى بن زكريا عاينها السلام المعروف عندهم بيوحنا المعمدانى عمد المسيح أى غسله فى بحيرة الاردن وعند ما خرج المسيح عليه السلام من الماء اتصل به روح القدس فصار النصارى لذلك يغمسون أولادهم فى الماء فى هذا اليوم وينزلون فيه بأجمعهم ولا يكون ذلك الا فى شدة البرد ويسمون به يوم الغطاس وكان له بمصر موسم عظيم الى الغاية * قال المسعودى وليلة الغطاس بمصر شأن عظيم عند أهلها لا ينام الناس فيها وهى ليلة الحادى عشر من طوبه واقد حضرت سنة ثلاثين وثلثمائة ليلة الغطاس بمصر والاخشيد محمد بن طفج أمير مصر فى داره المعروفة بالختار فى الجزيرة نرا كبة للنبيل والثيل يطيف بها وقد أمر فأسرج فى جانب الجزيرة وجانب القسطنطين مشعل غير ما أسرج أهل مصر من المشاعل والشمع وقد حضر بشاطئ النيل فى تلك الليلة آلاف من الناس من المسلمين ومن النصارى منهم فى الزواريق ومنهم فى الدور الدانية من الليل ومنهم على سائر الشواطى لا يتناكرون كل ما يمكنهم اظهاره من الماء كل والمشارب والملابس وآلات الذهب والفضة والجواهر والملاهى والعزف والقصف وهى أحسن ليلة تكون بمصر وأشملها سرورا ولا تغلق فيها الدروب ويفطس أكثرهم فى النيل ويزعمون أن ذلك أمان من المرض ونشرة للداء * وقال المسيحي فى تاريخه من حوادث سنة سبع وستين وثلثمائة منع النصارى من اظهار ما كانوا يفعلونه فى الغطاس من الاجتماع ونزول الماء واظهار الملاهى ونودى أن من عمل ذلك نفي من الحضرة وقال فى سنة ثمان وثمانين وثلثمائة كان الغطاس فضربت الحيام والمضارب والاسرة فى عدة مواضع على شاطئ النيل ونصبت

اسرة للرئيس فهد بن ابراهيم النصراني كاتب الاستاد برحوان وأوقدت له الشموع والمشاعل وحضر المغنون والممهورون وجلس مع أهله يشرب الى أن كان وقت الغطاس فغطس وانصرف* وقال في سنة احدى وأربعمائة وفي ثامن عشرى جمادى الاولى وهو عاشر طوبه منع النصارى من الغطاس فلم يغطس أحد منهم في البحر وقال في حوادث سنة خمس عشرة وأربعمائة وفي ليلة الاربعاء رابع ذى القعدة كان غطاس النصارى فخرى الرسم من الناس في شراء الفواكه والضأن وغيره ونزل أمير المؤمنين الظاهر لاعزاز دين الله لقصر جده العزيز بالله في مصر لينظر الغطاس ومعه الحرم ونودي أن لا يختلط المسلمون مع النصارى عند نزولهم في البحر في النيل وضرب بدر الدولة الخادم الاسود متولى الشرطتين خيمة عند الجسر وجلس فيها وأمر أمير المؤمنين بأن توقد النار والمشاعل في الليل وكان وقدا كثيرا وحضر الرهبان والقسوس بالصلبان والثيران فقسسوا هناك طويلا الى أن غطسوا* وقال ابن المأمون في تاريخه من حوادث سنة سبع عشرة وخمسمائة وذكر الغطاس ففرق أهل الدولة ما جرت به العادة لأهل الرسوم من الاترج والتارنج والليمون في المراكب وأطنان القصب والبورى بحسب الرسوم المقررة بالديوان لكل واحد* (الختان)* يعمل في سادس شهر بؤونه ويزعمون أن المسيح ختن في هذا اليوم وهو الثامن من الميلاذ والقبط من دون النصارى تحتن بخلاف غيرهم* (الاربعون)* وهو عندهم دخول المسيح الهيكل ويزعمون أن سمعان الكاهن دخل بالمسيح مع أمه وبارك عليه ويعمل في ثامن شهر أمشير* (خميس العهد)* ويعمل قبل الفصح بثلاثة أيام وسنتهم فيه أن يملؤا اناء من ماء ويزمرون عليه ثم يغسل لتبركه به أرجل سائر النصارى ويزعمون أن المسيح فعل هذا بتلامذته في مثل هذا اليوم كي يعلمهم التواضع ثم أخذ عليهم العهد أن لا يتفردوا وأن يتواضع بعضهم لبعض وعوام أهل مصر في وقتنا يقولون خميس العدس من أجل أن النصارى تطبخ فيه العدس المصفى ويقول أهل الشام خميس الارز وخميس البيض ويقول أهل الاندلس خميس ابريل وابريل اسم شهر من شهورهم وكان في الدولة الفاطمية تضرب في خميس العدس هذا خمسمائة دينار فتعمل خرايب تفرق في أهل الدولة برسوم مفردة كما ذكر في أخبار القصر من القاهرة عند ذكر دار الضرب من هذا الكتاب وأدركنا خميس العدس هذا في القاهرة ومصر وأعمالها من جملة المواسم العظيمة فيباع في أسواق القاهرة من البيض المصبوغ عدة ألوان ما يتجاوز حد الكثرة فيقامر به العبيد والصبيان والفوغاء وينتدب لذلك من جهة المحتسب من يردعهم في بعض الاحيان ويهادى النصارى بعضهم بعضاً ويهدون الى المسلمين أنواع السمك المتنوع مع العدس المصفى والبيض وقد بطل ذلك لما حل بالناس وبقيت منه بقية* (سبت النور)* وهو قبل الفصح بيوم ويزعمون أن النور يظهر على

قبر المسيح بزعمهم في هذا اليوم بكنيسة القمامة من القدس فتشعل مصابيح الكنيسة
 كلها وقد وقف أهل الفصح والتفتيش على أن هذا من جملة محارق النصارى لصناعة
 يعملونها وكان بمصر هذا اليوم من جملة المواسم ويكون ثالث يوم من خميس العمدس ومن
 توابه * (حد الحدود) * وهو بعد الفصح ثمانية أيام فيعمل أول أحد بعد الفطر لان
 الآحاد قبله مشغولة بالصوم وفيه يجددون الآلات والاثاث واللباس ويأخذون في المعاملات
 والامور الدنيوية والمعاش * (عيد التجلي) * يعمل في ثالث عشر شهر مسرى يزعمون أن
 المسيح تجلى لتلاميذه بعد ما رفع وتمنوا عليه أن يحضر لهم ايلياء وموسى عليهما السلام
 فأحضرهما اليهم بمصلى بيت المقدس ثم صعد الى السماء وتركهم * (عيد الصليب) * ويعمل في
 اليوم السابع عشر من شهر توت وهو من الاعياد الحديثة وسببه ظهور الصليب بزعمهم
 على يد هيلانة أم قسطنطين وله خبر طويل عندهم ماخصه ما أنت تراه * (ذكر قسطنطين) *
 وقسطنطين هذا هو ابن قسطنش بن وليطنوش بن ارشميوس بن دقيون بن كلوديش بن
 عايش بن كتيان اعسب الاعظم الملقب قيصر وهو أول من ثبت دين النصرانية وأمر بقطع
 الاوثان وهدم هياكلها وبنان البيع وآمن من الملوك بالمسيح وكانت أمه هيلانة من مدينة
 الرها فنشأ بها مع أمه وتعلم العلوم ولم يزل في غاية من الظفر والسعادة معانا منصورا على كل
 من حاربه وكان في أول أمره على دين المجوس شديدا على النصارى مقتاً لدينهم وكان بسبب
 رجوعه عن ذلك الى دين النصرانية انه ابتلى بجذام ظهر عليه فاعتم لذلك غما شديدا وجمع
 الحذاق من الاطباء فانفقوا على أدوية دبروها له وأوجبوا أن يستنقع بعد أخذ تلك الادوية
 في صهرج مملوء من دماء أطفال رضع ساعة يسيل منهم فتقدم أمره بجمع جملة من أطفال
 الناس وأمر بذبحهم في صهرج ليستنقع في دماهم وهي طرية فجمعت الاطفال لذلك
 وبرز ليضئ فيهم ما تقدم به من ذبحهم فسمع ضجيج النساء اللاتي أخذ أولادهن
 فرحمن وأمر فسدفع لكل واحدة ابنها وقال احتمال عاتي أولى بي وأوجب من هلاك
 هذه العدة العظيمة من البشر فانصرف النساء بأولادهن وقد سررن سرورا كثيرا
 فلما صار من الليل الى مضجعه رأى في منامه شيخا يقول له انك رحمت الاطفال وأماتهم
 ورأيت احتمال علتك أولى من ذبحهم فقد رحمك الله ووهبك السلامة من علتك فابعث الى
 رجل من أهل الايمان يدعى شلبشقر قد فر خوفا منك وقف عندما يأمر بك به والتزم ما يحضرك
 عليه تم لك العافية فانتبه مذعورا وبعث في طلب شلبشقر الاسقف فأتى به اليه وهو يظن
 أنه يريد قتله لما عهده من غاظته على النصارى ومقته لدينهم فعند ما رآه تلقاه بالبشر وأعلمه
 بما رآه في منامه فقص عليه دين النصرانية وكانت له معه أخبار طويلة مذكورة عندهم
 فبعث قسطنطين في جمع الاساقفة المنفيين والمسيرين والتزم دين النصرانية وشفاه الله من

الجناد فأيد الديانة وأعلن بالآيمان بدين المسيح وبينما هو في ذلك اذ توقع وثوب أهل رومة عليه وإيقاعهم به فخرج عنها وبني مدينة قسطنطينية بنيانا جليلا فعرفت به وسكنها فصارت موضع تحت الملك من عهده وقد كان النصراني من لدن زمان ييرون الملك الذي قبل الخواريين ومن بعده ممن ملك رومة في كل وقت يقتلون ويحبسون ويشردون بالنفي فلما سكن قسطنطين مدينة قسطنطينية جمع الى نفسه أهل المسيح وقوى وجوهم وأذل عباد الاوثان فشق ذلك على أهل رومة وخلصوا طاعته وقدموا عليهم ملكا فأهمه ذلك وممرت له معهم عدة أخبار مذكورة في تاريخ رومة ثم انه خرج من قسطنطينية يريد رومة وقد استعدوا الحربه فلما قاربهم أذعنوا له والتزموا طاعته فدخلها فأقام الى أن رجع لحرب الفرس وخرج اليهم فقهرهم ودانت له أكثر ممالك الدنيا فلما كان في عشرين سنة من دولته خرجت الفرس على بعض اطرافه ففزاهم وأخرجهم عن بلاده ورأى في منامه كأن بنود أشبه الصليب قد رفعت وقائلا يقول له ان أردت أن تظفر بمن خلفك فأجعل هذه العلامات على جميع بركك وسككك فلما انتبه أمر تجهيز أمه هيلانة الى بيت المقدس في طاب آثار المسيح عليه السلام وبناء الكنائس وإقامة شعائر النصرانية فسارت الى بيت المقدس وبنت الكنائس فيقال ان الاسقف مقاريوس دلهما على الحشبة التي زعموا أن المسيح صلب عليها وقد قص عليها ما عمل به اليهود فخفرت فاذا قبر وثلاث خشبات على شكل الصليب فزعموا انهم ألقوا الثلاث خشبات على ميت واحدة بعد واحدة فقام حيا عندما وضعت عليه الحشبة الثالثة منها فأتخذوا ذلك اليوم عيدا وسموه عيد الصليب وكان في اليوم الرابع عشر من أيلول والسابع عشر من توت وذلك بعد ولادة المسيح بثلاثة وثمان وعشرين سنة وجمعت هيلانة لخشبات الصليب غلافا من ذهب وبنت كنيسة القمامة ببيت المقدس على قبر المسيح بزعمهم وكانت لها مع اليهود أخبار كثيرة قد ذكرت عندهم ثم انصرف الصليب معها الى ابنتها وما زال قسطنطين على ممالك الروم الى أن مات بعد أربع وعشرين سنة من ولايته فقام من بعده بممالك الروم ابنه قسطنطين الاصغر وقد كان لعيد الصليب بمصر موسم عظيم يخرج الناس فيه الى بني وائل بظاهر فسطاط مصر ويتظاهرون في ذلك اليوم بالمشكرات من أنواع المحرمات ويمر لهم فيه ما يتجاوز الحد فلما قدمت الدولة الفاطمية الى ديار مصر وبنوا القاهرة واستوطنوها وكانت خلافة أمير المؤمنين العزيز بالله أمر في رابع شهر رجب في سنة احدى وثمانين وثلاثمائة وهو يوم الصليب فنع الناس من الخروج الى بني وائل وضبط الطرق والدروب ثم لما كان عيد الصليب في اليوم الرابع عشر من شهر رجب سنة اثنين وثمانين وثلاثمائة خرج الناس فيه الى بني وائل وجروا على عادتهم في الاجتماع والاهو وفي صفر سنة اثنين وأربعمائة قرئ في سابعه سجل بالجامع العتيق وفي الطرقات كتب عن الحاكم بأمر الله يشتمل على

منع التصاري من الاجتماع على عمل عيد الصليب وأن لا يظهروا بزيتهم فيه ولا يقربوا كنائسهم وأن يمنعوا منها ثم بطل ذلك حتى لم يكند يعرف اليوم بديار مصر البتة * (النيروز) * هو أول السنة القبطية بمصر وهو أول يوم من توت وستهم فيه اشعال الثيران والتراس بالماء وكان من مواسم لهُو المصريين قديما وحديثا قال وهب بردت النار في الليلة التي ألقى فيها ابراهيم وفي صيدحتها على الارض كلها فلم ينتفع بها أحد في الدنيا تلك الليلة وذلك الصباح فمن أجل ذلك بات الناس على النار في تلك الليلة التي رمي فيها ابراهيم عليه السلام ووثبوا عليها وتجرؤوا بها وسموا تلك الليلة نيروزا والنيروز في اللسان السرياني العيد وسئل ابن عباس عن النيروز لم اتخذوه عيدا فقال انه أول السنة المستأنفة وآخر السنة المنقطعة فكانوا يستحبون أن يقدموا فيه على ملوكهم بالطرف والهدايا فاتخذته الاعاجم سنة قال الحافظ أبو القاسم علي بن عساکر في تاريخ دمشق من طريق ابن عباس رضي الله عنهما قال ان فرعون لما قال للملأ من قومه ان هذا ساحر عليم قالوا له ابعث الى السحرة فقال فرعون لموسى ياموسى اجعل بيننا وبينك موعدا لا تخلفه نحن ولا أنت فتجتمع انت وهرون وتجتمع السحرة فقال موسى موعدهم يوم الزينة قال ووافق ذلك يوم السبت في أول يوم من السنة وهو يوم النيروز وفي رواية ان السحرة قالوا لفرعون أيها الملك واعد الرجل فقال قد واعدته يوم الزينة وهو عيدكم الاكبر ووافق ذلك يوم السبت فخرج الناس لذلك اليوم قال والنوروز أول سنة الفرس وهو الرابع عشر من آذار وفي شهر برمهاث ويقال أول من أحدثه جمشيد من ملوك الفرس وانه ملك الاقاليم السبعة فلما كمل ملكه ولم يبق له عدو اتخذ ذلك اليوم عيداً وسماه نوروزا في اليوم الجديد وقيل ان سليمان بن داود عليهما السلام أول من وضعه في اليوم الذي رجع اليه فيه خاتمه وقيل هو اليوم الذي شفي فيه أيوب عليه السلام وقال الله سبحانه وتعالى له اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فجعل ذلك اليوم عيداً وسنوا فيه رش الماء ويقال كان بالشام سبط من بنى اسرائيل اصابهم الطاعون فخرجوا الى العراق فبلغ ملك العجم خبرهم فأمر أن تبني عليهم حظيرة فيجمعون فيها فلما صاروا فيها ماتوا وكانوا أربعة آلاف رجل ثم ان الله تعالى أوحى الى نبي ذلك الزمان أرايت بلادكذا وكذا فخار بهم بسبط بني فلان فقال يارب كيف أحارب بهم وقد ماتوا فأوحى الله اليه اني أحبيهم لك فأمرهم الله ليلة من الليالي في الحظيرة فأصبحوا أحياء فهم الذين قال الله فيهم ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم فرفع أمرهم الى ملك فارس فقال تبركوا بهذا اليوم وليصب بعضكم على بعض الماء فكان ذلك اليوم يوم النوروز فصارت سنة الى اليوم وسئل الخليفة المأمون عن رش الماء في النوروز فقال قول الله تعالى ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم

أحياءهم هؤلاء قوم أجذبوا تقول مات فلان هز الا فميشوا في هذا اليوم برشة من مطر فعاشوا فأخصب بلدهم فلما أحياءهم الله بالغيث والغيث يسمى الحيا جعلوا صب الماء في مثل هذا اليوم سنة يتبركون بها الى يومنا هذا * وقد روى أن الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف قوم من بني اسرائيل فروا من الطاعون وقيل أسروا بالجهاد نحفوا الموت بالقتل في الجهاد نحفوا من ديارهم فرارا من ذلك فأماهم الله ليعرفهم انه لا يخيبهم من الموت شيئا ثم أحياءهم على يد حزقيل أحد انبياء بني اسرائيل في خبر طويل قد ذكره أهل التفسير * وقال على ابن حمزة الاصفهاني في كتاب أعياذ الفرس ان أول من اتخذ النوروز جمشيد ويقال جمشاد أحد ملوك الفرس الاول ومعنى النوروز اليوم الجديد والنوروز عند الفرس يكون يوم الاعتدال الربيعي كما أن المهرجان أول الاعتدال الخريفي ويزعمون أن النوروز أقدم من المهرجان فيقولون ان المهرجان كان في أيام أفريدون وانه أول من عمله لما قتل الضحاك وهو بيوراست فجعل يوم قتله عيداً سماه المهرجان وكان حدوثه بعد النوروز بألفي سنة وعشرين سنة * وقال ابن وصيف شاه في ذكر مناوش بن منقوش أحد ملوك القبط في الدهر القديم وهو أول من عمل النوروز بمصر فكانوا يقيمون سبعة أيام يأكلون ويشربون اكراما للكواكب * وقال ابن رضوان ولما كان النيل هو السبب الاعظم في عمارة أرض مصر رأى المصريون القدماء وخاصة الذين كانوا في عهد قلديانوس الملك أن يجعلوا أول السنة في أول الخريف عند استكمال النيل الحاجة في الامر الاكثر فجعلوا أول شهرهم توت ثم بايه ثم هاتور وعلى هذا الولاء بحسب المشهور من ترتيب هذه الشهور * وقال ابن زولاق وفي هذه السنة يعني سنة ثلاث وستين وثلاثمائة منع أمير المؤمنين المعز لدين الله من وقود النيران ليلة النوروز في السكك ومن صب الماء يوم النوروز * وقال في سنة أربع وستين وفي يوم النوروز زاد اللعب بالماء ووقود النيران وطاف أهل الاسواق وعملوا فيه وخرجوا الى القاهرة بلعبهم ولعبوا ثلاثة أيام وأظهروا السجاجات والحلي في الاسواق ثم أمر المعز بالتداء بالكف وأن لا توقد نار ولا يصب ماء وأخذ قوم فحبسوا وأخذ قوم فطيف بهم على الجمال * وقال ابن المأمون في تاريخه وحل موسم النوروز في اليوم التاسع من رجب سنة سبع عشرة وخمسمائة ووصلت الكسوة المختصة بالنوروز من الطراز وثغر الاسكندرية مع ما يتبعها من الآلات المذهبة والحريري والسوادج وأطلق جميع ما هو مستقر من الكسوات الرجالية والنسائية والعين والورق وجميع الاصناف المختصة بالموسم على اختلافها بتفصيلها واسماء أربابها واصناف النوروز البطيخ والمان وعناقيد الموز وأفراد البسر وأقفاص التمر القوصي وأقفاص السفرجل وبكل الهريسة المعمولة من لحم الدجاج ومن لحم الضأن ومن لحم البقر من كل لون بكلة مع حبرير مارق قال وأحضر كاتب الدفتر الحسابات بما جرت به العادة من اطلاق العين والورق والكسوات على اختلافها في

يوم النوروز وغير ذلك من جميع الاصناف وهو أربعة آلاف دينار ذهباً وخمسة عشر ألف درهم فضة والكسوات عدة كثيرة من شقق ديبقية مذهبات وحرريات ومعاجر وعصائب نسائيات ملونات وسقولات مذهب وحريرى ومسفع وفوط ديبقية حريرية فأما العيين والورق والكسوات فذلك لا يخرج عن محوزه القصور ودار الوزارة والشيوخ والاصحاب والحواشي والمستخدمين ورؤساء العشاريات وبحارها ولم يكن لاحد من الامراء على اختلاف درجاتهم في ذلك نصيب * وأما الاصناف من البطيخ والرمان والبسر والموز والسفرجل والعناب والهرايس على اختلافها فيشمل ذلك جميع من تقدم ذكرهم ويشركهم فيه جميع الامراء ارباب الاطواق والانصاف وغيرهم من الامائل والاعيان ممن له جاه ورسم في الدولة * وقال القاضى الفاضل في متجددات سنة أربع وثمانين وخمسة يوم الثلاثاء رابع عشر رجب يوم النوروز القبطى وهو مستهل توت وتوت أول سنتهم وقد كان بمصر في الايام الماضية والدولة الحالية من مواسم بطالاتهم ومواقيت ضلالتهم فكانت المنكرات ظاهرة فيه والفواحش صريحة فيه ويركب فيه أمير موسوم بأمير النوروز ومعه جمع كثير ويتسلط على الناس في طاب رسم رتبه ويرسم على دور الاكابر بالجلل الكبرار ويكتب مناشير ويندب مرسمين كل ذلك يخرج مخرج الطير ويقع بالميسور من الهبات ويجمع المغنون والفاسقات تحت قصر الاؤلوة بحيث يشاهدن الخليفة وبايديهم الملالهى وترتفع الاصوات ويشرب الخمر والمزر شراباً ظاهراً بينهم وفي الطرقات وبتراش الناس بالماء وبالماء والخمر وبالماء ممزوجاً بالاقدار وان غلط مستور وخرج من بيته لقيه من يرشه ويفسد ثيابه ويستخف بجرمته فاما أن يفدى نفسه وأما أن يفضح ولم يجر الحال على هذا ولكن قد رش الماء في الحارات وقد أحيا المنكرات في الدور ارباب الخسارات * وقال في متجددات سنة اثنتين وتسعين وخمسة وجرى الامر في النوروز على العادة من رش الماء واستجد فيه هذا العام التراجم بالبيض والتصافع بالانطاع وانقطع الناس عن التصرف ومن ظفر به في الطريق رش بمياه نجسة وخرق به وما زال يوم النوروز يعمل فيه ما ذكر من التراش بالماء والتصافع بالجلود وغيرها الى أن كانت أعوام بضع وثمانين وسبعماية وأمر الدولة بديار مصر وتديرها الى الامير الكبير برقوق قبل أن يجلس على سرير الملك ويتسمي بالسلطان فنع من لعب النوروز وهدد من لعبه بالعقوبة فانكف الناس عن اللعب في القاهرة وصاروا يعملون شيئاً من ذلك في الحاجان والبرك ونحوها من مواضع التزه بعد ما كانت أسواق القاهرة تتعطل في يوم النوروز من البيع والشراء وبتعاطي الناس فيه من اللهو واللعب ما يخرجون عن حد الحياء والحشمة الى الغاية من الفجور والمهور وقاما انقضى يوم نوروز الا وقتل فيه قتيل أو أكثر ولم يبق الآن للناس من الفراغ ما يقتضي ذلك ولا من الرفه

والبطر ما يوجب لهم عمله وما أحسن قول بعضهم
كيف ابتهاجك بالنوروز يا سكاني * وكل ما فيه يحكي وأحكيه
فتارة كلهب النار في كبدى * وتارة كتوالى دمعى فيه
(وقال آخر)

نوروز الناس ونوروزت ولكن بدموعى
وذك تارهم والنار ما بين ضلوعى
(وقال آخر)

ولما أتى النوروز يا غاية المنى * وأنت على الاعراض والهجر والصد
بعثت بنار الشوق ليلالا إلى الحشا * فنوروزت صبحا بالدموع على الخد
(ذكر ما يوافق أيام الشهور القبطية من الاعمال في الزراعات وزيادة النيل وغير ذلك)
(على ما نقله أهل مصر عن قدمائهم واعتمدوا عليه في أمورهم)

اعلم أن المصريين القدماء اعتمدوا في تاريخهم السنة الشمسية كما تقدم ذكره ليصير الزمان
محفوظا وأعمالهم واقعة في أوقات معلومة من كل سنة لا يتغير وقت عمل من أعمالهم بتقديم
ولا تأخير البتة * (توت م) * بالقبطى هو أيلول وكانت عادة مصر منذ عهد فراغتها في
استخراج خراجها وجباية أموالها أنه لا يستتم استيفاء الخراج من أهلها إلا عند تمام الماء
وافتراشه على سائر أرضها ويقع اتمامه في شهر توت فإذا كان كذلك وربما كانت زيادة عن
ذلك أطلق الماء في جميع نواحيها من ترعها ثم لا يزال يترجح في الزيادة والنقصان حتى
يفرغ توت وفي أوله يكون يوم النوروز ورابعه أول أيلول وسابعه يلقط الزيتون وثاني
عشره يطلع الفجر بالصرقة وسابع عشره عيد الصايب فيشرط البلسان ويستخرج دهنه
ويفتح ما يتأخر من البحر والترع وترتب المدامسة لحفظ الجسور وفي ثامن عشره تنقل
الشمس إلى برج الميزان فيدخل فصل الخريف وفي خامس عشره يطلع الفجر بالعوا
ويكبر صفار السمك وفي هذا الشهر يرم ماء النيل أراضى مصر وفيه تسجل النواحي وتسترفع
السجلات والقوانين وتطلق النقاوي من الغلال لتخضير الاراضى وفيه يدرك الرمان والبسر
والرطب والزيتون والقطن والسفرجل وفيه يكون هبوب ربح الشمال أقوى من هبوب
ربح الجنوب وهبوب العسا أقوى من الدبور وكان قدماء المصريين لا ينصبون فيه أساسا
وفيه يكثر بمصر الغنب الشتوي وتبذر الحمضات * (بابه) في أوله يحصد الارز ويزرع
القول والبرسيم وسائر الحبوب التي لا تشق لها الارض وفي رابعه أول تشرين الاول وفي
ثامنه طلوع الفجر بالسماك وهو نهاية زيادة النيل وابتداء نقصه وقد لا يتم الماء فيه فيعجز
بعض الارض عن أن يركبها الماء فيكون من ذلك نقص الخراج عن الكمال وفي ثاسعه يكون
(م ه - خطط في)

محجى الكراكي الى أرض مصر وفي عاشره يزرع الكتان وفي ثاني عشره يكون ابتداء شق الارض بصعيد مصر لبذر القمح والشعير وفي ثامن عشره تنقل الشمس الى برج العقرب ويقطع الخشب وفي تاسع عشره يكون ابتداء نقص ماء النيل ويكثر البعوض وفي حادى عشره يطلع الفجر بالغفر * وفي هذا الشهر تصرف المياه عن الاراضي ويخرج المزارعون لتخضير الاراضي فيبدؤن ببذر زراعة القرط ثم زراعة الغلة البدرية أولا فأولا وفيه يستخرج دهن الآس ودهن النيلوفر ويدرك التمر والزبيب والسهم والقلقاس وفيه يكثر صفار السمك ويقل كباره ويسمن الراى والارميس من السمك خاصة وتستحکم حلاوة الرمان ويكون فيه أطيب منه فى سائر الشهور التى يكون فيها ويضع الضأن والمعز والبقر الحنسية وفيه يملح السمك المعروف بالبورى ويهزل الضأن والمعز والبقر ولا تطيب لحومها وتدرك المحمضات وفيه يجب كتابة التذاكر بالاعمال القوصية وفيه يفرس المنتور ويزرع السلمج * (هاتور) فى خامسه يكون أول تشرين الثانى ويطلع الفجر بالزبان فى رابعه وفي سادسه يزرع الخشخاش وفى سابعه يصرف ماء النيل عن أراضي الكتان ويبدؤ فى النصف منه وبعد تمام شهر يسبخ وفى ثامنه أو ان المطر الوسمي وفى حادى عشره تهب ريح الجنوب وفى خامس عشره تبرد المياه بمصر وفى سابع عشره يطلع الفجر بالاكيل وفى ثامن عشره تحل الشمس برج القوس وفى تاسع عشره يغلق البحر الملح وفى سابع عشره تهب الرياح اللواقح * وفى هذا الشهر يلبس أهل مصر الصوف من سابعه وفيه يكسر ما يحتاج اليه من قصب السكر يرسم المعاصر وبراح الغلة فى جميع ما يحتاج اليه فيها ويهتم بعلف أبقارها وجالها بعد بيع شارفها وعاجزها والتمويض عنه بغيره وأفراد الاتبان يرسم وقود القنود وترتيب القوامصة لعمل الابليح والقواويس والامطار يرسم القنود والاعسال وفيه يدرك البنفسج والنيلوفر والمنتور ومن البقولات الاسباناخ والبلمان واختار قدماء المصريين فى هاتور نصب الاساسات وزرع القمح وأطيب حملان السنة حمله وفيه يكثر العنب الذى كان يحمل من قوص * (كيهك) أوله الاربعينات بمصر ويدخل الطير وكره وفى سادسه بشاره مريم بحمل عيسى عليهما السلام وفى سابعه أول كانون الاول وفى عاشره آخر الياالى البلق وأولها أول هاتور وفى حادى عشره أول الياالى السود ويدخل النمل الاحجرة وفى ثالث عشره يطلع الفجر بالشولة وتظهر البراغيث ويسخن باطن الارض وفى سادس عشره يسقط ورق الشجر وفى سابع عشره تنقل الشمس الى برج الجدى فيدخل فصل الشتاء ويزرع الهليون وفى حادى عشره يكون آخر الياالى البلق وفى ثانى عشره عيد البشارة وفى ثالث عشره تزرع الحلبة والتمرس وفى سادس عشره يطلع الفجر بالنعائم وفى ثامن عشره يبيض النعام وفى تاسع عشره الميلاد * وفى هذا الشهر يزرع الخيار بعد

اغراق أرضه وفيه يتكامل بذر القمح والشعير والبرسيم الحرائى وفيه يستخرج خراج البرسيم
بدار الوجه القبلي وفيه ترتب حراس الطير وفيه كسر قصب السكر واعتصاره واستخدام
الطبّاخين لطبخ القنود وفيه يكون ادراك الترجس والمحمضات والفول الاخضر والسكرنب
والجزر والكراث الابيض واللفت وفيه يقل هبوب ريح الشمال ويكثر هبوب ريح الجنوب
وفيه يجمود الجدا ويكون أطيب منها في جميع الشهور التي يكون فيها وفيه يزرع أكثر
حبوب الحرت ولا يزرع بعده في شيء من أرض مصر غير السمسم والمقائى والقطن
*) (طوبه) * في ثلثه ابتداء زراعة الحمص والجلبان والفسدس وفي سادسه أول كانون
الثانى وفي تاسعه يطلع الفجر بالبلد وعاشره صوم الغطاس وحادى عشره الغطاس وفي ثانى
عشره يشتد البرد وفي رابع عشره يرتفع الوباء بمصر ويفرس النخل وفي سابع عشره تحل
الشمس أول برج الدلو ويكثر الندى ويكون ابتداء غرس الاشجار وفي العشرين منه يكون
آخر الليالى السود وحادى عشره الليالى البلق الثانية وفي ثانى عشره يطلع الفجر بسعد
الذابج وفي ثالث عشره تهب الرياح الباردة وفي رابع عشره تفرخ جوارح الطير وفي خامس
عشره يكون نتاج الابل المحموده وفي سابع عشره يصفو ماء النيل وفي ثامن عشره يتكامل
ادراك القرط * وفي هذا الشهر تقلم الكروم وينظف زرع الغلة من اللسان وغيره وينظف
زرع السكتان من الفجل وغيره وفيه تبرش الاراضي أول سكة برسم الصيافى والمقائى
والقطن والسمسم وينتهى برشها في أول أمشير وفيه تسقى أرض القلقاس والقصب وتسقى
الجسور في آخره وفيه تستخرج أراضي الخرس ويكثر القصب الراس بعد افراز ما يحتاج
اليه من الزريعة وهو لكل فدان طين قيراط طيب قصب راس وفيه يهتم بعمارة السواقي
وحفر الآبار وابتياح الابقار وفيه يظهر اللوز الاخضر والنبق والهلبيون وفيه أيضا يكون
هبوب ريح الجنوب أكثر من هبوب الشمال وهبوب الصبا أكثر من هبوب الدبور وفيه
يكون الباقل الاخضر والجزر أطيب منهما في غيره وفيه يتناهى ماء النيل في صفائه ويحزن فلا
يتغير في أوانيه ولو طال لبثه فيها وفيه تضيب لحوم الضأن أطيب منها في سائر الشهور وفيه
تربط الخيول والبغال على القرط من أجل ربيعها وبطوبه يطالب الناس باقتناح الخراج
ومحاسبة المتقبلين على الثمن من السجلات من جميع ما بأيديهم من المحلول والمعقود *) (أمشير) *
في أوله تختلف الرياح وفي خامسه يطلع الفجر بسعد بلع وفي سادسه يكون أول شباط وفي
تاسعه يجرى الماء في العود وحادى عشره أول جمرة باردة وسادس عشره تحل الشمس بأول
برج الحوت وفي سابع عشره يخرج النمل من الاحجرة وفي ثامن عشره يطلع الفجر بسعد
السمود وفي العشرين منه ثانى جمرة فاترة وفي ثالث عشره تقلم الكروم وخامس عشره
يفرخ النحل وسابع عشره ثالث جمرة حامية ويورق الشجر وهو آخر غرسها وفي آخره

يكون آخر الليالي البلق * وفي هذا الشهر يقطع السلجم ويستخرج خراجه وفيه يثى برش الصياقي وتبرش أيضا ثالث سكة وفيه يعمل مقاطع الجسور وتمسح الاراضى ويرقد البيض في المعامل أربعة أشهر آخرها بشنس وفيه يكون ريح الشمال أكثر الرياح هبوا وفيه ينبغي أن تعمل أواني الحزف للماء لتستعمل فيه طول السنة فإن ما عمل فيه من أواني الحزف يبرد الماء في الصيف أكثر من تبريد ما يعمل في غيره من الشهور وفيه يتكامل غرس الشجر وتقليم الكروم وفيه يدرك التبغ واللوز الاخضر ويكثر البنفسج والمنثور * ويقال أمشير يقول للزرع سير ويلحق بالطويل القصير وفيه يقل البرد ويهب الهواء الذى فيه سخونة ما وفي أمشير يؤخذ الناس فيه بتمام ربع الحراج من السجلات * (برمات) * أول يوم منه يطاع الفجر بالاخية وفي خامسه يحضن دود القز وسادسه يزرع السمسم وثاني عشره يقطع السكتان ورابع عشره يكون أول الاعجاز ويطلع الفجر بالفرغ المقدم وفي سادس عشره تفتح الحيات أعينها وفي سابع عشره تنقل الشمس الى برج الحمل وهو أول فصل الربيع ورأس سنة الجند ورأس سنة العالم وفي العشرين منه يكون آخر الاعجاز وثاني عشره نتاج الحبل المحموده وثالث عشره يظهر الذباب الازرق وخامس عشره تظهر هوام الارض وسابع عشره يطلع الفجر بالفرغ المؤخر وفي آخره يتفرق السحاب * وفي هذا الشهر تجرى المراكب السفرية في البحر الملح الى ديار مصر من المغرب والروم ويهتم فيه بتجريد الاجناد الى الثغور كالاسكندرية ودمياط وتيس ورشيد وفيه كانت تجهز الاساطيل ومراكب الشواني لحفظ الثغور وفيه زرع المقاتي والصيفي ويدرك الفول والعدس ويقطع السكتان وتزرع اقصاب السكر في الارض المبروشة المختارة لذلك البعيدة العهد عن الزراعة ويأخذ المقشرون في تنظيف الارض المزروعة من القش في وقت الزراعة ويأخذ القطاعون في قطع الزريعة ويأخذ المزارعون في رمي قطع القصب وفيه يؤخذ في تحصيل النطرون وحمله من وادى هيت الى الشونة السلطانية وفيه يكون ريح الشمال أكثر الرياح هبوا وفيه تزهى الاشجار وينفد أكثر ثمارها وفيه يكون اللبن الرائب أطيب منه في جميع الشهور التي يعمل فيها وفي برمات يطالب الناس بالربع الثاني والثلث من الحراج * (برموده) * في سادسه أول نيسان وفي عاشره يطلع الفجر بالرشاء وفي ثاني عشره يقطع الفجل وفي سابع عشره تحل الشمس أول برج الثور وفي ثالث عشره يطلع الفجر بالشرطين وهو رأس الحمل وأول منازل القمر وفيه ابتداء كسار الفول وحصاد القمح وهو ختام الزرع * وفي هذا الشهر يهتم بقطع خشب السنط من الحراج الذى كان بمصر في القديم أيام الدولة الفاطمية والايوية ويحجر الى السواحل لتيسر حمله في زمن النيل الى ساحل مصر ليعمل شواني وأحطابا برسم الوقود في المطابخ السلطانية وفيه يكثر الورد ويزرع الخيار شنب

والملوخيا والباذنجان وفيه يقطف أوائل عسل النحل وينفض بزر السكتان وأحسن ما يكون
الورد فيه من جميع زمانه وفيه يظهر البطن الاول من الجيز وفيه تقع المساحة على أهل
الاعمال ويطلب الناس باغلاق نصف الحراج من سجلاتهم ويحصد بدرى الزرع * (بشنس) *
في خامسه تكثر الفاكهة وسادسه أول ايار وفيه طلوع الفجر بالطين وثامن عيد الشهيد وتاسمه
انفتاح البحر المالح ورابع عشره يزرع الارز وثامن عشره تحل الشمس أول برج الجوزاء
وفيه يطيب الحصاد وفي تاسع عشره يطلع الفجر بالثريا وفيه زراعة الارز والسمسم ورابع
عشره يكون عيد البلسان بالمطرية ويزعمون أنه اليوم الذي دخلت فيه مريم الى مصر *
وفي هذا الشهر يكون دراس الغلة وهدار السكتان ونفض البز والتقاوى والاتبان وحماها
وفيه زراعة البلسان وتقليمه وسقيه وتكريم أراضيه من بؤونة الى آخر هاتور واستخراج
دهنه بعد شرطه في نصف توت وان كان في أوله فهو أصلح الى آخر هاتور وصالح أيامه
أيام الندى ويقم في الندى سنة كاملة الى أن يشرب أعكاره وأوساخه ويطبخ الدهن في
الفصل الربيعي في شهر برمهات فيعمل لكل رطل مصرى أربعة وأربعون رطلا من مائة
فيحصل منه قدر عشرين درهما وما حولها من الدهن * وفي هذا الشهر أكثر ما يهب من
الرياح الشمالية وفيه يدرك التفاح القاسى ويتدى فيه التفاح المسكى والبطيخ العبدلي ويقال
أنه أول ما عرف بتصر عندما قدم اليها عبد الله بن طاهر بعد المائتين من سنى الهجرة فنسب
اليه وقيل له العبدلى وفيه أيضا يتدئ البطيخ الجربى والمشمش والخواخيز الزهرى
ويجني الورد الابيض وفيه تقرر المساحة ويطلب الناس بما يضاف الى المساحة من أبواب
وجوه المال كالصرف والجهيزة وحق المراعي والقرط والسكتان على رسوم كل ناحية
ويستخرج فيه اتمام الربع مما تقررت عليه العقود والمساحة ويطلق الحصاد لجميع الناس
* (بؤونه) * في ثانيه يطلع الفجر بالدبران وفي خامسه يتنفس النيل وفي تاسعه أو ان
قطف النحل وفي حادى عشره تهب رياح السموم وفي ثانى عشره عيد ميكائيل فيؤخذ قاع
النيل وفي ثالث عشره يشتد الحر وفي خامس عشره يطلع الفجر بالهنعة وفي سادس عشره
تحل الشمس أول برج السرطان وهو أول فصل الصيف وفي سابع عشره ينادى على النيل
بما زاده من الاصابع وفي ثامن عشره يطلع الفجر بالهنعة * وفي هذا الشهر تسفر
المراكب لاجتماع الغلال والتبن والقنود والاعسال وغير ذلك من الاعمال القوصية ونواحي
الوجه البحري وفيه يقطف عسل النحل وتخرس الكروم ويستخرج زكاتها وفيه يندى
السكتان ويقاب أربعة أوجه في بؤونة وأيب وفيه زراعة التيلة بالصعيد الاعلى وتحصد
بعد مائة يوم ثم تترك وتحصد في كل مائة يوم حصدة ويحصل في أول كيهك وطوبه وأمشير
وبرمهات ويطلع في برمودة وتحصد في عشرة أيام من أيب وتقيم في الارض الجيدة ثلاث

سنتين وتسقى كل عشرة أيام دفعتين وثاني سنة ثلاث دفعات وثالث سنة أربع دفعات وفي هذا الشهر يكون التين القبومي والحوخ الزهري والكمثرى والقراصيا والقناء والبلح والحصرم وببديء ادراك العصفور وفيه يدخل بعض العنب ويطيب الثوت الاسود ويقطف جمهور العسل فتكون رياحه قليلة والتين يكون فيه أطيب منه في سائر الشهور وفيه يطلع النخل وفيه يستخرج تمام نصف الخراج مما بقي بعد المساحة * (أبيب) * في سابعه أول تموز وفي عاشره آخر قطع الحشب وفي حادي عشره يطلع الفجر بالذراع وثاني عشره ابتداء تعطين السكتان وفي خامس عشره يقل ماء الآبار وتدرق الفواكه ويموت الدود وفي حادي عشره تحل الشمس بأول برج الاسد وتذهب البراغيث ويبرد باطن الارض وتهيج أوجاع العين وفي خامس عشره يطلع الفجر بالنثرة وفي سادس عشره تطلع الشعري العبور اليمانية * وفي هذا الشهر أكثر ما يهب من الرياح الشمال ويكثر فيه العنب ويجود وفيه يطيب التين المقرون بمجى العنب ويتغير البطيخ العبدلى وتقل حلاوته وتكثر الكمثرى السكرية ويعطى البلح وفيه يقطف بقايا غسل النخل وتقوى زيادة ماء النيل فيقال في أبيب يدب الماء ديب وفيه ينقع الكتان بالميلات ويباع برسم البذر برسم زراعة القرط والكتان وفيه تدرك ثمرة العنب ويحصد القرطم وفيه تستتم ثلاثة أرباع الخراج * (مسرى) في سابعه يطلع الفجر بالطرف وفي ثامنه أول آب وفي حادي عشره يجمع القطن وفي رابع عشره يحشى الماء ولا يبرد وفي سابع عشره استكمال الثمار وفي عشره يطلع الفجر بالجبهة وفي حادي عشره تحل الشمس برج السنبلة وفي ثالث عشره يتغير طعم الفاكه لغلبة ماء النيل على الارض وفي خامس عشره يكون آخر السموم وفي تاسع عشره يطلع سهيل بمصر * وفي هذا الشهر يكون وفاء النيل ستة عشر ذراعا في غالب السنين حتى قيل ان لم يوف النيل في مسرى فانتظره في السنة الاخرى وفيه يجرى ماء النيل في خليج الاسكندرية ويسافر فيه المراكب بالغلال والبهار والسكر وسائر أصناف المتاجر وفيه يكثر البسر وكانوا يخرصون النخل ويخرجون زكاة الثمار في هذا الشهر عند ما كانت الزكوات يجيئها السلطان من الرعية وأكثر ما يهب في هذا الشهر ريح اشمال وفيه ينصر قبط مصر الحمر ويعمل الخلل من العنب وفيه يدرك الموز وأطيب ما يكون الموز بمصر في هذا الشهر وفيه يدرك الليمون التفاحى وكان من جملة أصناف الليمون بأرض مصر ليمون يقال له التفاحى يؤكل بغير سكر لقلة حمضه ولذته طعمه وفيه يكون ابتداء ادراك الرمان واذا انقضت أيام مسرى ابتدأت أيام النسئ ففي أولها ابتداء هيج النعام وفي رابعها يطلع الفجر بالخراتان وفي مسرى يغلق الفلاحون خراج أراضي زراعتهم وكانوا يؤخرون البقايا على دق السكتان في مسرى وأبيب لان الكتان ييل في توت ويدق في بابه

ذكر تحويل السنة الخراجية القبطية الى السنة الهلالية العربية

وكيف عمل ذلك في الاسلام قد تقدم فيما سلف من هذا الكتاب التعريف بالسنة الشمسية والسنة القمرية وما للامم في كبس السنين من الآراء فلما جاء الله تعالى بالاسلام تحزما لاسامون من كبس السنين خشية الوقوع في النسيء الذي قال الله سبحانه وتعالى فيه انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا ثم لما رأوا تداخل السنين القمرية في السنين الشمسية أسقطوا عند رأس كل اثنتين وثلاثين سنة قمرية سنة وسموا ذلك الازدلاق لان لكل ثلاث وثلاثين سنة قمرية اثنتين وثلاثين سنة شمسية بالتقريب وسأتلو عليك من نبأ ذلك ما لم أره مجموعا * قال أبو الحسين عبد الله بن أحمد بن أبي طاهر في كتاب أخبار أمير المؤمنين المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن أبي أحمد طلحة الموفق ابن المتوكل ومنه نقلت وخرج أمر المعتضد في ذي الحجة سنة احدى وثمانين ومائتين بتصيير النوروز لاحدى عشرة ليلة خلت من حزيران رافة بالرعية وايتارا لارفاقها وقالوا خرج التوقيع في الحرم سنة اثنتين وثمانين ومائتين بإنشاء الكتب الى جميع العمال في النواحي والامصار بترك افتتاح الخراج في النوروز الفارسي الذي يقع يوم الجمعة لاحدى عشرة ليلة خلت من صفر وأن يجعل ما يفتتح من خراج سنة اثنتين وثمانين ومائتين يوم الاربعاء لثلاث عشرة ليلة تخلو من شهر ربيع الآخر من هذه السنة وهو اليوم الحادي عشر من حزيران ويسمى هذا النوروز المعتضدي تر فيها لاهل الخراج ونظرا لهم ونسخة التوقيع الخارج في تصيير افتتاح الخراج في حزيران (أما بعد) فان الله لما حول أمير المؤمنين للمحل الذي أحله به من أمور عبادته وبلاده رأى أن من حق الله عليه أن لا يكلفها الا ما به العدل والانصاف لها والسيرة القاصدة وأن يتولى لها صلاح أمورها ويستقرئ السير والمعاملات التي كانت تسامل بها ويقر منها ما أوجب الحق اقراره ويزيل ما أوجب ازالته غير مستكثر لها كثير ما يسقطه العدل ولا مستقل لها قليل ما يلزمه اياها الجور وقد وفق الله أمير المؤمنين لما يرجو أن يكون لحق الله فيها قاضيا ولتصحيحها من العدل موازيا وبالله يستعين أمير المؤمنين على حفظ ما استرعاه منها وحياطة ما قلده من أمورها وهو خير موفق ومعين وان أبا القاسم عبيد الله رفع الى أمير المؤمنين فيما أمر أمير المؤمنين به من رد النوروز الذي يفتتح به الخراج بالعراق والمشرق وما يتصل بهما ويجرى مجراهما من الوقت الذي صار فيه من الزمان الى الوقت الذي كان عليه متقدما مع ما أمر به في مستقبل السنين من الكبس حتى يصير العدل علما في الزمان كله باقيا على غابر الدهر ومر الايام مواصرة أمير المؤمنين فأمر بتسجيلها لك في آخر كتابه مع ما وقع به فيها لتمثيله فاقبل ذلك ان شاء الله تعالى والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وكتب يوم الخميس لثلاث عشرة خلت من ذي الحجة سنة احدى وثمانين

وما تئين * نسخة الموامرة أنهيت الى أمير المؤمنين أن مما أنعم الله به على رعيته ورزقها اياه من راقته وحسن نظره واقامته عليها من عدله وانصافه ورقعه عنها في خلافته من الظلم الشامل ما كان الاقصى والادنى والصغير والكبير والمسلم والذمي فيه سواء ماحررته من نفل كتب الخراج عن السنة التي كانت تنسب اليها من سنى الهجرة الى السنة التي فيها تدرك الغلات ويستخرج المال وان ذلك ما كان بعض أهل الجهل حاوله وبعض المتقلبين استعمله من تبيت الخراج على أهله ومطالبهم به قبل وقت الزراعة واعياهم بذكر سنة من السنتين اللتين ينسب الخراج لاحدهما وتدرك الغلات ويقع الاستخراج في الاخرى منهما في حساب شهور الفرس التي عليها يجري العمل في الخراج بالسواد وما يليه والاهواز وفارس والحبل وما يتصل به من جميع نواحي المشرق وما يضاف اليه اذا كان عمل الشام والجزيرة والموصل جرى على حساب شهور الروم الموافقة للازمنة فليست تختلف أوقاتها مع الكيسة المستعملة فيها والعمل في خراج مصر وما والاها على شهور القبط الموافقة لشهور الروم وكانت من شهور الفرس قد خالفت موافقتها من الزمان بما ترك من الكبس منذ أزال الله ملك فارس وفتح للمسلمين بلادهم فصار النوروز الذي كان الخراج يفتتح فيه بالعراق والمشرق قد تقدم في ترك الكبس شهرين وصاراً بينه وبين ادراك الغلة فأمر أمير المؤمنين بما جبل الله عليه رآيه في التوصل الى كل ماعاد بصلاح رعيته وحسباً للأسباب المؤدية الى اعيائها بتأخير النوروز الذي يقع في شهور سنة اثنتين وثمانين وما تئين من سنى الهجرة عن الوقت الذي يتفق فيه أيام سنة الفرس وهو يوم الجمعة لحدى عشرة تخلو من صفر مثل عدة أيام الشهرين من شهور الفرس التي ترك كبسها وهي ستون يوماً حتى يكون نوروز السنة واقعا يوم الاربعاء لثلاث عشرة ليلة تخلو من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين وما تئين وهو الحادى عشر من حزيران وهو يتصل بهما ويجرى مجراها وينسب ويضاف اليهما وبسائر أعمالهم وبما يعملها اصحاب الحساب من التقويمات وجميع الاعمال وما يعده الفرس من شهورهم الى شهوره الكيسة الاول والاخر ثم يكبس بعد ذلك في كل أربع سنين من سنى الفرس ولا يقع تفاوت بينه وبينها على مرور الايام وليكن أبداً واقعا في حزيران وغير خارج عنه وأن يلغى ذكر كل سنة من أربع سنين تنسب الى الخراج بالعراق وفي المشرق والمغرب وسائر النواحي والآفاق اذ كان مقدار سنى أيام الهجرة والسنة الجامعة للازمنة التي تتكامل فيها الغلات وأن يخرج التوقيع بذلك لتنشأ الكتب به من ديوان الرسائل الى ولاية المعاون والاحكام وتقرأ على المنابر ويحمل أصحاب المعاون الرعية عليه وتأخذها بامثال ما أمر به أمير المؤمنين وسنة الحكم في ديوان حكمهم لتمثيل الضمان والمقاطعين ذلك على حسبه وأستطلع رأى أمير المؤمنين في ذلك فرأى أمير المؤمنين في ذلك موفق ان شاء الله تعالى وتكتب نسخة التوقيع بتنفيذ

ذلك ان شاء الله تعالى وكتب في شهر ذي الحجة لسنة احدى وثمانين ومائتين * قال وكان السبب في نقل الحراج الى حزيران في أيام المعتضد ما حدثني به أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى المنجم القديم قال كنت أحدث أمير المؤمنين المعتضد فذكرت خبر المتوكل في تأخير النوروز فاستحسنه وقال لي كيف كان ذلك قلت حدثني أبي قال دخل المتوكل قبل تأخير النوروز بعض بساطينه الخاصة التي كانت في يدي وهو متوكئ على يحدثني وينظر الى ما أحدث في ذلك البستان فرأه أخضر فقال يا علي ان الزرع أخضر بعد ما أدرك وقد استأمرني عبيد الله بن يحيى في استفتاح الحراج فكيف كانت الفرس تستفتح الحراج في النوروز والزرع لم يدرك بعد قال فقلت له ليس يجري الامر اليوم على ما كان يجري عليه في أيام الفرس ولا النوروز في هذه الايام في وقته الذي كان في أيامها قال وكيف ذاك فقلت لانها كانت تكبس في كل مائة وعشرين سنة شهرا وكان النوروز اذا تقدم شهرا وصار في خمس من حزيران كبست ذلك الشهر فصار في خمس من ايار وأسقطت شهرا وردته الى خمس من حزيران فكان لا يتجاوز هذا فلما تقلد العراق خالد بن عبد الله القسري وحضر الوقت الذي تكبس فيه الفرس منها من ذلك وقال هذا من النسئ الذي نهى الله عنه فقال انما النسئ زيادة في السكر وأثالا أطلقه حتى استأمر فيه أمير المؤمنين فبدلوا على ذلك مالا جليلا فامتنع عليهم من قبوله وكتب الى هشام بن عبيد الملك يعرفه بذلك ويستأمره ويعلمه انه من النسئ الذي نهى الله عنه فأمر بمنعهم من ذلك فلما امتنعوا من الكبس تقدم النوروز تقدما شديدا حتى يقع في نيسان والزرع أخضر فقال له المتوكل فاعمل لهذا يا علي عملا ترد النوروز فيه الى وقته الذي كان يقع فيه في أيام الفرس وعرف بذلك عبيد الله ابن يحيى وأد اليه رسالة مني في أن يجعل استفتاح الحراج فيه قال فصرت الى أبي الحسن عبيد الله بن يحيى وعرفته ما جرى بيني وبين المتوكل وأدبت اليه رسالته فقال لي يا أبا الحسن قد والله فرجت عني وعن الناس وعملت عملا كثيرا يعظم ثوابك عليه وكسبت لأمير المؤمنين أجرا وشكرا فأحسن الله جزاءك فثلك من مجالس الخلفاء وأحب أن يتقدم بالعمل الذي أمر به المتوكل وينفذه الى حتى أجرى الامر عليه واتقدم في كتب الكتب باستفتاح الحراج قال فرجعت وحررت الحساب فوجدت النوروز لم يكن يتقدم في أيام الفرس أكثر من شهر يتقدم من خمس تخلو من حزيران فيصير في خمسة أيام تخلو من ايار فتكبس سنتها وترده الى خمسة أيام من حزيران وأنفذته الى عبيد الله بن يحيى فأمر أن يستفتح الحراج في خمس من حزيران وتقدم الى ابراهيم بن العباس في أن ينشئ كتابا عن أمير المؤمنين في ذلك ينفذ نسخه الى النواحي فعمل ابراهيم بن العباس كتابه المشهور في أيدي الناس * قال أبو أحمد فقال لي المعتضد يا يحيى هذا والله فعل حسن وينبغي أن يعمل به فقلت ما أحد

أولى بفعل الحسن واحياء السنن الشريفة من سيدنا ومولانا أمير المؤمنين لما جمعه الله فيه من المحاسن ووجهه له من الفضائل فدعا بميد الله بن سليمان وقال له اسمع من يحيي ما يخبرك به وأمض الامر في افتتاح الحراج عليه قال فصرت مع عبيد الله بن سليمان الى الديوان وعرفته الخبر فأحب تأخير عن ذلك لئلا يجرى الامر المجري الاول بعينه فحصله في أحد عشر من حزيران واستأمر المعتضد في ذلك فأمضاه فقلت في ذلك شعرا انشدته للمعتضد في هذا المعنى

يوم نوروزك يوم * واحد لا يتأخر

من حزيران يوافي * أبدا في أحد عشر

قال وأخبرني بعض مشايخ الكتاب قال وكانت الخلفاء تؤخر النوروز عن وقته عشرين يوما وأقل وأكثر ليكون ذلك سببا لتأخير افتتاح الحراج على أهله * وأما المهرجان فلم تسكن تؤخره عن وقته يوما واحدا فكان أول من قدمه عن وقته بيوم المعتضد بمدينة السلام في سنة خمس وستين ومائتين وأمر المعتضد بتأخير النوروز عن وقته ستين يوما وقال أبو الريحان محمد بن أحمد البيروقي في كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية ومنه نقلت ما ذكر ابن أبي طاهر وزاد ونفذت الكتب الى الآفاق يعني عن المتوكل في محرم سنة ثلاث وأربعين ومائتين وقتل المتوكل ولم يتم له ما دبر واستمر الامر حتى قام المعتضد فاحتذى ما فعله المتوكل في تأخير النوروز غير أنه نظر فاذا المتوكل أخذ ما بين سنته وبين أول تاريخ يزدجرد فأخذ المعتضد ما بين سنته وبين السنة التي زال فيها ملك الفرس بها يزدجرد ظنا أن اهلهم أمر الكسبي من ذلك الوقت فوجده مائتي سنة وثلاثا وأربعين سنة حصتها من الارباع ستون يوما وكسر فزاد ذلك على النوروز في سنة وجعله ينتهي تلك الايام وهو من خردادماه في تلك السنة وكان يوم الاربعاء ويوافقه اليوم الحادي عشر من حزيران ثم وضع النوروز على شهور الروم لتكسب شهوره اذا كتبت الروم شهورها وقال القاضي السعيد ثقة الثقات ذو الرياستين أبو الحسن علي بن القاضي المؤتمن ثقة الدولة أبي عمر وعثمان بن يوسف الخزومي في كتاب المنهاج في علم الحراج والسنة الخراجية مركبة على حكم السنة الشمسية لان السنة الشمسية ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم ورتب المصريون سنتهم على ذلك ليكون أداء الحراج عند ادراك الفلات من كل سنة ووافقها السنة القبطية لان أيام شهورها ثلثمائة وستون يوما ويتبعها خمسة أيام النسيء وربع يوم بعد تقضى مسرى وفي كل أربع سنين تكون أيام النسيء ستة أيام لينتجبر الكسبر ويسمون تلك السنة كيسة وفي كل ثلاث وثلاثين سنة تسقط سنة فيحتاج الى نقلها لاجل الفصل بين السنين الشمسية والسنين الهلالية لان السنة الشمسية ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم والسنة الهلالية ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما وكسر ولما

كان كذلك احتيج الى استعمال النقل الذي تطابق به احدى السنتين الأخرى وقد قال أبو الحسن على بن الحسن الكاتب رحمه الله عهدت جباية أموال الخراج في سنين قبل سنة احدى وأربعين ومائتين من خلافة أمير المؤمنين المتوكل على الله رحمة الله عليه تجرى كل سنة في السنة التي بعدها بسبب تأخير الشهور الشمسية عن الشهور القمرية في كل سنة أحد عشر يوما وربع يوم وزيادة الكسر عليه فلما دخلت سنة اثنتين وأربعين ومائتين كان قد انقضى من السنين التي قبلها ثلاث وثلاثون سنة أو لهن سنة ثمان ومائتين من خلافة أمير المؤمنين المأمون رحمة الله عليه واجتمع من هذا المتأخر فيها أيام سنة شمسية كاملة وهي ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم وزيادة الكسر وبها ادراك غلات وثمار سنة احدى وأربعين ومائتين في صفر سنة اثنتين وأربعين ومائتين وأمر أمير المؤمنين المتوكل على الله رحمة الله عليه بالغاء ذكر سنة احدى وأربعين ومائتين اذ كانت قد انقضت وينسب الخراج الى سنة اثنتين وأربعين ومائتين فجرث الاعمال على ذلك سنة بعد سنة الى أن انقضت ثلاث وثلاثون سنة آخرهن انقضاء سنة أربع وسبعين ومائتين فلم ينبه كتاب أمير المؤمنين المعتمد على الله رحمة الله عليه على ذلك اذ كان رؤسائهم في ذلك الوقت اسماعيل بن بابل وبني الفرات ولم يكونوا عملا في ديوان الخراج والضياح في خلافة أمير المؤمنين المتوكل على الله رحمة الله عليه ولا كانت اسنانهم اسنانا بلغت معرفتهم بهذا النقل بل كان مولد أحمد بن محمد بن الفرات قبل هذه السنة بخمس سنين ومولد على أخيه فيها وكان اسماعيل بن بابل يتعلم في مجلس لم يبالغ أن ينسخ فلما تقلدت لناصر الدين أبي أحمد طامحة الموفق رحمه الله أعمال الضياح بقزوين ونواحيها لسنة ست وسبعين ومائتين وكان مقبلا بأذربيجان وخليفته بالجبل جرادة بن محمد وأحمد بن محمد كاتبه واحتجبت الى رفع جماعتي اليه ترجمتها بجماعة سنة ست وسبعين ومائتين التي أدركت غلاتها وثمارها في سنة سبع وسبعين ومائتين ووجب الغاء ذكر سنة ست وسبعين ومائتين فاما وقفنا على هذه الترجمة انكراها وسألاني عن السبب فيها فشرحت لهما واكدت ذلك بأن عرفتهما اني قد استخرجت حساب السنين الشمسية والسنين القمرية من القرآن الكريم بعد ما عرضته على اصحاب التفسير فذكروا انه لم يأت فيه شيء من الاثر فكان ذلك اؤكد في لطف استخراجي وهو أن الله تعالى قال في سورة الكهف ولبنوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا فلم أجد أحدا من المفسرين عرف معنى قوله وازدادوا تسعا وانما خاطب الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بكلام العرب وما تعرفه من الحساب فعني هذه التسع أن الثلثمائة كانت شمسية بحساب العجم ومن كان لا يعرف السنين القمرية فاذا أضيف الى الثلثمائة القمرية زيادة التسع كانت سنين شمسية صحيحة فاستحسنه فاما انصرف جرادة مع الناصر لدين الله الى مدينة السلام وتوفي الناصر رحمه الله وتقلد القاسم عبيد الله بن

سليمان كتابة أمير المؤمنين المعتضد بالله أخرى له جرادة ذكر هذا النقل وشرح له سببه تقرباً إليه وطعناً على أبي القاسم عبيد الله في تأخير إياه فلما وقف المعتضد على ذلك تقدم إلى أبي القاسم بإنشاء السكت بنقل سنة ثمان وسبعين إلى سنة تسع وسبعين ومائتين وكان هذا النقل بعد أربع سنين من وجوبه ثم مضت السئون سنة بعد سنة إلى أن انقضت الآن ثلاث وثلاثون سنة أولاهن السنة التي كان النقل وجب فيها وهي سنة خمس وسبعين ومائتين وآخرهن انقضاء سنة سبع وثلاثمائة وقد تها أدرالك الغلات والثمار في صدر سنة ثمان وثلاثمائة ونسبته إليها وقد عملت نسخة هذا النقل نسختها تحت هذا الموضع ليوقف عليها وقد كان أصحاب الدواوين في أيام المتوكل لما نقل سنة إحدى وأربعين ومائتين إلى سنة اثنتين وأربعين ومائتين جبروا الجوالى والصدقات لسنتي إحدى وأثنتين وأربعين ومائتين في وقت واحد لأن الجوالى بسر من رأى ومدينة السلام وقصب المدن المشهورة كانت تجب على شهور الأهلة وما كان من حجاج أهل القرى في الخراج والضياح والصدقات والمستغلات كان يجب على شهور الشمس وفي ثلاث وثلاثين سنة اجتمعت أيام سنة شمسية كاملة فالزم أهل الذمة خاصة بالجوالى ورفعها العمال في حساباتهم فمن لم يرفعها الزموا بجوالى السنة الزائدة فأحفظ أنه اجتمع من ذلك ألف دراهم ثم جددت السكت إلى العمال بأن تكون حساباتهم الجوالى على شهور الأهلة فجرى الأمر على ذلك قال القاضي أبو الحسن وقد كان النقل انقل في الديار المصرية حتى كانت سنة تسع وتسعين وأربعمائة الهلالية تجرى مع سنة سبع وتسعين الخراجية فنقلت سنة سبع وتسعين وأربعمائة إلى سنة إحدى وخمسمائة هكذا رأيت في تعليقات أبي رحمه الله وآخر ما نقلت السنة في وقتنا هذا سنة خمس وستين وخمسمائة إلى سنة سبع وستين وخمسمائة الهلالية فتطابقت السنتان وذلك أنني لما قلت للقاضي الفاضل أبي على عبد الرحيم بن علي اليبساني أنه قد أن نقل السنة فأنشأ سجلاً بنقلها نسخ الدواوين وحمل الأمر على حكمه وما برح الملوك والوزراء يعتنون بنقل السنين في أحيانها * وقال أبو الحسين هلال ابن الحسن الصابي حدثني أبو على قال لما أراد الوزير أبو محمد المهملّي نقل سنة خمس وثلاثمائة الهلالية أمر أبا إسحاق والدى وغيره من كتابه في الخراج والرسائل بإنشاء كتاب عن المطيع لله في هذا المعنى فكتب كل منهم وكتب والدى الكتاب الموجود في رسائله وعرضت النسخ على الوزير فاختاره منها وتقدم بأن يكتب إلى أصحاب الأطراف وقال لأبي الفرج بن أبي هشام خليفته اكتب إلى العمال بذلك كتباً محققة وانسخ في أواخرها هذا الكتاب السلطاني فغضاباً الفرج وقوع التفضيل والاختيار لكتاب والدى وقد كان عمل نسخة أطرح في جملة ما أطرح وكتب قد رأينا نقل سنة خمسين إلى إحدى وخمسين فاعمل على ذلك ولم ينسخ الكتاب السلطاني وعرف الوزير ما كتب به أبو الفرج فقال له لماذا أغفلت

نسخ الكتاب السلطاني في آخر الكتب الى العمال واثباته في الديوان فأجاب جواباً علك فيه فقال له بيابا الفرج ما تركت ذلك الاحسد لابي اسحاق وهو والله في هذا الفن اكتب أهل زمانه فأعد الآن الكتب وانسخ الكتاب في أواخرها قال القاضي أبو الحسن وأنا أذكر بمشيئة الله نسخة الكتاب الذي أشار اليه أبو الحسن علي بن الحسن السكاتب وكتاب أبي اسحاق وكتاب القاضي الفاضل ليستين للناظر طريق نقل السنين الخراجية الى السنين الهلالية فإذا قاربت الموافقة وحسنت فيها المطابقة فالكتاب الفاضلي أكثر نجاحاً وأعظم اعجازاً ولا يخفى على المتأمل قدر ما أورد فيه من البلاغة كالابحني على العارف قدر ما تضمنه كتاب الصابي من الصناعة * نسخة الكتاب الذي أشار اليه أبو الحسن السكاتب * ان أولى ما صرف اليه أمير المؤمنين عنايته وأعمل فيه فكره ورويته وشغل فيه تفقده ورعايته أمر النبي الذي خصه الله به وألزمه جمعه وتوفيره وحياضته وتكثيره وجعله عماد الدين وقوام أمر المسلمين وفيما يصرف منه الى اعطيات الاولياء والجنود ومن يستعان به لتحصين البيضة والذب عن الحريم وحج البيت وجهاد العدو وسد الثغور وأمن السبيل وحقق الدماء واصلاح ذات البين وأمير المؤمنين يسأل الله تعالى راغباً اليه ومتوكلاً عليه أن يحسن عونه على ما حمله منه ويديم توفيقه بما أَرْضاه وارشاده الى أن يقضى عنه وله وقد نظر أمير المؤمنين فيما كان يجري عليه أمر حباية هذا النبي في خلافة آبائه الراشدين صلوات الله عليهم فوجده على حسب ما كان يدرك من الغلات والثمار في كل سنة أولاً أولاً على مجاري شهور سنَى الشمس في النجوم التي يحل ميل كل صنف منها فيها ووجد شهور السنة الشمسية تتأخر عن شهور السنة الهلالية أحد عشر يوماً وربما وزيادة عليه ويكون ادراك الغلات والثمار في كل سنة بحسب تأخرها فلا تزال السنون تضي على ذلك سنة بعد سنة حتى تقضى منها ثلاث وثلاثون سنة وتكون عدة الايام المتأخرة منها أيام سنة شمسية كاملة وهي ثمانمائة وخمسة وستون يوماً وربع يوم وزيادة عليه فحينئذ يترى بمشيئة الله تعالى وقدرته ادراك الغلات التي تجري عليها الضرائب والطمسوق في استقبال المحرم من سنَى الاهلة ويجب مع ذلك الغاء السنة الخارجة اذا كانت قد انقضت ونسبتها الى السنة التي أدركت الغلات والثمار فيها لانه وجد ذلك قد كان وقع في أيام أمير المؤمنين المتوكل على الله رحمة الله عليه عند انقضاء ثلاث وثلاثين سنة آخرتهن سنة احدى وأربعين ومائتين فحرت المكاتب والحسابات وسائر الاعمال بعد ذلك سنة بعد سنة الى أن مضت ثلاث وثلاثون سنة آخرتهن انقضاء سنة أربع وسبعين ومائتين ووجب انشاء الكتب بالغاء ذكر سنة أربع وسبعين ومائتين ونسبتها الى سنة خمس وسبعين ومائتين فذهب ذلك على كتاب أمير المؤمنين المعتمد على الله وتأخر الامر أربع سنين الى أن أمر أمير المؤمنين المعتمد بالله رحمة الله عليه في سنة سبع وسبعين

ومائتين بنقل خراج سنة ثمان وسبعين الى سنة تسع وسبعين ومائتين فجرى الامر على ذلك الى أن انقضت في هذا الوقت ثلاث وثلاثون سنة أولاهن السنة التي كان يجب نقلها فيها وهي سنة خمس وسبعين ومائتين وآخرتهن انقضاء شهور خراج سنة سبع وثلثمائة ووجب افتتاح خراج ما يجري على الضرائب والطرش في أولها وان من صواب التدبير واستقامة الاعمال واستعمال ما يخف على الرعية معاملتها به نقل سنة الخراج سنة سبع وثلثمائة الى سنة ثمان وثلثمائة فرأى أمير المؤمنين لما يلزمه نفسه ويؤاخذها به من العناية بهذا الفئ وحياطة اسبابه واجرائها مجاريها وسلوك سبيل آباءه الراشدين رحمة الله عليهم أجمعين فيها أن يكتب اليك وإلى سائر العمال في النواحي بالعمل على ذلك وأن يكون ما يصدر اليكم من الكتب وتصدرونه منكم وتجري عليه أعمالكم ورفوعكم وحسبانكم وسائر منازراتكم على هذا النقل فاعلم ذلك من رأى أمير المؤمنين واعمل به مستشعرا فيه وفي كل مضنة تقوى الله وطاعته ومستعملا عليه ثقات الاعوان وكفاتهم ومشرفا عليهم ومقوما لهم واكتب بما يكون منك في ذلك ان شاء الله تعالى * (نسخة أبي اسحاق الصائغ) * أما بعد فان أمير المؤمنين لازال مجتهدا في مصالح المسلمين وباعثا لهم على مرشد الدين والدين ومهيا لهم احسن الاختيار فيما يوردون ويصدرون وأصوب الرأي فيما يبرمون وينقضون فلا يلوح له خللة داخلية على أمورهم الاسدها وتلافها ولا حل عائدة بحظ عليهم الا اعتمادها وأنها ولا سنة عادلة الا أخذهم باقامة رسمها وامضاء حكمها والاقضاء بالسلف الصالح في العمل بها والاتباع لها واذا عرض من ذلك ما تعلمه الخاصة بوفور ألبابها وتجهل العامة بقصور أفعالها وكانت أوامره فيه خارجة اليك وإلى امثالك من أعيان رجاله وأماثل عماله الذين يكتفون بالإشارة ويجتزون بيسير الابانة والعبارة لم يدع أن يباغ من تخليص اللفظ وايضاح المعنى إلى الحد الذي يلحق المتأخر بالمتقدم ويجمع بين العالم والمتعلم ولا سيما اذا كان ذلك فيما يتعلق بمعاملات الرعية ومن لا يعرف الا الظواهر الجلية دون البواطن الخفية ولا يسهل عليه الانتقال عن العادات المتكررة إلى الرسوم المتغيرة لكون القول بالمشروح لمن برز في المعرفة مذكرا ولمن تأخر فيها مبصرا ولانه ليس من الحق أن تمنع هذه الطبقة من برد اليقين في صدورهم ولا أن يقتصر على اللمحة الدالة في مخاطبة جمهورها حتى اذا استوت الاقدام بطوائف الناس في فهم ما أمروا به وفقه مادعوا اليه وصاروا على حكمه سواء لا يعترضهم شك الشاكين ولا استرابة المستريين اطمأنت قلوبهم وانشرح صدورهم وسقط الخلاف بينهم واستمر الاتفاق بهم واستيقنوا أنهم مؤسسون على استقامة من المنهاج ومحروسون من حزائر الزيف والاعوجاج فكان الاتقياد منهم وهم دارون عالمون لا مقلدون مسلمون ووطائعون مختارون لا مكرهون ولا مجبرون وأمير المؤمنين يستمد الله تعالى في جميع أغراضه ومراميه

ومطالبه ومغازيه مادة من صنعه يقف بها على سنن الصلاح ويفتح له أبواب النجاح وينبذه
بما أهله لحله من الأعباء التي لا بدعي الاستقلال بها الا بتوقيفه ومعونته ولا يتوجه فيها الا
بدلالته وهدايته وحسب أمير المؤمنين الله ونعم الوكيل يرى أن أولى الأقوال أن يكون
سدادا وأخرى الأفعال أن يكون رشادا ما وجد له في السابق من حكم الله أصول وقواعد
وفي النص من كتابه آيات وشواهد وكان منصبا بالامة الى قوام من دين أو دنيا ووافق في
آخرة أو أولى فذلك هو البناء الذي يثبت ويعلو والفرس الذي يثبت ويركو والسعي الذي
تخرج مباديه وهو اديه وتبهج عواقبه وتواليه وتستشير سبله لسالكها وتوردهم موارد السعود
في مقاصدهم فيها غير ضالين ولا عادلين ولا منحرفين ولا زائنين وقد جعل الله عز وجل
لعباد من هذه الافلاك الدائرة والنجوم السائرة فيما تنقلب عليه من اتصال وافتراق ويتمتع
عليها من اختلاف واتفاق منافع تظهر في كرور الشهور والاعوام ومرور الميالي والايام
وتفاوت الضياء والظلام واعتدال المسالك والاطمان وتغاير الفصول والازمان ونشو الثبات
والحيوان مما ليس في نظام ذلك خلل ولا في صنعه زلل بل هو منوط بعضه ببعض ومحوط
من كل ثلثة ونقض قال الله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل
لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق وقال جل من قائل ألم تر أن الله
يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري الى أجل مسمى
وان الله بما تعملون خبير وقال تعالى والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم
وقال عزت قدرته والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ففضل الله تعالى بهذه
الآيات بين الشمس والقمر وأنبأنا في الباهر من حكمه والمعجز من كلامه أن لكل منهما
طريقا سخر فيها وطبيعة جبل عليها وأن تلك الميانية والمخالفة في المسير يؤديان الى موافقة
وملازمة في التدبير فمن هنالك زادت السنة الشمسية فصارت ثلثمائة وخمسة وستين يوما وربعاً
بالتقريب المعمول عليه وهي المدة التي تقطع الشمس فيها الفلك مرة واحدة ونقصت الهلالية فصارت
ثلثمائة وأربعة وخمسين يوما وهي المدة التي يجامع القمر فيها الشمس اثنتي عشرة مرة واحتيج اذا
انساق هذا الفضل الى استعمال النقل الذي يطابق احدي السنتين بالآخرى اذا افرقا ويؤدي بينهما
اذا تفاوتتا وما زالت الامم السالفة تكسب زيادات السنين على افتتان من طرقها ومذاهبها
وفي كتاب الله عز وجل شهادة بذلك اذ يقول في قصة أهل الكهف ولبثوا في كهفهم ثلثمائة
سنين وازدادوا تسعا فكانت هذه الزيادة بأن الفضل في السنين المذكورة على تقريب
التقريب فأما الفرس فانهم أجروا معاملاتهم على السنة المعتدلة التي شهورها اثنا عشر شهرا
وأيامها ثلثمائة وستون يوما ولقبوا الشهور باثني عشر لقباً وسموا أيام الشهر منها بثلاثين اسماً
وأفردوا الخمسة الايام الزائدة وسموها المسترقة وكبسوا الربع في كل مائة وعشرين سنة

شهرها فلما انقضى ملكهم بطل في كبس هذا الربع تديرهم وزال نوروزهم عن سنته وانفج ما بينه وبين حقيقة وقته انفراجا هو زائد لا يقف ودائر لا ينقطع حتى ان موضوعهم في النوروز أن يقع في مدخل الصيف وسينتهي الى أن يقع في مدخل الشتاء ويتجاوز ذلك وموضوعهم في المهرجان أن يقع في مدخل الشتاء وينتهي الى أن يقع في مدخل الصيف ويتجاوز وأما الروم فكانوا اتقن منهم حكمة وأبعد نظراً في العاقبة لانهم رتبوا شهور السنة على ارساد شهورها وأنواء عرفوها وفضوا الخمسة الايام على الشهور وساقوها على الدهور وكبسوا الربع في كل أربع سنين يوما ورسوموا أن يكون الى شباط مضافا فقربوا ما بعده غيرهم وسهلوا على الناس أن يقتفوا أثرهم لا جرم ان المعتضد بالله رحمه الله على أصولهم بنى ولما لهم احتذى في تصديره نوروزه اليوم الحادي عشر من حزيران حتى سلم مما لحق التواريز في سالف الازمان وتلافوا الامر في عجز سنى الهلال عن سنى الشمس بأن جبروها بالكبس فكلما اجتمع من فصول سنى الشمس وما بقى تمام شهر جملوا السنة الهلالية يتفق ذلك فيها ثلاثة عشر هلالا فرمما تم الشهر الثالث عشر في ثلاث سنين وربما تم في سنتين بحسب ما يوجب الحساب فتصير سنتا الشمس والهلال عندهم متقاربتين أبدا لا يتباعد ما بينهما وأما العرب فان الله تعالى فضلها على الامم الماضية وورثها ثمرات مشاقها المتعبة وأجرى شهر صيامها ومواقيت أعيادها وزكاة أهل ملتها وجزية أهل ذمتها على السنة الهلالية وتبعتها فيها برؤية الالهة ارادة منه أن تكون مناهجها واضحة وأعلامها لا شبة فيتكافأ في معرفة الغرض ودخول الوقت الخاص منها والعام والتاقص الفقه والتام والائتي والذكر والصغير والكبير والا كبر فصاروا حينئذ يحسبون في سنة الشمس حاصل الغلات المقسومة وخراج الارض المسموحة ويحبون في سنة الهلال الجوالى والصدقات والارجاء والمقاطعات والمستغلات وسائر ما يجري على المشاهرات وحدث من التداخل بين السنين ما لو استمر لقبس جدا وازداد بعدا اذ كانت الحياة الخراجية في السنة التي ينتهى اليها تنسب الى الشمسية والى ما قبلها فوجب مع هذا أن تطرح تلك السنة وتلقى ويتجاوز الى ما بعدها ويخطى ولم يحز لهم أن يعتدوا لمخالفتهم في كبس السنة الهلالية بشهر ثالث عشر ولانهم لو فعلوا ذلك لرحزت الاشهر الحرم عن موافقها وارتجت المناسك عن حقائقها ونقصت الحياة في سنى الالهة القبطية بقسط ما استغرقه الكبس منها فانتظروا بذلك الفضل الى أن تم السنة وأوجب الحساب المقرب أن يكون كل اثنتين وثلاثين سنة شمسية ثلاثا وثلاثين هلالية فنقلوا المتقدمة الى المتأخرة نقلا لا يتجاوز الشمسية وكانت هذه الكلفة في دنياهم مستهلة مع تلك النعمة في دينهم وقد رأى أمير المؤمنين نقل سنة خمسين وثلاثمائة الخراجية الى سنة احدى وخمسين وثلاثمائة الهلالية جمعا بينهما ولزوما لتلك السنة فيهما فاعمل بما ورد به أمر أمير المؤمنين عليك

وتضمنه كتابه هذا اليك ومر الكتاب قبلك أن يحتذوا رسمه فيما يكتبون به الى عمال نواحيك ويخلدونه في الدواوين من ذكورهم ورفوعهم ويعدونهم خروج الاموال وينظمونه في الدواوين والاعمال ويثبتون عليه الجماعات والحسابات ويوغرون بكتبه من الروزنامجات والبرآت وليكن المنسوب من ذلك الى سنة خمسين وثلثمائة التي وقع النقل اليها وأقم في نفوس من محضرتك من اصناف الجند والرعية وأهل الملة والذمة ان هذا النقل لا يغير لهم رسما ولا ياحق بهم ثلما ولا يعود على قابضي العطاء بنقصان ما استحقوا قبضه ولا على مؤدى حق بيت المال باغضاء عما وجب أدائه فان قرأه أكثرهم فقيرة الى افهام أمير المؤمنين الذي اثر أن تزاح فيه العلة ويسد به سهم الخلة اذ كان هذا الشأن لا يتجدد الا في المدد الطوال التي في مثلها يحتاج الى تعريف الناسي وأجب بما يكون منك جوابا يحسن موقعه لك ان شاء الله تعالى * وقال ابن المأمون في تاريخه من حوادث سنة احدى وخمسمائة وأول ما تحدث فيه نقل السنة الشمسية الى العربية وكان قد حصل بينهما تفاوت أربع سنين فتحدث القائد أبو عبدالله محمد بن فائق البطائحي مع الافضل بن أمير الجيوش في ذلك فأجاب اليه وخرج أمره الى الشيخ أبي القاسم بن الصيرفي بإنشاء سجل به فأنشأ ما نسخته بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي ارتضى أمير المؤمنين أمينه في أرضه وخليفته • وألهمه أن يعي بحسن التدبير عبيده وخليفته • ووقفه لمصالح يستمد أسبابها • ويفتح بحسن نظره أبوابها • وأورثه مقام آبائه الراشدين الذين اختصهم بشرف المفخر • وجعل اعتقاد موالاتهم سبب النجاة في الخسر وغناهم بقوله يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر • وأعلى منار سلطانه بمدير افلاك دوائه ومبيد أعداء مملكته • وأشرف من نصب للجند علما وراية • ووقف على مصلحة البرية نظره ورأيه • وأرشد بهديته الابواب الحائرة • وأذهب بمعدته الاحكام الجائرة • السيد الاجل الافضل وتتم نعموت بالدعاء للذي كمل تدبيره نظام الصلاح ونعمه • وسدد تقريره الامور في كل ما قصده وبمه • ونبه في السياسة على ما أهمله من سبقه • وأغفله من تقدمه • وتبصع احوال المملكة فلم يدع مشكلا الا أوضحه وبين الواجب فيه • ولا خلا الا أصلحه وبادر بتسليفه • ولا مهملا الا استعمله على ما يوافق الصواب ولا ينافيه اينارا لعمارة الاعمال • وقصدا لما يقضي بتوفير الاموال • وتوخيا لما عاد بضروب الاستغلال • واعتناء برجال الدولة العلوية وأجنادها • واهتماما بمصالحهم التي ضمت قواهم عن ارتيادها • ورعاية لمن ضمنه أقطار المملكة من الرعايا • وحلا لهم على اعدل السنن وأفضل القضايا • يحمد أمير المؤمنين على ما أعانه عليه من حسن النظر للامة • وادخره لايامه من الفضائل التي صفت بها ملابس النعمة • ووقفه لما يعود على الكافة بشمول الانتفاع حتي صار استبدال الحقوق بواجبات الشريعة الواضحة الادلة • واستيفائها بمقتضى المعدلة فيما يجرى على أحكام الخراج وأوضاع الالهة • ويرغب اليه بالصلاة على محمد (م ٧ - خطط في)

الذى ميزه بالحكمة وفصل الخطاب • وبين به ما استبهم من سبل الصواب • وأنزل عليه في محكم الكتاب • هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب • صلى الله عليه وعلى أخيه وابن عمه أئينا أمير المؤمنين على بن أبى طالب كفيه فيما اعضل للماعدم المساعد • وواقبه بنفسه لما تحاذل السكف والساعد • وعلى الأئمة من ذريتهما العاملين برضى الله تعالى فيما يقولون ويفعلون • والذين يهدون بالحق وبه يعدلون • وإن أولى ما أولاه أمير المؤمنين حظا وافيا من تفقده • وأسهم له جزأ وافرأ من كريم تعهده • ونظر اليه بعين اهتمامه واختصه بالقسم الاجزل • من استمالة أمر الاموال التى يستعان بها على سد الخلل • وبرجائها يستدفع ما يطرق من الحادث الجلل • وبوفورها تستثبت شؤون المملكة وتستقيم أحوال الدول • وباستخراجها على حكم العدل الشامل • ووصية انصاف المعامل • تكون العمارة التى هى أصل زيادتها • ومادة كثرتها ونزارتها • ولما كانت حباياتها على حكيم أحدها يحجب هالايا وذلك ما لا يدخله عارض ولا اشكال ولا ابهام • ولا يحتاج فيه الى ايضاح ولا افهام لان شهور الهلال يشترك في معرفتها الامير والمقصر • ويستوى في الفهم بها المتقدم في العلم والمتأخر • اذ كان الناس آلفين لازمنة متعبداتهم السنين مما يحفظ لهم نظام مرسومهم والآخر يحجب خراجها ويثبت بنسبته الى الخراج لانها تضبط أوقات ما يجرى ذلك لاجله من النبل المبارك والزراعة • وتحفظ أحيانه دون السنة الهلالية وتحرس أوضاعه • ولا يستقل بمعرفته الا من باشره • وعرف موارده ومصادره • فوجب أن يقصر على السنة الخراجية النظر • ويفعل فيها ما تعظم به الفائدة ويحسن فيه الاثر • ويعتمد في ايضاح أمرها وتقدير حكمها على ما تحلى به التواريخ وتزين به السير • ويكون ذلك شاهدا لمساعى السيد الاجل الافضل الذى لا يزال ساهرا ليله في حياطة الهاجمين • ساهرا سيفه في حماية الوادعين • مطلعا للدولة بدور السعادة وشموسها • مذلا لها صعب الحوادث وشموسها • ناطقة تارة بأن أمة هو راعيها • قد فضل الله سائسها وأسعد مسوسها • وهذا حين التبصير والارشاد • وأوان التبيين للغرض والمراد • لتتساوى العامة والخاصة في علمه • وتسهم الفائدة في معرفة حكمه • وتحقق المنفعة لهم فيما يمنع من تداخل السنين واستقبالها • وتتقن المعدلة عليهم فيما يؤمن من المضار التى يحتاج الى استدراكها ومعلوم أن أيام السنة الخراجية • وهى السنة الشمسية بخلاف السنة الهلالية • لان أيام السنة الخراجية من استقبال النوروز الى آخر النسيء ثلثائة وخمسة وستون يوما وربع يوم وأيام السنة الهلالية لاستقبال المحرم الى آخر ذى الحجة ثلثائة وأربعة وخمسون يوما والخلاف في كل سنة بالتقريب أحد عشر يوما وفي كل ثلاث وثلاثين سنة سنة واحدة على حكم التقريب • ويقتضيه ما تقدم من الترتيب • فاذا اتفق أن يكون أول الهلالية • موافقا لمدخل السنة الخراجية • وكانت نسبتها واحدة استمر اتفاق التسمية فيهما • وبقي ذلك جاريا

عليهما . ولم يزالا متداحين لكون مدخل الخراجية في أنشاء شهور الهلالية الى انقضاء ثلاث وثلاثين سنة . فاذا انقضت هذه المدة بطلت المداخلة وخلت السنة الهلالية من نوروز يكون فيها . وبحكم ذلك بطل اتفاق التسمية ويكون التفاوت سنة واحدة لليلة المقدم ذكرها . ومن اين يستمر بينهما اثنان أو يعدم لهما اختلاف . أم كيف يعتقد ذلك أحد من البشر . والله تعالى يقول لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر . فقد وضع دليل التبعاد بما جاء منصوصا في الكتاب . وظهر برهانه بما اقتضاه موجب الحساب . فيحتاج بحكم ذلك الى نقل السنة الشمسية الى التي تليها . لتكون موافقة للهلالية وجارية معها . وفائدة النقل أن لا تحلوا السنة الهلالية من مال خاص ينسب الى السنة الموافقة لها لان واجبات العسكرية على عظمها واتساعها . وأرزاق المرتزقة على اختلاف أجناسها وأوضاعها . جارية على أحكام الهلالية غير معدول بها عن ذلك في حال من الاحوال والمحافظة على ثمره ارتفاعا متينة ومنفعة العناية بما تجري عليه واضحة مينة . ولما أهلت سنة احدى وخمسة و دخلت فيها سنة تسع وتسعين . وأربعمائة الخراجية . الموافقة لسنة احدى وخمسة الهلالية . كان في ذلك من التباين والتعارض والتفاوت والتنافر بحكم اهل النقل فيما تقدم ما صارت السنة الهلالية الحاضرة لايجب خراج ما يوافقها فيها . ولا تدرك غلات السنة المجري ما لها عليها الا في السنة التي تليها . فهي تستهل وتقضى وليس لها في الخراجي ارتفاع . والاعمال تطيف بالزراعة ولا حظ لها في ذلك ولا انتفاع . وهذه الحال المضرة بها على بيت المال غير خفيفة والاذية فيها للرجال المقطعين بادية . وأسباب لحوقها اياهم مستمرة متبادية . ولا سيما من وقع له باثبات . وأنعم عليه بزيادات . فانهم يتمجلون الاستقبال . ويتأجلون الاستقلال . ومضى لم تنقل هذه السنة الخراجية كانت متداخلة بين سنتين هلالية وهي موافقة لغيرها وما لها تجري على سنة تجري بينهما لان مدخلها في اليوم العاشر من المحرم سنة احدى وخمسة و انقضاؤها في العشرين من المحرم سنة اثنتين وخمسة وهي متداخلة بين هاتين السنتين وما لها يجري على سنة احدى وخمسة والحال في ذلك لا ينتهي الى أمد . ولا يزال الفساد يتزايد طول الابد وقد رأى أمير المؤمنين بالله توفيقه ما خرج به أمره الى السيد الاجل الافضل الذي نبه على هذا الامر وكشف غامضه . وأزال بح من توصله تنافيه وتناقضه . أن يوغر الى ديوان الانشاء بكتب هذا السجل مضمنا ما رآه ودبره . مودعا انفاذا ما أحكمه وقرره . من نقل سنة تسع وتسعين وأربعمائة الى سنة احدى وخمسة لتكون موافقة لها . ويجرى عليها ما لها . ويكون ما يستأدونه من أقطاعاتهم ويستخرجونه من واجباتهم جاريا على نظام محروس . ونطاق محيط غير منحوس . وشاهد انصيب مو في غير مقصوص ويتضح ما بهم اشكاله التعمية . ويزول الاستكراه في اختلاف التسمية . ويستمر الوفاق بين السنين الهلالية والخراجية الى سنة أربع وثلاثين

وخمسمائة وينسب مال الخراج والمقاسمات وما يستغل ويجبي من الاقطاعات مما كان جاريا على
 ذكر سنة تسع وتسعين وأربعمائة الى سنة احدى وخمسمائة وتجري الاضافة اليها مجرى
 ما يرتفع من الهلالي فيها لتكون سنة احدى من هذه مشتملة على ما يخصها من مالها وعلى مال
 السنة الخراجية بما يشرح من انتقالاتها وكذلك نقل سنة تسع وتسعين وأربعمائة الخراجية
 الثابتة بالتسمية الى سنة احدى وخمسمائة المشار اليها ويكون مالها جاريا عليها فليعتمد ذلك
 في الدواوين بالحضرة وفي سائر اعمال الدولة قاصيها ودانيها وفارسها وشاميها وليتنبه كافة
 السكتاب والمستخدمين وجميع العمال والمتصرفين الى اقتفاء هذا السنن واتباعه ولا يحذروا
 الخروج عن احكامه المقررة وأوضاعه وليبادروا الى امتثال المرسوم فيه ولا يحذروا من
 تجاوزه وتعمده ولينسخ في دواوين الاموال والجيوش المنصورة وليخلد بعد ذلك في بيوت
 المال المعمورة وكتب في محرم سنة احدى وخمسمائة * وقال القاضي الفاضل في متجددات
 سنة سبع وستين وخمسمائة ومن خطه نقلت * مستهل المحرم نسخ منشور بنقل السنة
 الخراجية الى السنة الهلالية والمطابقة بين اسمهما لموافقة الشهور العربية للشهور القبطية وخلو
 سنة سبع من نوروز فنقلت سنة خمس وستين وخمسمائة الخراجية الى هذه السنة وكان آخر
 نقل نقلته هذه السنة في الايام الافضلية فان سنة ثمان وتسعين وأربعمائة وسنة تسع وتسعين
 الخراجيتين نقلتا الى سنة احدى وخمسمائة الخراجية وسبب هذا الانقراج بينهما زيادة عدد
 السنة الشمسية على عدد الهلالية أحد عشر يوما واغفال النقل في سنة ثلاث وثلاثين في
 أيام الوزير الافضل رضوان بن ولحشى وانسحب ذيل هذه الزيادة وتداخل السنين بعضها
 في بعض الى أن صار التفاوت بينهما سنتين في هذه السنة فنقلت وهو انتقال لا يتعدى التسمية
 ولا يجاوز اللفظ ولا ينقص مالا لديوان ولا لمقطع وانما يقصد به ازالة الالباس وحل
 الاشكال * وقال القاضي أبو الحسين ونسخة الكتاب الذي انشاء القاضي الفاضل خرجت
 الاوامر الملكية الناصرية زاد الله في اعلائها ببداع هذا المنشور انا نؤثر من حسن النظر
 ما يؤثر أحسن الخبر ولا ينصرف بنا الفكر عما تحلى به السير وتحلى به الغير ولا تزال
 خواطرننا تعتلى فتطلع الدراري وتغوص فتخرج الدرر وان أولى ما استحدثت به البصائر
 وحرست فيه المصائر كل أمر يصحح المعاملات ويشرحها ويطلق عقولهم من عقول الاشكال
 ويسرحها ولما وجب نقل السنة الخراجية والمطابقة بينها وبين الهلالية لانقراجهما بستين
 وموافقة الشهور الخراجية والهلالية في هذه السنة مطلع المستهاين امضينا هذه السنة الحالية
 في هذه السنة الآتية واستخرنا الله تعالى في نقل سنتي خمس وست وستين وخمسمائة الى
 سنة سبع وستين وخمسمائة التي سميت بهذا النقل هلالية خراجية نفا للامور المشبهة
 والتسمية المموهة وتنزيها لسنن الاسلام عن التكنيس ولتاريخه عن ملبسة التلبيس واعلاما

بالوفاق الذى استشعرته أبؤها وبنوها واعلانا باتباعه عناية بعوايد السلف التى خلفوها
للخلف وبنوها وفي ذلك ما تحمد به العواقب وتنفسح به المذاهب وتيسر به المطالب ويحول
به الاشكال ويؤمن به الاختلال ويختم به الغلط في الحسب ويؤلف بين السنين المختلفة
الانساب ويحفظ على القمر معاملته ويبعد عن التاريخ معاملته ويقرب على الكاتب محاولته
ويصرف عن نعمة الله هجة كونها مقدمة في التسمية مؤخرة في التسمية وعن معاملة بيت
المال وصمة كونها معدوقة بالمطل وقد بلغت في التوفية لان من أعطى في سنة سبع وستين
 وخمسة استحقاق سنة خمس فلا ريب أنه قد مطل بحكم السمع وان كان قد انجز بحكم
الشرع فتوسم هذه السنة المباركة بالهلالية الخراجية وترفع الحسابات بهذا الوضع ويعمل في
التقريرات والتسجيلات على هذا فليفعل في ذلك ما يقضى بارتاج هذا الانفراج وجبر هذا
الصدع وليعلم في الدواوين علمه ولينفذ فيها حكمه بعد ثبوته الى حيث يشب مثله ان شاء الله
تعالى (*) (وأما تاريخ العرب) * فانه لم يزل في الجاهلية والاسلام يعمل بشهور الالهة وعدة
شهور السنة عندهم اثنا عشر شهرا الا أنهم اختلفوا في اسمائها فكانت العرب العاربة تسميها
تثيق • وثقيل • وطليق • واسح • وأنخ • وحلك • وكسح • وزاهر • ونوط • وحرف
وبقس • فئاتق هو المحرم • وثقيل هو صفر • وهكذا ما بعده على سرد الشهور وكانت
تموز تسميها • موجب • وموخر • ومورد • وملزم • ومصدر • وهوير • وهوبل • وموها
ودير • ودابر • وحيتل • ومسيل • فوجب هو المحرم • وموخر صفر • الا أنهم كانوا
يبدؤن بالشهور من دير وهو شهر رمضان فيكون أول شهور السنة عندهم ثم كانت العرب
تسميها بأسماء آخر وهى • مؤتمر • وناجر • وخوان • وصوان • وختم • وزبا • والاصم
وعادل • وبابق • ووعل • وهواع • ورك • ومعنى المؤتمر أنه يأتى بكل شئ مما تأتي به السنة
من اقضيته وناجر من النجر وهو شدة الحر وخوان فعال من الحيانة وصوان بكسر
الصاد وضمها فعال من الصيانة والزبا الداهية العظيمة المتكاثفة سمي بذلك لكثرة القتال
فيه ومنهم من يقول بعد صوان الزبا وبعد الزبا بائدة وبعد بائدة الاصم ثم واغل وباطل
وعادل ورنه وبرك قالبايد من القتال اذ كان فيه يديد كثير من الناس وجرى المثل بذلك
ف قيل العجب كل العجب بين جمادى ورجب وكانوا يستعجلون فيه ويتوخون بلوغ النار
والغارات قبل رجب فانه شهر حرام ويقولون له الاصم لانهم كانوا يكفون فيه عن القتال
فلا يسمع فيه صوت سلاح والواغل الداخل على شرب ولم يدعوه وذلك لانه تهجم على
شهر رمضان وكان يكثر في شهر رمضان شربهم الخمر لان الذى يتلوه هى شهور الحج وباطل
هو مكيا ل الخمر سمي به لافراطهم فيه في الشرب وكثرة استعمالهم لذلك المكيا ل وأما العادل
فهو من العدل لانه من أشهر الحج وكانوا يشتغلون فيه عن الباطل وأما الزبا فلان الانعام

كانت تزب فيه لقرب النحر وأما برك فهو لبروك الابل اذا حضرت المنحر وقد روى أنهم كانوا يسمون المحرم مؤتمر • وصفر ناجر • وربيع الاول نصار • وربيع الآخر خوان وجادى الاولى حتن • وجادى الآخرة الرنة • ورجب الاصم وهو شهر مضر • وكانت العرب تصومه فى الجاهلية وكانت تمتاز فيه وتمير أهلها وكان يأمن بعضهم بعضا فيه ويخرجون الى الاسفار ولا يخافون وشعبان عادل • ورمضان تاتق • وشوال واغل • وذوالقعدة هواع • وذو الحجة برك • ويقال فيه أيضا أبروك وكانوا يسمونه الميمون ثم سمت العرب أشهرها بالمحرم • وصفر • وربيع الاول • وربيع الآخر • وجادى الاول • وجادى الآخرة • ورجب • وشعبان • ورمضان • وشوال • وذى القعدة • وذى الحجة • واشتقوا اسماءها من أمور اتفق وقوعها عند تسميتها فالمحرم كانوا يحرمون فيه القتال وصفر كانت تصفر فيه بيوتهم لخروجهم الى الغزو وشهرا ربيع كانا زمن الربيع وشهرا جمادى كانا يجمد فيهما الماء لشدة البرد ورجب الوسط وشعبان يشعب فيه القتال ورمضان من الرضاء لانه كان يأتي فيه القيظ وشوال تشيل فيه الابل أذنابها وذو القعدة لعمودهم فى دورهم وذو الحجة لانه شهر الحج وأنت اذا تأملت اشتقاق اسماء شهور الجاهلية أولا ثم اشتقاقها ثانيا تبين لك أن بين التسميتين زمنا طويلا فان صفر فى أحدها هو صميم الحروب وفى الآخر رمضان ولا يمكن ذلك فى وقت واحد أو وقتين متقاربين وكانت العرب أولا تستعمل هذه الشهور على نحو ما يستعمله أهل الاسلام اما بطريق الهى اولان العرب لم يكن لها دراية بمراعاة حساب حركات الثيرين فاحتاجت الى استعمال مبادئ الشهور لرؤية الالهة وجمعت زمان الشهر بحسب ما يقع بين كل هلالين فرما كان بعض الشهور تاما أعنى ثلاثين يوما وربما كان ناقصا أعنى تسعة وعشرين يوما وربما كانت أشهر متوالية تامة أكثرها أربعة وهذا نادر وربما كانت أشهر متوالية ناقصة أكثرها ثلاثة وكان يقع حج العرب فى أزمنة السنة كلها وهو أبدا عاشر ذى الحجة من عهد ابراهيم واسماعيل عليهما السلام فاذا انقضى موسم الحج تفرقت العرب طالبة أما كنها وأقام أهل مكة بها فلم يزالوا على ذلك دهر طويلا الى أن غيروا دين ابراهيم واسماعيل فأحبوا أن يتوسعوا فى معبشتهم ويجعلوا حجهم فى وقت ادراك شغلهم من الادم والجلود والثمار ونحوها وأن يثبت ذلك على حالة واحدة فى أطيب الازمنة وأخصبها فتعلموا كبس الشهور من اليهود الذين نزلوا يثرب من عهد شمويل نبي بنى اسرائيل وعملوا النسئ قبل الهجرة بنحو مائتي سنة وكان الذى يلى النسئ يقال له القامس يعنى الشريف وقد اختلف فى أول من أنسا الشهور منهم فقيل القامس هو عدي بن زيد وقيل القامس هو سرير بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة وانه قال أرى شهور الالهة ثلثمائة وأربعة وخمسين يوما وأرى شهور العجم ثلثمائة وخمسة وستين يوما فيننا وبينهم احد عشر يوما فى كل ثلاث

سنتين ثلاثه وثلاثون يوما ففي كل ثلاث سنين شهر وكان اذا جاءت ثلاث سنين قدم الحج في ذي القعدة فاذا جاءت ثلاث سنين آخر في المحرم وكانت العرب اذا حجت قدمت الابل النعال والبستها الجلال وأشعرتها فلا يتعرض لها أحد الا ختم وكان النسيء في بني كنانة ثم في بني ثعلبة بن مالك بن كنانة وكان الذي يلبى ذلك منهم أبو ثمامة المالكي ثم من بني فقيم وبنو فقيم هم النساء وهو منسئ الشهور وكان يقوم على باب الكعبة فيقول ان آلهتكم العزى قد أنسأت صفر الاول وكان يحله عاما ويحرمه عاما وكان أتباعهم على ذلك غطفان وهوازن وسليم وتميم وآخر النساء جنادة بن عوف بن أمية بن قلع بن عباد بن حذيفة ابن عبد بن فقيم وقيل القلمس هو حذيفة بن عبد بن فقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة ابن الحارث بن مالك بن كنانة ثم توارث ذلك منه بنوه من بعده حتى كان آخرهم الذي قام عليه الاسلام أبو ثمامة جنادة وكانت العرب اذا فرغت من حجها اجتمعت اليه فأحل لهم من الشهور وحرم فأحلوا ما أحل وحرموا ما حرم وكان اذا أراد أن ينسئ منها شيئا أحل المحرم فأحلوه وحرم مكانه صفر فحرموه ليواطئوا عدة الاربعة فاذا أرادوا الهدى اجتمعوا اليه فقال اللهم اني لا أجاب ولا أعاب في أسرى والامر لما قضيت اللهم اني قد احللت دماء المحلين من طي وختم فاقبلوهم حيث ثققتهم وهم اي ظفرتهم بهم اللهم اني قد احللت احد الصفرين الصفر الاول وانسأت الآخر من العام المقبل وانما احل دم طي وختم لانهم كانوا يعدون على الناس في الشهر الحرام من بين جميع العرب * وقيل اول من أنسأ سرير بن ثعلبة وانقرض فأنسأ من بعده ابن اخيه القلمس واسمه عدي بن عامر ابن ثعلبة بن الحرث بن كنانة ثم صار النسيء في ولده وكان آخرهم أبو ثمامة جنادة وقيل عوف بن أمية بن قلع عن ابيه أمية بن قلع عن جده قلع بن عباد عن جد ابيه عباد بن حذيفة عن جد جده حذيفة بن عبد بن فقيم وكان يقال لحذيفة القلمس وهو اول من أنسأ الشهور على العرب فأحل منها ما أحل وحرم ما حرم ثم كان بعد عوف المذكور ولده أبو ثمامة جنادة بن عوف وعليه قام الاسلام وكان ابعدهم ذكرا واطولهم امدا يقال انه أنسأ اربعين سنة. ولهم يقول عمير بن قيس جذل الطعان يفتخر

واي الناس لم يسبق بوتر * واي الناس لم يعلك لجاما

السنا الناسين على معد * شهور الحل نجعلها حراما

وقال آخر

أترعم اني من فقيم بن مالك * لعمرى لقد غيرت ما كنت اعلم

لهم ناسئ يمشون تحت لوائه * يحل اذا شاء الشهور ويحرم

وقيل كانت العرب تكبس في كل اربع وعشرين سنة قرية بتسعة اشهر فكانت شهورهم

نابتة مع الازمنة جارية على سنن واحد لا تتأخر عن أوقاتها ولا تتقدم وكان النسيء الاول للمحرم فسمى صفر باسمه وشهر ربيع الاول باسم صفر ثم والوا بين اسماء الشهور فكان النسيء الثاني بصفر فسمي الذي كان يتلوه بصفر أيضاً وكذلك حتى دار النسيء في الشهور الاثني عشر وعاد الى المحرم فأعادوا فعلهم الاول وكانوا يعدون أدوار النسيء ويحدون بها الازمنة فيقولون قد دارت السنون من لدن زمان كذا الى زمان كذا كذا وكذا دورة فان ظهر لهم مع ذلك تقدم شهر عن فصله من الفصول الاربعة لما يجتمع من كسور سنة الشمس بقية فضل ما بينها وبين سنة القمر الذي أحقوه بها كبسوها كبساً ثانياً وكان يظهر لهم ذلك بطول منازل القمر وسقوطها حتى هاجر النبي صلى الله عليه وسلم وكانت نوبة النسيء بلغت شعبان فسمي محرماً وشهر رمضان صفر وقيل ان النسيء الاول نسيء المحرم وجعله كبساً وأخر المحرم الى صفر وصفر الى ربيع الاول وكذا بقية الشهور فوقع لهم في تلك السنة عاشر المحرم وجعل تلك السنة ثلاثة عشر شهراً ونقل الحج بعد كل ثلاث سنين شهراً فضى على ذلك مائتان وعشر سنين وكان انقضاؤها سنة حجة الوداع وكان وقوع الحج في السنة التاسعة من الهجرة عاشر ذي القعدة وهي السنة التي حج فيها أبو بكر الصديق رضى الله عنه بالناس ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة العاشرة حجة الوداع لوقوع الحج فيها عاشر ذي الحجة كما كان في عهد ابراهيم واسماعيل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في حجته هذه ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض يعني رجوع الحج والشهور الى الوضع وأزل الله تعالى ابطال النسيء بقوله تعالى انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ابواطأوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم فبطل ما أحدثته الجاهلية من النسيء واستمر وقوع الحج والصوم برؤية الالهة والله الحمد * وكانت العرب لها تواريخ معروفة عندها قد بادت فما كانت تؤرخ به ان كنانة أرخت من موت كعب بن لؤى حتى كان عام الفيل فأرخوا به وهو عام مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بين كعب بن لؤى والفيل خمسمائة وعثرون سنة وكان بين الفيل وبين الفجار أربعون سنة ثم عدوا من الفجار الى وفاة هشام بن المغيرة فكان ست سنين ثم عدوا من وفاة هشام بن المغيرة الى بنيان الكعبة فكان تسع سنين ثم كان بين بنائها وبين هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة سنة ثم وقع التاريخ من الهجرة النبوية فمن سعيد بن المسيب قال جمع عمر ابن الخطاب رضى الله عنه الناس فسألهم من أي يوم يكتب التاريخ فقال علي بن أبي طالب من يوم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك أرض الشرك ففعله عمر وعن سهل ابن سعد الساعدي قال أخطأ الناس في العدد ما عدوا من مبعثه ولا من وفاته أنما عدوا

من مقدمه المدينة وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان التاريخ من السنة التي قدم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقال قرّة بن خالد عن محمد كان عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه عامل جاء من اليمن فقال لعمراً تؤرخون تكتبون في سنة كذا وكذا من شهر كذا وكذا فأراد عمر والناس أن يكتبوا من مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالوا من عند وفاته ثم أرادوا أن يكون ذلك من الهجرة ثم قالوا من أى شهر فأرادوا أن يكون من رمضان ثم بدا لهم فقالوا من المحرم وقال ميمون بن مهران رفع الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه صك محله شعبان فقال أى شعبان هو شعبان الذى نحن فيه أو الآتى ثم جمع وجوه الصحابة فقال ان الاموال قد كثرت وما قسمنا منها غير موقت فكيف التوصل الى ما يضبط به ذلك فقالوا يجب أن يعرف ذلك من رسوم الفرس فعندها استحضر عمر رضى الله عنه الهرمزان وسأله عن ذلك فقال ان لنا حساباً نسميه ماه روز معناه حساب الشهور والايام ففرّبوا الكلمة وقالوا مؤرخ ثم جعلوه اسم التاريخ واستعملوه ثم طلبوا وقتاً يجعلونه أولاً لتاريخ دولة الاسلام فاتفقوا على أن يكون المبدأ من سنة الهجرة وكانت الهجرة النبوية من مكة الى المدينة وقد تصرم من شهور السنة وأيامها المحرم وصفر وأيام من ربيع الاول فلما عزموا على تأسيس الهجرة رجعوا القهقري ثمانية وستين يوماً وجعلوا التاريخ من أول محرم هذه السنة ثم أحصوا من أول يوم في المحرم الى آخر عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان عشر سنين وشهرين وأما اذا حسب عمره المقدس من الهجرة حقيقة فيكون قد عاش صلى الله عليه وسلم بعدها تسع سنين وأحد عشر شهراً واثنين وعشرين يوماً وكان بين مولده صلى الله عليه وسلم وبين مولد المسيح عليه السلام خمسمائة وثمان وسبعون سنة تنقص شهرين وثمانية أيام وأبتداء تاريخ الهجرة يوم الخميس أول شهر الله المحرم وبينه وبين الطوفان ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمس وثلاثون سنة وعشرة أشهر واثنان وعشرون يوماً على ما عرفنا من الخلاف في ذلك وبينه وبين تاريخ الاسكندر بن فيليبس المقدوني الرومي تسعمائة واحد وستون سنة قرية وأربعة وخمسون يوماً تكون من السنين الشمسية تسعمائة واثنين وثلاثين سنة ومائتين وتسعة وثمانين يوماً عنها تسعة أشهر وتسعة عشر يوماً وبينه وبين تاريخ القبط ثلثمائة وسبع وثلاثون سنة وتسعة وثلاثون يوماً (١) وقال ابن ماسأل الله ان انتقل المر من المثلثة الهوائية التي هي برج الجوزاء دولتها الى برج السرطان ومثلثته المائثة التي كانت دولة الاسلام فيها عند تمام ستة آلاف وثلثمائة وخمس وأربعين سنة وثلاثة أشهر وعشرين يوماً من وقت القران

(١) قوله وقال ابن الخ هكذا هذه العبارة في جميع النسخ التي بيدي ولا تخلو عن

تحريف ظاهر ككثير من عبارات هذا الكتاب ولا يعلم الغيب الا الله اهـ

الاول الواقع في بدء التحرك يعني خلق آدم عليه السلام وان القران من هذه المثلثة وقع في أربع درج ودقيقة واحدة من برج العقرب وهو قران الملة الاسلامية قال وفي السنة الثانية من هذا القران ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بين دخول الشمس برج الحمل في هذه السنة وبين أول يوم من سنة الهجرة سنون فارسية عدتها احدى وخمسون سنة وثلاثة أشهر وثمانية أيام وست عشرة ساعة فكان من وقت الطوفان الى وقت قران الملة ثلاثة آلاف وتسعمائة واثننا عشرة سنة وستة أشهر وأربعة عشر يوما * وزعمت اليهود أن من آدم عليه السلام الى سنة الهجرة أربعة آلاف واثنين وأربعين سنة وثلاثة أشهر * وزعمت النصارى أن بينهما خمسة آلاف وتسعمائة وتسعين سنة وثلاثة أشهر * وزعمت المجوس أعني الفرس أن بينهما أربعة آلاف ومائة واثنين وثمانين سنة وعشرة أشهر وتسعة عشر يوما وقد عرفت أن شهور تاريخ الهجرة قرية وأيام كل سنة منها عدتها ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما وخمس وسدس يوم وجميع الاحكام الشرعية مبنية على رؤية الهلال عند جميع فرق الاسلام ما عدا الشيعة فان الاحكام مبنية عندهم على عمل شهور السنة بالحساب على ما ستراه في ذكر القاهرة وخلفائها ثم لما احتاج منجمو الاسلام الى استخراج ما لا بد منه من معرفة الالهة وسمت القبلة وغير ذلك بنو أزياجهم على التاريخ العربي وجعلوا شهور السنة العربية شهرا كاملا وشهرا ناقصا وابتدؤا بالحرم اقتداء بالصحابة رضي الله عنهم فجعلوا الحرم ثلاثين يوما وصفر تسعة وعشرين يوما وربيعا الاول ثلاثين يوما وربيعا الآخر تسعة وعشرين يوما وجمادى الاولى ثلاثين يوما وجمادى الآخرة تسعة وعشرين يوما ورجب ثلاثين يوما وشعبان تسعة وعشرين يوما ورمضان ثلاثين يوما وشوال تسعة وعشرين يوما وذا القعدة ثلاثين يوما وذا الحجة تسعة وعشرين يوما وزادوا من أجل كسر اليوم الذي هو خمس وسدس يوما في ذى الحجة اذا صار هذا الكسر أكثر من نصف يوم فيكون شهر ذى الحجة في تلك السنة ثلاثين يوما ويسمون تلك السنة كبيسة ويصير عددها ثلثمائة وخمسة وخسين يوما ويجتمع في كل ثلاثين من الكبس أحد عشر يوما والله أعلم *

وأما تاريخ الفرس ويعرف أيضا بتاريخ يزدجرد فانه من ابتداء تملك يزدجرد بن شهر يار ابن كسرى ابرويز أرخ به الفرس من أجل أن يزدجرد قام في المملكة بعد ما تبدد ملك فارس واستولى عليه النساء والمتغلبون وهو أيضا آخر ملوك فارس وبقتله تمزق ملكهم وأول هذا التاريخ يوم الثلاثاء وينتهي بين تاريخ الهجرة تسع سنين وثلثمائة وثمانية وثلاثون يوما وأيام سنة هذا التاريخ تنقص عن السنة الشمسية ربع يوم فيكون في كل مائة وعشرين سنة شهرا واحدا ولهم في كبس السنة آراء ليس هذا موضع ايرادها وعلى هذا التاريخ يعتمد في زمننا أهل العراق وبلاد العجم والله عاقبة الامور

ذكر فسطاط مصر

قال الجوهري الفسطاط بيت من شعر قال ومنه فسطاط مدينة مصر اعلم أن فسطاط مصر اختط في الاسلام بعدما فتحت أرض مصر وصارت دار اسلام وقد كانت بيد الروم والقبط وهم نصارى ملكانية ويعقوبية وميانية وحين اختط المسلمون الفسطاط انتقل كرسي المملكة من مدينة الاسكندرية بعد ما كانت منزل الملك ودار الامارة زيادة على تسعمائة سنة وصار من حينئذ الفسطاط دار امارة ينزل به أمراء مصر فلم يزل على ذلك حتى بنى العسكر بظاهر الفسطاط فنزل فيه أمراء مصر وسكنوه وربما سكن بعضهم الفسطاط فلما أنشأ الأمير أبو العباس أحمد بن طولون القطائع بجانب العسكر سكن فيها واتخذها الامراء من بعده منزلا الى أن انقرضت دولة بني طولون فصار أمراء مصر من بعد ذلك ينزلون بالعسكر خارج الفسطاط وما زالوا على ذلك حتى قدمت عساكر الامام المعز لدين الله أبي تميم معد الفاطمي مع كاتبه جوهر القائد فبنى القاهرة وصارت خلافة واستمر سكنى الرعية بالفسطاط وبلغ من وفور العمارة وكثرة الخلائق ما أربى على عامة مدن المعمور حاشا بغداد وما زال على ذلك حتى تغلب الفرنج على سواحل البلاد الشامية ونزل مري ملك الفرنج بجموعه الكثيرة على بركة الحبش يريد الاستيلاء على مملكة مصر وأخذ الفسطاط والقاهرة فعجز الوزير شاور بن مجير السعدي عن حفظ البلدين معاً فأمر الناس باخلاء مدينة الفسطاط والالتحاق بالقاهرة للامتناع من الفرنج وكانت القاهرة اذ ذاك من الحصانة والامتناع بحيث لا ترام فارتحل الناس من الفسطاط وساروا بأسرهم الى القاهرة وأمر شاور فألقى العبيد النار في الفسطاط فلم تزل به بضعا وخمسين يوما حتى احترقت أكثر مساكنه فلما رحل مري عن القاهرة واستولى شريكوه على الوزارة تراجع الناس الى الفسطاط ورموا بعض شعثه ولم يزل في نقص وخراب الى يومنا هذا وقد صار الفسطاط يعرف في زمننا بمدينة مصر والله أعلم

ذكر ما كان عايه موضع الفسطاط قبل الاسلام الى أن اختطه المسلمون مدينة
اعلم أن موضع الفسطاط الذي يقال له اليوم مدينة مصر كان فضاء ومزارع فيما بين النيل والجيل الشرقى الذى يعرف بالجيل المقطم ليس فيه من البناء والعمارة سوى حصن يعرف اليوم بعضه بقصر الشمع وبالمعلقة ينزل به شحنة الروم المتولى على مصر من قبل القياصرة ملوك الروم عند مسيره من مدينة الاسكندرية ويقم فيه ما شاء ثم يعود الى دار الامارة ومنزل الملك من الاسكندرية وكان هذا الحصن مطلا على النيل وتصل السفن في النيل الى بابه الغربى الذى كان يعرف بباب الحديد ومنه ركب المقوقس في السفن في النيل من بابه الغربى حين غلبه المسلمون على الحصن المذكور وصار فيه الى الجزيرة التي تجامها الحصن

وهي التي تعرف اليوم بالروضة قبالة مصر وكان مقياس النيل بجانب الحصن * وقال ابن المتوج وعمود المقياس موجود في زقاق مسجد ابن النعمان قلت وهو باق الى يومنا هذا أعني سنة عشرين وثمانمائة وكان هذا الحصن لا يزال مشحوناً بالمقاتلة وسيرد في هذا الكتاب خبره ان شاء الله تعالى وكان بجوار هذا الحصن من بحريه وهي الجهة الشمالية أشجار وكروم صار موضعها الجامع العتيق وفيما بين الحصن والجبل عدة كنائس وديارات للنصارى في الموضع الذي يعرف اليوم براشدة وبجانب الحصن فيما بين الكروم التي كانت بجانبه وبين الجرف الذي يعرف اليوم بجبل يشكر حيث جامع ابن طولون والكباش عدة كنائس وديارات للنصارى في الموضع الذي كان يعرف في أوائل الاسلام بالخمراء وعرف الآن بخط قناطر السباع والسبع سقايات وبقي بالخمراء عدة من الديارات الى أن هدمت في سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون على ما ذكر في هذا الكتاب عند ذكر كنائس النصارى فلما افتتح عمرو بن العاص مدينة الاسكندرية الفتح الاول نزل بجوار هذا الحصن واخطط الجامع المعروف بالجامع العتيق وبجامع عمرو بن العاص واخطط قبائل العرب من حوله فصارت مدينة عرفت بالفسطاط ونزل الناس بها فانحسر بعد الفتح بأعوام ماء النيل عن أرض تجاه الحصن والجامع العتيق فصار المسلمون يوقفون هناك دوابهم ثم اختلطوا فيه المساكن شيئاً بعد شيء وصار ساحل البلد حيث الموضع الذي يقال له اليوم في مصر المعاريج ماراً الى الكوم الذي على يسرة الداخل من باب مصر بمجد الكبارة وفي موضع هذا الكوم كانت الدور المطلة على النيل ويمر الساحل من باب مصر المذكور الى حيث بستان بن كيسان الذي يعرف اليوم ببستان الطواشي في أول مراغة مصر وجميع الاماكن التي تعرف اليوم بمراغة مصر والجرف الى الخليج عرضاً ومن حيث قنطرة السد الى سوق المعاريج طولاً كان غامراً بماء النيل الى أن انحسر عنه ماء النيل بعد سنة ست مائة من سني الهجرة فصار رملة ثم اختلط فيه الامراء بما يلي النيل آدرا عند ما عمر الملك الصالح نجم الدين أيوب قلعة الروضة واخطط بمضه شونا الى أن أنشأ الملك الناصر محمد بن قلاوون جامعاً المعروف بالجامع الجديد الناصري ظاهر مصر فعمر ما حوله وقد كان عند فتح مصر سائر المواضع التي من منشأة المهراني الى بركة الحبش طولاً ومن ساحل النيل بموردة الخلفاء وتجاه الجامع الجديد الى سوق المعاريج وما على سمتة الى تجاه المشهد الذي يقال له مشهد الرأس وتسميه العامة اليوم مشهد زين العابدين كلها بجزا لا يحول بين الحصن والجامع وما على سمتهما الى الخمراء الدنيا التي منها اليوم خط قناطر السباع وبين جزيرة مصر التي تعرف اليوم بالروضة شيء سوى ماء النيل وجميع ما في هذه المواضع من الابنية انكشف عنه النيل قليلاً قليلاً واخطط على ما يتبين لك في هذا الكتاب

ذكر الحصن الذي يعرف بقصر الشمع

اعلم أن هذا القصر أحدث بعد خراب مصر على يد بخت نصر وقد اختلف في الوقت الذي بني فيه ومن أنشأه من الملوك فذكر الواقدي أن الذي بناه اسمه الريان بن الوليد ابن ارسلان وكان هذا القصر يوقد عليه الشمع في رأس كل شهر وذلك أنه اذا حلت الشمس في برج من البروج اوقد في تلك الليلة الشمع على رأس ذلك القصر فيعلم الناس بوقود الشمع أن الشمس انتقلت من البرج الذي كانت فيه الى برج آخر غيره ولم يزل القصر على حاله الى أن خربت مصر زمن بخت نصر بن نيروز السكدياني فأقام خرابا خمسمائة سنة ولم يبق منه الا أثره فقط فلما غاب الروم على مصر وملكوها من أيدي اليونانيين ولي مصر من قبلهم رجل يقال له ارجاليس بن مقراطيس فبني القصر على ما وجد من أساسه وقال ابن سعيد وصارت مصر والشام بعد بخت نصر في مملكة الفرس فوليا منهم كشرجوش الفارسي وباني قصر الشمع وبعده طخارست الطويل الولاية وتوالت بعد نواب الفرس الى ظهور الاسكندر وقال غيره ان الذي بناه طخشاشت أحد ملوك الفرس عند ماسار لمحاربة أهل مصر فلما غلب قسطو ملك مصر الذي يعرف بفرعون سابان وفرمته الى مقدونية غلب على ملك مصر واستولى عليها وبني للفرس قصرا وجعل فيه بيت نار على شاطئ النيل الشرقي وعرف بقصر الشمع لانه كان له باب يقال له باب الشمع وجعل في القصر بيت نار وهو باق * وقال ابن عبد الحكم عن الليث بن سعد وكانت الفرس قد أسست بناء الحصن الذي يقال له باب اليون وهو الحصن الذي بفسطاط مصر اليوم فلما انكشفت جموع فارس عن الروم وأخرجتهم الروم من الشام أتمت بناء ذلك الحصن وأقامت به فلم تزل مصر في ملك الروم حتى فتحها الله تعالى على المسلمين قال وكان أبو الاسود نصر بن عبد الجبار يقولها بالميم يعني باب اليوم ويقال انما سمي كذا لانهم كانوا يقولون من يقاتل اليوم * وقال القضاعي ذكر الحصن المعروف بقصر الشمع يقال ان فارس لما ظهرت على الروم ومالكت عليهم الشام ومالكت مصر بدأت ببناء هذا القصر وبنت فيه هيكلا لبيت النار ولم يتم بناؤه على أيديهم الى أن ظهرت الروم عليهم فتممت بناءه وحصنته ولم تزل فيه الى حين الفتح وهيكل النار هو القبصة المعروفة اليوم بقبة الدخان وبحضرتها مسجد معلق احده المسمون * وقال أبو عبيد البكري باب اليون بمصر ان كان عربيا فانه مثل يوم ويوح مما فاؤه ياء وعينه واو وقد يجوز أن يكون فعلا من بين وهو اسم موضع على مذهب أبي الحسن في فعل من البيع بوع قال وليست الالف واللام فيه للتعريف فعلى هذا يجب أن تثبت في الرسم وقال أبو صخر

وحلواتها مى ارضنا وتبدلوا * بمكة باب اليون والربط بالعصب

والرواية في شعر كثير عزة في قوله

جری بین باب البون والعصب * دونه رباح اشفت بالثق واشمت

بالباء وبفتح النون غير مجرور للعجمة على أن همزته مقطوعة وصاحبها للضرورة وقال الحازمي باب البون بالباء اسم مدينة مصر فتحها المسلمون وسموها القسطاط وقال عبيد الملك بن هشام بابليون المنسوب اليه مصر هو بابليون بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وإن من ولده عمرو بن أمريء القيس بن بابليون بن سبا وهو الملك على مصر لما قدم اليها ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه والقبط تسمي عمرا هذا طوطيس ومن ولده حلوان ابن بابليون بن عمرو بن أمريء القيس وبه سميت حلوان * وقال القاضي القضاعي في ظاهر القسطاط القصر المعروف بباب ليون بالشرف ليون اسم بلد مصر بلغة السودان والروم وقد بقيت من بنائه بقية مبنية بالحجارة على طرف الحيل بالشرف وعليه اليوم مسجد قال المؤلف فهذا كما ترى صريح في أن قصر بابليون غير قصر الشمع فإن قصر الشمع في داخل القسطاط وقصر باب ليون هذا عند القضاعي على الحيل المعروف بالشرف والشرف خارج القسطاط وهو خلاف ما قاله ابن عبد الحكم في كتاب فتوح مصر والله أعلم * ويقال ان في زمن ناحور بن شاروع وهو الثامن عشر من آدم ملك مصر رجل اسمه افطوطس مدة اثنتين وثلاثين سنة وانه أول من اظهر علم الحساب والسحر وحمل كتب ذلك من بلاد الكلدانيين الى مصر وفي ذلك الزمان بنيت بابليون على بحر النيل بمصر وذلك لتقام ثلاثة آلاف وثلاثمائة وتسعين للعالم وقال ابن سعيد في كتاب المغرب وأما فسطاط مصر فإن مبانيها كانت في القديم متصلة بمباني مدينة عين شمس وجاء الاسلام وبها بناء يعرف بالقصر حوله مساكن وعليه نزل عمرو بن العاص وضرب فسطاطه حيث المسجد الجامع المنسوب اليه وهذا وهم من ابن سعيد فإن فسطاط عمرو إنما كان مضمروبا عند درب حمام شمول بخط الجامع هكذا هو بخط الشريف محمد بن أسعد الجواني النسابة وهو أقعد بخط مصر وأعرف من ابن سعيد وأما موضع الجامع فكان كروما وجنانا وحاز موضعه قيسية التيجي ثم تصدق به على المسلمين فعمل المسجد وستقف على هذا ان شاء الله تعالى في ذكر جامع عمرو عند ذكر الجوامع من هذا الكتاب * وقال ابن المتوج خط قصر الشمع هذا الخط يعرف بقصر الشمع وفيه قصر الروم وفيه ازقة ودروب قال وكنيسة المعلقة بمصر بباب القصر وهو قصر الروم * وقال ابن عبد الحكم وأقر عمرو بن العاص القصر لم يقسمه ووقفه * وقال أبو عمرو السكندی في كتاب الامراء وقد ذكر قيام علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن ابن علي بن أبي طالب وطروق المسجد في اماره يزيد بن حاتم بن قيسمة بن المهلب بن أبي صفرة على مصر وورد كتاب أبي جعفر المنصور على يزيد بن حاتم يأمره بالتحويل من

العسكر الى القسطنطين وآن يجعل الديوان في كنائس القصر وذلك في سنة ست وأربعين ومائة
والله أعلم

ذكر حصار المسلمين للقصر وفتح مصر

اختلف الناس في فتح مصر فقال محمد بن اسحق وأبو معشر ومحمد بن عمرو الواقدي
وزيد بن أبي حبيب وأبو عمرو الكندي فتحت سنة عشرين وقال سيف بن عمر فتحت
سنة ست عشرة وقيل فتحت سنة ست وعشرين وقيل سنة احدى وعشرين وقيل سنة
اثنين وعشرين والاول اصح وأشهر * قال ابن عبيد الحكم لما قدم عمر بن الخطاب رضى
الله عنه الجابية قام اليه عمرو بن العاص فخفا به فقال يا أمير المؤمنين ائذن لي ان أسير الى
مصر وحرضه عليها وقال انك ان فتحتها كانت قوة للمسلمين وعونا لهم وهي أكثر الارض
أموالا وأعجز عن القتال والحرب فتحوف عمر بن الخطاب وكره ذلك فلم يزل عمرو يعظم
أمرها عند عمر بن الخطاب ويخبره بحالها ومهون عليه فتحها حتى ركن لذلك ففقد له على
أربعة آلاف رجل كلهم من عك ويقال بل ثلاثة آلاف وخمسمائة وقال له عمر سر وأنا
مستخير الله في مسيرك وسيأتيك كتابي سرى ما ان شاء الله تعالى فان ادركك كتابي أمرك
فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخلها أو شيئا من أرضها فانصرف وان أت دخلها قبل
أن يأتيك كتابي فامض لوجهك واستعن بالله واستنصره فصار عمرو بن العاص من جوف
الليل ولم يشعر به أحد من الناس واستخار عمر الله فكانه تخوف على المسلمين في وجههم
ذلك فكتب الى عمرو بن العاص أن ينصرف بمن معه من المسلمين فأدرك عمرا الكتاب
اذ هو برفج فتحوف عمرو ان هو أخذ الكتاب وفتحه أن يجد فيه الانصراف كما عهد
اليه عمر فلم يأخذ الكتاب من الرسول ودافعه وسار كما هو حتى نزل قرية فيما بين رفج
والعريش فسأل عنها ف قيل انها من مصر فدعا بالكتاب فقرأه على المسلمين فقال عمرو لمن
معه أستم تعلمون أن هذه القرية من مصر قالوا بلى قال فان أمير المؤمنين عهد الى وأمرني ان
لحقني كتابه ولم أدخل أرض مصر أن ارجع ولم يلحقني كتابه حتى دخلنا أرض مصر فسيروا
وامضوا على بركة الله ويقال بل كان عمره بفلسطين فتقدم عمرو بأصحابه الى مصر بغير إذن
فكتب فيه الى عمر رضى الله عنه فكتب اليه عمر وهو دون العريش فحبس الكتاب فلم
يقرأه حتى بلغ العريش فقرأه فاذا فيه من عمر بن الخطاب الى العاصي بن العاصي أما بعد
فانك سرت الى مصر ومن معك وبها جموع الروم وانما معك نفر يسير ولعمري لو نكل
بك ما سرت بهم فان لم تكن بلغت مصر فارجع فقال عمرو الحمد لله أية أرض هذه قالوا من
مصر فتقدم كما هو ويقال بل كان عمرو في جنده على قيسارية مع من كان بها من اجناد
المسلمين وعمر بن الخطاب رضى الله عنه اذ ذاك بالجابية فكتب سرا فاستأذن أن يسير الى

مصر وأمر أصحابه فتفتحوا كالكفوم الذين يريدون أن يتنحوا من منزل إلى منزل قريب ثم سار بهم ليلا فلما فقدوا أمراء الأجناد استنكروا الذي فعل ورأوا أن قد غدر فرفعوا ذلك إلى عمر بن الخطاب فكتب إليه عمر إلى العاصي ابن العاصي أما بعد فإني قد غدرت بمن معك فإن أدركك كتابي ولم تدخل مصر فارجع وإن أدركك وقد دخلت فامض واعلم أنني بمدك * ويتأهل أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب إلى عمرو بن العاص بعد ما فتح الشام أن أئدب الناس إلى المسير معك إلى مصر فمن خف معك فسر به وبعث به مع شريك ابن عبدة فندبهم عمرو فأسرعوا إلى الخروج مع عمرو ثم إن عثمان بن عفان رضى الله عنه دخل على عمر بن الخطاب فقال عمر كتب إلى عمرو بن العاص يسير إلى مصر من الشام فقال عثمان يا أمير المؤمنين إن عمرا لحرى وفيه أقدام وحب للإمارة فأخشى أن يخرج في غير ثقة ولا جماعة فيعرض المسلمون للهلكة رجاء فرصة لا يدري تكون أم لا فتقدم عمر على كتابه إلى عمرو واشفق مما قال عثمان فكتب إليه أن أدركك كتابي قبل أن تدخل إلى مصر فارجع إلى موضعك وإن كنت دخلت فامض لوحبك فلما بلغ المقوقس قدوم عمرو بن العاص إلى مصر توجه إلى موضع الفسطاط فكان يجهر على عمرو الحيوش وكان على القصر رجل من الروم يقال له الأعرج واليا عليه وكان تحت يد المقوقس وأقبل عمرو حتى إذا كان بجبل الجلال نقرت معه راشدة وقبائل من لحم فتوجه عمرو حتى إذا كان بالعريش أدركه النحر فضحى عن أصحابه يومئذ بكبش وتقدم فكان أول موضع قوتل فيه الفرما قاتله الروم قتالا شديدا نحووا من شهر ثم فتح الله عليه وكان عبد الله بن سعد على ميمنة عمرو منذ توجه من قيسارية إلى أن فرغ من حربه وكان بالاسكندرية أسقف للقبط يقال له ابوميامين فلما بلغه قدوم عمرو إلى مصر كتب إلى القبط يعلمهم أنه لا يكون للروم دولة وإن ملكهم قد انقطع وبأمرهم يتلقى عمرو فيقال إن القبط الذين كانوا بالفرما كانوا يومئذ لعمرو أعوانا ثم توجه عمرو لا يدافع إلا بالامر الخفيف حتى نزل القواصر فسمع رجل من لحم نفرا من القبط يقول بعضهم لبعض ألا تعجبون من هؤلاء القوم يقدمون على جموع الروم وانماهم في قلة من الناس فأجابه رجل منهم فقال إن هؤلاء القوم لا يتوجهون إلى أحد الاظهروا عليه حتى يقتلوا خيرهم وتقدم عمرو لا يدافع إلا بالامر الخفيف حتى أتى بليس فقاتلوه بها نحووا من الشهر حتى فتح الله عليه ثم مضى لا يدافع إلا بالامر الخفيف حتى أتى أم دنين فقاتلوه بها قتالا شديدا وأبطأ عليه الفتح فكتب إلى عمر يستمده فأمدّه بأربعة آلاف تمام ثمانية آلاف وقيل بل أمدّه بأثنى عشر ألفا فوصلوا إليه أرسالا يتبع بعضهم بعضا فكان فيهم أربعة آلاف عليهم أربعة الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود وعبادة بن الصامت ومسامة بن مخلد وقيل إن الرابع خارجة بن حذافة دون مسامعة ثم

احاط المسلمون بالحصن واميره يومئذ المندقور الذي يقال له الاعيرج من قبل المقوقس ابن قرقت اليوناني وكان المقوقس ينزل الاسكندرية وهو في سلطان هرقل غير أنه كان حاصر الحصن حين حاصره المسلمون فقاتل عمرو بن العاص من بالحصن وجاء رجل الى عمرو فقال اندب معي خيلا حتى آتى من دياراتهم عند القتال فأخرج معه خمسمائة فارس عليهم خارجة بن حذافة في قول فساروا من وراء الحيل حتى دخلوا مغاربني وائل قبل الصبح وكانت الروم قد خندقوا خندقا وجعلوا له أبوابا وبنوا في اقيمتها حسك الحديد فالتقى القوم حين أصبحوا وخرج خارجة من ورائهم فانهزموا حتى دخلوا الحصن وكانوا قد خندقوا حوله فنزل عمرو على الحصن وقاتلهم قتالا شديدا يصحبهم ويمسهم وقيل انه لما أبطأ الفتح على عمرو كتب الى عمر بن الخطاب يستمدد ويعلمه بذلك فأمدّه بأربعة آلاف رجل على كل الف رجل منهم مقام الألف الزبير بن العوام والمقداد بن عمرو وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد وقيل بل خارجة بن حذافة لا يعدون مسلمة وقال عمر اعلم أن معك اثني عشر ألفا ولا تغاب اثنا عشر ألفا من قلة وقيل قدم الزبير في اثني عشر ألفا وان عمرا لما قدم من الشام كان في عدة قليلة فكان يفرق اصحابه ليرى العدو أنهم أكثر مما هم فلما انتهى الى الخندق نادوه أن قد رأينا ما صنعت وانما معك من أصحابك كذا وكذا فلم يخطبوا رجلا واحدا فأقام عمرو على ذلك الا لما يغدو في السحر فيصف اصحابه على أفواه الخندق عليهم السلاح فيبيناهم على ذلك اذ جاءه خبر الزبير بن العوام انه قدم في اثني عشر ألفا فقتلهم عمرو ثم أقبلا يسيران ثم لم يلبث الزبير أن ركب ثم طاف بالخندق ثم فرق الرجال حول الخندق والح عمرو على القصر ووضع عليه المنجنيق ودخل عمرو الى صاحب الحصن فتناظرا في شيء مما هم فيه فقال عمرو أخرج وأستشير أصحابي وقد كان صاحب الحصن أوصى الذي على الباب اذا مر به عمرو أن يلقى عليه صخرة فيقتله ففرو عمرو وهو يريد الخروج برجل من العرب فقال له قد دخلت فانظر كيف تخرج فرجع عمرو الى صاحب الحصن فقال له اني أريد أن آتيك بنفر من أصحابي حتى يسمعوا منك مثل الذي سمعت فقال العالج في نفسه قتل جماعة أحب الى من قتل واحد وأرسل الى الذي كان أمره بما أمره به من قتل عمرو أن لا يتعرض له رجاء أن يأتيه بأصحابه فيقتلهم فخرج عمرو وعبادة بن الصامت في ناحية يصلى وفرسه عنده فراه قوم من الروم فخرجوا اليه وعليهم حاية وبزة فلما دنوا منه سلم من صلاته ووثب على فرسه ثم حمل عليهم فلما رأوه ولوا راجعين فاتبعهم فجعلوا يلقون مناطقهم ومتاعهم ليشغلوه بذلك عن طلبهم وهو لا يلتفت اليه حتى دخلوا الحصن ورمى عبادة من فوق الحصن بالحجارة فرجع ولم يتعرض لشيء مما طرحوا من متاعهم حتى رجع الى موضعه الذي كان به فاستقبل الصلاة وخرج الروم الى متاعهم يجمعونه فلما أبطأ

الفتح على عمر وقال الزبير اني اهب الله نفسي أرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين فوضع
سهما الى جانب الحصن من ناحية سوق الحمام ثم صعد فأمرهم اذا سمعوا تكبيره أن يحيوه
جميعا فما شعروا الا والزبير على رأس الحصن يكبر ومعه السيف وتحامل الناس على السلم حتى
نهبهم عمرو خوفا من أن ينكسر وكبر الزبير فكبرت الناس معه وأجابه المسلمون من خارج
فلم يشك أهل الحصن أن العرب قد اقتحموا جميعا فهربوا وعمد الزبير وأصحابه الى باب
الحصن ففتحوه واقتحم المسلمون الحصن يخاف المقوقس على نفسه ومن معه فحينئذ سأل
عمرو بن العاص الصلح ودعا اليه على أن يفرض للعرب على القبط دينارين على كل رجل
منهم فأجابهم عمرو الى ذلك وكان مكثهم على باب القصر حتى فتحوه سبعة أشهر قال وقد
سمعت في فتح القصر وجها آخر هو أن المسلمين لما حصروا باب اليون كان به جماعة من
الروم وأكابر القبط ورؤسائهم وعليهم المقوقس فقاتلوهم شهرا فلما رأى القوم الجِد من
العرب على فتحه والحرص ورأوا من صبرهم على القتال ورغبهم فيه خافوا أن يظهروا
عليهم فتسحي المقوقس وجماعة من أكابر القبط وخرجوا من باب القصر القبلي ودونهم
جماعة يقاتلون العرب فلحقوا بالجزيرة موضع الصناعة اليوم وأمرنا بقطع الجسر وذلك في
جري النيل ويقال ان الاعيرج تخلف في الحصن بعد المقوقس وقيل خرج معهم فلما خاف
فتح الحصن ركب هو وأهل القوة والشرف وكانت سفنهم ملصقة بالحصن ثم لحقوا بالمقوقس
بالجزيرة فأرسل المقوقس الى عمرو انكم قوم قد ولجتم في بلادنا وألحتم على قتالنا وطال
مقامكم في أرضنا وانما أنتم عصبة يسيرة وقد أظلمتكم الروم وجهزوا اليكم ومعهم من العدة
والسلاح وقد أحاط بكم هذا النيل وانما أنتم أسارى في أيدينا فابعثوا الينا رجلا منكم نسمع
من كلامهم فلعله أن يأتي الامر فيما بيننا وبينكم على ما نحب وينقطع عنا عنكم القتال
قبل أن تغشاكم جموع الروم فلا يتفمنا الكلام ولا تقدر عليه ولعلكم أن تدموا ان كان
الامر مخالفا لطلبتكم ورجائكم فابعثوا الينا رجلا من أصحابكم نعاملهم على ما نرضى نحن وهم
به من شيء فلما أتت عمرو بن العاص رسل المقوقس حبسهم عنده يومين وليلتين حتى خاف
عليهم المقوقس فقال لأصحابه أترون انهم يقتلون الرسل ويستحلون ذلك في دينهم وانما اراد
عمرو بذلك أن يروا حال المسلمين فرد عليهم عمرو مع رسله انه ليس بيني وبينكم الاحدى
ثلاث خصال اما أن دخلتم في الاسلام فكنتم اخوانا وكان لكم مالنا وان أبيتم فأعطيت
الجزية عن يد وأنتم صاغرون واما ان جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا وبينكم
وهو خير الحاكمين فلما جاءت رسل المقوقس اليه قال كيف رأيتم هؤلاء قالوا رأينا قوما
الموت أحب الى أحدهم من الحياة والتواضع أحب الى أحدهم من الرفعة ليس لاحدهم في
الدنيا رغبة ولا نعمة انما جلوسهم على التراب وأكلهم على ركبهم وأميرهم كواحد منهم

ما يعرف رفيعهم من وضعهم ولا السيد منهم من العبد واذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد يغسلون أطرافهم بالماء ويخشعون في صلاتهم فقال عند ذلك المقوقس والذي يخلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لازالوها وما يقوى على قتال هؤلاء أحد ولئن لم نغتنم صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل لم يجيبوا بعد اليوم اذا أمكنتهم الأرض وقووا على الخروج من موضعهم فرد اليهم المقوقس رسله ابعدوا النصارى منكم نعامهم ونسداي نحن وهم الى ما عساه أن يكون فيه صلاح لنا ولكم فبعث عمرو بن العاص عشرة نفر أحدهم عبادة بن الصامت وكان طوله عشرة اشبار وأمره أن يكون متكلم القوم ولا يجيبهم الى شيء يدعو اليه الا احدى هذه الثلاث خصال فان أمير المؤمنين قد تقدم الى ذلك وأمرني ان لا أقبل شيأ سوى خصلة من هذه الثلاث خصال وكان عبادة اسود فلما ركبوا السفن الى المقوقس ودخلوا عليه تقدم عبادة فهاه بالمقوقس لسواده وقال نحوا عنى هذا الاسود وقدموا غيره يكلمني فقالوا جميعا ان هذا الاسود أفضلنا رأيا وعلمنا وهو سيدنا وخيرنا والمقدم علينا وانما نرجع جميعا الى قوله ورأيه وقد أمره الأمير دوننا بما أمره وأمرنا أن لا نخالف رأيه وقوله قال وكيف رضيت أن يكون هذا الاسود أفضلكم وانما ينبغي أن يكون هو دونكم قالوا كلا انه وان كان اسود كما ترى فانه من افضلنا موضعا وافضلنا سابقة وعقلا ورأيا وليس ينكر السواد فينا فقال المقوقس لعبادة تقدم يا اسود وكلمني برفق فاني اهاب سوادك وان اشتد كلامك على ازددت لك هية فتقدم عليه عبادة فقال قد سمعت مقاتلك وان فيمن خلفت من اصحابي ألف رجل اسود كلهم أشد سوادا مني وافطع منظرا ولو رأيتهم لكنت أهيب لهم منك لي وأنا قد وليت وادبر شبابي واتى مع ذلك بحمد الله ما اهاب مائة رجل من عدوى لو استقبلوني جميعا وكذلك اصحابي وذلك انما رغبنا وهمتنا الجهاد في الله واتباع رضوانه وليس غزونا عدونا ممن حارب الله لرغبة في دنيا ولا طلب الاستكثار منها الا أن الله عز وجل قد احل لنا ذلك وجعل ما غنمنا من ذلك حلالا وما يبالي احدنا ان كان له قطار من ذهب ام كان لا يملك الا درهمان لان غاية احدنا من الدنيا اكلة يأكلها يسد بها جوعه ليلته ونهاره وشمله يلتحفها فان كان احدنا لا يملك الا ذلك كفاه . وان كان له قطار من ذهب انفق في طاعة الله واقتصر على هذا الذي بيده . ويبلغه ما كان في الدنيا لان نعم الدنيا ليس بنعيم ورخاءها ليس برخاء انما النعيم والرخاء في الآخرة وبذلك امرنا الله وامرنا به نبينا وعهدنا ان لا تكون همه احدنا من الدنيا الا ما يسد جوعته ويستر عورته وتكون همته وشغله في رضوانه وجهاد عدوه فلما سمع المقوقس ذلك منه قال لمن حوله هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط لقد هبت منظره وان قوله لاهيب عندي من منظره ان هذا واصحابه اخرجهم الله لخراب الارض ما اظن ما لكم الا سيفلج على الارض كلها ثم اقبل

المقوقس على عبادة بن الصامت فقال له ايها الرجل الصالح قد سمعت مقاتلك وما ذكرت
عنتك وعن اصحابك ولعمري ما بلغت ما بلغت الا بما ذكرت وما ظهرتم علي من ظهورهم عليه
الا لجهنم الدنيا ورغبتهم فيها وقد توجه اليها لقتالكم من جمع الروم مالا يحصى عدده قوم
معروفون بالنجدة والشدة ما يبالي احدكم من لقي ولا من قاتل وانا لنعلم انكم لم تقدروا عليهم
ولن تطيقوهم لضعفكم وقتلتكم وقد اقمتم بين اظهروا اشهرا وانتم في ضيق وشدة من معاشكم
وحالكم ونحن نرق عليكم لضعفكم وقتلكم وقلة ما بين ايديكم ونحب تطيب انفسنا ان نصالحكم
على ان نفرض لكل رجل منكم دينارين دينارين ولا ميركم مائة دينار ولخليفتكم الف دينار
فتقبضونها وتصرفون الى بلادكم قبل ان يغشاكم مالا قوام لكم به فقال عبادة بن الصامت
يا هذا لا تفرن نفسك ولا اصحابك اما ما تخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم وانا لا نقوى
عليهم فلعمرى ما هذا بالذي تخوفنا به ولا بالذي يكسرنا عما نحن فيه وان كان ما قلتم حقا
فذلك والله ارجب ما يكون في قتالهم واشد لحرصنا عليهم لان ذلك اعذر لنا عند ربنا اذا
قدمنا عليه ان قتلنا من آخرنا كان امكن لنا في رضوانه وحبته وما شئ اقر لاعتنا ولا احب
لنا من ذلك وانا منكم حيثئذ اعلى احدى الحسينين اما ان تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا ان ظفروا
بكم او غنيمة الآخرة ان ظفرت بنا واولاها احب الخصلتين اليها بعد الاجتهاد منا وان الله
عز وجل قال لنا في كتابه كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وما
منا رجل الا وهو يدعو به صباحا ومساء ان يرزقه الشهادة وان لا يرده الى بلده ولا الى
ارضه ولا الى اهله وولده وليس لاحد منهم فيما خلفه وقد استودع كل واحد منا
ربه اهله وولده وانما همنا ما اما منا واما قولك انا في ضيق وشدة من معاشنا وحالنا فنحن
في اوسع السعة لو كانت الدنيا كلها لنا ما اردنا منها لانفسنا اكثر مما نحن عليه فانظر
الذي تريد فينته لنا فليس بيننا وبينك خصلة تقبلها منك ولا نجيبك اليها الا خصلة من
ثلاث فاختر ايها شئت ولا تطمع نفسك في الباطل بذلك امرني الامير وبها امره
امير المؤمنين وهو عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل اليها اما ان اجيبتم الى
الاسلام الذي هو الدين القيم الذي لا يقبل الله غيره وهو دين انبيائه ورسوله
وملائكته امرنا الله تعالى ان نقاتل من خالفه ورغب عنه حتي يدخل فيه فان فعل
كان له ما لنا وعليه ما علينا وكان اخانا في دين الله فان قبلت ذلك انت واصحابك
فقد سعدتم في الدنيا والآخرة ورجعنا عن قتالكم ولم نستحل اذاكم ولا التعرض
لكم وان ابيتم الا الجزية فادوا اليها الجزية عن يد وانتم صاغرون وان تعاملكم على
شئ نرضي به نحن وانتم في كل عام ابدا ما بقينا وبقيتهم ونقاتل عنكم من ناواكم وعرض
لكم في شئ من ارضكم ودمائكم واموالكم ونقوم بذلك عنكم اذ كنتم في ذمتنا

وكان لكم به عهد علينا وان أيتيم فليس بيننا وبينكم الا الحما كمة بالسيف حتي نموت
 من آخرنا أو نصيب ما نريد منكم بهذا ديننا الذي ندين الله تعالى به ولا يجوز لنا فيما
 بيننا وبينه غيره فانظروا لانفسكم فقال المقوقس هذا ما لا يكون ابدا ما تريدون الا ان
 نخذونا عبيدا ما كانت الدنيا فقال له عبادة هوذاك فاختر لنفسك ما شئت فقال المقوقس
 افلا تحييوننا الى خصلة غير هذه الثلاث خصال فرفع عبادة يديه الى السماء فقال لا ورب
 هذه السماء ورب هذه الارض ورب كل شئ ما لكم عندنا خصلة غيرها فاخترنا والانفسكم
 قالت المقوقس عند ذلك الى أصحابه فقال قد فرغ القوم فأتروا فقالوا أو يرضى
 أحد بهذا الذل أما ما أرادوا من دخولنا في دينهم فهذا لا يكون ابدا ان نترك دين
 المسيح بن مريم وندخل في دين غيره لا نعرفه وأما ما أرادوا أن يسبونا ويجعلونا
 عبيدا فالموت أيسر من ذلك لو رضوا منا أن نضف لهم ما أعطيتناهم مرارا كان أهون
 علينا فقال المقوقس لعبادة قد أبى القوم فما ترى فراجع صاحبك على أن نعطيكم في
 مرتكهم هذه ما تمنيتم وتتصرفون فقال عبادة وأصحابه لا فقال المقوقس عند ذلك لأصحابه
 اطيعوني وأحييوا القوم الى خصلة من هذه الثلاث فوالله ما لكم بهم طاقة ولئن لم تحييوا
 اليها طائعين لتجيبتهم الى ما هو أعظم كارهين فقالوا واي خصلة نجيبهم اليها قال اذا أخبركم
 أما دخولكم في غير دينكم فلا أمركم به وأما قتالهم فانا أعلم انكم ان تقبوا عليهم ولن
 تصبروا صبرهم ولا بد من الثالثة قالوا فنكون لهم عبيدا ابدا قال نعم تكونون عبيدا
 مسلمات في بلادكم آمنين على أنفسكم وأموالكم وذرائعكم خير لكم من أن تموتوا من
 آخركم وتكونوا عبيدا تباعوا وتمزقوا في البلاد مستعبدين أبدا اثم واهليكم وذرائعكم
 قالوا فالموت أهون علينا وامروا بقطع الجسر من القسطنطينة وبالجزيرة والقصر من جمع
 القبط والروم كثير فألح المسلمون عند ذلك بالقتال على من بالقصر حتى ظفروا بهم وأمكن
 الله منهم فقتل منهم خلق كثير وأسروا من أسير وانجرت السفن كلها الى الجزيرة وصار
 المسلمون يراقبونهم وقد أحرق بهم الماء من كل وجه لا يقدر على أن ينفذوا نحو الصعيد
 ولا الى غير ذلك من الميادين والقرى والمقوقس يقول لأصحابه ألم اعلمكم وأخافه عليكم
 ما تنتظرون فوالله لتجيبتهم الى ما أرادوا طوعا أو تجيبتهم الى ما هو أعظم منه كرها فاطيعوني
 من قبل أن تندموا فلما رأوا منهم ما رأوا وقال لهم المقوقس ما قال أذعنوا بالجزيرة ورضوا
 بذلك على صلح يكون بينهم يعرفونه وأرسل المقوقس الى عمرو بن العاص اني لم ازل حريصا
 على اجابتكم الى خصلة من تلك الحصال التي ارسلت الي بها فأبى على من حضرتي من الروم
 والقبط فلم يكن لي أن افتات عليهم في اموالهم وقد عرفوا نصحي لهم وحي صلاحهم
 ورجعوا الى قولي فأعطني امانا اجتمع انا وانت انا في نفر من اصحابي وانت في نفر من

اصحابك فان استقام الامر بيننا تم ذلك جميعا وان لم يتم رجعنا الى ما كنا عليه فاستشار
عمر و اصحابه في ذلك فقالوا لا نجيبهم الى شئ من الصلح ولا الجزية حتى يفتح الله علينا
وتصير الارض كلها لنا فيا وغنمة كما صار لنا القصر وما فيه فقال عمرو قد علمتم ما عهد
الى امير المؤمنين في عهده فان اجابوا الى خصلة من الخصال الثلاث التي عهد الي فيها
اجبتهم اليها وقبلت منهم مع ما قد حال هذا الماء بيننا وبين ما نريد من قتالهم فاجتمعوا على
عهد بينهم واصطاحوا على ان يفرض لهم على جميع من بمصر اعلاها واسفلها من القبط
ديناران ديناران عن كل نفس شريفهم ووضعهم ممن بلغ منهم الحلم ليس على الشيخ القاني
ولا على الصغير الذي لم يبلغ الحلم ولا على النساء شئ وعلى ان للمساكين عليهم النزل بجماعتهم
حيث نزلوا ومن نزل عليه ضيف واحد من المساكين او اكثر من ذلك كانت لهم ضيافة
ثلاثة ايام مفترضة عليهم وان لهم ارضهم واموالهم لا تعرض لهم في شئ منها فشرط ذلك
كله على القبط خاصة واحصوا عدد القبط يومئذ خاصة من بلغ منهم الجزية وفرض عليهم
الديناران رفع ذلك عرفاؤهم بالايمان المؤكدة فكان جميع من احصى يومئذ بمصر اعلاها
واسفلها من جميع القبط فيما احصوا وكتبوا ورفعوا اكثر من ستة آلاف ألف نفس
فكانت فريضتهم يومئذ اثني عشر ألف ألف دينار في كل سنة * وقال ابن طيبة عن يحيى
ان ميمون الحضرمي لما فتح عمرو مصر صالح عن جميع من فيها من الرجال من القبط
ممن راهق الحلم الى ما فوق ذلك ليس فيهم امرأه ولا شيخ ولا صبي فأحصوا بذلك على
دينارين دينارين فبلغت عدتهم ثمانية آلاف ألف قال وشرط المقوقس للروم ان يخبروا
فن احب منهم ان يقيم على مثل هذا اقام على ذلك لازما له مفترضا عليه ممن اقام بالاسكندرية
وما حولها من ارض مصر كلها ومن اراد الخروج منها الى ارض الروم خرج وعلى ان
للمقوقس الخيار في الروم خاصة حتى يكتب الى ملك الروم ويعلمه ما فعل فان قبل ذلك
ورضيه جاز عليهم والا كانوا جميعا على ما كانوا عليه وكتبوا به كتابا وكتب المقوقس الى
ملك الروم كتابا يعلمه بالامر كله فيكتب اليه ملك الروم يقبح رأيه ويمجزه ويرد عليه
ما فعل ويقول في كتابه انما اتاك من العرب اثنا عشر الفا وبمصر من بها من كثرة عدد
القبط ما لا يحصى فان كان القبط كرهوا القتال واحبوا اداء الجزية الى العرب واختاروهم
علينا فان عندك بمصر من الروم وبالاسكندرية ومن معك اكثر من مائة ألف معهم العدة
والقوة والعرب وحالهم وضعفهم على ما قد رأيت فمعجزت عن قتالهم ورضيت ان تكون
انت ومن معك من الروم في حال القبط اذلاء فقاتلهم انت ومن معك من الروم حتى تموت
او تظهر عليهم فانهم فيكم على قدر كثرتم وقوتكم وعلى قدر قلتهم وضعفهم كما كلة ناهضهم
القتال ولا يكن لك رأي غير ذلك وكتب ملك الروم بمثل ذلك كتابا الى جماعة الروم

فقال المقوقس لما اتاه كتاب ملك الروم والله اعلم انهم على قتلهم وضعفهم اقوى واشد منا على قوتنا وكثرتنا ان الرجل الواحد منهم ليعدل مائة رجل منا وذلك انهم قوم الموت احب الى احدهم من الحياة يقاتل الرجل منهم وهو مستقبل يتنى ان لا يرجع الى اهله ولا بلده ولا ولده ويرون ان لهم اجرا عظيما فيمن قتلوه منا يقولون انهم ان قتلوا دخلوا الجنة وليس لهم رغبة في الدنيا ولا لذة الا قدر باغة العيش من الطعام واللباس ونحن قوم نكره الموت ونحب الحياة ولذتها فكيف نستقيم نحن وهؤلاء وكيف صبرنا معهم واعلموا معشر الروم والله اني لا اخرج مما دخات فيه ولا صالحت العرب عليه واني لاعلم انكم سترجعون غدا الى قولي ورأيي وتمنون أن لو كنتم أطعموني وذلك اني قد عاينت ورأيت وعرفت ما لم يعاين الملك ولم يره ولم يعرفه أما يرضى أحدكم أن يكون آمنا في دهره على نفسه وماله وولده بدينارين في السنة ثم أقبل المقوقس الى عمرو فقال له ان الملك قد كره ما فعلت وعجزني وكتب الى والي جماعة الروم ان لا يرضى بمصالحتك وامرهم بقتالك حتي يظفروا بك او تظفر بهم ولم اكن لا اخرج مما دخلت فيه وعاهدتك عليه وانما سلطاني على نفسي ومن أطاعني وقد تم صالح القبط فيما بينك وبينهم ولم يأت من قبلهم نقض وأنا متم لك على نفسي والقبط متمون لك علي الصالح الذي صالحتهم عليه وعاهدتهم وأما الروم فأنا منهم برئ وأنا اطلب اليك أن تعطيني ثلاث خصال لا تنقض بالقبط وأدخاني معهم والزمني ملازمهم وقد اجتمعت كلتي وكلتهم على ما عاهدتك عليه فهم متمون لك على ما نحب وأما الثانية ان سألك الروم بعد اليوم أن تصالحهم فلا تصالحهم حتي تجعلهم فيا وعيدا فانهم أهل ذلك لاني نصحتهم فاستغشوني وانظرت لهم فاتهموني وأما الثالثة اطلب اليك ان انا مت أن تأمرهم ان يدفوني بحجر الاسكندرية فأنعم له عمرو بذلك واجابه الي ما طلب علي ان يضموا له الجسرين جميعا ويقيموا لهم الانزال والضيافة والاسواق والجسور ما بين القسطنطينية الى الاسكندرية ففعلوا وصارت لهم القبط اعوانا كما جاء في الحديث وقال ابن وهب في حديثه عن عبد الرحمن بن شريح فسار عمرو بمن معه حتي نزل على الحصن فحاصره حتي سأله أن يسير منهم بضعة عشر أهل بيت ويفتحوا له الحصن ففعل ذلك ففرض عليهم عمرو لكل رجل من اصحابه ديناراً وجبة وبرنسا وعمامة وخفين وسألوه ان يأذن لهم ان يهبطوا له ولاصحابه صنيعا ففعل وأمر عمرو اصحابه فتهبطوا ولبسوا البرود ثم اقبلوا فلما فرغوا من طعامهم سألهم عمرو كم انفقتم قالوا عشرين الف دينار قال عمرو لا حاجة لنا بصنيعكم بعد اليوم أدوا الينا عشرين الف دينار فجاءه نفر من القبط فاستأذنوه الى قراهم وأهلهم فقال لهم عمرو كيف رأيتم امرنا قالوا لم نر الا حسنا فقال الرجل الذي قال في المرة الاولى انكم لن تزالوا تظهرون على كل من لقيتم حتي تقتلوا خيركم رجلا فغضب عمرو وامر به

فطلب اليه اصحابه واخبروه انه لا يدري ما يقول حتى خلعوه فلما بلغ عمرا قتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه ارسل في طلب ذلك القبطى فوجدوه قد هلك فعجب عمرو من قوله ويقال ان عمرو بن العاص قال فلما طعن عمر بن الخطاب قلت هو ما قال القبطى فلما حدثت انه انما قتله ابولؤلؤة رجل نصرانى قلت لم يعن هذا انما عني من قتله المسلمون فلما قتل عثمان عرفت ان ما قال الرجل حق فلما فرغ القبط من صنعهم امر عمرو بن العاص بطعام فصنع لهم وامرهم ان يحضروا لذلك فصنع لهم الثريد والعراق وامر اصحابه بلباس الاكسية واشتال الصفاء والقعود على الركب فلما حضرت الروم وضعوا كراسي الديباج فجلسوا عليها وجلست العرب الى جوانبهم فجعل الرجل من العرب يلتقم اللقمة العظيمة من الثريد وينهش من ذلك اللحم فيتطير على من الى جنبه من الروم فبشعت الروم ذلك وقالت اين أولئك الذين كانوا أتونا قبل قليل لهم أولئك اصحاب المشورة وهؤلاء اصحاب الحرب * وقال السكندى وذكر يزيد بن أبي حبيب أن عدد الجيش الذين كانوا مع عمرو بن العاص خمسة عشر ألفا وخمسمائة وذكر عبد الرحمن بن سعيد بن مقلص أن الذين جرت سهامهم في الحصن من المسلمين اثنا عشر ألفا وثلاثمائة بعد من أصيب منهم في الحصار بالقتل والموت ويقال ان الذين قتلوا في هذا الحصار من المسلمين دفنوا في أصل الحصن * وذكر القضاعى أن مصر فتحت يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين وقيل فتحت سنة ست عشرة وهو قول الواقدي وقيل فتحت والاسكندرية سنة خمس وعشرين والاكثر على أنها فتحت قبل عام الرمادة وكانت الرمادة في آخر سنة سبع عشرة وأول ثمان عشرة

❦ ذكر ما قيل في مصر هل فتحت بصالح أو عنوة ❦

وقد اختلف في فتح مصر فقال قوم فتحت صلحا وقال آخرون انما فتحت عنوة فأما الذين قالوا كان فتح مصر بصالح فان حسين بن شفي قال لما فتح عمرو بن العاص الاسكندرية بقى من الاساري بها ممن بلغ الخراج وأحصى يومئذ سبائة ألف سوى النساء والصبيان فاختلف الناس على عمرو في قسمهم فكان أكثر المسلمين يريد قسمها فقال عمرو لا أقدر على قسمها حتى اكتب الى أمير المؤمنين فكتب اليه يعلمه بفتحها وشأنها وأن المسلمين طلبوا قسمها فكتب اليه عمر رضى الله عنه لا تقسمها وذرههم يكون خراجهم فيا للمسلمين وقوة لهم على جهاد عدوهم فأقرها عمرو وأحصى أهلها وفرض عليهم الخراج فكانت مصر كلها صالحة بفرصة دينارين دينارين الا انه يلزم بقدر ما يتوسع فيه من الارض والزرع الا الاسكندرية فانهم كانوا يؤدون الخراج والجزية على قدر ما يرى من ولهم لان الاسكندرية فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد ولم يكن لهم صلح ولا ذمة * وقال الليث عن يزيد بن أبي حبيب مصر كلها صالحة الا الاسكندرية فانها فتحت عنوة * وقال عبد الله بن أبي جعفر حدثني رجل

ممن أدرك عمرو بن العاص قال للقبط عهد عند فلان وعهد عند فلان فسمى ثلاثة نفر وفي رواية
 ان عهد أهل مصر كان عند كبارهم وفي رواية سألت شيخا من القدماء عن فتح مصر قلت
 له فان ناسا يذكرون انه لم يكن لهم عهد فقال ما يبالي أن لا يصلى من قال انه ليس لهم عهد
 فقلت فهل كان لهم كتاب فقال نعم كتب ثلاثة كتاب عند ظلما صاحب اخنا وكتاب عند
 قرمان صاحب رشيد وكتاب عند بجنس صاحب البرلس قلت كيف كان صلحهم قال دينارين
 على كل انسان جزية وأرزاق المسلمين قلت فتعلم ما كان من الشروط قال نعم ستة شروط
 لا يخرجون من ديارهم ولا تنزع نسائهم ولا كفورهم ولا أراضيهم ولا يزداد عليهم * وقال
 يزيد بن أبي حبيب عن أبي جمعة مولى عقبة قال كتب عقبة بن عامر الى معاوية بن أبي سفيان
 رضي الله عنه يسأله ارضا يسترفق بها عند قرية عقبة فككتب له معاوية بألف ذراع في ألف
 ذراع فقال له مولى له كان عنده انظرا صلحك الله ارضا صالحة فقال له عقبة ليس لثنا ذلك
 ان في عهدهم شروطا ستة لا يؤخذ من أنفسهم شيء ولا من نسايتهم ولا من أولادهم ولا
 يزداد عليهم ويدفع عنهم موضع الخوف من عدوهم وانا شاهد لهم بذلك * وعن يزيد بن
 أبي حبيب عن عوف بن حطان انه كان لقريات من مصر منهن أم دين وبهيت عهد وان
 عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما سمع بذلك كتب الى عمرو يأمره أن يخيرهم فان دخلوا
 في الاسلام فذاك وان كرهوا فارددهم الى قراهم وقال يحيى بن أيوب وخالد بن حميد ففتح
 الله أرض مصر كلها بصلح غير الاسكندرية وثلاث قريات ظاهرت الروم على المسلمين سلطيس
 ومصيل وبهيت فانه كان للروم جمع فظاهروا الروم على المسلمين فلما ظهر عليها المسلمون
 استحلوها وقالوا هؤلاء لنا في مع الاسكندرية فككتب عمرو بن العاص بذلك الى عمر بن
 الخطاب رضي الله عنه فككتب اليه عمر أن يحمل الاسكندرية وهؤلاء الثلاث قريات ذمة
 للمسلمين ويضربون عليهم الخراج ويكون خراجهم وما صالح عليه القبط كله قوة للمسلمين
 لا يجعلون فيا ولا عيدا ففعلوا ذلك الى اليوم * وقال آخرون بل فتحت مصر عنوة بلا عهد
 ولا عقد قال سفيان بن وهب الخولاني لما افتتحنا مصر بغير عهد ولا عقد قام الزبير بن
 العوام فقال اقسما يا عمرو بن العاص فقال عمرو والله لا أقسمها فقال الزبير والله لتقسمها
 كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر فقال عمرو والله لا أقسمها حتى اكتب الى أمير
 المؤمنين فككتب الى عمر فككتب اليه عمر أقرها حتى يغزو منها جبل الحبلة ووصلح الزبير
 على شيء أرضى به وقال ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة ان مصر فتحت عنوة وعن عبد
 الرحمن بن زياد بن انعم قال سمعت أشياخنا يقولون ان مصر فتحت عنوة بغير عهد ولا
 عقد منهم أبي يحدثنا عن أبيه وكان فيمن شهد فتح مصر وعن أبي الاسود عن عمرو ان
 مصر فتحت عنوة وعن عمرو بن العاص انه قال لقد قدمت مقعدي هذا وما لاحد من قبط

مصر على عهد ولا عقد الا اهل انطابلس كان لهم عهد يوفى به ان شئت قبلت وان شئت
خسئت وان شئت بعث وعن ربيعة بن أبي عبد الرحمن أن عمرو بن العاص فتح مصر بغير
عهد ولا عقد وأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حبس درها وضرعها أن يخرج منه
شيء نظرا للإسلام وأهله * وعن زيد بن أسلم قال كان تابوت لعمر بن الخطاب فيه كل عهد
كان بينه وبين أحد ممن عاهده فلم يوجد فيه لأهل مصر عهد فن أسلم منهم أقامه ومن أقام
منهم قومه وكتب حيان بن شريح الى عمر بن عبد العزيز يسأله أن يجعل جزية موقى القبط
على أحيائهم فسأل عمر عراك ابن مالك فقال عراك ما سمعت لهم بعهد ولا عقد وإنما أخذوا
عنوة بمنزلة العميد فكتب عمر الى حيان أن يجعل جزية موقى القبط على أحيائهم وقال يحيى
ابن عبد الله بن بكير خرج أبو سلمة بن عبد الرحمن يريد الاسكندرية في سفينة فاحتاج الى
رجل يجذف فسخر رجلا من القبط فكلم في ذلك فقال إنما هم بمنزلة العميد ان احتجنا
اليهم وقال ابن لهيعة عن الصلت بن أبي عاصم أنه قرأ كتاب عمر بن عبد العزيز الى حيان
ابن شريح ان مصر فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد وعن عبيد الله بن أبي جعفر أن كاتب
حيان حدثه أنه احتسج الى خشب لصناعة الجزيرة فكتب حيان الى عمر بن عبد العزيز
يذكر ذلك له وأنه وجد خشبا عند بعض أهل الذمة وأنه كره أن يأخذها منهم حتى يعلمه
فكتب اليه عمر خذها منهم بقيمة عدل فاني لم أجد لأهل مصر عهدا أني لهم به وقال عمر
ابن عبد العزيز لاسلم أنت تقول ليس لأهل مصر عهد قال نعم وعن عمرو بن شعيب عن أبيه
عن جده ان عمرو بن العاص كتب الى عمر بن الخطاب في رهبان يترهبون بمصر فيموت
أحدهم وليس له وارث فكتب اليه عمر أن من كان منهم له عقب فادفع ميراثه الى عقبه فان
لم يكن له عقب فاجعل ماله في بيت مال المسلمين فان ولاءه للمسلمين * وقال ابن شهاب كان
فتح مصر بمعضها بعهد وذمة وبعضها عنوة فجعلها عمر بن الخطاب رضى الله عنه جميعا ذمة
وحملهم على ذلك ففضى ذلك فيهم الى اليوم واشترى الليث بن سعد شيئا من أرض مصر لانه كان
يحدث عن يزيد بن أبي حبيب ان مصر صلح وكان مالك بن أنس ينكر على الليث ذلك وانكر
عليه أيضا عبد الله بن لهيعة ونافع بن يزيد لان مصر عندهم كانت عنوة

ذكر من شهد فتح مصر من الصحابة رضى الله عنهم

قال ابن عبد الحكم وكان من حفظ من الذين شهدوا فتح مصر من اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قريش وغيرهم ومن لم يكن له بر رسول الله صلى الله عليه وسلم صحبة الزبير
ابن العوام وسعد بن أبي وقاص وعمرو بن العاص وكان امير القوم وعبد الله بن عمرو وخارجة
ابن حذافة العدوي وعبد الله بن عمر بن الخطاب وقيس بن ابى العاص السهمي والمقداد بن
الاسود وعبد الله بن ابى سعد بن ابى سرح العامري ونافع بن عبد قيس الفهري ويقال بل

هو عقبة بن نافع وابو عبد الرحمن يزيد بن أنيس الفهري وابو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عبدة وعبد الرحمن وربيعة ابنا شرحبيل بن حسنة وورد ان مولى عمرو بن العاص وكان حامل لواء عمرو بن العاص وقد اختلف في سعد بن أبي وقاص فقيل انما دخلها بعد الفتح وشهد الفتح من الانصار عبادة بن الصامت وقد شهد بدر اربعة العقبة ومحمد بن مسلمة الانصارى وقد شهد بدر وهو الذى بعثه عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى مصر فقام عمرو بن العاص ماله وهو أحد من كان سعد الحصن مع الزبير بن العوام ومسلمة بن مخلد الانصارى يقال له صحبة وأبو أيوب خالد بن زيد الانصارى وأبو الدرداء عويمر بن عامر وقيل عويمر بن زيد ومن أحياء القبائل ابو نصره جميل بن نصره الغفارى وأبو ذر جندب بن جندادة الغفارى وشهد الفتح مع عمرو بن العاص وهيب بن معقل واليه ينسب وادى هيب الذى بالمغرب وعبد الله بن الحارث بن جزء الزيدى وكعب بن ضبة العبسى ويقال كعب بن يسار بن ضبة وعقبة بن عامر الجهني وهو كان رسول عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص حين كتب اليه يأمره أن يرجع ان لم يكن دخل أرض مصر وأبو زمعة البلوى وبرح بن حسل ويقال برح بن عسكر وشهد فتح مصر واختط بها وجندادة بن أبي أمية الأزدي وسفيان بن وهب الخولاني وله صحبة ومعاوية بن خديج السكندى وهو كان رسول عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب بفتح الاسكندرية وقد اختلف فيه فقال قوم له صحبة وقال آخرون ليست له صحبة وعامر مولى جميل الذى يقال له عامر جميل شهد الفتح وهو مملوك وعامر بن ياسر ولكن دخل بعد الفتح في أيام عثمان وجهه اليها في بعض أموره قال ابن عبد الحكم منهم من اختط بالبلد فذكرنا خطته ومنهم من لم يذكر له خطه قال فاخطط عمرو بن العاص داره التي عند باب المسجد بينهما الطريق وداره الأخرى اللاصقة الى جنبها وفيها دفن عبد الله بن عمرو فيما زعم بعض مشايخ البلد لحدث كان يومئذ في البلد والحمام الذى يقال له حمام الفار وانما قيل له حمام الفار لان حمامات الروم كانت ديماسات كبارا فلما بني هذا الحمام ورأوا صغره قاتوا من يدخل هذا حمام الفار

(ذكر السبب في تسمية مدينة مصر بالقسطاط)

قال ابن عبد الحكم عن يزيد بن أبي حبيب ان عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية ورأى بيوتها وبناءها مفروغا منها هم أن يسكنها وقال مساكن قد كفيناها فكاتب الى عمر ابن الخطاب رضى الله عنه يستأذنه في ذلك فسأل عمر الرسول هل يحول بينى وبين المسلمين ماء قال نعم يا أمير المؤمنين اذا جرى النيل فكاتب عمر الى عمرو انى لا أحب أن تنزل بالمسلمين منزلا يحول الماء بيني وبينهم في شتاء ولا صيف فتحول عمرو من الاسكندرية الى القسطاط قال وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى سعد بن أبي وقاص وهو نازل بمداين كسرى

والى عامله بالبصرة والى عمرو بن العاص وهو نازل بالاسكندرية أن لا تجعلوا بيني وبينكم ماء متى أردت أن اركب اليكم راحتي حتى أقدم عليكم قدمت فتحول سعد من مدائن كسرى الى الكوفة وتحول صاحب البصرة من المكان الذي كان فيه فنزل البصرة وتحول عمرو بن العاص من الاسكندرية الى الفسطاط قال وانما سميت الفسطاط لان عمرو بن العاص لما أراد التوجه الى الاسكندرية لقتال من بها من الروم أمر بزرع فسطاطه فاذا فيه عام قد فرخ فقال عمرو لقد تحرم منا بمتحرم فأمر به فأقر كما هو وأوصى به صاحب القصر فلما قتل المسلمون من الاسكندرية قالوا أين نزل قالوا الفسطاط لفسطاط عمرو الذي كان خلفه وكان مضروبا في موضع الدار التي تعرف اليوم بدار الحصار عند دار عمرو الصغيرة* قال الشريف محمد بن أسعد الجواني كان فسطاط عمرو عند درب حمام شمول بخط الجامع وقال ابن قتيبة في كتاب غريب الحديث في حديث النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عليكم بالجماعة فان يد الله على الفسطاط يرويه سويد بن عبد العزيز عن النعمان بن المنذر عن مكحول عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم والفسطاط المدينة وكل مدينة فسطاط ولذلك قيل لمصر فسطاط وقال البكري الفسطاط بضم أوله وكسره واسكان ثانيه اسم لمصر ويقال فسطاط وبسطاط قال المطرزي وفسطاط وفسطاد وبكسر أوائل جميعها فهي عشر لغات وقال ابن قتيبة كل مدينة فسطاط وذكر حديث عليكم بالجماعة فان يد الله على الفسطاط وأخبرني أبو حاتم عن الاصمعي أنه قال حدثني رجل من بني تميم قال قرأت في كتاب رجل من قريش هذا ما اشترى فلان ابن فلان من عجلان مولى زياد اشترى منه خمسمائة جريب حيال الفسطاط يريد البصرة ومنه قول الشعبي في الآبق اذا أخذ في الفسطاط عشرة واذا أخذ خارجا عن الفسطاط أربعون وأراد ان يد الله على أهل الامصار وأن من شذ عنهم وفارقهم في الرأي فقد خرج عن يد الله وفي ذلك آثار والله أعلم

(* ذكر الخطط التي كانت بمدينة الفسطاط *)

اعلم ان الخطط التي كانت بمدينة فسطاط مصر بمنزلة الحارات التي هي اليوم بالقاهرة فقبل لتلك في مصر خطة وقيل لها في القاهرة حارة* قال القاضي ولما رجع عمرو من الاسكندرية ونزل موضع فسطاطه انضمت القبائل بعضها الى بعض وتنافسوا في المواضع فولى عمرو على الخطط معاوية بن خديج التميمي وشريك بن سمى الغطفي وعمرو بن قحزم الخولاني وحيويل بن ناشرة المغافري وكانوا هم الذين أنزلوا الناس وفصلوا بين القبائل وذلك في سنة احدى وعشرين* (خطة أهل الراية) أهل الراية جماعة من قريش والانصار وخزاعة وأسلم وغفار ومزينة وأشجع وجهينة وثقيف ودوس وعبس بن بغيض وحرش من بني كنانة وليث بن بكر والعنقاء منهم الا أن منزل العنقاء في غير الراية وانما سموا أهل الراية ونسبت الخطة اليهم

لأنهم جماعة لم يكن لكل بطن منهم من العدد ما ينفرد بدعوة من الديوان فكره كل بطن منهم أن يدعى باسم قبيلة غير قبيلته فجعل لهم عمرو بن العاص راية ولم ينسبها الى أحد فقال يكون موقعكم تحتها فكانت لهم كالنسب الجامع وكان ديوانهم عليها وكان اجتماع هذه القبائل لما عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم من الولاية بينهم وهذه الخطة محيطه بالجامع من جميع جوانبه ابتدؤا من المصف الذي كانوا عليه في حصارهم الحصن وهو باب الحصن الذي يقال له باب الشمع ثم مضوا بمخبطهم الى حمام الفار وشرعوا بقربها الى النيل فاذا بلغت الى النحاسين فالجانبان لاهل الراية الى باب المسجد الجامع المعروف بباب الوراقين ثم يسلك على حمام شمول وفي هذه الخطة زقاق القناديل الى تربة عفان الى سوق الحمام الى باب القصر الذي بدأنا بذكره * (خطة مهرة) بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاة بن مالك بن حمير * وخطة مهرة هذه قبلى خطة الراية واختطت مهرة أيضاً على سفح الجبل الذي يقال له جبل يشكر مما يلي الخندق الى شرقي العسكر الى جنان بن مسكين ومن جملة خطة مهرة الموضع الذي يعرف اليوم بمساطب الطباخ واسمه حمد ويقال ان الخطة التي لهم قبلى الراية كانت حوزاهم يربطون فيها خيلهم اذا رجعوا الى الجمعة ثم انقطعوا اليها وتركوا منازلهم يشكر * (خطة تحيب) وتحيب هم بنو عدى وسعد ابني الاشرس ابن شبيب بن السكن بن الاشرس بن كندة فمن كان من ولد عدى وسعد يقال لهم تحيب وتحيب أهم وهذه الخطة تلي خطة مهرة وفيها درب الموصولة آخره حائط من الحصن الشرقي * (وخطط لهم في موضعين) فمنها خطة لهم بن عدى بن مرة بن أد ومن خاطها من جذام فابتدأت لهم بمخبطها من الذي انتهت اليه خطة الراية وأصعدت ذات الشمال وفي هذه الخطة سوق بربر وشارعه مختلط فيما بين لهم والراية ولهم خطتان أخريان احدها منسوبة الى بني رية بن عمرو بن الحارث بن وائل بن راشدة من لهم وأولها شرقي الكنيسة المعروفة بمكائيل التي عند خليج بنى وائل وهذا الموضع اليوم وراقات يعمل فيها الورق بالقرب من باب القنطرة خارج مصر والخطة الثانية خطة راشدة بن أدب بن جزيلة من لهم وهي متاخمة للخطة التي قبلها وفي هذه الخطة جامع راشدة وحنان كهس بن معمر الذي عرف بالمادرائي ثم عرف بجنان الأمير تميم وهو اليوم يقال له المعشوق بجوار الآثار النبوية ولهم مواضع مع اللقيف وخطاط أيضاً بالحرء * (خطط اللقيف) انما سموا بذلك لالتفاف بعضهم ببعض وسبب ذلك أن عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية أخبر ان مراكب الروم قد توجهت الى الاسكندرية لقتال المسلمين فبعث عمرو وعمرو بن جالة الازدي الحجري ليأتيه بالخبر فحضر وأسمرت هذه القبائل التي تدعى اللقيف وتماقدوا على اللحاق به واستأذنوا عمرو بن العاص في ذلك فأذن لهم وهم جمع كثير فلما رأهم عمرو بن جالة استكثرهم

وقال تالله ما رأيت قوما قد سدوا الافق مثلكم وانكم كما قال الله تعالى فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيقا فبذلك سموا من يومئذ اللفيق وسألوا عمرو بن العاص أن يفردهم دعوة فامتعت عشائهم من ذلك فقالوا عمرو فانا نجتمع في المنزل حيث كنا فأجابهم الى ذلك فكانوا مجتمعين في المنزل متفرقين في الديوان اذا دعي كل بطن منهم انضم الى بني ابيه قال قتادة ومجاهد والضحاك بن مزاحم في قوله جئنا بكم لفيقا قال جميعا وكان عامتهم من الازد من الحاجر ومن غسان ومن شجاعة والنف بهم نفر من جذام ولخم والزحاف وتوخ من قضاة فهم مجتمعون في المنزل متفرقون في الديوان وهذه الخطة أولها مما يلي الراية سالكا ذات الشمال الى نقاشى البلاط وفيها دار ابن عشرين الى نحو من سوق وردان* (خطط أهل الظاهر) اما سمي هذا المنزل بالظاهر لان القبائل التي نزلت كانت بالاسكندرية ثم قلت بعد قفول عمرو بن العاص وبعد أن اختط الناس خططهم فخاصمت الى عمرو فقال لهم معاوية بن خديج وكان ممن يتولى الخطط يومئذ أرى لكم أن تظهروا على أهل هذه القبائل فتتخذوا منزلا فسمى الظاهر بذلك وكانت القبائل التي نزلت الظاهر العتقاء وهم جماع من القبائل كانوا يقطعون على أيام النبي صلى الله عليه وسلم فبعث اليهم فأتى بهم أسرى فأعتقهم فقليل لهم العتقاء وديوانهم مع أهل الراية وخطتهم بالظاهر متوسطة فيه وكان فيهم طوائف من الازد وفهم واول هذه الخطة من شرق خطة لخم وتتصل بموضع العسكر ومن هذه الخطة سويقة العراقيين وعرفت بذلك لان زيادا لما ولاء معاوية بن ابي سفيان البصرة غرب جماعة من الازد الى مصر وبها مسلمة بن مخلد في سنة ثلاث وخمسين فنزل منهم هنا نحو من مائة وثلاثين فقليل لموضعهم من خطة الظاهر سويقة العراقيين (خطط غافق) هو غافق بن الحارث بن عك بن عدنان بن عبد الله بن الازد وهذه الخطة تلي خطة لخم الى خطة الظاهر بجوار درب الاسلام* (خطط الصدف) واسمه مالك بن سهل بن عمرو ابن قيس بن حمير ودعوتهم مع كندة* (خطط الفارسيين) واستبد بخطة خولان من حضر فتح مصر من الفارسيين وهم بقايا جند باذان عامل كسرى على اليمن قبل الاسلام اسموا بالشأم ورغبوا في الجهاد فنفروا مع عمرو بن العاص الى مصر فاختطوا بها وأخذوا في سفح الجبل الذي يقال له جبل باب البون وهذا الجبل اليوم شرقي من وراء خطة جامع ابن طولون تعرف أرضه بالأرض الصفراء وهي من حلة العسكر* (خطة مذحج)* بالحاء قبل الحيم وهو مالك بن مرة بن ادد بن زيد بن كهلان (خطة غطيف) بن مراد* (خطة وعلان)* بن قرن بن ناجية بن مراد وكلهم من مذحج فاختطت وعلان من الزقاق الذي فيه الصنم المعروف بسرية فرعون وهذا الزقاق أوله باب السوق الكبير واختطت أيضا بخولان ثم انفردت وعلان بخططها مقابل المسجد المعروف بالدينوري واستندت الى خولان

وهذه الخطة اليوم كيان تطل على قبر القاضى بكار* (خطة يحصب)* بن مالك بن أسلم بن زيد بن غوث وهذه الخطة موضعها كيان وهي تتصل بالشرف الذى يعرف اليوم بالرصد المطل على راشدة* (خطة رعين)* بن زيد بن سهل* (خطة ذى السكلاع)* بن شرحبيل ابن سعد من هير* (خطة المغافر)* بن يعفر بن مرة بن أدد وهذه الخطة من الرصد الى سقاية بن طولون وهي القناطر التي تطل على عفسة وتفصل بين القرافتين والقناطر للمغافر ولهم الى مصلى خولان والى الكوم المشرف على المصلى (خطة سبا وخطة الرحبة) ابن زرعة بن كعب (خطة السلف بن سعد) فيما بين الكوم المطل على القاضى بكار وبين المغافر (خطة بني وائل) بن زيد مناة بن اقصى بن اياس بن حرام بن جذام بن عدى وهي من سفح الشرف المعروف بالرصد الى خطة خولان (خطة القبض) بالتحريك بن مرثد وهي بجانب خطة بني وائل الى نحو بركة الحبش قال وكان سبب نزول بني وائل والقبض ورية وراشدة والفارسيين هذه المواضع انهم كانوا في طوابع عمرو بن العاص فنزلوا في مقدمة الناس وحازوا هذه المواضع قبل الفتح* (خطط الحمراوات الثلاث)* قال السكندى وكانت الحمراء على ثلاثة بنوئيه ورويل والازرق وكانوا ممن سار مع عمرو بن العاص من الشام الى مصر من عجم الشام ممن كان رغب في الاسلام من قبل اليرموك ومن أهل قيسارية وغيرهم وقال القضاء وانما قيل الحمراء لنزول الروم بها وهي خطط بلى بن عمر بن الحاف ابن قضاة وفهم وعدوا ان وبعض الازد وهم تراد وبني بحر وبني سلامان ويشكر بن ظم وهذيل بن مدركة بن الياس بن مضر وبني نبه وبني الازرق وهم من الروم وبني رويل وكان يهوديا فاسلم* فأول ذلك الحمراء الدنيا خطة بلى بن عمر بن الحاف بن قضاة ومنها خطة تراد من الازد وخطة فهم بن عمر بن قيس عيلان ومنها خطة بني بحر بن سودة من الازد* ومن ذلك الحمراء الوسطى منها خطة بني نبه وهم قوم من الروم حضر الفتح منهم مائة رجل ومنها خطة هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر ومنها خطة بني سلامان من الازد ومنها خطه عدوان* ومن ذلك الحمراء القصوى وهي خطة بني الازرق وكان روميا حضر الفتح منهم أربع مائة وخطة بني رويل وكان يهوديا فاسلم وحضر الفتح منهم ألف رجل وخطة بني يشكر بن جزيلة بن ظم وكانت منازل يشكر مفرقة في الجبل فذرت قديما وعادت صحراء حتى جاءت المسودة يعنى جيوش بني العباس فعمروها وهي الآن خراب* وقال ابن المتوج الحمراوات ثلاث أولى ووسطى وقصوى فأما الاولى فتجتمع جابر الاور وعقبة العداسين وسوق وردان وخطة الزبير الى نقاشى البلاط طولاً وعرضاً على قدر ذلك وأما الوسطى فن درب نقاشى البلاط الى درب معانى طولاً وعرضاً على قدره وأما القصوى فن درب معانى الى القناطر الظاهرية يعنى قناطر السباع وهي حد ولاية مصر من القاهرة

وكانت هذه الجمرات جل عمارة مصر في زمن الروم فاذا الجمرات الاولى والوسطى هما الآن خراب وموضعها فيما بين سوق المعاريج وحمام طن من شرقيهما الى مايقابل المراغة في الشرق وأما الجمرات الدنيا فهي الآن تعرف بخط قناطر السباع وبحط السبع سقايات وبحكر الخليلي وحكر أقبغا والكوم حيث الأسرى ومنها أيضا خط السكبش وخط الجامع الطولوني والعسكر ومنها حدرة بن قبيصة الى حيث قطرة السد وبستان الطواشي وما في شرقيه الى مشهد الرأس المعروف بزين العابدين وسيأتي لذلك مزيد بيان ان شاء الله تعالى عند ذكر العسكر وكانت مدينة الفسطاط على قسمين هما عمل فوق وعمل أسفل * فعمل فوق له طرفان غربي وشرقي فالغربي من شاطئ النيل في الجهة القبليّة وأنت ماري الشرف المعروف اليوم بالرصد الى القرافة الكبرى والشرقي من القرافة الكبرى الى العسكر * وعمل أسفل ماعدا ذلك الى حدّ القاهرة

* (ذكر امراء الفسطاط من حين فتحت مصر الى ان بنى العسكر) *

اعلم أن عدة من ولي مصر من الامراء في الاسلام منذ فتحت وسكن الفسطاط الى أن بنى العسكر تسعة وعشرون أميرا في مدة مائة وثلاث عشرة سنة وسبعة أشهر أولها يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين من الهجرة النبوية وهو يوم فتح مصر وآخرها سلخ شهر رجب سنة ثلاث وثلاثين ومائة آخر ولاية صالح بن علي بن عبد الله بن عباس على مصر وأول ولاية أبي عون عبس الملك وهو أول من سكن العسكر من أمراء مصر * وأول أمراء الفسطاط بعد الفتح على ما ذكر السكندى وغيره (عمرو بن العاص) بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى بن غالب ابن فهر بن مالك أبو عبد الله كان تاجرا في الجاهلية وكان يختلف تجارته الى مصر وهي الادم والعطرم ثم ضرب الدهر ضرباته حتى فتح المسلمون الشام فخلا بعمر بن الخطاب رضي الله عنه فاستأذنه في المسير الى مصر فسار في سنة تسع عشرة وأتى الحصن فحاصره سبعة أشهر الى أن فتحه في يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين وقيل كان فتح مصر في ثاني عشر بؤنة سنة سبع وخمسين وثلثمائة لدقليطيانوس فعلى هذا يكون فتح مصر في سنة تسع عشرة من الهجرة وتحرير ذلك أن الذي بين يوم الجمعة أول يوم من ملك دقليطيانوس وبين يوم الخميس أول سنة الهجرة ثمان وثلاثون وثلثمائة سنة فارسية وتسعة وثلاثون يوما فاذا الغنا ذلك من تاريخ مصر في ثاني عشر بؤنة سنة سبع وخمسين وثلثمائة بقي ثمان عشرة سنة وثمانية أشهر وثلاثة أيام وهذه سنون شمسية عنها من سنن القمر تسع عشرة سنة وشهر وثلاثة عشر يوما فيكون ذلك في ثالث عشر ربيع الاول سنة عشرين فلعل الوهم وقع في الشهر القبطي وحاز الحصن بما فيه وسار الى الاسكندرية في ربيع الاول منها فحاصرها

ثلاثة أشهر ثم فتحها عنوة وهو الفتح الاول ويقال بل فتحها مستهل سنة احدى وعشرين
ثم سار عنها الى برقة فافتتحها عنوة في سنة اثنتين وعشرين وقيل في سنة ثلاث وعشرين
وقدم على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قدمتين استخلف في احدهما زكريا
ابن جهم العبدري وفي الثانية ابنه عبد الله وتوفي عمر رضي الله عنه في ذى الحجة سنة ثلاث
وعشرين وبويع أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه فوفد عليه عمرو وسأله عزل
عبد الله بن سعد بن أبي سرح عن صعيد مصر وكان عمر ولده الصعيد فامتنع من ذلك عثمان
وعقد لعبد الله بن سعد على مصر كلها فكانت ولاية عمرو على مصر صلاتها وخراجها منذ
افتتحها الى أن صرف عنها أربع سنين وأشهرها * (عبد الله بن سعد) بن أبي سرح واسمه
الحسام بن الحارث بن حبيب بن جذيمة بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى ولى
من قبل أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه فجاءه الكتاب بالفيوم فجعل لاهل اطواف جملا
فقدموا به الفسطاط ثم ان منويل الحصى سار الى الاسكندرية في سنة أربع وعشرين
فسأل أهل مصر عثمان أن يرد عمرو بن العاص لمحاربته فرده واليا على الاسكندرية فخارب
الروم بها حتى افتتحها وعبد الله بن سعد مقيم بالفسطاط حتى فتحت الاسكندرية الفتح
الثاني عنوة في سنة خمس وعشرين ثم جمع لعبد الله بن سعد أمير مصر صلاتها وخراجها
ومكث أميراً مدة ولاية عثمان رضى الله عنه كلها محموداً في ولايته وغزا ثلاث غزوات كلها
لهاشان غزا افرقية سنة سبع وعشرين وقتل ملكها جرجير وغزا غزوة الاسود حتى بلغ
دقة في سنة احدى وثلاثين وغزا ذا الصوارى في سنة أربع وثلاثين فلقهم قسطنطين بن
هرقل في ألف مركب وقيل في سبعمائة مركب والمسلمون في مائتي مركب فهزم الله الروم
وانما سميت غزوة ذى الصوارى لكثرة صوارى المراكب واجتماعها ووفد على عثمان حين
تكلم الناس بالطعن على عثمان واستخلف عقبة بن عامر الجهني وقيل السائب بن هشام
العامري وجعل على خراجها سليمان بن عتر التميمي وكان ذلك سنة خمس وثلاثين في رجب
* (محمد بن أبي حذيفة) بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف أمر في شوال
سنة خمس وثلاثين على عقبة بن عامر خليفة عبد الله بن سعد فأخرجه من الفسطاط ودعا
الى خلع عثمان واسعر البلاد وحرض على عثمان بكل شر يقدر عليه فاعتزله شيعة عثمان
ونابذوه وهم معاوية بن خديج وخارجة بن حذافة وبسر بن اوطاة ومسلمة بن مخلد في
جمع كثير وبعثوا الى عثمان باصرهم وبصنع ابن أبي حذيفة فبعث سعد بن أبي وقاص ليصلح
أمرهم فخرج اليه جماعة فقلبوا عليه فسطاطه وشجوه وسبوه فركب وعاد راجعاً ودعا عليهم
واقبل عبد الله بن سعد فتموه أن يدخل فانصرف الى عسقلان وقتل عثمان رضى الله عنه
وابن سعد بعسقلان ثم أجمع ابن أبي حذيفة على بعث جيش الى عثمان فجهز اليه ستمائة رجل

عليهم عبد الرحمن بن عديس البلوي ثم قتل عثمان في ذى الحجة منها فثار شيعة عثمان بمصر وعقدوا للمعاوية بن خديج وبايعوه على الطلب بدم عثمان وساروا الى الصعيد فبعث اليهم ابن أبي حذيفة خيلاً فهزمت ومضى ابن خديج الى برقة ثم رجع الى الاسكندرية فبعث اليه ابن أبي حذيفة بجيش آخر فاقتلوا بجزيرة في أول شهر رمضان سنة ست وثلاثين فانهزم الجيش وأقامت شيعة عثمان بجزيرة وقدم معاوية بن أبي سفيان يريد القسطنطينية فنزل سلمت في شوال فخرج اليه ابن أبي حذيفة في أهل مصر فمنعوه ثم اتفقا على أن يجعلا رهناً ويتركا الحرب فاستخلف ابن أبي حذيفة على مصر الحكم بن الصلت وخرج في الرهن هو وابن عديس وعدة من قتلة عثمان فلما بلغوا لدا سجنهم معاوية بها وسار الى دمشق فهربوا من السجن وتبعهم أمير فلسطين فقتلهم في ذى الحجة سنة ست وثلاثين * (قيس بن سعد) بن عباد الانصاري ولاء أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه لما بلغه مصاب بن أبي حذيفة وجمع له الخراج والصلوات فدخل مصر مستهل ربيع الاول سنة سبع وثلاثين فاستمال الخارجية بجزيرة شيعة عثمان وبعث اليهم أعطياتهم ووفد عليه وفدهم فأكرمهم وكان من ذوى الرأي فجهد عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان على أن يخرجاه من مصر ليغلبا على أمرها فانها كانت من جيش على رضى الله عنه فامتنع منهما بالدهاء والمساكيدة فلم يقدر على مصر حتى كاد معاوية قيساً من قبل على رضى الله عنه فأشاع أن قيساً من شيعته وأنه يبعث اليه بالكتب والنصيحة سرّاً فسمع ذلك جواسيس على رضى الله عنه وما زال به محمد ابن أبي بكر وعبد الله بن جعفر حتى كتب الى قيس بن سعد يأمره بالقدوم اليه فولياها أن عزل أربعة أشهر وخمسة أيام وصرف الخمس خلون من رجب سنة سبع وثلاثين فولياها * (الاشتر مالك بن الحارث) بن خالد النخعي من قبل أمير المؤمنين على بن أبي طالب فلما قدم القلزم شرب عسلاً مات فبلغ ذلك عمراً ومعاوية فقال عمرو ان لله جنوداً من عدل * ثم وليها (محمد بن أبي بكر الصديق) من قبل على رضى الله عنه وجمع له صلاتها وخراجها فدخلها للنصف من رمضان سنة سبع وثلاثين فهدم دور شيعة عثمان ونهب امواهم وسجن ذرارهم فنصبوا له الحرب ثم صالحهم على أن يسيرهم الى معاوية فلاحقوا بمعاوية بالشام فبعث معاوية عمرو بن العاص في جيوش أهل الشام الى القسطنطينية وتغيب ابن أبي بكر فظفر به معاوية بن خديج فقتله ثم جعله في جيفة حمار ميت وأحرقه بالنار لاربع عشرة خلت من صفر سنة ثمان وثلاثين فكانت ولايته خمسة أشهر * ثم وليها (عمرو بن العاص) ولايته الثانية من قبل معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه فاستقبل بولايته شهر ربيع الاول سنة ثمان وثلاثين وجعل اليه الصلات والخراج جميعاً وجعلت مصر له طعمة بعد عطاء جندها والنفقة في مصلحتها ثم خرج عمر والحكومة واستخلف على مصر ابنه عبد الله وقيل بل

خارجة بن حذافة ورجع الى مصر وتعاقد بنو لحم عبد الرحمن وقيس ويزيد على قتل على ومعاوية وعمرو وتواعدوا ليلة من رمضان سنة أربعين فضى كل منهم الى صاحبه وكان يزيد هو صاحب عمرو فعرضت لعمرو علة منعه من حضور المسجد فصلى خارجة بالناس فشد عليه يزيد فضربه حتى قتله فدخل به على عمرو فقال أما والله ما أردت غيرك يا عمرو قال عمرو ولكن الله أراد خارجة والله در القائل

وليها اذ فدت عمرا بخارجة * فدت عليا بمن شئت من البشر

وعقد عمرو لشريك بن سمى على غزو لوانة من البربر ففزاها في سنة أربعين وصالحهم ثم انتفضوا فبعث اليهم عقبة بن نافع في سنة احدى وأربعين ففزاها حتى هزمهم وعقد لعقبة أيضاً على غزو هواره وعقد لشريك بن سمى على غزو لبدة ففزاها في سنة ثلاث وأربعين فقتلا وعمرو شديد الدنف في مرض موته وتوفى ليلة الفطر فغسله عبد الله بن عمرو وأخرجه الى المصلى وصلى عليه فلم يبق أحد شهد العيد الا صلى عليه ثم صلى بالناس صلاة العيد وكان أبوه استخلفه وخلف عمرو بن العاص سبعين بهارا دنانير والهار جلد ثور ومباغة اردبان بالمصري فلما حضرته الوفاة أخرجه وقال من يأخذه بما فيه فأبى ولداه وأقالا حتى ترد الى كل ذي حق حقه فقال والله ما أجمع بين اثنين منهم فبلغ معاوية فقال نحن نأخذه بما فيه * ثم وليها (عقبة بن أبي سفيان) من قبل أخيه معاوية بن أبي سفيان على صلاتها فقدم في ذي القعدة سنة ثلاث وأربعين وأقام شهرا ثم وفد على أخيه واستخلف عبد الله بن قيس بن الحارث وكان فيه شدة فكره الناس ولايته وامتنعوا منها فباغ ذلك عقبة فرجع الى مصر وصعد المنبر فقال يا أهل مصر قد كنتم تعذرون ببعض المنع منكم لبعض الجور عليكم وقد وليكم من اذا قال فعل فان أيتم درأكم بيده فان أيتم درأكم بسيفه ثم رجا في الاخير ما أدرك في الاول ان البيعة شائعة لنا عليكم السمع والسمع عليكم علينا العدل وأينا غدر فلا ذمة له عند صاحبه فناداه المصريون من جنبات المسجد سمعا سمعا فناداهم عدلا عدلا ثم نزل ثم جمع له معاوية الصلات والخراج وعقد عقبة لما قدمه بن يزيد على الاسكندرية في اثني عشر ألفا من أهل الديوان تكون لها رابطة ثم خرج اليها مرابطا في ذي الحجة سنة أربع وأربعين فمات بها واستخلف على مصر عقبة بن عامر الجهني فكانت ولايته ستة أشهر * ثم وليها (عقبة بن عامر) بن عبس الجهني من قبل معاوية وجعل له صلاتها وخراجها وكان قارئا ففها مفرضا شاعرا له الهجرة والصحبة والسابقة ثم وفد مسلمة محمد بن الانصارى على معاوية فولاه مصر وأمره أن يكتن ذلك عن عقبة بن عامر وجعل عقبة على البحر وأمره أن يسير الى رودس فقدم مسلمة فلم يعلم بامارته وخرج مع عقبة الى الاسكندرية فلما توجه سائرا استوى مسلمة على سرير امارته فباغ ذلك عقبة فقال اخلاها وغربة وكان صرفه لعشر بقين من ربيع

الاول سنة سبع وأربعين وكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر * فولى (مسلمة بن مخلد) بن صامت بن يار الانصارى من قبل معاوية وجمع له الصلوات والخراج والغزو فانتظمت غزواته في البر والبحر وفي امارته نزلت الروم البرلس في سنة ثلاث وخمسين فاستشهد يومئذ ووردان مولى عمرو بن العاص في جمع من المسلمين وهدم ما كان عمرو بن العاص بناء من المسجد وبناه وأمر بابتداء منارات المساجد كلها الا خولان وتجب وخرج الى الاسكندرية في سنة ستين واستخلف عابس بن سعيد ومات معاوية بن أبي سفيان في رجب منها واستخلف ابنه يزيد بن معاوية فأقر مسلمة وكتب اليه بأخذ البيعة فبايعه الجند الا عبد الله بن عمرو ابن العاص فدعا عابس بالنار ليحرق عليه بابه فخنثى بايع ليزيد وقدم مسلمة من الاسكندرية لجمع اهابس مع الشرط القضاء في سنة احدى وستين وقال مجاهد صليت خلف مسلمة بن مخلد فقراً سورة البقرة فما ترك ألفا ولا واوا وقال ابن لهيعة عن الحرث بن يزيد كان مسلمة ابن مخلد يصلى بنا فيقوم في الظهر فربما قرأ الرجل البقرة وتوفى مسلمة وهو وال خمس بقين من رجب سنة اثنتين وستين فكانت ولايته خمس عشرة سنة وأربعة أشهر واستخلف عابس بن سعيد * ثم وليها (سعيد بن يزيد) بن علقمة بن يزيد بن عوف الازدى من أهل فلسطين فقدم مستهل رمضان سنة اثنتين وستين فلقاه عمرو بن حزم الحولاني فقال يفر الله لامي المؤمنين أما كان فينا مائة شاب كلهم مثلك يولى علينا أحدهم ولم تزل أهل مصر على الشنآن له والاعراض عنه والتكبر عليه حتى توفي يزيد بن معاوية ودعا عبد الله بن الزبير رضي الله عنه الى نفسه فقامت الخوارج الذين بمصر وأظهروا دعوته وسار منهم اليه فبعث لعبد الرحمن بن حجاجم فقدم واعتزل سعيدا فكانت ولايته سنتين غير شهر * ثم وليها (عبد الرحمن بن عتبة) بن حجاجم من قبل عبد الله بن الزبير فدخل في شعبان سنة أربع وستين في جمع كثير من الخوارج فأظهروا التحكيم ودعوا اليه فاستعظم الجند ذلك وبايعه الناس على غل في قلوب شيعة بني أمية ثم يبيع مروان بن الحكم بالخلافة في أهل الشام وأهل مصر معه في الباطن فسار اليها وبعث ابنه عبد العزيز في جيش الى أيلة ليدخل مصر من هنسك وأجمع ابن حجاجم على حربه وحفر الخندق في شهر وهو الذي في شرق القرافة وقدم مروان فخاربه ابن حجاجم وقتل بينهما كثير من الناس ثم اصطالحا ودخل مروان اعشر من جمادى الاولى سنة خمس وستين فكانت مدة ابن حجاجم تسعة أشهر ووضع مروان العطاء فبايعه الناس الا نفرًا من المغافر قالوا لا نخلع بيعة ابن الزبير فضرب أعناقهم وكانوا ثمانين رجلا وذلك لانصف من جمادى الآخرة ويومئذ مات عبدالله بن عمرو بن العاص فلم يستطع أن يخرج بجنازته الى المقبرة لشغب الجند على مروان وجعل مروان صلوات مصر وخراجها الى ابنه عبد العزيز وسار وقد اقام بها شهرين لهلال رمضان (عبد العزيز بن مروان) بن

الحكم بن أبي العاص أبو الاصبع ولي من قبل أبيه هلال رجب سنة خمس وستين على الصلوات والخراج ومات أبوه وبويع من بعده عبد الملك بن مروان فأثر أخاه عبد العزيز ووقع الطاعون بمصر سنة سبعين تفرج عبد العزيز منها ونزل حلوان فاتخذها دارا وسكنها وجعل بها الاعوان وبني بها الدور والمساجد وعمرها أحسن عمارة وغرس نخلاها وكرمها وعرف بمصر وهو أول من عرف بها في سنة إحدى وسبعين وجهز البعث في البحر لقتال ابن الزبير في سنة اثنين وسبعين ثم مات ثلاث عشرة خلت من جمادى الاولى سنة ست وثمانين فكانت ولايته عشرين سنة وعشرة أشهر وثلاثة عشر يوما فولي (عبد الله بن عبد الملك) بن مروان من قبل أبيه على صلاتها وخراجها فدخل يوم الاثنين لاحدى عشرة خلت من جمادى الآخرة سنة ست وثمانين وهو ابن تسع وعشرين سنة وقد تقدم اليه أبوه أن يقتنى آثار عمه عبد العزيز فاستبدل بالعمال وبالأحباب ومات عبد الملك وبويع ابنه الوليد بن عبد الملك فأقر أخاه عبد الله وأمر عبد الله فنتسخت دواوين مصر بالعربية وكانت بالقبطية وفي ولايته غلت الاسعار فقام الناس به وهي أول شدة رأوها بمصر وكان يرتشى ثم وفد على أخيه في صفر سنة ثمان وثمانين واستخلف عبيد الرحمن بن عمر بن قحزم الخولاني وأهل مصر في شدة عظيمة ورفع سقف المسجد الجامع في سنة تسع وثمانين ثم صرف فكانت ولايته ثلاث سنين وعشرة أشهر * فولي (قرة بن شريك) بن مرثد بن الحرث العبسي للوليد بن عبد الملك على صلات مصر وخراجها فقدمها يوم الاثنين ثلاث عشرة خلت من ربيع الاول سنة تسعين وخرج عبد الله بن عبيد الملك من مصر بكل ماله فاحيط به في الاردن وأخذ سائر ماله وحمل الى أخيه وأمر الوليد بهدم ما بناه عبد العزيز في المسجد فهدم أول سنة اثنين وتسعين وبني واستنبط قرة بن شريك بركة الحبش من المواث وأحياها وغرس فيها القصب فقبل لها اصطبل قرة واصطبل القاش ثم مات وهو وال ليلة الخميس لست بقين من ربيع الاول سنة ست وتسعين واستخلف على الجند والخراج عبد الملك بن رفاعه فكانت ولايته ست سنين وأياما * ثم ولي (عبد الملك بن رفاعه) بن خالد بن ثابت الفهمي من قبل الوليد بن عبد الملك على صلاتها وتوفي الوليد واستخلف سليمان بن عبد الملك فأقر ابن رفاعه وتوفي سليمان وبويع عمر بن عبد العزيز ف عزل ابن رفاعه فكانت ولايته ثلاث سنين * ثم ولي (أيوب بن شرحبيل) بن اكسوم بن ابرهة ابن الصباح من قبل عمر بن عبد العزيز على صلاتها في ربيع الاول سنة تسع وتسعين فورد كتاب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز بالزيادة في أعطيات الناس عامة وخرت الحر وكسرت وعطلت حاناتها وقسم للغارمين بخمسة وعشرين ألف دينار ونزعت موارث القبط عن الكور واستعمل المسلمون عليها ومنع الناس الحمامات وتوفي عمر بن عبيد العزيز

واستخلف يزيد بن عبد الملك فأقر أيوب على الصلوات الى أن مات لاحدى عشرة وقيل لسبع عشرة خلت من رمضان سنة احدى ومائة فكانت ولايته سنتين ونصفاً * فولى (بشر ابن صفوان) الكاكي من قبل يزيد بن عبد الملك قدها لسبع عشرة خلت من رمضان سنة احدى ومائة وفي امرته نزل الروم تنيس ثم ولاء يزيد على أفريقية فخرج اليها في شوال سنة اثنتين ومائة واستخلف اخاه حنظلة * فولى (حنظلة بن صفوان) باستخلاف أخيه فأقره يزيد بن عبد الملك وخرج الى الاسكندرية في سنة ثلاث ومائة واستخلف عقبة بن مسلمة التيجي وكتب يزيد بن عبد الملك في سنة أربع ومائة بكسر الاصنام والتماثيل فكسرت كلها ومحيت التماثيل ومات يزيد بن عبد الملك وبويع هشام بن عبد الملك فصرف حنظلة في شوال سنة خمس ومائة فكانت ولايته ثلاث سنين * وولى (محمد بن عبد الملك بن مروان) ابن الحكم من قبل أخيه هشام بن عبد الملك على الصلوات فدخل مصر لاحدى عشرة خلت من شوال سنة خمس ومائة ووقع وباء شديد بمصر فترفع محمد الى الصعيد هاربا من الوباء اياما ثم قدم وخرج عن مصر لم يلبها الا نحو من شهر وانصرف الى الاردن فولى (الحر بن يوسف) بن يحيى بن الحكم من قبل هشام بن عبد الملك على صلاتها فدخل لثلاث خلون من ذى الحجة سنة خمس ومائة وفي امرته كان أول انتفاض القبط في سنة سبع ومائة ورابط بدمياط ثلاثة أشهر ثم وفد الى هشام بن عبد الملك فاستخلف حفص بن الوليد وقدم في ذى القعدة من سنة سبع وانكشف الثيل عن الارض فني فيها وصرف في ذى القعدة سنة ثمان ومائة باستعفائه لمقاضية ~~كانت~~ بينه وبين عبد الله بن الحبحاب متولى خراج مصر فكانت ولايته ثلاث سنين سواء * وولى (حفص بن الوليد) ابن سيف بن عبد الله من قبل هشام بن عبد الملك ثم صرف بعد جمعيتين يوم الاضحى بشكوى ابن الحبحاب منه وقيل صرف سلخ ثمان ومائة * فولى (عبد الملك بن رفاعه) ثانياً على الصلوات فقدم من الشام عيلاً لثني عشرة بقيت من المحرم سنة تسع ومائة وكان أخوه الوليد يخلفه من أول المحرم وقيل بل ولى أول المحرم ومات للنصف منه وكانت ولايته خمس عشرة ليلة * ثم ولى أخوه (الوليد بن رفاعه) باستخلاف أخيه فأقره هشام بن عبد الملك على الصلوات وفي ولايته نقلت قيس الى مصر ولم يكن بها أحد منهم وخرج وهيب اليحصي شاردًا في سنة سبع عشرة ومائة من أجل ان الوليد اذن للنصارى في ابتناء كنيسة يومنا بالهراء وتوفي وهو وال أول جمادى الآخرة سنة سبع عشرة واستخلف عبد الرحمن ابن خالد فكانت امرته تسع سنين وخمسة أشهر * فولى (عبد الرحمن بن خالد) بن مسافر الفهمي أبو الوليد من قبل هشام بن عبد الملك على صلاتها وفي امرته نزل الروم على تروجة فحاصروها ثم اقتتلوا فأسروا فصرفه هشام فكانت ولايته سبعة أشهر * (وولى حنظلة

ابن صفوان ثانياً) فقدم خمس خلون من الحرم سنة تسع ومائة فانتقض القط وحاربهم في سنة احدى وعشرين ومائة وقدم رأس زيد بن علي الى مصر في سنة اثنيتين وعشرين ومائة ثم ولاد هشام افرقية فاستخلف حفص بن الوليد بامرة هشام وخرج لسبع خلون من ربيع الآخر سنة أربع وعشرين ومائة فكانت ولايته هذه خمس سنين وثلاثة أشهر* وولى (حفص بن الوليد) الحضرمي ثانياً باستخلاف حفظة له على صلاتها فأقره هشام بن عبد الملك الى ليلة الجمعة ثلاث عشرة خلت من شعبان سنة أربع وعشرين فجمع له الصلوات والحراج جميعاً واستسقى بالناس وخطب ودعاهم صلىهم ومات هشام بن عبد الملك واستخلف من بعده الوليد بن يزيد فأقر حفصاً على الصلوات والحراج ثم صرف عن الحراج بميسى ابن أبي عطاء لسبع بقين من شوال سنة خمس وعشرين ومائة وانفرد بالصلوات ووفد على الوليد بن يزيد واستخلف عقبه بن نعيم الرعيبي وقتل الوليد بن يزيد وحفص بالشام وبويع يزيد بن الوليد بن عبد الملك فأمر حفصاً بالاحاق بجنده وأمره على ثلاثين ألفاً وفرض الفروض وبعث بيعة أهل مصر الى يزيد بن الوليد ثم توفي يزيد وبويع ابراهيم ابن الوليد وخلعه مروان بن محمد الجعدي فكتب حفص يستفيه من ولاية مصر فأعفاه مروان فكانت ولاية حفص هذه ثلاث سنين الاشهر* وولى (حسان بن عتاهية) بن عبد الرحمن التجيبي وهو بالشام فكتب الى خير بن نعيم باستخلافه فلم حفص الى خير ثم قدم حسان لثنتي عشرة خلت من جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ومائة على الصلوات وعيسى ابن أبي عطاء على الحراج فأسقط حسان فروض حفص كلها فوثبوا به وقالوا لا نرضى الا بحفص وركبوا الى المسجد ودعوا الى خلع مروان وحسروا حسان في داره وقالوا له اخرج عنا فانك لا تقيم معنا ببلد وأخرجوا عيسى بن أبي عطاء صاحب الحراج وذلك في آخر جمادى الآخرة وأقاموا حفصاً فكانت ولاية حسان ستة عشر يوماً* فولى (حفص ابن الوليد) الثالثة كرها أخذ قواد الفروض بذلك فأقام على مصر رجب وشعبان ولحق حسان بمروان وقدم حفظة بن صفوان من افرقية وقد أخرجه أهلها فزل الجزيرة وكتب مروان بولايته على مصر فامتتع المصريون من ولاية حفظة وأظهروا الخلع وأخرجوا حفظة الى الحوف الشرقي ومنعوه من المقام بالفسطاط وهرب ثابت بن نعيم من فلسطين يريد الفسطاط فخاربوه وهزموه وسكت مروان عن مصر بقية سنة سبع وعشرين ومائة ثم عزل حفصاً مستهل سنة ثمان وعشرين* وولى (الحوثة بن سهيل) بن العجلان الباهلي فسار اليها في آلاف وقدم أول الحرم وقد اجتمع الجند على منعه فأبى عليهم حفص فخافوا حوثة وسألوه الامان فأمنهم ونزل ظاهر الفسطاط وقداطمأنوا اليه فخرج اليه حفص ووجوه الجند فقبض عليهم وقيدهم فأنهزم الجند ودخل معه عيسى بن أبي عطاء على الحراج

لثنتي عشرة خات من المحرم وبعث في طاب رؤساء الفتنة فجمعوا له وضرب أعناقهم وقتل
حنص بن الوليد ثم صرف في جمادى الاولى سنة احدى وثلاثين ومائة وبعث مروان الى
العراق فقتل واستخلف على مصر حسان بن عتاهية وقيل أبا الجراح بشر بن اوس وخرج
امشر خلون من رجب وكانت ولايته ثلاث سنين وستة أشهر * ثم ولي (المغيرة بن عبيد
الله) بن المغيرة الفزاري على الصلات من قبل مروان فقدم لست بقين من رجب سنة احدى
وثلاثين وخرج الى الاسكندرية واستخلف أبا الجراح الحرشي وتوفي لثنتي عشرة خات
من جمادى الاولى سنة اثنتين وثلاثين ومائة فكانت ولايته عشرة أشهر واستخلف ابنه
الوليد بن المغيرة ثم صرف الوليد في النصف من جمادى الآخرة * وولي (عبد الملك بن
مروان) بن موسى بن نصير من قبل مروان على الصلات والحراج وكان واليا على الحراج
قبل أن يولى الصلات في جمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثين ومائة فأمر بالتحاذ المنابر في
الكور ولم تكن قبله وانما كانت ولاة الكور يخطبون على المعصى الى جانب القبلة وخرج
القبط فخاربهم وقتل كثيرا منهم وخالف عمرو بن سهيل بن عبد العزيز بن مروان على مروان
واجتمع عليه جمع من قيس في الحوف الشرقي فبعث اليهم عبد الملك بجيش فلم يكن حرب
وسار مروان بن محمد الى مصر منهزما من بني العباس فقدم يوم الثلاثاء لثمان بقين من شوال
سنة اثنتين وثلاثين ومائة وقد سود أهل الحوف الشرقي وأهل الاسكندرية وأهل الصعيد واسوان
فعزم مروان على تعمية النيل وأحرق دار آل مروان المذهبية ثم رحل الى الجيزة وخرق
الجسرين وبعث بجيش الى الاسكندرية فاقتتلوا بالكربون وخالفت القبط برشيد فبعث اليهم
وهزمهم وبعث الى الصعيد فقدم صالح بن علي بن عبد الله بن عباس في طلب مروان هو
وأبو عون عبد الملك بن يزيد يوم الثلاثاء للنصف من ذي الحجة فأدرك صالح مروان
ببوصير من الجيزة بعد ما استخلف على الفسطاط معاوية بن ببيعة بن ريسان فخارب مروان
حتى قتل ببوصير يوم الجمعة لسبع بقين من ذي الحجة ودخل صالح الى الفسطاط يوم الاحد
لثمان خلون من المحرم سنة ثلاث وثلاثين ومائة وبعث برأس مروان الى العراق وانقضت
أيام بني أمية * فولى (صالح بن علي) بن عبد الله بن عباس ولي من قبل أمير المؤمنين أبي
العباس عبد الله بن محمد السفاح فاستقبل بولايته المحرم سنة ثلاث وثلاثين ومائة وبعث بوغد
أهل مصر الى أبي العباس السفاح ببيعة أهل مصر وأسر عبد الملك بن موسى بن نصير وجماعة
وقتل كثيرا من شيعة بني أمية وحمل طائفة منهم الى العراق فقتلوا بقانسوة من أرض فلسطين
وأمر للناس بأعطيتهم للمقاتلة والعيال وقسمت الصدقات على اليتامى والمساكين وزاد صالح
في المسجد وورد عليه كتاب أمير المؤمنين السفاح بمارته على فلسطين والاستخلاف على
مصر فاستخلف اباعون مستهل شعبان سنة ثلاث وثلاثين وسار ومعه عبد الملك بن نصير

ملزما وعدة من أهل مصر بحجابة لامير المؤمنين وأقطع الذين سودوا أقطائع منها منية ولاق وقرى اهناش وغيرها ثم من بعد صالح بن علي سكن امرأ مصر العسكر وأول من سكنه أبو عون والله تعالى اعلم

ذكر العسكر الذي بني بظاهر مدينة فسطاط مصر

اعلم أن موضع العسكر قد كان يعرف في صدر الاسلام بالجرء القصوى وقد تقدم أن الجرء القصوى كانت خطلة بني الأزرق وبني رويسل وبني يشكر بن حزيلة ثم دثرت هذه الخطط بعد العمارة بتلك القبائل حتى صارت صحراء فلما قدم مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية الى مصر منهمزما من بني العباس نزلت عساكر صالح بن علي وأبي عون عبد الملك بن يزيد في هذه الصحراء حيث جبل يشكر حتى ماؤا القضاء وأمر أبوعون اصحابه بالبناء فيه فبنوا وذلك في سنة ثلاث وثلاثين ومائة فلما خرج صالح بن علي من مصر خرب أكثر ما بني فيه الى زمن موسى بن عيسى الهاشمي فابقي فيه دارا أنزل فيها حشمه وعبيده وعمر الناس ثم ولي السرى بن الحكم فاذن للناس في البناء فابتنوا فيه وصار مملوكا بأيديهم واتصل بناؤه ببناء الفسطاط وبنيت فيه دار الامارة ومسجد جامع عرف بجامع العسكر ثم عرف بجامع ساحل الغلة وسميت الشرطة أيضا في العسكر وقيل لها الشرطة العليا والى جانبها بني أحمد ابن طولون جامع الموجود الآن وسمى من حينئذ ذلك القضاء بالعسكر وصار امرأ مصر اذا ولوا ينزلون به من بعد أبي عون فقال الناس من يومئذ كنا بالعسكر وخرجنالى العسكر وكتب من العسكر وصار مدينة ذات محال واسواق ودور عظيمة وفيه بني أحمد بن طولون مارستانه فأنفق عليه وعلى مستغله ستين ألف دينار وكان بالقرب من بركة قارون التي صارت كيانا وبعضها بركة على يسرة من سار من حدره ابن قتيبة يريد قنطرة السد وعلى بركة قارون هذه كانت جنان بني مسكين وبني كافور الاخشيدي دارا أنفق عليها مائة ألف دينار وسكنها في رجب سنة ست وأربعين وثلثمائة وانتقل منها بعد أيام لوباء وقع في غلمانها من بخار البركة وعظمت العمارة في العسكر جدا الى أن قدم أحمد بن طولون من العراق الى مصر فنزل بدار الامارة من العسكر وكان لها باب الى جامع العسكر وينزلها الامراء منذ بناها صالح بن علي بعد قتله مروان وما زال بها أحمد بن طولون الى أن بني القصر والميدان بالقطائع فتحول من العسكر وسكن قصره بالقطائع فلما ولي أبو الجيش خمارويه بن أحمد ابن طولون بعد أبيه جعل دار الامارة ديوان الخراج ثم فرقت حجرا بعد دخول محمد بن سليمان الكاتب الى مصر وزوال دولة بني طولون فسكن محمد بن سليمان بدار الامارة في العسكر عند المصلى القديم وكان المصلى القديم حيث الكوم المطل الآن على قبر القاضي بكار وما زالت الامراء تنزل بالعسكر الى أن قدم القائد جوهر من المغرب وبني القاهرة المعزية (م ١٢ - خطط ني)

ولما بنى أحمد بن طولون القطائع اتصلت مبانيها بالعسكر وبنى جامعاً على جبل يشكر فعمر ما هنالك عمارة عظيمة تخرج عن الحد في الكثرة وقدم جوهر القائد بمسكراً مولاه المعز لدين الله في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة والعسكر عامر إلا أنه منذ بنيت القطائع هجر اسم العسكر وصار يقال مدينة القسطاط والقطائع وربما قيل والعسكر أحياناً فلما خرب محمد بن سليمان قصر ابن طولون وميدانه بقي في القطائع مساكن جلييلة حيث كان العسكر وأُنزل المعز لدين الله عمه أبا علي في دار الإمارة فلم يزل أهلها بها إلى أن خربت القطائع في الشدة العظمى التي كانت في خلافة المستنصر أعوام بضع وخمسين وأربعمائة فيقال أنه كان هناك زيادة على مائة ألف دار سوى البساتين وما هذا ببعيد فإن ذلك كان ما بين سفح الشرف الذي عليه الآن قلعة الحيل وبين ساحل مصر القديم حيث الآن الكبرياء خارج مصر وما على سمتها إلى كوم الجراح ومن كوم الجراح إلى جامع ابن طولون وخط قناطر السباع وخط السبع سقايات إلى قنطرة السد ومراغة مصر إلى المعارج بمصر وإلى كوم الجراح ففي هذه المواضع كان العسكر والقطائع ويخص العسكر من ذلك ما بين قناطر السباع وحدرة ابن قتيبة إلى كوم الجراح حيث الفضاء الذي يتوسط ما بين قنطرة السد وبين سور القرافة الذي يعرف بباب المجدم فهذا هو العسكر ولما استولى الخراب في الحنة أمر ببناء حائط يستر الخراب عن نظر الحليفة إذا سار من القاهرة إلى مصر فيما بين العسكر والقطائع وبين الطريق وأمر ببناء حائط آخر عند جامع ابن طولون فلما كان في خلافة الأمر بأحكام الله أبي علي منصور ابن المستعلي أمر وزيره أبو عبد الله محمد بن فائق المنعوت بالأجل المأمون بن البطايحي فنودي مدة ثلاثة أيام في القاهرة ومصر بأن من كان له دار في الخراب أو مكان فليعمره ومن عجز عن عمارته يبيعه أو يؤجره من غير نقل شيء من أوقافه ومن تأخر بعد ذلك فلاحق له ولا حكر يلزمه وأباح تعمير جميع ذلك بغير طلب حق وكان سبب هذا النداء أنه لما قدم أمير الجيوش بدر الجمالي في آخر الشدة العظمى وقام بعمارة أقاليم مصر أخذ الناس في نقل ما كان بالقطائع والعسكر من أوقاف المساكن حتى أتى على معظم ما هنالك الهدم فصار موحشاً وخرب ما بين القاهرة ومصر من المساكن ولم يبق هنالك إلا بعض البساتين فلما نادى الوزير المأمون عمر الناس ما كان من ذلك مما يلي القاهرة من جهة المشهد النفيسى إلى ظاهر باب زويلة كما ورد خبر ذلك في موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ونقلتم أوقاف العسكر كما تقدم فصار هذا الفضاء الذي يتوصل إليه من مشهد السيدة نفيسة ومن الجامع الطولوني ومن قنطرة السد ومن باب المجدم في سور القرافة ويسلك في هذا الفضاء إلى كوم الجراح ولم يبق الآن من العسكر ما هو عامر سوى جبل يشكر الذي عليه جامع ابن طولون وما حوله من الكباش وحدرة ابن قتيبة إلى خط السبع سقايات وخط قناطر

السباع الى جامع ابن طولون وأما سوق الجامع من قبله وما وراء ذلك الى المشهد النفيسي
والى القبيبات والرميلة تحت القلعة فانما هو من القطائع كما ستقف عليه عند ذكر القطائع وعند
ذكر هذه الخطط ان شاء الله تعالى وطالما سلكت هذا الفضاء الذى بين جامع ابن طولون
وكوم الجراح حيث كان العسكر وتذكرت ما كان هنالك من الدور الجليلة والمنازل العظيمة
والمساجد والاسواق والحمامات والبساتين والبركة البديعة والمارستان العجيب وكيف بادت
حتى لم يبق لشيء منها أثر البتة فأنشدت أقول

وبادوا فلا مخبر عنهم * وماتوا جميعا وهذا الحبر

فمن كان ذاعبرة فليكن * فطينا ففى من مضى معتبر

وكان لهم أثر صالح * فأين هم ثم أين الأثر

وسأبقي لذلك مزيد بيان عند ذكر القطائع وعند ذكر خط قناطر السباع وغيره من

هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

ذكر من نزل العسكر من امراء مصر من حين بنى الى أن بنيت القطائع
اعلم أن امراء مصر ما برحوا ينزلون فسطاط مصر منذ اختط بعد الفتح الى أن بنى
أبو عون العسكر فصارت امراء مصر من عهد أبي عون اتما ينزلون بالعسكر وما برحوا على
ذلك الى أن أنشأ الأمير أبو العباس أحمد بن طولون القصر والميدان والقطائع فتحول من
العسكر الى القصر وسكن فيه وسكنه الامراء من أولاده بعده الى أن زالت دولتهم فسكن
الامراء بعد ذلك العسكر الى أن زالت دولة الاخشيدية بقدم جوهر القائد من المغرب *
وأول من سكن العسكر من امراء مصر (أبو عون) عبد الملك بن يزيد من أهل جرجان
ولى صلات مصر وخارجها باستخلاف صالح بن على له في مستهل شعبان سنة ثلاث وثلاثين
ومائة ووقع الوباء بمصر فهرب أبو عون الى يشكر واستخلف صاحب شرطته عكرمة بن
عبد الله بن عمرو بن حزم وخرج الى دمياط في سنة خمس وثلاثين ومائة واستخلف عكرمة
وجعل على الخراج عطاء بن شرحيل وخرج القبط بسمود فبعث اليهم وقلهم وورد الكتاب
بولاية صالح بن على على مصر وفلسطين والمغرب جمعت له ووردت الجيوش من قبل أمير
المؤمنين السفاح لغزو المغرب فولى (صالح بن على) الثانية على الصلات والخارج فدخل تونس
خلون من ربيع الآخر سنة ست وثلاثين ومائة فأقر عكرمة على شرطة الفسطاط وجعل
على شرطته بالعسكر يزيد بن هاني الكندى وولى أبا عون جيوش المغرب وقدم أمامه دعاة
لاهل أفريقيا وخرج أبو عون في جمادي الآخرة وجهزت المراكب من الاسكندرية الى
برقة فأت السفاح في ذي الحجة واستخلف أبو جعفر عبد الله بن محمد المنتصور فأقر صالحا
وكتب الى أبي عون بالرجوع ورد الدعاة وقد بالغوا شربا وبلغ أبو عون برقة فأقام بها

أحد عشر يوماً ثم عاد إلى مصر في جيشه فجهزه صالح إلى فلسطين لحربه فغلب وسير إلى مصر ثلاثة آلاف رأس ثم خرج صالح إلى فلسطين واستخلف ابنه الفضل فبلغ بلبس ورجع ثم خرج لأربع خلون من رمضان سنة سبع وثلاثين فلقى أما عون بالفرما فأمره على مصر صلاتها وخراجها ومضى فدخل أبو عون القسطنطينية لأربع بقين من رمضان فولى * (أبو عون) ولايته الثانية من قبل صالح بن علي ثم أفرده أبو جعفر بولايتها وقدم أبو جعفر بيت المقدس وكتب إلى أبي عون بأن يستخلف على مصر ويخرج إليه فاستخلف عكرمة على الصلوات وعطاء على الخراج وخرج للنصف من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائة فلما صار إلى أبي جعفر بيت المقدس بعث أبو جعفر موسى بن كعب فكانت ولاية أبي عون هذه ثلاث سنين وستة أشهر فوليا (موسى بن كعب) بن عينة ابن عائشة أبو عيينة من تميم من قبل أبي جعفر المنصور وكان أحد ثقباء بني العباس فدخلها لأربع عشرة بقيت من ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين ومائة على صلاتها وخراجها ونزل العسكر وبها الناس من الجند يغدون ويروحون إليه كما كانوا يفعلون بالامراء قبله فانتها عنه حتى لم يكن أحد يلزم بابه وكان قدامهم في خراسان بأمر أبي مسلم فأمر به أسد بن عبد الله البجلي وإلى خراسان فألجم بلجام ثم كسرت أسنانه فكان يقول بمصر كانت لنا أسنان وليس عندنا خبز فلما جاء الحزب ذهب الأسنان وكتب إليه أبو جعفر اني عزلتك من غير سخطه ولكن بلغني أن غلاما يقتل بمصر يقال له موسى فكرهت أن تكونه فكان ذلك موسى بن مصعب زمن المهدي كما يأتي ان شاء الله تعالى فولى موسى بن كعب سبعة أشهر وصرف في ذي القعدة واستخلف على الجند ابن خاله ابن حبيب وعلى الخراج نوفل بن الفرات وخرج لست بقين منه فولى (محمد بن الأشعث) ابن عقبة الخزازي من قبل أبي جعفر على الصلوات والخراج وقدم خمس خلون من ذي الحجة سنة إحدى وأربعين ومائة وبعث أبو جعفر إلى نوفل بن الفرات أن اعرض على محمد بن الأشعث ضمان خراج مصر فإن ضمنه فأشهد عليه وأشخص إلى وان أبي فاعمل على الخراج فعرض عليه ذلك فأبى فانتقل نوفل الدواوين فافتقد ابن الأشعث الناس فليل له هم عند صاحب الخراج فقدم على تسليمه وعقد على جيش بعث به إلى المغرب لحربه فأهزم وخرج ابن الأشعث يوم الاضحى سنة اثنتين وأربعين وتوجه إلى الاسكندرية واستخلف محمد بن معاوية بن بجبر بن ريسان صاحب شرطته ثم صرف ابن الأشعث فكانت ولايته سنة وشهرا وولى (حميد بن حطبة) بن شبيب بن خالد ابن سعد ان الطائي من قبل أبي جعفر على الصلوات والخراج فدخل في عشرين ألفا من الجند خمس خلون من رمضان سنة ثلاث وأربعين ومائة ثم قدم عسكر آخر في شوال وقدم على ابن محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسن داعية لايه وعمه فدمس إليه حميد فغيب فكاتب

بذلك الى أبي جعفر فصرفه في ذى القعدة وخرج ثمان بقين من ذى القعدة سنة أربع وأربعين
فولى (يزيد بن حاتم) بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة من قبل أبي جعفر على الصلوات
والخراج فقدم على البريد للنصف من ذى القعدة فاستخلف على الخراج معاوية بن مروان
ابن موسى بن نصير وفي امرته ظهرت دعوة بنى الحسن بن علي بمصر وتكلم بها الناس
وباع كثير منهم لعلي بن محمد بن عبد الله وطرق المسجد لعشر خلون من شوال سنة
خمس وأربعين كما يذكر في موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى ثم قدمت الخطباء
برأس ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي في ذى الحجة فنصبت في المسجد
وورد كتاب أبي جعفر بأمر يزيد بن حاتم بالتحويل من العسكر الى القسطنطينية وأن يجعل
الديوان في كنائس القصر وذلك في سنة ست وأربعين ومائة من أجل ليلة المسجد ومنع
يزيد أهل مصر من الحج سنة خمس وأربعين فلم يحج أحد منهم ولا من أهل الشام لما كان
بالحجاز من الاضطراب بأمر بنى حسن ثم حج يزيد في سنة سبع وأربعين واستخلف عبد
الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج صاحب شرطته وبعث جيشا لغزو الحبشة من أجل
خارجي ظهر هناك فظفر به الخديش وقدم رأسه في عدة رؤس فحمات الى بغداد وضم يزيد
برقة الى عمل مصر وهو أول من ضمها الى مصر وذلك في سنة ثمان وأربعين وخرج القبط
بسبب في سنة خمسين ومائة فبعث اليهم جيشا فشتت القبط ورجع منهم ما فصرفه أبو جعفر
في ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين ومائة فكانت ولايته سبع سنين وأربعة أشهر وولى
(عبد الله بن عبد الرحمن) بن معاوية بن خديج من قبل أبي جعفر على الصلوات لثلاث عشرة بقية
من ربيع الآخر وهو أول من خطب بالسواد وخرج الى أبي جعفر لعشرين من رمضان
سنة أربع وخمسين ومائة واستخلف أخاه محمدا ورجع في آخرها ومات وهو وال مستهل
صفر سنة خمس وخمسين ومائة واستخلف أخاه محمدا فكانت ولايته سنتين وشهرين فولى
(محمد بن عبد الرحمن) بن معاوية بن خديج باستخلاف أخيه فأقره أبو جعفر على الصلوات
ومات وهو وال للنصف من شوال فكانت ولايته ثمانية أشهر ونصف واستخلف موسى بن
علي فولى (موسى بن علي) بن زياد باستخلاف محمد بن خديج فأقره أبو جعفر على الصلوات
وخرج القبط بهيب في سنة ست وخمسين فبعث اليهم وهزمهم وكان يروح الى المسجد ماشيا
وصاحب شرطته بين يديه يحمل الحربة وإذا أقام صاحب الشرطة الحدود يقول له ارحم
أهل البلاد فيقول أيها الأمير ما يصلح الناس الا ما يفعل بهم وكان يحدث فيكتب الناس عنه ومات
أبو جعفر لست خلون من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة وبويع ابنه محمد المهدي
فأقر موسى بن علي الى سابع عشر ذى الحجة سنة احدى وستين ومائة فكانت ولايته ست
سنين وشهرين وولى (عيسى بن لقمان) بن محمد الجمحي من قبل المهدي على الصلوات

والخراج فقدم ثلاث عشرة بقيت من ذى الحجة سنة احدى وستين ومائة وصرف لثنتي عشرة بقيت من جمادى الاولى سنة اثنتين وستين ومائة فولها أربعة أشهر ثم ولى (واضح مولى أبى جعفر) من قبل المهدي على الصلات والخراج فدخل لست بقين من جمادى الاولى وصرف في رمضان فولى (منصور بن يزيد) بن منصور الرعيني وهو ابن خال المهدي على الصلات فقدم لاحدى عشرة خلت من رمضان سنة اثنتين وستين ومائة وصرف للنصف من ذى الحجة فكان مقامه شهرين وثلاثة أيام ثم ولى (يحيى بن داود) أبو صالح من أهل خراسان من قبل المهدي على الصلات والخراج فقدم في ذى الحجة وكان أبوه تركيا وهو من أشد الناس وأعظمهم هيبة وأقدمهم على الدم وأكثرهم عقوبة فنع من غاق الدروب بالليل ومن غلق الحوائط حتى جعلوا عليها شرائع القصب لمنع الكلاب ومنع حراس الحمامات أن يجلسوا فيها وقال من ضاع له شيء فعلى اداؤه وكان الرجل يدخل الحمام فيضع ثيابه ويقول يا أبا صالح احرسها فكانت الامور على هذا مدة ولايته وأمر الاشراف والفقهاء وأهل النوبات بلبس القلائس الطوال والدخول بها على السلطان يوم الاثنين والخميس بلا أردية وكان أبو جعفر المنصور اذا ذكره قال هو رجل يخافني ولا يخاف الله فولى الى الحرم سنة أربع وستين وقدم * (سالم بن سودة) * التميمي من قبل المهدي على الصلات ومعه أبو قطيعة اسماعيل بن ابراهيم على الخراج لثنتي عشرة خلت من الحرم ثم ولى (ابراهيم ابن صالح) بن علي بن عبد الله بن عباس من قبل المهدي على الصلات والخراج فقدم لاحدى عشرة خلت من الحرم سنة خمس وستين وابتنى دارا عظيمة بالموقف من العسكر وخرج دحية بن المعصب بن الاصبع بن عبد العزيز بن مروان بالصعيد وناذ ودعا الى نفسه بالخلافة فترأخى عنه ابراهيم ولم يحفل بأمره حتى ملك عامة الصعيد فسخط المهدي لذلك وعزله عز لاقيحما لسبع خلون من ذى الحجة سنة سبع وستين فولها ثلاث سنين ثم ولى (موسى بن مصعب) بن الربيع من أهل الموصل على الصلات والخراج من قبل المهدي فقدم لسبع خلون من ذى الحجة المذكور فرد ابراهيم وأخذ منه ومن عمل له ثمانمائة ألف دينار ثم سيره الى بغداد وشدد موسى في استخراج الخراج وزاد على كل فدان ضعف ما يقبل به وارتضى في الاحكام وجعل خراجا على أهل الاسواق وعلى الدواب فكرهه الجند وناذوه ونارت قيس والجنانية وكتبوا أهل الفسطاط فاتفقوا عليه وبعث بجيش الى قتال دحية بالصعيد وخرج في جند مصر كلهم اقبال أهل الحوف فلما التقوا انهزم عنه أهل مصر بأجمعهم وأسلموا فقتل من غير أن يتكلم أحد من أهل مصر لتسع خلون من شوال سنة ثمان وستين ومائة فكانت ولايته عشرة أشهر وكان ظالما غاشما سمعه الليث بن سعد يقرأ في خطبته انا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها فقتل الليث اللهم لا تمقتنا ثم ولى

(عسامة بن عمرو) باستخلاف موسى بن مصعب وبعث الى دحية جيشا مع أخيه بكار ابن عمرو فحارب يوسف بن نصير وهو على جيش دحية فتطاعنا ووضع يوسف الرمح في خاصرة بكار ووضع بكار الرمح في خاصرة يوسف فقتلا معا ورجع الجيشان منهزمين وذلك في ذي الحجة وصرف عسامة ثلاث عشرة خلت من ذي الحجة بكتاب ورد عليه من الفضل بن صالح بأنه ولي مصر وقد استخلفه نخله الى سلخ المحرم سنة تسع وستين ومائة ثم قدم (الفضل بن صالح) بن علي بن عبد الله بن عباس سلخ المحرم المذكور في جيوش الشام ومات المهدي في المحرم هذا وبويع موسى الهادي فأقر الفضل وقدم مصر يضطرب من أهل الحوف ومن خروج دحية فان الناس كانوا قد كاتبوه ودعوه فسير العساكر حتى هزم دحية وأسر وسبق الى القسطنطينية فضربت عنقه وصلب في جمادى الآخرة سنة تسع وستين فكان الفضل يقول أنا أولى الناس بولاية مصر لقيامي في أمر دحية وقد عجز عنه غيري فعزل وندم على قتل دحية والفضل هو الذي بنى الجامع بالعسكر في سنة تسع وستين فكانوا يجمعون فيه ثم ولي (علي بن سليمان) بن علي ابن عبد الله بن عباس من قبل الهادي على الصلات والخراج فدخل في سنة تسع وستين ومائة ومات الهادي للتصف من ربيع الاول سنة سبعين ومائة وبويع هرون بن محمد الرشيد فأقر على بن سليمان وأظهر في ولايته الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومنع الملاحى والخمر وهدم الكنائس المحدثه بمصر وبذل له في تركها خمسون ألف دينار فامتنع وكان كثير الصدقة في الليل وأظهر أنه تصلح له الخلافة وطمع فيها فسيخط عليه هرون الرشيد وعزل له لاربع بقين من ربيع الاول سنة احدى وسبعين ومائة ثم ولي (موسى ابن عيسى) بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس من قبل الرشيد على الصلات فأذن للنصارى في ببناء الكنائس التي هدمها على بن سليمان فبنيت بمشورة الليث ابن سعد وعبد الله بن هبة ثم صرف لاربع عشرة خلت من رمضان سنة اثنين وسبعين ومائة فكانت ولايته سنة وخمسة أشهر ونصفا ثم ولي (مسلمة بن يحيى) بن قرة بن عبيد الله البجلي من أهل جرجان من قبل الرشيد على الصلات ثم صرف في شعبان سنة ثلاث وسبعين فوليها أحد عشر شهرا ثم ولي (محمد بن زهير) الأزدي على الصلات والخراج لحمس خلون من شعبان فبادر الجند لعمر بن غيلان صاحب الخراج فلم يدفع عنه فصرف بعد خمسة أشهر في سلخ ذي الحجة سنة ثلاث وسبعين ومائة فولى (داود بن يزيد) بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة وقدم هو وإبراهيم بن صالح بن علي فولى داود الصلات وبعث إبراهيم لخراج الجند الذين ثاروا من مصر فدخل لاربع عشرة خلت من المحرم سنة أربع وسبعين ومائة فأخرجت الجند العديدة الى المشرق والمغرب في عالم كثير

فساروا في البحر فأمرتهم الروم وصرف لست خلون من المحرم سنة خمس وسبعين فكانت ولايته سنة ونصف شهر ثم ولي (موسى بن عيسى) بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس على الصلات والحراج من قبل الرشيد فدخل لسبع خلون من صفر سنة خمس وسبعين وصرف للبايتين بقيتا من صفر سنة ست وسبعين ومائة فولى سنة واحدة ثم ولي (ابراهيم بن صالح) بن علي بن عبد الله بن عباس ثانيا من قبل الرشيد فكتب الى عسامة ابن عمرو فاستخلفه ثم قدم نصر بن كلالثوم خليفته على الحراج مستهل ربيع الاول وتوفي عسامة لسبع بقين من ربيع الآخر فقدم روح بن روح بن زنباع خليفة لابراهيم على الصلات والحراج ثم قدم ابراهيم لانصف من جمادى الاولى وتوفي وهو وال ثلاث خلون من شعبان فكان مقامه بمصر شهرين وثمانية عشر يوما وقام بالامر بعده ابنه صالح بن ابراهيم مع صاحب شرطته خالد بن يزيد ثم ولي (عبد الله بن المسيب) بن زهير بن عمرو الضبي من قبل الرشيد على الصلات لاحدى عشرة بقيت من رمضان سنة ست وسبعين ومائة وصرف في رجب سنة سبع وسبعين ومائة فولى (اسحاق بن سليمان) بن علي بن عبد الله بن عباس من قبل الرشيد على الصلات والحراج مستهل رجب فكشف أمر الحراج وزاد على المزارعين زيادة أجحفت بهم فخرج عليه أهل الحوف فحاربهم فقتل كثير من أصحابه فكتب الى الرشيد بذلك فعمد لهرثة بن أعين في جيش عظيم وبعث به فنزل الحوف فقتلوا أهله بالطاعة وأذعنوا فقبل منهم واستخرج الحراج كله فكان صرف اسحق في رجب سنة ثمان وسبعين ومائة فولى (هرثة بن أعين) من قبل الرشيد على الصلات والحراج للبايتين خاتما من شعبان ثم سار الى افريقية لثنتي عشرة خات من شوال فأقام بمصر شهرين ونصفا ثم ولي (عبد الملك بن صالح) بن علي بن عبد الله بن عباس من قبل الرشيد على الصلات والحراج فلم يدخل مصر واستخلف عبد الله بن المسيب بن زهير الضبي وصرف في سلخ سنة ثمان وسبعين ومائة فولى (عبيد الله بن المهدي) محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عباس من قبل الرشيد على الصلات والحراج في يوم الاثنين لثنتي عشرة خات من المحرم سنة تسع وسبعين ومائة فاستخلف ابن المسيب ثم قدم لاحدى عشرة خات من ربيع الاول وصرف في شهر رمضان فولى تسعة أشهر وخرج من مصر للبايتين خاتما من شوال فأعاد الرشيد (موسى بن عيسى) وولاه مرة ثالثة على الصلات فقدم ابنه يحيى بن موسى خليفة له ثلاث خلون من رمضان ثم قدم آخر ذى القعدة وصرف في جمادى الآخرة سنة ثمانين ومائة فولى الرشيد (عبيد الله بن المهدي) ثانيا على الصلات فقدم داود بن حباس خليفة له لسبع خلون من جمادى الآخرة ثم قدم لاربع خلون من شعبان وصرف ثلاث خلون من رمضان سنة احدى وثمانين ومائة فولى (اسمعيل بن صالح) بن علي بن عبد الله بن عباس على

الصلوات لسبع خلون من رمضان فاستخلف عون بن وهب الخزاعي ثم قدم لحمس بقين منه قال ابن عفير ما رأيت على هذه الاعواد أخطب من اسماعيل بن صالح ثم صرف في جمادى الآخرة سنة اثنين وثمانين ومائة فولى (اسماعيل بن عيسى) بن موسى بن محمد بن علي ابن عبد الله بن عباس من قبل الرشيد على الصلوات فقدم لاربع عشرة بقيت من جمادى الآخرة وصرف في رمضان فولى (الليث بن الفضل) البيرودى من أهل بيوردد على الصلوات والخراج وقدم لحمس خلون من شوال ثم خرج الى الرشيد لسبع بقين من رمضان سنة ثلاث وثمانين ومائة بالمال والهدايا واستخلف (١) أخاه الفضل بن علي ثم عاد في آخر السنة وخرج ثانيا بالمال لتسع بقين من رمضان سنة خمس وثمانين واستخلف هاشم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج وقدم لاربع عشرة خلت من المحرم سنة ست وثمانين فكان كلما غلق خراج سنة وفرغ من حسابها خرج بالمال الى أمير المؤمنين هرون الرشيد ومعه الحساب ثم خرج عليه أهل الحوف وساروا الى القسطنطين فخرج اليهم في أربعة آلاف يومين بقيا من شعبان سنة ست وثمانين ومائة واستخلف عبد الرحمن بن موسى بن علي بن رباح على الجند والخراج فواقع أهل الحوف وانهمز عنه الجند فبقى في نحو المائتين فحمل بهم وهزم القوم من أرض الجب الى غيفة وبعث الى القسطنطين بثمانين رأسا وقدم فرجع أهل الحوف ومنعوا الخراج فخرج ليث الى الرشيد وسأله أن يبعث معه بالحيوش فانه لا يقدر على استخراج الخراج من أهل الاحواف الا بمجيش فرفع محفوظ بن سليمان انه يضمن خراج مصر عن آخره بغير سوط ولا عصافولاه الرشيد الخراج وصرف لثمانين الصلوات والخراج وبعث أحمد بن اسحق على الصلوات مع محفوظ وكانت ولاية ليث أربع سنين وسبعة أشهر فولى (أحمد بن اسمعيل) بن علي بن عبد الله بن عباس من قبل الرشيد على الصلوات والخراج وقدم لحمس بقين من جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين ثم صرف لثمان عشرة خلت من شعبان سنة تسع وثمانين فولى سنتين وشهرا ونصفا ثم ولي (عبيد الله بن محمد) بن ابراهيم ابن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس على الصلوات واستخلف طيبة بن عيسى بن طيبة الحضرمي ثم قدم للنصف من شوال وصرف لاحدي عشرة بقيت من شعبان سنة تسعين ومائة وخرج واستخلف هاشم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج فولى (الحسين ابن جميل) من قبل الرشيد على الصلوات وقدم لعشر خلون من رمضان ثم جمع له الخراج مع الصلوات في رجب سنة احدى وتسعين وخرج أهل الحوف وامتنعوا من اداء الخراج وخرج أبو النداء بايلة في نحو ألف رجل فقطع الطريق بايلة وشعيب ومدين وأغار على بعض قرى الشام وضوى اليه من جذام جماعة فبلغ من النهب والقتل مبلغا عظيما فبعث الرشيد من بغداد

(١) قوله أخاه الفضل بن علي هكذا في النسخ التي بيدي ولعله أباه الفضل الخ تأمل اه مصححه

جيشاً لذلك وبعث الحسين بن جميل من مصر عبد العزيز بن الوزير بن صابى الجروى في عسكر
فالتقى العسكران بأيلة فظفر عبد العزيز بأبى النداء وسار جيش الرشيد الى بليس في شوال
سنة احدى وتسعين ومائة فأذعن أهل الحوف بالخراج وصرف ابن جميل لثنى عشرة خلت
من ربيع الآخر سنة اثنتين وتسعين ومائة فولى (مالك بن دهم) بن عمير الكلبي على
الصلات والخراج وقدم لسبع بقين من ربيع الآخر وفرغ يحيى بن معاذ أمير جيش الرشيد
من أمر الحوف وقدم الفسطاط لعشر بقين من جمادى الآخرة فكتب الى أهل الاحواف
أن اقدموا حتى أوصى بكم مالك بن دهم فدخل الرؤساء من النجاشية والقيسية فأخذت
عليهم الابواب وقيدوا وسار بهم للنصف من رجب وصرف مالك لاربع خلت من صفر
سنة ثلاث وتسعين ومائة فولى (الحسن بن التختاخ) بن التختكان على الصلات والخراج
فاستخلف العلاء بن عاصم الحولاني وقدم ثلاث خلون من ربيع الاول ثم مات الرشيد
واستخلف ابنه محمد الأمين فثار الجند بمصر ووقعت فتنة عظيمة قبل فيها عدة وسير الحسن
مال مصر فوثب أهل الرملة وأخذوه وبلغ الحسن عزله فسار من طريق الحجاز لفساد
طريق الشام ثمان بقين من ربيع الاول سنة أربع وتسعين ومائة واستخلف عوف بن وهب
على الصلات ومحمد بن زياد بن طبق القيسي على الخراج فولى (حاتم بن هرثمة) بن أعين من
قبل الأمين على الصلات والخراج وقدم في ألف من الأبناء فنزل بليس فصالحه أهل
الاحواف على خراجهم وثار عليه أهل نتو وتمي وعسكروا فبعث إليهم جيشاً فانهزموا ودخل
حاتم الى الفسطاط ومعه نحو مائة من الرهائن لاربع خلون من شوال وصرف في جمادى
الآخرة سنة خمس وتسعين ومائة فولى (جابر بن الأشعث) بن يحيى الطائي من قبل الأمين
على الصلات والخراج لخمس بقين من جمادى الآخرة وكان لنا فلما حدثت فتنة الأمين
والمأمون قام السرى بن الحكم غضباً للمأمون ودعا الناس الى خلع الأمين فأجابوه وبايعوا
المأمون ثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين وأخرجوا جابر بن الأشعث وكانت
ولايته سنة فولى (عباد بن محمد) بن حيان أبو نصر من قبل المأمون على الصلات والخراج
ثمان خلون من رجب بكتاب هرثمة بن أعين وكان وكيله على ضياعه بمصر في الثامن من
رجب سنة ست وتسعين فبلغ الأمين ما كان بمصر فكتب الى ربيعة بن قيس بن الزبير الجرشي
رئيس قيس الحوف بولاية مصر وكتب الى جماعة بمعاونته فقاموا ببيعة الأمين وخلعوا المأمون
وساروا لمحاربة أهل الفسطاط فخذق عباد وكانت حروب فقتل الأمين وصرف عباد في صفر
سنة ثمان وتسعين ومائة فكانت ولايته سنة وسبعة أشهر فولى (المطلب بن عبيد الله) بن
مالك الحزاعي من قبل المأمون على الصلات والخراج فدخل من مكة للنصف من ربيع
الاول فكانت في أيامه حروب وصرف في شوال بعد سبعة أشهر فولى (العباس بن موسى)

ابن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس من قبل المأمون على الصلوات والخراج فقدم ابنه عبد الله ومعه الحسين بن عبيد بن لوط الانصاري في آخر شوال فسيحنا المطلب فنار الجند مرارا فنتهم الانصارى اعطيتهم وتهدهم وتحامل على الرعية وعسفها وتهدد الجميع فناروا واخرجوا المطلب من الحبس واقاموه لاربعة عشرة خات من المحرم سنة تسع وتسعين ومائة وأقبل العباس فنزل بليس ودعا قيسا الى نصرته ومضى الى الجروى بتيس ثم عاد فأتى في بليس لثلاث عشرة بقية من جمادى الآخرة ويقال ان المطلب دس اليه سما في طعامه فأتى منه وكانت حروب وفتن فكانت ولاية المطلب هذه سنة وثمانية أشهر ثم ولى (السرى بن الحكم) بن يوسف من قوم الزط ومن أهل باخ باجماع الجند عليه عند قيامه على المطلب في مستهل رمضان سنة مائتين ثم ولى (سليمان بن غالب) بن جبريل البجلي على الصلوات والخراج بمبايعة الجند له لاربعة خلون من ربيع الاول سنة احدى ومائتين فكانت حروب ثم صرف بعد خمسة أشهر واعيد (السرى بن الحكم) ثانيا من قبل المأمون على الصلوات والخراج فذمت ولايته وأخرجه الجند من الحبس لثنتي عشرة خات من شعبان وتبع من حاربه وقوى أمره ومات وهو وال لانسلاخ جمادى الاولى سنة خمس ومائتين فكانت ولايته هذه ثلاث سنين وتسعة أشهر وثمانية عشر يوما فولى ابنه (محمد بن السرى) أبو نصر أول جمادى الآخرة على الصلوات والخراج وكان الجروى قد غلب على أسفل الارض فجرت بينهما حروب ثم مات لثمان خلون من شعبان سنة ست ومائتين وكانت ولايته أربعة عشر شهرا ثم ولى (عبيد الله بن السرى) بن الحكم بمبايعة الجند لتسع خلون من شعبان على الصلوات والخراج فكانت بينه وبين الجروى حروب الى أن قدم عبد الله بن طاهر وأذن له عبيد الله في آخر صفر سنة احدى عشرة ومائتين فولى (عبد الله بن طاهر) ابن الحسين بن مصعب من قبل المأمون على الصلوات والخراج فدخل يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من ربيع الاول سنة احدى عشرة ومائتين وأقام في معسكره حتى خرج عبد الله بن السرى الى بغداد لانتصف من جمادى الاولى ثم سار الى الاسكندرية مستهل صفر سنة اثنتي عشرة واستخلف عيسى بن يزيد الجلودى فحصرها بضع عشرة ليلة ورجع في جمادى الآخرة وأمر بالزيادة في الجامع العتيق فزيد فيه مثله وركب النيل متوجها الى العراق فخمس بقين من رجب وكان مقامه بمصر واليا سبعة عشر شهرا وعشرة أيام ثم ولى (عيسى بن يزيد) الجلودى باستخلاف بن طاهر على صلاتها الى سابع عشر ذى القعدة سنة ثلاث عشرة فصرف ابن طاهر وولى الامير أبو اسحق بن هرون الرشيد مصر فأقر عيسى على الصلوات فقط وجعل على الخراج صالح بن شيرازاد فظلم الناس وزاد عليهم في خراجهم فانتقض أهل أسفل الارض وعسكروا فبعث عيسى بابنه محمد في جيش فخاربه فانهزم وقتل أصحابه في صفر

سنة أربع عشرة فولى (عمير بن الوليد) التميمي باستخلاف أبي اسحاق بن الرشيد على الصلات
لسبع عشرة خلت من صفر وخرج ومعه عيسى الجلودى لقتال أهل الحوف في ربيع الآخر
واستخلف ابنه محمد بن عمير فاقتتلوا وكانت بينهم معارك قتل فيها عمير لست عشرة خلت من
ربيع الآخر فكانت مدة امرته ستين يوما فولى (عيسى الجلودى) ثانيا لابي اسحاق على
الصلوات فخارب أهل الحوف بمنية مطر ثم انهزم في رجب وأقبل أبو اسحاق الى مصر في
أربعة آلاف من أترابه فقاتل أهل الحوف في شعبان ودخل الى مدينة القسطنطينية لثمانين
منه وقتل أكابر الحوف ثم خرج الى الشام غرة المحرم سنة خمس عشرة ومائتين في أترابه
ومعه جمع من الاسارى في ضر وجهد شديد وولى على مصر (عبدويه بن جبلة) من
الابناء على الصلات فخرج ناس بالحوف في شعبان فبعث اليهم وحاربهم حتى ظفر بهم ثم قدم
الافشين حيدر بن كاوس الصفدي الى مصر لثلاث خلون من ذى الحجة ومعه على بن عبد
العزيز الجروى لاخذ ماله فلم يدفع اليه شيأ فقتله وصرف عبدويه وخرج الى برقة (وولى
عيسى بن منصور) بن موسى بن عيسى الرافعى فولى من قبل أبي اسحاق أول سنة ست
عشرة على الصلات فانتقضت أسفل الارض عربها وقبظها في جمادى الاولى وأخرجوا
العمال لسوء سيرتهم وخلعوا الطاعة فقدم الافشين من برقة للنصف من جمادى الآخرة
ثم خرج هو وعيسى في شوال فأوقعا بالقوم وأسرا منهم وقتلا ومضى الافشين ورجع عيسى
فسار الافشين الى الحوف وقتل جماعتهم وكانت حروب الى أن قدم أمير المؤمنين عبد الله
المأمون لعشر خلون من المحرم سنة سبع عشرة ومائتين فسخط على عيسى وحل لواءه
فأخذ بلباس البياض ونسب الحدث اليه والى عماله وسير الجيوش وأوقع بأهل الفساد وسبى
القبط وقتل مقاتلتهم ثم رحل لثمان عشرة خلت من صفر بعد تسعة وأربعين يوما وولى
(كيدر) وهو نصر بن عبد الله أبو مالك الصفدى فورد كتاب المأمون عليه بأخذ الناس
بالحنة في جمادى الآخرة سنة ثمان عشرة والقاضى بمصر يومئذ هارون بن عبد الله الزهرى
فأجاب وأجاب الشهود ومن وقف منهم سقطت شهادته وأخذ بها القضاة والمحدثون والمؤذنون
فكانوا على ذلك من سنة ثمان عشرة الى سنة اثنتين وثلاثين ومات المأمون في رجب سنة
ثمان عشرة وبويع أبو اسحق المعتصم فورد كتابه على كيدر ببيعته وأمره باسقاط من في
الديوان من العرب وقطع العطاء عنهم ففعل ذلك فخرج يحيى بن الوزير الجروى في جمع من
لحم وجندام ومات كيدر في ربيع الآخر سنة تسع عشرة ومائتين فولى ابنه (المظفر بن
كيدر) باستخلاف أبيه وخرج الى يحيى بن وزير وقتله وأسرته في جمادى الآخرة ثم صرفت
مصر الى أبي جعفر أثناس فدعي له بها وصرف مظفر في شعبان فولى (موسى بن أبي
العباس) ثابت من قبل أثناس على الصلات مستهل شهر رمضان سنة تسع عشرة وصرف

في ربيع الآخر سنة أربع وعشرين ومائتين فكانت ولايته أربع سنين وسبعة أشهر فولى (مالك بن كيدر) بن عبد الله الصفدي من قبل اشناس على الصلات وقدم لسبع بقين من ربيع الآخر وصرف لثلاث خلون من ربيع الآخر سنة ست وعشرين فولى سنتين وأحد عشر يوما وتوفي له شهر خلون من شعبان سنة ثلاث وثلاثين ومائتين فولى (علي بن يحيى) الارمني من قبل اشناس على صلاتها وقدم لسبع خلون من ربيع الآخر سنة ست وعشرين ومائتين ومات المعتصم في ربيع الاول سنة سبع وعشرين وبويع الواثق بالله فأقره الى سابع ذي الحجة سنة ثمان وعشرين ومائتين فكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر ثم ولي (عيسى ابن منصور) الثانية من قبل اشناس على صلاتها فدخل لسبع خلون من الحرم سنة تسع وعشرين ومائتين سنة تسع وثلاثين وجعل مكانه ايتاح فأقر عيسى ومات الواثق وبويع المتوكل فصرف عيسى للنصف من ربيع الاول سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وقدم على ابن مہرويه خليفة هرثة بن النضر ثم مات عيسى في قبة الهواء بعد عزله لاحدى عشرة خلت من ربيع الآخر فولى (هرثة بن نضر) الجلي من أهل الجبل لايتاح على الصلات وقدم لست خلون من رجب سنة ثلاث وثلاثين ومائتين فورد كتاب المتوكل بترك الجدل في القرآن لحمس خلون من جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين ومائتين ومات هرثة وهو وال لسبع بقين من رجب سنة أربع واستخلف ابنه حاتم بن هرثة فولى (حاتم بن هرثة) ابن النضر باستخلاف أبيه له على الصلات وصرف لست خلون من رمضان فولى (علي بن يحيى) بن الارمني الثانية من قبل ايتاح على الصلات لست خلون من رمضان وصرف ايتاح في الحرم سنة خمس وثلاثين وأستصفيت أمواله بمحصر وترك الدعاء له ودعى للمعتصم مكانه وصرف على في ذي الحجة منها فولى (اسحق بن يحيى) بن معاذ بن مسلم الجلي من قبل المنتصر ولى عهد أبيه المتوكل على الله على الصلات والخراج فقدم لاحدى عشرة خلت من ذي الحجة فورد كتاب المتوكل والمنتصر باخراج الطالبيين من مصر الى العراق فأخرجوا ومات اسحق بعد عزله أول ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين ومائتين فولى (خوط عبيد الواحد بن يحيى) بن منصور بن طلحة بن زريق من قبل المنتصر على الصلات والخراج فقدم لتسع بدين من ذي القعدة سنة ست وثلاثين ومائتين وصرف عن الخراج لتسع خلون من صفر سنة سبع وثلاثين وأقر على الصلات ثم صرف سلخ صفر سنة ثمان وثلاثين بحليفة عنبسة على الصلات والشركة في الخراج مستهل ربيع الاول فولى (عنبسة بن اسحق) ابن شمر بن عيسى أبو جابر من قبل المنتصر على الصلات وشريكا لاحد بن خالد الضريقي صاحب الخراج فقدم لحمس خلون من ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين ومائتين وأخذ المال برد المظالم وأقامهم للناس وأنصف منهم وأطهر من العدل ما لم يسمع بمثله في زمانه وكان يروح

ماشيا الى المسجد الجامع من العسكر وكان ينادى في شهر رمضان السحور وكان يرمى بمذهب
 الخوارج وفي ولايته نزل الروم دمياط وملكوها وما فيها وقتلوا بها جمعا كثيرا من الناس
 وسبوا النساء والاطفال ففقر اليهم يوم البحر من سنة ثمان وثلاثين في جيشه وكثير من الناس
 فلم يدرهم واضيف له الحراج مع الصلوات ثم صرف عن الحراج أول جمادى الآخرة سنة
 احدى وأربعين وأفرد بالصلوات وورد الكتاب بالدعاء للفتح بن خاقان في ربيع الاول سنة
 اثنتين وأربعين فدعاه وعنبسة هذا آخر من ولي مصر من العرب وآخر أمير صلى بالناس
 في المسجد الجامع وصرف أول رجب منها فقدم العباس بن عبد الله بن دينار خليفة يزيد
 ابن عبد الله بولاية يزيد وكانت ولاية عنبسة أربع سنين وأربعة أشهر وخرج الى العراق
 في رمضان سنة أربع وأربعين فولى (يزيد بن عبد الله) بن دينار أبو خالد من الموالي ولاه
 المنتصر على الصلوات فقدم لعشر بقين من رجب سنة اثنتين وأربعين فأخرج المؤمنين من مصر
 وضربهم وطاف بهم ومنع من النداء على الجنائز وضرب فيه وخرج الى دمياط مرابطا في
 المحرم سنة خمس وأربعين ورجع في ربيع الاول قبله نزول الروم الفرما فرجع اليها فلم
 ياقهم وعطل الرهان وباع الخيل التي تتخذ للسلطان فلم تجر الى سنة تسع وأربعين وتتبع
 الروافض وحملهم الى العراق وبنى مقياس النيل في سنة سبع وأربعين وجرت على العلويين
 في ولايته شذائد ومات المتوكل في شوال وبويع ابنه محمد المنتصر ومات الفتح بن خاقان
 فأقر المنتصر يزيد على مصر ثم مات المنتصر في ربيع الاول سنة ثمان وأربعين وبويع
 المستعين فور ذلك تابه بالاستسقاء لقمح كان بالعراق فاستسقوا السبع عشرة خلت من ذى القعدة
 واستسقى أهل الآفاق في يوم واحد وخلع المستعين في المحرم سنة اثنتين وخمسين وبويع المعتز
 نخرج جابر بن الوليد بأرض الاسكندرية وكانت هناك حروب ابتدأت من ربيع الآخر فقدم مزاحم
 ابن خاقان من العراق معينا ليزيد في جيش كثيف لثلاث عشرة بقيت من رجب فواقهم حتى ظفر
 بهم ثم صرف يزيد وكانت مدته عشر سنين وسبعة أشهر وعشرة أيام فولى (مزاحم بن خاقان) بن
 عرطوج أبو الفوارس التركي لثلاث خلون من ربيع الاول سنة ثلاث وخمسين ومائتين على
 الصلوات من قبل المعتز وخرج الى الحوف فأوقع بأهله وعاد ثم خرج الى الحيزة فسار الى
 تروجة فأوقع بأهلها وأسرى عدة من أهل البلاد وقتل كثيرا وسار الى الفيوم فطاش سيفه
 وكثر ايقاعه بسكان النواحي وعاد وولى الشرطة أرجوز فنع النساء من الحمامات والمقابر
 وسجن المؤمنين والنواحي ومنع من الجهر بالبسملة في الصلاة بالجامع في رجب سنة ثلاث
 وخمسين ولم يزل أهل مصر على الجهر بها في الجامع منذ الاسلام الى أن منع منها أرجوز
 وأخذ أهل الجامع بتمام الصفوف ووكل بذلك رجلا من العجم يقوم بالسوط من مؤخر
 المسجد وأمر أهل الحلق بالتحول الى القبلة قبل اقامة الصلاة ومنع من المساند التي يستند

اليها ومن الحصر التي كانت للمجالس في الجامع وأمر أن تصلى التراويح في رمضان خمس تراويح ولم يزل أهل مصر يصلونها ستاً الى شهر رمضان سنة ثلاث وخسين ومائتين ومنع من التثويب وأمر بالاذان يوم الجمعة في مؤخر المسجد وأن يغسل بصلاة الصبح ونهى أن يشق ثوب على ميت أو يسود وجهه أو يحلق شعر أو تصيح امرأة وعاقب في ذلك وشدد فيه ثم مات مزاحم لخمس مئتين من الحرم سنة أربع وخمسين فاستخلف ابنه (احمد بن مزاحم) فولى باستخلاف أبيه على الصلوات الى أن مات لسبع خلون من ربيع الآخر فكانت ولايته شهرين ويوماً فاستخلف (ارجوز بن اولع طرخان التركي) على الصلوات فولى خمسة أشهر ونصفاً وخرج أول ذى القعدة بعد أن صرف بأحمد بن طولون في شهر رمضان سنة أربع وخمسين ومائتين واليه كان أمر البلد جميعه من أيام مزاحم وفي أيام ابنه أحمد أيضاً والله تعالى أعلم

ذكر القطائع ودولة بني طولون

اعلم أن القطائع قد زالت آثارها ولم يبق لها رسم يعرف وكان موضعها من قبة الهواء التي صار مكانها قلعة الحيل الى جامع ابن طولون وهذا أشبه أن يكون طول القطائع وأما عرضها فانه من أول الرملة تحت القلعة الى الموضع الذي يعرف اليوم بالارض الصفراء عند مشهد الرأس الذي يقال له الآن زين العابدين وكانت مساحة القطائع ميلا في ميل فقبة الهواء كانت في سطح الجرف الذي عليه قلعة الحيل وتحت قبة الهواء قصر ابن طولون وموضع هذا القصر الميدان السلطاني تحت القلعة والرملة التي تحت القلعة مكان سوق الخيل والحمير والجمال كان البستان ويجاورها الميدان في الموضع الذي يعرف اليوم بالقيبات فيصير الميدان فيما بين القصر والجامع الذي أنشأه احمد بن طولون وبجذاء الجامع دار الامارة في جهته القبيلة ولها باب من جدار الجامع يخرج منه الى المقصورة المحيطة بمصلى الامير الى جوار المحراب وهناك أيضاً دار الحرم والقطائع عدة قطع تسكن فيها عبيد ابن طولون وعساكره وغلمانهم وكل قطعة لطافة فيقال قطعة السودان وقطعة الروم وقطعة الفراشين ونحو ذلك فكانت كل قطعة اسكنى جماعة بمنزلة الحارات التي بالقاهرة وكان ابتداء عمارة هذه القطائع وسببها أن أمير المؤمنين المعتصم بالله أبا اسحاق محمد بن هارون الرشيد لما اختص بالاتراك ووضع من العرب وأخرجهم من الديوان وأسقط أسماءهم ومنعهم العطاء وجعل الاتراك أنصار دولته وأعلام دعوته كان من عظمت عنده منزلته قلده الاعمال الجليلة الخارجة عن الحضرة فيستخلف على ذلك العمل الذي تقلده من يقوم بأمره ويحمل اليه ماله ويدعى له على منابرهم كما يدعى للخليفة وكانت مصر عندهم بهذه السبيل وقصد المعتصم ومن بعده من الخلفاء بذلك العمل مع الاتراك محاكاة ما فعله الرشيد بعبد الملك بن صالح والمأمون بطاهر بن الحسين ففعل

المعتصم مثل ذلك بالاتراك فقلد اشناس وقلد الوثائق ايتاح وقلد المتوكل نقا ووصيف وقلد المهتدى ماجور وغير من ذكرنا من أعمال الاقاليم ما قد تضمنته كتب التاريخ فتقلد باكبك مصر وطاب من يحلفه عليها وكان احمد بن طولون قد مات أبوه في سنة أربعين ومائتين ولاحد عشرون سنة منذ ولد من جارية كانت تدعى قاسم وكان مولده في سنة عشرين ومائتين وولدت أيضاً أخاه موسى وحبيسة وسهانة وكان طولون من الطغرغما حمله نوح ابن أسد عامل بخارى الى المأمون فيما كان موظفا عليه من المال والريق والبراذين وغير ذلك في كل سنة وذلك في سنة مائتين فنشأ أحمد بن طولون نشأ جليلاً غير نشأ أولاد العجم فوصف بعلو الهمة وحسن الادب والذهاب بنفسه عما كان يتراعى اليه أهل طبقة وطاب الحديث وأحب الغزو وخرج الى طرسوس مرات ولقي المحدثين وسمع منهم وكتب العلم وصحب الزهاد وأهل الورع فتأدب بأدابهم وظهر فضله فاشتهر عند الاولياء وتميز على الاتراك وصار في عداد من يوثق به ويؤتمن على الاموال والاسرار فزوجه ماجور ابنته وهي أم ابنه العباس وابنته فاطمة ثم انه سأل الوزير عبيد الله بن يحيى أن يكتب له برزقه على الثغر فأجابه وخرج الى طرسوس فأقام بها وشق على أمه مفارقتها فكتبت له بما ألقاه فلما قفل الناس الى سر من رأى سار معهم الى لقاء أمه وكان في القافلة نحو خمسمائة رجل والخليفة اذ ذاك المستعين بالله احمد بن المعتصم وكان قد أنفذ خادماً الى بلاد الروم لعمل أشياء نفيسة فلما عاد بها وهي وقر بقل الى طرسوس خرج مع القافلة وكان من رسم الغزاة أن يسيروا متفرقين فطرق الاعراب بعض سوادهم وجاء الصائح فبدر احمد بن طولون لقتالهم وتبوه فوضع السيف في الاعراب ورمى بنفسه فيهم حتى استنقذ منهم جميع ما أخذوه وفروا منه وكان من جملة ما استنقذ من الاعراب البغل المحمل بمتاع الخليفة فعظم أحمد بما فعل عند الخادم وكبر في أعين القافلة فلما وصلوا الى العراق وشاهد المستعين ما أحضره الخادم أعجب به وعرفه الخادم خروج الاعراب وأخذهم البغل بما عليه وما كان من صنع احمد ابن طولون فأمر له بألف دينار وسلم عليه مع الخادم وأمره أن يعرفه به اذا دخل مع المسلمين ففعل ذلك ونوات عليه صلات الخليفة حتى حسنت حاله ووهبه جارية اسمها مياس استولدها ابنه خمارويه في النصف من المحرم سنة خمسين ومائتين فلما خلع المستعين وبوبيع المعتز اخرج المستعين الى واسط واختار الاتراك أحمد بن طولون أن يكون معه فسلم اليه ومضى به فأحسن عشرته وأطلق له التنزه والصيد وخشى أن يلحقه منه احتشام فألزمه كاتبه احمد بن محمد الواسطي وهو اذ ذاك غلام حسن الشاهد حاضر النادرة فأأس به المستعين ثم ان فتيحة أم المعتز كتبت الى أحمد بن طولون بقتل المستعين وقلدته واسط فامتنع من ذلك وكتب الى الاتراك يخبرهم بأنه لا يقتل خليفة له في رقبته بيعة فراد محله عند الاتراك

بذلك ووجهوا سعيد الحاجب وكتبوا الى ابن طولون بتسليم المستعين له فتسامه منه وقتله وواراه ابن طولون وعاد الى سر من رأى وقد تقلد باكبك مصر وطلب من يوجهه اليها فذكر له احمد بن طولون فقلده خلافته وضم اليه جيشا وسار الى مصر فدخلها يوم الاربعاء لسبع بقين من شهر رمضان سنة أربع وخمسين ومائتين متقلدا للقصة دون غيرها من الاعمال الخارجة عنها كالاسكندرية ونحوها ودخل معه احمد بن محمد الواسطي وجلس الناس لرؤيته فسأل بعضهم غلام أبي قبيل صاحب الملاحم وكان مكفوفا عما يجده في كتبهم فقال هذا رجل نجد صفتا كذا وكذا وانه يتقلد الملك هو وولده قريبا من أربعين سنة فما تم كلامه حتى أقبل أحمد بن طولون واذا هو على الثعت الذي قال * ولما تسلم أحمد بن طولون مصر كان على الخراج احمد بن محمد بن المدير وهو من دهاة الناس وشياطين الكتاب فأهدى الى أحمد بن طولون هدايا قيمتها عشرة آلاف دينار بعد ما خرج الى لقائه هو وشقيق الخادم غلام فتحة أم المعز وهو يتقلد البريد فرأى ابن طولون بين يدي ابن المدير مائة غلام من الغور قد اتخبطهم وصيرهم عدة وجملا وكان لهم خلق حسن وطول أجسام وبأس شديد وعليهم أقيّة ومناطق ثقال عراض وبأيديهم مقارع غلاظ على طرف كل مقرعة مقمعة من فضة وكانوا يقفون بين يديه في حافتي مجلسه اذا جلس فادركوا بين يديه فيصير له بهم هيئة عظيمة في صدور الناس فلما بعث ابن المدير بهديته الى ابن طولون ردها عليه فقال ابن المدير ان هذه هبة عظيمة من كانت هذه همته لا يؤمن على طرف من الاطراف نخافه وكره مقامه بمصر معه وسار الى شقيق الخادم صاحب البريد واتفقا على مكتبة الخليفة بازالة ابن طولون فلم يكن غير أيام حتى بعث ابن طولون الى ابن المدير يقول له قد كنت أعزك الله أهديت لنا هدية وقع الغنى عنها ولم يحز أن ينعم مالك كثرة الله فرددتها توفيرا عليك ونحب أن تجعل العوض منها الغلمان الذين رأيتهم بين يديك فأنا اليهم أحوج منك فقال ابن المدير لما باعته الرسالة هذه أخرى أعظم مما تقدم قد ظهرت من هذا الرجل اذ كان يرذ الاعراض والاموال ويستهدى الرجال ويثابر عليهم ولم يجد بدا من أن يعثم اليه فتحوات هيئة ابن المدير الى ابن طولون ونقصت مهابة ابن المدير بمفارقة الغلمان مجلسه فكتب ابن المدير فيه الى الخضره يعزى به ويحرض على عزله فبلغ ذلك ابن طولون فكتب في نفسه ولم يبدعه واتفق موت المعز في رجب سنة خمس وخمسين وقيام المهدي بالله محمد بن الواثق وقتل باكبك ورد جميع ما كان بيده الى ماجور التركي حموا بن طولون فكتب اليه تسلم من نفسك لنفسك وزاده الاعمال الخارجة عن قصة مصر وكتب الى اسحق بن دينار وهو يتقلد الاسكندرية أن يسلمها لاحد بن طولون فعظمت لذلك منزلته وكثر قلق ابن المدير وغمه ودعته ضرورة الخوف من ابن طولون الى ملاطفته والتقرب من خاطره وخرج ابن طولون الى

الاسكندرية ونسألمها من اسحق بن دينار وأقره عليها وكان أحمد بن عيسى بن شيخ الشيباني يتقلد جندي فلسطين والاردن فلما مات وثب ابنه على الاعمال واستبد بها فبعث ابن المدبر سبعمائة ألف وخمسين ألف دينار حملا من مال مصر الى بغداد فقبض ابن شيخ عليها وفرقها في أصحابه وكانت الامور قد اضطرت ببغداد فطمع ابن شيخ في التغلب على الشامات واشيع انه يريد مصر فلما قتل المهدي في رجب سنة ست وخمسين وبويع المعتمد بالله أحمد بن المتوكل لم يدع ابن شيخ له ولا بايع هو ولا أصحابه فبعث اليه بتقليد أرمينية زيادة على مامعه من بلاد الشام وفسح له في الاستخلاف عليها والاقامة على عمله فدعا حينئذ للمعتمد وكتب الى ابن طولون أن يتاهب لحرب ابن شيخ وأن يزيد في عدته وكتب لابن المدبر أن يطلق له من المال ما يريد فعرض ابن طولون الرجال وأثبت من يصلح واشترى العبيد من الروم والسودان وعمل سائر ما يحتاج اليه وخرج في تحمل كبير وجيش عظيم وبعث الى ابن شيخ يدعوه الى طاعة الخليفة ورد مأخذ من المال فأجاب بجواب قبيح فصار لست خلون من جمادى الآخرة واستخلف أخاه موسى بن طولون على مصر ثم رجع من الطريق بكتاب ورد عليه من العراق ودخل القسطنطينية في شعبان وقدم من العراق ماجور التركي لمحاربة ابن شيخ فاقبه أصحاب ابن شيخ وعلهم ابنه فانهزموا منه وقتل الابن واستولى ماجور على دمشق ولحق ابن شيخ بنواحي أرمينية وتقلد ماجور أعمال الشام كله وصار أحمد بن طولون من كثرة العبيد والرجال والآلات بحال يضيق به داره ولا يتسع له فركب الى سفح الجبل في شعبان وأمر بحرث قبور اليهود والنصارى واختط موضعها فبنى القصر والميدان وتقدم الى أصحابه وغلمانهم وأتباعه أن يخطوا لانفسهم حوله فاخذوا وبنوا حتى اتصل البناء اعمارة القسطنطينية ثم قطعت القطائع وسميت كل قطعة باسم من سكنها فكانت للنوبة قطعة مفردة تعرف بهم وللروم قطعة مفردة تعرف بهم وللفراسين قطعة مفردة تعرف بهم ولكل صنف من الغلمان قطعة مفردة تعرف بهم وبنى القواد مواضع متفرقة فعمرت القطائع عمارة حسنة وتفرقت فيها السكك والازقة وبنيت فيها المساجد الحسان والطواحين والحمامات والافران وسميت أسواقها فقيل سوق العيارين وكان يجمع العطارين والبزازين وسوق الفاميين ويجمع الحزازين والبقالين والشوايين فكان في دكاكين الفاميين جميع ما في دكاكين نظرائهم في المدينة وأكثر وأحسن وسوق الطباقين ويجمع الصيارف والحبازين والحلوانيين والسكك من الباعة سوق حسن عامر فصارت القطائع مدينة كبيرة أعمر وأحسن من الشام وبنى ابن طولون قصره ووسعه وحسنه وجعل له ميادنا كبيرا يضرب فيه بالصواجلة فسمى القصر كله الميدان وكان كل من أراد الخروج من صغير وكبير اذا سئل عن ذهابه يقول الى الميدان وعمل للميدان أبوابا لسلك باب اسم وهي باب الميدان ومنه كان يدخل ويخرج معظم الجيش وباب الصواجلة وباب

الخاصة ولا يدخل منه الاخاصة ابن طولون وباب الجبل لانه مما يلي جبل المقطم وباب الحرم ولا يدخل منه الا خادم خصى أو حرمة وباب الدرهمون لانه كان يجلس عنده حاجب اسود عظيم الخلقة يتقلد جنایات الغلمان السودان الرجالة فقط يقال له الدرهمون وباب دعناج لانه كان يجلس عنده حاجب يقال له دعناج وباب الساج لانه عمل من خشب الساج وباب الصلاة لانه كان في الشارع الاعظم ومنه يتوصل الى جامع ابن طولون وعرف هذا الباب أيضاً بباب السباع لانه كان عليه صورة سبعين من حبس وكان الطريق الذي يخرج منه ابن طولون وهو الذي يعرج منه الى القصر طريقاً واسعاً فقطعه بحائط وعمل فيه ثلاثة أبواب كما كبير ما يكون من الابواب وكانت متصلة بعضها ببعض واحداً بجانب الآخر وكان ابن طولون اذا ركب يخرج معه عسكر متكاثف الخروج على ترتيب حسن بغير زحمة ثم يخرج ابن طولون من الباب الاوسط من الابواب الثلاثة بمفرده من غير أن يختلط به أحد من الناس وكانت الابواب المذكورة تفتح كلها في يوم العيد أو يوم عرض الجيش أو يوم صدقة وما عدا هذه الايام لا تفتح الا بترتيب في اوقات معروفة وكان القصر له مجلس يشرف منه ابن طولون يوم العرض ويوم الصدقة لينظر من اعلاه من يدخل ويخرج وكان الناس يدخلون من باب الصوالجة ويخرجون من باب السباع وكان على باب السباع مجلس يشرف منه ابن طولون ليلة العيد على القطائع ليرى حركات الغلمان وتأهبهم وتصرفهم في حوائجهم فاذا رأى في حال أحد منهم نقصاً أو خللاً أمر له بما يتسع به ويزيد في تجهله وكان يشرف منه أيضاً على البحر وعلى باب مدينة القسطنطين وما يلي ذلك فكان منزلهما حسناً وبني الجامع فحرف بالجامع الجديد وبني العيين والسقاية بالمغافر وبني تنور فرعون فوق الجبل واتسعت أحواله وكثرت اصطبلاته وكرامه وعظم صيته فخافه ماجور وكتب فيه الى الحضرة يعزى به وكتب فيه ابن المدبر وشقير الخادم وكانت لابن طولون أعين وأصحاب أخبار يطالعونه بسائر ما يحدث فلما بلغه ذلك تاملت أخبار له ببغداد عند الوزير حتى سیر الى ابن طولون بكتب ابن المدبر وكتب شقير من غير أن يعلم بذلك فاذا فيها ان أحمد بن طولون عزم على التغلب على مصر والعصيان بها فكتم خبر الكتب وما زال بشقير حتى مات وكتب الى الحضرة يسأل صرف ابن المدبر عن الخراج وتقليد هلال فأجيب الى ذلك وقبض على ابن المدبر وحبسه وكانت له معه أمور آلت الى خروج ابن المدبر عن مصر وتقلد ابن طولون خراج مصر مع المعونة والتغور الشامية فأسقط المعاون والمرافق وكانت بمصر خاصة في كل سنة مائة ألف دينار فاظفروه الله عقيب ذلك بكثر فيه ألف ألف دينار بنى منه المارستان وخرج الى الشام وقد تقلدها فتسلم دمشق وحمص ونازل انطاكية حتى أخذها وكانت صدقته على أهل المسكنة والستر وعلى الضعفاء والفقراء وأهل التجمل متواترة وكان راتبه لذلك في

كل شهر ألفي دينار سوى ما يطرأ عليه من اندور وصدقات الشكر على تجديد النعم وسوى مطالبه التي أقيمت في كل يوم للصدقات في داره وغيرها يذبح فيها البقر والكبش ويغرف للناس في القدور الفخار والقصاع على كل قدر أو قصعة لكل مسكين أربعة أرغفة في اثنين منها فالودج والاشنان الآخزان على القدر وكانت تعمل في داره وينادي من أحب أن يحضر دار الأمير فليحضر وتفتح الابواب ويدخل الناس الميدان وابن طولون في المجلس الذي تقدم ذكره ينظر الى المساكين ويتأمل فرحهم بما يأكلون ويحملون فيسره ذلك ويحمد الله على نعمته ولقد قال له مرة ابراهيم بن قراطغان وكان على صدقته أيد الله الأمير انا نفق في المواضع التي تفرق فيها الصدقة فتخرج لنا الكف الناعمة المحضوبة نقشا والمعصم الرائع فيه الحديدة والكف فيها الخاتم فقال يا هذا كل من مديده اليك فأعطه فهذه هي اللطيفة المستورة التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في كتابه فقال يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف فأحذر أن ترد يد امتد اليك وأعط كل من يطلب منك فلما مات أحمد بن طولون وقام من بعده ابنه خسارويه أقبل على قصر أبيه وزاد فيه وأخذ الميدان الذي كان لآبيه فجعله كله بستانا وزرع فيه أنواع الرياحين وأصناف الشجر ونقل اليه الودي اللطيف الذي ينال ثمره القائم ومنه ما يتناوله الجالس من أصناف خييار النخل وحمل اليه كل صنف من الشجر المطعم العجيب وأنواع الورد وزرع فيه الزعفران وكسا أجسام النخل نحاسا مذهبا حسن الصنعة وجعل بين النحاس وأجساد النخل مزاريب الرصاص وأجرى فيها الماء المسدبر فكان يخرج من تضاعيف قائم النخل عيون الماء فتجدر الى فساق معمولة ويفيض منها الماء الى مجار تسقي سائر البستان وغرس فيه من الرياحان المزروع على نقوش معمولة وكتابات مكتوبة يتعاهدها البستاني بالمقراض حتى لا تزيد ورقة على ورقة وزرع فيه التيلوفر الاحمر والازرق والاصفر والجنوبي العجيب وأهدى اليه من خراسان وغيرها كل أصل عجيب وطعموا له شجر المشمش باللوز وأشباه ذلك من كل ما يستظرف ويستحسن ونى فيه برجا من خشب الساج المنقوش بالنقر السافذ ليقوم مقام الاقفاص وزوجه بأصناف الاصباغ وبلط أرضه وجعل في تضاعيفه انهارا لطافا جدا ولها يجري فيها الماء مدبرا من السواقي التي تدور على الآبار العذبة ويسقي منها الاشجار وغيرها وسرح في هذا البرج من أصناف القمارى والدبابى والنونيات وكل طائر مستحسن حسن الصوت فكانت الطير تشرب وتغتسل من تلك الانهار الجارية في البرج وجعل فيه أوكارا في قواديس لطيفة ممكنة في جوف الحيطان لتفرخ الطيور فيها وعارض لها فيه عيسدانا ممكنة في جوانبه لتقف عليها اذا تطايرت حتى يحاوب بعضها بعضا بالصياح وسرح في البستان من الطير العجيب كالطواويس ودجاج الحبش ونحوها شيئا كثيرا وعمل في داره مجلسا برواقه سماء بيت الذهب طلى حيطانه كلها بالذهب المجاول باللازورد المعمول

في أحسن نقش وأظرف تفصيل وجعل فيه على مقدار قامة ونصف صوراً في محيطه بارزة من خشب معمول على صورته وصور حظايا والمغنيات اللاتي تغنيه بأحسن تصوير وابهج تزويق وجعل على رؤسهن الاكليل من الذهب الخالص الابريز الرزين والكواذن المرصعة بأصناف الجواهر وفي آذانها الاجراس الثقيل الوزن المحكمة الصنعة وهي مسعرة في الحيطان ولونت أجسامها بأصناف أشباه الثياب من الاصباغ العجيبة فكان هذا البيت من أعجب مباني الدنيا وجعل بين يدي هذا البيت فسقية مقطرة وملاًها زنبقا وذلك انه شكاً الى طبيبه كثرة السهر فأشار عليه بالتعمير فأثقف من ذلك وقال لا اقدر على وضع يد أحد على فقال له تأمر بعمل بركة من زنبق فعمل بركة يقال انها خمسون ذراعاً طولاً في خمسين ذراعاً عرضاً وملاًها من الزنبق فأثقف في ذلك أموالاً عظيمة وجعل في أركان البركة سككاً من الفضة الخالصة وجعل في السكك زناير من حرير محكمة الصنعة في حلق من الفضة وعمل فرشاً من ادم يحشى بالرج حتى يتفخ فيحكم حينئذ شده ويبقى على تلك البركة الزنبق وتشد زناير الحرير التي في حلق الفضة بسكك الفضة وينام على هذا الفرش فلا يزال الفرش يترج ويحرك بحركة الزنبق مادام عليه وكانت هذه البركة من أعظم ماسمع به من الهنم الملوكية فكان يرى لها في الليالي المقمرة منظر عجيب اذا تألف نور القمر بنور الزنبق ولقد أقام الناس بعد خراب القصر مدة يحفرون لآخذ الزنبق من شقوق البركة وما عرف ملك قط تقدم خمارويه في عمل مثل هذه البركة وبنى أيضاً في القصر قبة تضاهى قبة الهواء سماها الدكة فكانت أحسن شيء بنى وجعل لها الستر التي تقي الحر والبرد فتسبل اذا شاء وترفع اذا أحب وفرش أرضها بالفرش السرية وعمل لكل فصل فرشاً يليق به وكان كثيراً ما يجلس في هذه القبة ليشرق منها على جميع ما في دأره من البستان وغيره ويرى الصحراء والتيل والجبل وجميع المدينة وبنى ميداناً آخر أكبر من ميدان أبيه وكان أحمد بن طولون قد اتخذ حجرة بقربه فيها رجال سماهم بالمكبرين عدتهم اثنا عشر رجلاً بييت منهم في كل ليلة أربعة يتعاقبون الليل نوباً يكبرون ويسبحون ويحمدون ويهللون ويقرؤون القرآن تطريباً بالخان ويتوسلون بقصائد زهدية ويؤذنون أوقات الاذان فلما ولي خمارويه أقرهم على حالهم وأجراهم على رسمهم وكان يجلس للشرب مع حظايا في الليل وقيناته تغنيه فاذا سمع أصوات هؤلاء يذكر الله والقدر في يده وضعه بالارض وأسكت مغنياته وذكر الله معهم أبداً حتى يسكت القوم لا يضجره ذلك ولا يغضبه أن قطع عليه ما كان فيه من لذته بالسمع وبنى أيضاً في داره داراً للسباع عمل فيها اميوتاً بأزاج كل بيت يسع سبعة ولبوتة وعلى تلك البيوت أبواب تفتح من اعلاها بمحركات ولكل بيت منها طاق صغير يدخل منه الرجل الموكل بخدمة ذلك البيت يفرشه بالزبل وفي جانب كل بيت حوض من رخام بميزاب من نحاس يصب فيه الماء وبين

يدى هذه البيوت قاعة فسيحة متسعة فيها رمل مفروش بها وفي جانبها حوض كبير من رخام يصب فيه ماء من ميزاب كبير فاذا أراد سائس سبيع من تلك السباع تنظيف يته أو وضع وظيفة اللحم التي اغذائه رفع الباب بحيلة من أعلى البيت وصاح بالسبيع فيخرج الى القاعة للمذكورة ويرد الباب ثم ينزل الى البيت من الطاق فيكنس الزبل ويبدل الرمل بغيره مما هو نظيف ويضع الوظيفة من اللحم في مكان معد لذلك بعد ما يخلص مافيه من الغدد ويقطعه لها ويقسل الحوض ويملاؤه ماء ثم يخرج ويرفع الباب من اعلاه وقد عرف السبيع ذلك فحال ما يرفع السائس باب البيت دخل اليه الاسد فأكل ماهي له من اللحم حتى يستوفيه ويشرب من الماء كفايته فكانت هذه مملوءة من السباع ولهم أوقات يفتح فيها سائر بيوت السباع فتخرج الى القاعة وتمشى فيها وتمرح وتالعب ويهارش بعضها بعضا فتقيم يوما كاملا الى المشى فيصيح بها السواس فيدخل كل سبيع الى بيته لا يتخطاه الى غيره وكان من جملة هذه السباع سبيع أزرق العينين يقال له زريق قد انس بخمارويه وصار مطلقا في الدار لا يؤذى أحدا ويقام له بوظيفته من الغذاء في كل يوم فاذا نصبت مائدة خمارويه أقبل زريق معها وربض بين يديه فرمي اليه بيده الدجاجة بعد الدجاجة والفضلة الصالحة من الجدى ونحو ذلك مما على المائدة فيفككه وكانت له لبوة لم تستأنس كما أنس فكانت مقصورة في بيت ولها وقت معروف يجتمع معها فيه فاذا نام خمارويه جاء زريق ليحرسه فان كان قد نام على سرير ربض بين يدي السرير وجعل يراعيه مادام نائما وان كان اتما نام على الارض بقى قريبا منه وتفتش لمن يدخل ويقصد خمارويه لا يغفل عن ذلك لحظة واحدة وكان على ذلك دهره قد ألف ذلك ودرب عليه وكان في عنقه طوق من ذهب فلا يقدر أحد أن يذنب من خمارويه مادام نائما لمراعاة زريق له وحراسته اياه حتى اذا شاء الله انفاذ قضائه في خمارويه كان بدمشق وزريق غائب عنه بمصر ليعلم انه لا يغنى حذر من قدر وبني أيضا دار الحرم وتقل اليها أمهات أولاد أبيه مع أولادهن وجعل معهن الممزولات من أمهات أولاده وأفرد لكل واحدة حجرة واسعة نزل في كل حجرة منها بعد زوال دواتهم قائد جليل فوسمته وفضل عنه منها شيء وأقام لكل حجرة من الانزال والوظائف الواسعة ما كان يفضل عن أهلها منه شيء كثير فكان الخدم الموكلون بالحرم من الطباخين وغيرهم يفضل لكل منهم مع كثرة عددهم بعد التوسع في قوته الزلة الكبيرة والتي فيها العدة من الدجاج فمنها ما قلع نخذه ومنها ما قد تشعب صدرها ومن الفراخ مثل ذلك مع القطع الكبار من الجدى ولحوم الضأن والعدة من ألوان عديدة والقطع الصالحة من الفالوج والكثير من اللوز ينج والقطائف والهرايس من العصيدة التي تعرف اليوم في وقتنا هذا بالمامونية وأشباه ذلك مع الارغفة الكبار واشتهر بمصر بيعهم لذلك وعرفوا به فكان الناس يتناوبونهم لذلك وأكثر ما تباع الزلة الكبيرة

منها بدرهمين ومنها ما يباع بدرهم فكان كثير من الناس يتفككون من هذه الزلات وكان شياها موجودا في كل وقت لكثرتة واتساعه بحيث ان الرجل اذا طرقة ضيف خرج من فوره الى باب دار الحرم فيجد ما يشتره ليتجمل به لضيفه مما لا يقدر على عمل مثله ولا يتهاى له من اللحوم والفراخ والدجاج والحلوى مثل ذلك واتسعت أيضا اصطبلات خمارويه فعمل لكل صنف من الدواب اصطبلا مفردا فكان للخيل الخاص اصطبل مفرد والدواب الغلمان اصطبلات عدة ولبغال القباب اصطبلات ولبغال الثقل غير بغال القباب اصطبلات ولا شجائب والبخاقي اصطبلات لكل صنف اصطبل مفرد للاتساع في المواضع والتفنن في الانتقال وعمل للتمور دارا مفردة وللغزوات دارا مفردة وللغزاة دارا ولا زرافات دارا كل ذلك سوى الاصطبلات التي بالجيزة فانه كان له في عدة ضياع من الحيزة اصطبلات مثل نهيا ووسيم وسقط وطهرمس وغيرها وكانت هذه الضياع لا ترزع الا القرط برسم الدواب وكان للخليفة أيضا بمصر اصطبلات سوى ما ذكر نتج فيها الحيل حلبة السباق وللابراط في سبيل الله تعالى برسم الغزو وكان لكل دار من الدور المذكورة ولكل اصطبل وكلاء لهم الرزق السنني والوظائف الكثيرة والاموال المتسمة وبلغ رزق الجيش في أيام خمارويه تسعمائة ألف دينار في كل سنة وقام مطبخه المعروف بمطبخ العامة بثلاثة وعشرين ألف دينار في كل شهر سوى ما هو موظف لجواريه وأرزاق من يخدمهم ويتصرف في حوائجهم وكان قد اتخذ لنفسه من ولد الحوف وشنارة الضياع قوما معروفين بالشجاعة والبأس لهم خلق عظيم تام وعظم أجسام وأدر عليهم الارزاق ووسع لهم في العطاء وشغلهم عما كانوا فيه من قطع الطريق وأذية الناس بخدمته وألبسهم الاقية وجواشن الديباج وصاغ لهم المناطق العراض الثقال وقلدهم السيوف المحلاة بضعونها على أكتافهم فاذا مشوا بين يديه وموكبه على ترتيبه ومضت أصناف العسكر وطوائفه تلاهم السودان وعدتهم ألف اسود لهم درق من حديد محكم الصنعة وعليهم أقبية سود وعمائم سود فيخالهم الناظر اليهم بحرا اسوديسير لسواد ألوانهم وسواد ثيابهم ويصير لبريق درقهم وحلى سيوفهم والبيض التي تلمع على رؤسهم من تحت العمائم زى بهج فاذا مضى السودان قدم خمارويه وقد انفرد عن موكله وصار بينه وبين الموكب نحو نصف غلوة سهم والمختارة تحف به وكان تام الظهر ويركب فرسا تاما فيصير كالكوكب اذا أقبل لا يخفى على أحد كانه قطعة جبل في وسط المختارة وكان مهاياذا سطوة وقد وقع في قلوب الكافة انه متى أشار اليه أحد بأصبعه أو تكلم أو قرب منه لحقه مكروه عظيم فكان اذا أقبل كما ذكرنا لا يسمع من أحد كلمة ولا سعة ولا عطسة ولا نمنحة البتة كأنما على رؤسهم الطير وكان يتقلد في يوم العيد سيفا بمحائل ولا يزال يتفرج وينتزه ويخرج الى مواضع لم يكن أبوه يهش اليها كالأهرام ومدينة القباب ونحو ذلك لاجل الصيد

فانه كان مشغوقا به لا يكاد يسمع بسبع الا قصده ومعه رجال عليهم لبود فيدخلون الى الاسد ويتناولونه بأيديهم من غابه عنوة وهو سليم فيضعونه في أقفاص من خشب محكمة الصنعة يسع الواحد منها السبع وهو قائم فاذا قدم خمارويه من الصيدسار القفص وفيه السبع بين يديه وكانت حلبة السباق في أيامهم تقوم مقام الاعياد لكثرة الزينة وركوب سائر العلمان والعساكر على كثرتهم بالسلاح التام والعدد الكاملة فيجلس الناس لمشاهدة ذلك كما يجلسون في الاعياد وتطابق الخيل من غايتها فتمر متفاوتة يقدم بعضها بمضاحتي يتم السبق قال القاضي المنظر بناء احمد بن طولون في ولايته لعرض الحيل وكان عرض الحيل من عجائب الاسلام الاربعة التي منها هذا العرض ورمضان بمكة والعيد كان بطرسوس والجمعة ببغداد فبقي من هذه الاربعة شهر رمضان بمكة والجمعة ببغداد وذهبت اثنتان قال كاتبه وقد ذهبت الجمعة ببغداد أيضا بعد القاضي بقتل هولاكو للخليفة المستعصم وزوال شعائر الاسلام من العراق وبقيت مكة شرفها الله تعالى وايسر في شهر رمضان الآن بها ما يقال فيه انه من عجائب الاسلام ولما تكامل عز خمارويه وانتهى أمره بدا يسترجع منه الدهر ما أعطاه فأول ما طرقة موت حظيته بوران التي من أجلها بنى بيت الذهب وصور فيه صورتها وصورته كما تقدم وكان يرى أن الدنيا لا تطيب له الا بسلامتها وينظره اليها وتمتع بها فكدر موتها عيشه وانكسر انكسارا بان عليه ثم انه أخذ في تجهيز ابنته فجهزها جهازا ضاهى به نيم الخلافة فلم يبق خطيرة ولا طرفة من كل لون وجنس الا حمله معها فكان من جملة ذكاة أربع قطع من ذهب عليها قبة من ذهب مشبك في كل عين من التشبيك قرط معاق فيه حبة جوهر لا يعرف لها قيمة ومائة هون من ذهب * قال القاضي وعقد المعتضد النكاح على ابنته يعني ابنة خمارويه قطر الندى فحملها أبو الجيش خمارويه مع عبد الله بن الحصاص وحمل معها ما لم ير مثله ولا يسمع به ولما دخل اليه ابن الحصاص يودعه قال له خمارويه هل بقي بيبي وبينك حساب فقال لا فقال انظر حسابك فقال كسر بقي من الجهاز فقال أحضره فأخرج ربع طومار فيه سبت ذكر النفقة فاذا هي أربعمائة ألف دينار قال محمد ابن علي المادرائي فنظرت في الطومار فاذا فيه وألف تسكة الثمن عنها عشرة آلاف دينار فاطلق له السكك * قال القاضي وانما ذكرت هذا الخبر لتستدل به على اشياء منها سعة نفس أبي الجيش ومنها كثرة ما كان يملكه ابن الحصاص حتى انه قال كسر بقي من الجهاز وهو أربعمائة ألف دينار ولم يقتضه ذلك لم يذكره ومنها ميسور ذلك الزمان لما طلب فيه ألف تسكة من أثمان عشرة دنانير قدر عليها في أسير وقت وبأهون سعي ولو طلب اليوم خمسون لم يقدر عليها قال كاتبه ولا يعرف اليوم في أسواق القاهرة ومصر تسكة بعشرة دنانير اذا طلبت توجد في الحال ولا بعد شهر الا أن يتعنى بعملها فتعمل ولما فرغ خمارويه من جهاز

ابنته أمر فبنى لها على رأس كل مرحلة نزل بها قصر فيما بين مصر وبغداد وأخرج معها أخاه شيدان بن أحمد بن طولون في جماعة مع ابن الخصاص فكانوا يسيرون بها سير الطفل في المهد فإذا وافت المنزل وجسدت قصراً قد فرش فيه جميع ما يحتاج اليه وعلقت فيه الستور وأعد فيه كل ما يصاح لثلاثها في حال الإقامة فكانت في مسيرها من مصر الى بغداد على بعد الشقة كأنها في قصر أبيها تنتقل من مجلس الى مجلس حتى قدمت بغداد أول الحرم سنة اثنتين وثمانين ومائتين فزفت على الخليفة المعتضد وبعد ذلك قتل خمارويه بدمشق وكانت مدة بنى طولون بمصر سبعة وثلاثين سنة وستة أشهر وأربعين وعشرين يوماً وولى منهم خمسة امراء أولهم (أحمد بن طولون) ولى مصر من قبل المعتز على صلاحاتها فدخل يوم الخميس لسبع بقين من شهر رمضان سنة أربع وخمسين ومائتين وخرج بغا الاصفر وهو أحمد بن محمد بن عبد الله بن طباطبا فيما بين برقة والاسكندرية في جمادى الاولى سنة خمس وخمسين وسار الى الصعيد فقتل في الحرب وحمل رأسه الى القسطنطينية لاهدى عشرة بقيت من شعبان وخرج ابن الصوفي العلوي وهو ابراهيم ابن محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ودخل اسنا في ذى القعدة فنهب وقتل فبعث اليه ابن طولون جيشاً فهزم الجيش في ربيع الاول سنة ست وخمسين فبعث بجيش آخر فواقعه باخيم في ربيع الآخر فانهزم ابن الصوفي الى الواح فأقام به وخرج أحمد بن طولون يريد حرب عيسى بن الشيخ ثم عاد فابتدأ في بناء الميدان وقدم العباس وخمارويه ابنا أحمد بن طولون من العراق على طريق مكة سنة سبع وخمسين وورد كتاب ماجور بتسلم أحمد بن طولون الاعمال الخارجة عن يده من أرض مصر فتسلم الاسكندرية وخرج اليها ثمان خلون من شهر رمضان واستخلف طفج صاحب الشرط ثم قدم لاربع عشرة بقيت من شوال وسخط على أخيه موسى وأمره باباس البيضاء وخرج الى الاسكندرية ثانياً ثمان بقين من شعبان سنة تسع وخمسين واستخلف ابنه العباس وقدم ثمان خلون من شوال وأمر ببناء المسجد الجامع على الجبل في صفر سنة تسع وخمسين وببناء المارستان للعرضي وورد كتاب المعتمد يستحثه في حمل الاموال فكتب اليه استأطيق ذلك والخراج بيد غيره فأنفذ المعتمد نفيساً الخادم بتقليد أحمد ابن طولون الخراج وبولايته على الثغور الشامية فأقر أبا أيوب أحمد بن محمد بن شعاع على الخراج خليفة له عليه وعقد الطخشي بن بلبرد على الثغور فخرج في جمادى الاولى سنة أربع وستين وتقدم أبو أحمد الموفق الى موسى بن بغا في صرف أحمد بن طولون وتقليدها ماجور التركي والى دمشق فكتب اليه بذلك فتوقف لعجزه عن مقاومة ابن طولون فخرج موسى بن بغا ونزل الرقة فبلغ ابن طولون انه سائر اليه فابتدأ في بناء

الحصن بالجزيرة ليكون معقلا لما له وحرمة في سنة ثلاث وستين واجتهد في عمل المراكب الحربية وأطافها بالجزيرة فأقام موسى بالركة عشرة أشهر واضطربت أموره ومات في صفر سنة أربع وستين ومات ماجور بدمشق واستخلف ابنه علي بن ماجور فحرك ذلك أحمد ابن طولون على المسير وكتب الى ابن ماجور انه سائر اليه وأمره باقامة الانزال والميرة فأجاب بجواب حسن وشكا أهل مصر الى ابن طولون ضيق المسجد الجامع يوم الجمعة بجنده وسودانه فأمر ببناء المسجد الجامع بحبل يشكر فابتدأ ببنائه في سنة أربع وتم في سنة ست وستين ومائتين وخرج في جيوشه ثمان بقين من شعبان سنة أربع وستين واستخلف ابنه العباس وضم اليه أحمد بن محمد الواسطي مدبرا ووزيرا فبلغ الرملة وتلقاه محمد بن رافع واليها وأقام له بها الدعوة فأقره ومضى الى دمشق فتلقاه علي بن ماجور وأقام له بها الدعوة فأقام بها حتى استوثق له أمرها ومضى الى حمص فتسلمها وبعث الى سينا الطويل وهو بانطاكية يأمره بالدعاء له فأبى فسار اليه في جيش عظيم وحاصره ورماه بالمجانيق حتى دخلها في المحرم سنة خمس وستين فقتل سينا واستباح أمواله ورجاله ومضى الى طرسوس فدخلها في ربيع الاول فضاقت به وغلا السعر بها فبأذنه أهلها فقاتلهم وأمر أصحابه أن ينهزموا عن أهل طرسوس لئيلغ طاغية الروم فيعلم أن جيوش ابن طولون مع كثرتها وشدتها لم تقم لاهل طرسوس فانهزموا وخرج عنهم واستخلف عليها طخشي فورد الخبر عليه بأن ابنه العباس قدخالف عليه فازعجه ذلك وسار نخاف العباس وقيد الواسطي وخرج بطاقته الى الجزيرة ثمان خلون من شعبان سنة خمس وستين ومائتين فمسكر بها واستخلف أخاه ربيعة بن أحمد وأظهر أنه يريد الاسكندرية وسار الى برقة فقدم أحمد بن طولون من الشام لاربع خلون من رمضان فأفخذ القاضي بكار ابن قتيبة في نفر بكتابته الى العباس فسار واليه ببرقة فأبى أن يرجع وعاد بكار في أول ذي الحجة ومضى العباس يريد افريقية في جمادى الاولى سنة ست وستين فنهب لبدة وقتل من أهلها عدة وضجت نساؤهم فاجتمع عليه جيش ابن الاغلب والاباضية فقاتلهم بنفسه وحسن بلاؤه يومئذ وقال

لله درى اذا أعبدوا على فرسي * الى الهياج ونار الحرب تستعر
وفي يدي صارم أفرى الرأس به * في حده الموت لا يبقى ولا يذر
ان كنت سائلة عني وعن خبري * فما أنا الليث والصمصامة الذكر
من آل طولون أصلى ان سألت فما * فوقى لمفتخر بالجود مفتخر
لو كنت شاهدة كرى بلبدة اذ * بالسيف أضرب والهجمات تبذر
اذا العايت مني ما تبادره * عني الاحاديث والانباء والخبر
وقتل يومئذ صناديد عسكره ووجوه أصحابه ونهبت أمواله وفر الى برقة في ضر وعقد

أحمد بن طولون على جيش وبعث به الى برقة في رمضان سنة سبع وستين ثم خرج بنفسه في عسكر عظيم يقال انه بلغ مائة ألف لثنتي عشرة خلت من ربيع الاول سنة ثمان وستين فأقام بالاسكندرية وفر اليه أحمد بن محمد الواسطي من عند العباس فصغر عنده أمر العباس فمقد على جيش سيره الى برقة فواقعا أصحاب العباس وهزموهم وقتلوا منهم كثيرا وأدركوا العباس لاربع خلون من رجب وعاد أحمد الى القسطنطينية ثلاث عشرة خلت منه وقدم العباس والاسرى في شوال ثم أخرجوا أول ذى القعدة وقد بنيت لهم دكة عالية فضربوا وألقوا من أعلاها ثم بعث بلؤلؤ في جيش الى الشام يخالف على أحمد ومال مع الموفق وصار اليه فخرج أحمد واستخلف ابنه خمارويه في صفر سنة تسع وستين فنزل دمشق ومعه ابنه العباس مقيدا يخالف عليه أهل طرسوس فخرج يريد محاربتهم ثم توقف لورود كتاب المتمد عليه أنه قادم عليه ليلتجئ اليه فخرج كالمصيد من بغداد وتوجه نحو الرقة فبلغ أبا أحمد الموفق مسيره وهو محارب لصاحب الرنج فعمل عليه حتى عاد الى سامرا ووكل به جماعة وعقد لاسحق بن كنداح الخزري على مصر فبلغ ذلك ابن طولون فرجع الى دمشق وأحضر القضاة والفقهاء من الاعمال وكتب الى مصر كتابا قرئ على الناس بأن أبا أحمد الموفق نكث ببيعة المتمد وأسره في دار أحمد بن الحبيب وان المتمد قد صار من ذلك الى ما لا يجوز ذكره وانه بكى شديدا فلما خطب الخطيب يوم الجمعة ذكر ما نيل من المتمد وقال اللهم فاكفه من حصره وظلمه وخرج من مصر بكار بن قتيبة وجماعة الى دمشق وقد حضر أهل الشامات والثغور فأمر ابن طولون بكتاب فيه خلع الموفق من ولاية العهد لخالفه المتمد وحصره اياه وكتب فيه ان أبا أحمد الموفق خلع الطاعة وبرئ من الزمة فوجب جهاده على الامة وشهد على ذلك جميع من حضر الابكار بن قتيبة وآخرين وقال بكار لم يصح عندي ما فعله أبو أحمد ولم أعلمه وامتنع من الشهادة والخلع وكان ذلك لاحدى عشرة خلت من ذى القعدة فبلغ ذلك الموفق فكتب الى عماله بلمن أحمد بن طولون على المنابر فلعن عليها بما صيغته اللهم اغنه لعنا يقل حده ويتعس جده واجعله مثالا للقابرين انك لاتصلح عمل المفسدين ومضى أحمد الى طرسوس فنازلها وكان البرد شديدا ثم رحل عنها الى أذنة وسار الى المصيصة فنزلت به علة الموت فأعد السير يريد مصر حتى بلغ الفرما فركب النيل الى القسطنطينية فدخل لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة سبعين فأوقف بكار بن قتيبة وبعث به الى السجن وتزايدت به العلة حتى مات ليلة الاحد لعشر خلون من ذى القعدة سنة سبعين ومائتين فلما بلغ المتمد موته اشتد وجده وجزعه عليه وقال يرثيه

الى الله اشكواى * عراقي كوقع الاسل * على رجل اروع * يرى منه فضل الوجمل

شهاب خبا وقده * وعارض غيث أفل * شكت دولتي فقدمه * وكان يزين الدول
فقام بعده ابنه (أبو الجيش خارويه) بن أحمد بن طولون وبإيعامه الجند يوم الاحد لعشر
خلون من ذى القعدة فأمر بقتل أخيه العباس لامتناعه من مبايعته وعقد لابي عبد الله أحمد
الواسطي على جيش الى الشام لست خلون من ذى الحجة وعقد لسعد الاعسر على جيش
آخر وبعث بمرأى في البحر لتقيم على السواحل الشامية فنزل الواسطي فلسطين وهو
خائف من خارويه أن يوقع به لانه كان أشار عليه بقتل أخيه العباس فكتب الى أبي أحمد
الموفق يصغر أمر خارويه ويحرضه على المسير اليه فأقبل من بغداد وانضم اليه اسحاق بن
كنداح ومحمد بن أبي الساج ونزل الرقة فتسلم قنسرين والعواصم وسار الى شيرز فقاتل
أصحاب خارويه وهزمهم ودخل دمشق فخرج خارويه في جيش عظيم لعشر خلون من
صفر سنة احدى وسبعين فالتقى مع أحمد بن الموفق بنهر أبي بطرس المعروف بالطواحين
من أرض فلسطين واقتتلا فانهمز أصحاب خارويه وكان في سبعين ألفا وابن الموفق في نحو
أربعة آلاف واحتوى على عسكر خارويه بما فيه ومضى خارويه الى القسطنطينة وأقبل
كمين له عايه سعد الاعسر ولم يعلم بهزيمة خارويه فخارب ابن الموفق حتى ازاله عن المعسكر
وهزمه اثني عشر ميلا ومضى الى دمشق فلم يفتح له ودخل خارويه الى القسطنطينة ثلاث
خلون من ربيع الاول وسار سعد الاعسر والواسطي فلدكا دمشق وخرج خارويه من
مصر لسبع بقين من رمضان فوصل الى فلسطين ثم عاد لاثني عشرة بقيت من شوال ثم خرج
في ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين فقتل سعد الاعسر ودخل دمشق لسبع خلون من المحرم
سنة ثلاث وسبعين وسار لقتال ابن كنداح فكانت على خارويه فانهمز أصحابه وثبت هو في
طائفة فهزمه ابن كنداح وأتبعه حتى بلغ أصحابه سر من رأى ثم اصطاحا وتظاهرا وأقبل الى
خارويه فأقام في عسكره ودعا له في أعماله التي بيده وكتب خارويه أبا أحمد الموفق في الصلح
فأجابته الى ذلك وكتب له بذلك كتابا فورد عليه به فالتق الخادم الى مصر في رجب ذكر
فيه أن المعتمد والموفق وابنه كتبوه بأيديهم وبولاية خارويه وولده ثلاثين سنة على مصر
والشامات ثم قدم خارويه سانخ رجب فأمر بالدعاء لابي أحمد الموفق وترك الدعاء عليه
وجعل على المظالم بمصر محمد بن عبدة بن حرب وبلغه مسير محمد بن أبي الساج الى أعماله
فخرج اليه في ذى القعدة ولقيه شعبة العقاب من دمشق فانهمز أصحاب خارويه وثبت هو
فخاربه حتى هزمه أقبح هزيمة وعاد الى مصر فدخلها لست بقين من جمادى الآخرة سنة
ست وسبعين ثم خرج الى الاسكندرية لاربع خلون من شوال وورد الخبر أنه دعى له
بطرسوس في جمادى الآخرة سنة سبع وسبعين وخرج الى الشام لسبع عشرة من ذى
القعدة ومات الموفق في سنة ثمان وسبعين ثم مات المعتمد في رجب سنة تسع وسبعين وبويع

المعتضد أبو العباس أحمد بن الموفق فبعث إليه خمارويه بالهدايا وقدم من الشام لست خلون من ربيع الاول سنة ثمانين فورد كتاب المعتضد بولاية خمارويه على مصر هو وولده ثلاثين سنة من الفرات الى برقة وجعل له الصلات والخراج والقضاء وجميع الاعمال على أن يحمل في كل عام مائتي ألف دينار عما مضى وثلاثمائة ألف للمستقبل ثم قدم رسول المعتضد بالخلع وهي اثنتا عشرة خلعة وسيف وتاج ووشاح مع خادم في رمضان وعقد المعتضد نكاح قطر الندى بنت خمارويه في سنة احدى وثمانين وفيها خرج خمارويه الى نزهته ببربوط في شعبان ومضى الى الصعيد فباع سيوط ثم رجع من الشرق الى القسقاط أول ذى القعدة وخرج الى الشام لثمان خلون من شعبان سنة اثنتين وثمانين فأقام بمينة الاصبغ ومينة مطر ثم رحل حتى أتى دمشق فقتل بها على فراشه ذبحه جواريه وخدمه وحمل في صندوق الى مصر وكان لدخول تابوته يوم عظيم واستقبله جواريه وجواري غلمان ونساء قواده ونساء القطائع بالصياح وما يصنع في المآتم وخرج الغلمان وقد حلوا أقيمتهم وفيهم من سود ثيابه وشققها وكانت في البلد ضجة عظيمة وصرخة تتعق القلوب حتى دفن وكانت مدته اثنتى عشرة سنة وثمانية عشر يوما ثم ولي (أبو العساكر جيش بن خمارويه) بن أحمد بن طولون الليلة بقيت من ذى القعدة سنة اثنتين وثمانين ومائتين بدمشق فسار الى مصر واشتمل على أمور أنكرت عليه فاستوحش من عظماء الجند وتنكر لهم خافوه ودأبوا في الفساد فخرج متزها الى مينة الاصبغ ففر جماعة من عظماء الدولة الى المعتضد وخلعه أحمد بن طغان وكان على الثغر وخلعه طفج بن جف بدمشق فوثب جيش على عمه مضر بن أحمد بن طولون فقتله فوثب عليه الجيش وخاموه وجمعوا الفقهاء والقضاة فتبرأ من بيعته وحلهم منها وكان خلعه لمشر خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين فولى ستة أشهر واثنى عشر يوما ومات في السجن بعد أيام ثم ولي (أبو موسى هرون بن خمارويه) يوم خلع جيش فقام طائفة من الجند وكاتبوا ربعة بن أحمد بن طولون وكان بالاسكندرية ودعوه ووعدوه بالقيام معه فجمع جمعا كثيرا من أهل البحيرة ومن البربر وغيرهم وسار حتى نزل ظاهر فسطاط مصر فنحذه القوم وخرج اليه القواد فقاتلوه وأسروه لاحدى عشرة ليلة خلت من شعبان سنة أربع وثمانين وضرب ألف سوط ومائتي سوط فمات ومات المعتضد في ربيع الآخر سنة تسع وثمانين وبويع ابنه محمد المكتفى بالله وخرج القرمطي بالشام في سنة تسعين فخرج القواد من مصر وحاربوه فهزمهم وبعث المكتفى محمد بن سليمان الكاتب فنزل حمص وبعث بالمرابك من الثغر الى سواحل مصر وأقبل الى فلسطين فخرج هارون يوم التروية سنة احدى وتسعين وسير المرابك الحربية فالتقوا بمرابك محمد بن سليمان في تيس فغلبوا وملك أصحاب محمد ابن سليمان تيس ودمياط فسار هرون الى العباسة ومعه أهله وأعمامه في ضيق وجهه

فنفرق عنه كثير من أصحابه وبقي في نفر يسير وهو متشاغل باللهو فأجمع عماء شيبان وعدى ابنا أحمد بن طولون على قتله فدخلوا عليه وهو نمل فقتلاه ليلة الاحد لاحدى عشرة بقيت من صفر سنة اثنتين وتسعين وسنه يومئذ اثنان وعشرون سنة فكانت ولايته ثمان سنين وثمانية أشهر وأيامهم ولى (شيبان بن أحمد بن طولون) أبو المواقيت لعشر بقين من صفر فرجع الى القسطنطينية وبلغ طنج بن جف وغيره من القواد قتل هرون فأنكروه وخالفوا على شيبان وبعثوا الى محمد بن سليمان فأمنهم وحركوه على المسير الى مصر فسار حتى نزل العباسية فلقية طنج في ناس من القواد كثير فساروا به الى القسطنطينية وأقبل اليهم عامة أصحاب شيبان نخف حينئذ شيبان وطالب الامن فأمنه محمد بن سليمان وخرج اليه ليلة خلت من ربيع الاول سنة اثنتين وتسعين ومائتين وكانت ولايته اثني عشر يوما ودخل محمد بن سليمان يوم الخميس أول ربيع الاول فألقى النار في القطائع ونهب أصحابه القسطنطينية وكسروا السجون وأخرجوا من فيها وهجموا الدور واستباحوا الحريم وهتكوا الرعية وافتضوا الابكار وساقوا النساء وفعلوا كل قبيح من اخراج الناس من دورهم وغير ذلك وأخرج ولد أحمد بن طولون وهم عشرون انسانا وأخرج قوادهم فلم يبق بمصر منهم أحد يذكر وختل منهم الديار وعفت منهم الآثار وتمطت منهم المنازل وحل بهم النذل بعد العز والتطريد والتشريد بعد اجتماع الشمل ونضرة الملك ومساعدة الايام ثم سيق أصحاب شيبان الى محمد بن سليمان وهو راكب فذبحوا بين يديه كما تذبح الشياه وقتل من السودان سكان القطائع خلقا كثيرا فقال أحمد بن محمد الحيشي

الحمد لله اقرارا بما وهبنا * قدلم بالامن شعب الحق فانشعبا
الله أصدق هذا الفتح لا كذب * فسوء عاقبة المثلوى لمن كذبا
فتح به فتح الدنيا محمدنا * وفرج الظلم والاضلال والكربا
لاريب رب هياج يقتضى دعة * وفي القصاص حياة تذهب الربيا
رمى الامام به عذراء غادرة * فافتض عذرتها بالسيف واقتضبا
محمد بن سليمان أعزهم * نفسا وأكرمهم في الداهين أبا
سرى بأسد الشرى لولم يروا بشرا * اضحى عرينهم الخطى لا القضبا
جم القضاء على اليعقوم حين أتوا * مثل الزبا يمتحون الزبية الذابا
أيها علوت على الايام مرتبة * أبا على ترى من دونها الرتبنا
لما اطال بنو طولون خطبتهم * من الخطوب وعافت منهم الخطبا
هارت بهارون من ذكر الكبقعة * وشيب الرعب شيباننا وقد رعبا
وكم ترى لهم من جنة أنف * ومن نعيم حتى من غدرهم عطبا

فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم * كأنها من زمان غابر ذهباً
(وقال أحمد بن يعقوب)

ان كنت تسأل عن جلاله ملكهم * فارتع وعج بمرايع الميدان
وانظر الى تلك القصور وما حوت * واسرح بزهرة ذلك البستان
وان اعتبرت ففيه أيضاً عبرة * تنبيك كيف تصرف العصر ان
ياقتل هرون اجثتت أصولهم * وأثبت رأس أميرهم شيان
لم يبق عنكم بأس قيس اذ غدا * في جحفل لجب ولا غسان
وعديه البطل السلمي وخزرج * لم ينصرا بأخيها عدنان
زفت الى آل النبوة والهدى * وتمزقت عن شيعه الشيطان
(وقال اسمعيل بن أبي هاشم)

قف وقفه بقباب باب الساج * والقصر ذى الشرفات والابرار
وربوع قوم أعجزوا عن دارهم * بعد الاقامة أيما ازعاج
كانوا مصابيحاً لذي ظلم الدجى * يسرى بها السارون في الادلاج
وكان أوجههم اذا أبصرتها * من فضة بيضاء أو من عاج
كانوا ليسونا لا يرام حماهم * في كل ملحمة وكل هياج
فانظر الى آثارهم تلقى لهم * علما بكل ثنية وفجاج
وعليهم ما عشت لا أدع البكا * مع كل ذى نظر وطرف ساجي
(وقال سعيد القاص)

جرى دمه ما بين سحر الى نحر * ولم يحجر حتى أسلمته يد الصبر
وبات وقيد الذى خامر الحشا * يئن كما أن الاسير من الاسر
وهل يستطيع الصبر من كان ذا أسى * يبيت على حجر ويضجى على حجر
تتابع أحداث يضيغن صبره * وغدر من الايام والدهر ذو غدر
أصاب على رغم الانوف وجدها * ذوى الدين والدنيا بقاصمة الظهر
طوى زينة الدنيا ومصباح أهلها * بفقد بنى طولون والأنجم الزهر
وفقد بنى طولون في كل موطن * أمر على الاسلام فقدا من القطر
فبادوا وأضحوا بعد عز ومنعة * أحاديث لا تخفى على كل ذى حجر
وكان أبو العباس أحمد ما جدا * جميل الحيا لا يبيت على وتر
كان ليالى الدهر كانت لحسها * واشراقها في عصره ليلة القدر
يدل على فضل ابن طولون همة * محلقة بين السماكين والغفر

فان كنت تبغي شاهداً عدالة * يخبر عنه بالجبل من الامر
فبالجبل الغربي خطه يشكر * له مسجد يفتى عن المنطق الهذر
يدل ذوى الالباب أن بناءه * وبانيه لا بالضنين ولا الغمر
بناه بأجر وساج وعمرى * وبالمرمر المستنون والجص والصخر
بعيد مدى الاقطار سام بناؤه * وثيق المبانى من عقود ومن جدر
فسيج رحاب يحصر الطرف دونه * رقيق نسيم طيب العرف والنشر
وتنور قروون الذى فوق قلة * على جبل عال على شاق وعمر
بنى مسجداً فيه يروق بناؤه * ويهذى به فى الليل ان ضل من يسرى
تحال سناً قسديله وضيائه * سهيلاً اذا ملاح فى الليل للسفر
وعين معين الشرب عين زكية * وعين احاج للرواة وللطهر
كان وفود النيل فى جنباتها * تروح وتغدو بين مد الى جزر
فأرك بها مستبطاً لمعيتها * من الارض من بطن عميق الى ظهر
بناء لو ان الجن جاءت بمثلها * لقليل لقد جاءت بمستفزع نكر
يمر على أرض المغافر كلها * وشعبان والاحور والحي من بشر
قبائل لانوء السحاب يدها * ولا النيل يروها ولا جدول يحري
ولا تنس مارستانه واتساعه * وتوسعة الارزاق للحوال والشهر
وما فيه من قوامه وكناته ■ ورفقته بالمعتفين ذوى الفقر
فللميت المقبور حسن جهازه * وللحي رفق فى علاج وفى جبر
وان جئت رأس الجسر فانظر تأملاً * الى الحوض أوقا عبر اليه على الجسر
ترى أثر الم يبق من يستطيعه * من الناس فى بدو البلاد ولا حضر
مآثر لاتبى وان باد أهلها * ومجد يوءدى وارثه الى الفخر
لقد ضمن القبر المقدر ذرعه * أجل اذا ما قيس من قبي حجر
وقام أبو الجيش ابنه بعد موته * كما قام ليث الغاب فى الاسل السمر
أنته المنايا وهو فى أمن داره * فأصبح مسلوباً من النهى والامر
كذلك الليالى من اعارته بهجة * فيالك من ناب حديد ومن ظفر
وورثهرون ابنه تاج ملكه * كذلك أبو الاشبال ذوالناب والهصر
وقد كان جيش قبله فى محله * ولكن جيشا كان مستقصر العمر
فقام بأمر الملك هارون مدة * على كفظ من ضيق باع ومن حصر
وما زال حتى زال والدهر كاشح * عقارب من كل ناحية تسرى

تذكركم لما مضوا فتابعوا * كما أرفض سلك من جمان ومن شذر
 فمن يبك شيئاً ضاع من بعد أهله * لفقدهم فليك حزناً على مصر
 ليك بنى طولون أذبان عصرهم * فبورك من دهر وبورك من عصر
 (وقال أيضاً)

من لم ير الهدم للميدان لم يره * تبارك الله ما على واقدره
 لوان عين الذى انشاء تبصره * والحادثات تعاديه لا كبره
 كانت عيون الورى تعشوا لهيته * اذا أضاف اليه الملك عسكره
 أين الملوك التي كانت تحل به * واين من كان بالانفاذ دبره
 وأين من كان يحميه ويجرسه * من كل ليث يهاب الليث منظره
 صاح الزمان بمن فيه ففرقهم * وحط ربب البلى فيه قد عثره
 وأخلق الدهر منه حسن جدته * مثل الكتاب بما العصر ان اسطره
 دكت مناظره واجتث جوسقه * كأنما الخسف فاجاه قدمه
 أوهب أعصار نار في جوانبه * فعاد معروفه للعين منكوره
 كم كان يأوى اليه في مقاصره * احوى أغن غضيض الطرف أحوره
 كم كان فيه لهم من مشرب غدق * فعب صرف الردى فيه فكدره
 أين ابن طولون بانيه وساكنه * أماته الملك الاعلى فأقبره
 ما أوضح الامر لو صحت لنا فكر * طوبى لمن خصه وشده فذكره
 (وقال أحمد بن اسحق الجفر)

واذا ما أردت اعجوبة الدهر تراها فانظر الى الميدان
 تنظر البين والهموم وانوا عاتوا لت به من الاشجان
 يعلم العالم المبصر أن الدهر فيما يراه ذو ألوان
 اين ما فيه من نعيم ومن عيش رخي ونضرة وحسان
 اين ذاك المسك الذى ديف بالعنبر بحتا وعل بالزعفران
 اين ذاك الحز المضاغف والوشي وما استخلصوا من الكتان
 اين تلك القيان تشدو على العرس بما استحسنا من الالحان
 حوز الدهر آل طولون في هوة نقر مسكونها غير دان
 وأعاض الميدان من بعد أهليه ذئابا تعوى بتلك المغاني

ثم أمر الحسين بن أحمد المادرائي متولى خراج مصر بهدم الديوان فابتدئ في هدمه في
 شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين ومائتين وبيعت أنقاضه وذر كأنه لم يكن * فقال محمد بن طسويه
 (١٦ م - خطط في)

وكان الميدان ثكلى اصيبت * بحبيب قد ضاع ليلة عرس
تفتش الرياح منه محالا * كان للصون في ستور الدمقس
وبفرش الاضريح والبسط الديشاج في نعمة وفي لين لمس
ووجوه من الوجوه حسان * وخدود مثل الآلى لمس
كل نجلاء كالغزال ونجلا * ورداح من بين حور ولعس
آل طولون كنتم زينة الار * ض فأضحى الجديد أهدام لبس
(وقال ابن أبي هاشم)

يامنزلا لبني طولون قد ذرا * سقاك صرف الغواذى القطر والمطر
يامنزلا صرت اجفوه وأهجره * وكان يعدك عندى السمع والبصر
بالله عندك علم من احببنا * أم هل سمعت لهم من بعدنا خبرا
(وقال)

ألا فاسأل الميدان ثم اسأل الجبل * عن الملك الماضى ابن طولون ما فعل
وعن ابنه العباس ان كنت سائلا * وأين أبو الحيش الفصافصة البطل
وحيش وهارون الذى قام بعده * وشيدان بالامس الذى خاته الامل
ومن قبله أردى ربيعة يومه * وكان هزرا لا يطاق اذا حمل
وأين ذرارهم وأين جموعهم * وكيف تقضى عنهم الملك فاضمحل
وأين بناء القصر والجوسق الذى * عهدناه معمور الفناء له زجل
لقد ملكوه برهة من زماننا * بدولتهم ثم انقضوا بانقضا الدول
فما منهم خلق يحس ولا يرى * بذكر طوال الدهر لما انقضى الاجل
وصاروا أحاديثا لمن جاء بعدهم * وكان بهم في ملكهم يضرب المثل
(وقال)

قف وقفة وانظر الى الميدان * والقصر ذى الشرفات والايوان
والجوسق العالى المنيف بناؤه * ما باله فقر من السكان
أين الذين لهوا به وغنوا به * زمنا مع القينات والنسوان
يجي الخراج اليهم في دارهم * لا يرهبون غوائل الحداث
جمعوا الجموع مع الجموع فأكثرها * واستأثروا بالروم والسودان
فانظر الى ماشيدوا من بعدهم * هل فيه غير اليوم والغربان
أين الاولى حفروا العيون بأرضه * وتألقوا فيه وفي البنيان
غرسوا صنوف النخل في ساحاته * وغرائب الاعناب والرمان

والزعفران مع اليهار بأرضه * والورد بين الآس والريحان
 كانوا ملوك الارض في ايامهم * كبراء كل مدينة ومكان
 فتمزقوا وتفرقوا فهناك هم * تحت الثرى يبلون في الاكفان
 الا اغيلة اسارى بعدهم * في دار مضيفة ودار هوان
 متلذذين بأسرهم قد سرّدوا * ونفوا عن الاهلين والاطوان
 والله وارث كل حي بعدهم * وله البقاء وكل شئ فان
 (وقال)

ان في قبة الهوا ، لدى اللب معتبر * والقصور المشيدات مع الدور والحجر
 والبساتين والحجاس والبيت والزهر * والجواري المغنيات ذوى الدل والحفر
 يتبخترن في الحرير * وفي الوشى والحبر * وملوك عبيدهم عدد الشوك والشجر
 وجيوش مؤيدون لدى البأس بالظفر * من صنوف السودان والسترلوك والروم والحزر
 عمروا الارض مدة تم صاروا الى الحفر * واستبدّ الزمان من عاش منهم فلم يذر
 فمهم في الهوان والذل اسرى على خطر * وهم بعد صفو عيش من الذل في كدر
 يال طولون مالكم صرتم للورى سمر * يال طولون كنتم خيرا فاقضى الخبر
 (وقال)

مررت على الميدان معتبرا به * فناديت به أين الجبال الشواخ
 خمار عباس وأحمد قبلهم * وأين ترى شبانهم والمشايخ
 وأين ذرارى آل طولون بعدهم * أما فيك منهم أيها الربع صارخ
 وأين ثياب الخز والوشى والحلى * وأربابها أم اين تلك المطايخ
 وأين قتات المسك والعنبر الذي * غنيت به دهرها وتلك اللطايخ
 لقد غلاك الدهر الخوون بصرفه * فأصبحت منحطا وغيرك بازخ
 (وقال)

مررت على الميدان بالامس ضاحيا * فأبصرته قفر الجنب فراعني
 فناديت فيه يال طولون مالكم * فهو فاحلق بحرف اجابني
 فأذريت عينات دمع غزيرة * ورحت كئيب القلب مما اصابني
 واني عليهم ما بقيت لموجع * ولست أبالي من لحاني وعابني

وحدث محمد بن أبى يعقوب الكاتب قال لما كانت ليلة عيد الفطر من سنة اربعين وتسعين ومائتين
 تذكرت ما كان فيه آل طولون في مثل هذه الليلة من الزى الحسن بالسلاح وملونات البنود
 والاعلام وشهرة الثياب وكثرة الكراع' وأصوات الابواق والطبول فاعتراني لذلك فكرة

ونمت في ليالي فسمعت هاتفا يقول ذهب الملك والملك والزينة لما مضى بنو طولون وقال القاضي أبو عمرو عثمان النابلسي في كتاب حسن السيرة في اتخاذ الحصن بالجزيرة رأيت كتابا قدر اثني عشرة كراسة مضمونه فهرست شعراء الميدان الذي لاحد بن طولون قال فاذا كانت أسماء الشعراء في ثلثي عشرة كراسة كم يكون شعرهم مع أنه لم يوجد من ذلك الآن ديوان واحد وقال أبو الخطاب بن دحية في كتاب الثبراس وخربت قطائع أحمد بن طولون يعني في الشدة العظمى زمن الخليفة المستنصر وهلك جميع من كان بها من الساكنين وكانت نيفا على مائة ألف دار نزهة للناظرين محدقة بالجنان والبساتين والله يرث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

(ذكر من ولى مصر من الامراء بعد خراب القطائع الى أن بنيت القاهرة المعز على يد القائد جوهر)
 وكان أول من ولى مصر بعد زوال دولة بني طولون وخراب القطائع (محمد بن سليمان الكاتب) كاتب لؤلؤ غلام أحمد بن طولون دخل مصر يوم الخميس مستهل ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين ومائتين ودعا على المنبر لأمير المؤمنين المكتفي بالله وحده وجعل أبا على الحسين بن أحمد المادرائي على الخراج عوضا عن أحمد بن علي المادرائي ثم ورد كتاب المكتفي بولاية (عيسى بن محمد) النوشري أبي موسى فولى على الصلوات ودخل خليفته لأربع عشرة خلت من جمادى الأولى فتسلم الشرطتين وسائر الاعمال ثم قدم عيسى لسبع خلون من جمادى الآخرة وخرج محمد بن سليمان مستهل رجب وكان مقامه بمصر أربعة أشهر فأخرج كل من بقي من الطولونية فلما بلغوا دمشق انخس عنهم محمد بن علي الخليج في جمع كثير ممن كره مفارقة مصر من القواد فمقدوا له عليهم وبايعوه بالامرة في شعبان ورجع الى مصر فبعث اليه النوشري بجيش أول رمضان وقد دخل أرض مصر ثم خرج اليه النوشري وعسكر بباب المدينة أول ذي القعدة وسار الى العباسية ثم رجع لثلاث عشرة خلت منه وخرج الى الجزيرة من غده واحرق الجسرين وسار يريد الاسكندرية ففرغه طائفة الى ابن الخليج فبعث اليه بجيش فهزمه وسار الى الصعيد ودخل (محمد بن الخليج) الفسطاط لأربع عشرة بقيت من ذي القعدة فوضع العطاء وفرض الفروض وقدم أبو الاعز من قبل المكتفي في طلب ابن الخليج فخرج اليه لثلاث خلون من المحرم ستة ثلاث وتسعين وحاربه فانهمز منه أبو الاعز وأسر من أصحابه جمعا كثيرا وعاد لثمان بقين منه فقدم فأتك المعتضدى من بغداد في البر فمسكر وقدم دميانة في المراكب فنزل فأتك النورية فخرج ابن الخليج وعسكر بباب المدينة وقام في الليل بأربعة آلاف من أصحابه ليبيت فأتكا فاضلوا الطريق وأصبحوا قبل أن يبلغوا النورية فعلم بهم فأتك فنهض بأصحابه وحارب ابن الخليج فانهمز عنه أصحابه وثبت في طائفة ثم انهزم الى الفسطاط لثلاث خلون من رجب فاستتر

ودخل دميانة في مراكب الثغور وأقبل عيسى النوشري ومعه الحسين المادرائي ومن كان معهم
لحمس خلون منه فعاد النوشري الى ما كان عليه من صلاتها والمادرائي الى ما كان عليه من
الخراج وعرف النوشري بمكان ابن الخليج فهجم عليه وقيده لست خلون من رجب وكانت
مدة ابن الخليج بمصر سبعة أشهر وعشرين يوما ودخل فالك في عسكره الى القسطنطينية
خلون من رجب فأخرج ابن الخليج في البحر لست خلون من شعبان فلما قدم بغداد طيف
به وبأصحابه وهم ثلاثون نفرا فكان يوما مذكورا وابتدى في هدم ميدان بني طولون في
شهر رمضان وبيعت انقاضه وخرج فالك الى العراق لانتصف من جمادى الاولى سنة أربع
وتسعين وأمر النوشري بنفي المؤمنين ومنع النوح والنداء على الجنائز وأمر باغلاق المسجد
الجامع فيما بين الصلاتين ثم أمر بفتحہ بعد أيام ومات المكتفي في ذي القعدة سنة خمس وتسعين
فشغب الجند بمصر وحاربوا النوشري على طلب مال البيعة فظفر بجماعة منهم وبويع جعفر
المقتدر فأقر النوشري على الصلات وقدم زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب أمير أفريقية مهزوما
من أبي عبد الله الشيعي في رمضان سنة ست وتسعين الى الحيزة فتمعه النوشري من العبور
وكانت بين أصحابه وبين جند مصر منافسة ثم اذن له أن يعبر وحده ومات النوشري لاربع
بقين من شعبان سنة سبع وتسعين وهو وال فكانت ولايته خمس سنين وشهرين ونصفا
منها مدة ابن الخليج سبعة أشهر وعشرون يوما وقام من بعده ابنه أبو الفتح محمد بن عيسى
ثم ولي (تكني الحزري أبو منصور) من قبل المقتدر على الصلات فدعى له بها يوم الجمعة
لاحدى عشرة خلت من شوال وقدم خليفته لسبع بقين منه ثم قدم تكني لليلتين خلتا من
ذي الحجة وتقدم اليه بالجد في أمر المغرب والاحتراس منه فبعث جيشا الى برقة عليه أبو
المنين فخاربه حباسة بن يوسف بمساكر المهدي عبيد الله الفاطمي صاحب أفريقية واستولى
على برقة وسار الى الاسكندرية في زيادة على مائة ألف فدخلها في المحرم سنة اثنتين وثلاثمائة
فقدمت الجيوش من العراق مددا لتكني في صفر وقدم الحسين المادرائي واحمد بن كيفلغ
في جمع من القواد وبرزت العساكر الى الحيزة في جمادى الاولى وخرج تكني فكانت واقعة
حباسة قتل فيها آلاف من الناس وعاد حباسة الى المغرب وقدم مؤنس الخادم من بغداد
في حيوشه لانتصف من رمضان ومعه جمع من الامراء فنزل الحمراء ولقي الناس منهم شدايد
وخرج ابن كيفلغ الى الشام في رمضان وصرف تكني لاربع عشرة خلت من ذي القعدة صرفه
مؤنس فخرج لسبع خلون من ذي الحجة وأقام مؤنس يدعي ويخاطب بالاستمناذ ثم ولي
(ذكا الرومي) أبو الحسن الاعور من قبل المقتدر على الصلات فدخل لثاني عشرة خلت
من صفر سنة ثلاث وثلاثمائة وخرج موسى بجمع حيوشه لثمان خلون من ربيع الآخر
وخرج ذكا الى الاسكندرية في المحرم سنة أربع وثلاثمائة ثم عاد في ثامن ربيع الاول وتبع

كل من يوماً اليه بمكتبة المهدي صاحب أفريقية فسجن منهم وقطع أيدي أناس وأرجلهم وجلأ أهل لوبية ومراقبة الى الاسكندرية خوفاً من صاحب برقة وسير العساكر الى الاسكندرية ثم فسد ما بينه وبين الرعية بسبب سب الصحابة رضي الله عنهم وسب القرآن وقدمت عساكر المهدي صاحب أفريقية الى لوبية ومراقبة عليها أبو القاسم فدخل الاسكندرية ثامن صفر سنة سبع وثلثمائة وفر الناس من مصر الى الشام في البر والبحر فهلك أكثرهم وأخرج ذكاً الجند الخالفون له فمسكر بالحيزة وقدم أبو الحسن بن أحمد المادرائي واليا على الخراج فوضع العطاء وجد ذكاً في أمر الحرب واحتفر خندقاً على عسكره بالحيزة فمات لاهدى عشرة خلت من ربيع الاول بالحيزة فكانت امرته أربع سنين وشهراً فولى (تسكين) مرة ثانية من قبل المقتدر وقدمت جيوش العراق عليها محمود بن حمل وإبراهيم بن كيخاغب في ربيع الاول ودخل تسكين لاهدى عشرة خلت من شعبان فنزل الحيزة وحفر خندقاً ثانياً وأقبلت مراكب المغرب فظفر بها في شوال وقدم مؤنس الخادم من بغداد بعساكره الخمس خلون من المحرم سنة ثمان وثلثمائة فنزل الحيزة وكان في نحو ثلاثة آلاف وسير ابن كيخاغب الى الاشموين فقات بالهنساء أول ذي القعدة وملك أصحاب المهدي الفيوم وجزيرة الاشموين فقدم جنى الخادم من بغداد في عسكر آخر ذي الحجة فمسكر بالحيزة فكانت حروب مع أصحاب المهدي بالفيوم والاسكندرية ورجع أبو القاسم بن المهدي الى برقة وصرف تسكين لثلاث عشرة خلت من ربيع الاول سنة تسع وثلثمائة فولى مؤنس (أبا قابوس محمود بن حمل) فأقام ثلاثة أيام وعزله ورد تسكين لخمس بقين من ربيع الاول ثم صرفه بعد أربعة أيام وأخرجه الى الشام في أربعة آلاف من أهل الديوان ثم ولي (هلال بن بدر) من قبل المقتدر على الصلات فدخل لست خلون من ربيع الآخر وخرج مؤنس لثمان عشرة خلت منه ومعه ابن حمل فشغب الجند على هلال وخرجوا الى منية الاصبغ ومعهم محمد بن طاهر صاحب الشرطة فكثرت النهب والقتل والفساد بمصر الى أن صرف عنها في ربيع الآخر سنة احدى عشرة وثلثمائة وخرج في نفر من أصحابه فولى (أحمد بن كيخاغب) من قبل المقتدر على الصلات وقدم ابنه أبو العباس خليفة له أول جمادى الاولى ثم قدم ومعه محمد بن الحسين بن عبد الوهاب المادرائي على الخراج في رجب فأحضرا الجند ووضعوا العطاء وأسقطا كثيراً من الرجالة وكان ذلك بمنية الاصبغ فثار الرجالة به ففر الى فاقوس وأدخل المادرائي الى المدينة لثمان خلون من شوال وأقام ابن كيخاغب بفاقوس الى أن صرف بقدوم رسول تسكين في ثالث ذي القعدة فولى (تسكين) المرة الثالثة من قبل المقتدر على الصلات وخلفه ابن منجور الى أن قدم يوم عاشوراء سنة اثنى عشرة وثلثمائة فأسقط كثيراً من الرجالة وكانوا أهل الشر والنهب ونادى ببراءة الذمة ممن أقام منهم بالفسطاط وصلى الجمعة في دار الامارة بالعسكر وترك حضور الجمعة في

مسجد العسكر والمسجد الجامع العتيق في سنة سبع عشرة ولم يصل قبله أحد من الامراء في دار الامارة الجمعة ثم قتل المقتدر في شوال سنة عشرين وبويع أبو منصور القاهرة بالله فأقر تكين حتى مات في سادس عشر ربيع الاول سنة احدى وعشرين وثلاثمائة فحمل الى بيت المقدس وكانت امرته هذه تسع سنين وشهرين وخمسة أيام فقام ابنه محمد بن تكين موضعه وقام أبو بكر محمد بن علي المادرائي بأمر البلد كله ونظر في أعماله فشغب الجند عليه في طلب أرزاقهم وأحرقوا دوره ودور أهله فخرج ابن تكين الى منية الاصبع فبعث اليه المادرائي يأمره بالخروج من أرض مصر وعسكر بباب المدينة وأقام هناك بعد مارحل ابن تكين الى سلخ ربيع الاول فلاحق ابن تكين بدمشق ثم أقبل يريد مصر ففقه المادرائي ثم ولى (محمد ابن طفج) بن جف الفرغاني أبو بكر من قبل القاهرة بالله على الصلات فورد كتابه لسبع خلون من رمضان سنة احدى وعشرين ودعى له وهو بدمشق مدة اثنين وثلاثين يوما الى أن قدم رسول (أحمد بن كيغلغ) بولايته الثانية من قبل القاهرة بالله لتسع خلون من شوال واستخلف أبا الفتح بن عيسى النوشري فشغب الجند في أرزاقهم على المادرائي صاحب الخراج فاستتر منهم فأحرقوا دوره ودور أهله وكانت قتل فيها جماعة الى أن أتاها محمد بن تكين من فلسطين لثلاث عشرة خلت من ربيع الاول سنة اثنين وعشرين فأنكر المادرائي ولايته وتعصب له طائفة ودعى له بالامارة وخرج قوم الى الصعيد فيهم ابن النوشري فامروه عليهم وهم على الدعاء لابن كيغلغ فنزل منية الاصبع لثلاث خلون من رجب فلاحق به كثير من أصحاب تكين ففر ابن تكين ليلا ودخل ابن كيغلغ المدينة لست خلون منه وكان مقام ابن تكين بالفسطاط مائة يوم واتى عشر يوما وخلع القاهرة وبويع أبو العباس الراضي بالله فماد ابن تكين وأظهر أن الراضي ولاءه فخرج اليه العسكر وحاربوه فيما بين بليس وفاقوس فانهمزموه وجيء به الى المدينة فحمل الى الصعيد فورد الخبر بأن محمد بن طفج سار الى مصر بولاية الراضي له فبعث اليه ابن كيغلغ بجيش لينعوه من دخول الفرما فأقبلت مراكب ابن طفج الى تنيس وسارت مقدمته في البر وكانت بينهما حروب في تاسع عشر شعبان سنة ثلاث وعشرين كانت لاصحاب ابن طفج وأقبلت مراكبه الى الفسطاط سلخ شعبان وأقبل فعسكر ابن كيغلغ للنصف من رمضان ولاقاه لسبع بقين منه فسلم ابن كيغلغ الى محمد بن طفج من غير قتال وولى (محمد بن طفج) الثانية من قبل الراضي على الصلات والخراج فدخل لست بقين من رمضان وقدم أبو الفتح الفضل ابن جعفر بن محمد بن فرات بالخلع لمحمد بن طفج وكانت حروب مع أصحاب ابن كيغلغ انهزموا منها الى برقة وساروا الى القائم بأمر الله محمد بن المهدي بالمغرب فحرضوه على أخذ مصر فجهز جيشا سار الى مصر فبعث ابن طفج عسكره الى الاسكندرية والصعيد ثم ورد الكتاب من بغداد بالزيادة في اسم الامير محمد بن طفج فلقب الاخشيدي ودعى له بذلك على المنبر في رمضان سنة

سبع وعشرين وسار محمد بن رائق الى الشامات ثم سار في الحرم سنة ثمان وعشرين واستخلف أخاه الحسن بن طفج فنزل الفرما وابن رائق بالرملة فسفر بينهما الحسن بن طاهر بن يحيى العلوى في الصباح حتي تم وعاد الى القسطنطينية مستهل جمادى الاولى ثم اقبل ابن رائق من دمشق في شعبان فسير اليه الاخشيدي الجيوش ثم خرج لست عشرة خات من شعبان والتقى بالنصف من رمضان بالعرش فكانت بينهما وقعة عظيمة انكسرت فيها ميسرة الاخشيدي ثم حمل بنفسه فهزم أصحاب ابن رائق وأسّر كثيرا منهم وأنجزهم قتلا وأسرا ومضى ابن رائق فقتل الحسين ابن طفج بالجون ودخل الاخشيدي الرملة بخمسمائة اسير فتداعى ابن طفج وابن رائق الى الصلح فضى ابن رائق الى دمشق على صلح وقدم الاخشيدي محمد بن طفج الى مصر لثلاث خلون من الحرم سنة تسع وعشرين ومات الراضي بالله وبويع المتيق لله ابراهيم في شعبان فأقر الاخشيدي وقتل محمد بن رائق بالموصل قتله بنو حمدان في شعبان سنة ثلاثين وثلاثمائة فبعث الاخشيدي بجيوشه الى الشام ثم سار لست خلون من شوال واستخلف أخاه أبا المظفر الحسن ابن طفج ودخل دمشق ثم عاد لثلاث عشرة خات من جمادى الاولى سنة احدى وثلاثين فنزل البستان الذي يعرف اليوم بالكافوري من القاهرة ثم دخل داره وأخذ البيعة لابنه أبي القاسم اونوجور على جميع القوادى آخر ذى القعدة وسار المتيق لله الى بلاد الشام ومعه بنو حمدان فسار الاخشيدي لثمان خلون من رجب سنة اثنين وثلاثين واستخلف أخاه الحسن فلقى المتيق ثم رجع فنزل البستان لاربع خلون من جمادى الاولى سنة ثلاث وثلاثين وخلع المتيق وبويع عبد الله المستكفي لسبع خلون من جمادى الآخرة فأقر الاخشيدي وبعث الاخشيدي بحاكم وكافور في الجيوش الى الشام ثم خرج فحس خلون من شعبان سنة ست وثلاثين واستخلف أخاه الحسن فلقى على بن عبد الله بن حمدان بأرض قنسرين وحاربه ومضى فأخذ منه حلب وخلع المستكفي ودعى للمطيع لله الفضل بن جعفر في شوال سنة أربع وثلاثين فأقر الاخشيدي الى أن مات بدمشق يوم الجمعة ثمان بقين من ذي الحجة فولى بعده ابنه (اونوجور) أبو القاسم باستخلافه اياه وقبض على أبي بكر محمد بن علي بن مقاتل في ثالث الحرم سنة خمس وثلاثين وجعل مكانه على الخراج محمد بن علي المادرائي وقدم العسكر من الشام أول صفر فلم يزل اونوجور واليا الى أن مات لسبع خلون من ذى القعدة سنة سبع وأربعين وثلاثمائة وحمل الى القدس فدفن عند أبيه وكان كافور متحكما في أيامه ويطلق له في السنة أربعمائة ألف دينار فلما مات قوى كافور وكانت ولايته أربع عشرة سنة وعشرة أشهر فأقام كافورا أخاه (علي بن الاخشيدي) أبا الحسن لثلاث عشرة خات من ذى القعدة فأقره بالمطيع لله على الحرب والخراج بمصر والشام والحرمين وصار خليفته على ذلك كافور غلام أبيه وأطلق له ما كان يطلق لآخيه في كل سنة وفي سنة احدى وخمسين ترفع السعر واضطربت الاسكندرية

والبحيرة بسبب المغاربة الواردين اليها وتزايد الغلاء وعز وجود القمح وقدم القرمطى الى الشام في سنة ثلاث وخسين وقلّ ماء النيل ونهبت ضياع مصر وتزايد الغلاء وسار ملك النوبة الى اسوان ووصل الى أخميم فقتل ونهب وأحرق واشتد اضطراب الاعمال وفسد ما بين كافور وبين على بن الاخشيدي ففتح كافور من الاجتماع به واعتلّ على بعد ذلك علة أخيه ومات لاحدى عشرة خلت من المحرم سنة خمس وخمسين وثلثمائة فحمل الى القدس وبقيت مصر بغير أمير ايما ولم يدع بها الا للمطيع لله وحده وكافور يدبر أمورها ومعه ابو الفضل جعفر بن الفرات ثم ولى (كافور) الخصى الاسود مولى الاخشيدي من قبل المطيع على الحرب والحراج وجميع أمور مصر والشام والحرمين فلم يغير لقبه وانما كان يدعى ويخاطب بالاستاذ وأخرج كتاب المطيع بولايته لاربع بقين من المحرم سنة خمس وخمسين فلم يزل الى أن توفي اشهر بقين من جمادى الاولى سنة سبع وخمسين وثلثمائة فولى (أحمد بن علي الاخشيدي أبو الفوارس) وسنه احدى عشرة سنة في يوم وفاة كافور وجعل الحسين بن عبيد الله بن طفج يخلفه وأبو الفضل جعفر بن الفرات يدبر الامور وسمول الاخشيدي المساكين الى أن قدم جوهر القائد من المغرب بجيوش المعز لدين الله في سابع عشر شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ففر الحسين بن عبيد الله وتسلم جوهر البلاد كما سيأتي ان شاء الله تعالى فكانت مدة الدعاء لبني العباس بمصر منذ ابتدئت دولتهم الى أن قدم القائد جوهر الى مصر مائتي سنة وخمساً وعشرين سنة ومدة لدولة الاخشيدي بها اربعمائة وثلاثين سنة وعشرة أشهر وأربعة وعشرين يوماً ومنذ افتتحت مصر الى أن انتقل كرسي الامارة منها الى القاهرة ثلثمائة سنة وسبع وثلاثون سنة وأشهر والله تعالى أعلم

(*) ذكر ماكانت عليه مدينة القسطنطين من كثرة العمارة (*)

قال ابن يونس عن الليث بن سعدان حكيم بن ابي راشد حدثه عن ابي سلمة بن عبد الرحمن انه وقف على جزار فسأله عن السعر فقال بأربعة أفس الرطل فقال له أبو سلمة هل لك أن تعطينا بهذا السعر مابادلنا وبدا لك قال نعم فأخذ منه أبو سلمة ومرو في القصبة حتى اذا أراد أن يوفيه قال بعثني بدينار ثم قال اصرفه فلوسا ثم وفه وقال الشريف أبو عبد الله محمد ابن أسعد الجواني النسابة في كتاب النقط على الخطط سمعت الامير تأييد الدولة تميم بن محمد المعروف بالضمضام يقول في سنة تسع وثلاثين وخمسمائة وحدثني القاضي ابو الحسين علي بن الحسين الخاطمي عن القاضي أبي عبد الله القضاعي قال كان في مصر القسطنطين من المساجد ستة وثلاثون الف مسجد وثمانية آلاف شارع وسلوك ألف ومائة وسبعون حماما وان حمام جنادة في القرافة ما كان يتوصل اليها الا بعد عناء من الزحام وان قبالتها في كل يوم جمعة خمسمائة درهم (*) وقال القضاعي أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي في كتاب (١٧ م - خطط ني)

الخطط انه طلب لقطر الندى ابنة خمارويه بن احمد بن طولون الف تسكة بعشرة آلاف دينار من أثمان كل تسكة بعشرة دنانير فوجدت في السوق في ايسر وقت وبأهون سعي وذكر عن القاضي أبي عبيد أنه لما صرف عن قضاء مصر كان في المودع مائة الف دينار وانفاقاً مولى أحمد بن طولون اشترى دارا بعشرين الف دينار وسلم الثمن الى البائعين وأجلهم شهرين فلما انقضى الاجل سمع فائق صياحا عظيما وبكاء فسأل عن ذلك فقيل هم الذين باعوا الدار فدعاهم وسألهم عن ذلك فقالوا انما نبكي على جوارك فأطرق وأمر بالكتب فردت عليهم ووهب لهم الثمن وركب الى احمد بن طولون فأخبره فاستصوب رأيه واستحسن فعله ويقال انه كان لفائق ثمانية فرشة كل فرشة لحظية مشعة وان دار الحرم بناها خمارويه الحرمه وكان أبوه اشتراها له فقام عليه الثمن وأجرة الصناعات والبناء بسبع مائة الف دينار وان عبد الله بن احمد بن طباطبا الحسيني دخل الجامع فلم يجد مكانا في الصف الاول فوقف في الصف الثاني فالتفت أبو حفص بن الجلاب فلما رآه تأخر وتقدم الشريف مكانه فكافأه على ذلك بنعمة حامها اليه ودار ابتاعها له ونقل اهله اليها بعد ان كساهم وحلاهم وذكر غير القاضي انه دفع اليه خمسمائة دينار قال ويقال انه أهدى الى أبي جعفر الطحاوي كتاباً قيمتها الف دينار وان رشيقات الاخشيدي استججبه ابو بكر محمد بن علي المادرائي فلما مضت عليه سنة رفع فيه أنه كسب عشرة آلاف دينار نخاطبه في ذلك خلف بالايمن الغليظة على بطلان ذلك فأقسم أبو بكر المادرائي بمثل ما أقسم به لئن خرجت سننتنا هذه ولم تكسب هذه الجمله لأصحبتي ولم يزل في صحبته الى أن صودر أبو بكر فأخذ منه ومن رشيقي مال جزيل وذكر أن الحسن بن أبي المهاجر موسى بن اسماعيل بن عبد الحميد بن بجر بن سعد كان على البريد في زمن احمد بن طولون وقتله خمارويه وسبب ذلك ما كان في نفس علي بن احمد المادرائي منه فأغرى خمارويه به وقال قد بقي لايمك مال غير الذي ذكره في وصيته ولم يقف عليه غير ابن مهاجر فطالبه فلم يزل خمارويه بابن مهاجر الى أن وصف له موضع المال من دار خمارويه فأخرج فكان مبلغه ألف دينار فسلمه الى أحمد المادرائي فحمله الى داره واقبلت توقيعات خمارويه ترد اليه بالصلوات والنفقات فيخرجها من فضول أموال الضياع والمرافق وحصات له تلك الاموال ولم يضع يده عليها الى أن قتل وصودر أبو بكر محمد بن علي في ايام الاخشيدي وقبضت ضياعه فماد الى تلك الالف الف دينار مع ماسواها من ذخائره وأعراضه وعقده فما ظنك برجل ذخيره ألف دينار سوى ما ذكر عن أبي بكر محمد بن علي المادرائي انه قال بعث الي ابو الحيش خمارويه أن اشترى له أردية وأقنعة للجواري وعمل دعوة خلافها بنفسه وبهم وغدت متعرفا لخبره فقيل لي انه طرب لما هو فيه فنثر دنانير على الجواري والعلمان وتقدم اليهم أن ماسقط من ذلك في البركة فهو لمحمد بن علي كاتبي

فلما حضرت وبلغني ذلك أمرت الغلمان فنزلوا في البركة فأصعدوا الى منها سبعين ألف دينار
 فما ظنك بمال نثر على اناس فطائر منب الى بركة ماء هذا المبلغ وقال ابن سعيد في كتاب
 المغرب في حل المغرب وفي الفسطاط دار تعرف بعبد العزيز يصب فيها لمن بها في كل يوم
 اربعمائة راوية ماء وحسبك من دار واحدة يحتاج اهلها في كل يوم الى هذا القدر من الماء *
 وقال ابن المتوج في كتاب ايقاظ المتغفل واتعاط المتأمل عن ساحل مصر ورأيت من نقل
 عن نقل عن رأى الاسطال التي كانت بالطاقت المطلة على النيل وكان عددها ستة عشر
 ألف سطل مؤبدة بكرة وأطناب بها ترخي وتغلا أخبرني بذلك من اثق بنقله قال وكان بالفسطاط
 في جهته الشرقية حمام من بناء الروم عامرة زمن احمد بن طولون قال الراوى دخلتها في
 زمن خمارويه بن احمد بن طولون وطلبت بها صانعا يخدمني فلم أجده فيها صانعا متفرغا
 لخدمتي وقيل لي أن كل صانع معه اثنان يخدمهم وثلاثة فسلت كم فيها من صانع فأخبرت ان بها
 سبعين صانعا قل من معه دون ثلاثة سوى من قضى حاجته وخرج قال فخرجت ولم ادخلها
 لعدم من يخدمني بها ثم طغت غيرها فلم أقدر على من أجده فارغا الا بعد أربع حمامات وكان
 الذي خدمني فيها ناشبا فانظر رحمك الله ما شتمل عليه هذا الخبر مع ما ذكره القضاعي من
 عدد الحمامات وانها ألف ومائة وسبعون حماما تعرف من ذلك كثرة ما كان بمصر من
 الناس هذا والسعر راخ والقمح كل خمسة أراذب بدينار وبيعت عشرة أراذب بدينار في زمن
 احمد بن طولون قال ابن المتوج خطبة مسجد عبد الله ادركت بها آثار دار عظيمة قيل
 انها كانت دار كافور الاخشيدي ويقال ان هذه الخطبة تعرف بسوق العسكر وكان به مسجد
 الزكاة وقيل انه كان منه قصبة سوق متصلة الى جامع أحمد بن طولون وأخبرني بعض المشايخ
 العدول عن والده وكان من أكابر الصلحاء انه قال عدت من مسجد عبد الله الى جامع بن
 طولون ثلثمائة وتسعين قدر حصص مصلوق بقصبة هذا السوق بالارض سوى المقاعد والخوانيت
 التي بها الحصص فتأمل اعزك الله ما في هذا الخبر مما يدل على عظمة مصر فان هذا السوق كان
 خارج مدينة الفسطاط وموضعه اليوم القضاء الذي بين كوم الجسارح وبين جامع ابن طولون
 ومن المعروف ان الاسواق التي تكون بداخل المدينة أعظم من الاسواق التي هي خارجها
 ومع ذلك ففي هذا السوق من صنف واحد من المأكول هذا القدر فكيف ترى تكون جملة
 ما فيه من سائر أصناف المأكول وقد كان اذ ذلك بمصر عشرة أسواق كلها أو أكثرها أجل من
 هذا السوق وقال ودرج السفافير بني فيه زقاق بني الرصاص كان به جماعة اذا عقد عندهم
 عقد لاحتاجون الى غريب وكانوا هم وأولادهم يحوا من أربعين نفسا * وقال ابن زولاق
 في كتاب سيرة المادرائين ولما قدم الاستاذ مؤنس الخادم من بغداد الى مصر استدعى ابو علي
 الحسين بن احمد المادرائي المعروف بأبي زنبور الدقاق وهو الذي نسيمة اليوم الطحان

وقال ان الاستاذ مؤنسا قد وافى ولي يشتول قدر ستين ألف أردب قمحاً فاذا وافى فقم له بالوظيفة فكان يقوم له بما يحتاج اليه من دقيق حوارى مدة شهر فلما كمل الشهر قال كاتب مونس للدقاق كم لك حتى ندفعه اليك فأعلمه الخبر فقال ما أحسب الاستاذ يرضى ان يكون في ضيافة ابني وأعلم مؤنسا بذلك فقال انا آكل خبز حسين لا يبرح الرجل حتى يقبض ماله فضى الدقاق وأعلم ابا زنبور فقام من فوره الى مونس فأكب على رجليه فاحتشم منه وقال والله لأحبيك الا هذا الشهر الذى مضى ولا تعاودتم رجوع فقال للدقاق قم له بالوظيفة في المستقبل واعمل ما يريدك قال فجئته وقد فرغ القمح ومهي الحساب واربعمائة دينار قال ايش هسدا فقلت بقية ذلك القمح فقال اعفى منه وتركه فتأمل ما اشتمل عليه هذا الخبر من سعة حال كاتب من كتاب مصر كيف كان له في قرية واحدة هذا القدر من صنف القمح وكيف صار مما يفضل عنه حتى يجعله ضيافة وكيف لم يعبأ بأربعمائة دينار حتى وهبها لدقاق قمح وما ذاك الا من كثرة المعاش وقس عليه باقى الاحوال وقال عن أبى بكر محمد بن علي المادرائي انه حج اثنتين وعشرين حجة متوالية أفق في كل حجة مائة ألف دينار وخمسين ألف دينار وانه كان يخرج معه تسعين ناقه لقبته التي ركبها وأربعمائة لجهازه وميرته ومعه المحامل فيها أحواض البقل وأحواض الرياحين وكلاب الصيد وينفق على الاشراف وأولاد الصحافة ولهم عنده ديوان بأسمائهم وانه أفق في خمس حججات آخر ألفي ألف دينار ومائتي ألف دينار وكانت جاريته تواصل معه الحج ومعها لنفسها ثلاثون ناقه لقبتها ومائة وخمسون عربيا لجهازها وأحصى ما يعطيه كل شهر لحاشيته وأهل السر وذوى الاقدار جارية من الدقيق الحواري فكان بضعا وثمانين ألف رطل وكان سنة القر مطى بمكة فمن جملة ما ذهب له به مائتا قيس ديسق ثمن كل ثوب منها خمسون دينارا وقال مرة وهو في عطائه أخذ مني محمد بن طنج الاخشيد عينا وعرضا يبلغ نيفا وثمانين وربة دينار فاستعظم من حضر ذلك فقال ابنه الذى أخذ أكثر وانا اوقفه عليه ثم قال لابيه يا مولاي أليس نكبت ثلاث مرات قال بلى قال اليس أخذت ضياعك بالشام قال نعم قال فكلم ثمنها قال ألف دينار قال وضياعك بمصر قال قريب منها قال وعرض وعين قال كذلك فأمر بعض الحساب بضبط ذلك فجاء ما ينيف عن ثلاثين اردباً من ذهب فانظر ما تضمنته أخبار المادرائي وقس عليها بقية احوال مصر فما كان سوى كاتب الخراج وهذه أمواله كما قد رأيت وقال الشريف الجواني ان أبا عبد الله محمد بن مفسر قاضى مصر سمع بأن المادرائي عمل في أيامه الكمك المشو بالسكر والقرص الصفار المسمى أفضل له فأمرهم بعمل الفستق الملبس بالسكر الابيض الفانيد المطيب بالمسك وعمل منه في أول الحال أشياء عوض ليه لب ذهب في صحن واحد فضى عليه جملة وخضع قدومه تخاطفه الحاضرون ولم يد له ماله بل الفستق الملبس وكان قد سمع في سيرة المادرائيين انه عمل له هذا الافطن له وفي كل

واحدة خمسة دنانير ووقف استاذ على السماط فقال لاحد الجلساء افطن له وكان عمل على السماط عدة صحون من ذلك الجنس لكن مافيه الدنانير صحن واحد فلما رمز الاستاذ لذلك الرجل بقوله افطن له وأشار الى الصحن تناول ذلك الرجل منه فأصاب الذهب واعتمد عليه فحصل له جملة ورآه الناس وهو اذا أكل يخرج من فمه ويجمع يده ويحيط في حجره فتبهوا له وتزاحوا عليه فقبل لذلك من يومئذ افطن له * وقال ابو سعيد عبد الرحمن بن احمد بن يونس في تاريخ مصر حدثني بعض أصحابنا بتفسير رؤيا رآها غلام ابن عتيل الحشاش عجيبة فكانت حقا كما فسرت فسألت غلام ابن عتيل عنها فقال لي أنا أخبرك كان أبي في سوق الخشابين فانفق بضاعته وورثت حاله ومات فأسلمتني أمي الى ابن عتيل وكان صديقا لابي فكنت أخدمه وأفتح حانوته وأكنسها ثم أفرش له ما يجلس عليه فكان يجري على رزقا اتقوت به فأثني يوما في الحانوت وقد جلس استاذي ابن عتيل فجاء ابن العسال مع رجل من أهل الريف يطلب عود خشب لطاحونة فاشترى من ابن عتيل عود طاحونة بخمسة دنانير فسمعت قوما من أهل السوق يقولون هذا ابن العسال المفسر للرؤيا عند ابن عتيل فجاء منهم قوم وقصوا عليه منامات رأوها ففسرها لهم فذكرت رؤيا رأيتها في ليالي فقلت له اني رأيت البارحة في نومي كذا وكذا فقصت عليه الرؤيا فقال لي أي وقت رأيتها من الليل فقلت انتهت بعد رؤياي في وقت كذا فقال لي هذه رؤيا لست أفسرها الا بدنانير كثيرة فألححت عليه فقال استاذي ابن عتيل فرج عنه هذا غلام صغير فقير لا يملك شيئا فقال لست آخذ الا عشرين دينارا فقال له ابن عتيل ان قربت علينا وزنت انا لك ذلك من عندي فلم يزل به ينزله حتى قال والله لا آخذ أقل من ثمن العود الخشب خمسة دنانير فقال له ابن عتيل ان صحت الرؤيا دفعت اليك العود بلا ثمن فقال له يأخذ مثل هذا اليوم ألف دينار قال استاذي فاذا لم يصح هذا فقال يكون العود عندك الى مثل هذا اليوم فان كان لم يصح أخذ ما قلت له في ذلك اليوم فليس لي عندك شيء ولا أفسر رؤيا أبدا فقال له استاذي قد أنصفت ومضت الجمعة فلما كان مثل ذلك اليوم غدوت مثل ما كنت اغدو الى دكان استاذي ففتحتها ورششتها واستلقيت على ظهري افكر فيما قال لي ومن أين يمكن أن يصير الى ألف دينار فقلت لعل سقف المكان ينفرج فيسقط منه هذا المال وجمعت احويل فكري وأني كذلك الى ضحى اذ وقف على جماعة من أعوان الحراج معهم ناس فقالوا هذه دكان ابن عتيل ثم قالوا لي قم فقلت لهم لست ابن عتيل انا غلامه فقالوا بل أنت ابوه وجيذوني فأخرجوني من الدكان فقلت الى أين فقالوا الى ديوان الاستاذ أبي على الحسين بن أحمد يبنون ابا زنبور فقلت وما يصنع بي فقالوا اذا جئت سمعت كلامه وما يريدك وكنت بعقب علة ضعيف البدن فقلت ما أقدر أمشي فقالوا اكتر حمارا تركبه ولم يكن معي ما أكترى به حمارا فزعت تكة سراويلي من

وسطي ودفعها على درهمين لمن أكراني الحمار ومضيت معهم فجاءوا بي الى دار أبي زنبور فلما دخلت قال لي أنت ابن عقيل فقلت لا ياسيدي انا غلام في حانوته قال أفليس تبصر قيمة الخشب قلت بلى قال فاذهب مع هؤلاء فقوم لنا هذا الخشب فانظر بحيث لا يزيد ولا ينقص فضيت معهم فجاءوا بي الى شط البحر الى خشب كثير من أثل وسنط جاف وغير ذلك مما يصلح لبناء المراكب فقومته تقويم جزع حتى بلغت قيمته ألفي دينار فقالوا لي انظر هذا الموضع الآخر فيه من الخشب ايضا فنظرت فاذا هو أكثر مما قومت بنحو مرتين فأعجلوني ولم أضبط قيمة الخشب فردوني الى أبي زنبور فقال لي قومت الخشب كما أمرتك ففزعت فقلت نعم فقال هات كم قومته فقلت ألفا دينار فقلت انظر لا تغاظ فقلت هو قيمته عندي فقال لي نخذه أنت بألفي دينار فقلت انا فقير لا أملك دينارا واحدا فكيف لي بقيمته قال ألسنت تحسن تدبيره وتبيعه فقلت بلى قال فدبره وبعه ونحن نصبر عليك بالثمن الى ان تبيع شيئا شيئا وتؤدي ثمنه فقلت أقبل فأمر بكتاب يكتب علي في الديوان بالمال فكاتب علي ورجعت الى الشط أعرف عدد الخشب وأوصي به الحراس فوافيت جماعة أهل سوقنا وشيوخهم قد أتوا الى موضع الخشب فقالوا لي ايش صنعت قومت الخشب قلت نعم. قالوا بكم قومته فقلت بألفي دينار فقالوا لي وأنت تحسن تقوم لا يساوي هذا هذه القيمة فقلت لهم قد كتب علي كتاب في الديوان وهو عندي يساوي أضعاف هذا فقالوا لي اسكت لا يسمعك احد وكانوا قد قوموه قبلي لابي زنبور بألف دينار فقال بعضهم لبعض أعطوا هذا ربحه وتساموه أثم فقال قائل أعطوه ربحه خمسمائة دينار فقلت لا والله لا آخذ فقالوا قد رأى رؤيا فزيدوه فقلت لا والله لا آخذ اقل من ألف دينار قالوا فلك ألف دينار فحول اسمك من الديوان نعطك اذا بعنا ألف دينار فقلت لا والله لا أفعل حتى آخذ الألف دينار في وقتي هذا فمضوا الى حوانيتهم والى منازلهم حتى جاؤني بألف دينار فقلت لا آخذها الا بقدر الصيرفي وميزانه فضيت معهم الي صيرفي الناحية حتى وزنوا عنده الألف دينار ونقدتها وأخذتها فشددتها في طرف رداي ومضيت معهم الى الديوان وحول اسماءهم مكان اسمي ووفوا حق الديوان من عندهم ورجعت وقت الظهر الى استاذي فقال لي قبضت ألف دينار منهم فقلت نعم ببركك وتركك الدنانير بين يديه وقلت له يا أستاذ خذ ثمن العود والخشب فقال لا والله لا آخذ منك شيئا أنت عندي مقام ابني وجاء في الوقت ابن العسال فدفع اليه استاذي العود والخشب فمضى فهذا خبر رؤياي وتفسيرها فتأمل اعزك الله ما يشتمل عليه من عظم ما كانت عليه مصر وسعة حال الديوان وكيف فضل فيه خشب يساوي آلافا من الذهب ونحن اليوم في زمن اذا احتجج فيه الى عمارة شيء من الاماكن السلطانية بخشب او غيره اخذ من الناس اما بغير ثمن او باخس القيم مع ما يصيب مالكة من الخوف والخسارة للاعوان وكيف لما

قوم هذا الخشب لم يكلف المشتري دفع المال في الحال وفي زمننا اذا طرحت البضاعة السلطانية على الباعة يكلفون حمل ثمنها بالسرعة حتى ان فيهم من يبيعها بأقل من نصف ما اشتراها به ويكمل الثمن امان ماله أو يقترضه بربح وكيف لمسا علم أهل السوق ان الخشب يبع بدون القيمة لم يمضوا الى الديوان ويدفعون فيه زيادة اما لقلة شره الناس اذ ذاك وتركهم الاخلاق الرذيلة من الجسد ونحوه أو لعلمهم بعدل السلطان وانه لا يبتك ماعقده وفي زمننا لو ادعى عدو على عدوه أن البضاعة التي كان اشتراها من الديوان قيمتها أكثر مما أخذها به لقبل قوله وغرم زيادة على ما ادعاه عدوه من قلة القيمة جملة أخرى لاجرم أنه تظاهر سفهاء الناس بكل رذيلة وذميمة من الاخلاق فان الملك سوق يجبي اليه مانفق به وكيف لمسا علم ابن عقيل أن غلامه استفاد على اسمه ألف دينار لم يشره الى أخذها بل دفع عنه خمسة الدنانير وما ذاك الا من انتشار الخيف في الناس وكثرة أموالهم وسعة حال كل أحد بحسبه وطيب نفوس الكفاة ولعمري لو سمع في زمننا أحد من الامراء والوزراء فضلا عن الباعة أن غلاما من غلامه أخذ على اسمه عشر هذا المبلغ لقامت قيامته وكيف اتسعت أحوال الخشابين حتى وزنوا ألف دينار في ساعة وانه ليعسر اليوم على الخشابين أن يزنوا في يوم مائة دينار وهذا كله من وفور غني الناس بمصر وعظم أمرهم وكثرة سعادتهم وكان الفسقاط نحو ثلث بغداد ومقداره فرسخ على غاية العمارة والخشب والطيبة واللذة وكانت مساكن أهلها خمس طبقات وستا وسبعيا وربما سكن في الدار الواحدة المائتان من الناس وكان فيه دار عبد العزيز بن مروان يصب فيها لمن فيها في كل يوم أربع مائة راوية ماء وكان فيها خمسة مساجد وحمامان وعدة أفران يخبز بها عجيين أهلها وقد قال أبو داود في كتاب السنن شربت قناء بمصر ثلاثة عشر اشبرا ورأيت أترجة على بعير قطعتين قطعت وصيرت على مثل عدلين ذكره في باب صدقة الزرع من كتاب الزكاة قلت وقد ذكر أن هذا كان في جناب بنى سنان البصرى خارج مدينة الفسقاط وكانت بحيث لم ير أبداع منها فلما قدم أمير المؤمنين عبد الله المأمون بن هارون الرشيد مصر سنة سبع عشرة ومائتين رأي جناب بنى سنان هذه فاعجب بها وسأل ابراهيم بن سنان كم عليه من الخراج لجنانه فذكر أنه يحمل الى الديوان في كل سنة عشرين ألف دينار فقال المأمون ولم ترد عليك هذه الجنان قال لا استطيع حصره الا أن ما زاد على مائة ألف دينار اتصدق به ولو درهما هذا وله ولد اسمه أحمد بن ابراهيم بن سنان يوصف بعلم وزهد والله تعالى اعلم

* (ذكر الآثار الواردة في خراب مصر) *

روى قاسم بن أصبغ عن كعب الاحبار قال الجزيرة آمنة من الحراب حتى تخرب ارمينية ومصر آمنة من الحراب حتى تخرب الجزيرة والكوفة آمنة من الحراب حتى تكون الملحمة

ولا يخرج الدجال حتى تفتح القسطنطينية * وعن وهب بن منبه انه قال الجزيرة آمنة من الحراب حتى تحرب ارمينية وأرمينية آمنة من الحراب حتى تحرب مصر ومصر آمنة من الحراب حتى تحرب الكوفة ولا تكون الملحمة الكبرى حتى تحرب الكوفة فاذا كانت الملحمة الكبرى فتحت القسطنطينية على يد رجل من بني هاشم وخراب الاندلس من قبل الزنج وخراب أفريقية من قبل الاندلس وخراب مصر من انقطاع النيل واختلاف الجيوش فيها وخراب العراق من قبل الجوع والسيوف وخراب الكوفة من قبل عدو من ورائهم يخفرون حتى لا يستطيعوا أن يشربوا من الفرات قطرة وخراب البصرة من قبل العراق وخراب الالة من قبل عدو يخفرون مرة برا ومرة بحرا وخراب الري من قبل الديلم وخراب خراسان من قبل التبت وخراب التبت من قبل الصين وخراب الصين من قبل الهند وخراب اليمن من قبل الجراد والسلطان وخراب مكة من قبل الحبشة وخراب المدينة من قبل الجوع وفي رواية وخراب أرمينية من قبل الرجف والصواعق وخراب الاندلس وخراب الجزيرة من سنايك الجليل واختلاف الجيوش * وعن عبيد الله بن الصامت قال ان أسرع الارضين خرابا البصرة ومصر فليل له وما يخر بهما وفيهما عيون الرجال والاموال فقال يخر بهما القتل الاحمر والجوع الاغبر كائن بالبصرة كائن نعمة جائئة وأما مصر فان نيلها ينضب أو أوقال ييبس فيكون ذلك خرابها وعن الازاعي اذا دخل أصحاب الرايات الصفراء مصر فلتحفر أهل الشام أسرابا تحت الأرض * وعن كعب علامة خروج المهدي الوية تقبل من قبل المغرب عليها رجل من كندة أعرج فاذا ظهر أهل المغرب على مصر فبطن الأرض يومئذ خير لاهل الشام * وعن سفيان الثوري قال يخرج عنق من البربر فويل لاهل مصر وقال ابن لهيعة عن أبي الاسود عن مولى لشر حبيب بن حسنة أو لعمر بن العاص قال سمعته يوما واستقبلنا فقال أيها لك مصر اذا رميت بالقسي الاربع قوس الاندلس وقوس الحبشة وقوس الترك وقوس الروم * وعن قاسم بن أصبغ حدثنا أحمد بن زهير حدثنا هرون بن معروف حدثنا ضمرة عن الشيباني قال تهلك مصر غرقا أو حرقا * وعن عبدالله بن مغلا أنه قال لابتة اذا بلغك أن الاسكندرية قد فتحت فان كان خمارك بالمغرب فلا تأخذه حتى تاجي بالمشرق * وذكر مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس يرفعه قال أنزل الله تعالى من الجنة الى الأرض خمسة أنهار سيحون وهو نهر الهند وجيحون وهو نهر بلخ ودجلة والفرات وهما نهر العراق والنيل وهو نهر مصر أنزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل عليه السلام واستودعها الجبال وأجراها في الأرض وجعل فيها منافع للناس في أصناف معاشهم وذلك قوله عز وجل وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكنناه في الأرض فاذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله تعالى

جبريل عليه السلام فرفع من الارض القرآن كله والعلم كله والحجر من ركن البيت ومقام
ابراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الانهار الخمسة فيرفع كل ذلك الى السماء فذلك قوله
تعالى وانا على ذهاب به لقادرون فاذا رفعت هذه الاشياء من الارض فقدت أهلها خير الدنيا
والدين وقال ابن لهيعة عن عقبة بن عامر الحضرمي عن حيان بن الاعين عن عبد الله بن
عمرو قال ان أول مصر خرابا انطاباس وقال الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن
سالم بن أبي سالم عن عبد الله بن عمرو قال اني لا علم السنة التي تخرجون فيها من مصر قال
فقلت له ما يخرجنا منها يا أبا محمد أعدو قال لا ولكن يخرجكم منها نيلكم هذا يغور فلا تبقى
منه قطرة حتى تكون فيه الكشيان من الرمل وتأكل سباع الارض حيتانه

(ذكر خراب القبطاط) *

وكان لخراب مدينة قسطاط مصر سريان أحدهما الشدة العظمى التي كانت في خلافة المستنصر
بالله الفاطمي والثاني حربى مصر في وزارة شاور بن مجير السعدي * (فاما الشدة العظمى) *
فان سببها أن السعيرار تفع بمصر في سنة ست وأربعين وأربعمائة وتبع الغلاء وناه فبعث
الحليفة المستنصر بالله أبو تميم معد بن الظاهر لأعزاز دين الله أبي الحسن على الى متملك الروم
بقسطنطينية أن يحمل الغلال الى مصر فأطلق أربعمائة ألف أردب وعزم على حملها الى
مصر فأدركه أجله ومات قبل ذلك مقام في الملك بعده امرأة وكتبت الى المستنصر تسأله أن
يكون عون لها ويمدها بعساكر مصر اذا نار عليها أحد فأبى أن يسمعها في طلبها فخرت
لذلك وعاقبت الغلال عن المسير الى مصر فخلق المستنصر وجهاز العساكر وعليها مكن الدولة
الحسن بن ملهم وسارت الى اللاذقية فخاربتها بسبب تقص الهدنة وامساك الغلال عن الوصول
الى مصر وامدها بالعساكر الكثيرة ونودى في بلاد الشام بالغزو فنزل ابن ملهم قريبا من
قامية وضايق أهلها وجل في أعمال انطاكية فسبى ونهب فأخرج صاحب قسطنطينية ثمانين
قطعة في البحر فخاربتها ابن ملهم عدة مزار وكانت عليه وأسر هو وجماعة كثيرة في شهر
ربيع الاول منها فبعث المستنصر في سنة سبع وأربعين أبا عبد الله القضاعى برسالة الى
القسطنطينية فوافى اليها رسول طغرل الساجوقى من العراق بكتابة يأمر متملك الروم بأن
يمكن الرسول من الصلابة في جامع القسطنطينية فأذن له في ذلك فدخل اليه وصلى فيه
صلاة الجمعة وخطب للخليفة القائم بأمر الله العباسي فبعث القاضى القضاعى الى المستنصر
يخبره بذلك فأرسل الى كنيسة قامة بيت المقدس وقبض على جميع ما فيها وكان شيا كثيرا
من أموال النصارى ففسد من حينئذ ما بين الروم والمصريين حتى استولوا على بلاد الساحل
كلها وحاصروا القاهرة كما يرد في موضعه ان شاء الله تعالى واشتد في هذه السنة الغلاء وكثر
الوباء بمصر والقاهرة وأعمالها الى سنة أربع وخمسين وأربعمائة فحدث مع ذلك الفتنة العظيمة

التي خرب بسببها اقليم مصر كله وذلك أن المستنصر لما خرج على عادته في كل سنة على النجيب مع النساء والحشم الى أرض الجب خارج القاهرة جرد بعض الاتراك سيفاً وهو سكران على أحد عبيد الشراء فاجتمع عليه كثير من العبيد وقتلوه فخنق لقتله الاتراك وساروا بجميعهم الى المستنصر وقالوا ان كان هذا عن رضاك فالسمع والطاعة وان كان من غير رضى أمير المؤمنين فلا نرضى بذلك فتبرأ المستنصر مما جرى وأنكره فتمعن الاتراك لمحاربة العبيد وكانت بينهما حروب شديدة بناحية كوم شريك قتل فيها عدة من العبيد وانهمز من بقى منهم فشق ذلك على أم المستنصر فانها كانت السبب في كثرة العبيد السود بمصر وذلك انها كانت جارية سوداء فأحبت الاستكثار من جنسها واشترتهم من كل مكان وعرفت رغبتها في هذا الجنس فجلبت الناس الى مصر منهم حتى يقال انه صار في مصر اذ ذلك زيادة على خمسين ألف عبد أسود فلما كانت وقعة كوم شريك أمدت العبيد بالاموال والسلاح سرا وكانت أم المستنصر قد تحكمت في الدولة وحقدت على الاتراك وحثت على قتلهم مولاهما أبا سعد التستري فقويت العبيد لذلك حتى صار الواحد منهم يحكم بما يختار فكهرت الاتراك ذلك وكان ماذكر فظفر بعض الاتراك يوماً بشيء من المال والسلاح قد بعثت به أم المستنصر الى العبيد تدهم به بعد انهمز منهم من كوم شريك فاجتمعوا بأسرهم ودخلوا على المستنصر واغلظوا في القول فحلف انه لم يكن عنده علم بما ذكر وصار الى أمه فانكرت ما فعلت وخرج الاتراك فصار السيف قائماً ووقعت الفتنة ثانياً فان تدب المستنصر أبا الفرج بن المغربي ليصالح بين الطائفتين فاصطاعها على غل وخرج العبيد الى شبرا دمنهور فكان هذا أول اختلال أحوال أهل مصر ودبت عقارب العداوة بين الفتيتين الى سنة تسع وخمسين فقويت شوكة الاتراك وضروا على المستنصر وزاد طمعهم فيه وطلبوا منه الزيادة في واجباتهم وضائق أحوال العبيد واشتدت ضرورتهم وكثرت حاجتهم وقل مال السلطان واستضعف جانبه فبعثت أم المستنصر الى قواد العبيد تغريهم بالاتراك فاجتمعوا بالجيزة وخرج اليهم الاتراك ومقدمهم ناصر الدين حسين بن حمدان فاقتلوا عدة مرار ظهر في آخرها الاتراك على العبيد وهزموهم الى بلاد الصعيد فعاد ابن حمدان الى القاهرة وقد عظم أمره وقوى جاشه وكبرت نفسه واستخف بالخليفة فجاءه الخبر أنه قد تجمع من العبيد ببلاد الصعيد نحو خمسة عشر ألف فارس فقلق وبعث بمقدمي الاتراك الى المستنصر فأذكر ما كان من اجتماع العبيد وجفوا في خطابهم وفارقوه على غير رضى منهم فبعثت أم المستنصر الى من يحضرتها من العبيد تأمرهم بالايقاع على غفلة بالاتراك فهجموا عليهم وقتلوا منهم عدة فبادر ابن حمدان الى الخروج ظاهر القاهرة وتلاحق به الاتراك وبرز اليهم العبيد المقيمون بالقاهرة ومصر وحاربوهم عدة أيام فحلف ابن حمدان أنه لا يترل عن فرسه حتى ينفصل الامر اماله أو عليه وجد كل من الفريقين في القتال فظهرت

الأتراك على العبيد وأنحنوا في قتلهم وأسروهم فعادوا الى القاهرة وتبع ابن حمدان من في البلد منهم حتى أفنى معظمهم هذا والعبيد ببلاد الصعيد على حالهم وبالإسكندرية أيضا منهم جمع كثير فسار ابن حمدان الى الإسكندرية وحاصروهم في أمد حتى سألوه الأمان فأخرجهم وأقام فيها من يثق به وانقضت هذه السنة كلها في قتال العبيد ودخلت سنة ستين وأربعمائة وقد خرق الأتراك نابوس المستنصر واستهانوا به واستخفوا بقدره وصار مقرروهم في كل شهر أربعمائة ألف دينار بعد ما كان ثمانية وعشرين ألف دينار ولم يبق في الخزان مال فبعثوا يطالبونه بالمال فاعتذر اليهم بمحزهم عما طلبوه فلم يعذروه وقالوا بع ذخراك فلم يجد بدا من اجابتهم وأخرج ما كان في القصر من الذخائر فصاروا يقومون ما يخرج اليهم بأخس القيم وأقل الأمان يأخذون ذلك في واجباتهم ويجهز ابن حمدان وسار الى الصعيد يريد قتال العبيد وكانت ضرورهم قد كثرت وضرروهم وفسادهم قد تزايد فلقبهم وواقمهم غير مرة والأتراك تنكسر منهم وتعود الى محاربتهم الى أن حمل العبيد عليهم حملة انهزموا فيها الى الجيزة فأخشوا عند ذلك في أمر المستنصر ونسوه الى مباطنة العبيد وتقويتهم. فأنكر ذلك وحلف عليه فأخذوا في اصلاح شأنهم ولم شعهم وساروا لقتال العبيد وما زالوا ياجون في قتالهم حتى انكسرت العبيد كسرة شنيعة وقتل منهم خلق كثير وفر من بقي فذهبت شوكتهم وزالت دولتهم ورجع ابن حمدان وقد كشف قناع الحياء وجهه بالسوء للمستنصر واستبد بسلطنة البلاد ودخلت سنة احدى وستين وابن حمدان مستبد بالامر بحاف للمستنصر فنقل مكانه على الأتراك وتفرغوا من العبيد والتفتوا اليه وقد استبد بالامور دونهم واستأثر بالاموال عليهم ففسد ما بينهم وبينه وشكوا منه الى الوزير خطير الملك فأغراهم به ولاهم على ما كان من تقويته وحسن لهم الثورة به فصاروا الى المستنصر ووافقوه على ذلك فبعث الى ابن حمدان يأمره بالخروج عن مصر ويهدده ان امتنع فلم يقدر على الامتناع منه لفساد الأتراك عليه وميائهم مع المستنصر فخرج الى الجيزة وانتهب الناس دوره ودور حواشيه فلما جن عليه الليل عاد من الجيزة سرا الى دار القائد تاج الملوك شادي وتراعى عليه وقبل رحلته وسأله النصرة على الذكر والوزير الخطير فانهما قاما بهذه الفتنة فأجاباه الى ذلك ووعده بقتل المذكورين وفارقه ابن حمدان فلما كان من الغد ركب شادي في أصحابه وأخذ يسير بين القصرين بالقاهرة وأقبل الوزير الخطير في موكبه فبادره شادي على حين غفلة وقتله ففر الذكر الى القصر والتجأ بالمستنصر فلم يكن بأسرع من قدوم ابن حمدان وقد استعدلا حרב فيمن معه فركب المستنصر بلامة الحرب واجتمع اليه الاجناد والعامة وصار في عدد لا يتحصر وبرزت الفرسان فكانت بين الخليفة وابن حمدان حروب آلت الى هزيمة ابن حمدان وقتل كثير من أصحابه فمضى في طائفة الى البحيرة وتراعى على بني سيس وتزوج منهم فعمم الامر

بالقاهرة ومصر من شدة الغلاء وقلة الاقوات لما فسد من الاعمال بكثرة النهب وقطع الطريق
 حتى أكل الناس الجيف والميتات ووقف أرباب الفساد في الطريق فصاروا يقتلون من ظفروا
 به في أزقة مصر فهلك من أهل مصر في هذه الحروب والفتن ما لا يمكن حصره وامتد ذلك
 الى أن دخلت سنة ثلاث وستين فجهز المستنصر عساكره لقتال ابن حمدان بالبحيرة فسارت اليه ولم
 يوفق في محاربتها فكسرها كلها واحتوى على ما كان معها من سلاح وكراع ومال فتقوى به وقطع
 الميرة عن البلد ونهب أكثر الوجه البحري وقطع منه الخطبة للمستنصر ودعا للخليفة القائم بأمر الله
 العباسي بالاسكندرية ودمياط وعامة الوجه البحري فاشتد الجوع وتزايد الموتان بالقاهرة ومصر
 حتى أنه كان يموت الواحد من أهل البيت فلا يمضي يوم وليسلة من موته حتى يموت سائر
 من في ذلك البيت ولا يوجد من يستولى عليه ومدت الاجناد أيديها الى النهب فخرج الامر
 عن الحد ونجا أهل القوة بأنفسهم من مصر وساروا الى الشام والعراق وخرج من خزائن
 القصر ما يجمل وصفه وقد ذكر طرف من ذلك في أخبار القاهرة عند ذكر خزائن القصر
 فاضطر الاجناد ما هم فيه من شدة الجوع الى مصالحة ابن حمدان بشرط أن يقيم في مكانه
 ويحمل اليه مال مقرر وينوب عنه شادى بالقاهرة فرضى بذلك وسير الغلال الى القاهرة
 ومصر فسكن ما بالناس من شدة الجوع قليلا ولم يكن ذلك الا نحو شهر ووقع الاختلاف
 عليه فقدم من البحيرة الى مصر وحاصرها واستبها وأحرق دورا عديدة بالساحل ورجع
 الى البحيرة فدخلت سنة أربع وستين والحال على ذلك وشادى قد استبد بأمر الدولة
 وفسد ما بينه وبين ابن حمدان ومنعه من المال الذي تقرر له وشج به عليه فلم يوصله الا
 القليل فخرده من ذلك ابن حمدان وجمع العربان وسار الى الجزيرة وخادع شادى حتى صار
 اليه ابلا في عدة من الاكار فقبض عايه وعليهم وبث أصحابه فهبوا مصر وأطلقوا فيها النار
 فخرج اليهم عسكر المستنصر من القاهرة وهزموهم فعاد الى البحيرة وبعث رسولا الى الخليفة
 القائم بأمر الله ببغداد باقامة الخطبة له وسأله الخلع والتشريف فاضمحل أمر المستنصر
 وتلاشى ذكره وتفاقم الامر في الشدة من الغلاء حتى هلكوا فسار ابن حمدان الى البلد
 وليس في أحد قوة يمنه بها فلما بالقاهرة وامتنع المستنصر بالقصر نسيير اليه رسولا يطلب
 منه المال فوجده وقد ذهب سائر ما كان يعمده من ابهة الخلافة حتى جلس على حصير ولم
 يبق معه سوى ثلاثة من الخدم فبلغه رسالة ابن حمدان فقال المستنصر للرسول ما يكفي ناصر
 الدولة أن اجلس في مثل هذا البيت على هذا الحال فبكى الرسول رقة له وعاد الى ابن حمدان
 فأخبره بما شاهد من انصاع أمر المستنصر وسوء حاله فكشف عنه وأطلق له في كل شهر
 مائة دينار وامتدت يده وتحكم وبالع في اهانة المستنصر مبالغة عظيمة وقبض على أمه وعاقبها
 أشد العقوبة واستصفى أموالها فحاز منها شيئا كثيرا ففرق حينئذ عن المستنصر جميع أقاربه

وأولاده من الجوع فهم من سار الى المغرب ومنهم من سار الى الشام والعراق * قال الشريف محمد بن أسعد الجواني النسابة في كتاب النقط حل بمصر غلاء شديد في خلافة المستنصر بالله في سنة سبع وخسين وأربعمائة وأقام الى سنة أربع وستين وأربعمائة وعم مع الغلاء وباء شديد فأقام ذلك سبع سنين والنيل يمد وينزل فلا يجد من يزرع وشمل الخوف من العسكرية وفساد العبيد فانقطعت الطرقات برا وبحرا الا بالحفارة الكثيرة مع ركوب الغرر ونزا المارقون بعضهم على بعض واستولى الجوع لعدم القوات وصار الحال الى أن بيع رغيف من الخبز الذي وزنه رطل بزقاق القناديل كييع الطرف في النداء بأربعة عشر درهما وبيع أردب من القمح ثمانين ديناراً ثم عدم ذلك وأكلت السكالب والقطاط ثم ترايد الحال حتى أكل الناس بعضهم بعضا وكان بمصر طوائف من أهل الفساد قد سكنوا بيوتا قصيرة السقوف قريبة من يسى في الطرقات ويطوف وقد أعدوا سلبا وخطاطيف فاذا مر بهم أحد شالوه في أقرب وقت ثم ضربوه بالاخشاب وشرحوا لحمه وأكلوه * قال وحدثنى بعض نساكنا الصالحات قالت كانت لنا من الجارات امرأة ترينا أخذاها وفيها كالحفر فكنا نسألها فتقول أنا ممن خطفتي أكلة الناس في الشدة فأخذني انسان وكنت ذات جسم وسمن فأدخلني الى بيت فيه سكاكين وآثار الدماء وزفرة القتلى فأضجعني على وجهي وربط في يدي ورجلي سلبا الى أوتاد حديد عريانة ثم شرح من أخذاي شرأخ وأنا أستغيث ولا أحد ينجيني ثم أضرم الفمهم وشوى من لحمي وأكل أكلا كثيرا ثم سكر حتى وقع على جنبه لا يعرف أين هو فأخذت في الحركة الى أن انحل أحد الاوتاد وأعان الله على الخلاص وتخلصت وحملت الرباط وأخذت خرقا من داره ونفقت بها أخذاي وزحفت الى باب الدار وخرجت أزحف الى أن وقعت الى المأمن وجئت الى بيتي وعرقهم بموضعه فمضوا الى الوالي فكبس عليه وضرب عنقه وأقام الدواء في أنخاذي سنة الى أن ختم الجرح وقي كذا حفرا وبسبب هذا الغلاء خرب القسطاط وخلا موضع العسكر والقطائع وظاهر مصر مما يلي القرافة حيث السكيان الآن الى بركة الحبش فلما قدم أمير الجيوش بدر الجمالي الى مصر وقام بتدبير أمرها نقلت أنقاض ظاهر مصر مما يلي القاهرة حيث كان العسكر والقطائع وصار فضاء وكيمان فيما بين مصر والقاهرة وفيما بين مصر والقرافة وتراجعت أحوال القسطاط بعد ذلك حتى قارب ما كان عليه قبل الشدة * (وأما حريق مصر) * فكان سببه أن الفرنج لما تغلبوا على ممالك الشام واستولوا على السواحل حتى صار بأيديهم ما بين ملطية الى بلبس الا مدينة دمشق فقط وصار أمر الوزارة بديار مصر لشاور بن مجير السعدي والخليفة يومئذ العاضد لدين الله عبد الله بن يوسف اسم لا معنى له وقام في منصب الوزارة بالقوة في صفر سنة ثمان وخسين وخمسائة وتلقب بأمر الجيوش وأخذ أموال بني رزبك

وزراء مصر وملوكها من قبله فلما استبد بالامرة حسده ضرغام صاحب الباب وجمع جموعا كثيرة وغلب شاور على الوزارة في شهر رمضان منها فصار شاور الى الشام واستقل ضرغام بسلطنة مصر فكان بمصر في هذه السنة ثلاثة وزراء هم العادل بن رزيك بن طلائع بن رزيك وشاور بن مجير وضرغام فأساء ضرغام السيرة في قتل أمراء الدولة وضعت من أجل ذلك دولة الفاطميين بذهاب رجالها الاكابر ثم ان شاور استنجد بالسلطان نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام فأنجده وبعث معه عسكريا كثيرا في جمادى الاولى سنة تسع وخمسين وقدم عليه أسد الدين شيركوه على أن يكون لنور الدين اذا عاد شاور الى منصب الوزارة ثلث خراج مصر بعد اقطاعات العساكر وأن يكون شيركوه عنده بمسكوكه في مصر ولا يتصرف الا بأمر نور الدين فخرج ضرغام بالمسكر وحاربه في بلبس فانهزم وعاد الى مصر فنزل شاور بمن معه عند التاج خارج القاهرة وانتشر عسكريه في البلاد وبعث ضرغام الى أهل البلاد فأتوه خوفا من الترك القادمين معه وأتته الطائفة الرجانية والطائفة الجبوشية فامتنعوا بالقاهرة وتطاردوا مع طلائع شاور بأرض البطالة فنزل شاور في المقس وحارب أهل القاهرة فغلبوه حتى ارتفع الى بركة الحبش فنزل على الرصد واستولى على مدينة مصر وأقام أياما فقال الناس اليه وانحرفوا عن ضرغام لامور فنزل شاور باللوق وكانت بينه وبين ضرغام حروب آلت الى احراق الدور من باب سعادة الى باب القنطرة خارج القاهرة وقتل كثير من الفريقين واختل أمر ضرغام وانهزم فملك شاور القاهرة وقتل ضرغام آخر جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين فأخلف شيركوه ما وعده السلطان نور الدين وأمره بالخروج عن مصر فأبى عليه واقتتلا وكان شيركوه قد بعث بابن أخيه صلاح الدين يوسف ابن أيوب الى بلبس ليجمع له الغلال وغيرها من الاموال فحشد شاور وقايل الشاميين فحرت وقائع واحترق وجه الخليج خارج القاهرة بأسره وقطعة من حارة زويلة فبعث شاور الى الفرنج واستنجد بهم فطمعوا في البلاد وخرج ملكهم مري من عسقلان بجموعه فبلغ ذلك شيركوه فرحل عن القاهرة بعد طول محاصرتها ونزل بلبس فاجتمع على قتاله بها شاور وملك الفرنج وحصروه بها وكانت اذ ذاك حصينة ذات أسوار فأقام محصورا مدة ثلاثة أشهر وبلغ ذلك نور الدين فأغار على ما قرب منه من بلاد الفرنج وأخذها من أيديهم فخافوه ووقع الصلح مع شيركوه على عودته الى الشام فخرج في ذى الحجة ولحق بنور الدين فأقام وفي نفسه من مصر أمر عظيم الى أن دخلت سنة اثنين وستين فجهزه نور الدين الى مصر في جيش قوى في ربيع الاول وسيره فبلغ ذلك شاور فبعث الى مري ملك الفرنج مستنجدا به فصار بجموع الفرنج حتى نزل بلبس فوافاه شاور وأقام حتى قدم شيركوه الى اطراف مصر فلم يطق لقاء القوم فصار حتى خرج من أطفيح الى جهة بلاد الصعيد من ناحية بحر

القلزم فبلغ شاور أن شيركوه قد ملك بلاد الصعيد فسقط في يده ونهض للفور من بلبس
ومعه الفرنج فكان من حروبه مع شيركوه ما كان حتى انهزم بالاشمونين وسار منها بعد
الهيمنة الى الاسكندرية فلما أقرها ابن أخيه صلاح الدين وخرج الى الصعيد فخرج شاور
بالفرنج وحصر الاسكندرية أشد حصار فسار شيركوه من قوص ونزل على القاهرة وحاصرها
فرحل اليه شاور وكانت أمور آلت الى الصالح وسار شيركوه بمن معه الى الشام في شوال
فقطع مري في البلاد وجعل له شحنة بالقاهرة وصارت أسوارها بيد فرسان الفرنج وتقرر
لهم في كل سنة مائة ألف دينار ثم رحل الى بلاده وترك بالقاهرة من يثق به من الفرنج
وسار شيركوه الى الشام فتحكم الفرنج في القاهرة حكما جائرا وركبوا المسلمين بالاذى العظيم
وتيقنوا عجز الدولة عن مقاومتهم وانكشفت لهم عورات الناس الى أن دخلت سنة أربع
وستين فجمع مري جمعا عظيما من أجناس الفرنج وأقطعهم بلاد مصر وسار يريد أخذ مصر
فبعث اليه شاور يسأله عن سبب مسيره فاعتل بأن الفرنج غلبوه على قصد ديار مصر وأنه يريد
ألفي ألف دينار يرضيهم بها وسار فنزل على بلبس وحاصرها حتى أخذها عنوة في صفر فسي
أهلها وقصد القاهرة فيسير العاضد كتيبه الى نور الدين وفيها شهور نساؤه وبناته يسأله انقاذ
المسلمين من الفرنج وسار مري من بلبس فنزل على بركة الحبش وقد انضم الناس من
الاعمال الى القاهرة فسادى شاور بمصر أن لا يقيم بها أحد وأزعج الناس في النقلة منها فتركوا
أموالهم وأثقالهم ونجوا بأنفسهم وأولادهم وقد ماج الناس واضطربوا كأنما خرجوا من
قبورهم الى الحشر لا يميا ولد بولده ولا يلتفت أخ الى أخيه وبلغ كراء الدابة من مصر الى
القاهرة بضعة عشر دينارا وكراء الحبل الى ثلاثين دينارا ونزلوا بالقاهرة في المساجد والحمامات
والازقة وعلى الطرقات فصاروا مطروحين بعيالهم وأولادهم وقد سلبوا سائر أموالهم
وينتظرون هجوم العدو على القاهرة بالسيف كما فعل بمدينة بلبس وبعث شاور الى مصر
بمشرين ألف قارورة نפט وعشرة آلاف مشعل نار فرق ذلك فيها فارتفع لهب النار ودخان
الحريق الى السماء فصار منظرا مهولا فاستمرت النار تأتي على مساكن مصر من اليوم التاسع
والعشرين من صفر لتمام أربعة وخمسين يوما والنهاية من العيد ورجال الاسطول وغيرهم
بهذه المنازل في طلب الخبايا فلما وقع الحريق بمصر رحل مري من بركة الحبش ونزل
بظاهر القاهرة مما يلي باب البرقية وقاتل أهلها قتالا كثيرا حتى زلزلوا زلزالا شديدا
وضعت نفوسهم وكادوا يؤخذون عنوة فعاد شاور الى مقاتلة الفرنج وجرت أمور آلت الى
الصالح على مال فينتاهم في حبياته اذ بلغ الفرنج محيي أسد الدين شيركوه بعساكر الشام من
عند السلطان نور الدين محمود فرحلوا في سابع ربيع الآخر الى بلبس وساروا منها الى
فاقوس فصاروا الى بلادهم بالساحل ونزل شيركوه بالمقس خارج القاهرة وكان من قتل

شاوور واستيلاء شيركوه على مصر ما كان فمن حينئذ خربت مصر الفسطاط هذا الحراب الذى هو الآن كيان مصر وتلاشى أمرها واقتقر أهلها وذهبت أموالهم وزالت نعمهم فلما استبد شيركوه بوزارة العاضد أمر باحضار أعيان أهل مصر الذين خلوا عن ديارهم في الفتنة وصاروا بالقاهرة وتغعم لمصابهم وسفه رأى شاوور في احراق المدينة وأمرهم بالعود اليها فشكوا اليه ما بهم من الفقر والفاقة وخراب المنازل وقالوا الى أى مكان ترجع وفي أى مكان نزل ونأوى وقد صارت كما ترى وبكوا وأبكوا فوعدهم خيلا وترفق بهم وأمر فتودى في الناس بالرجوع الى مصر فترجع اليها الناس قليلا قليلا وعمرها ما حول الجامع الى أن كانت الحنة من الغلاء والوباء العظيم في ساطنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب استنى خمس وست وخمسمائة نفرب من مصر جانب كبير ثم تحايا الناس بها وأكثروا من العمارة بجانب مصر الغربي على شاطئ النيل لما عمر الملك الصالح نجم الدين أيوب قلعة الروضة وصار بمصر عدة آدر جائلة وأسواق ضخمة فلما كان غلاء مصر والوباء الكائن في ساطنة الملك العادل كتبغا سنة ست وتسعين وستمائة خرب كثير من مساكن مصر وتراجع الناس بعد ذلك في العمارة الى سنة تسع وأربعين وسبعمائة فحدث الفناء الكبير الذى أقفر منه معظم دور مصر وخربت ثم تحايا الناس من بعد الوباء وصار ما يحيط بالجامع العتيق وما على شط النيل عامرا الى سنة ست وسبعين وسبعمائة فشرقت بلاد مصر وحدث الوباء بعد الغلاء نفرب كثير من عامر مصر ولم يزل يخرب شيئا بعد شئ الى سنة تسعين وسبعمائة فمظم الحراب في خط زقاق القناديل وخط النحاسين وشرع الناس في هدم دور مصر وسبع أنقاضها حتى صارت على ما هي عليه الآن وتلك القرى أهلكناها لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا

*(ذكر ما قيل في مدينة فسطاط مصر) *

قال ابن رضوان والمدينة الكبرى اليوم بأرض مصر ذات أربعة أجزاء الفسطاط والقاهرة والجزيرة والحيزة وبعد هذه المدينة عن خط الاستواء ثلاثون درجة والجبل المقطم في شرقها وبينها وبين مقابر المدينة وقد قالت الاطباء ان أردأ المواضع ما كان الجبل في شرقيه يعوق ريح الصبا عنه وأعظم أجزائها هو الفسطاط ويلى الفسطاط من الغرب النيل وعلى شط النيل الغربي أشجار طوال وقصار وأعظم أجزاء الفسطاط موضع في غور فانه يعلوه من المشرق المقطم ومن الجنوب الشرف ومن الشمال الموضع العالي من عمل فوق أعنى الموقف والعسكر وجامع ابن طولون ومتى نظرت الى الفسطاط من المشرق أو من مكان آخر عال رأيت وضعها في غور وقد بين ابقراط أن المواضع المتسفة أسخن من المواضع المرتفعة وأردأهواء لاحتقان البخار فيها ولان ما حولها من المواضع العالية يعوق تحليل الرياح لها وأزقة الفسطاط وشوارعها ضيقة وأبديتها عالية وقد قال روفس اذا دخلت مدينة فرأيتها ضيقة الازقة

مرتفعة البناء فاهرب منها لانها وبئس أَرَادَ أَنْ البخار لا يخل منها كما ينبغي لضيق الازقة وارتفاع البناء * ومن شأن أهل الفسطاط أن يرموا ما يموت في دورهم من السنائر والكلاب ونحوها من الحيوان الذي يخالط الناس في شوارعهم وأزقعتهم فتعفن وتخالط عفونتها الهواء ومن شأنهم أيضا أن يرموا في النيل الذي يشربون منه فضول حيواناتهم وحيفها وخرارات كنهم تصب فيه وربما انقطع جرى الماء فيشربون هذه العفونة باختلاطها بالماء وفي خلال الفسطاط مستودعات عظيمة يصعد منها في الهواء دخان مفرط وهي أيضا كثيرة الغبار لسخانة أرضها حتى أنك ترى الهواء في أيام الصيف كدرا يأخذ بالنفس ويتسخ الثوب النظيف في اليوم الواحد وإذا مر الإنسان في حاجة لم يرجع الا وقد اجتمع في وجهه وحلته غبار كثير ويعملوها في المشيات خاصة في أيام الصيف بخار كدر أسود وأغبر سيما إذا كان الهواء سليما من الرياح وإذا كانت هذه الاشياء كما وصفنا فمن البين انه يصير الروح الحيواني الذي فيها حاله كهذه الحال فيتولد اذا في البدن من هذه الاعراض فضول كثيرة واستعدادات نحو العفن الا أن ألف أهل الفسطاط لهذه الحال وأنهم بها يعوق عنهم أكثر شرها وإن كانوا على كل حال أسرع أهل مصر وقوعا في الامراض وما يلي النيل من الفسطاط يجب أن يكون أرطب مما يلي الصحراء وأهل اشرق أصالح حالا لتخرق الرياح لدورهم وكذلك عمل فوق والحرء الا أن أهل الشرف الذي يشربونه أجود لانه يستقي قبل أن تخالطه عفونة الفسطاط فأما القرافة فأجود هذه المواضع لان المقطم يعوق بخار الفسطاط من المرور بها وإذا هبت ريح الشمال مرت بأجزاء كثيرة من بخار الفسطاط والقاهرة على الشرف فغيرت حاله وظاهر أن المواضع المكشوفة في هذه المدينة هي أصح هواء وكذلك حال المواضع المرتفعة وأردأ موضع في المدينة الكبرى هو ما كان من الفسطاط حول الجامع العتيق الى ما يلي النيل والسواحل وإذا كان في الشتاء وأول الربيع حمل من بحر المالح سمك كثير فيصل الى هذه المدينة وقد عفن وصارت له رائحة منكرة جدا فيباع في القاهرة ويأكله أهلها وأهل الفسطاط فيجتمع في أبدانهم منه فضول كثيرة عفنة فلولا اعتدال أمزجتهم وصحة أبدانهم في هذا الزمان لكان ذلك يولد في أبدانهم امراضا كثيرة قاتلة الا أن قوة الاستمرار تعوق عن ذلك وربما انقطع النيل في آخر الربيع وأول الصيف من جهة الفسطاط فيعفن بكثرة ما يلقي فيه الى أن يباغ عفنه الى أن تصير له رائحة منكرة محسوسة وظاهر أن هذا الماء اذا صار على هذه الحال غير مزاج الناس تغيرا محسوسا قال من البين أن أهل هذه المدينة الكبرى بأرض مصر أسرع وقوعا في الامراض من جميع أهل هذه الارض ما خلا أهل القيوم فانها أيضا قريبة وأردأ مافي المدينة الموضع القائر من الفسطاط ولذلك غلب على أهلها الجبن وقلة الكرم وأنه ليس أحد منهم يغيث ولا يضيف الغريب الا في النادر وصاروا من السعاية والاغتياب

على أمر عظيم ولقد بلغ بهم الجبن الى أن خمسة أعوان تسوق منهم مائة رجل وأكثرو يسوق
 الاعوان المذكورين رجل واحد من أهل البلدان الآخر ومن قد تدرب في الحرب فقد
 استبان اذا العلة والسبب في أن صار أهل المدينة الكبرى بأرض مصر أسرع وقوعا في
 الامراض من جميع أهل هذه الارض وأضعف انفسا ولعل لهذا السبب اختار القدماء
 اتخاذ المدينة في غير هذا الموضع فمنهم من جعلها بمنف وهي مصر القديمة ومنهم من جعلها
 بالاسكندرية ومنهم من جعلها بغير هذه المواضع ويدل على ذلك آثارهم * وقال ابن سعيد
 عن كتاب الحكم * وأما فسطاط مصر فان مبانيها كانت في القديم متصلة بمباني مدينة عين
 شمس وجاء الاسلام وبها بناء يعرف بالقصر حوله مساكن وعليه نزل عمرو بن العاص
 وضرب فسطاطه حيث المسجد الجامع المنسوب اليه ثم لما فتمتحتها قسم المنازل على القبائل
 ونسبت المدينة اليه فقل فسطاط عمرو وتداولت عليها بعد ذلك ولاية مصر فاتخذوها سريرا
 للسلطنة وتضاعفت عمارتها فأقبل الناس من كل جانب اليها وقصروا أمانهم عليها الى أن
 رسيخت بها دولة بني طولون فبنوا الى جانبها المنازل المعروفة بالقطائع وبها كان مسجد ابن
 طولون الذي هو الآن الى جانب القاهرة وهي مدينة مستطيلة يمر النيل مع طولها ويحيط في
 ساحلها المراكب الآتية من شمال النيل وجنوبه بأنواع الفوائد ولها منزهات وهي في الاقاليم
 الثالث ولا ينزل فيها مطر الا في النادر وترابها تشبه الارجل وهو قبيح اللون تتكرر منه
 ارجاؤها ويسوء بسببه هواؤها ولها أسواق ضخمة الا أنها ضيقة ومبانيها بالقصب والطوب
 طبقة على طبقة ومذنبت القاهرة ضعفت مدينة الفسطاط وفرط في الاغتياب بها بعد الافراط
 وبينهما نحو ميلين وأنشد فيها الشريف العقيلي

أحن الى الفسطاط شوقا وانني * لادعو لها أن لا يحل بها القطر

وهل في الحيا من حاجة لجنايها * وفي كل قطر من جوانبها نهر

تبدت عروسا والمقطم تاجها * ومن نياها عقد كما انتظم الدر

وقال عن كتاب آخر فالفسطاط هي قصبة مصر والجبل المقطم شرقها وهو متصل بجبل
 الزمرذ * وقال عن كتاب ابن حوقل والفسطاط مدينة حسنة ينقسم النيل لديها وهي كبيرة
 نحو ثلث بغداد ومقدارها نحو فرسخ على غاية العمارة والطيبة واللذة ذات رحاب في محالها
 وأسواق عظام فيها ضيق ومتاجر رخام ولها ظاهر أنيق وبساتين نضرة ومنزهات على مر
 الايام خضرة وفي الفسطاط قبائل وخطط للعرب تنسب اليها كالبحرة والكوفة الا انها أقل
 من ذلك وهي سبخة الارض غير نقية التربة وتكون بها الدار سبع طبقات وستا وخسا وربما
 يسكن في الدار المائتان من الناس ومعظم بنيانهم بالطوب وأسفل دورهم غير مسكون وبها
 مسجد ان للجمعة بنى أحدها عمرو بن العاص في وسط الفسطاط والاخر على الموقف بنائه

أحمد بن طولون وكان خارج الفسطاط أبنية بناها أحمد بن طولون ميلا في ميل يسكنها جنده تعرف بالقطائع كما بنى بنو الاغلب خارج القبروان وقادة وقد خربت في وقتنا هذا وأخلف الله بدل القطائع بظاهر مدينة الفسطاط القاهرة * قال ابن سعيد ولما استقررت بالقاهرة تشوقت الى معاينة الفسطاط فسار معي أحد أصحاب العزمة فرأيت عند باب زويلة من الحير المعدة لركوب من يسير الى الفسطاط جملة عظيمة لاعهد لي بمثلها في بلد فركب منها حمارا وأشار الى أن اركب حمارا آخر فأنفت من ذلك جريا على عادة ما خلفته في بلاد المغرب فأعلمني انه غير معيب على أعيان مصر وعائنت الفقهاء وأصحاب البرزة والسادة الظاهرة يركبونها فركبت وعند ما استويت راكباً أشار المكاري على الحمار فطاردني وأثار من الغبار الاسود ما أعمى عيني ودنس ثيابي وعائنت ما كرهته ولقاة معرفتي يركوب الحمار وشدة عدوه على قانون لم أعده وقله رفق المكاري وقفت في تلك الظلمة الماثرة من ذلك العجاج فقلت

لقيت بمصر أشد البوار * ركوب الحمار وكحل الغبار

وخفي مكاري فوق الرياح * لا يعرف الرفق بهمي استطار

أنادي بهلا فلا يرعوى * الى أن سجدت سجود العثار

وقد مد فوق رواق الثرى * وألحد فيه ضياء النهار

فدفعت الى المكاري أجرته وقلت له احسانك الى أن تتركني أمشي على رجلي ومشيت الى أن بلغت وقدرت الطريق بين القاهرة والفسطاط وحققت بعد ذلك نحو الميدين ولما اقبلت على الفسطاط أدبرت عني المسرة وتأملت أسوارا مثلة سوداء وآفاقا مغبرة ودخلت من بابها وهو دون غلق مفض الى خراب معمور بمبان سيئة الوضع غير مستقيمة الشوارع قد بنيت من الطوب الادكن والقصب والتخيل طبقة فوق طبقة وحول أبوابها من التراب الاسود والازبال ما يقبض نفس النظيف ويقض طرف الطريف فسرت وأنا معاين لاستصحاب تلك الحل الى أن سرت في أسواقها الضيقة فقاسيت من ازدحام الناس فيها بجوائج السوق والروايا التي على الجبال مالا يفي به الا مشاهدته ومقاساته الى أن انتهيت الى المسجد الحامع فعائنت من ضيق الاسواق التي حوله ما ذكرت به ضده في جامع اشبيلية وجامع مراکش ثم دخلت اليه فعائنت جامعا كبيرا قديم البناء غير مزخرف ولا محتفل في حصره التي تدور مع بعض حيطانه وتبسط فيه وأبصرت العامة رجلا ونساء قد جعلوه ممبرا بأوطئة أقدامهم يجوزون فيه من باب الى باب ليقرّب عليهم الطريق والبياعون يبيعون فيه أصناف المكسرات والكحك وما جرى مجرى ذلك والناس يأكلون منه في أمكنة عديدة غير محتشين لجري العادة عندهم بذلك وعدة صبيان بأواني ماء يطوفون على من يأكل قد جعلوا ما يحصل لهم منهم رزقا وفضلات ما كاهم مطروحة في صحن الجامع وفي زواياه والعنكبوت قد عظم نسجه

في السقوف والاركان والحيطان والصبيان يلعبون في صحنه وحيطانه مكتوبة بالفحم والحمره بخطوط قبيحة مختلفة من كتب فقراء المصامه الا أن مع هذا كله على الجامع المذكور من الرونق وحسن القبول وانبساط النفس مالا تجده في جامع اشيليه مع زخرفته والبستان الذى في صحنه ولقد تأملت ما وجدت فيه من الارتياح والانس دون منظر يوجب ذلك فعلمت أنه سر مودع من وقوف الصحابة رضوان الله عليهم في ساحته عند بنائه واستحسن ما أبصرته فيه من خلق المصدرين لاقراء القرآن والفقه والنحو في عدة أماكن وسألت عن موارد أرزاقهم فأخبرت أنها من فروض الزكاة وما أشبه ذلك ثم أخبرت أن اقضاءها يصعب الا بالجاه والتعب ثم انفصلنا من هنالك الى ساحل النيل فرأيت ساحلا كبيرا التربة غير نظيف ولا متسع الساحة ولا مستقيم الاستطالة ولا عليه سور أبيض الا أنه مع ذلك كثير العمارة بالمراكب وأصناف الارزاق التي تصل من جميع أقطار الارض والنيل ولئن قلت انى لم أبصر على نهر ما أبصرته على ذلك الساحل فاني أقول حقا والنيل هنالك ضيق لسكون الجزيرة التي بنى فيها سلطان الديار المصرية الآن قلعه قد توسطت الماء ومالت الى جهة الفسطاط وبحسن سورها المبيض الشاخص حسن منظر الفرجة في ذلك الساحل وقد ذكر ابن حوقل الجسر الذى يكون تمتمدا من الفسطاط الى الجزيرة وهو غير طويل ومن الجانب الآخر الى البر الغربى المعروف ببر الجزيرة جسر آخر من الجزيرة اليه وأكثر جواز الناس بأنفسهم ودوابهم في المراكب لان هذين الجسرين قد احترما بمحصولهما في حيز قلعة السلطان ولا يجوز أحد على الجسر الذى بين الجزيرة والفسطاط راكبا احتراماً لموضع السلطان وبتنا في ليلة ذلك اليوم بطيارة مرتفعة على جانب النيل فقلت

نزلنا من الفسطاط أحسن منزل * بحيث امتداد النيل قد دار كالعقد
وقد جمعت فيه المراكب سمجرة * كسرب قطا أضحى يزف على ورد
وأصبح يطنى الموج فيه ويرتمى * ويطفو حسانا وهو يلعب بالترد
غدا ماؤه كالريق بمن أحبه * قدت عليه حلية من حلى الخد
وقد كان مثل الزهر من قبل مده * فأصبح لما زاده المد كالورد

قلت هذا لانى لم أذق في المياه أحلى من ماء وأنه يكون قبل المد الذى يزيد به ويفيض على اقطاره أبيض فاذا كان عباب النيل صار أحمر * وأنشدنى علم الدين نحر الترك ايد مرعيق وزير الجزيرة فى مدح الفسطاط وأهلها

حبذا الفسطاط من والدة * جنبت أولادها در الجفا
يرد النيل اليها كدرا * فاذا مازج أهلها صفا
لطفوا فانزى لا يالفهم * خجلا لما رآهم الطفا

ولم ارفى أهل البلاد ألطف من أهل الفسطاط حتى انهم ألطف من أهل القاهرة وبينهما نحو ميلين وجملة الحال أن أهل الفسطاط في نهاية من اللطافة واللين في الكلام وتحت ذلك من الملق وقلة المبالاة برعاية قدم الصحبة وكثرة الممازجة والالفة ما يطول ذكره وأما ما يرد على الفسطاط من متاجر البحر الاسكندراني والبحر الحجازي فانه فوق ما يوصف وبها جمع ذلك لا بالقاهرة ومنها تجوز الى القاهرة وسائر البلاد وبالفسطاط مطابخ السكر والصابون ومعظم ما يجري هذا المجرى لان القاهرة بنيت للاختصاص بالجند كما أن جميع زى الجند بالقاهرة أعظم منه بالفسطاط وكذلك ما ينسج ويصاغ وسائر ما يعمل من الاشياء الرفيعة السلطانية والخراب في الفسطاط كثير والقاهرة أجده وأمر وأكثر زحمة بسبب انتقل السلطان اليها وسكنى الاجناد فيها وقد تفنح روح الاعتناء والنمو في مدينة الفسطاط الآن لجاورتها للجزيرة الصالحية وكثير من الجند قد انتقل اليها للقرب من الخدمة وبني على سورها جماعة منهم مناظر تهيج الناظر يعني ابن سعيد ما بنى على شقة مصر من جهة النيل

❦ ذكر ما عليه مدينة مصر الآن وصفها ❦

قد تقدم من الاخبار جملة تدل على عظم ما كان بمدينة فسطاط مصر من المباني وكثرتها ثم الاسباب التي أوجبت خرابها وآخر ما رأيت من الكتب التي صنف في خطط مصر كتاب ايحاف المتغفل واتعاط المتأمل تأليف القاضي الرئيس تاج الدين محمد بن عبد الوهاب بن المتوج الزيري رحمه الله وقطع على سنة خمس وعشرين وسبعمائة فذكر من الاخطاط المشهورة بذاتها لهذه اثنين وخمسين خطاً ومن الحارات ثني عشرة حارة ومن الإزقة المشهورة ستة وثمانين زقاقاً ومن الدروب المشهورة ثلاثة وخمسين درباً ومن الخوخ المشهورة خمساً وعشرين خووخة ومن الاسواق المشهورة تسعة عشر سوقاً ومن الخطط المشهورة بالدور ثلاثة عشر خطاً ومن الرحاب المشهورة خمس عشرة رحبة ومن العقبات المشهورة احسدى عشرة عقبة ومن الكيمان المسماة ستة كيمان ومن الاقباء عشرة أقباء ومن البرك خمس برك ومن السقائف خمساً وستين سقيفة ومن القياسر سبع قياسر ومن مضايح السكر العامرة ستة وستين مطبخاً ومن الشوارع ستة شوارع ومن المحارس عشرين محرساً ومن الجوامع التي تقام فيها الجمعة بمصر وظاهرها من الجزيرة والقراة أربعة عشر جامعاً ومن المساجد أربعائة وثمانين مسجداً ومن المدارس سبع عشرة مدرسة ومن الزوايا ثمانية زوايا ومن الربط التي بمصر والقراة بضعاً وأربعين ربطاً ومن الاحباس والاقواق كثيراً ومن الحمامات بضعاً وسبعين حماماً ومن السكنائس وديارات النصارى ثلاثين ما بين دير وكنيسة وقد باد أكثر ما ذكره وذر وسيرد مقالته من ذلك في مواضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى (فأقول) ان مدينة مصر محدودة الآن بحدود أربعة * فخذها الشرقي اليوم من قلعة الجبل وأنت آخذ

الى باب القرافة فتمر من داخل السور الفاصل بين القرافة ومصر الى كوم الجارح وتمر من كوم الجارح وتجعل كيمان مصر كلها عن يمينك حتى تنتهي الى الرصد حيث أول بركة الحبش فهذا طول مصر من جهة المشرق وكان يقال لهذه الجهة عمل فوق * وحدها الغربي من قناطر السباع خارج القاهرة الى موردة الحافاء وتأخذ على شاطئ النيل الى دير الطين فهذا أيضاً طولها من جهة المغرب * وحدها القبلي من شاطئ النيل بدير الطين حيث ينتهي الحد الغربي الى بركة الحبش تحت الرصد حيث انتهى الحد الشرقي فهذا عرض مصر من جهة الجنوب التي تسميها أهل مصر الجهة القبلية * وحدها البحري من قناطر السباع حيث ابتداء الحد الغربي الى قلعة الجبل حيث ابتداء الحد الشرقي فهذا عرض مصر من جهة الشمال التي تعرف بمصر بالجهة البحرية وما بين هذه الجهات الأربع فانه يطلق عليه الآن مصر فيكون أول عرض مصر في الغرب بحر النيل وآخر عرضها في الشرق أول القرافة وأول طولها من قناطر السباع وآخره بركة الحبش فاذا عرفت ذلك ففي الجهة الغربية خط السبع سقايات ويجاوره الخليج وعليه من شرقيه حكر أقبعاء ومن غربيه المريس ومنشأة المهراي ويحاذي المنشأة من شرقي الخليج خط قنطرة السد وخط بين الزقاقين وخط موردة الحافاء وخط الجامع الجديد ومن شرقي خط الجامع الجديد خط المراغة ويتصل به خط الكبارة وخط الممارج ويجاور خط الجامع الجديد من بحريه الدور التي تطل على النيل وهي متصلة الى جسر الافرم المتصل بدير الطين وما جاوره الى بركة الحبش وهذه الجهة هي أعمر ما في مصر الآن وأما الجهة الشرقية فليس فيها شيء عامر الا قلعة الجبل وخط المراغة المجاور لباب القرافة الى مشهد السيدة نفيسة ويجاور خط مشهد السيدة نفيسة من قبله الفضاء الذي كان موضع الموقف والعسكر الى كوم الجارح ثم خط كوم الجارح وما بين كوم الجارح الى آخر حد طول مصر عند بركة الحبش تحت الرصد فانه كيمان وهي الخطط التي ذكرها القضاعي وخربت في الشدة العظمى زمن المستنصر وعند حريق شاور لمصر كما تقدم وأما عرض مصر الذي من قناطر السباع الى القلعة فانه عامر ويشتمل على بركة الفيل الصغرى ويجوار خط السبع سقايات ويجاور الدور التي على هذه البركة من شرقيها خط الكباش ثم خط جامع أحمد بن طولون ثم خط القبيبات وينتهي الى الفضاء الذي يتصل بقلعة الجبل وأما عرض مصر الذي من شاطئ النيل بخط دير الطين الى تحت الرصد حيث بركة الحبش فليس فيه عمارة سوى خط دير الطين وما عدا ذلك فقد خرب بخراب الخطط وكان فيه خط بني وائل وخط راشدة فأما خط السبع سقايات فانه من جملة الحمراء الدنيا وسيرد عند ذكر الاخطاط ان شاء الله تعالى وما عدا ذلك فانه يتبين من ذكر ساحل مصر

ذكر ساحل النيل بمدينة مصر

قد تقدم أن مدينة فسطاط مصر اختطها المسلمون حول جامع عمرو بن العاص وقصر الشمع وأن بحر النيل كان ينتهي الى باب قصر الشمع الغربي المعروف بالباب الجديد ولم يكن عند فتح أرض مصر بين جامع عمرو وبين النيل حائل ثم انحصر ماء النيل عن أرض نجاء الجامع وقصر الشمع فابتنى فيها عبد العزيز بن مروان وحاز منه بشر بن مروان لما قدم على أخيه عبد العزيز ثم حاز منه هشام بن عبد الملك في خلافته وبني فيه قلعا زالت دولة بني أمية قبض ذلك في الصوافي ثم أقطعه الرشيد السري بن الحكم فصار في يد ورثته من بعده يكترونه ويأخذون سكره وذلك أنه كان قد اختط فيها المسلمون شيئا بعد شيء وصار شاطئ النيل بعد انحسار ماء النيل عن الأرض المذكورة حيث الموضع الذي يعرف اليوم بسوق المعارج* قال القضاة كان ساحل أسفل الأرض بازاء المعارج القديم وكانت آثار المعارج قائمة سبع درج حول ساحل البيا الى ساحل البوري اليوم فمرف ساحل البوري بالمعارج الجديد يعني بالمعارج الجديد موضع سوق المعارج اليوم وكان من جملة خطط مدينة فسطاط مصر الحراوات الثلاث فالحرء الأولى من جملة أسواق وردان وكان يشرف بغربيه على النيل وبحاوره الحرء الوسطى ومن بعضها الموضع الذي يعرف اليوم بالكبارة وكانت على النيل أيضاً وبجانب الكبارة الحرء القصوى وهي من بحرى الحرء الوسطى الى الموضع الذي هو اليوم خط قناطر السباع ومن جملة الحرء القصوى خط خليج مصر من حشد قناطر السباع الى تجاه قنطرة السد من شرقها وبآخر الحرء القصوى الكباش وجبل يشكر وكان الكباش يشرف على النيل من غربيه وكان الساحل القديم فيما بين سوق المعارج اليوم الى دار التفاح بمصر وأنت مار الى باب مصر بجوار الكبارة وموضع الكوم المجاور لباب مصر من شرقيه فلما خربت مصر بحريق شاور بن مجيرايها صار هذا الكوم من حينئذ وعرف بكوم المشانيق فانه كان يشنق بأعلاه أرباب الجرائم ثم بنى الناس فوقه دورا فعرف الى يومنا هذا بهذا الكوم الكبارة وكان يقال لما بين سوق المعارج وهذا الكوم لما كان ساحل النيل القالوص* قال القضاة رأيت بخط جماعة من العلماء القالوص بألف والذي يكتب في هذا الزمان القالوص يحذف الالف فأما القالوص يحذف الالف فهي من الابل والنعام الشابة وجمعها قلص وقلاص وقلائص والقالوص من الجبارى الانثى الصغيرة فلعل هذا المكان سمي بالقالوص لانه في مقابلة الجبل الذي كان على باب الريحان الذي يأتي ذكره في عجائب مصر وأما القالوص بالالف فهي كلمة رومية ومعناها بالعربية مرحبا بك ولعل الروم كانوا يصفقون لراكب هذا الجبل ويقولون هذه الكلمة على عادتهم* وقال ابن المتوج والساحل القديم أوله من باب مصر المذكور يعني المجاور للكبارة والى المعارج جميعه كان بحرا يجري فيه ماء النيل وقيل ان سوق المعارج

كان موردة سوق السمك يعني ما ذكره القضاعي من أنه كان يعرف بساحل البورى ثم عرف بالمعاريج الجديدي قال ابن المتوج ونقل أن بستان الجرف المقابل لبستان حوض ابن كيسان كان صناعة العمارة وأدركت أنا فيه بابها ورأيت زريبة من ركن المسجد المجاور لحوض من غربيته تتصل الى قبالة مسجد العادل الذى بمراغة الدواب الآن * (قال مؤلفه رحمه الله) بستان الجرف يعرف بذلك الى اليوم وهو على يمنة من سلك الى مصر من طريق المراغة وهو جارفي وقف الخلفاء التي تعرف بلوالة بين الزقافين وحوض ابن كيسان يعرف اليوم بحوض الطواشي تجاه غيط الجرف المذكور مجاوره بستان ابن كيسان الذى صار صناعة وقد ذكر خبر هذه الصناعة عند ذكر مناظر الخلفاء ويعرف بستان ابن كيسان اليوم ببستان الطواشي أيضاً وبين بستان الجرف وبستان الطواشي هذا مراغة مصر المسلول منها الى الكبارية وباب مصر * قل ابن المتوج ورأيت من نقل عن نقل عن رأى هذا القلوص يتصل الى أدر الساحل القديم وأنه شاهد ما عليه من العمارات المظلة على بحر النيل من الرابع والدور المظلة وعدد الاسطال التي كانت بالطبقات المظلة على بحر النيل فكانت عدتها ستة عشر ألف سطل مؤبدة ب بكر مؤبد فيها أطناب ترعى بها وتملا أخبني بذلك من أثق بنقله وقال انه أخبره به من يثق به متصلا بالمشاهد له الموثوق به قال وباب مصر الآن بين البستان الذى قبلي الجامع الجديد يبنى بستان العالمه وبين كوم المشانق يعني كوم الكبارية ورأيت السور يتصل به الى دار النحاس وجميع ما بظهره شون ولم يزل هذا السور القديم الذى هو قبلي بستان العالمه موجوداً أراه وأعرفه الى أن اشترى أرضه من باب مصر الى موقف المكارية بالحشابين القديمة الامير حسام الدين طرناطى المنصورى فأجر مكانه لمامه وصار كل من استأجر قطعة هدم ما بها من البناء بالطوب اللبن وقلع الاساس الحجر وبنى به فزال السور المذكور ثم حدث الساحل الجديد * قال مؤلفه رحمه الله وهذا الباب الذى ذكره ابن المتوج كان يقال له باب الساحل وأول حفر ساحل مصر في سنة ست وثلاثين وثمانمائة وذلك أنه حفر النيل عن بر مصر حتى احتاج الناس أن يستقوا من بحر الحيزة الذى هو فيما بين جزيرة مصر التي تدعى الآن بالروضة وبين الحيزة وصار الناس يمشونهم والدواب الى الجزيرة فحفر الاستاذ كافور الاخشيدي وهو يومئذ مقدم امراء الدولة لاونوجور بن الاخشيدي خليجا حتى اتصل بخليج بني وائل ودخل الماء الى ساحل مصر ثم انه لما كان قبل سنة ستمائة تقاضى الماء عن ساحل مصر القديمة وصار فى زمن الاحتراق يذل حتى تصير الطريق الى المقياس يبسا فلما كان فى سنة ثمان وعشرين وستمائة خاف السلطان الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب من تباعد البحر عن العمران بمصر فأهم بحفر البحر من دار الوكالة بمصر الى صناعة التمر الفاضاية وعمل فيه بنفسه فوافق على العمل فى ذلك الجم

الغفير واستوى في المساعدة السوق والامير وقسط مكان الحفر على الدور بالقاهرة ومصر
 والروضة والمقياس فاستمر العمل فيه من مستهل شعبان الى سلخ شوال مدة ثلاثة أشهر حتى
 صار الماء محيط بالمقياس وجزيرة الروضة دائماً بعد ما كان عند الزيادة يصير جدولاً رقيقاً
 في ذيل الروضة فأذا اتصل بحر بولاق في شهر أيب كان ذلك من الايام المشهودة بمصر فلما
 كانت أيام الملك الصالح وعمر قلعة الروضة أراد أن يكون الماء طول السنة كثيراً فيما دار
 بالروضة فأخذ في الاهتمام بذلك وغرق عدة مراكب مملوءة بالحجارة في بر الجزيرة تجاه باب
 القنطرة خارج مدينة مصر ومن قبلي جزيرة الروضة فانعكس الماء وجعل البحر حينئذ يعمر
 قليلاً قليلاً وتكاثر أولاً فأولاً في بر مصر من دار الملك الى قريب المقس وقطع المنشأة الفاضلية*
 قال ابن المتوج عن موضع الجامع الجديد وكان في الدولة الصالحية يعني الملك الصالح نجم
 الدين أيوب رملة تمرغ الناس فيها الدواب في زمن احتراق النيل وجفاف البحر الذي هو
 أمامها فلما عمر السلطان الملك الصالح قلعة الجزيرة وصار في كل سنة يحفر هذا البحر بحجده
 ونفسه وي طرح بعض رمله في هذه البقعة شرع خواص السلطان في العمارة على شاطئ هذا
 البحر فذكر من عمر على هذا البحر من قبالة موضع الجامع الجديد الآن الى المدرسة
 المعزية وذكر ما وراء هذه الدور من بستان العالة المطل عليه الجامع الجديد وغيره ثم قال
 وإنما عرف بالعالة لانه كان قد حله السلطان الملك الصالح لهذه العالة فعمرت بجانبه منظره لها
 وكان الماء يدخل من النيل لباب المنطرة المذكورة فلما توفيت بقي البستان مدة في يد ورثتها
 ثم أخذ منهم وذكر أن بقعة الجامع الجديد كانت قبل عمارته شونا للاتبان السلطانية
 وكذلك ما يجاورها فلما عمر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون الجامع الجديد كثرت
 العمائر من حد موردة الحلفاء على شاطئ النيل حتى اتصلت بدير الطين وعمر أيضاً ما وراء
 الجامع من حد باب مصر الذي كان بحراً كما تقدم الى حد قنطرة السد وأدركنا ذلك كله
 على غاية العمارة وقد احتل منذ الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة فخر بخت بين الزقابين
 المطل من غريسه على الخليج ومن شرقيه على بستان الجرف ولم يبق به الا قليل من الدور
 وموضعه كما تقدم كان في قديم الزمان غامراً بماء النيل ثم ربي جرفاً وهو بين الزقابين المذكور
 فعمر عمارة كبيرة ثم خرب الآن وخرب أيضاً خط موردة الحلفاء وكان في القديم غامراً
 بماء فلما ربي النيل الجرف المذكور وتربت الجزيرة قدام الساحل القديم الذي هو الآن
 الكبارة الى المعارج وأنشأ الملك الناصر محمد بن قلاوون الجامع الجديد عمرت موردة الحلفاء
 هذه واتصلت من بحريها بمنشأة المهراني ومن قبلها بالاملاك التي تمتد من تجاه الجامع
 الجديد الى دير الطين وصارت موردة الحلفاء عظيمة تقف عندها المراكب بالغالل وغيرها
 ويملا منها الناس الروايا وكان البحر لا يبرح طول السنة هناك ثم صار ينشف في فصل الربيع

والصيف واستمر على ذلك الى يومنا هذا وخرب ما خلف الجامع الجديد أيضاً من الاماكن التي كانت بجزأ تجاه الساحل القديم ثم لما انحسر الماء صارت مراغة للدواب فعرفت اليوم بالمراغة وهي من آخر خط قنطرة السد الى قريب من الكبارة ويحصرها من غربيها بستان الجرف المقدم ذكره وعدة دور كانت بستانا وشونا الى باب مصر ومن شرقيها بستان ابن كيسان الذي صار صناعة وعرف الآن بستان الطواشي ولم يبق الآن بخط المراغة الا مساكن يسيرة حقيرة

ذكر المنشأة

اعلم أن خليج مصر كان يخرج من بحر النيل فيمر بطريق الحمراء القصوى وكان في الجانب الغربي من هذا الخليج عدة بساتين من جملتها بستان عرف ببستان الحشاش ثم خرب هذا البستان وموضعه الآن يعرف بالمريس فلما كان بعد الخمائة من سنى الهجرة انحسر النيل عن أرض فيما بين ميدان اللوق الآتى ذكره في الاحكار ظاهر القاهرة ان شاء الله تعالى وبين بستان الحشاش المذكور فعرفت هذه الارض بمنشأة الفاضل لان القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي اليبساني انشأ بها بستاناً عظيماً كان يدير أهل القاهرة من ثماره وأغنايه وعمر بجانبه جامعاً وبني حوله فقيل لتلك الحطة منشأة الفاضل وكثرت بها العمارة وأنشأ بها موفق الدين محمد بن أبي بكر المهدوى العثماني الديباجي بستاناً دفع له فيه ألف دينار في أيام الظاهر بيبرس وكان الصرف قد بلغ كل دينار ثمانية وعشرين درهما ونصفاً فاستولى البحر على بستان الفاضل وجامعه وعلى سائر ما كان بمنشأة الفاضل من البساتين والدور وقطع ذلك حتى لم يبق شيء منه أثر وما برح باعة العنب بالقاهرة ومصر تنادى على العنب بعد خراب بستان الفاضل هذا عدة سنين (رحم الله الفاضل يا غيب) اشارة لكثرة أغنا بستان الفاضل وحسنها وكان أكل البحر لمنشأة الفاضل هذه بعد سنة ستين وستمائة وكان موفق الديباجي المذكور يتولى خطابة جامع الفاضل الذي كان بالمنشأة فلما تلف الجامع باستيلاء النيل عليه سأل الصاحب بهاء الدين بن حنا وألح عليه وكان من أزمائه حتى قام في عمارة الجامع بمنشأة المهراني ومنشأة المهراني هذه موضعها فيما بين النيل والخليج وفيها من الحمراء القصوى فوهة الخليج انحسر عنها ماء النيل قديماً وعرف موضعها بالكوم الاحمر من أجل أنه كان يعمل فيها اقنة الطوب فلما سأل الصاحب بهاء الدين بن حنا الملك الظاهر بيبرس في عمارة جامع هذا المكان ليقوم مقام الجامع الذي كان بمنشأة الفاضل أجابه الى ذلك وانشأ الجامع بخط الكوم الاحمر كما ذكر في خبره عند ذكر الجوامع فأنشأ هناك الامير سيف الدين بلبان المهراني داراً وسكنها وبقي مسجداً فعرفت هذه الحطة به وقيل لها منشأة المهراني فان المهراني المذكور أول من ابتنى فيها بعد بناء الجامع وتتابع الناس في البناء بمنشأة المهراني وأكثروا من العمائر حتى

يقال انه كان بها فوق الاربعين من امراء الدولة سوى من كان هناك من الوزراء وأمائل الكتاب وأعيان القضاة ووجوه الناس ولم تزل على ذلك حتى انحسر الماء عن الجهة الشرقية تقربت وبها الآن بقية يسيرة من الدور ويتصل بخط الجامع الجديد خطدار النحاس وهو مطل على النيل * ودار النحاس هذه من الدور القديمة وقد دثرت وصار الخط يعرف بها * قال انقضي دار النحاس اختطها وردان مولى عمرو بن العاص فكتب مسلمة بن مخلد وهو أمير مصر الى معاوية يسأله أن يجعلها ديواناً فكتب معاوية الى وردان يسأله فيها وعوضه فيها دار وردان التي بسوقه الآن وقال ربيعة كانت هذه الدار من خطة الحجر من الأزد فاشترها عمر بن مروان وبنها فكانت في يد ولده وقبضت عنهم وبيعت في الصوافي سنة ثمان وثلاثمائة ثم صارت الى شمول الاخشيدي فبناها قيسارية وحماما فصارت دار النحاس قيسارية شمول * وقال ابن المتوج دار النحاس خط نسب لدار النحاس وهو الآن فندق الاشراف ذو البابين أحدها من رجة امامة والثاني شارع بالساحل القديم وبآخر هذه الشقة التي تطل على النيل (جسر الافره) وهو في طرف مصر فيما بين المدرسة المعزية وبين رابط الآثار كان مطلا على النيل دائماً والآن يحسر الماء عنه عند هبوط النيل وعرف بالامير عن الدين أيامر الافرم الصالح النجمي أمير جندار وذلك أنه لما استأجر بركة الشعبية كما ذكر عند ذكر البرك من هذا الكتاب جعل منها فدانين من غربيها أذن للناس في تحكيرها فحكمت وبنى عليها عدة دور بلغت الغاية في اتقان العمارة وتنافس عظماء دولة الناصر محمد بن قلاوون من الوزراء وأعيان الكتاب في المساكن بهذا الجسر وبنوا وتأثقوا وتقنوا في بديع الزخرفة وبالغوا في تحسين الرخام وخرجوا عن الحد في كثرة انفاق الاموال العظيمة على ذلك بحيث صار خط الجسر خلاصة العاشر من أقليم مصر وسكانه ارق الناس عيشاً وأترف المتنعمين حياة وأوفرهم نعمة ثم خرب هذا الجسر بأسره وذهبت دوره * وأما الجهة الشرقية من مصر ففيها قلعة الجبل وقد أفردنا لها خبراً مستقلاً يحتوي على فوائد كثيرة تضمنه هذا الكتاب فانظره ويتصل آخر قلعة الجبل بخط باب القرافة وهو من أطراف القطائع والعسكر ويبي خط باب القرافة الفضاء الذي كان يعرف بالعسكر وقد تقدم ذكره وكان بأطراف العسكر مما يلي كوم الجارح * (الموقف) قال ابن وصيف شاه في أخبار الريان بن الوليد وهو فرعون نبي الله يوسف صلوات الله عليه ودخل الى البلد في أيامه غلام من أهل الشام احتال عليه اخوته وباعوه وكانت قوافل الشام تعرس بناحية الموقف اليوم فأوقف الغلام ونودي عليه وهو يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليهم فاشتره أطفين المزي و يقال ان الذي أخرج يوسف من الحب مالك بن دعر بن حجر بن جزيلة بن ظلم بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن

زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان * وقال القضاعي كان الموقف قضاء لأمر عبد الله بن مسامة بن مخلد فتصدقت به على المسلمين فكان موقفاً تباع فيه الدواب ثم ملك بعد وقد ذكرته في الظاهر يعني في خطط أهل الظاهر فإن الموقف من جملة خطط أهل الظاهر * وقال ابن المتوج بقعة (خط الصفاء) هذا الخط دثر جميعه ولم يبق له أثر وهو قبلي الفسطاط أوله بجوار المصنع وخط الطحانيين أدركته كان صفين طواحين متلاصقة متصلة من درب الصفاء الى كوم الجارح وأدركت به جماعة من أكابر المصريين أكثرهم عدول وكان المار بين هذين الصنفين لا يسمع حديث رفيقه اذا حدثه لقوة دوران الطواحين وكان من جملتها طاحون واحد فيه سبعة أحجار دثر جميع ذلك ولم يبق له أثر * قال وبقعة درب الصفاء هو الدرب الذي كان باب مصر وقيل انه كان بظاهره سوق يوسف عليه السلام وكان باباً بمصر اعين يعلوها عقد كبير وهو بعتبة كبيرة سفلى من صوان وكان بجوار المصنع الخراب الموجود الآن وكان حول المصنع عمد رخام بدائرة حاملة الساباط يعلوه مسجد معاق هدم ذلك جميعه في ولاية سيف الدين المعروف بابن سلار والى مصر في دولة الظاهر بيبرس وهذا الدرب يسلك منه الى درب الصفاء والطحانيين * (قال مؤلفه رحمه الله) * كان هذا الباب المذكور أحد أبواب مدينة مصر وبها الآخر من ناحية الساحل الذى موضعه اليوم باب مصر بجوار الكبدارة وأنا أدركت آثار درب الصفاء المذكور والمصنع الخراب وكان يصب فيه الماء للسبيل وهو قريب من كوم الجارح وسيأتي ذكر كوم الجارح في ذكر الكيمان من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى * وأما الذى يلى كوم الجارح الى آخر حد طول مصر عند بركة الحبش فانها الحطط القديمة وأدركتها عامرة لاسيما خط النخالين وخط زقاق القناديل وحط المصاصة وقد خرب جميع ذلك وبيعت أنقاضه من بعد سنة تسعين وسبع مائة * وأما الجهة القبلية من مصر فان خط دير الطين حدثت العمارة فيه بعد سنة ست مائة لما أنشأه صاحب نحر الدين محمد بن صاحب بهاء الدين على بن خنا الجامع هناك وعمر الناس في جسر الاقزم وكان قبل ذلك آخر عمارة مدينة مصر دار الملك التي موضعها الآن بجوار المدرسة المعزية وأما موضع الجسر فانه كان بركة ماء تتصل بخط راشدة حيث جامع راشدة ومن قبلي هذه البركة البستان الذى كان يعرف ببستان الامير تميم بن المعز ويعرف اليوم بالمعشوق وهو وقف على رباط الآثار ويجاور المعشوق بركة الحبش وما بين خط دير الطين وآخر عرض مصر من الجهة القبلية طرف خط راشدة * وأما الجهة البحرية من مصر فانه يتصل بخط السبع سقايات الدور المطلّة على البركة التي يقال لها بركة قارون وهي التي تجاور الآن حدرة ابن قميحة وهي من جملة الحمراء القصوى وبقبلي البركة المذكورة الكوم المعروف بالاسرى وهو من جملة العسكر وسيرد ان شاء الله تعالى ذكره عند ذكر الكيمان ويجاور البركة المذكورة خط الكبش

وقد ذكر في الجبال ويأتى ان شاء الله تعالى له خبر عند ذكر الاخطاط ويلى خط الكيش
خط الجامع الطولوني ويلى خط الجامع القيديات وخط المشهد النفيسي وجميع ذلك الى قلعة
الجبل من جملة القطائع

❦ ذكر أبواب مدينة مصر ❦

وكان لفسطاط مصر أبواب في القديم خربت وتجدد لها بعد ذلك أبواب آخر * (باب
الصفاء) * هذا الباب كان هو في الحقيقة باب مدينة مصر وهي في كإها ومنه تخرج العساكر
وتعبر القوافل وموضه الآن بالقرب من كوم الجارح وهدم في أيام الملك الظاهر بيبرس
* (باب الساحل) * كان يفضى بسالكه الى ساحل النيل القديم وموضه قريب من الكبارة
* (باب مصر) * هذا الباب هو الذى بناه قراقوش ومنه يسلك الآن من دخل الى مدينة
مصر من الطريق التي تعرف بالمراعة وهو مجاور للكوم الذى يقال له كوم المشانق ويعرف
اليوم بالكبارة وكان موضع هذا الباب غامرا بماء النيل فلما انحسر الماء عن ساحل مصر صار
الموضع المعروف بالمراعة والموضع المعروف بغيط الجرف الى موردة الحلفاء فضاء لا يصل
اليه ماء النيل البتة فأحب السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أن يدير سورا يجمع فيه
القاهرة ومصر وقلعة الجبل فزاد في سور القاهرة على يد قراقوش من باب القنطرة الى باب
الشعرية والى باب البحر يريد أن يمد السور من باب البحر الى الكوم الاحمر الذى هو
اليوم حافة خليج مصر تجاه خط بين الزقابين ليصل أيضا من الكوم الاحمر الى باب مصر
هذا فلم يتهأ له هذا وانقطع السور من عند جامع المقس وزاد في سور القاهرة أيضا من باب
النصر الى قلعة الجبل فلم يكمل له ومد السور من قلعة الجبل الى باب القنطرة خارج مصر
فصار هذا الباب غير متصل بالسور * (باب القنطرة) * هذا الباب في قبلى مدينة مصر عرف
بقنطرة بني وائل التي كانت هناك وهو أيضا من بناء قراقوش

❦ ذكر القاهرة القاهرة المعز لدين الله ❦

اعلم أن القاهرة المعزية رابع موضع انتقل سريه السلطنة اليه من أرض مصر في الدولة
الاسلامية وذلك أن الامارة كانت بمدينة الفسطاط ثم صار محلها العسكر خارج الفسطاط فلما
عمرت القطائع صارت دار الامارة الى أن خربت فسكن الامراء بالعسكر الى أن قدم القائد
جواهر بعساكر مولاه الامام المعز لدين الله معد فبنى القاهرة حصنا ومعقلين يدي المدينة
وصارت القاهرة دار خلافة ينزلها الخليفة بحرمه وخواصه الى أن انقرضت الدولة الفاطمية
فسكنها من بعدهم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وابنه الملك العزيز عثمان وابنه الملك
المنصور محمد ثم الملك العادل أبو بكر بن أيوب وابنه الملك الكامل محمد وانتقل من القاهرة
الى قلعة الجبل فسكنها بحرمه وخواصه وسكنها الملوك من بعده الى يومنا هذا فصارت القاهرة

مدينة سكنى بعد ما كانت حصنا يعتقل به ودار خلافة يلتجأ اليها فهانت بعد العز وابتذلت بعد الاحترام وهذا شأن الملوك مازالوا يطمسون آثار من قبلهم ويميتون ذكر أعدائهم فقد هدموا بذلك السبب أكثر المدن والحصون وكذلك كانوا أيام المهجم وفي جاهلية العرب وهم على ذلك في أيام الاسلام فقد هدم عثمان بن عفان صومعة غمدان وهدم الآطام التي كانت بالمدينة وقد هدم زياد كل قصر ومصنع كان لابن عامر وقد هدم بنو العباس مدن الشام لدي مروان (واذا تأملت البقاع وجدتها * تشقى كما تشقى الرجال وتسعد) وسأني من أخبار القاهرة والكلام على خططها وآثارها ما انتهى اليه قدرتي ويصل الى معرفته علمي وفوق كل ذي عليم عليم

ذكر ما قيل في نسب الخلفاء الفاطميين بناة القاهرة

اعلم أن القوم كانوا ينسبون الى الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما والناس فريقان في أمرهم فريق ثبت صحة ذلك وفريق ينمعه وينفيهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويزعم أنهم أدعياء من ولد ديصان البوني الذي ينسب اليه النوبة وان ديصان كان له ابن اسمه ميمون القداح كان له مذهب في القلو فولد ميمون عبد الله وكان عبد الله عالما بجميع الشرائع والسنن والمذاهب وأنه رتب سبع دعوات يندرج الانسان فيها حتى يخلع عن الاديان كلها ويصير معطلا أباحيا لا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا ويرى انه وأهل محله على هدى وجميع من خالفهم أهل ضلالة وأنه قصد بذلك أن يجعل له أتباعا وكان يدعو الى الامام من آل البيت محمد بن اسمعيل بن جعفر الصادق وأنه كان من الاهواز واشهر بالعلم والتشيع وصار له دعاة وقصد بالمكروه ففر الى البصرة فاشهر أمره وسار منها الى سامية من أرض الشام فولد له ابن بها اسمه أحمد ومات فقام من بعده أحمد وبعث بالحسين الاهوازي داعية الى العراق فلقى أحمد بن الاشعث المعروف بقرمط في سواد الكوفة ودعاه الى مذهبه فأجابيه وقام هناك بالامر والى قرمط هذا تنسب القرامطة وولد لاحد بن عبد الله بن ميمون القداح الحسين ومحمد المعروف بأبي الشعلمع فلما مات أحمد خلفه ابنه الحسين في الدعوة حتى مات فقام من بعده أخوه أبو الشعلمع وكان لاحد بن عبد الله ولد اسمه سعيد فصار تحت حجر عمه وبعث أبو الشعلمع بداعيين الى المغرب وهما أبو عبد الله وأخوه أبو العباس فنزل في البربر ودعواها واشهر سعيد بسامية بعد موت عمه وكثر ماله فطلبه السلطان ففر من سامية الى مصر يريد المغرب وكان على مصر عيسى النوشري فورد عليه كتاب الخليفة ببغداد بالقبض عليه ففاته وصار بساجماسة في زى التجار فبعث المعتضد من بغداد في طلبه فأخذ وحبس حتى أخرجه أبو عبد الله الشيعي من محبسه فسمى حينئذ بعبيد الله وتكنى بأبي محمد وتلقب بالمهدي وصار اماما علويا من ولد محمد بن جعفر الصادق وانما هو سعيد بن الحسين بن أحمد

ابن عبد الله بن ميمون القداح بن ديسان البوني الاهوازي وأصله من الجوس فهذا قول من ينكر نسبهم وبعض منكرى نسبهم في العلوية يقول ان عبيد الله من اليهود وان الحسين ابن أحمد المذكور تزوج امرأة يهودية من نساء سلمية كان لها ابن من يهودى حداد مات وتركها لها فرباه الحسين وأدبه وعلمه ثم مات عن غير ولد ففهد الى ابن امرأته هذا فكان هو عبيد الله المهدي وهذه أقوال ان أنصفت تبين لك انها موضوعة فان بنى على بن أبي طالب رضي الله عنه قد كانوا اذ ذاك على غاية من وفور العسدد وجلالة القدر عند الشيعة فما الحامل لشيعتهم على الاعراض عنهم والدعاء لابن مجوسي أو لابن يهودى فهذا مما لا يفعله أحد ولو بلغ الغاية في الجهل والسخف وانما جاء ذلك من قبل ضعفة خلفاء بني العباس عند ما غصوا بمكان الفاطميين فانهم كانوا قد اتصلت دولتهم بنحو من مائتين وسبعين سنة وملكوا من بني العباس بلاد المغرب ومصر والشام وديار بكر والحرمين واليمن وخطب لهم ببغداد نحو أربعين خطبة وعجزت عساكر بني العباس عن مقاومتهم فلأذت حينئذ بتمفير الكافة عنهم بأشاعة الطعن في نسبهم وبث ذلك عنهم خلفاؤهم وأعجب به أولياؤهم وأمرأ دولتهم الذين كانوا يحاربون عساكر الفاطميين كي يدفعوا بذلك عن أنفسهم وسلطانهم معرفة العجز عن مقاومتهم ودفعتهم عما غابوا عليه من ديار مصر والشام والحرمين حتى اشتهر ذلك ببغداد وأسجل القضية بنفهم من نسب العلويين وشهد بذلك من أعلام الناس جماعة منهم الشربفان الرضي والمرضى وأبو حامد الاسفرايني والقنودري في عدة وافرة عند ما جمعوا لذلك في سنة اثنتين وأربعمائة أيام القادر وكانت شهادة القوم في ذلك على السماع لما اشتهر وعرف بين الناس ببغداد وأهلها انما هم شيعة بني العباس الطاعنون في هذا النسب والمتطيرون من بني على بن أبي طالب الفاعلون فيهم منذ ابتداء دولتهم الا فاعيل القبيصة فنقل الاخباريون وأهل التاريخ ذلك كما سمعوه ورووه حسب ما تلقوه من غير تدبر والحق من وراء هذا وكفاك بكتاب المعتضد من خلائف بني العباس حجة فانه كتب في شأن عبيد الله الى ابن الاغلب بالقيروان وابن مدرار بسلمجاسة بالقبض على عبيد الله ففتنطن أعزك الله لصحة هذا الشاهد فان المعتضد لولا صحة نسب عبيد الله عنده ما كتب لمن ذكرنا بالقبض عليه اذ القوم حينئذ لا يدعون لدعى البتة ولا يذعنون له بوجه وانما يتقادون لمن كان علويا يخاف مما وقع ولو كان عنده من الادعاء لما مر له بفكر ولا خافه على ضيعة من ضياع الارض وانما كان القوم أعنى بني على بن أبي طالب تحت ترقب الخوف من بني العباس لتطلبهم لهم في كل وقت وقصد هم اياهم دائما بأنواع من العقاب فصاروا ما بين طريد شريد وبين خائف يتربص ومع ذلك فان لشيعتهم الكثيرة المنتشرة في أقطارهم من المحبة لهم والاقبال عليهم مالا مزيد عليه وتكرر قيام الرجال منهم مرة بعد مرة والطلب عليهم من وراءهم فلاذوا بالاختفاء ولم يكادوا يعرفون

حقى تسمى محمد بن اسمعيل الامام جد عبيد الله المهدي بالمكتوم سماه بذلك الشيعة عند
اتفاقهم على اخفائه حذرا من المتغلبين عليهم وكانت الشيعة فرقا فمنهم من كان يذهب الى أن
الامام من ولد جعفر الصادق هو اسمعيل ابنه وهؤلاء يعرفون من بين فرق الشيعة بالاسماعيلية
من أجل أنهم يرون أن الامام من بعد جعفر ابنه اسماعيل وأن الامام بعد اسماعيل بن جعفر
الصادق هو ابنه محمد المكتوم وبعد ابنه محمد المكتوم ابنه جعفر الصادق ومن بعد جعفر الصادق
ابنه محمد الحبيب وكانوا أهل غلو في دعاويهم في هؤلاء الأئمة وكان محمد بن جعفر هذا
يؤمل ظهوره وأنه يصير له دولة وكان باليمن من أهل هذا المذهب كثير بعدد وبافريقية
وفي كتامة ونفرو تلقوا ذلك من عهد جعفر الصادق فقدم على محمد بن جعفر والد عبيد الله
رجل من شيعته باليمن فبعث معه الحسن بن حوشب في سنة ثمان وستين ومائتين فأظهرا
أمرهما باليمن وأشهرتا الدعوة في سنة سبعين وصار لابن حوشب دولة بصنعاء وبث الدعاة
بأقطار الارض وكان من جملة دعاة أبو عبد الله الشيعي فسيره الى المغرب فلقى كتامة ودعاهم
فلما مات محمد بن جعفر عهد لابنه عبيد الله فطلبه المكتفي العباسي وكان يسكن عسكر
مكرم فسار الى الشام ثم سار الى المغرب فكان من أمره ما كان وكانت رجال هذه الدولة
الذين قاموا ببلاد المغرب وديار مصر (٣) عشر رجلا هذه خلاصة أخبارهم
في أنسابهم فتفطن ولا تغتر بزخرف القول الذي لفقوه من الطعن فيهم والله يهدي من يشاء

* (ذكر الحلفاء الفاطميين) *

وكان ابتداء الدولة الفاطمية أن أبا عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكرياء الشيعي سار
الى أبي القسم الحسين بن فرج بن حوشب الكوفي القائم ببلاد اليمن وصار من كبار أصحابه
وله علم وعنده دهاء ومكر فورد على ابن حوشب من المغرب خبر موت الحلواني داعيه في
المغرب ورفيقه فقال لابي عبد الله الشيعي قد خرب الحلواني وأبو يوسف بلاد المغرب وقد
ماتوا وليس للبلاد الا أنت فانها موطأة ممهدة فخرج أبو عبد الله الى مكة وقصد حجاج كتامة
فجلس قريبا منهم وسمعهم يتحدثون بفضائل البيت فحدثهم في معناه فقالوا اليه وسأله أن يأذن
لهم في زيارته فلما زاروه سأله عن مقصده فلم يخبرهم وأوهمهم أنه يريد مصر فسرروا بصحبته
ورحلوا وهو رفيقهم فشاهدوا من عبادته وزهده ما زادهم رغبة فيه هذا وهو يسألهم عن
أحوالهم وقبائلهم حتى صار يعرف جميع أمورهم فلما وصلوا مصر هم بمفارقتهم فقالوا أي
شيء تطلب من مصر فقال أطلب التعليم بها فقالوا اذا كان قصدك هذا فبلادنا أنفع لك وما
زالوا به حتى سار معهم فلما وصلوا بلادهم اقترحوا فيمن يضيفهم منهم ومن بقية أصحابهم
ووصلوا به أرض كتامة للأنصف من ربيع الاول سنة ثمان وثمانين ومائتين وكادوا يحترقون

(٣) هكذا بياض بالأصل ولعله أربعة عشر رجلا كما يعلم من بعض التواريخ اهـ

عليه أُمهم ينزل عنده فأبى أن ينزل عندهم وقال أين يكون فجع الاخيار فعجبوا لذلك اذ لم يكونوا ذكروه له قط فدلوه عليه فسار اليه وقل هذا فجع الاخيار وما سمي الا بكم ولقد جاء في الآثار للمهدي هجرة عن الاوطان ينصره فيها الاخيار من أهل ذلك الزمان قوم اسمهم مشتق من السكتان ونجرو حاكم في هذا النج سمي فجع الاخيار فتسامعت به القبائل وأتوه فمظلم أمره وهو لا يذكر اسم المهدي البتة فبلغ خبره ابراهيم بن أحمد بن الاغلب أمير أفرقية فبعث يسأل عن خبره وكانت له معه قصص آلت الى قيام أبي عبدالله ومحاربتة لمن خلفه فظفر بهم وصارت اليه أموالهم وغلب على مدائن وهزم جيوش ابن الاغلب وقتل كثيرا من أصحابه فمت ابراهيم بن الاغلب وولى زيادة الله بن الاغلب وكان كثير اللهو فقوى أمر أبي عبدالله وانتشرت جنوده في البلاد وصار يقول المهدي يخرج في هذه الايام ويملك الارض فيأطوبى لمن هاجر الى وأطاعني ويفرى الناس بزيادة الله بن الاغلب ويعيبه وكان أكثر خواص زيادة الله شيعة فلم يكن يسوءهم ظفر أبي عبدالله وأكثر من ذكر كرامات المهدي والارسال الى أصحاب زيادة الله الى أن تمكن فبعث برجال من كتامة الى ساحية من أرض الشام فقدموا على عبيد الله وأخبروه بما فتح الله عليه وكان قد اشتهر هناك وطلبه الخليفة المكتفي فخرج من سامية غارا ومعه اسنه أبو القاسم نزار ومعهما أهلهما ومواليهما فأقاما بمصر مستترين فوردت على عيسى التوشري أمير مصر الكتب من بغداد ببيعة عبيد الله وحاميته وأنه يأخذ عليه الطريق ويقبضه فبلغ ذلك عبيد الله فخرج والاعوان في ضابه ويقال ان التوشري ظفر به فباشده الله في أمره فخلى عنه ووصله فسار الى طرابلس وقد سبق خبره الى زيادة الله فسار الى قسطنطية فقدم كتاب زيادة الله بن الاغلب الى عامل طرابلس بأخذ عبيد الله وقد فاتهم فلم يدركوه فرحل الى ساجماسة وأقام بها وقد أقيمت له المراصد بالطرقات فتألف باليسع بن مدرار صاحب ساجماسة وأهدى اليه فكف عنه ووافاه كتاب زيادة الله بالقبض على عبيد الله فلم يجد بدا من أن قبض عليه وسجنه واشتغل زيادة الله بجمع العساكر لمحاربة أبي عبدالله وتجهيزهم اليه فغلهم أبو عبدالله وغنم سائر مامهم وقتل أكثرهم وبلغه ما كان من سجن عبيد الله فكتب اليه يشمره فوصل اليه الكتاب وهو باليسجن مع قصاب دخل به اليه وهو يبيع الاحم وما زال أبو عبيد الله يضايق زيادة الله الى أن فر الى مصر وقام من بعده ابراهيم بن الاغلب فلم يتم له أمر وملك أبو عبيد الله القبروان ونزل بقرادة مستهل رجب سنة ست وتسعين ومائتين فأمر ونهى وبث العمال في الاعمال وقتل من يخاف شره وأمر فنقش على السكة في أحد الوجهين بلغت حجة الله وفي الآخر تفرق أعداء الله ونقش على السلاح عدة في سبل الله ووسم الخيل على أخذها الملك لله وأقام على ما كان عليه من لبس الخشن الدون وتناول القليل الغليظ من الطعام فلما

دخل شهر رمضان سار من رقادة في جيوش عظيمة اهتزها المغرب بأسره يريد سلجماسه فخاره اليسع يوما كاملا الى الليل ثم فر في خاصته فدخل أبو عبدالله من الغد الى البلد وأخرج عبيد الله وابنه ومشى في ركابهما بجميع رؤساء القبائل وهو يقول للناس هذا مولاكم وهو يبكي من شدة الفرح حتى وصل بهما الى فسطاط ضربه في العسكر فأترظها فيه وبعث الخيل في طلب اليسع فأدركته وجاءت به فقتله وأقام عبيد الله بسلجماسه أربعين يوما ثم سار الى أفريقية في ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ونزل برقادة وأمر يوم الجمعة أن يذكر في الخطبة وتلقب بالمهدي أمير المؤمنين فدعى له في جميع البلاد بذلك وجلس بعد الصلاة الدعاة ودعوا الناس كافة الى مذهبهم فن أجاب قبل منه ومن أبي قتل وعرض جواري زيادة الله واختار منهن لنفسه ولولده وفرق ما بقى على وجوه كتامة وقسم عليهم أعمال أفريقية ودون الدواوين وجبى الاموال ودانت له البلاد فشقى ذلك على أبي عبدالله ونافس المهدي وحسده من أجل أنه كلف يده ويد أخيه أبي العباس فعظم عليه الفطام عن الامر والنهي والاخذ والعطاء وأقبل أبو العباس يزرى على المهدي في مجلس أخيه ويؤنب أخاه على ما فعل حتى أثر في نفسه فسأل المهدي أن يفوض اليه الامور ويجلس في القصر وكان قد بلغ المهدي ما يجهر به أبو العباس من السوء في حقه فرد أبا عبدالله ردا لطيفا وأسرها في نفسه واكثر أبو العباس من قوله حتى أغرى المقدمين بالمهدي وقال ما هذا بالذي كنا نعتقد طاعته وندعو اليه لان المهدي يأتي بالآيات الباهرة فال اليه جماعة وواجه بعضهم المهدي بذلك وقال له ان كنت المهدي فأظهر لنا آية فقد شككنا فيك فبعد ما بين المهدي وبين أبي عبدالله وأوجس كل منهما في نفسه خيفة من الآخر وأخذ أبو العباس يدبر في قتل المهدي والمهدي يحل ما كان يبرمه ثم رتب رجلا فلما ركب أبو عبدالله وأخوه الى قصر المهدي نار بهما الرجال فقال أبو عبدالله لاتفعلوا فقالوا له ان الذي أمرتنا بطاعته أمرنا بقتلك فقتل هو وأخوه للنصف من جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائتين بمدينة رقادة فنارت فتنة بسبب قتلهم فركب المهدي حتى سكنت وتبع جماعة منهم فقتلهم فلما استقام له الامر عهد الى ابنه أبي القاسم وتبع بني الاعلى فقتل منهم جماعة وجهاز في سنة احدى وثلثمائة ابنه أبا القاسم بالعساكر الى مصر فأخذ برقة والاسكندرية والفيوم وكانت له مع عساكر مصر وعساكر العراق الواردة الى مصر مع مؤنس الخادم عدة حروب وعاد الى الغرب فجهز المهدي في سنة اثنتين وثلثمائة حباصة بجيوش الى مصر فغلب على الاسكندرية وكان من أمره ما تقدم ذكره وكان للمهدي ببلاد المغرب عدة حروب وكان يوجد في الكتب خروج أبي يزيد النكاري على دولته فبنى المهدي وأدار عليها سورا جعل فيها أبوابا زنة كل مصرع منها مائة قطار من حديد وكان ابتداء بنائها في ذى القعدة سنة ثلاث وثلثمائة وبني المصلى بظاهرها

وقال الى هنا يصل صاحب الحمار يعنى أبا يزيد فكان كذلك وأشأ صناعة فيها تسعمائة شونة
وقال انما بنيت هذه لتعتصم القواطع بها ساعة من نهار فكان كذلك ثم انه جهز ابنه أبا
القاسم في سنة ست وثلثمائة على جيش الى مصر فأخذ الاسكندرية وملك جزيرة الاسمونين
وكثيرا من صعيد مصر وكانت هناك حروب مع عساكر مصر والعراق ثم عاد الى المغرب
وخرج أبو القاسم في سنة خمس عشرة بالجيوش الى المغرب فحارب قوما وعاد فمات عبيد الله
في ليلة الثلاثاء منتصف شهر ربيع الاول سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة بالمهدية من القيروان
عن ثلاث وستين سنة وكانت خلافته أربعاً وعشرين سنة وشهراً وعشرين يوماً ولمسا مات
أخفى ابنه مائة وقام من بعد عبيد الله المهدي ولي عمه (القائم بأمر الله أبو القاسم محمد)
ويقال كان اسمه بالمشرق عبد الرحمن فسمى في بلاد المغرب بمحمد وذلك بسلمية في المحرم
سنة ثمانين ومائتين فلما فرغ من جميع ما يريد ونعم أن أظهر موت أبيه واستقل بالامر وله
سبع وأربعون سنة وتبع سيرة أبيه ونار عليه جماعة فظفر بهم وبث جيوشه في البر والبحر
فسبوا وغنموا من بلد جنوة وبعث جيشا الى مصر فملكوا الاسكندرية والاخشيد يومئذ
أمير مصر فلما كان في سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة خرج عليه أبو يزيد مخلد بن كندار التكري
الخارجي بأفريقية واشتدت شوكته وكثرت أتباعه وهزم جيوش القائم غير مرة وكان مذهبه
تكفير أهل الملة وارقة دماءهم فملك باجة وحرقها وقتل الأطفال وسبى النسوان ثم ملك
القيروان فاضطرب القائم وخاف الناس وهموا بالثقله من زويلة وقوى أمر أبي يزيد ونزل
المهدية وحصر القائم بها وكاد أن يغلب عليها فلما بلغ المصلي حيث أشار المهدي أنه يصل هزمه
أصحاب القائم وقتلوا كثيرا من أصحابه وكانت له قصص وأنباء الى أن مات القائم ثلاث عشرة
خلت من شوال سنة أربع وثلاثين وثلثمائة عن أربع وخمسين سنة وتسعة أشهر ولم يرق
منبرا ولا ركب دابة لصيد مدة خلافته حتى مات وصلى مرة على جنازة وصلى بالناس العيد
مرة واحدة وكانت مدة خلافته اثني عشرة سنة وستة أشهر وأياما ترك أبو الظاهر اسمعيل
وأبا عبد الله جعفر أو حمزة وعدنان وعدة آخر وقام من بعده ابنه * (المنصور بنصر الله
أبو الظاهر اسمعيل) * وكنتم موت أبيه خوفا أن يعلم أبو يزيد فانه كان قريبا منه وأبقى
الامور على حالها ولم يتسم بالخليفة ولا غير السكة ولا الخطبة ولا البنود وجد في حرب أبي
يزيد حتى ظفر به وحمل اليه فمات من جراحات كانت به سلبخ المحرم سنة ست وثلاثين وثلثمائة
ولم يزل المنصور الى أن مات سلبخ شوال سنة احدى وأربعين وثلثمائة عن احدى وأربعين
سنة وخمسة أشهر وكانت مدة خلافته ثمان سنين وقيل سبع سنين وعشرة أيام وقد اختلف
في تاريخ ولادته فقيل ولد أول ليلة من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلثمائة بالمهدية وقيل بل
ولد في سنة اثنتين وقيل سنة احدى وثلثمائة وكان خطيبا بليغا يرتجل الخطبة لوقت شجاعا

عاقلا وقام من بعده ابنه * (المعز لدين الله أبو تميم معد) * وعمره نحو أربع وعشرين سنة فانه ولد لانتصف من رمضان سنة سبع عشرة وثلاثمائة فانقاد اليه البربر وأحسن اليهم فمظم أمره واختص من مواليه بجوهر وكناه بأبي الحسين وأعلى قدره وصيره في رتبة الوزارة وعقد له على جيش كثيف فيهم الأمير زيري بن مناد الصنهاجي فدوخ المغرب وافتتح مدنا وقهر عدة أكابر وأسبهم حتى أتى البحر المحيط فأمر باصطياد سمكة منه وسيرها في قلة من ماء الى المعز اشارة الى أنه ملك حتى سكان البحر المحيط الذي لا عمارة بعده ثم قدم غائما مظفرا فعظم قدره عند المعز ولما كان في بعض الايام استدعى المعز في يوم شات عدة من شيوخ كتامة فدخلوا عليه في مجلس قد فرش بالبود وحوله كساء وعايه حبة وحوله أبواب مفتحة تفضي الى خزائن كتب وبين يديه دواة وكتب فقال يا اخواننا أصبحت اليوم في مثل هذا الشتاء والبرد فقلت لام الامراء وانها الآن بحيث تسمع كلامي أرى اخواننا يظنون أ، في مثل هذا اليوم تأكل ونشرب ونتقلب في المتقل والديباج والحرير والفنك والسمور والمسك والخمر والقباء كما يفعل أرباب الدنيا ثم رأيت أن أنفذ اليكم فأحضرتكم لتشهدوا حالي اذا خلوت دونكم واحتجبت عنكم واني لأفضايتكم في أحوالكم الا بما لا بد لي منه من دنياكم وبما خصى الله به من امامتكم واني مشغول بكتب ترد على من المشرق والمغرب أجيب عنها بخطي واني لا اشتغل بشيء من ملاذ الدنيا الا بما يصون أرواحكم ويعمر بلادكم ويذل أعداءكم ويقمع اضدادكم فافعلوا يا شيوخ في خلواتكم مثل ما فعله ولا تظهروا التكبر والتعجب فيزع الله النعمة عنكم ويثقلها الي غيركم وتحننوا على من وراءكم ممن لا يصل الى كتفني عليكم ليتصل في الناس الجميل ويكثر الخير وينتشر العدل وأقبلوا بملها على نسائكم والزمو الواحدة التي تكون لكم ولا تشبهوا الى التكبر منهم والرغبة فيهن فيتنصص عيشكم وتعود المضرة عليكم وتهلكوا أبدانكم وتذهب قوتكم وتضعف محارزكم فحسب الرجل الواحد الواحدة ونحن محتاجون الى نصرتكم بأبدانكم وعتولكم واعلموا أنكم اذا لم تتم ما أمركم به رجوت أن يقرب الله علينا أمر المشرق كما قرب أمر المغرب بكم انهضوا رحكم الله ونصركم نفرجوا عنه واستدعى يوما أبا جعفر حسين بن مهذب صاحب بيت المال وهو في وسط القصر قد جلس على صندوق وبين يديه ألوف صناديق مبددة فقال له هذه صناديق مال وقد شدت عني ترتيبها فانظرها ورتبها قال فأخذت أجمعها الى أن صارت مرتبة وبين يديه جماعة من خدام بيت المال والفراسين فأنفذت اليه أعلمه فأمر برفعها في الخزائن على ترتيبها وأن ينلق عليها ويختم بخاتمه وقال قد خرجت عن خاطئنا وصارت اليك فكانت جملة أربعة وعشرين ألف دينار وذلك في سنة سبع وخمسين وثلاثمائة فأنفقها أجمع على العساكر التي سيرها الى مصر من سنة ثمان وخمسين الى سنة اثنين وستين وثلاثمائة * ولما أخذ في تجهيز

جوهري بالعساكر الى اخذ ديار مصر حتى تهيأ أمره وبرز للمسير بعث المعز خفيقا الصقائي الى شيوخ كتامة يقول ياخواننا قد رأينا أن نفذ رجلا الى بلدان كتامة يقيمون بينهم ويأخذون صدقاتهم ومراعيهم ويحفظونها عليهم في بلادهم فاذا احتجنا اليها انفسنا خلفها فاستعنا بها على ما نحن بسبيله فقال بعض شيوخهم لخفيف لما بلغه ذلك قل لمولانا والله لافاننا هذا أبدا كيف تؤدي كتامة الجزية ويصير عليها في الديوان ضريبة وقد أعزها الله قديما بالاسلام وحديثا معكم بالايمان وسيوفنا بطاعتكم في المشرق والمغرب فعاد خفيف الى المعز بذلك فأمر باحضار جماعة كتامة فدخلوا عليه وهو راكب فرسه فقال ماهذا الجواب الذي صدر عنكم فقالوا هذا جواب جماعة ما كنا يامولانا بالذي يؤدي جزية تبقى علينا فقام المعز في ركابه وقال بارك الله فيكم فهكذا أريد أن تكونوا وانما أردت أن أختبركم فأنظر كيف أنتم بعدى فسار جوهري وأخذ مصر كما قد ذكر في ترجمته عند ذكر سور القاهرة من هذا الكتاب * فلما ثبت قدم جوهري بمصر كتب اليه المعز جوابا عن كتابه وأما ما ذكرت يا جوهري من أن جماعة بني حمدان وصلت اليك كتبهم ببذلون الطاعة ويعدون بالمسارعة في المسير اليك فاسمع لما أذكرك لك احذر ان يتبدى أحدا من آل حمدان بمكاتبة رعياله ولا ترغيبا ومن كتب اليك كتابا منهم فأجبه بالحسن الجميل ولا تستدعه اليك ومن ورد اليك منهم فأحسن اليه ولا تمكن أحدا منهم من قيادة جيش ولا ملاك طرف فبنو حمدان يتظاهرون بثلاثة أسياء عليها مدار العالم وليس لهم فيها نصيب يتظاهرون بالدين وليس لهم فيه نصيب ويتظاهرون باكرام وليس لواحد منهم كرم في الله ويتظاهرون بالشجاعة وشجاعتهم لندنيا لا لآخرة فاحذر كل الحذر من الاستناد الى أحد منهم * ولما عزم المعز على المسير الى مصر أجل فكره ففمن يخلفه في بلاد المغرب فوقع اختياره على جعفر بن علي الامير فاستدعاه وأسر اليه أنه يريد استخلافه بالمغرب فقال تترك ممي أحد أولادك وأخوتك يجلس في اقصر وأنا أدبر ولا تسألني عن شيء من الاموال لان ما أجيبه يكون بازاء ما أنفقه من الاموال واذا أردت امرا فعلته من غير أن أنتظر ورود أمرك فيه لبعد ما بين مصر والمغرب ويكون تقيد القضاء والخراج وغيره الى فغضب المعز وقال يا جعفر عزلتني عن مالي وأردت أن تجعل لي فيه شريكا في أمرى واستبددت بالاعمال والاموال دوني قم فقد أخضأت حظك وما أصبت رشدا فخرج عنه ثم انه استدعى يوسف بن زيري الصنهاجي وقال له تأهب لخلافة المغرب فكبر ذلك وقال يامولانا أنت وآبؤك الأئمة من ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ماصفا لكم المغرب فكيف يصفولي وأنا صنهاجي بربري قتلتي يامولانا بغير سيف ولا رمح فما زال به المعز حتى أجاب بشرطة أن المعز يولي القضاء والخراج لمن يراه ويختاره ويحمل الحيز لمن يثق به ويجعله قائما بين ايدي هؤلاء فمن استعصى عليهم يأمره هؤلاء به حتى يعمل به ما يجب ويكون الامر لهم

ويصير كالخادم بين أولئك فأحب المعز ما قال وشكره فلما انصرف قال أبو طالب بن القائم بأمر الله للمعز يا مولانا وثق بهذا القول من يوسف وأنه يقوم بوفاء ما ذكر فقال المعز يا عمتنا كم بين قول يوسف وقول جعفر فاعلم يا عم أن الامر الذي طلبه جعفر ابتداء هو آخر ما يصير اليه امر يوسف واذا تطاولت المدة سينفرد بالامر ولكن هذا أولا أحسن وأجود عند ذوى العقل وهو نهاية ما يفعله وكانت أم الامراء قد وجهت من المغرب صبية لتباع بمصر فعرضها وكيها في مصر للبيع وطلب فيها ألف دينار فحضر اليه في بعض الايام امرأة شابة على حمار لتقلب الصبية فساومتها فيها وابتاعها منه بمائة دينار فاذا هي ابنة الاخشيدي محمد ابن طنج وقد بلغها خبر هذه الصبية فلما رأتها شغفها حباً فاشتريتها لتستمتع بها فعاد الوكيل الى المغرب وحدث المعز بذلك فأحضر الشيوخ وأمر الوكيل فقص عليهم خبر ابنة الاخشيدي مع الصبية الى آخره فقال المعز يا اخواننا انهضوا الى مصر فلن يحول بينكم وبينها شئ فان القوم قد بلغ بهم الترف الى أن صارت امرأة من بنات الملوك فيهم تخرج بنفسها وتشتري جارية لتستمتع بها وما هذا الا من ضعف نفوس رجالهم وذهاب غيرتهم فانهضوا لمسيرنا اليهم فقالوا السمع والطاعة فقال خذوا في حوايجكم فتحن تقدم الاختيار لمسيرنا ان شاء الله تعالى وكان قيصر ومظفر الصقليان قد بلغا رتبة عظيمة عند المنصور والد المعز وكان المظفر يدل على المعز من أجل أنه علمه الخط في صغره فحرد عليه مرة وولى فسمعه المعز يتكلم بكلمة صقلبية استراب منها ولقنها منه وأنفت نفسه من السؤال عن معناها فأخذ يحفظ اللغات فابتدأ بتعلم اللغة البربرية حتى أحكمها ثم تعلم الرومية والسودانية حتى أتقنها ثم أخذ يتعلم الصقلبية فمرت به تلك الكلمة فاذا هي سب قيسح فأمر بمظفر فقتل من أجل تلك الكلمة وبلغه أمر الحرب التي كانت بين بني حسن وبني جعفر بالحجاز حتى قتل من بني حسن أكثر ممن قتل من بني جعفر فأنفذ مالا ورجالا في السر مازلوا بالطائفتين حتى اصطالحتا وتحمل الرجال عن كل منهما الحملات فجاء الفضل في القتيلى ابني حسن عند بني جعفر نحو سبعين قتيلا فأدوا عنهم وعقدوا بينهم الصلح في الحرم تجاه الكعبة وتحملوا عنهم الديات من مال المعز وكان ذلك في سنة ثمان وأربعين وثلثمائة فصارت هذه الفعلة يدا عند بني حسن للمعز فلما ملك جوهر معمر بادر حسن بن جعفر الحسنى بالدعاء للمعز في مكة وبعث الى جوهر بالحبر فسير الى المعز يعرفه بقامة الدعوة له بمكة فأنفذ اليه بتقليده الحرم وأعماله وسار المعز بعساكره من المغرب حتى نزل بالحيزة فعقد له جوهر جسراً جديداً عند المختار بالحزيرة فسار عليه وقد زينت له مدينة الفسطاط فلم يشقها ودخل الى القاهرة بجميع أولاده واخوته وسائر أولاد عبيد الله المهدي وبنوايت آباءه وذلك لسبع خلون من رمضان سنة اثنتين وستين وثلثمائة فعند ما دخل القصر صلى ركعتين فاقتمدى به من حضر وبات به ثم أصبح

فجاس للهنا وأمر فكُتِبَ في سائر مدينة مصر خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأُتِبَ اسم المعز لدين الله واسم أبيه عبد الله الأمير وجلس في القصر على السرير الذهب وصلى بالناس صلاة عيد الفطر في المصلى فسبح في كل ركعة وفي كل سجدة ثلاثين تسبيحة ثم خطب بعد الصلاة وركب لفتيح خابج مصر يوم الوفاء وعمل عيد غدير حم ومات بعض بني عمه فصلى عليه وكبر سبعاً وكبر على ميت آخر خمساً وقدمت القرامطة الى مصر ففسد بهم الحيوش وهزموهم وما زال الى أن توفي من عائلة اعتاشا بعد دخوله الى القاهرة بستين وسبعة أشهر وعشرة أيام وعمره خمس وأربعون سنة وستة أشهر تقريباً فان مولده بالمهدية في حادي عشر شهر رمضان سنة تسع عشرة وثمانمائة ووفاته بالقاهرة لاربعة عشرة خلت من ربيع الآخر سنة خمس وستين وثمانمائة وكانت مدة خلافته بالمغرب وديار مصر ثلاثاً وعشرين سنة وعشرة أيام وهو أول الخلفاء الفاطميين بمصر واليه تنسب القاهرة المعزية لان عبده جوهر القائد بناها حسب ما رسم له كما ذكر في خبر بنائها * وكان المعز عالماً فاضلاً جواداً حسن السيرة منصفاً نارعية مغرم بالنجوم أقيمت له الدعوة بالمغرب كله وديار مصر والشام والحرمين وبعض أعمال العراق * وقام من بعده ابنه (العزيز بالله أبو منصور زار) * فأقام في الخلافة احدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ونصفاً ومات وعمره اثنان وأربعون سنة وثمانية أشهر وأربعة عشر يوماً في الثامن والعشرين من رجب سنة ست وثمانين وثمانمائة بمدينة بليس وحمل الى القاهرة * وقام من بعده ابنه (الحاكم بأمر الله أبو علي منصور) * وكانت مدة خلافته الى أن فقد خمساً وعشرين سنة وشهراً وفقد وعمره ست وثلاثون سنة وسبعة أشهر في ليلة السابع والعشرين من شوال سنة احدى عشرة وأربعمائة وقد بسطت خبر العزيز والحاكم عند ذكر الجوامع من هذا الكتاب * وقام من بعده ابنه (الظاهر لاعزاز دين الله أبو الحسن علي) بن الحاكم بأمر الله ولد بالقاهرة يوم الاربعاء لعشر خلون من رمضان سنة خمس وتسعين وثمانمائة وبويع له بالخلافة يوم عيد النحر سنة احدى عشرة وأربعمائة وعمره ست عشرة سنة فخرج الى صلاة العيد وعلى رأسه المظلة وحوله العساكر وصلى بالناس في المصلى وعاد فكُتِبَ بخلافته الى الاعمال وشرب الخمر ورخص فيه للناس وفي سماع الغناء وشرب الفقاع وأكل الملوخيا وجميع الاسماك فأقبل الناس على اللهو ووزر له الخطير رئيس الرؤساء أبو الحسن عمار بن محمد وكان يلي ديوان الانشاء وغيره واستوزره الحاكم الى أن فقد فتولى البيعة الظاهر ثم قتل بعد سبعة أشهر في ربيع الاول سنة اثنى عشرة فاستوزر بعده بدر الدولة أبا الفتوح موسى بن الحسين وكان يتولى الشرطة ثم ولي ديوان الانشاء بعد ابن حيران وصرف عن الوزارة في المحرم سنة ثلاث عشرة وقبض عليه في شوال وقتل فوجد له من العين ستمائة ألف دينار

وعشرون ألف دينار وولى بعده الوزارة الامير شمس الملوك المكين مسعود بن طاهر *
وفي سنة أربع عشرة قلد منتخب الدولة الدرزي متولى قيسارية ولاية فلسطين فكانت له
مع حسان بن مفرح بن جراح الطائي حروب وفيها نزع السعر بمصر وتعدر وجود الخبز وفي
الحرم سنة خمس عشرة لقب الخادم الاسود معضاد بالقائد عز الدولة وسناتها ابي الفوارس
معضاد الظاهر وخاع عليه وثار رجل من بني الحسين ببلاد العميد فقبض عليه وأقر أنه قتل
الحاكم بأمر الله ووجد معه قطعة من جلد رأسه وقطعة من القوطة التي كانت عليه فسل
عن سبب قتله اياه فقال غرت لله وللإسلام ثم قتل نفسه بسكين كانت معه فقطعت رأسه
وسيرت الى القاهرة وفيها اشتد الغلاء بمصر وكثر نقص النيل * وفيها قرر الشريف الكبير
العجمي والشيخ نجيب الدولة الحرراي والشيخ العميد محسن بن بدوس مع القائد معضاد
أن لا يدخل على الظاهر أحد غيرهم وكانوا يدخلون كل يوم خلوة ويخرجون فيتصرفون
في سائر أمور الدولة والظاهر مشغول بلذاته وصار شمس الملوك مظفر صاحب المظلمة وابن
حيران صاحب الانشاء وداعى الدعاة ونقيب نقباء الطالبيين وقاضي القضاة ربما دخلوا على
الظاهر في كل عشرين يوما مرة ومن عداهم لا يصل الى الظاهر البتة والثلاثاء الاول هم
الذين يقضون الاشغال ويمضون الامور بعد الاجتماع عند القائد معضاد ومنع الناس من ذبح
الابقار لقاتها وعزت الاقوات بمصر وقلت البهائم كلها حتى بيع الرأس البقر بخمسين دينارا
وكثر الخوف في ظواهر البلد وكثر اضطراب الناس وتحدث زعماء الدولة بمصادرة التجار
فاختلف بعضهم على بعض وكثر ضجيج طوائف العسكر من الفقر والحاجة فلم يجابوا
وتحاسد زعماء الدولة فقبض على العميد محسن وضرب عنقه واشتد الغلاء وفشت الامراض
وكثر الموت في الناس وفقد الحيوان فلم يقدر على دجاجة ولا فروج وعز الماء لقبة الظهر فعم
البلاء من كل جهة وعرض الناس أمتعتهم للبيع فلم يوجد من يشتريها وخرج الحاج نقطع
عليهم الطريق بعد رحيلهم من بركة الحب وأخذت أموالهم وقتل منهم كثير وعاد من بقي
فلم يحج أحد من أهل مصر وتفاقم الامر في شدة الغلاء فصاح الناس بالظاهر الجوع الجوع
يا أمير المؤمنين لم يصنع بنا هذا أبوك ولا جدك قاله الله في أمرنا وطرقت عساكر بن جراح
الفرما ففر أهلها الى القاهرة وأصبح الناس بمصر على أقبح حال من الامراض والموتان
وشدة الغلاء وعدم الاقوات وكثر الخوف من الذعار التي تكبس حتى أنه لما عمل سباط عيد
النحر بالقصر كبس العبيد على السباط وهم يصيحون الجوع ونهبوا سائر ما كان عليه ونهبت
الارياض وكثر طمع العبيد ونهبهم وحرت أمور من العامة قبيحة واحتاج الظاهر الى القرض
فحمل بعض أهل الدولة اليه مالا وامتنع آخرون واجتمع نحو الالف عبد لتنهب البلد من
الجوع فنودي بأن من تعرض له أحد من العبيد فليقتله ونذب جماعة لحفظ البلد واستعد

الناس فكانت نهبات بالساحل ووقائع مع العبيد احتاج الناس فيها الى أن خندقوا عليهم خنادق وعمسوا الدروب على الازقة والشوارع وخرج معضاد في عسكر فطردهم وقبض على جماعة منهم ضرب أعناقهم وأخذ العبيد في طلب الحر حراى وغيره من وجوه الدولة فحرسوا أنفسهم وامتنعوا في دورهم وانقضت السنة والناس في أنواع من البلاء * وفي سنة ست عشرة أمر الظاهر فأخرج من بمصر من الفقهاء المالكية وغيرهم وأمر الدعاة أن يحفظوا الناس كتاب دعائم الاسلام ومختصر الوزير وجعل لمن حفظ ذلك مالا * وفي سنة سبع عشرة ثار بمصر رعاف عظيم بالناس وكثرة زيادة النيل عن العادة وتصدق الظاهر بمائة الف دينار من أجل أنه سقط عن فرسه وسلم * وفي سنة ثمان عشرة وقعت الهدنة مع صاحب الروم وخطب للظاهر في بلاده وأعاد الجامع بقسطنطينية وعمل فيه مؤذنا فأعاد الظاهر كنيسة قامة بالقدس وأذن لمن أظهر الاسلام في أيام الحاكم أن يعود الى التصراية فرجع اليها كثير منهم وصرف الظاهر وزيره عميد الدولة وناصحها أبا محمد الحسن بن صالح الروذبادى وأقام بدله ابا القاسم على بن أحمد الحر حراى * وفي سنة عشرين كانت فتنة بين المغاربة والأتراك قتل فيها كثير * وفي سنة احدى وعشرين ببيع لابن الظاهر بولاية العهد وعمره ثمانية أشهر وأنفق على ذلك في خلع لاهل الدولة وطعام ونثار للعامة ما يجمل وصفه * وفي سنة اثنتين وعشرين تحرك السعر لنقص ماء النيل ثم زاد بعد أوانه باربعة أشهر * وفي سنة ثلاث وعشرين قتل الظاهر أحد الدعاة فاضطربت الرعية والجند وتحذت الناس بخامه ثم سكنت الفتنة بعد اتفاق مال جزيل * وفي سنة أربع وعشرين ركب ولى العهد من القاهرة الى مصر وقد زينت الطرقات فكان اذا مر يقوم قبلوا له الارض ونثر يومئذ على العامة مبلغ خمسة آلاف دينار فكان يوما عظيما * وفي سنة خمس وعشرين بث الظاهر دعائه ببغداد عند اختلاف الأتراك بها فكثرت دعائه هناك واستجاب لهم خاق كثير فلما كان في سنة ست وعشرين كثر الوباء بمصر ومات الظاهر للنصف من شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة عن اثنتين وثلاثين سنة الاياما فكانت مدة خلافته خمس عشرة سنة وثمانية اشهر وأياما وكان مشغوبا باللهو محبا للغناء فتأنق الناس في أيامه بمصر واتخذوا المغنيات والرقاصات ولبغوا من ذلك مبلغا عظيما واتخذ حجرا للمالكية وعلمهم أنواع العلوم وسائر فنون الحرب واتخذ خزانة البنود وأقام فيها ثلاثة آلاف صانع وراسل الملوك واستكثر من شراء الجواهر وكانت مملكته بأفريقية ومصر والشام والحجاز وغلب صالح بن مرداس على حلب في أيامه واستولى على ما يليها وتغلب حسان بن جراح على أكثر بلاد الشام فتضمضت الدولة * وقام من بعده ابنه ولى العهد وبيع له وهو المستنصر بالله أبو تميم معد * ومولده في السادس عشر من جمادى الآخرة سنة عشرين وأربعمائة

وبويع بالخلافة للنصف من شعبان سنة سبع وعشرين وعمره يومئذ سبع سنين فأقام ستين سنة وأشهرًا في الخلافة كانت فيها أنباء وقصص شذية بديار مصر منها أن أمه كانت أمة سوداء لتاجر يهودى يقال له أبو سعد سهل بن هرون التستري فابتاعها منه الظاهر واستولدها المستنصر فلما أفضت الخلافة إليه استندت أمه أبا سعد ورقته درجة عليّة وكان الوزير يومئذ أبا القاسم الحرّراى فلم يتمكن أبو سعد من اظهار ما في نفسه حتى مات الحرّراى وتولى أبو منصور صدقة بن يوسف العلاجي الوزارة فانبسط يد أبي سعد وصار العلاجي يأتمر بأمره فعمل عليه وقتله كما ذكر في خبر خزّانة البنود فحدث أم المستنصر على العلاجي وصرفته عن الوزارة واستقر أبو البركات صفى الدين الحسين بن محمد بن احمد الحرّراى في الوزارة * وفي سنة أربعين سار ناصر الدولة الحسين بن حمدان متولي دمشق بالعساكر الى حلب وحارب متوليها ثمال بن صالح بن مرداس ثم رجع بغير طائل فقلد مظفر الصقالي دمشق وقبض على ابن حمدان وصادره واعتقله بصور ثم بالرملة وخرج أمير الامراء رفق الحادم على عسكر تباعغ عدته نحو الثلاثين الفا بلغت النفقة عليه اربعمائة الف دينار يريد الشام ومحاربة بني مرداس * وفي المحرم سنة احدى وأربعين صرف قاضى القضاة قاسم بن عبد العزيز بن النعمان عن القضاء بعد ما باشره ثلاث عشرة سنة وشهرا وأربعة أيام وتقلد وظيفة القضاء بعده القاضى الاجل خطير الملك أبو محمد البازورى * وفيها حارب رفق بن مرداس فظفروا به وأسروه فأتى بقلعة حلب فأفرج عن ابن حمدان وبقى بالحضرة وقبض على الوزير أبي البركات الحرّراى ونفى الى الشام وعمل أبو المفضل صاعد ابن مسعود واسطة لا وزيراً ثم قلد قاضى القضاة ابو محمد البازورى الوزارة مع وظيفة القضاء ولقب بسيد الوزراء * وفي سنة اثنتين وأربعين كانت حروب البحيرة واخراج بنى قرة منها وانزال بنى سنيس بعدهم بها وفيها دعا على بن محمد الصليحي باليمن للمستنصر وبعث اليه بمال النجوة والهدن * وفي سنة أربع وأربعين كتب ببغداد محاضر بالقرح في نسب الخلفاء المصريين وفتيهم من الانتساب الى على بن أبى طالب وسيرت الى الآفاق وقصر مد التيل فتحرك السعر بمصر ثم قصر أيضاً مد التيل في سنة ست وأربعين فقوى الغلاء وكثر الموت في الناس * وفي سنة ثمان وأربعين خرج أبو الحارث البساسيرى من بغداد منتحباً للمستنصر فسيرت اليه الاموال والخلع * وفي سنة ثمان وأربعين عادت حلب الى مملكة المستنصر * وفي سنة خمسين قبض على الوزير الناصر للدين أبى محمد البازورى وتقلد بعده الوزارة أبو الفرج محمد بن جعفر المغربي ابن عبد الله بن محمد وولى القضاء بعد البازورى أبو علي أحمد بن عبد الحكيم ثم صرف بميد الحاكم المديحي وفيها أخذ البساسيرى ببغداد وأقام فيها الخطبة للمستنصر وفر الخليفة القائم بأمر الله العباسى الى قریش بن بدران فبعث به الى

غاثه وسيرت ثياب القائم وعمامته وغير ذلك من الاموال الى مصر وفيها سار ناصر الدولة الى دمشق أميراً عليها * وفي سنة احدى وخمسين أقيمت دعوة المستنصر بالبصرة وواسط وجميع تلك الاعمال فقدم طغريل الى بغداد وأعاد الخليفة القائم بعد ما خطب للمستنصر ببغداد أربعون خطبة وقتل البساسيري وفيها قطعت خطبة المستنصر أيضاً من حلب فسار اليها ابن حمدان وحارب أهلها فانكسر كسرة شديدة شنيعة وعاد الى دمشق وفيها صرف أبو الفرج بن المغربي عن الوزارة وعبد الحاكم عن القضاء وأعيد الى الوزارة أبو الفرج البالي واستقر في وظيفة القضاء أحمد بن أبي زكري * وفي سنة ثلاث وخمسين كثر صرف الوزراء والقضاة وولايتهم لكثرة مخالطة الرعايا للخليفة وتقدم الاراذل بحيث كان يصل اليه في كل يوم ثمانمائة رقعة فيها المرافعات والسماعات فاشتبهت عليه الامور وتناقضت الاحوال ووقع الاختلاف بين عبيد الدولة وضعفت قوى الوزراء عن التدبير لقصر مدة كل منهم وخربت الاعمال وقل ارتفاعها وتغلب الرجال على معظمها مع كثرة النفقات والاستخفاف بالامور وطغيان الاكابر الى أن آل الامر الى حدوث الشدة العظمى كما قد ذكر في موضعه من هذا الكتاب وكان من قدوم أمير الجيوش بدر الجمالي في سنة ست وستين وأربعمائة وقيامه بسلطنة مصر ما ذكر في ترجمته عند ذكر أبواب القاهرة فلم يزل المستنصر مدة أمير الجيوش ملجماً عن التصرف الى أن مات في سنة سبع وثمانين فأقام العسكر من بعده في الوزارة ابنه الافضل شاهنشاه فباشر الامور يسيراً ومات المستنصر ليلة الخميس لليائتين بقينا من ذي الحجة سنة سبع وثمانين عن سبع وستين سنة وخمسة أشهر منها في الخلافة ستون سنة وأربعة أشهر وثلاثة أيام مرت فيها أهوال عظيمة وشدائد آلت به الى أن جلس على تخت وفقد القوات فلم يقدر عليه حتى كانت امرأة من الاشراف تتصدق عليه في كل يوم بقعب فيه فتيت فلا يأكل سواه مرة في كل يوم وقد مر في غير موضع من هذا الكتاب كثير من أخباره فلما مات المستنصر أقام الافضل بن أمير الجيوش في الخلافة من بعده ابنه (المستعلي بالله أبا القاسم أحمد) * وكان مولده في العشرين من المحرم سنة سبع وستين وأربعمائة فخالف عليه أخوه نزار وفر الى الاسكندرية وكان القائم بالامور كلها الافضل فخاربه حتى ظفر به وقتله كما تقدم في خبر أفتكين عند خزائن القصر * وفي سنة تسعين وقع بمصر غلاء ووباء وقطعت الخطبة من دمشق للمستعلي وخطب بها للعباسي وخرج الفرنج من قسطنطينية لاختذ سواحل الشام وغيرها من ايدي المسلمين فملكوا انطاكية * وفي سنة احدى وتسعين خرج الافضل بعسكر عظيم من القاهرة فأخذ بيت المقدس من الارمن وعاد الى القاهرة * وفي سنة اثنتين وتسعين ملك الفرنج الرملة وبيت المقدس فخرج الافضل بالعساكر وسار الى عسقلان فسار اليه الفرنج وقتلوه وقتلوا كثيراً من أصحابه وغنموا منه شيئاً كثيراً وحصلوه فنجاب نفسه

في البحر وصار الى القاهرة * وفي سنة ثلاث وتسعين عم الوباء أكثر البلاد فهلك بمصر عالم عظيم * وفي سنة أربع وتسعين خرج عسكر مصر لقتال الفرنج وكانت بينهما حروب كثيرة * وفي سنة خمس وتسعين وأربعمائة مات المستعلي بالله ثلاث عشرة بقية من صفر وعمره سبع وعشرون سنة وسبعة وعشرون يوما ومدة خلافته سبع سنين وشهران وفي أيامه احتلت الدولة وانقطعت الدعوة من أكثر مدن الشام فالتها صارت بين الأتراك والفرنج وصارت الاسماعيلية فرقتين فرقة نزارية تطعن في امامة المستعلي وفرقة ترى صحة خلافته ولم يكن للمستعلي مع الافضل أمر ولا نهى ولا نفوذ كلمة وقيل انه سم وقيل بل قتل سرا * فلما مات أقام الافضل من بعده في الخلافة ابنه (الآمر باحكام الله أبا على منصور) وعمره خمس سنين وشهر وأيام فقتل الافضل في أيامه وأقام في الخلافة تسعاً وعشرين سنة وثمانية أشهر ونصفا وقد ذكرت ترجمته عند ذكر الجامع الاقر في ذكر الجوامع من هذا الكتاب ولما قتل الآمر باحكام الله أقيم من بعده (الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد) ابن الامير أبي القاسم محمد بن المستنصر بالله وكان قد ولد بعسقلان في الحرم سنة سبع وقيل في سنة ثمان وتسعين وأربعمائة لما أخرج المستنصر ابنه أبا القاسم مع بقية أولاده في أيام الشدة فلذلك كان يقال له في أيام الآمر باحكام الله الامير عبد المجيد العسقلاني ابن عم مولانا * ولما قتل النزارية الخليفة الآمر أقام برغش وهزار الملوك الامير عبد المجيد في دست الخلافة ولقباه بالحافظ لدين الله وانه يكون كفيلا لمنتظر في بطن أمه من أولاد الآمر واستقر هزار الملوك وزيرا فنار العسكر وأقاموا أبا على بن الافضل وزيرا وقتل هزار الملوك ونهب شارع القاهرة وذلك كله في يوم واحد فاستبد أبو على بالوزارة يوم السادس عشر من ذي القعدة سنة أربع وعشرين وخمسائة وقبض على الحافظ وسجنه مقيدا فاستمر الى أن قتل أبو على في سادس عشر الحرم سنة ست وعشرين فأخرج من معتقله وأخذ له العهد على انه ولي عهد كفيل لمن يذكر اسمه فاتخذ الحافظ هذا اليوم عيداً سماه عيد النصر وصار يعمل كل سنة ونهبت القاهرة يومئذ وقام يانس صاحب الباب بالوزارة الى أن هلك في ذي الحجة منها بعد تسعة أشهر فلم يستوزر الحافظ بعده أحداً وتولى الامور بنفسه الى سنة ثمان وعشرين فأقام ابنه سليمان ولي عهده مقام وزير فلم تطل أيامه سوى شهرين ومات فجعل مكانه ابن حيدرة فخلق ابنه حسن وثار بالفتنة وكان من أمره ما ذكر في خبر الحارة اليانسية من هذا الكتاب فلما قتل حسن قام بهرام الارمني وأخذ الوزارة في جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وكان نصرانيا فاشتد ضرر المسلمين من النصارى وكثرت أذيتهم فسار رضوان بن ولشى وهو يومئذ متولي الغربية وجمع الناس لحرب بهرام وسار الى القاهرة فانهزم بهرام ودخل رضوان القاهرة واستولى على الوزارة في جمادى الاولى سنة احدى

وثلاثين فاقوع بالنصارى وأذلهم فشكره الناس الا أنه كان خفيفاً عجولاً فأخذ في اهانة حواشي الخليفة وهم بخامه وقال ما هو بامام وانما هو كفيل لغيره وذلك الغير لم يصح فتوحش الحافظ منه وما زال يدبر عليه حتى ثارت فتنة انهزم فيها رضوان وخرج الى الشام فجمع وعاد في سنة أربع وثلاثين فجهز له الحافظ العساكر لمحاربته فقاتلهم وانهزم منهم الى الصعيد فقبض عليه واعتقل فلم يستوزر الحافظ أحداً بعده الى أن كانت سنة ست وثلاثين فغلت الاسعار بمصر وكثر الوباء وامتد الى سنة سبع وثلاثين فعظم الوباء * وفي سنة اثنتين وأربعين خلع رضوان من معتقله بالقصر وخرج من ثقب ونار بمجماعة وكانت فتنة آلت الى قتله * وفي سنة أربع وأربعين ثارت فتنة بالقاهرة بين طوائف العسكر فقات الحافظ ليلة الخامس من جمادى الآخرة عن سبع وسبعين سنة منها مدة خلافته ثمان عشرة سنة وأربعة أشهر وتسعة عشر يوماً أصابته فيها شدائد كثيرة وكان حازماً سيوساً كثير المدارة عارفاً جماعاً للمال مغري بعلم النجوم يغلب عليه الحلم * فلما مات والفتنة قائمة أقيم ابنه (الظاهر بأمر الله أبو منصور اسمعيل) * ومولده لانتصف من ربيع الآخر سنة سبع وعشرين وخمسائة فأقام في الخلافة أربع سنين وثمانية أشهر الا خمسة أيام وكان محكوماً عليه من الوزارة وفي أيامه أخذت عسقلان فظهر الخلل في الدولة وقد ذكرت أخباره في خط الحشبية عند ذكر الخطط من هذا الكتاب * فلما قتل أقيم من بعده ابنه (الفائر بنصر الله أبو القاسم عيسى) * أقامه في الخلافة بعد مقتل أبيه الوزير عباس وعمره خمس سنين فقدم طلائع بن رزيك والي الاشمونين بجموعه الى القاهرة فقبض عباس واستولى طلائع على الوزارة وتلقب بالصالح وقام بأمر الدولة الى أن مات الفائر لثلاث عشرة بقية من رجب سنة خمس وخمسين عن احدى عشرة سنة وستة أشهر ويومين منها في الخلافة ست سنين وخمسة أشهر وأيام لم ير فيها خيراً فانه لما أخرج ليقام خليفة رأى أعمامه قتلى وسمع الصراخ فاحتل عقله وصار يصرخ حتى مات * فأقام الصالح بن رزيك في الخلافة بعده (العاقد لدين الله أبا محمد عبد الله) * ابن الامير يوسف بن الحافظ لدين الله ومولده لعشر بقين من المحرم سنة ست وأربعين وخمسائة وكان عمره يوم بويع نحو احدى عشرة سنة وقام الصالح بتدبير الامور الى أن قتل في رمضان سنة ست وخمسين كما ذكر في خبره عند ذكر الجوامع فقام من بعده ابنه رزيك بن طلائع وحسنت سيرته فعزل شاور بن مجير السعدي عن ولاية قوص فلم يقبل العزل وحشد وسار على طريق الواحات في البرية الى تروجة فجمع الناس وسار الى القاهرة فلم يثبت رزيك وفر فقبض عليه باطيش واستقر شاور في الوزارة لانيام خلت من صفر سنة ثمان وخمسين فأقام الى أن ثار ضرغام صاحب الباب فجر منه الى الشام واستبد ضرغام بالوزارة فقتل أمراء الدولة وأضعفها بسبب ذهاب

أكبرها فقدم الفرنج ونازلوا مدينة بليس مدة ودافعهم المسلمون عدة مرار حتى عادوا الى بلادهم بالساحل ورجع العسكر الى القاهرة وقد قتل منهم كثير فوصل شاور بعساكر الشام في جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين فخاربه ضرغام على بليس بعساكر مصر وكانت لهم منه معارك انهزموا في آخرها وغنم شاور ومن معه سائر ماخرجوا به وكان شيئاً جليلاً فسروا بذلك وساروا الى القاهرة فكانت بين الفريقين حروب آلت الى هزيمة ضرغام وقتله في شهر رمضان منها فاستولى شاور على الوزارة مرة ثانية واختلف مع الغز القادمين معه من الشام وكانت له معهم حروب آلت الى أن شاور كتب الى مري ملك الفرنج يستدعيه الى القاهرة ليعينه على محاربة شيركوه ومن معه من الغز فحضر وقد صار شيركوه في مدينة بليس فخرج شاور من القاهرة ونزل هو ومري على بليس وحصرا شيركوه ثلاثة أشهر ثم وقع الصلح فسار شيركوه بالغز الى الشام ورحل الفرنج وعاد شاور الى القاهرة في سنة ستين وخمسمائة فلم يزل الى أن قدم شيركوه من الشام بالعساكر مرة ثانية في ربيع الآخر فخرج شاور من القاهرة الى لقائه واستدعى مري ملك الفرنج فسار شيركوه على الشرق وخرج من اطيح فسار اليه شاور بالفرنج وكانت له معه الوقعة المشهورة فسار شيركوه بعد الوقعة من الاسمنين وأخذ الاسكندرية وعاد شاور الى القاهرة وخرج شيركوه من الاسكندرية بعد أن استخلف عليها ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب ولم يزل يسير من الاسكندرية الى قوص وهو يجبي البلاد فخرج شاور من القاهرة بالفرنج ونازل الاسكندرية فبلغ شيركوه ذلك فعاد من قوص الى القاهرة وحصرها ثم كانت أمور آخرها مسير شيركوه وأصحابه من أرض مصر الى الشام في شوال وقد طمع الفرنج في البلاد وتسلموا أسوار القاهرة وأقاموا فيها شحنة معه عدة من الفرنج لمقاسمة المسلمين مايتحصل من مال البلد وخش أمر شاور وساءت سيرته وكثر تجريبه على الدماء واتلافه للاموال فلما كان في سنة أربع وستين قوى تمكن الفرنج في القاهرة وجاروا في حكمهم بها وركبوا المسلمين بأنواع الاهانة فسار مري يريد أخذ القاهرة ونزل على مدينة بليس وأخذها عنوة فكاتب العاضد الى نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام يستصرخه ويحثه على نجدة الاسلام واتخاذ المسلمين من الفرنج فجهاز أسد الدين شيركوه في عسكر كثير وجهزهم وسيرهم الى مصر وقد أحرق شاور مدينة مصر كما تقدم ونزل مري ملك الفرنج على القاهرة وألح في قتال أهلها حتى كاد أن يأخذها عنوة فسير اليه شاور وخادعه حتى رضي بمال يجمعه له فشرع في جبايته واذا بالخبير ورد بقدم شيركوه فرحل الفرنج عن القاهرة في سابع ربيع الآخر ونزل شيركوه على القاهرة بالغز ثالث مرة تخلف عليه العاضد وأكرمه فأخذ شاور يفتك بالغز على عادته فكان من قتله ما ذكر

في موضعه وذلك في سابع عشر ربيع الآخر المذكور وتقلد شريكه وزارة العاضد وقام بالدولة شهرين وخمسة أيام ومات في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة ففوض العاضد الوزارة لصلاح الدين يوسف بن أيوب فساس الامور ودبر لنفسه فبذل الاموال وأضعف العاضد بانه تنفاد ما عنده من المال فلم يزل أمره في ازدياد وأمر العاضد في نقصان وصار يخطب من بعد العاضد للسلطان محمود نور الدين وأقطع أصحابه البلاد وأبعد أهل مصر وأضعفهم واستبد بالامور ومنع العاضد من التصرف حتى تين للناس ما يريد من ازالة الدولة الى أن كان من واقعة العيد ما ذكرنا فأبادهم وأفناهم ومن حينئذ تلاشى العاضد وانحل أمره ولم يبق له سوى اقامة ذكره في الخطبة فقط هذا وصلاح الدين يوالى الطالب منه في كل يوم ليضعفه فأتى على المال والحيل والرفيق وغير ذلك حتى لم يبق عند العاضد غير فرس واحد فطلبه منه وألجأه الى ارساله وأبطل ركوبه من ذلك الوقت وصار لا يخرج من القصر البتة وتتبع صلاح الدين جند العاضد وأخذ دور الامراء واقطاعاتهم فوهبها لاصحابه وبعث الى أبيه واخوته وأهله فقدموا من الشام عليه فلما كان في سنة ست وستين أبطل المكوس من ديار مصر وهدم دار المعونة بمصر وعمرها مدرسة للشافعية وأنشأ مدرسة أخرى للمالكية وعزل قضاة مصر الشيعة وقلد القضاء صدر الدين عبد الملك بن درباس الشافعي وجعل اليه الحكم في اقليم مصر كله فعزل سائر القضاة واستناب قضاة شافعية فتظاهر الناس من تلك السنة بمذهب مالك والشافعي رضى الله عنهما واحتق مذهب الشيعة الى نسي من مصر وأخذ في غزو الفرنج فخرج الى الرملة وعاد في ربيع الاول ثم سار الى ايلة ونازل قلعتها حتى أخذها من الفرنج في ربيع الآخر ثم سار الى الاسكندرية ولم شعث سورها وعاد وسير توران شاه فاقوع باهل الصعيد وأخذ منهم ما لا يمكن وصفه كثرة وعاد فكثرت القول من صلاح الدين وأصحابه في ذم العاضد وتحذثوا بخلعه واقامة الدعوة العباسية بالقاهرة ومصر ثم قبض على سائر من بقى من أمراء الدولة وأزل أصحابه في دورهم في ليلة واحدة فأصبح في البلد من العويل والبكاء ما يذهل وتحكم أصحابه في البلد بأيديهم وأخرج اقطاعات سائر المصريين لاصحابه وقبض على بلاد العاضد ومنع عنه سائر مواده وقبض على القصور وسلمها الى الطواشي بهاء الدين قراقوش الاسدي وجعله زمامها فضيق على أهل القصر وصار العاضد معتقلا تحت يده وأبطل من الأذان حي على خير العمل وأزال شعار الدولة وخرج بالعزم على قطع خطبة العاضد ففرض ومات وعمره احدى وعشرون سنة الا عشرة أيام منها في الخلافة احدى عشرة سنة وستة أشهر وسبعة أيام وذلك في ليلة يوم عاشوراء سنة سبع وستين وخمسمائة بعد قطع اسمه من الخطبة والدعاء للمستنجد العباسي بثلاثة أيام وكان كريما لين الجانب مرت به مخاوف وشدائد وهو

آخر الخلفاء الفاطميين بمصر وكانت مدتهم بالمغرب ومصر منذ قام عبيد الله المهدي الى
أن مات العاضد مائتي سنة واثنين وسبعين سنة وأياما بالقاهرة منها مائتان وثمانين سنة
فسيحان الباقي

ذكر ما كان عليه موضع القاهرة قبل وضعها

اعلم أن مدينة الاقليم منذ كان فتح مصر على يد عمرو بن العاص رضى الله عنه كانت
مدينة الفسطاط المعروفة في زماننا بمدينة مصر قبل القاهرة وبها كان محل الامراء ومنزل
ملكهم واليهاتيجي ثمرات الاقليم وتاوى الكافة وكانت قد بلغت من وفور العمارة وكثرة
الناس وسعة الارزاق والتفنن في أنواع الحضارة والتأنق في النعيم ما اربت به على كل
مدينة في المعمور حاشا بغداد فانها كانت سوق العالم وقد زاحمتها مصر وكادت أن تساميتها
الاقليلا ثم لما انقضت الدولة الاخشيدية من مصر واختل حال الاقليم بتوالي الفلوات
وتواتر الاوباء والفتوات حدثت مدينة القاهرة عند قدوم جيوش المغز لدين الله ابي تيم
معد أمير المؤمنين على يد عبده وكتبه القائد جوهر فنزل حيث القاهرة الآن وأناخ هناك
وكانت حينئذ رملة فيما بين مصر وعين شمس يمر بها الناس عند مسيرهم من الفسطاط
الى عين شمس وكانت فيما بين الخليج المعروف في أول الاسلام بخليج أمير المؤمنين ثم
قيل له خليج القاهرة ثم هو الآن يعرف بالخليج الكبير وبالخليج الحاكمي وبين الخليج
المعروف بالبحايم وهو الحيل الاحمر وكان الخليج المذكور فاصلا بين الرملة المذكورة
وبين القرية التي يقال لها أم دين ثم عرفت الآن بالقس وكان من يسافر من الفسطاط الى
بلاد الشام ينزل بطارف هذه الرملة في الموضع الذي كان يعرف بمنية الاصبع ثم عرف الى
يومنا بالحدق وتمر العساكر والتجار وغيرهم من منية الاصبع الى بني جعفر على غيفة
وسلمت الى بليس وبينها وبين مدينة الفسطاط أربعة وعشرون ميلا ومن بليس الى
العلاقة الى القرما ولم يكن الدرب الذي يسلك في وقتنا من القاهرة الى العريش في الرمل
يعرف في القديم وانما عرف بعد خراب تنيس والقرما وازاحة الفرنج عن بلاد الساحل
بعد تملكهم له مدة من السنين وكان من يسافر في البر من الفسطاط الى الحجاز ينزل
بجب عميرة المعروف اليوم ببركة الحب وبركة الحاج ولم يكن عند نزول جوهر بهذه الرملة
فيها بنيان سوى أماكن هي بستان الاخشيد محمد بن طفج المعروف اليوم بالكافوري من
القاهرة ودير للنصارى يعرف بدير العظام تزعم النصارى أن فيه بعض من أدرك المسيح عليه
السلام وبقي الآن بر هذا الدير وتعرف ببر العظام والعمامة تقول ببر العظمة وهي بحوار
الجامع الاقصر من القاهرة ومنها ينقل الماء اليه وكان بهذه الرملة أيضا مكان ثالث يعرف بقصر
الشوك بصيغة التصغير تنزله بنو عذرة في الجاهلية وصار موضعه عند بناء القاهرة يعرف

بقصر الشوك من جملة القصور الزاهرة هذا الذى اطاعت عليه أنه كان في موضع القاهرة قبل بنائها بعد الفحص والتفتيش وكان النيل حينئذ بشاطئ المقس يمر من موضع الساحل القديم بمصر الذى هو الآن سوق المعاريح وحمام طن والمرغة وبستان الجرف وموردة الحلفاء ومنشأة المهراي على ساحل الحمراء وهي موضع قناطر السباع فيمر النيل بساحل الحمراء الى المقس موضع جامع المقس الآن وفيما بين الخليج وبين ساحل النيل بساتين الفسطاط فاذا صار النيل الى المقس حيث الجامع الآن مر من هناك على طرف الارض التي تعرف اليوم بأرض الطبالة من الموضع المعروف اليوم بالجرف وصار الى البعل ومر على طرف منية الاصبع من غربي الخليج الى المنية وكان فيما بين الخليج والجبل مما يلي بحرى موضع القاهرة مسجد بنى على رأس ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن على بن أبي طالب ثم مسجد تبر الاخشيدي فعرف بمسجد تبر والعامه تقول مسجد التبر ولم يكن المعر من الفسطاط الى عين شمس والى الحوف الشرقي والى البلاد الشامية الابحافة الخليج ولا يكاد يمر بالرملة التي في موضعها الآن مدينة القاهرة كثير جدا ولذلك كان بها دير للنصارى الا أنه لما عمر الاخشيدي البستان المعروف بالكافورى أنشأ بجانبه ميادنا وكان كثيرا ما يقيم به وكان كافور أيضا يقيم به وكان فيما بين موضع القاهرة ومدينة الفسطاط مما يلي الخليج المذكور أرض تعرف في القديم منذ فتح مصر بالخراء القصى وهي موضع قناطر السباع وجبل يشكر حيث الجامع الطولوني وما دار به وفي هذه الحمراء عدة كنائس وديارات للنصارى خربت شيئا بعد شيء الى أن خرب آخرها في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون وجميع ما بين القاهرة ومصر مما هو موجود الآن من العماير فانه حادث بعد بناء القاهرة ولم يكن هناك قبل بنائها شيء البتة سوى كنائس الحمراء وسيأتى بيان ذلك مفصلا في موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

ذكر حد القاهرة

قال ابن عبد الظاهر في كتاب الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة الذي استقر عليه الحال أن حد القاهرة من مصر من السبع سقايات وكان قبل ذلك من المجنونة الى مشهد السيدة رقية عرضا اه والآن تطلق القاهرة على ما حازه السور الحجر الذي له من باب زويلة الكبير الى باب الفتوح وباب النصر وعرضه من باب سعادة وباب الخوذة الى باب البرقية والباب المحروق ثم لما توسع الناس في العمارة بظاهر القاهرة وبنوا خارج باب زويلة حتى اتصلت العماير بمدينة فسطاط مصر وبنوا خارج باب الفتوح وباب النصر الى أن انتهت العماير الى الريانية وبنوا خارج باب القنطرة الى حيث الموضع الذى يقال له بولاق حيث شاطئ النيل وامتدوا بالعمارة من بولاق على الشاطئ الى أن اتصلت بمنشأة المهراي وبنوا

خارج باب البرقية والباب المحروق الى سنح الجبل بطول السور فصار حينئذ العامر بالسكنى على قسمين أحدهما يقال له القاهرة والآخر يقال له مصر فلما مصر فان حدها على ما وقع عليه الاصطلاح في زمننا هذا الذي نحن فيه من حد أول قناطر السباع الى طرف بركة الحبش القبلى مما يلي بساكن الوزير وهذا هو طول حد مصر وحدها في العرض من شاطئ النيل الذى يعرف قديما بلساحل الجديد حيث فم الخليج الكبير وقنطرة السد الى أول القرافة الكبرى * وأما حد القاهرة فان طولها من قناطر السباع الى الريدانية وعرضها من شاطئ النيل ببولاق الى الجبل الاحمر وإطاق على ذلك كله مصر والقاهرة وفي الحقيقة قاهرة المعز التي أنشأها القائد جوهر عند قدومه من حضرة مولاه المعز لدين الله أبي تميم معد الى مصر في شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة انما هي ما دار عليه السور فقط غير أن السور المذكور الذى أداره القائد جوهر تغير وعمل منذ بنيت الى زمننا هذا ثلاث مرات ثم حدثت العمائر فيما وراء السور من القاهرة فصار يقال لداخل السور القاهرة ولما خرج عن السور ظاهر القاهرة وظاهر القاهرة أربع جهات الجهة القبلىة وفيها الآن معظم العمارة وحدها الجهة طولاً من عتبة باب زويلة الى الجامع الطولونى وما بعد الجامع الطولونى فانه من حد مصر وحدها عرضاً من الجامع الطيرسى بشاطئ النيل غربى المريس الى قلعة الجبل وفي الاصطلاح الآن أن القلعة من حكم مصر والجهة البحرية وكانت قبل السبعمائة من سني الهجرة وبعددها الى قبيل الوباء الكبير فيها أكثر العمائر والمساكن ثم تلاشت من بعد ذلك وطول هذه الجهة من باب الفتوح وباب النعمر الى الريدانية وعرضها من منية الامراء المعروفة في زمننا الذى نحن فيه بمنية الشيرج الى الجبل الاحمر ويدخل في هذا الحد مسجد تبر والريدانية والجهة الشرقية فانها حيث ترب أهل القاهرة ولم تحدث بها العمائر من التربة الا بعد سنة اثنتى عشرة وسبعمائة وحد هذه الجهة طولاً من باب القلعة المعروف بباب السلسلة الى ما يجاذى مسجد تبر فى سفح الجبل وحدها عرضاً فيما بين سور القاهرة والجبل والجهة الغربية فاكثر العمائر بها لم يحدث أيضاً الا بعد سنة اثنتى عشرة وسبعمائة وانما كانت بساكن وبحرا وحد هذه الجهة طولاً من منية الشيرج الى منشأة المهراني بحافة بحر النيل وحدها عرضاً من باب القنطرة وباب الخوخة وباب سعادة الى ساحل النيل وهذه الاربع جهات من خارج السور يطلق عليها ظاهر القاهرة * وتحوى مصر والقاهرة من الجوامع والمساجد والربط والمدارس والزوايا والدور العظيمة والمساكن الجليلة والمناظر البهجة والقصور الشامخة والبساتين النضرة والحمامات الفاخرة والقياسر المعمورة بأصناف الانواع والاسواق المملوءة مما تشتهى الانفس والخوانات المشحونة بالواردين والفنادق الكاظية بالسكان والتراب التي تحكى القصور ما لا يمكن حصره ولا يعرف ما هو قدره الا أن قدر ذلك بالتقريب الذى

يصدقه الاختبار طولا بريدا وما يزيد عليه وهو من مسجد تبر الى بساتين الوزير قبلى بركة الحبش وعرضا يكون نصف بريد فما فوقه وهو من ساحل النيل الى الجبل ويدخل في هذا الطول والعرض بركة الحبش وما دار بها وسطح الجرف المسمى بالرصد ومدينة الفسطاط التي يقال لها مدينة مصر والقراة الكبرى والصغرى وجزيرة الحصن المعروف اليوم بالروضة ومنشأة المهراني وقطائع ابن طولون التي تعرف الآن بمحدرة ابن قتيبة وخط جامع ابن طولون والرميلة تحت القاعة والقيبات وقاعة الجبل والميدان الاسود الذي هو اليوم مقابر أهل القاهرة خارج باب البرقية الى قبة النصر والقاهرة المعزية وهو مدار عليه السور الحجر والحسينية والريدانية والخندق وكوم الريش وجزيرة القيل وبولاق والجزيرة الوسطى المعروفة بجزيرة اروى وزربية قوصون وحكر ابن الاثر ومنشأة الكاتب والاحكار التي فيما بين القاهرة وساحل النيل وأراضي الدوق والخليج الكبير الذي تسميه العامة بالخليج الحامكي والحبانية والصليبية والتبانة ومشهد السيدة نفيسة وباب القراة وأرض الطبالة والخليج الناصري والمقس والدكة وغير ذلك مما يأتى ذكره ان شاء الله تعالى وقد أدر كننا هذه المواضع وهي عامرة والمشخة تقول هي خراب بالنسبة لما كانت عليه قبل حدوث طاعون سنة تسع وأربعين وسبع مائة الذي يسميه أهل مصر الفناء الكبير وقد تلاشت هذه الاماكن وعما الخراب منذ كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة ولله عاقبة الامور

✽ ذكر بناء القاهرة وما كانت عليه في الدولة الفاطمية ✽

وذلك أن القائد جوهر الكاتب لما قدم الجزيرة بعساكر مولاه الامام المعز لدين الله أبى تميم معد أقبل في يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من شعبان سنة ثمان وخسين وثمانمائة وسارت عساكره بعد زوال الشمس وعبرت الجسر أفواجا وجوهر في فرسانه الى اشناخ الذي رسم له المعز موضع القاهرة الآن فاستقر هناك واحتط القصر وبات المصريون فلما أصبحوا حضروا للهناء فوجدوه قد حفر أساس القصر بالليل وكانت فيه ازورارات غير معتدلة فلما شاهدها جوهر لم يعجبه ثم قال قد حفر في ليلة مباركة وساعة سعيدة فتركه على حاله وأدخل فيه دير العظام ويقال ان القاهرة اختطها جوهر في يوم السبت است بقين من جمادى الآخرة سنة تسع وخسين واختطت كل قبيلة خطة عرفت بها فزويلة بنت الحارة المعروفة بها واختطت جماعة من أهل برقة الحارة البرقية واختطت الروم حارنين حارة الروم الآن وحارة الروم الحوائية بقرب باب النصر وقصد جوهر باختطاط القاهرة حيث هي اليوم أن تصير حصنا فيما بين القرامطة وبين مدينة مصر ليقاتلهم من دونها فأدار السور الابن على مناخه الذي نزل فيه بعساكره وأنشأ من داخل السور جامعا وقصرا وأعداهم عقلا يحصن به وتنزله عساكره واحتفر الخندق من الجهة الشامية لينع اقتحام عساكر القرامطة الى

القاهرة وما وراءها من المدينة وكان مقدار القاهرة حينئذ أقل من مقدارها اليوم فإن أبوابها كانت من الجهات الاربعة ففي الجهة القبلىة التي تقضى بالسالك منها الى مدينة مصر بابان متجاوران يقال لهما بابا زويلة وموضعهما الآن بمحذاء المسجد الذى تسميه العامة بسام بن نوح ولم يبق الى هذا العهد سوى عقده ويعرف بباب القوس وما بين باب القوس هذا وباب زويلة الكبير ليس هو من المدينة التي أسسها القائد جوهر وإنما هي زيادة حدثت بعد ذلك وكان في جهة القاهرة البحرية وهي التي يسلك منها الى عين شمس بابان أحدهما باب النصر وموضعه بأول الرحبة التي قدام الجامع الحاكمي الآن وأدركت قطعة منه كانت قدام الركن الغربى من المدرسة القاصدية وما بين هذا المكان وباب النصر الآن مما زيد في مقدار القاهرة بعد جوهر والباب الآخر من الجهة البحرية باب الفتوح وعقده باق الى يومنا هذا مع عضادته اليسرى وعليه أسطر مكتوبة بالقلم الكوفي وموضع هذا الباب الآن بآخر سوق المرحلين وأول رأس حارة بهاء الدين مما يلي باب الجامع الحاكمي وفيما بين هذا العقده وباب الفتوح من الزيادات التي زيدت في القاهرة من بعد جوهر وكان في الجهة الشرقية من القاهرة وهي الجهة التي يسلك منها الى الجبل بابان أحدهما يعرف الآن بالباب المحروق والآخر يقال له باب البرقية وموضعهما دون مكانهما الآن ويقال لهذه الزيادة من هذه الجهة بين السورين وأحد البابين القديمين موجود الى الآن أسكفته وكان في الجهة الغربية من القاهرة وهي المطلة على الخليج الكبير بابان أحدهما باب سعادة والآخر باب الفرج وباب ثالث يعرف بباب الخوخة أظنه حدث بعد جوهر وكان داخل سور القاهرة يشتمل على قصرين . مع يقال لاحد القصرين القصر الكبير الشرقي وهو منزل سكنى الخليفة ومحل حرمه وموضع جلوسه لدخول المساكين وأهل الدولة وفيه الدواوين وبيت المال وخزانة السلاح وغير ذلك وهو الذى أسسه القائد جوهر وزاد فيه المعز ومن بعده من الخلفاء والآخر تجاه هذا القصر ويعرف بالقصر الغربى وكان يشرف على البستان الكافورى ويحول اليه الخليفة في أيام النيل للنزهة على الخليج وعلى ما كان اذ ذاك بجانب الخليج الغربى من البركة التي يقال لها بطن البقرة ومن البستان المعروف بالبغدادية وغيره من البساتين التي كانت تتصل بأرض اللوق وجنان الزهرى وكان يقال لمجموع القصرين القصور الزاهرة ويقال للجامع جامع القاهرة والجامع الازهر * فأما القصر الكبير الشرقي فإنه كان من باب الذهب الذي موضعه الآن محراب المدرسة الظاهرية التي انشأها الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى وكان يعلو عقد باب الذهب منظره يشرف الخليفة فيها من طاقات في اوقات معروفة وكان باب الذهب هذا هو أعظم أبواب القصر ويسلك من باب الذهب المذكور الى باب البحر وهو الباب الذى يعرف اليوم بباب قصر بشتاك مقابل المدرسة الكاملية وهو

باب البحر الى الركن الخلق ومنه الى باب الريح وقد أدركنا منه عضادتيه وأسكفته
وعليها أسطر بالقلم الكوفي وجميع ذلك مبني بالحجر الى أن هدمه الامير الوزير المشير
جمال الدين يوسف الاستادار وفي موضعه الآن قيسارية انشأها المذكور بجوار مدرسته
من رحبة باب العيد ويسلك من باب الريح المذكور الى باب الزمرذ وهو موضع
المدرسة الحجازية الآن ومن باب الزمرذ الى باب العيد وعقده باق وفوقه قبة الى
الآن في درب السلامي بخط رحبة باب العيد وكان قبالة باب العيد هذا رحبة عظيمة
في غاية الاتساع تقف فيها العساكر الكثيرة من الفارس والراجل في يومى العيدين
تعرف برحبة العيد وهى من باب الريح الى خزانة البنود وكان يلى باب العيد السفينة
وبجوار السفينة خزانة البنود ويسلك من خزانة البنود الى باب قصر الشوك وأدركت
منه قطعة من أحد جانبيه كانت تجاه الحمام التى عرفت بحمام الايدمرى ثم قيل لها
في زمننا حمام يونس بجوار المكان المعروف بخزانة البنود وقد عمل موضع هذا الباب
زقاق يسلك منه الى المارستان العتيق وقصر الشوك ودرب السلامي وغيره ويسلك
من باب قصر الشوك الى باب الديلم وموضعه الآن المشهد الحسيني وكان فيما بين قصر الشوك
وباب الديلم رحبة عظيمة تعرف برحبة قصر الشوك أوها من رحبة خزانة البنود وآخرها
حيث المشهد الحسيني الآن وكان قصر الشوك يشرف على اصطبل الطارمة ويسلك من باب
الديلم الى باب تربة الزعفران وهى مقبرة أهل القصر من الخلفاء وأولادهم ونسائهم وموضع
باب تربة الزعفران فمدق الحايي في هذا الوقت ويعرف بخط الزراكية العتيق وكان فيما بين
الديلم وباب تربة الزعفران الحوخ السبع التي يتوصل منها الخليفة الى الجامع الازهر في
اليالي الوقفات فيجلس بمنظرة الجامع الازهر ومعه حرمه لمشاهدة "الوقيد" والجمع وبجوار
الحوخ السبع اصطبل الطارمة وهو يرسم الخيل الخاص المعدة لركاب الخليفة وكان مقابل
باب الديلم ومن وراء اصطبل الطارمة الجامع المعد لاصلاة الخليفة بالناس أيام الجمع وهو الذى
يعرف في وقتنا هذا بالجامع "الازهر" ويسمى في كتب التاريخ بجامع القاهرة وقدام هذا الجامع
رحبة متسعة من حد اصطبل الطارمة الى الموضع الذى يعرف اليوم بالا كفتانيين ويسلك
من باب تربة الزعفران الى باب الزهومة وموضعه الآن باب سر قاعة مدرسة الحنابلة من
المدارس الصالحية وفيما بين تربة الزعفران وباب الزهومة دراس العلم وخزانة الدرق ويسلك
من باب الزهومة الى باب الذهب المذكور أولا وهذا هو دور القصر الشرق الكبير وكان
بحذاء رحبة باب العيد دار الضيافة وهى الدار المعروفة بدار سعيد السعداء التي هى اليوم
خانقاه للصوفية ويقابلها دار الوزارة وهى حيث الزقاق القبل لباب سعيد السعداء والمدرسة
القراسنقرية وخانقاه بيبرس وما يحاورها الى باب الجوانية وما وراء هذه الاماكن وبجوار

دار الوزارة الحجر وهي من حذاء دار الوزارة بجوار باب الجوانية الى باب النصر القديم ومن وراء دار الوزارة المناخ السعيد ويجاوره حارة العطوفية وحارة الروم الجوانية وكان جامع الخطبة الذي يعرف اليوم بجامع الحاكم خارجاً عن القاهرة وفي غربيه الزيادة التي هي باقية الى اليوم وكانت أمراء لحزن الغلال التي تدخر بالقاهرة كما هي عادة الحصون وكان في غربي الجامع الازهر حارة الديلم وحارة الروم البرانية وحارة الاتراك وهي تعرف اليوم بدرب الاتراك وحارة الباطلية وفيما بين باب الزهومة والجامع الازهر وهذه الحارات خزان القصر وهي خزانة الكتب وخزانة الاشربة وخزانة السروج وخزانة الخيم وخزانة الفرش وخزانة الكسوات وخزانة دار افتكين ودار الفطرة ودار التعبئة وغير ذلك من الخزائن هذا ما كان في الجهة الشرقية من القاهرة * وأما القصر الصغير الغربي فانه موضع المارستان الكبير المنصوري الى جوار حارة برجوان وبين هذا القصر وبين القصر الكبير الشرقي فضاء متسع يقف فيه عشرة آلاف من المساكن ما بين فارس وراجل يقال له بين القصرين ويجوار القصر الغربي الميدان وهو الموضع الذي يعرف بالخرنشف واصطبل الطارمة وبجذاء الميدان البستان الكافوري المطل من غربيه على الخليج الكبير ويجاور الميدان دار برجوان العريزي وبجذاتها رحبة الاقبال ودار الضيافة القديمة ويقال لهذه المواضع الثلاثة حارة برجوان ويقابل دار برجوان المنحدر وموضعه الآن يعرف بالدرب الاصفر ويدخل اليه من قبالة خانقاه بيبرس وفيما بين ظهر المنحدر وباب حارة برجوان سوق أمير الجيوش وهو من باب حارة برجوان الآن الى باب الجامع الحاكمي ويجاور حارة برجوان من بحريها اصطبل الحجرية وهو متصل بباب الفتوح الاول وموضع باب اصطبل الحجرية يعرف اليوم بخان الوراقه والقيصرية تجاه الجملون الصغير وسوق المرحلين وتجاه اصطبل الحجرية الزيادة وفيما بين الزيادة والمنحدر درب الفرنجية وبجوار البستان الكافوري حارة زويلة وهي تتصل بالخليج الكبير من غربيها وتجاه حارة زويلة اصطبل الجميزة وفيه خيول الخليفة أيضاً وفي هذا الاصطبل بئر زويلة وموضعها الآن قيسارية معقودة على البئر المذكورة يعملوها ربع يعرف بقيسارية يونس من خط البندقيين فكان اصطبل الجميزة المذكور فيما بين القصر الغربي من بحريه وبين حارة زويلة وموضعه الآن قبالة باب سر المارستان المنصوري الى البندقيين وبجذاء القصر الغربي من قبله مطبخ القصر تجاه باب الزهومة المذكور والمطبخ موضع الآن الصاغة قبالة المدارس الصالحية وبجوار المطبخ الحارة العدوية وهي من الموضع الذي يعرف بحمام خشبية الى حيث الفندق الذي يقال له فندق الزمام وبجوار العدوية حارة الامراء ويقال لها اليوم سوق الزجاجين وسوق الحريريين الشراريين ويجاور الصاغة القديمة حبس المعونة وهو موضع قيسارية العنبر وتجاه حبس

المعونة عقبة الصباغين وسوق القشاشين وهو يعرف اليوم بالخراطين ويجاور حبس المعونة
دكة الحسبة ودار العيار ويعرف موضع دكة الحسبة الآن بالازاريين وفيما بين دكة الحسبة
وحارتي الروم والدليم سوق السراحين ويقال له الآن الشوايين وبطرف سوق السراحين
مسجد ابن البناء الذي تسميه العامة سام بن نوح ويجاور هذا المسجد باب زويلة وكان من
هنا حارة زويلة من ناحية باب الخوخة دار الوزير يعقوب بن كلس وصارت بعده دار
الديباج ودار الاستعمال وموضعها الآن المدرسة الصالحية وما وراءها ويتصل دار الديباج
بالحارة الوزيرية وإلى جانب الوزيرية الميدان الآخر إلى باب سعادة وفيما بين باب سعادة
وباب زويلة اهراء أيضاً وسطاح هذا ما كانت عليه صفة القاهرة في الدولة الفاطمية وحدث
هذه الاماكن شيئاً بعد شيء ولم تزل القاهرة دار خلافة ومنزل ملك ومعدل قتال لا ينزلها
الا الخليفة وعساكره وخواصه الذين ينسرفهم بقربه فقط * (وأما ظاهر القاهرة من
جبهاتها الأربع) * فانه كان في الدولة الفاطمية على ما أذكر * أما الجهة القبالية وهي التي
فيما بين باب زويلة ومصر طولا وفيما بين الخليج الكبير والجيل عرضا فلها كانت قسمين
ما حاذى يمينك اذا خرجت من باب زويلة تريد مصر وما حاذى شمالك اذا خرجت منه
نحو الجيل فأما ما حاذى يمينك وهي المواضع التي تعسرف اليوم بدار التفاح وتحت الربع
والقشاشين وقطرة باب الحرق وما على حافتي الخليج من جانبيه طولا إلى الحمراء التي يقال
لها اليوم خط قناطر السباع ويدخل في ذلك سويقة عصفور وحارة الخزيين وحارة بني
سوس إلى الشارع وبركة الفيل والهلالية والحمودية إلى الصليبية ومشهد السيدة نفيسة فان
هذه الاماكن كلها كانت بساتين تعرف بجنان الزهري وبستان سيف الاسلام وغير ذلك
ثم حدث في الدولة هناك حارات لسودان وعمر الباب الجديد وهو الذي يعرف اليوم بباب
القس من سوق الطيور في الشارع عند رأس (٣) وحدثت الحارة الهلالية
والحارة الحمودية وأما ما حاذى شمالك حيث الجامع المعروف بجامع الصالح والدرب الاحمر
إلى قطائع ابن طولون التي هي الآن الرميطة والميدان تحت القلعة فان ذلك كان مقابر أهل
القاهرة * وأما جهة القاهرة الغربية وهي التي فيها الخليج الكبير وهي من باب القطر
إلى المقس وما جاور ذلك فلها كانت بساتين من غربيها النيل وكان ساحل النيل بالمقس
حيث الجامع الآن فيمر من المقس إلى المكان الذي يقال له الجرف ويمضي على شمالى
أرض الطبالة إلى البعل وموضع كوم الريش إلى المنية ومواقع هذه البساتين اليوم أراضى
اللووق والزهري وغيرها من الحكورة التي في بر الخليج الغربي إلى بركة قرموط والخور
وبولاوق وكان فيما بين باب سعادة وباب الخوخة وباب الفرج وبين الخليج فضاء لابنيان
فيه والمناظر تشرف على ما في غربي الخليج من البساتين التي وراءها بحر النيل ويخرج الناس

فيما بين المناظر والخليج للترزة فيجتمع هناك من أرباب البطالة والوهو مالا يحصى عددهم ويمر لهم هنالك من اللذات والمسرات مالا تسع الاوراق حكايته خصوصاً في أيام النيل عند ما يتحول الخليفة الى اللؤلؤة ويتحول خاصته الى دار الذهب وما جاورها فانه يكثر حينئذ الملاذ بسعة الارزاق وادرار النعم في تلك المدة كما يأتي ذكره ان شاء الله تعالى * وأما جهة القاهرة البحرية فانها كانت قسمين خارج باب الفتوح وخارج باب النصر أما خارج باب الفتوح فانه كان هناك منظر من مناظر الخلفاء وقدامها البستانان الكبيران وأولهما من زقاق الكحل وآخرهما منية مطر التي تعرف اليوم بالمطرية ومن غربي هذه المنظر في جانب الخليج الغربي منظر البعل فيما بين أرض الطباطبة والخندق وبالقرب منها مناظر الخنس وجوه والتاج ذات البساتين الانيقة المنصوبة لترزة الخليفة وأما خارج باب النصر فكان به مصلى العيد التي عمل من بعضها مصلى الاموات لاغبير والقضاء من المصلى الى الريدانية وكان بستانا عظيما ثم حدث فيما خرج من باب النصر تربة أمير الجيوش بدر الجمالي وعمر الناس التراب بالقرب منها وحدث فيما خرج عن باب الفتوح عمائر منها الحسينية وغيرها * وأما جهة القاهرة الشرقية وهي ما بين السور والجبل فانه كان قضاء ثم أمر الحاكم بأمر الله أن تلقى أثرية القاهرة من وراء السور لتمنع السيول أن تدخل الى القاهرة فصار منها الكيمان التي تعرف بكيمان البرقية ولم تزل هذه الجهة خالية من العمارة الى أن انقرضت الدولة الفاطمية فسبحان الباقي بعد فناء خلقه

ذكر ما صارت له القاهرة بعد استيلاء الدولة الايوبية عليها

قد تقدم أن القاهرة انما وضعت منزل سكنى للخليفة وحرمه وجنده وخواصه ومعقل قتال يتحصن بها ويلتجأ اليها وانها ما برحت هكذا حتى كانت السنة العظمى في خلافة المستنصر ثم قدم أمير الجيوش بدر الجمالي وسكن القاهرة وهي يباب دائرة خاوية على عروشها غير عامرة فأباح للناس من العسكرية والملحية والأرمن وكل من وصلت قسدرته الى عمارة بأن يعمر ماشاء في القاهرة مما خلا من فسطاط مصر ومات أهله فأخذ الناس ما كان هناك من أبقاض الدور وغيرها وعمرها به المنازل في القاهرة وسكنوها فن حينئذ سكنها أصحاب السلطان الى أن انقرضت الدولة الفاطمية باستيلاء السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذى في سنة سبع وستين وخمسمائة فقلها عما كانت عليه من الصيانة وجعلها بمبذلة لسكن العامة والجمهور وخط من مقدار قصور الخلافة واسكن في بعضها وتهدم البعض وازيلت معالمه وتغيرت معاهده فصارت خططا وحارات وشوارع ومسالك وأزقة ونزل السلطان منها في دار الوزارة الكبرى حتى بنيت قاعة الجبل فكان السلطان صلاح الدين يتردد اليها ويقم بها وكذلك ابنه الملك العزيز عثمان وأخوه الملك العادل أبو بكر فلما

كان الملك الكامل ناصر الدين محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب تحول من دار الوزارة الى القلعة وسكنها ونقل سوق الحيل والجبال والحير الى الرملة تحت القاعة فلما خرب المشرق والعراق بهجوم عساكر النتر منذ كان جنكزخان فى أعوام بضع عشرة وستائة الى أن قتل الخليفة المستعصم ببغداد فى صفر سنة ست وخسين وثمانمائة كثر قدوم المشاركة الى مصر وعمرت حافى الخليج الكبير وما دار على بركة الفيل وعظمت عمارة الحسينية فلما كانت ساطنة الملك الناصر محمد بن قلاون الثالثة بعد سنة احدى عشرة وسبعمائة واستجد بقاعة الجبل المبانى الكثيرة من اقصور وغيرها حدثت فيما بين القاعة وقبة النصر عدة قرب بعد ما كان ذلك المكان قضاء يعرف بالميدان لاسود وميدان القبق وتزايدت العمائر بالحسينية حتى صارت من الرندانية الى باب الفتوح وعمر جميع ما حول بركة الفيل والصلبية الى جامع ابن طولون وما جاوره الى المشهد النفسي وحكر الناس أرض الزهرى وما قرب منها وهو من قناطر السباع الى منشأة المهرانى ومن قناطر السباع الى البركة الناصرية الى اللوق الى انفس فلما حفر الملك الناصر محمد بن قلاون الخليج الناصري اتسعت الخطة فيما بين المقس والدكة الى ساحل النيل وأنشأ الناس فيها البساتين العظيمة والمساكن الكثيرة والاسواق والجوامع والمساجد والحمامات والشون وهى من المواضع التى من باب البحر خارج المقصر الى ساحل النيل المسمى ببولاق ومن بولاق الى منية الشيرج ومنه فى اقبلة الى منشأة المهرانى وعمر ما خرج عن باب زويلة بمئة ويسرة من قنطرة الخرق الى الخليج ومن باب زويلة الى المشهد النفيسى وعمرت اقراقة من باب القرافة الى بركة الحبش طولاً ومن القرافة الكبرى الى الجبل عرضاً حتى انه استجد فى أيام الناصر بن قلاون بضع وستون حكراً ولم يبق مكان يحكر وتصلت عمائر مصر والقاهرة فصارتا بلداً واحداً يشتمل على البساتين والمناظر والقصور والادور والرباع والقياسر والاسواق والفنادق والحانات والحمامات والشوارع والازقة والدروب والخطط والحارات والاحكار والمساجد والجوامع والزوايا والربط والمشاهد والمدارس والرب واثرب والحوانيت والمطابخ والشون والبرك والخمجان والجزائر والرياض والمنزهات متصلاً جميع ذلك ببعضه ببعض من مسجد تير الى بساتين الوزير قبلى بركة الحبش ومن شاطئ النيل بالجيزة الى الحيل المقطم وما زالت هذه الاماكن فى كثرة العمارة وزيادة العدد تضيق بأهلها اكثر منهم وتحتال عجايبهم لما بالغوا فى تحسينها وتأفقوا فى جودتها وتتميقها الى أن حدث الفناء الكبير فى سنة تسع وأربعين وسبعمائة نخلاً كثير من هذه المواضع وبقي كثير أدركناه فلما كانت الحوادث من سنة ست وثمانمائة وقصر جرى النيل فى مده وخربت البلاد الشامية بدخول الطاغية تيمور لك وتحريةا وقتل أهلها وارتفاع أسعار الار المصرية وكثرة الغلاء فيها وطول مدته وتلافى النقود المتعامل بها وفسادها وكثرة الحروب والفتن (م ٢٤ - خطط ني)

بين أهل الدولة وخراب الصعيد وجلاء أهله عنه وتداعي أسفل أرض مصر من البلاد الشرقية والغربية الى الخراب وانقضاء أمور ملوك مصر وسوء حال الرعية واستيلاء الفقر والحاجة والمسكنة على الناس وكثرة تنوع المظالم الحادثة من أبواب الدولة بمصادرة الجمهور وتبعية أبواب الاموال واحتجاب ما بأيديهم من المال بالقوة والفهر والغلبة وطرح البضائع مما يجز فيه السلطان وأصحابه على التجار والباعة باغلي الاثمان الى غير ذلك مما لا يتسع لاجد ضبطه ولا تسع الاوراق حكايته كثر الخراب بالامساكن التي تقدم ذكرها وعم سائرهما وصارت كيانا وخرائب موحشة مقفرة يأويها اليوم والرخم أو مستهدمة واقعة أو ايلة الى السقوط والدثور سنة الله التي قد خات في عباده وان تجدد لسنة الله تبديلا

ذكر طرف مما قيل في القاهرة ومنزهاتها

قال أبو الحسن علي بن رضوان الطيب وبلى المسطاط في العظم وكثرة الناس القاهرة وهي في شمال المسطاط وفي شرقيها أيضا الجبل المقطم يعوق عنها ريح الصبا والليل منها ابعد قليلا وجميعها مكشوف للهواء وان كان عمل فوق ربما عاق عن بعض ذلك وليس ارتفاع الابنية بها كارتفاع المسطاط لكن دونها كثيرا وأزقتها وشوارعها بالقياس الى أزقة المسطاط وشوارعها انظف وأقل وسخا وأبعد عن العفن وأكثر شرب أهلها من مياه الآبار واذا هبت ريح الجنوب أخذت من بخار المسطاط على القاهرة شيا كثيرا وقرب مياه آبار القاهرة من وجه الارض مع سخافتها موجب ضرورة أن تكون يصل اليها بالرشح من عفونة الكنف شيئا ما وبين القاهرة والمسطاط بطائع تمتلي من رشح الارض في أيام فيض النيل ويصب فيها بعض خمرات القاهرة ومياه البطائع هذه رديئة وسخة أرضها وما يصب فيها من العفونة يقتضى أن يكون البخار المرتفع منها على القاهرة والمسطاط زائدا في رداء الهواء بهما وي طرح في جنوب القاهرة قدر كثير نحو حارة الباطلية وكذلك يطرح في وسط حارة العيد الا انه اذا تأملنا حال القاهرة كانت بالاضافة الى المسطاط أعدل وأجود هواء وأصلح حالا لان أكثر عفوناتهم ترمى خارج المدينة والبخار ينحل منها أكثر وكثير أيضا من أهل القاهرة يشرب من ماء النيل وخاصة في أيام دخوله الخليج وهذا الماء يستقي بعد مسوره بالمسطاط واختلاطه بعفوناتها قال وقد اقتصر أمر المسطاط والجزيرة والجزيرة فظاهر أن اصح اجزاء المدينة الكبرى القرافة ثم القاهرة والشرف وعمل فوق مع الجمراء والجزيرة وشمال القاهرة أصح من جميع هذه لبعده عن بخار المسطاط وقربه من الشمال وأرق موضع في المدينة الكبرى هو ما كان من المسطاط حول الجامع العتيق الى مايلي النيل والسواحل والى جانب القاهرة من الشمال الخندق وهو في غور فهو يتغير أبدا لهذا السبب فاما المقدس فجاورته للنيل تجعله أرطب * وقال ابن سعيد في كتاب المغرب في حلى المغرب عن البيهقي وأما مدينة

القاهرة في الحالة الباهرة التي تفنن فيها الفاطميون وأبدعوا في بنائها واتخذوها وطناً
 لخلافتهم ومركزاً لاراجئها فنسى الفسطاط وزهد فيه بعد الاغتباط قال وسميت القاهرة
 لأنها تقهر من شذ عنها ورام مخالفة أميرها وقدروا أن منها يملكون الأرض ويستولون على
 قهر الأمم وكانوا يظهرون ذلك ويتحدثون به قال ابن سعيد هذه المدينة اسمها أعظم منها
 وكان ينبغي أن تكون في ترتيبها ومبانيها على خلاف ما عينته لأنها مدينة بنساها المعز أعظم
 خلفاء العبيدين وكان ساطانه قد عم جميع طول المغرب من أول الديار المصرية الى البحر
 الحيط وخطب له في البحرين من جزيرة عند القرامطة وفي مكة والمدينة وبلاد اليمن وما
 جاورها وقد علت كلمته وسارت مسير الشمس في كل بلدة وهبت هبوب الريح في البر والبحر
 لاسيما وقد عاين مباني أبيه المنصور في مدينة المنصورة التي الى جانب القيروان وعاين المدينة
 مدينة جده عميد الله المهدي لكن الهمة الساطانية ظاهرة على قصور الخلفاء بالقاهرة وهي
 ناطقة الى الآن بألسن الآثار والله درالقائل

هم الملوك اذا أرادوا ذكرها * من بعدهم قبائل البنيان
 ان البناء اذا تعظم شأنه * اضحى يدل على عظيم الشأن

واهتم من بعد الخلفاء المصريون بالزيادة في تلك القصور وقد عاينت فيها ايوانا يقولون
 انه بني على قدر ايوان كسرى الذي بالمدائن وكان يجلس فيه خلفاؤهم ولهم على الخليج
 الذى بين الفسطاط والقاهرة مبان عظيمة جليلة الآثار وأبصرت في قصورهم حيطانا عليها
 طاقات عديدة من الكلس والحيس ذكر لي انهم كانوا يجددون تبييضها في كل سنة والمكان
 المعروف في القاهرة بين القصرين هو من الترتيب السلطاني لان هناك ساحة متسعة للعسكر
 والمتفرجين ما بين القصرين ولو كانت القاهرة عظيمة القدر كاملة الهمة السلطانية ولكن ذلك
 أمد قليل ثم تسير منه الى أمد ضيق وتمر في ممر كدر حرج بين الدكاكين اذا ازدحت
 فيه الحيل مع الرجلة كان ذلك ما تضيق منه الصدور وتسخن منه العيون ولقد عاينت يوما
 وزير الدولة وبين يديه امراء الدولة وهو في موكب جليل وقد لقي في طريقه عجلة بقر
 تحمل حجارة وقد سدت جميع الطرق بين يدى الدكاكين ووقف الوزير وعظم الازدحام
 وكان في موضع طبّاخين والمخدان في وجه الوزير وعلى ثيابه وقد كاد يهلك المشاة وكدت
 أهلك في جملتهم وأكثر دروب القاهرة ضيقة مظلمة كثيرة التراب والازبال والمباني عاينها
 من قصب وطين مرتفعة قد ضيقت مسلك الهواء والضوء بينهما ولم أر في جميع بلاد المغرب
 أسوأ حالاً منها في ذلك ولقد كنت اذا مشيت فيها يضيق صدرى ويدركني وحشة عظيمة
 حتى أخرج الى بين القصرين * ومن عيوب القاهرة أنها في أرض التيل الاعظم ويموت
 الانسان فيها عطشا لبعدها عن مجرى النيل لئلا يصادها ويأكل ديارها واذا احتاج الانسان

الى فرجة في نياها مشى في مسافة بعيدة بظاهرها بين المباني التي خارج السور الى موضع يعرف بالمقس وجوها لايرح كدرا بما تثيره الارجل من التراب الاسود وقد قلت فيها حين أكثر على رفاقي من الحظ على العود فيها

يقولون سافر الى القاهرة * وما لي بها راحة ظاهره

زحام وضيق وكره وما * تثير بها أرجل السائر

وعند ما يقبل المسافر عليها يرى سورا أسود كدرا وجوا مغبرا فتقبض نفسه ويفر أنسه

وأحسن موضع في ظواهرها للفرجة أرض الطباله لاسيما أرض القرط والكتان فقلت

سقى الله أرضا لكسا زرت أرضها * كساها وحلاها بزيتته القرط

تجلت عروسا والمياه عتودها * وفي كل قطر من جوانبها قرط

وفيه خليج لايزال يصف بين خضرتها حتى يصير كما قال الرصافي

ما زالت الانحال تأخذه * حتى قدأ كدؤابة النجم

وقلت في ثوار الكتان على جانبي هذا الخليج

انظر الى النهر والكتان يرمقه * من جانبيه بأجفان لها حدق

رأته سيفاً عليه للصبا شطب * فقابلته بأحداق بها أرق

وأصبحت في يد الارواح تنسجها * حتى غدت حلقالا من فوقها حلق

فقم وزرها ووجه الافق متضج * أو عند صفرته ان كنت تغتبق

واعجبت في ظاهرها بركة الفيل لانهادائرة كالبدر والمناظر فوقها كالنجوم وعادة الساطان أن

يركب فيها بالليل وترج أحباب المناظر على قدر همهم وقدرتهم فيكون بذلك لها منظر عجيب

وفيه أقول

انظر الى بركة الفيل التي اكتفت * بها المناظر كالاهداب للبصر

صمانما هي والابصار ترمقها * كواسكب قد أداروها على القمر

ونظرت اليها وقد قابلتها الشمس بالقدو فقلت

انظر الى بركة الفيل التي نحرت * لها الغزالة نحرا من مطالعها

وخل طرفك محنونا بيهجتها * تهم وجدا وحبا في بدائعها

والفسطاط أكثر أرزاقا وأرخص اسعارا من القاهرة لقرب النيل من الفسطاط فالمرآكب

التي تصل بالخيرات تحط هناك وبيع ما يصل فيها بالقرب منها وليس يتفق ذلك في ساحل

القاهرة لانه بعيد عن المدينة والقاهرة هي أكثر عمارة واحتراما وحشمة من الفسطاط لانها

أجل مدارس وأضخم خانات وأعظم دنارا السكنى الامراء فيها لانها مخصوصة بالسلطنة

لقرب قلعة الجبل منها فأمور السلطنة كلها فيها ايسر وأكثر وبها الطراز وسائر الاشياء التي

تزين بها الرجال والنساء الآن في هذا الوقت لما احتفى السلطان الآن ببناء قلعة الجزيرة التي أمام الفسطاط وصيرها سرير الساطنة عظمت عمارة الفسطاط وانتقل اليها كثير من الامراء وضخمت أسواقها وبقي فيها لسلطان أمام الجسر الذي للجزيرة قيسارية عظيمة تنقل اليها من القاهرة سوق الاجناد التي يباع فيها القراء والجوخ وما أشبه ذلك ومعاملة القاهرة والفسطاط بالدرهم المعروفة بالسوداء كل درهم منها ثلث من الدرهم الناصري وفي المعاملة بها شدة وخسارة في البيع والشراء ومخاصمة مع الفريقين وكان بها في القديم الفلوس فقطعها الملك الكامل فبقيت الى الآن مقطوعة منها وهي في الاقليم الثالث وهو أوها ردى لاسيا اذا هب المريسي من جهة القبلة وأيضا رمد العين فيها كثير والمعاش فيها متعذرة زرة لاسيا أصناف الفضلاء وجوامك المدارس قليلة كدرة وأكثر ما يعيش بها اليهود والنصارى في كتابة الحراج والطب والنصارى بها يمتازون بالزناز في أوساطهم واليهود بعامة صفراء في عمامتهم ويركبون البغال ويلبسون الملابس الجليمة وما كل أهل القاهرة الدميس والصير والصحناء والبطارخ ولا تصنع النيدة وهي حلاوة القمح الا بها وبغيرها من الديار المصرية وفيها جوار طباقات أصل تعليمهن من قصور الخلفاء الفاطميين لهن في الطبخ صناعة عجبية ورياسة متقدمة ومطابخ السكر والمطابخ التي يصنع فيها الورق المنصوري مخصوصة بالفسطاط دون القاهرة ويصنع فيها من الانطاع المستحسنة ما يسفر الى الشام وغيرها ولها من الشروب الدمياطية وأنواعها ما اختصت به وفيها صناعات للقسى كثيرون متقدمون ولكن قسى دمشق بها يضرب المثل والى النهاية ويسفر من القاهرة الى الشام ما يكون من أنواع الككرانات وخرائط الجلد والسيور وما أشبه ذلك وهي الآن عظيمة أهلة بحبي اليها من الشرق والغرب والجنوب والشمال مالا يحيط بحجمته وتفصيله الا خالق الكل حل وعلا وهي مستحسنة للفقير الذي لا يخاف على طلب زكاة ولا ترسيا وعذابا ولا يطلب رفيق له اذا مات فيقال له ترك عندك مالا فربما سجن في شأنه أو ضرب وعصر والفقير المجرد فيها مستريح من جهة رخص الخبز وكثرة ووجود السماعات والفرج في ظواهرها ودواخلها وقلة الاعتراض عليه فيما تذهب اليه نفسه يحكم فيها كيف شاء من رقص في السوق أو تجريد أو سكر من حشيشة أو غيرها أو حبة المردان وما أشبه ذلك بخلاف غيرها من بلاد المغرب وسائر الفقراء لا يعترضون بالقبض للأسطول الا المغاربة فذلك وقف عليهم لمعرفتهم بمعاونة البحر فقد عم ذلك من يعرف معاونة البحر منهم ومن لا يعرف وهم في القدوم عليها بين حالين ان كان المغربي غنيا طوبى بالزكاة وضيق عليه أنفاسه حتى يفر منها وان كان مجردا فقيرا حمل الى السجن حتى يجيء وقت الاسطول وفي القاهرة ازاهير كثيرة غير منقطعة الاتصال وهذا الشأن في الديار المصرية تفضل به كثيرا من البلاد وفي اجتماع الترجس والورد فيها أقول

من فضل الترجس وهو الذى * يرضى بحكم الورد اذ يراى
أما ترى الورد غدا قاعدا * وقام في خدمته الترجس
واكثر ما فيها من الثمرات والفواكه الرمان والموز والتفاح وأما الاجاص فقليل غال وكذلك
الخوخ وفيها الورد والترجس والتسرين واللينوفر والبنفسج والياسمين والليمون الاخضر
والاصفر وأما العنب والتين فقليل غال ولكنة ما يصررون العنب في أرياف النيل لا يصل منه
الا القليل ومع هذا فشرأوه عندهم في نهاية الغلاء وعلمتها يشربون المزر الابيض المتخذ
من القمح حتى ان القمح يطلع عندهم سعره بسببه فينادى المتنادى من قبل الوالى بقطعه
وكسر أوانيها ولا ينكر فيها اظهار أواني الحمر ولا آلات الطرب ذوات الاوتار ولا تبرج
النساء العواهر ولا غير ذلك مما ينكر في غيرها من بلاد المغرب وقد دخلت في الخليج الذى
بين القاهرة ومصر ومعظم عمارته فيما يلى القاهرة قرأت فيه من ذلك العجائب وربما
وقع فيه قتل بسبب السكر فيمنع فيه الشرب وذلك فى بعض الاحيان وهو ضيق عليه في
الجهتين مناظر كثيرة العمارة بعالم الطرب والتهكم والتخالعة حتى ان المحتشمين والرؤساء
لا يجيزون العبور به فى مركب وللسرج فى جانبه بالليل منظر فتان وكثيرا ما يتفرج فيه أهل
الستر بالليل وفي ذلك أقول

لا تركب في خليج مصر * الا اذا أسدل الظلام
فقد علمت الذى عليه * من عالم كلهم طعام
صفان للحرب قد أظلا * سلاح ما بينهم كلام
ياسيدي لا تسر اليه * الا اذا هوم النيام
والليل ستر على التصايب * عليه من فضله لثام
والسرج قد بددت عليه * منها دنائير لاترام
وهو قد امتد والمباني * عليه في خدمة قيام
لله كم دوحة جنيئا * هناك اثمارها الاثام

انتهى

وفيه تحامل كثير * وقال زكي الدين الحسين من رسالة كتبها من مصر في شهر رجب سنة
اثنين وسنتين وسبعمائة الى أخيه وهو بدمشق يتشوق اليها ويذكر ما فيها من المواضع
والمنزهات ويذم من مصر بقوله فكيف يبقى لمن حبل في حصة النعيم ورياضها ويرتع في
ميادين المسرات وغياضها تلفت الى من سلمته يد الاقدار الى أرض ليست بذات قرار وبدلوا
بجنتهم ذات البان المتفاح والورق المتصادح والنشر المتقادح والماء المطاق المسلسل والنسيم
الصحيح العليل جنتين ذواتى أكل خبط وأثل وشيء من سدر قليل وتقصدهم يد القضاء

فأخذتهم بالبأساء والضراء وأوقعتهم بمصر وشموسها وجميعها وغمومها وحزونها ووعورها
وحرورها وزفيرها وسعيرها وكيانها ونيرانها وسودائها وفلاحها وملاحها ومشاربها ومسارها
ومسالكتها ومهاككتها ومحناتها وعصفورها وبوريها وعقورها ومخاوف نوروزها وحرارة
تموزها ودارس طولها ورائس اسطولها وتكدر ماثها وتكدر هواثها فلو تراهم في أرجائها
القصوى كالأباعر المهمل وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل
* فأجابه من دمشق بكتاب من جملته على لسان دمشق كانها تخاطبه ويا أيها الولد العزيز
كيف سمحت فطرتك السائمة ومروءتك الكريمة وسيرتك المستقيمة وصبرك المحافظ ودينك
المراقب الملاحظ بدم من جنيت نعمها وسكنت حرما وقت مصر وشموسها وبسقت عليها
القول من كل جانب واستمرت لها التكدير حتى في المشارب والمسابر وهلاذ كرتها وقد
باكرها نيل نيل النعيم بمغيشة بيل النسيم بكاس من تسنيمه وطما البحر عليها زاخرا فأغناها
عن بكاء السحاب وبجهيمه وعم معظم أرضها وعب عبابه في طولها وعرضها حتى كاد
يعلور فيقع قصورها ويتسور بسورته شاخ سورها ومع ذالآ تراه جسورا على ضفاف
جسورها قد طبق التهاثم والانجاد وغرق الآكام والوهاد وعلا أعلى الصميد والصعاد
وأعاد البر سلطانه مجرا بالازدياد فاذا ارتوى أوام أكباد البلاد وروى السهل والوعر
والهضاب والوهاد وذهب املق الارض بكل ملقة وخليج وانجاب عنها فاهتزت وربت
وأثبتت من كل زوج بهيج بدت روضة نضرة بأملق مقطعة كزمردة خضراء بلال
مرصعة فكم من غدير مستدير كبدر منير ودقيق مستطيل كسيف صقيل وكم من
قلب قلاب بماء كجلاب وكم من عظيم بركة حركها النسيم بلطفه وطيبها عبير عنبرها
فضمخها بكفه وزهت بزهو نيلوفرها ففرقها بعرفه وكم ترى من ملقة لبة عليها عيون
النرجس محدقة كصحن خد عروس منمقة وانوار قد دارت بمدام الندى كؤوسه
وجالت في مصراع الافراح نفوسه ونجم نجمه وابتم عروسه وسامر الرذاذ المهمل وباكره
الطل فسكره بلؤلؤه وقلده وزاره النسيم المعتل فأقامه وأقعدته ونمق أرضه وروضه
فذهبه وفضضه قد تاهت رياضها الغناء وزهت بزخرفها وزينتها الحسناء وامتد بساطها
الزمردى وانبسط مدادها الزرجدى فلا يدرك أقصاه ناظر مسافر ولا يحيط بمتنهاه
خيال ولا خاطر فله درها من روضة مزن وكعبة حسن ومقطعات بماء غير آسن وحررم
بحر لحجاج طيره آمن أتاها حجيج الطير من كل فيج عميق مايبا داعى حسنهما من كل
مكان سحبق قد امتطى ركبها متون الرياح وعلا جثمانها عالم الارواح ووصلن الادلاج
بالصباح وقطعن اجنح الليل بخفاف الجناح كأنهن الدراري السواري أو المنشآت الجواري
أو المطايا المهارى

تواصل من جو حوائض نيله * صعود على حكم الطريق نزول

رفاق تماهدين على الوفاء وتحالفن على النعماء والبلاء خرجن مهاجرات من الاوطان
 ألوف وقد من صافات كالمصلين صفوفا يقدمهن دليل كأنه امام قد قتل طرق الآفاق خبرا
 واستوى لديه الاضواء والاضلام أبصر من زرقاء اليمامة وأطير من الورقاء والهامة
 وأهدى من النجم وأشد من السهم يتناحين بلغات أعجميات مسيحات بألحان مطربات
 فظفن في حرمة الآمن واعتمرن بتلك المحاسن فتراها عند اقبال توها وحومها في جوها
 ما تستقيم خطا مستقيما وان كانت تصصف صفا عظيما فنها ما يستهل هلالا ومنها ما يحكي
 بنات نعل حلا ومنها ما يثنى بادلالة دالا ومنها ما يحط نونا نونا فيحكي حاجبا مقرونا
 ومنها ما يكتب زينا فيعدها عينا ومنها ما يصور بهم الهجاء فيشاهد مبهم السماء ومنها
 ما يائي زرافات ووحدانا فيدع في اعجابه حسنا واحسانا فكم من جبل أوزمعلق بالسماء
 يحاق الى ذلك الماء وأوانس عريسات أنيسات كيسان وصور صور كأنما حور وطير
 لغاغ مكثس بدباج مصبغ وجليل حبرج كعاج متوج وكركي عريض طويل كبير
 كبير جميل وغرر غر مفرر متغير وسيطر شديد شويطر وكم ضخمة الدسيعة جوال
 ككوهي بالقوة المنبوعة صوال ورخام مرزم كذى أمرة محتشم وجلالة نسف في الشائع اللائع
 والحاضر الواقع أجمي من النسر الطائر والواقع وعظم عقاب تم الحسن بخسنة وكل الصيدي في
 ضمنه وكمن خضاري وحرمان وباشون وشهران صنوان وغير صنوان وكمن من بط
 على شط وخاط وقطقط منقط وغر وغرنوق وكرسوغ ممشوق ونورس مستأنس وقد
 امتلأت من الآفاق وتكملت بنجو من الاملاق وشربن من جريالها فأسكرهن الاصطباح
 والاعتباق فكم من مسود كحل بخد وأزرق كلال زورد وأشقر كزهر ورد أحمر ناصع
 وأصفر فاقع وأبيض ذى خضاب عندي بلطيف منقار بقى ومبرقش ومبقع ومعمم
 ومقنع وأشقر منقش وأرقش مرشش وعودى وهندى وصيني مسنى وعينين
 كياقوتتين قدر صعتا في لحن وكمن طائر ابهي من قمر سائر بفرق مثل صبح سافر
 فتراهن في الماء صموتا وقوفا صفوفا عكوكا كصور أصنام أو حجارة مبددة في آكام وكمن
 من أطياف ظراف ملاح لطاف ذوات ألحان ونضرة ألوان وخلق وأخلاق ونطق
 وأطواق وايناس مع شماس قد ازدانت الارض بأصواتها واختلاف لغاتها وعجائب
 صفاتها فبرزت بأنواع الاعاجيب وتجلت بأجل الجلايب وابدعت في صور الاحسان
 وتصورت في بدائع الالوان فاذا بدت زرقاء في زهر كتلتها مذهبة بأزهار لبسانها مفضضة
 بنجوم احقوانها خامت السماء عليها خلعة جميل اردائها واذا فاح نثر توار قرطها شمعت
 المسك الذكي من مرطها ورأيت لآلي سمطها مبسوطة على خضر بسطها ومغالاتها

بغالية نور فولها وهزاتها اذا رفل النسيم في ذيولها قد رصت اغصانه بفصوص لجينها
ونقطته من حسنها بسواد عينها فعيونه كميون غزلاتها في فنكها وأحداقه كاحداق ولدانها
من تركها وكلها من طرة معتبرة وجبهة منورة ووجنة مزعفرة وملاءة منشورة
معصفرة وخدم مورد وطرف مهند ولماها صيغ من عقيق الشقيق وسكرها من ذلك
الريق على التحقيق واين يزوغ بشنبنها وامتداد يقطنها واين حلاوة عرائس نخلاتها
وظلاوة اوانس قلماتها بمشابهتها في صفاتها وغرائس فسيلاتها واين تضيد ظلمها وحيد فرعها
ومديد جذعها وفر جمارها عن غرة جمارها واخضرار أكلامها واحرار لثامها وبنان
يسرها المطرف وبنان نشرها المشرف وانتظام سرورها بابتسام منشورها وورد واديبها
ومنحنها وندى ندها وتمرخناها وآسى آسها وطبيب طيب انفاسها وتبرجها باترجها
وتبرجها بنارنجها وتحتنها بمختمها وتسمها عن بلسمها وتثقف أبرادها عن نهود
كبادهها وتضاعف أرجها بمضعف بنفسجها وجلالة مقدارها اذا فتحت أزرارها
عن جل نارها وطيب شميمها من اشموها ونسيمها ووسميها بأوسيمها وجنان قليوبها
وحرمان قليوبها وأحواضها ببهنها ورياضها وطربتها بمطربتها ونفيس انساها بمقسها
وغير غرسها ببلقسها وعظيم أسها بمحق مقياسها وكريم نحيها من قبل البين هبوب
أنفاسها واجتماع أسعدها وارتفاع رصدها وسواقيها الحنأة في سجمها الهتانة يسكبها
من دعمها وجنة لوقها ولجة بولاقها وبركة قبلها من بركة نياها وجزيرة ذهبها وقاعة
الجزيرة بذهبها من عجبا حكك فلحكها في بحرها واحكمت مملكته في برها وعظم
جللها بقاعة جيلها واعلاء أعلامها ببناء أهرامها واذا نظرت الى صعود صعودها الى
سميد صعيدها واغتيالها بانحطاطها الى صوب سكندريتها ودمياطها أهلك عن حسن
الزيا ومناطقها ولا تنر الجوارى المنشآت في البحر كالاعلام التي تسبق عند طياب الرياح
مفوقات السهام واعجابها بقربانها البحرية وحراقاتها الحرية وشوانها وهول مبانيها
وجلال شكلها وجمال معانيها تبدو موشاة بالنضار الاحمر منقشة باللون الاخضر فهي
كالارقم المنمر او كملون الثمر او الطاوس الذكر او النابوس لبنى الاصفر معمرة بيأس
الحديد والاحجار محمولة على سيج الماء التيار مشحونة بالرجال منصوره عند القتال
مصونة بالجن والنبال تبرز مذكرة بالآية التوحيد وتضمن احراز الهمة العلية الفتحية
حسون ارفع من اعز قلاع تطير اذا فتح لها جناح القلاع فتسبق وفد الريح الاسراع
وتفوق سرعة السحاب عند الاتساع فهن مع العقبان في النيق حوّم وهن مع البنيان في
البحر عوّم لو اقسم من رآها ولو قال مشاهد معناها ان الله نفخ فيها الروح فأحيها
لبر في يمينه التي اقسم وتلاها وكم من مركب لحسنه معجب وكم من سفين قوى امين
(م ٢٥ - خطط ني)

وخضاري جليل وعشارى طويل ومسمارى طويل جميل وفستراوى عكاوى ولكة
ودرمونه ومعديه مكينه وسلور دقيق وشختور رشيق وقرقور رقيق وزورق ذي
زواريق وطريدة بخيل الطراد معمورة دهاء بحمل الجياد والاجناد مشهورة ومخلوف
في الآفاق بالمعروف معروف وما احلى بنان رطها المخضب ورشيق قامة قصصها المقصب
وبهجة فوزها بطلح موزها وخضر اعلام اوراقها وصفر كرام اعلاقتها فلا البلاغة
تبلغ من احصاء فضائها مراما ولا الفصاحة تصوغ لوصف تشبيهها كلاما ففسأل الله تعالى
أن يكتفها بركنه الذى لا يرام ويحرسها يعنه التي لا تنام بمنه وكرمه * وقال الرئيس
شهاب الدين احمد بن محيى الدين يحيى بن فضل الله العمرى كاتب السر

لمصر فضل باهر * يعيشها الرعد النضر

في كل سفح يلتقى * ماء الحياة والخضر

وقال ابراهيم بن القاسم السكاك الملقب بالرشيق يتشوق الى مصر وقد خرج عنها
في سنة ست وثمانين وثلثمائة من قصيدة

هل الرياح ان سارت مشرقة تمرى * تؤدى تحياني الى سيا كفى مصر

فما خطرت الا بكيت صباية * وحملتها ما ضاق عن حمله صدرى

لانى اذا هبت قبولا بنشرهم * شجعت نسيم المسك من ذلك النشر

فكم لى بالاهرام اودير نية * مصايد غزلان المطايد والقفور

الى جزيرة الدنيا وما قد تضمنت * جزيرتها ذات المواخر والجسر

وبالمقس والبستان للعين منظره * انيق الى شاطئ الخليج الى القصر

وفى بر دوس مستراد وملعب * الى دير مرخنا الى ساحل البحر

فكم بين بستان الامير وقصره * الى البركة النضراء من زهر نضر

تراها كمرآة بدت في رفارف * من السندس الموشى تنشر للتجر

وكم ليلة لي بالقرافة خلتها * لما نلت من لذاتها ليلة القدر

وقال احمد بن رستم بن اسفهلار الديلمي يخاطب الوزير نجم الدين ابا يوسف بن

الحسين المجاور وتوفي في رابع عشر ذى الحجة سنة احدى وعشرين وستمائة

حي الديار بشاطئ مقياسها * فالمقسم الفياح بين دهاسها

فالروضتين وقد تنصوع عرفها * أرج البنفسج في غضارة آسها

فنازل العين المتيفة أصبحت * يغنى سناها عن سنا نراسها

تخليجها لذاته مطلوبة * تسمو محاسنه علا باناسها

حافاته عذوقة بمنازل * نزلت بها الآرام دون كناسها

وقال العلامة جلال الدين محمد الشيرازي المعروف بإمام متكلي بغا

حيا الحيا مصرا وسكانها * وياكر الوسمي كيشانها
 وجاد صوب المزن من ارضها * معاهد الانس وأوطانها
 معاهد بالانس معمورة * لم انس مهما عشت احسانها
 كم ايقظتني في ذرادوحها * عجماء لا تفقه ألحانها
 وكم نعيم قد نخلته * فيها وكم غازات غزلانها
 وعينت عيني بها اغيدا * منفس المقلّة وسنانها
 تسحر بالفتير الحافظه * كأن من بابل شيطانها
 وكم شجيت قلبي بها عادة * قد كحلت بالغنج أجفانها
 اذا دعت صبا الى حبها * لا يستطيع الصب عصيانها
 وكم ليال لي بها قد مضت * تسحب بالاعجاب أردانها
 والهف نفسي كيف شطت بها * حوادث قوض بنيانها
 فازقتها لاعن قلبي صدى * عنها فراق الروح جسمانها
 واعتضت عن غزلانها والمها * نعاج جيرون وثيرانها
 ياسائلي عن حالي بعدها * ها أنا ذا أذكر عنوانها
 ماحال من فارق اصحابه * وفارق الدنيا وجيرانها
 تقلب فوق الجمر أحشاؤه * تؤجج الاشواق نيرانها
 والعين لا تنفك من عبرة * ترسل فوق الخلد طوفانها
 ياسائق التوق يث الثرى * كمثل بث السحب تهناتها
 حي ربا مصر وجناتها * وهورها العين وولدانها
 ودورها الزهر وساحاتها * وبين قصرها وميدانها
 وأرضها الخصب أرجاؤها * ونيانها الزاهي وخلجانها
 والروضة التيحاء تلك التي * تجلو عن الإنفس احزانها
 ومنية السرج لا تنسها * وقرطها الاحوى وكتانها
 وانتاج والحس وجوه التي * اضحت من الاعين انسانها
 وحي يارق وجد بالحيا * جزيرة الفيل وغيطانها
 وبانها الفض ونسرينها * ووردها البكر وربحانها
 وظلها الضافي وأزهارها * وماءها الصافي وغدرانها
 والمعهد المائوس من ربها * وحي أهلها وسكانها

لم أنس لا أنسى اصطباحي بها * ولا اغتباقي وإبائها
 ولا أويقات التصابي ولا * تلك الخلاعات وأزمانها
 أيام لا انفك من صبوة * أهوى اللذات وإعلانها
 أخطرتها في رياض الضبا * مرغ الاعطاف كسلانها
 وخيل لهُوى في ميادينها * تخرج الصبوة أرسالها
 ودوحي ناضرة غضة * تعطف ريح اللهو أغصانها
 حاشى أن أنقض عهدا لها * حاشى أن أصبح خوانها
 حاشى أن أهجرها قاليا * حاشى أن أحدث سلوانها
 حاشى أن أرضى بديلا بها * روابي الشام وقبعائها
 وماءها الثج وحصباءها * وصخرها الصلد وصوانها
 قد ناقت النفس الى الفها * وحشت الاشواق أطعناها
 وأدعيت في البعد أحبابها * فهيج التبريح أشجانها
 وما لها غيرك من ملتجا * يا أوحده الدنيا وإنسانها
 ذكر ما قيل في مدة بقاء القاهرة ووقت خرابها

قل العارف محي الدين محمد بن العربي الطائي الحاتمي في الملحة المنسوبة اليه قاهرة
 عمر في - سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ونحرب سنة ثمانين وسبعمائة ووقفت لها على شرح لم
 أعرف تصنيف من هو فانه لم يسم في النسخة التي وقفت عليها وهو شرح لطيف قليل الفائدة
 فانه ترك كلام المصنف فيما مضى على ما هو معروف في كتب التاريخ ولم يبين مراده فيما
 يستقبل وكانت الحاجة ماسة الى معرفة ما يستقبل أكثر من المعرفة بحال ماضى لكن
 أخبرني غير واحد من الثقات أنه وقف هذه الملحة على شرح كبير في مجلدين قال هذا
 الشارح كانت بداية عمارة القاهرة واليران في شرفهما الشمس في برج الحمل والقمر في برج
 الثور وهو برج ثابت قال فعمر القاهرة ومدتها أربعمائة واحد وستون سنة قال في الاصل
 واذا نزل زحل برج الجوزاء عزت الاقوات بمصر وقل أغنيائهم وكثر فقرائهم ويكون
 الموت فيهم ويخرج أهل برقة عن أوطانهم لاسيا اذا قارن زحل الجوزهر فان الحال يكون
 أشد وأقوى قال الشارح كان ذلك في سنة أربع وستين وستمائة في أيام الملك الظاهر ركن
 الدين بيبرس فانه نزل زحل برج الجوزاء فوق الغلاء وفي آخر سنة أربع وأول سنة خمس
 وتسعين وستمائة في أيام الملك العادل كتبغا حل زحل في برج الجوزاء وكان معه الجوزهر
 فكانت أشد وأقوى وكثر الغلاء والوباء قال سئل المعز عن الترك ما هم فقال قوم مسامون
 يأمرؤن بالمعروف وينهؤن عن المنكر وقيمون الحدود والواجبات ويقاتلون في سبيل الله

أعداء الله فقيل له أطول مدتهم قال لا تطول مدتهم قيل فكيف يكون زوالهم قال يكون هكذا وكان الى جانبه طبق كيزان فخرته حركة شديدة فنكسرت الكيزان فقال هكذا يكون زوالهم يقتل بعضهم بعضا قال

احذر بني من القرن العاشر * وارحل بأهلك قبل تقرر الناقر

قال الشارح أول القرن العاشر في سنة خمس وثمانين وسبعمائة وفيه تكون حالات رديئة بأرض مصر وهذا يوافق ما في القول عن القاهرة وتخرب في سنة خمس وثمانين وسبعمائة يعني بداية انحطاطها من سنة خمس وثمانين وسبعمائة التي فيها القرن العاشر وثبتت في عشرين سنة التي هي أيام القرن وقد ذكر في الربع الآخر أربع مائة واحد وستين سنة وقد تخيلات انها مدة عمر القاهرة فاذا زدتها على تاريخ عمارتها باع ذلك ثمانمائة وتسع عشرة سنة وفي ذلك الوقت يكون زوالها وهو ما بين سنة ثمانين وسبعمائة الى سنة تسع عشرة وثمانمائة ويكون ذلك سببه قحط عظيم وقلة خير وكثرة شر حتى تخرب ويضف أهلها قال قران زحل والمريخ في برج الجدى يكون في سنة سبعين وسبعمائة فتعد لكل مائة سنة من سنى الهجرة ثلاث سنين فيكون ثلاثا وعشرين سنة تزيدها على سبعمائة وسبعين سنة تبلغ سبعمائة وثلاثا وتسعين سنة ففي مثلها من سنى الهجرة يكون أول أوقات خراب القاهرة انتهى * وتهذب هذا القول أن زحل كلما حل برج الجوزاء اتضعت أحوال مصر وقلت أموالهم وكثر الغلاء والفناء عندهم بحسب الاوضاع الفلكية وزحل يحل في برج الجوزاء كل ثلاثين سنة شمسية فيقيم فيه نحو من ثلاثين شهرا وانت اذا اعتبرت أمور العالم وجدت الحل كما ذكرنا فانه كلما حل زحل برج الجوزاء وقع الفناء بمصر وذكر ان القرن العاشر تنضع فيه أحوال القاهرة ورأينا الامر كما ذكرنا فان القرن العاشر كان في سنة ست وثمانين وسبعمائة ومدة سنيه عشرون سنة شمسية آخرها سابع عشر رجب سنة سبع وثمانمائة وفي هذه المدة انضع حال القاهرة وأهلها انضاغا قبيحا ومن الاوقات المخذورة لها أيضا اقتران زحل والمريخ في برج السرطان ويكون ذلك في كل ثلاثين سنة شمسية ويقترنان في سنة ثمان عشرة وثمانمائة وفي مدته تنقضي الاربعمائة والاحدى والستون سنة التي ذكر أنها عمر القاهرة في سنة تسع عشرة وثمانمائة وشواهد الحال اليوم تصدق ذلك لما عليه أهل القاهرة الآن من الفقر والفاقة وقلة المال وخراب الضياع والقرى وتداعى الدور للسقوط وشمول الخراب أكثر معمور القاهرة واختلاف أهل الدولة وقرب انقضاء مدتهم وغلاء سائر الاسعار ولقد سمعت عن يرجع اليه في مثل ذلك أن العمارة تنقل من القاهرة الى بركة الحبش فيصير هناك مدينة والله تعالى أعلم

ذكر مسالك القاهرة وشوارعها على ما هي عليه الآن

وقبل أن نذكر خطط القاهرة فلنبتدي بذكر شوارعها ومسالكها المسلوكة منها الى
الازقة والحارات لتعرف بها الحارات والخطط والازقة والدروب وغير ذلك مما ستنف
عليه ان شاء الله تعالى * فالشارع الاعظم قصبة القاهرة من باب زويلة الى بين القصرين عليه
باب الخرنفش أو الخرنش ومن باب الخرنفش ينفرق من هناك طريقان ذات اليمين ويسلك
منها الى الركن الخلق ورحبة باب العيد الى باب النصر وذات اليسار ويسلك منها الى الجامع
الاقمر والى حارة برجوان الى باب الفتوح فاذا ابتداء السالك بالدخول من باب زويلة فانه
يجد بمئة انزقاق الضيق الذي يعرف اليوم بسوق الخايعين وكان قديما يعرف بالخشايعين ويسلك
من هذا الزقاق الى حارة الباطلية وخوخة حارة الروم البرانية ثم يسلك الداخل أمامه
فيجد على يسرته سجن متولى القاهرة المعروف بمخزاة شمائل وقيسارية سنقر الاشقر
ودرب الصفيرة ثم يسلك أمامه فيجد على يمينه حمام الفاضل الممدة لدخول الرجال وعلى
يسرته تجاه هذه الحمام قيسارية الامير بهاء الدين وعلان الدوادار الناصري الى أن ينتهي بين
الحوانيت والرباع فوقها الى بابي زويلة الاول ولم يبق منهما سوى عقد أحدهما ويعرف الآن
بباب القوس ثم يسلك أمامه فيجد على يسرته الزقاق المسلوكة فيه الى سوق الحدادين
والحجارين المعروف اليوم بسوق الانماطين وسكن الانماطين الى المحمودية والى سوق الاخفافيين
وحارة الجودرية والصوافين والقصارين والنحايين وغير ذلك ويجد تجاه هذا الزقاق عن
يمينه المسجد المعروف قديما بابن البناء وتسميه العامة الآن بسام بن نوح وهو في وسط سوق
الغرابيين والمناخليين ومن معهم من الضبييين ثم يسلك أمامه فيجد سوق السراجيين ويعرف
اليوم بالشوابين وفي هذا السوق على يمينه الجامع النظارى المعروف بجامع المكاهين ومجانبه
الزقاق المسلوكة منه الى حارة الديلم وسوق القفاصين وسوق الطيورين والاكتفانيين القديمة
المعروفة الآن بسكنى دقاق الثياب ويجد على يسرته الزقاق المسلوكة منه الى حارة الجودرية
ودرب كركامة ودكة الحسبة المعروفة قديما بسوق الحدادين وسوق الوراقين القديمة والى
سوق القاميين المعروف اليوم بالابازرة والى غير ذلك ثم يسلك أمامه الى سوق الحلاويين
الآن فيجد عن يمينه الزقاق المسلوكة فيه الى سوق الكعكيين المعروف قديما بالقطانيين وسكنى
الاساكفة والى بابي قيسارية جهار كس وعن يسرته قيسارية الشرب ثم يسلك أمامه الى
سوق الشرايشين المعروف قديما بسكن الحالبين وعن يمينه درب قيطون ثم يسلك أمامه
شاقا في سوق الشرايشين فيجد عن يمينه قيسارية أمير على ويجد عن يسرته سوق الجملون
الكبير المسلوكة فيه الى قيسارية ابن قريش والى سوق العطارين والوراقين والى سوق
الكفتيين والصيارف والاخفافيين والى بئر زويلة والبندقانيين والى غير ذلك ثم يسلك أمامه

فيجد عن يمينه الزقاق المسلوک فيه الى سوق الفرائين الآن وكان يعرف أولاً بدرب البيضاء
 والى درب الاسواني والى الجامع الازهر وغير ذلك ويجد عن يسره قيسارية بنى اسامة
 ثم يسلك أمامه شاقافي سوق الجوخين والنجمين فيجد عن يمينه قيسارية السروج وعن
 يسره قيسارية (٣) ثم يسلك أمامه الى سوق السقطيين والمهازيين فيجد عن يمينه درب
 الشمسي ويقابله باب قيسارية الامير علم الدين الحياط وتعرف اليوم بقيسارية العصفر ثم يسلك
 أمامه شاقافي السوق المذكور فيجد عن يمينه الزقاق المسلوک فيه الى سوق القشاشين وعقبة
 الصباغين المعروف اليوم بالخراطين والى سوق الخيميين والى الجامع الازهر وغير ذلك
 ويجد قبالة هذا الزقاق عن يسره قيسارية العنبر المعروفة قديماً بجبس المعونة ثم يسلك
 أمامه فيجد على يسره الزقاق المسلوک فيه الى سوق الوراقين وسوق الحريريين الشراريين
 المعروف قديماً بسوق الصاغة القديمة والى درب شمس الدولة والى سوق الحريريين والى
 بر زويلة والبنداقين والى سويقة الصاحب والحارة الوزيرية والى باب سعادة وغير ذلك
 ثم يسلك أمامه شاقافي بعض سوق الحريريين وسوق المتعشين وكان قديماً سكنى الدجاجين
 والكعكيين وقبل ذلك أولاً سكنى السيوفيين فيجد عن يمينه قيسارية الصناديقين وكانت قديماً
 تعرف بفندق البابليين ويجد عن يسره مقابلها دار المأمون البطائحي المعروفة بمدرسة
 الحنفية ثم عرفت اليوم بالمدرسة السيوفية لأنها كانت فى سوق السيوفيين ثم يسلك أمامه فى
 سوق السيوفيين الذي هو الآن سوق المتعشين فيجد عن يمينه خان مسرور وحجرتى الرقيق
 ودكة الممالك بينهما ولم تزل موضعاً لجلوس من يمرض من الممالك الترك والروم ونحوهم
 لبيع الى أوائل أيام الملك الظاهر برفوق ثم بطل ذلك ويجد عن يسره قيسارية الرماحين
 وخان الحجر ويعرف اليوم هذا الخط بسوق باب الزهومة ثم يسلك أمامه فيجد عن يسره
 الزقاق والسباط المسلوک فيه الى حمام خشبية ودرب شمس الدولة والى حارة العدوية المعروفة
 اليوم بفندق الزمام والى حارة زويلة وغير ذلك ويجد بعد هذا الزقاق قريباً منه فى صفه
 درب السلسلة ومن هنا ابتداء خط بين القصرين وكان قديماً فى أيام الدولة الفاطمية مراحا
 واسعاً ليس فيه عمارة ألبتة يقف فيه عشرة آلاف فارس والقصران هما موضع سكنى الخليفة
 أحدهما شرقي وهو القصر الكبير وكان على يمينه السالك من موضع خان مسرور طالبا باب
 النصر وباب الفتوح وموضعه الآن المدارس الصالحية النجمية والمدرسة الظاهرية الركنية
 وما فى صفها من الحوانيت والرباع الى رحبة العيد وما وراء ذلك الى البرقية ويقابل هذا
 القصر الشرقي القصر الغربي وهو القصر الصغير ومكانه الآن المارستان المنصوري وما فى
 صفه من المدارس والحوانيت الى تجاه باب الجامع الاقرب فاذا ابتداء السالك بدخول بين
 القصرين من جهة خان مسرور فانه يجد على يسره درب السلسلة ثم يسلك أمامه فيجد

على يمينه الزقاق المسلولك فيه الى سوق الامشاطيين المقابل لمدرسة الصالحية التي للحنفية والحنابلة
والى الزقاق الملاصق لسور المدرسة المذكورة المسلولك فيه الى خط الزراشة العتيق حيث
خان الحلي وخان منجك والى الخوخ السبع حيث الآن سوق الابارين والى الجامع الازهر
والى المشهد الحسيني وغير ذلك ثم يسلك أمامه شاقفي سوق السيوفيين الآن فيجد على
يساره دكاكين السيوفيين وعلى يمينه دكاكين النقلين ظاهر سوق الكتبيين الآن وعلى يساره
سوق الصيارف برأس باب الصاغة وكان قديماً مطبخ القصر قبالة باب الزهومة ثم يسلك
أمامه فيجد على يمينه باب المدارس الصالحية تجاه باب الصاغة ثم يسلك أمامه فيجد عن يمينه
القبه الصالحية وبجوارها المدرسة الظاهرية الركنية ويوجد على يساره باب المارستان المنصوري
وفي داخله القبه المنصورية التي فيها قبور الملوك وتحت شبابيكها ذلك القفيات التي فيها
الخواتيم ونحوها فيما بين القبه المذكورة والمدرسة الظاهرية المذكورة وفي داخله أيضاً
المدرسة المنصورية وتحت شبابيكها أيضاً ذلك القفيات فيما بين شبابيكها وشبابيك المدرسة
الصالحية التي للشافعية والمالكية وتحتها خيمة الغلمان بجوار قبه الصالح وفي داخله أيضاً المارستان
الكبير المنصوري المتوصل من باب سره الى حارة زويلة والى الخرنشف والى الكافورى
والى السندقانيين وغير ذلك ثم يسلك من باب المارستان فيجد على يمينه سوق السلاح والنشابين
الآن تحت الربع المعروف بوقف أمير سعيد ويوجد على يسارته المدرسة الناصرية الملاصقة
لمئذنة القبه المنصورية ثم يسلك أمامه فيجد على يمينه خان بشتاك وفوقه الربع وعرف الآن
هذا الحان بالمستخرج ويوجد على يسارته المدرسة الظاهرية الجديدة بجوار المدرسة الناصرية
وكانت قبل انشائها مدرسة فندقا يعرف بخان الزكاة ثم يسلك أمامه فيجد على يمينه باب قصر
بشتاك ويوجد على يسارته المدرسة الكاملية المعروفة بدار الحديث وهي ملاصقة للمدرسة
الظاهرية الجديدة ثم يسلك أمامه فيجد على يمينه الزقاق المسلولك فيه الى بيت أمير سلاح
المعروف بقصر أمير سلاح وهو الأمير نضر الدين بك تاش الفخري الصالحى النجمي والى دار
الامير سلاار نائب السلطة والى دار الطواشى سابق الدين ومدرسته التي يقال لها المدرسة
السابقة وكان في داخل هذا الزقاق مكان يتوصل اليه من تحت قبو المدرسة السابقة يعرف
بالسودوس فيه عدة مساكن صارت كلها اليوم داراً واحدة انشاء الامير جمال الدين الاستادار
وكان تجاه باب المدرسة السابقة ربع تحت فرن ومن ورائه عدة مساكن يعرف مكانها
بالحدرة فهدم الامير جمال الدين المذكور الربع وما وراءه وحفر فيه صهريجاً وأنشأ به عدة
آدر هي الآن جارية في أوقافه وكان يسلك من باب السابقة على باب الربع والفرن
المذكور الى دهليز طويل مظلم ينتهي الى باب القصر تجاه سور سعيد السعداء ومنه
يخرج السالك الى رحبة باب العيد والى الركن الخلق فهدمه الامير جمال الدين وجعل

مكانه قيسارية وركب على رأس هذا الزقاق تجاه حمام اليسرى دربا في داخله دروب ليصون أمواله وانطع التطرق من هذا الزقاق وصار دربا غير نافذ ويحد السالك عن يسرته قبالة هذا الزقاق وصار دربا مدربا باب قصر اليسرى وقد بني في وجهه حوائط بجانبها حمام اليسرى ومن هنا يتقسم شارع القاهرة المذكور الى طريقتين احدهما ذات العيين والاخرى ذات اليسار فأما ذات اليسار فانها تنم القصة المذكورة فاذا مر السالك من باب حمام الامير يسرى فانه يجد على يسرته باب الخرنشف المسلوك فيه الى باب سر اليسرى والى باب حارة رجوان الذي يقال له أبو تراب والى الخرنشف واصطلب القطبية والى الكافورى والى حارة زويلة والى البندقانيين وغير ذلك ثم يسلك امامه فيجد سوقا يعرف أخيراً بالوزاين والدجاجين يباع فيه الاوز والدجاج والمصاير وغير ذلك من الطيور وأدركناه عامراً سوقاً كبيراً من جماته دكان لا يباع فيها غير المصاير فيشتريها الصغار للعب بها وفي هذا السوق على يمينه السالك قيسارية يملوها ربع كانت مدة سوقا يباع فيه الكتب ثم صارت لعمل الجلود وكانت من جهة أوقاف المارستان النصوري فهدمها بعض من كان يحدث في نظره عن الامير ايتيمش في سنة احدى وثمانمائة وعمرها على ما هي عليه الآن وعلى يسرة السالك في هذا السوق ربع مجرى في وقف المدرسة الكاملية وكان هذا السوق يعرف قديماً بـبنابين واقماحين ثم يمر سالكا امامه فيجد سوق الشماعين متصلاً بسوق الدجاجين وكان سوقاً كبيراً فيه صفان عن العيين والشمل من حوائط باعة الشمع أدركناه عامراً وقد بقى منه الآن يسير وفي آخر هذا السوق على يمينه السالك الجامع الاقصر وكان موضعه قديماً سوق واقماحين وقبالة درب الخصري وبجانب الجامع الاقصر من شرقيه الزقاق الذي يعرف بالحجاريين ويسلك فيه الى الركن الخلق وغيره وقبالة هذا الزقاق بر الدلاء ثم يسلك المار امامه فيجد على يمينه زقاقاً ضيقاً ينتهى الى دور ومدرسة تعرف بالشرابية يتوصل من باب سرها الى درب الاصفر تجاه خانهاه ببيرس ثم يسلك امامه في سوق المتعشين فيجد على يسرته باب حارة رجوان ثم يسلك امامه شاقا في سوق المتعشين وقد أدركته سوقاً عظيماً لا يكاد يعدم فيه شيء مما يحتاج اليه من الماء كولات وغيرها بحيث اذا طلب منه شيء من ذلك في ليل أو نهار وجد وقد خرب الآن ولم يبق منه الا اليسير وكان هذا السوق قديماً يعرف بسوق أمير الجيوش وبناخه خن الرواسين وهو زقاق على يمينه السالك غير نائذ ويقابل هذا الزقاق على يسرة السالك الى باب الفتوح شارع يسلك فيه الى سوق يعرف اليوم بسوقه أمير الجيوش وكان قبل اليوم يعرف بسوق الحروقيين ويسلك من هذا السوق الى باب القنطرة في شارع معمور بالحوائط من جانبيه وبعلاها الرباع وفيما بين الحوائط دروب ذات مساكن كثيرة ثم يسلك امامه من رأس سوقه أمير الجيوش فيجد على يمينه المجلون

الصغير المعروف بمجملون ابن صيرم وكان مسكناً للبرازين فيه عدة حوانيت عامرة باصناف الثياب أدركتها عامرة وفيه مدرسة ابن صيرم المعروفة بالمدرسة الصيرمية وفي آخره باب زيادة الجامع الحاكمي وكان على بابها عدة حوانيت تعمل فيها الضبب التي رسم الابواب ويخرج من هذا الجملون الى طريقين احدهما يسلك فيها الى درب الفرنجية والى دار الوكالة وشارع باب النصر والاخرى الى درب الرشيدى النافذ الى درب الجوانية ثم يسلك أمامه فيجد على يمينه شبك المدرسة الصيرمية ويقابله باب قيسارية خونداردكين الاشرفية ثم يسلك أمامه شاقا في سوق المرحلين وكان صفين من حوانيت عامرة فيها جميع ما يحتاج اليه في ترحيل الجمال وقد خرب وبقي منه قليل وفي هذا السوق على يسرة السالك زقاق يعرف بحجارة الوراقة وفيه أحد أبواب قيسارية خوند المذكورة وعدة مساكن وكان مكانه يعرف قديماً باصطبل الحجرية ثم يسلك أمامه فيجد على يمينه أحد أبواب الجامع الحاكمي ومبضاته ويجد باب الفتوح القديم ولم يبق منه سوى عقدته وشئ من عضادته وبجواره شارع على يسرة السالك يتوصل منه الى حارة بهاء الدين وباب القنطرة ثم يسلك أمامه شاقا في سوق المتعشين فيجد على يمينه باباً آخر من أبواب الجامع الحاكمي ثم يسلك أمامه فيجد عن يسره زقاقا بسباط ينفذ الى حارة بهاء الدين فيه كثير من المساكن ثم يسلك أمامه فيجد عن يمينه باب الجامع الحاكمي الكبير ويجد عن يساره فندق العادل ويشق في سوق عظيم الى باب الفتوح وهو آخر قصبة القاهرة وأما ذات اليمين من شارع بين القصرين فان المار اذا سلك من الدرب الذى يقابل حمام اليسرى طالباً الركن الخلق فانه يشق في سوق القصاصين وسوق الحصريين الى الركن الخلق ويباع فيه الآن النعال وبه حوض في ظهر الجامع الاقر لشرب الدواب تسميه العامة حوض النبي ويقابله مسجد يعرف بمراكم موسى وينتهى هذا السوق الى طريقين احدهما الى بئر العظام التي تسميها العامة بئر العظمة ومنها ينقل الماء الى الجامع الاقر والحوض المذكور بالركن الخلق ويسلك منه الى الحايريين والطريق الاخرى تنتهى الى الفندق المعروف بقيسارية الجلود يعلموها ربع أنشأت ذلك خوند بركة أم الملك الاشرف شعبان بن حسين وبجوار هذه القيسارية بوابة عظيمة قد سترت بحوانيت يتوصل منها الى ساحة عظيمة هي من حقوق المنحدر كانت خوند المذكورة قد شرعت في عمارتها قصرأ لها فمات دون اكماله ثم يسلك أمامه فيجد الرابع التي تملو الحوانيت والقيسارية المستجدة في مكان باب القصر الذى كان ينتهى الى مدرسة سابق الدين وبين القصرين وكان أحد أبواب القصر ويعرف بباب الريح وهذه الرابع والقيسارية من جملة انشاء الامير جمال الدين الاستادار وكانت قبله حوانيت ورباعا فهدمها وأنشأها على ما هي عليه اليزم ثم يسلك أمامه فيجد عن يمينه مدرسة الامير جمال الدين المذكور وكان موضعها خاناً وظاهره

حوانيت فبنى مكانها مدرسة وحوضاً للسبيل وغير ذلك ويقال لهذه الاماكن رحبة باب العيد ويسلك منها الى طريقين احدهما ذات اليمين والاخرى ذات اليسار فأما ذات اليمين فانها تنتهي الى المدرسة الحجازية والى درب قرصيا والى حبس الرحبة والى درب السلامى المسلول منه الى باب العيد الذى تسميه المامة بالقاهرة والى المدارس العتيق والى قصر الشوك ودار الضرب والى باب سر المدارس الصالحية والى خزانة البنود ويسلك من رأس درب السلامى هذا فى رحبة باب العيد الى السفينة وخط خزانة البنود ورحبة الايدمرى والمشهد الحسينى ودرب الملوخيا والجامع الازهر والحارة الصالحية والحارة البرقية الى باب البرقية والباب المحروق والباب الجديد وأما ذات اليسار من رحبة باب العيد فان المار يسلك من باب مدرسة الامير جمال الدين الى باب زاوية الخدام الى باب الخانقاه المعروفة بدار سعيد السعداء فيجد عن يمينه زقاقاً بجوار سور دار الوزارة يسلك فيه الى خرائب تتر والى خط الفهادين والى درب ملوخيا وغير ذلك ثم يسلك أمامه فيجد عن يمينه المدرسة القراسنقرية وخانقاه ركن الدين بيبرس وهما من جملة دار الوزارة وما جاور الخانقاه الى باب الجوانية وتجاه خانقاه بيبرس الدرب الاصفر وهو المنحدر الذى كانت الخلفاء تنحرف فيه الاضاحي ثم يسلك أمامه فيجد على يمينه دار الامير قزمان بجوار خانقاه بيبرس وبجوارها دار الامير شمس الدين سنقر الاعسر الوزير وقد عرفت الآن بدار خوند طولوباي زوجة السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون وبجوارها حمام الاعسر المذكور وجميع هذا من دار الوزارة ويجد على يسرته درب الرشيدى تجاه حمام الاعسر المسلول فيه الى درب الفرنجية وجمالون ابن صيرم ثم يسلك أمامه فيجد على يمينه الشارع المسلول فيه الى الجوانية والى خط الفهادين والى درب ملوخيا والى العطوفية وقد خربت هذه الاماكن ويجد على يسرته الوكالة المستجدة من انشاء الملك الظاهر برقوق ثم يسلك أمامه فيجد على يسرته زقاقاً يسلك فيه الى جمالون ابن صيرم والى درب الفرنجية ثم يسلك أمامه فيجد على يمينه دار الامير شهاب الدين احمد ابن خالة الملك الناصر محمد بن قلاوون ودار الامير علم الدين سنجر الجاولي وهما من حقوق الحجير اتى كانت بها ممالك الخلفاء وأجنادهم ويجد على يسرته وكالة الامير قوصون ثم يسلك من باب الوكالة فيجد مقابل باب قاعة الجاولي خان الجاولي وبعدها باب النصر القديم وأدركت فيه قطعة كانت تجاه ركن المدرسة القاصدية الغربى وقد زال ويسلك منه الى رحبة الجامع الحاكمي فيجد على يمينه المدرسة الفاصدية وعلى يسرته بابى الجامع الحاكمي وتجاه أحدها الشارع المسلول فيه الى حارة العبدانية وحارة العطوفية وغير ذلك ومن باب الجامع الحاكمي ينتهى الى باب النصر فيما بين حوانيت ورباع ودور فهذه صفة القاهرة الآن وستقف ان شاء الله تعالى على

كيفية ابتداء وضع هذه الاماكن وما صارت اليه وذكر التعريف بمن نسبت اليه أو عرفت به على ما التقطت ذلك من كتب التواريخ ومجامع الفضلاء ووقفت عليه بخطوط الثقة وأخبرني بذلك من أدركته من المشيخة وما شاهدته من ذلك سالكا فيه سبيل النوسط في القول بين الاكثار والاختصار والله الموفق بمنه وكرمه لا اله غيره

ذكر سور القاهرة

اعلم أن القاهرة منذ أسست عمل سورها ثلاث مرات الاولى وضعه القائد جوهر والمرة الثانية وضعه أمير الجيوش بدر الجمالي في أيام الخليفة المستنصر والمرة الثالثة بناء الامير الحضي بهاء الدين قراقوش الاسدي في سلطنة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب أول ملوك القاهرة * السور الاول كان من لبن وضعه جوهر القائد على مناخه الذي نزل به هو وعساكره حيث القاهرة الآن فأداره على القصر والجامع وذلك انه لما سار من الجزيرة بعد زوال الشمس من يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من شعبان سنة ثمان وخسين وثلاثمائة بعساكره وقصد الى مناخه الذي رسمه له مولاه الامام المعز لدين الله أبو تميم معد واستقرت به الدار اختط القصر وأصمى المصريين يهنونه فوجدوه قد حفر الاساس في الليل فأدار السور اللبن وسماها المنصورية الى أن قدم المعز لدين الله من بلاد المغرب الى مصر ونزل بها فسمها القاهرة ويقال في سبب تسميتها ان القائد جوهر لما أراد بناءها أحضر المنجمين وعرفهم انه يريد عمارة بلد ظاهر مصر ليقم بها الجند وأمرهم باختيار طالع سعيد لوضع الاساس بحيث لا يخرج البلد عن نسائهم أبدا فاختاروا طالعا لوضع الاساس وطالعا لحفر السور وجعلوا بدائر السور قوائم خشب بين كل قائمتين حبل فيه أجراس وقالوا للعمال اذا تحركت الاجراس فارموا مابأيديكم من الطين والحجارة فوقوا ينتظرون الوقت الصالح لذلك فاتفق أن غربا واقع على حبل من تلك الحبل التي فيها الاجراس فتحركت كلها فظن السمال أن المنجمين قد حركوها فألقوا مابأيديهم من الطين والحجارة وبنوا فصاح المنجمون القاهر في الطالع قضى ذلك وفاتهم ما قصدوه ويقال ان المريخ كان في الطالع عند ابتداء وضع الاساس وهو قاهر الفلك فسموها القاهرة واقتضى نظره ان لا تزال تحت القهر وأدخل في دائر هذا السور بر العظام وجعل القاهرة حارات للواصلين بحبته وحبية مولاه المعز وعمر القصر بترتيب ألفاء اليه المعز ويقال ان المعز لما رأى القاهرة لم يعجبه مكانها وقال لجوهر لما فاتك عمارة القاهرة بالساحل كان ينبغي عمارتها بهذا الجبل يعني سطح الجرف الذي يعرف اليوم بالرصد المشرف على جامع راشدة ورتب في القصر جميع ما يحتاج اليه الحلفاء بحيث لا تراه من الأعين في النقلة من مكان الى مكان وجعل في ساحاته البحرة والميدان والبستان وتقدم بعمارة المصلى بظاهر القاهرة

وقد أدركت من هذا السور اللبن قطعاً وآخر ما رأيت منه قطعة كبيرة كانت فيما بين باب البرقية ودرب بطوط هدمها شخص من الناس في سنة ثلاث وثمانئة فشاهدت من كبر لبنها ما يتعجب منه في زمننا حتى ان اللبنة تكون قدر ذراع في ثائي ذراع وعرض جدار السور عدة أذرع يسع أن يمر به فارسان وكان بعيداً عن السور الحجر الموجود الآن وبينهما نحو الخمسين ذراعاً وما أحسب انه بقي الآن من هذا السور اللين شئ * (وجوهري) هذا مملوك رومى ربه المعز لدين الله أبو تميم معد وكناه بأبي الحسن وعظم محله عنده في سنة سبع وأربعين وثلثمائة وصار في رتبة الوزارة فصيحه قائد جيوشه وبعثه في سفر منها ومعه عساكر كثيرة فيهم الامير زيرى بن مناد الصنهاجى وغيره من الاكابر فسار الى تاهرت وأوقع بعدة أقوام واقتح مدناً وسار الى فاس فنازلها مدة ولم يزل منها شيئاً فرحل عنها الى سجلماسة وحارب تائراً فاسره بها وانتهى في مسيره الى البحر المحيط واصطاد منه سمكا وبعثه في قلة ماء الى مولاه المعز وأعلمه انه قد استولى على ما مر به من المدائن والامم حتى انتهى الى البحر المحيط ثم عاد الى فاس فألح عليها بالقتال الى أن أخذها عنوة وأسر صاحبها وحمله هو والتائر بسجلماسة في قفصين مع هدية الى المعز وعاد في أخريات السنة وقد عظم شأنه وبعد صيته ثم لما قوى عزم المعز على تسيير الجيوش لآخذ مصر وتبهاً أمرها فقدم عليها القائد جوهر وبرز الى رمادة ومعه ما ينيف على مائة الف فارس وبين يديه أكثر من الف صندوق من المال وكان المعز يخرج اليه في كل يوم ويخلو به وأطلق يده في بيوت أمواله فأخذ منها ما يريد زيادة على ما حمله معه وخرج اليه يوماً فقام جوهر بين يديه وقد اجتمع الجيش فالتفت المعز الى المشايخ الذين وجههم مع جوهر وقال والله لو خرج جوهر هذا وحده لفتح مصر ولتدخلن الى مصر بالآردية من غير حرب ولتزلن في خرابات ابن طولون وتبنى مدينة تسمى القاهرة تقهر الدنيا وأمر المعز بافراغ الذهب في هيئة الارحية وحملها مع جوهر على الجمال ظهرة وأمر أولاده وأخوته الامراء وولي العهد وسائر أهل الدولة أن يمشوا في خدمته وهو راكب وكتب الى سائر عماله يأمرهم اذا قدم عليهم جوهر أن يترجلوا مشاة في خدمته فلما قدم برقة افتدى صاحبها من ترجمه ومشيه في ركابه بخمسين الف دينار ذهباً فأبى جوهر الا أن يمشى في ركابه ورد المال فشى ولما رحل من القيروان الى مصر في يوم السبت رابع عشر ربيع الاول سنة ثمان وخمسين وثلثمائة أنشد محمد بن هاني في ذلك

رأيت بعيني فوق ما كتبت أسمع * وقد راعنى يوم من الحشر أروع
غداة كأن الافق سد بمنه * فعاد غروب الشمس من حيث تطلع
فلم أدرك اذ ودعت كيف أودع * ولم أدرك اذ شيعت كيف أشيع

إلا ان هذا حشد من لم يذق له * غرار الكرى جفن ولا بات يهجع
 اذا حل في ارض بناها مدائنا * وان سار عن ارض غدت وهي بلقع
 تحمل بيوت المال حيث محله * وجم العطايا والرواق المرفع
 وكبرت الفرسان لله اذ بدا * وظل السلاح المتضي يتقعقع
 وعب عباب الموكب الفخيم حوله * ورق كمارق الصباح الملمع
 رحلت الى القسطنطينية * يأمن قال بالذي انت تجمع
 فان يك في مصر ظماء لمورد * فقد جاءهم نيل سوى النيل يهرع
 ويمهمهم من لا يفار بنعمة * فيسلمهم لكن يزيد فيوسع
 ولما دخل الى مصر واحتط القاهرة وكتب بالبشارة الى المعز قال ابن هاني
 تقول بنو العباس قد فتحت مصر * فقل لبني العباس قد قضى الامر
 وقد جاوز الاسكندرية جوهر * تصاحبه البشرى ويقدمه النصر

ولم يزل معظما مطاعا وله حكم ما فتح من بلاد الشام حتى ورد المعز من المغرب الى
 القاهرة وكان جعفر بن فلاح يرى نفسه أجل من جوهر فلما قدم معه الى مصر سيره
 جوهر الى بلاد الشام في العساكر فآخذ الرملة وغلب الحسن بن عبد الله بن طنج وسار
 فملك طبرية ودمشق فلما صارت الشام له شملت نفسه عن مكتبة جوهر فأخذ كتبه من
 دمشق الى المعز وهو بالمغرب سرا من جوهر بذكر فيها طاعته ويقع في جوهر ويصف ما
 فتح الله المعز على يده فغضب المعز لذلك ورد كتبه كما هي محتومة وكتب اليه قد أخطأت
 الرأي لنفسك نحن قد أنقذناك مع قائدنا جوهر فأكتب اليه فما وصل منك الينا على يده
 قرأناه ولا تجاوزه بعد فلما فعل لك ذلك على اوجه الذي اردته وان كنت اهله عندنا
 ولكننا لا نستفسد جوهرنا مع طاعته لنا فزاد غضب جعفر بن فلاح وانكشف ذلك لجوهر
 فلم يبعث ابن فلاح لجوهر يسأله نجدة خوفا أن لا يجنده بعسكر وأقام مكانه لا يكتب
 جوهرنا بشيء من أمره الى أن قدم عليه الحسن بن أحمد القرمطي وكان من أمره ما قد
 ذكر في موضعه * ولما مات المعز واستخلف من بعده ابنه العزيز وورد الى دمشق
 هفتكين الشرايين بغداد ندب العزيز بالله جوهرنا القائد الى الشام فخرج اليها بخزان السلاح
 والاموال والعساكر العظيمة فنزل على دمشق لثمان بقين من ذي القعدة سنة خمس وستين
 وثلاثمائة فأقام عليها وهو يحارب أهلها الى أن قدم الحسن بن أحمد القرمطي من الاحساء
 الى الشام فرحل جوهر في ثالث جمادى الاولى سنة ست وستين فنزل على الرملة والقرمطي
 في أثره فهلك وقام من بعده جعفر القرمطي خارب جوهرنا واشتد الامر على جوهر وسار
 الى عسقلان وحصره هفتكين بها حتى بلغ من الجهد مبالغا عظيما فصالح هفتكين وخرج

من عسقلان الى مصر بعد أن أقام بها وبظاهر الرملة نحواً من سبعة عشر شهراً فقدم على العزيز وهو يريد الخروج الى الشام فلما ظفر العزيز بهتكن واصطنعه في سنة ثمانين وثمانمائة واصطنع منجوتكين التركي أيضاً أخرجه راكباً من القصر وحده في سنة احدى وثمانين والقائد جوهر وان عمار ومن دونهما من أهل الدولة مشاة في ركابه وكانت يد جوهر في يد ابن عمار فزفر ابن عمار زفرة كاد أن ينشق لها وقال لا حول ولا قوة الا بالله فترع جوهر يده منه وقال قد كنت عندى يا أبا محمد أثبت من هذا فظهر منك انكار في هذا المقام لاحدثك حديثاً عسى يسلمك عما انت فيه والله ما وقف على هذا الحديث احد غيرى لما خرجت الى مصر وأنفذت الى مولانا المعز من اسرته ثم حصل في يدي آخرون اعتقاتهم وهم نيف على ثلثمائة اسير من مذكورهم والمعروفين فيهم فلما ورد مولانا المعز الى مصر أعلمته بهم فقال اعرضهم على واذكر في كل واحد حاله ففعلت وكان في يده كتاب مجلد يقرأ فيه فجمات أخذ الرجل من بد الصقالبة وأقدمه اليه وأقول هذا فلان ومن حاله وحاله فيرفع رأسه وينظر اليه ويقول يجوز ويعود الى قراءة ما في الكتاب حتى احضرت له الجماعة وكان آخرهم غلاماً تركياً فنظر اليه وتأمله ولم يلبس له أبصره فلما لم يبق أحد قبلت الارض وقالت يا مولانا رأيتك فعات لما رأيت هذا التركي ما لم تفعله مع من تقدمه فقال يا جوهر يكون عندك مكتوما حتى ترى انه يكون لبعض ولدنا غلام من هذا الجنس تتفق له فتوحات عظيمة في بلاد كثيرة ويرزقه الله على يده ما لم يرزقه أحد منا مع غيره وأنا أظن انه ذلك الذي قال لى مولانا المعز ولا علينا اذا فتح الله لموالينا على ايدينا او على يد من كان يا أبا محمد لكل زمان دولة ورجال أريد نحن أن نأخذ دولتنا ودولة غيرنا لقد أرجس لى مولانا المعز لما سرت الى مصر أولاده واخوته وولي عهده وسائر أهل دولته فتمجب الناس من ذلك وها أنا اليوم أمشي رجلاً بين يدي منجوتكين أعزونا وأعزوا بنا غيرنا وبعد هذا فأقول اللهم قرب أحلى ومدنى فقد انفت على الثمانين أو أنا فيها مات في تلك السنة وذلك أنه اعتل فركب اليه العزيز بالله عائداً وحمل اليه قبل ركوبه خمسة آلاف دينار ومرتبة مثقل وبعث اليه الامير منصور بن العزيز بالله خمسة آلاف دينار وتوفي يوم الاثنين لسبع بقين من ذى القعدة سنة احدى وثمانين وثمانمائة فبعث اليه العزيز بالحنوط والكفن وأرسل اليه الامير منصور بن العزيز أيضاً الكفن وأرسلت اليه السيدة العزيزية الكفن فكفن في سبعين ثوباً ما بين مثقل ووشى مذهب وصلى عليه العزيز بالله وخلع على ابنه الحسين وحمله وجعله في مرتبة ابيه ولقبه بالقائد ابن القائد ومكنه من جميع ما خلفه ابوه وكان جوهر عاقلاً محسناً الى الناس كاتباً بليغاً فمن مستحسن توقيعاته على قصة رفعت اليه بمصر سوء الاجترام . أوقع بكم حلول الانتقام . وكفر الانعام . أخرجكم

من حفظ الذمام . فالواجب فيكم ترك الايجاب . واللازم لكم ملازمة الاحتساب . لانكم بدأتهم فأستام . وعدتم فتعدتهم . فابتدأكم ملوم . وعودكم مذموم . وليس بينهما فرجة الا تقتضي الذم لكم . والاعراض عنكم . ليرى أمير المؤمنين صلوات الله عليه رأيه فيكم . ولما مات رثاه كثير من الشعراء (السور الثاني) بناء أمير الجيوش بدر الجملى في سنة ثمانين وأربعمائة وزاد فيه الزيادات التي فيما بين بابي زويلة وباب زويلة الكبير وفيما بين باب الفتوح الذي عند حارة بهاء الدين وباب الفتوح الآن وزاد عند باب النصر أيضاً جميع الرحبة التي تجاه جامع الحاكم الآن الى باب النصر وجعل السور من ابن وأقام الابواب من حجارة وفي نصف جمادى الآخرة سنة ثمانى عشرة وثمانمائة ابتدئ بهدم السور الحجر فيما بين باب زويلة الكبير وباب الفرع عند ما هدم الملك المؤيد شيوخ الدور ليبني جامعاً فوجد عرض السور في الاماكن نحو العشرة أذرع (السور الثالث) ابتدأ في عمارته السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب في سنة ست وستين وخمسمائة وهو يومئذ على وزارة العاضلدين الله فلما كانت سنة تسع وستين قد استولى على المملكة استدب لعمل السور الطواشي بهاء الدين قراقوش الاسدى فبناه بالحجارة على ما هو عليه الآن وقصد أن يجعل على القاهرة ومصر والقاهرة سورا واحداً فزاد في سور القاهرة القطعة التي من باب القنطرة الى باب الشعرية ومن باب الشعرية الى باب البحر وبني قلعة المقس وهي برج كبير وجعله على النيل بجانب جامع المقس وانقطع السور من هناك وكان في أمه مد السور من المقس الى أن يتصل بسور مصر وزاد في سور القاهرة قطعة مما يلي باب النصر ممتدة الى باب البرقية والى درب بطوط والى خارج باب الوزير ليتصل بسور قاعة الجبل فانقطع من مكان يقرب الآن من الصوة تحت القلعة لموته والى الآن آثار الجدر ظاهرة لمن تأملها فيما بين آخر السور الى جهة القلعة وكذلك لم يتهيا له أن يصل سور قلعة الجبل بسور مصر وجاء دور هذا السور المحيط بالقاهرة الآن تسعة وعشرين ألف ذراع وثلثمائة ذراع وذراعين بذراع العمل وهو الذراع الهاشمي من ذاك ما بين قلعة المقس على شاطئ النيل والبرج بالكوم الاحمر بساحل مصر عشرة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع ومن قاعة المقس الى حائط قلعة الجبل بمسجد سعد الدولة ثمانية آلاف وثلثمائة وأثنان وتسعون ذراعاً ومن جانب حائط قلعة الجبل من جهة مسجد سعد الدولة الى البرج بالكوم الاحمر سبعة آلاف ومائتا ذراع ومن وراء القلعة بحيال مسجد سعد الدولة ثلاثة آلاف ومائتان وعشرة أذرع وذلك طول قوسه في ابراجه من النيل الى النيل وقلعة المقس المذكورة كانت برجاً مطالاً على النيل في شرقي جامع المقس ولم تزل الى أن هدمها الوزير صاحب شمس الدين عبدالله المقسى عند ما جدد الجامع المذكور في سنة سبعين وسبعمائة وجعل في مكان البرج المذكور جنينته وذكر أنه

وجد في البرج مالا وانه انما جدد الجامع منه والعمامة تقول اليوم جامع المقسي بالاضافة وكان يحيط بسور القاهرة خندق شرع في حفره من باب الفتوح الى المقس في المحرم سنة ثمان وثمانين وخمسائة وكان أيضا من الجهة الشرقية خارج باب النصر الى باب البرقية وما بعده وشاهدت آثار الخندق باقية ومن ورائه سور بابراج له عرض كبير مبني بالحجارة الا أن الخندق انطم وتهدمت الاسوار التي كانت من ورائه وهذا السور هو الذي ذكره القاضي الفاضل في كتابه الى السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب فقال والله يحبي المولى حتى يستدير بالبلدين نطاقه ويمتد عليهما رواقه فما عقيلة ما كان معصمها ليرتك بغير سوار ولا خصرها ليتحلى بغير منطقة نضار والآن قد استقرت خواطر الناس وأمنوا به من يد تتخطف ومن يد مجرم يقدم ولا يتوقف

❦ ذكر أبواب القاهرة ❦

وكان للقاهرة من جهتها القبالية بابان متلاصقان يقال لهما بابا زويلة ومن جهتها البحرية بابان متباعدان احدهما باب الفتوح والآخر باب النصر ومن جهتها الشرقية ثلاثة أبواب متفرقة أحدها يعرف الآن بباب البرقية والآخر بالباب الجديد والآخر بالباب المحروق ومن جهتها الغربية ثلاثة أبواب باب القنطرة وباب الفرج وباب سعادة وباب آخر يعرف بباب الخوخة ولم تكن هذه الابواب على مهي عليه الآن ولا في مكانها عند ماوضعها جوهر

(باب زويلة)

كان باب زويلة عند ماوضع القائد جوهر القاهرة بابين متلاصقين بجوار المسجد المعروف اليوم بسام بن نوح فلما قدم المعز الى القاهرة دخل من احدهما وهو الملاصق للمسجد الذي بقى منه الى اليوم عقد ويعرف بباب القوس فتيامن الناس به وصاروا يكثرون الدخول والخروج منه وهجروا الباب المجاور له حتى جرى على الالسنه أن من مر به لا تقضى له حاجة وقد زال هذا الباب ولم يبق له أثر اليوم الا انه يفضى الى الموضع الذي يعرف اليوم بالحجارين حيث تباع آلات الطرب من الطنابير والعيودان ونحوهما والى الآن مشهور بين الناس أن من يسلك من هناك لا تقضى له حاجة ويقول بعضهم من اجل أن هناك آلات المنكر وأهل البطالة من المغنين والمغنيات وليس الامر كما زعم فان هذا القول جار على السنة اهل القاهرة من حين دخل المعز لها قبل أن يكون هذا الموضع سوقا للمعازف وموضعا لجلوس اهل المعاصى * فلما كان في سنة خمس وثمانين وأربعمائة بنى امير الحيوش بدر الجمالي وزير الخليفة المستنصر بالله باب زويلة الكبير الذي هو باق الى الآن وعلى أبراجه ولم يعمل له باشورة كما هي عادة ابواب الحصون من أن يكون في كل باب عطف حتى لا تهجم عليه العساكر في وقت الحصار ويتعذر سوق الحيل ودخولها جملة لكنه عمل في

بابه زلاقة كبيرة من حجارة صوان عظيمة بحيث اذا هجم عسكر على القاهرة لاثبت قوائم الخيل على الصوان فلم تزل هذه الزلاقة باقية الى ايام السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك العادل ابى بكر بن ايوب فانفق مروره من هناك فاختل فرسه وزلق به وأحسبه سقط عنه فامر بتقصها فقضت وبقي منها شيء يسير ظاهر فلما ابقي الامير جمال الدين يوسف الاستادار المسجد المقابل لباب زويلة وجعله باسم الملك الناصر فرج ابن الملك الظاهر برقوق ظهر عند حفرة الصهريج الذي به بعض هذه الزلاقة وأخرج منها حجارة من صوان لا تعمل فيها العدة الماضية وأشكالها في غاية من الكبر لا يستطيع جرها لأربعة رؤس بقر فاخذ الامير جمال الدين منها شيئاً والى الآن حجر منها ما بقى تجاه قبو الخرنشف من القاهرة * ويذكر أن ثلاثة اخوة قدموا من الرها بنائين بنوا باب زويلة وباب النصر وباب الفتوح كل واحد بنى باباً وأن باب زويلة هذا بنى في سنة أربع وثمانين وأربعمائة وأن باب الفتوح بنى في سنة ثمانين وأربعمائة * وقد ذكر ابن عبد الظاهر في كتاب خطط القاهرة أن باب زويلة هذا بآء العزيز بالله نزار بن المعز وتممه أمير الجيوش وأنشد لعلى بن محمد التيلي

يا صاح لو أبصرت باب زويلة * لعلمت قدر محله بنيانا

باب تأزر بالمجرة وارتنى الشعرى ولاث برأسه كيوانا

لو أن فرعوناً بناه لم يرد * صرحاً ولا أوصى به هاماناً اهـ

* وسعت غير واحد يذكر أن فردنيه يدوران في سكرتين من زجاج * وذكر جامع سيرة الناصر محمد بن قلاوون أن في سنة خمس وثلاثين وسبعمائة رتب ايديكن والى القاهرة في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون على باب زويلة خلية تضرب كل ليلة بعد العصر * وقد أخبرنى من طاف البلاد ورأى مدن المشرق أنه لم يشاهد في مدينة من المدن عظم باب زويلة ولا يرى مثل بدنيه اللتين عن جانبيه ومن تأمل الاسطر التي قد كتبت على أعلاه من خارجه فانه يجد فيها اسم أمير الجيوش والخليفة المستنصر وتاريخ بناءه وقد كانت البستانان أكبر مما هما الآن بكثير هدم أعلاهما الملك المؤيد شيخ لما أنشأ الجامع داخل باب زويلة وعمر على البستانين منارتين ولذلك خبر تجده في ذكر الجوامع عند ذكر الجامع المؤيدى

(باب النصر)

كان باب النصر أولاً دون موضعه اليوم وأدركت قطعة من أحد جانبيه كانت تجاه ركن المدرسة القاصدية الغربى بحيث تكون الرحبة التي فيما بين المدرسة القاصدية وبين بابى جامع الحاكم القبلين خارج القاهرة ولذلك تجد في أخبار الجامع الحاكمي أنه وضع خارج القاهرة فلما كان في أيام المستنصر وقدم عليه أمير الجيوش بدر الجمالى من عكا وتقلد وزارته وعمر

سور القاهرة نقل باب النصر من حيث وضعه القائد جوهر الى حيث هو الآن فصار قريباً من مصلى العيد وجعل له باشورة أدركت بعضها الى أن احتفرت أخت الملك الظاهر برقوق الصهر بج السبيل تجاه باب النصر فهدمته وأقامت السبيل مكانه وعلى باب النصر مكتوب بالكوفي في أعلاه لا اله الا الله محمد رسول الله على ولى الله صلوات الله عليهما

(باب الفتوح)

وضعه القائد جوهر دون موضعه الآن وبقي منه الى يومنا هذا عقده وعضادته اليسرى وعليه أسطر من الكتابة بالكوفي وهو برأس حارة بهاء الدين من قبلها دون جدار الجامع الحاكمي وأما الباب المعروف اليوم بباب الفتوح فانه من وضع أمير الجيوش وبين يديه باشورة قد ركبها الآن الناس بالبنيان لما عمر ما خرج عن باب الفتوح * (أمير الجيوش) * أبو التيجم بدر الجمالي كان مملوكاً أرمنياً لجمال الدولة بن عمار فلذلك عرف بالجمالي وما زال يأخذ بالجد من زمن سيده فيما يباشره ويوطن نفسه على قوة العزم ويتنقل في الخدم حتى ولى إمارة دمشق من قبل المستنصر في يوم الاربعاء ثالث عشر ربيع الآخر سنة خمس وستين وأربعمائة ثم سار منها كاهارب في ليلة الثلاثاء لاربع عشرة خات من رجب سنة ست وخمسين ثم وليها ثانياً يوم الاحد سادس شعبان سنة ثمان وخمسين فباغاه قتل ولده شعبان بمسقلان فخرج في شهر رمضان سنة ستين وأربعمائة فثار العسكر وأخربوا قصره وتقلد نيابة عكا فلما كانت الشدة بمصر من شدة الغلاء وكثرة الفتن والاحوال بالحصرة قد فسدت والامور قد تغيرت وطوائف العسكر قد شغبت والوزراء يقنعون بالاسم دون نفاذ الامر والنهي والرخاء قد أيس منه والصالح لا مطمع فيه ولوالة قد ملكت الريف والصعيد بأيدى العبيد والطرقات قد انقطعت برأوبجراً الا بالحفارة الثقيبة فلما قتل بلدكوش ناصر الدولة حسين بن حمدان كتب المستنصر اليه يستدعيه ليكون المتولى لتدبير دولته فاشتراط ان يحضر معه من يختاره من العساكر ولا يبقى أحداً من عسكر مصر فاجابه المستنصر الى ذلك فاستخدم معه عسكراً وركب البحر من عكا في أول كانون وسار بمائة مراكب بعد أن قيل له ان العادة لم تجر بركوب البحر في الشتاء لهيجاته وخوف التاففاني عليهم وأقلع قتمادى الصحو والسكون مع الريح الطيبة مدة أربعين يوماً حتى كثر التعجب من ذلك وعد من سعاده فوصل الى نيس ودمياط واقترض المال من تجارها ومياسيرها وقام بامر ضيافته وما يحتاج اليه من الغلال سليمان اللواتي كبير أهل البحيرة وسار الى قليوب فنزل بها وأرسل الى المستنصر يقول لا أدخل الى مصر حتى تقبض على بلدكوش وكان أحد الامراء وقد اشتد على المستنصر بعد قتل ابن حمدان فبادر المستنصر وقبض عليه واعتقله بخزانة البنود فقدم بدر عشية الاربعاء ليلتين بفيثا من جمادى الاولى سنة خمس

وستين وأربعمائة قتيلاً له أن قبض على جميع أمراء الدولة وذلك أنه لما قدم لم يكن عند
الأمراء علم من استدعائه فما منهم الا من أضافه وقدم اليه فلما اتقست نوبهم في ضيافته
استدعاهم الى منزله في دعوة صنعها لهم وبیت مع أصحابه أن القوم اذا أجنهم الليل فانهم
لا بد يحتاجون الى الخلاء فمن قام منهم الى الخلاء يقتل هناك ووكل بكل واحد واحداً من
أصحابه وأنعم عليه بجميع ما يتركه ذلك الأمير من دار ومال واقطاع وغيره فصار الأمراء
اليه وظلوا نهارهم عنده وباتوا مطمئنين فما طلع ضوء النهار حتى استولى أصحابه على جميع
دور الأمراء وصارت رؤسهم بين يديه فقويت شوكته وعظم أمره وخلع عليه المستنصر
بالبطليسان المقور وقلده وزارة السيف والقلم فصارت القضاة والدعاة وسائر المستخدمين
من تحت يده وزيد في ألقابه أمير الحيوش كافل قضاة المسامين وهادى دعاة المؤمنين وتبّع
المفسدين فلم يبق منهم أحداً حتى قتله وقتل من أمثال المصريين وقضاة ووزرائهم جماعة
ثم رجع الوجه البحرى فأسرف في قتل من هنالك من لواتة واستصفى أموالهم وأزاح
المفسدين وأفتاهم بأنواع القتل وصار الى البر الشرقي فقتل منه كثيراً من المفسدين ونزل
الى الاسكندرية وقد ثار بها جماعة مع ابنه الاوحد فحاصرها أياماً من المحرم سنة سبع
وسبعين وأربعمائة الى أن أخذها عنوة وقتل جماعة ممن كان بها وعمر جامع العطارين من
مال المصادرات وفرغ من بنائه في ربيع الاول سنة تسع وسبعين وأربعمائة ثم سار الى
الصعيد فحارب جهينة والثعالب وأفنى أكثرهم بالقتل وغنم من الاموال ما لا يعرف قدره
كثرة فصلاح به حل الاقليم بعد فسادهم ثم جهز العساكر لمحاربة البلاد الشامية فسارت اليها
غير مرة وحاربت أهلها ولم يظفر منها بطائل واستتاب ولده شاهنشاه وجعله ولى عهده *
فلما كان في سنة سبع وثمانين وأربعمائة مات في ربيع الآخر وقيل في جمادى الاولى
منها وقد تحكّم في مصر تحكّم الملوك ولم يبق للمستنصر معه أمر واستبد بالامور فضبطلها
أحسن ضبط وكان شديد الهيبة وافر الجريمة مخوف السطوة قتل من مصر خلائق لا يحصى
الا خالفها منها أنه قتل من أهل البحيرة نحو العشرين ألف انسان الى غير ذلك من أهل
دمياط والاسكندرية والغربية والشرقية وبلاد الصعيد وأسوان وأهل القاهرة ومصر الا
أنه عمر البلاد وأصاحبها بعد فسادها وخرابها باتلاف المفسدين من أهلها وكان له يوم مات
نحو الثمانين سنة وكانت له محاسن منها أنه أباح الارض للمزارعين ثلاث سنين حتى ترفعت
أحوال الفلاحين واستغنوا في أيامه ومنها حضور التجار الى مصر لكثرة عدله بعد ان تراحم
منها في أيام الشدة . ومنها كثرة كرمه وكانت مدة أيامه بمصر احدى وعشرين سنة وهو
أول وزراء السيوف الذين حجروا على الخلفاء بمصر * ومن آثاره الباقية بالقاهرة باب
زويلة وباب الفتوح وباب النصر وقام من بعده بالامر ابنه شاهنشاه الملقب بالافضل بن

أمير الحيوش وبه وبابنه الأفضل أمة الخلفاء الفاطمية بعد ثلاثي أمرها وعمرت الديار المصرية بعد خرابها واضمحلال أحوال أهلها وأظنه هو الذي أخبر عنه المعز فيما تقدم من حكاية جوهر عنه فانه لم يتفق ذلك لاحد من رجال دولتهم غيره والله يعلم وأنتم لا تعلمون

(باب القنطرة)

عرف بذلك لان جوهر القائد بنى هناك قنطرة فوق الخليج الذي بظاهر القاهرة ليحشى عليها الى المقدس عند مسير القرامطة الى مصر في شوال سنة ستين وثلاثمائة

(باب الشعرية)

يعرف بطائفة من البربر يقال لهم بنو الشعرية هم ومزانة وزيارة وهوارة من أحلاف لواتة الذين نزلوا بالمنوفية

(باب سعادة)

عرف بسعادة بن حيان غلام المعز لدين الله لانه لما قدم من بلاد المغرب بعد بناء القائد جوهر القاهرة نزل بالحيزة وخرج جوهر الى لقائه فلما عين سعادة جوهر رجلاً وسار الى القاهرة في رجب سنة ستين وثلاثمائة فدخل اليها من هذا الباب فعرف به وقيل له باب سعادة ووافي سعادة هذا القاهرة بجيش كبير معه فلما كان في شوال سيره جوهر في عسكر مجر عند ورود الخبر من دمشق بمجيء الحسين بن احمد القرمطي المعروف بالاعصم الى الشام وقتل جعفر بن فلاح فسار سعادة يريد الرملة فوجد القرمطي قد قصدها فأنحاز بمن معه الى يافا ورجع الى مصر ثم خرج الى الرملة فلما كان في سنة إحدى وستين فأقبل اليه القرمطي ففر منه الى القاهرة وبها مات لحسن بقين من الحرم سنة اثنتين وستين وثلاثمائة وحضر جوهر جنازته وصلى عليه الشريف أبو جعفر مسلم وكان فيه ر واحسان

(الباب المحروق)

كان يعرف قديماً بباب القراطين فلما زالت دولة بني أيوب واستقل بالملك الملك المعز عز الدين أيبك التركاني أول من ملك من المماليك بمملكة مصر في سنة خمسين وستمائة كان حينئذ أكبر الامراء البحرية بممالك الملك الصالح نجم الدين أيوب الفارس اقطاعي الجدار وقد استفحل أمره وكثرت أعباءه ونافس المعز أيبك وتزوج بابنة الملك المظفر صاحب حماه وبعث الى المعز بأن ينزل من قاعة الجبيل ويحلبها له حتى يسكنها بأمراته المذكورة ففلق المعز منه وأهمه شأنه وأخذ يدبر عليه فقرر مع عدة من ممالিকে أن ينفقوا بموضع من القاعة عينه لهم واذا جاء الفارس اقطاعي فتكوا به وأرسل اليه وقت القائلة يستدعيه ليشاوره في أمر مهم فركب في قافلة يوم الاثنين حادي عشر شعبان سنة اثنتين وخمسين وستمائة في نفر من ممالিকে وهو آمن مطمئن بما صار له في الانفس من الحرمة والمهابة وبما يثق به من

شجاعته فلما صار بقاعة الجبل وانتهى الى قاعة العواميد غوق من معه من المماليك عن الدخول معه ووثب به المماليك الذين أعدهم المعز وتناولوه بالسيوف فهلك لوقته وغلقت أبواب القلعة وانتشر الصوت بقتله في البلد فركب أصحابه وخشداشيته وهم نحو السبعمائة فارس الى تحت القلعة وفي ظنهم أن الفارس اقطاعى لم يقتل واتما قبض عليه السلطان وأنهم يقاتلونه حتى يطلقه لهم فلم يشعروا الا برأس الفارس اقطاعى وقد أقيت عليهم من القلعة فانقضوا لوقتهم وتواعدوا على الخروج من مصر الى الشام وأكبرهم يومئذ سيرس البندقاري وقلاون الالفى وسنقر الاشقر ويسرى وسكر وبرامق فخرجوا في الليل من بيوتهم بالقاهرة الى جهة باب القراطين ومن المعادة أن تعلق أبواب القاهرة بالليل فألقت النار في الباب حتى سقط من الحريق وخرجوا منه فليل له من ذلك الوقت الباب المحروق وعرف به وأما القوم فأنهم ساروا الى الملك الناصر يوسف بن العزيز صاحب الشام فقباهم وأنعم عليهم وأقطعهم اقطاعات واستكثر بهم وأصبح المعز وقد علم بخروجهم الى الشام فأوقع الحوطة على جميع أموالهم ونسائهم وأولادهم وعامة تعلقاتهم وسائر أسبابهم وتبعهم ونادى عليهم في الاسواق بطاب البحرية وتحذير العامة من اخفائهم فصار اليه من أموالهم ما ملأ عينه واستمرت البحرية في الشام الى أن قتل المعز أيبك وخلع ابنه المنصور وتسلطن الامير قطز فتراجعوا في أيامه الى مصر وآلت أحوالهم الى أن تسلطن منهم بيبرس وقلاون والله عاقبة الامور

(باب البرقية)

ذكر قصور الخفاء ومناظرهم والامساع بطرف من مآثرهم

ومأصارت اليه أحوالها من بعدهم

اعلم أنه كان للخلفاء الفاطميين بالقاهرة وظواهرها قصور ومناظر منها القصر الكبير الشرقي الذي وضعه القائد جوهر عند ما أنشأ في موضع القاهرة ومنها القصر الصغير الغربي والقصر اليافعي وقصر الذهب وقصر الاقبال وقصر الظافر وقصر الشجرة وقصر الشوك وقصر الزمرذ وقصر النسيم وقصر الحريم وقصر البحر وهذه كلها قاعات ومناظر من داخل سور القصر الكبير ويقال لها القصور الزاهرة ويسمى مجموعها القصر وكان بجوار القصر الغربي الميدان والبستان الكافورى وكان لهم عدة مناظر وأدر سلطانية غير هذه القصور منها دار الضيافة ودار الوزارة ودار الوزارة القديمة ودار الضرب والمنظرة بالجامع الازهر والمنظرة بجوار الجامع الاقر ومنظرة اللؤلؤة على الخليج بظاهر القاهرة ومنظرة الغزالة ودار الذهب ومنظرة المقصر ومنظرة كة والبعل والحس وجوه والتاج وقبة الهواء والبساتين الجيوشية والبستان الكبير ومنظرة السكرة والمنظرة ظاهر باب الفتوح

ودار الملك بمدينة مصر ومنازل العز بها ومنظرة الصناعة بالساحل ومنظرة بحوار جامع القرافة الكبير المعروف اليوم بجامع الاولياء والاندلس بالقرافة والمنظرة ببركة الحبش وسأذكر من أخبار هذه الاماكن في مدة الدولة الفاطمية وما آل اليه حالها بحسب ما انتهى الي علمه ان شاء الله تعالى

(القصر الكبير)

هذا القصر كان في الجهة الشرقية من القاهرة فلذلك يقال له القصر الكبير الشرقي ويسمى القصر المعزى لان المعز لدين الله أبائهم معدا هو الذي أمر عبده وكتبه جوهرأ بنائه حين سيره من رمادة أحد بلاد افريقية بالعساكر الى مصر وأتى اليه ترتيبه فوضعه على الترتيب الذي رسمه له ويقال ان جوهرأ لما أسسه في الليلة التي أناخ قبائها في موضعه وأصبح رأى فيه ازورارات غير معتدلة لم تعجبه فقبل له في تغييرها فقال قد حفر في ليلة مباركة وساعة سعيدة فتركه على حاله * وكان ابتداء وضعه مع وضع أساس سور القاهرة في ليلة الاربعاء الثامن عشر من شعبان سنة ثمان وخمسين وثمانمائة وركب عايشه بإبان يوم الخميس ثلاث عشرة خلت من جمادى الاولى سنة تسع وخمسين ثم انه أدار عليه سوراً محيطاً به في سنة ستين وثمانمائة وهذا القصر كان دار الخلافة وبه سكن الخلفاء الى آخر أيامهم فلما انقرضت الدولة على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أخرج أهل القصر منه وأسكن فيه الامراء ثم خرب أولا فأولاً * وذكر ابن عبد الظاهر في كتاب خطط القاهرة عن مرهف بواب باب الزهومة أنه قال أعم هذا الباب المدة الطويلة وما رأيته دخل اليه حطب ولا رمى منه تراب قال وهذا أحد أسباب خرابه لوقود أخشابه وتكويهم ترابه قال ولما أخذه صلاح الدين وأخرج من كان به كان فيه اثنا عشر ألف نسمة ليس فيهم خل الا الخليفة وأهله وأولاده فأسكنهم دار المظفر بحارة برجوان وكانت تعرف بدار الضيافة قال ووجد الى جانب القصر بئر تعرف ببئر الصنم كان الخلفاء يرمون فيها القتلى فقبل ان فيها مطلباً وقصد تغويرها فقبل انها معمورة بالجنان وقتل عمارها جماعة من أشياعه فردمت وتركنت انتهى وكان صلاح الدين لما أزال الدولة أعطى هذا القصر الكبير لامراء دولته وأنزلهم فيه فسكنوه وأعطى القصر الصغير الغربي لآخيه الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب فسكنه وفيه ولد له ابنه الكامل ناصر الدين محمد وكان قد أنزل والده نجم الدين أيوب بن شاذى في منظرة الأولوة ولما قبض على الامير داود ابن الخليفة العاضد وكان ولي عهد أبيه وضعت بالحامد لله اعتقله وجميع اخوته وهم أبو الامانة جبريل وأبو الفتوح وابنه أبو القاسم وسليمان بن داود بن العاضد وعبد الوهاب بن ابراهيم بن العاضد واسماعيل بن العاضد وجعفر بن أبي الطاهر بن جبريل

وعبد الظاهر بن أبي الفتوح بن جبريل بن الحافظ وجماعة فلم يزلوا في الاعتقال بدار
المظفر وغيرها الى أن انتقل السكامل محمد بن العادل من دار الوزارة بالقاهرة الى قلعة
الجبل فقتل معه ولد العاضد واخوته وأولاد عمه واعتقلهم بها وفيها مات داود بن العاضد
ولم يزل بقيتهم معتقلين بالقلعة الى أن استبد السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس
البندقداري فامر في سنة ستين بالاشهاد على كمال الدين اسمعيل بن العاضد وعماد الدين أبي
القاسم ابن الامير أبي الفتوح بن العاضد وبدر الدين عبد الوهاب بن ابراهيم بن العاضد
أن جميع المواضع التي قبلي المدارس الصالحية من القصر الكبير والموضع المعروف بالتربة
باطنا وظاهراً بخط الخوخ السبع وجميع الموضع المعروف بالقصر الياضي بالخط المذكور
وجميع الموضع المعروف بالجبلية بالخط المذكور وجميع الموضع المعروف بنجرائن
السلاح السلطانية وما هو بخطه وجميع الموضع المعروف بسكن أولاد شيخ
الشيخ وغيرهم من القصر الشارع بابه قبالة دار الحديث النبوي الكاملة وجميع الموضع
المعروف بالقصر الغربي وجميع الموضع المعروف بدار القنطرة بخط المشهد الحسيني وجميع
الموضع المعروف بدار انضيفة بحارة برجوان وجميع الموضع المعروف بدار الذهب بظاهر
القاهرة وجميع الموضع المعروف بالؤلؤة وجميع قصر الزمرذ وجميع البستان الكافوري
ملك لبيت المال بالنظر المولوى السلطاني الملكي الظاهري من وجه صحيح شرعى لاربعة
لهم فيه ولا لواحد منهم في ذلك ولا في شيء منه ولا ولا يدولا ملك ولا وجه
من الوجوه كلها خلا ما في ذلك من مسجد لله تعالى ومدفن لأبائهم فأشهدوا عليهم
بذلك وورخوا الاشهاد بالثالث عشر من جمادى الاولى سنة ستين وستمائة وأثبت على يد
قاضى القضاة صاحب تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الاعز الشافعي وتقرر مع المذكورين
أنه مهما كان قبضوه من اثمان بعض الاماكن المذكورة التي عاقد عاها وكلاؤهم واتصلوا
اليه يحاسبوا به من جملة ما تحرر منه عند وكيل بيت المال وقبضت ايدي المذكورين عن
التصرف في الاماكن المذكورة وغيرها مما هو منسوب الى آبائهم ورسم بيع ذلك فباعه
وكيل بيت المال كمال الدين ظافر شياً بعد شيء وتقضت تلك المبايعة وابتني في مواضعها على
غير تلك الصفة من المساكن وغيرها كما يأتي ذكره ان شاء الله تعالى وكان هذا القصر
يشتمل على مواضع منها * (قاعة الذهب) * وكان يقال لقاعة الذهب قصر الذهب وهو
أحد قاعات القصر الذى هو قصر المعز لدين الله معد وبني قصر الذهب العزيز بالله نزار
ابن المعز وكان يدخل اليه من باب الذهب الذى كان مقابلاً للدار القطبية التي هي اليوم
المارستان المنصوري ويدخل اليه أيضاً من باب البحر الذى هو الآن تجاه المدرسة الكاملة
وجدد هذا القصر من بعد العزيز الخليفة المستنصر في سنة ثمان وعشرين وأربعمائة وبهذه

القاعة كانت الخلفاء تجلس في الموكب يوم الاثنين ويوم الخميس وبها كان يعمل سباط شهر رمضان الامراء وسباط العيدين وبها كان سرير الملك * (هيئة جلوس الخليفة بمجلس الملك) * قال الفقيه ابو محمد الحسن بن ابراهيم بن زولاق في كتاب سيرة المعز وكان وصول المعز لدين الله الى قصره بمصر في يوم الثلاثاء لسبع خلون من شهر رمضان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة ولما وصل الى قصره خر ساجدا ثم صلى ركعتين وصلى بصلاته كل من دخل معه واستقر في قصره بأولاده وحشمه وخواص عبيده والقصر بومئذ يشتمل على ما فيه من عين وورق وجوهر وحلي وفرش وأوان وثياب وسلاح وأسفاط وأعدال وسروج ولحم وبيت المال بخاله بما فيه وفيه جميع ما يكون للملوك وللنصف من رمضان جالس المعز في قصره على السرير الذهب الذي عمله عبده القائد جوهر في الايوان الجديد وأذن بدخول الاشرف اولا ثم اذن بعدهم الاولياء والسائر وجوه الناس وكان القائد جوهر قائما بين يديه يقدم الناس قوما بعد قوم ثم مضى القائد جوهر وأقبل بهديته التي عباها ظاهرة يراها الناس وهي من الحيل مئة وخمسون فرسا مسرجة ملجمة منها مذهب ومنها مرصع ومنها معنبر واحدى وثلاثون قبة على نوق بخافي بالديباج والمناطق والفرش منها تسعة بديباج مثقل وتسع نوق مخبونة مزينة بمثقل وثلاثة وثلاثون بغلا منها سبعة مسرجة ملجمة ومائة وثلاثون بغلا للثقل وتسعون نجيبا واربعة صناديق مشبكة يري ما فيها وفيها أواني الذهب والفضة ومائة سيف محلي بالذهب والفضة ودرجان من فضة مخزقة فيها جوهر وشاشية مرصعة في غلاف وتسعمائة ما بين سبط وتحت فيها سائر ما أعد له من ذخائر مصر * وفي يوم عرفة نصب المعز الشمسية التي عملها لأكعبة على ايوان قصره وسعها اثنا عشر شبرا في اثني عشر شبرا وأرضها ديباج احمر ودورها اثنا عشر هلال ذهب في كل هلال أربعة ذهب مسبك جوف كل أربعة خمسون درة كبار كبيض الحماق وفيها الياقوت الاحمر والاصفر والازرق وفي دورها كتابة آيات الحج بزمرد أخضر قد فسر وحشو الكتابة در كبير لم ير مثله وحشوا الشمسية المسك المسحوق يراها الناس في القصر ومن خارج القصر لعلوا موضعها وانما نصبها عدة فراشين وجروها لثقل وزنها * وقال في كتاب الذخائر والتحف وما كان بالقصر من ذلك ان وزن ما استعمل من الذهب الابريز الخالص في سرير الملك الكبير مائة ألف مثقال وعشرة آلاف مثقال ووزن ما حلى به الست الذي انشأه سيد الوزراء ابو محمد البازوري من الذهب ايضا ثلاثون ألف مثقال وانه رصع بألف وخمسمائة وستين قطعة جوهر من سائر ألوانه وذكر ان في الشمسية الكبيرة ثلاثين ألف مثقال ذهب وعشرين ألف درهم مخزقة وثلاثة آلاف وستمائة قطعة جوهر من سائر ألوانه وأنواعه وان في الشمسية التي لم تتم من الذهب سبعة عشر ألف مثقال * وقال المرتضى ابو محمد عبد السلام بن محمد بن (م ٢٨ - خطط ني)

الحسن بن عبد السلام بن الطوير الفهرى القيسراني الكاتب المصرى في كتاب زهرة المقلتين في أخبار الدولتين الفاطمية والصلحية الفصل العاشر في ذكر هيئتهم في الجلوس العام بمجلس الملك ولا يتعدى ذلك يومى الاثنين والخميس ومن كان أقرب الناس إليهم ولهم خدم لا تخرج عنهم وينتظر الجلوس الخليفة أحد اليومين المذكورين وليس على التوالى بل على التفريق فإذا تمياً ذلك فى يوم من هذه الأيام استدعى الوزير من داره صاحب الرسالة على الرسم المعتاد فى سرعة الحركة فركب فى أبته وجماعته على الترتيب المقدم ذكره يعنى فى ذكر الركوب اول العام وسأثنى ان شاء الله تعالى فى موضعه من هذا الكتاب فيسير من مكان ترحله عن دابته بدهليز العمود الى مقطع الوزارة وبين يديه اجلاء أهل الامارة كل ذلك بقاعة الذهب التى كان يسكنها السلطان بالقصر وكان الجلوس قبل ذلك بالايوان الكبير الذى هو خزائن السلاح فى صدره على سرير الملك وهو باق فى مكانه الى الآن من هذا المكان الى آخر أيام المستملى ثم ان الأمر نقل الجلوس الى هذا المكان واسمه مكتوب بأعلى باذهنجه الى اليوم ويكون المجلس المذكور معلقا فيه ستور الديباج شتاء والديبقي صيفا وفرش الشتاء بسط الحرير عوضا عن الصوف مطابقا لستور الديباج وفرش الصيف مطابقا لستور الديبقي ما بين طبرى وطبرستانى مذهب معدوم المثل وفى صدره المرتبة المؤهلة للجلوس فى هيئة جليلة على سرير الملك المغشى بالقرقوبى فيكون وجه الخليفة عليه قبالة وجوه الوقوف بين يديه فإذا تمياً الجلوس استدعى الوزير من المقطع الى باب المجلس المذكور وهو مغلق وعليه ستر فيقف بمخائه وعن يمينه زمام القصر وعن يساره زمام بيت المال فإذا انتصب الخليفة على المرتبة وضع امين الملك مفاح احد الاستاذين المحنكين الخواص الدواة مكانها من المرتبة وخرج من المقطع الذى يقال له فردانكم فإذا الوزير واقف أمام باب المجلس وحواليه الامراء المطوقون ارباب الخدم الجليلة وغيرهم وفى خلاهم قراء الحضرة فيشير صاحب المجلس الى الاستاذين فيرفع كل منهم جانب الستر فيظهر الخليفة جالسا بمنصبه المذكور فتستفتح القراء بقراءة القرآن الكريم ويسلم الوزير بعد دخوله اليه فيقبل يديه ورجليه ويتأخر مقدار ثلاثة اذرع وهو قائم قدر ساعة زمانية ثم يؤمر بأن يجلس على الجانب الايمن وتطرح له مخدة تشريفا ويقف الامراء فى اماكنهم المقررة فصاحب الباب واسفهلار العساكر من جانبي الباب يمينا ويسارا ويليه من خارجه لاصقا بعقبته زمام الامرية والحفاظية كذلك ثم يرتبهم على مقاديرهم فكل واحد لا يتعدى مكانه هكذا الى آخر الرواق وهو الافريز العالمى عن ارض القاعة ويعملوه السباط على عقود القناطر التى على المهد هناك ثم ارباب القصب والعماريات يمين ويسرة كذلك ثم الامثال والاعيان من الاجناد المترشحين للتقدمة ويقف مستندا للصدر الذى يقابل باب المجلس

بواب الباب والحجاب ولصاحب الباب في ذلك المحل الدخول والخروج وهو الموصل عن كل قائل ما يقول فاذا انتظم ذلك النظام واستقر بهم المقام فأول ماثل للخدمة بالسلام قاضي القضاة والشهود المعروفون بالاستخدام فيجيز صاحب الباب القاضي دون من معه فيسلم متأدبا ويقف قريبا ومعنى الادب في السلام أنه يرفع يده اليمنى ويشير بالمسبحة ويقول بصوت مسموع السلام على امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فيتخصص بهذا الكلام دون غيره من اهل السلام ثم يسلم بالاشراف الاقارب زماءهم وهو من الاستاذين المحنكين وبلاشراف الطالبين نقيهم وهو من الشهود المعدلين وتارة يكون من الاشراف المميزين فيمضي عليهم كذلك ساعتان زمانيتان او ثلاث ويخص بالسلام في ذلك الوقت من خلع عليه اقوص أو الشرقية أو الغربية أو الاسكندرية فيشرفون بتقبيل القبة فان دعت حاجة الوزير الى مخاطبة الخليفة في امر قام من مكانه وقرب منه منحنيا على سيفه فيخاطبه مرة أو مرتين ثم يؤمر الحاضرون فيخرجون حتى يكون آخر من يخرج الوزير بعد تقبيل يد الخليفة ورجله ويخرج فيركب على عادته الى داره وهو مخدوم باؤت ثم يرخي الستر ويغلق باب المجلس الى يوم مثله فيكون الحال كما ذكر ويدخل الخليفة الى مكانه المستقر فيه ومعه خواص استاذيه وكان اقرب الناس الى الخلفاء الاستاذون المحنكون وهم اصحاب الانس لهم ولهم من الخدم ما لا يتطرق اليه سواهم ومنهم زمام القصر وشاد التاج الشريف وصاحب بيت المال وصاحب الدفتر وصاحب الرسالة وزمام الاشراف الاقارب وصاحب المجلس وهم المطلعون على أسرار الخليفة وكانت لهم طريقة محدودة في بعضهم بعضا منها انه متى ترشح استاذ لتحنيك وحنك حمل اليه كل واحد من المحنكين بدلة من ثياب ومنديلا وفرشا وسيفا فيصبح لاحقا بهم وفي يديه مثل ما في ايديهم وكان لا يركب أحد في القصر الا الخليفة ولا ينصرف ليلا ونهارا الا كذلك وله في الليل شددات من النساء يخد من البقات والحير الاناث للجواز في السرايب القصيرة الاقباء والطلوع على الزلاقات الى أعلى المناظر والاماكن وفي كل محلة من محلات القصر فسقية مملوءة بالماء خيفة من حدوث حريق في الليل

*) كيفية سباط شهر رمضان بهذه القاعة *)

قال ابن الطوير فاذا كان اليوم الرابع من شهر رمضان رتب عمل السباط كل ليلة بالقاعة بالقصر الى السادس والعشرين منه ويستدعى له قاضي القضاة ليالي الجمع توقيرا له فأما الامراء ففي كل ليلة منهم قوم بالنوبة ولا يحرمونهم الافطار مع اولادهم وأهاليهم ويكون حضورهم بمسطور يخرج الى صاحب الباب واسفهلاره فيعرف صاحب كل نوبة ليلته فلا يتأخر ويحضر الوزير فيجلس صدره فان تأخر كان ولده أو أخوه وان لم يحضر أحد من قبله كان صاحب الباب ويهتم فيه اهتماما عظيما تأما بحيث لا يفوته شيء من أصناف

المأكولات الفائقة والاغذية الرائقة وهو مبسوط في طول القاعة ماد من الرواق الى ثاني القاعة المذكورة والفراشون قيام خدمة الحاضرين وحواشي الاستاذين يحضرون الماء المبخر في كيزان الخذف برسم الحاضرين ويكون انفصالهم العشاء الآخرة فيعمهم ذلك ويصل منه شيء الى أهل القاهرة من بعض الناس لبعض ويأخذ الرجل الواحد ما يكفي جماعة فاذا حضر الوزير أخرج اليه مامو بحضرة الخليفة وكانت يده فيه تشر يفا له وتطيبا لنفسه وربما حمل لسجوده من خاص مايعين لسجود الخليفة نصيب وافر ثم يتفرق الناس الى اماكنهم بعد العشاء الآخرة بساعة أو ساعتين قال ومبلغ ماينفق في شهر رمضان لسماطه مدة سبعة وعشرين يوما ثلاثة آلاف دينار

(*) عمل سماط عيد الفطر بهذه القاعة (*)

قال الامير المختار عز الملك بن عبيد الله بن احمد بن اسماعيل بن عبد العزيز المسيحي في تاريخه الكبير وفي آخر يوم منه يعني شهر رمضان سنة ثمانين وثلثمائة حمل يانس الصقابي صاحب الشرطة السفلى السماط وقصور السكر والتمايل وأطباقا فيها تماثيل حلوى وحمل أيضا على بن سعد المحتسب القصور وتماثيل السكر * وقال ابن الطوير فأما الاسمطة الباطنة التي يحضرها الخليفة بنفسه ففي يوم عيد الفطر اثنان ويوم عيد النحر واحد فأما الاول من عيد الفطر فانه يعين في الليل بالايوان قدام الشباك الذي يجلس فيه الخليفة فيمد مامقاره ثلثمائة ذراع في عرض سبعة اذرع من الخشكبان والفانيذ والبسندود المقدم ذكر عمله دار الفطرة فاذا صلى المجر في أول الوقت حضر اليه الوزير وهو جالس في الشباك ومكن الناس من ذلك الممدود فأخذ وحمل ونهب فياأخذه من يأكله في يومه ومن يدخره ائذه ومن لا حاجة له به فيبيعه ويتسلط عليه أيضا حواشي القصر المقيمون هناك فاذا فرغ من ذلك وقد بزغت الشمس ركب من باب الملك بالايوان وخرج من باب العيد الى المصلى والوزير معه كما وصفنا في هيئة ركوب هذا العيد في فصله مخليا لقاعة الذهب لسماط الطعام فينصب له سر بر الملك قدام باب المجلس في الرواق وينصب فيه مائدة من فضة ويقال لها المدورة وعليها اواني الفضيات والذهبيات والصيني الحاوية للاطعمة الخصاص الفائحة الطيب الشهية من غير خضراوات سوى الدجاج المائي المسمن المدمول بالامزجة الطيبة الرائقة ثم ينصب السماط أمام السرير الى باب المجلس قبائله ويعرف بالحول طول القاعة وهو اليوم الباب الذي يدخل منه اليها من باب البحر الذي هو باب القصر اليوم والسماط خشب مدهون شبه الدك اللاطية فيصير من جمعه للاواني سماطا عاليا في ذلك الطول وبعرض عشرة اذرع فيفرش فوق ذلك الازهار ويرص الحبز على حافتيه سواميد كل واحد ثلاثة ارطال من نقي الدقيق ويدهن وجهها عند خبزها بلماء فيحصل لها بريق ويحسن منظرها ويعمر داخل ذلك السماط على

طوله باحد وعشرين طبقا في كل طبق احد وعشرون ثنيا سمينا مشويا وفي كل من الدجاج والفراريج وفراخ الحمام ثلثائة وخمسون طائرا فيبقى طائلا مستطيلا فيكون كقاعة الرجل الطويل ويسور بشرائح الخلواء اليابسة ويزين بالوانها المصبغة ثم يسد خلل تلك الاطباق بالصحون الخزفية التي في كل واحد منها سبع دجاجات وهي مترعة بالالوان الفاققة من الخلواء المائية والطباهجة المشققة والطيب غالب على ذلك كله فلا يبعد أن تناهز عدة الصحن المذكورة خمسمائة صحن ويرتب ذلك أحسن ترتيب من نصف الليل بلقاعة الى حين عود الخليفة من المصلى والوزير معه فاذا دخل القاعة وقف الوزير على باب دخول الخليفة لينزع عنه الثياب العيانية التي في عمامتها السمة ويلبس سواها من خزانن الكسوات الخاصة التي قدمنا ذكرها وقد عمل بدار افطرة قصران من حلوى في كل واحد سبعة عشر قنطارا وحلا فثما واحد يمتضى به من طريق قصر الشوك الى باب الذهب والاخر يشق به بين القصرين يحملهما العتالون فينصبان اول السباط وآخره وهما شكل مديح مدهونان بأوراق الذهب وفيهما شخص ناتئة كأنها مسبوكة في قوالب لو حالوا فاذا عبر الخليفة راكبا ونزل على السرير الذي عليه المدورة الفضة وجلس قام على رأسه أربعة من كبار الاستاذين المحنكين وأربعة من خواص القراشين ثم يستدعى الوزير فيطالع اليه ويجلس عن يمينه ويستدعى الاسراء المطوقين ومن يليهم من الامراء دونهم فيجلسون على السباط كقيامهم بين يديه فيأكل كل من اراد من غير الزام فان في الحاضرين من لا يعتقد الفطر في ذلك اليوم فيستولى على ذلك المعمول الآكلون وينقل الى دار أرباب الرسوم ويباح فلا يبقى منه الا السباط فقط فيعم اهل القاهرة ومصر من ذلك نصيب وافر فاذا انقضى ذلك عند صلاة الظهر انقض الناس وخرج الوزير الى داره مخدوما بالجماعة الحاضرين وقد عمل سباطا لاهله وحواشيه ومن يمز عليه لا يلحق بأيسر يسير من سباط الخليفة وعلى هذا العمل يكون سباط عيد النحر اول يوم منه وركوبه الى المصلى كما ذكرنا ولا يخرج عن هذا المتوال ولا ينقص عن هذا المثال ويكون الناس كلهم مفطرين ولا يفوت أحدا منهم شيء كما ذكرنا في عيد الفطر قال ومباغ ما ينفق في سباطي الفطر والاضحي أربعة آلاف دينار وكان مجلس على اسمة الاعياد في كل سنة جلان من الاجناد يقال لاحدهما ابن فائر والاخر الديلمي يأكل كل واحد منهما خروفا مشويا وعشر دجاجات محلاة وجام حلوى عشرة ارطال ولهما رسوم يحمل اليهما بعد ذلك من الاسمة لبيوتهما ودنانير وافرة على حكم الهبة وكان أحدهما أسر بعسقلان في تجريدة جرد اليها وأقام مدة في الاسر فاتفق أنه كان عندهم عجل سمين فيه عدة قناطير لحم فقال له الذي أسره وهو يداعبه ان اكلت هذا العجل اعتقتك ثم ذبحه وسوى لحمه وأطعمه حتى أتى على جميعه فوفى له وأعتقه فقدم على اهله بالقاهرة ورأيت يأكل على السباط

* (الايوان الكبير) *

قال القاضي الرئيس محي الدين عبد الله بن عبد الظاهر الروحي الكاتب في كتاب الروضة الهية الزاهرة في خطاط المعزية القاهرة الايوان الكبير بناء العزيز بالله ابو منصور زرار بن المعز لدين الله معد في سنة تسع وستين وثمانمائة انتهى وكان الخلفاء أولا يجلسون به في يومى الاثنين والاحد الى أن نقل الخليفة الأمر بأحكام الله الجلوس منه في اليومين المذكورين الى قاعة الذهب كما تقدم وبصدر هذا الايوان كان الشباك الذى يجلس فيه الخليفة وكان يعلو هذا الشباك قبة وفي هذا الايوان كان يعد سماط النظرة بكرة يوم عيد الفطر كما تقدم وبه أيضا كان يعمل الاجتماع والخطبة في يوم عيد الغدير وكان بجانب هذا الايوان الدواوين وكان بهذا الايوان ضلعاً سمكة اذا أقبلوا واراها الفارس بفرسه ولم يزالا حتى بعثهما السلطان صلاح الدين يوسف الى بغداد في هدية * (عيد الغدير) *

اعلم أن عيد الغدير لم يكن عيداً مشروعاً ولا عمله أحد من سالف الامة المقتدى بهم وأول ما عرف في الاسلام بالعراق ايام ممر الدولة على بن بويه فانه أحدثه في سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة فاتخذته الشيعة من حينئذ عيداً وأصاهم فيه ماخرجه الامم احمد في مسنده الكبير من حديث البراء بن عازب رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر لنا فنزلنا بغدير خم ونودى الصلاة جامعة وكسح لرسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرتين فصلى الظهر وأخذ بيد على بن ابي طالب رضى الله عنه فقال أستم تهامون أنى اولى بالمؤمنين من انفسهم قالوا بلى قال أستم تهامون أنى اولى بكل مؤمن من نفسه قالوا بلى فقال من كنت مولاه فملى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه قال فلقبه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال هنياً لك يا ابن ابي طالب أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة * (وغدير خم) * على ثلاثة اميال من الحجة بسرة الطريق وتصب فيه عين وحوله شجر كثير ومن سنتهم في هذا العيد وهو أبدا يوم الثامن عشر من ذى الحجة أن يحبوا ليلته بالصلاة ويصلوا في صبيحته ركعتين قبل الزوال ويلبسوا فيه الجديد ويعتقوا الرقاب ويكثر من عمل البر ومن الذبائح والاعمال الشيعة هذا العيد بالعراق ارادت عوام السنية مضاهاة فهاهم ونكاليتهم فاتخذوا في سنة تسع وثمانين وثمانمائة بعد عيد الغدير ثمانية ايام عيداً أكثروا فيه من السرور والبهجة وقالوا هذا يوم دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم الفار هو وأبو بكر الصديق رضى الله عنه وبالغوا في هذا اليوم في اظهار الزينة ونصب القباب وايقاد النيران ولهم في ذلك اعمال مذكورة في أخبار بغداد * وقال ابن زولاق وفي يوم ثمانية عشر من ذى الحجة سنة اثنتين وستين وثمانمائة وهو يوم الغدير تجمع خلق من اهل مصر والمغاربة ومن تبعهم للدعاء لانه يوم عيد لان

رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى امير المؤمنين على بن أبى طالب فيه واستخلفه فأعجب المعز ذلك من فعلهم وكان هذا اول ما عمل بمصر * قال المسيحي وفي يوم الغدير وهو ثامن عشر ذى الحجة اجتمع الناس بجامع القاهرة والقراء والفقهاء والمنشدون فكان جمعا عظيما أقاموا الى الظهر ثم خرجوا الى القصر فخرجت اليهم الجائزة وذكر أن الحاكم بأمر الله كان قد منع من عمل عيد الغدير قال ابن الطور اذا كان العشر الاوسط من ذى الحجة اهتم الامراء والاجناد بركوب عيد الغدير وهو في الثامن عشر منه وفيه خطبة وركوب الخليفة بغير مظلة ولا سمة ولا خروج عن القاهرة ولا يخرج لاحد شيء فاذا كان ذلك اليوم ركب الوزير بالاستدعاء الجارى به العادة فيدخل القصر وفي دخوله بروز الخليفة لركوبه من الكرسي على عادته فيخدم ويخرج ويركب من مكانه من الدهليز ويخرج فيقف قبالة باب القصر ويكون ظهره الى دار نحر الدين جهار كس اليوم ثم يخرج الخليفة راكبا أيضاً فيقف في الباب ويقال له القوس وحواليه الاستاذون المنكون رجاله ومن الامراء المطوقين من يأمره الوزير باشارة خدمة الخليفة على خدمته ثم يجوز زى كل من له زى على مقدار همته فأول ما يجوز زى الخليفة وهو الظاهر في ركوبه فتجد الخنايب الخاص التي قدمنا ذكرها اولاً ثم زى الامراء المطوقين لانهم غلمان واحد فواحد بعددهم وأسلحتهم وخيائهم الى آخر ارباب القصب والعماريات ثم طوائف العسكر أزمته امامها وأولادهم مكانهم لانهم في خدمة الخليفة وقوف بالباب طائفة فيكونون اكثر عدداً من خمسة آلاف فارس ثم المترجلة الرماة بالقسي بالايدي والارجل وتكون عدتهم قريباً من ألف ثم الراجل من الطوائف الذين قدمنا ذكرهم في الركوب فتكون عدتهم قريباً من سبعة آلاف كل منهم بزمام وبنود ورايات وغيرها بترتيب ملبح مستحسن ثم يأتي زى الوزير مع ولده أو أحد أقاربه وفيه جماعته وحاشيته في جمع عظيم وهيئة هائلة ثم زى صاحب الباب وهم اصحابه وأجناده ونواب الباب وسائر الحجاب ثم يأتي زى أسفهلار العساكر بأصحابه وأجناده في عدة وافرة ثم يأتي زى والى القاهرة وزى والى مصر فاذا فرغ اخرج الخليفة من الباب والوقوف بين يديه مشاة في ركابه خارجاً عن صيدان ركابه الخاص فاذا وصل الى باب الزهومة بالقصر انعطف على يساره داخلاً من الدرب هناك جائزاً على الخوخ فاذا وصل الى باب الديلم الذي داخله المشهد الحسيني فيجد في دهليز ذلك الباب قاضي القضاة والشهود فاذا وازاهم خرجوا لخدمة والسلام عليه فيسلم القاضي كما ذكرنا من تقبيل رجله الواحدة التي تليه والشهود أمام رأس الدابة بمقدار قسبة ثم يعودون ويدخلون من ذلك الدهليز الى الايوان الكبير وقد علق عليه الستور القرقوبية جميعه على سعتة وغير القرقوبية ستراً فسترا ثم يعلق بدائرته على سعتة ثلاثة صفوف الاوسط طوارق فارسيات مهدونة

والاعلى والاسفل درق وقد نصب فيه كرسي الدعوة وفيه تسع درجات لخطابة الخطيب في هذا العيد فيجلس القاضي والشهود تحته والعالم من الامراء والاجناد والمتشيمين ومن يرى هذا الرأي من الاكابر والاصاغر فيدخل الخليفة من باب العيد الى الايوان الى باب الملك فيجلس بالشباك وهو ينظر القوم ويخدمه الوزير عند ما ينزل ويأتي هو ومن معه فيجلس بمفرده على يسار منبر الخطيب ويكون قد سير لخطيبه بدلة حرر يخطب فيها وثلاثون دينارا ويدفع له كراس محرر من ديوان الانشاء يتضمن نص الخلافة من النبي صلى الله عليه وسلم الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضى عنه بزعمهم فاذا فرغ ونزل صلى قاضي القضاة بالناس ركعتين فاذا قضيت الصلاة قام الوزير الى الشباك فيخدم الخليفة وينفض الناس بعد التهاني من الاسماعيلية بعضهم بعضا وهو عندهم اعظم من عيد النحر وينحدر فيه اكثرهم قال وكان الحافظ لدين الله ابو الميمون عبد المجيد لما سلم من يد أبي علي بن الفضل الملقب كثيفات لما وزر له وخرج عليه عمل عيدا في ذلك اليوم وهو السادس عشر من المحرم من غير ركوب ولا حركة بل ان الايوان باق على فرشه وتعليقه من يوم الغدير فيفرش المجلس المحول اليوم في الايوان الذي بابه خورنق وكان يقابل الايوان الكبير الذي هو اليوم خزائن السلاح بأحسن فرش وينصب له مرتبة هائلة قريبا من باذهنجه فيجتمع ارباب الدولة سيفا وقلما ويحضرون الى الايوان الى باب الملك المجاور للشباك فيخرج الخليفة راكبا الى المجلس فيترجل على ببه وبين يديه الخواص فيجلس على المرتبة ويقفون بين يديه صفين الى باب المجلس ثم يجعل قدماه كرسي الدعوى وتعليه غشاء قرقوبى وحواليه الامراء الاعيان وارباب الرتب فيصعد قاضي القضاة ويخرج من كمه كراصة مسطحة تتضمن فصولا كافرج بعد الشدة بأنظم مليح يذكر فيه كل من اصابه من الانبياء والصالحين والملوك شدة وفرج الله عنه واحدا فواحدا حتي يصل الى الحافظ وتكون هذه الكراصة محمولة من ديوان الانشاء فاذا تكاملت قراءتها نزل عن المنبر ودخل الى الخليفة ولا يكون عنده من الثياب اجل مما لبسه ويكون قد حمل الى القاضي قبل خطابته بدلة مميزة يلبسها للخطابة ويوصل اليه بعد الخطابة خمسون دينارا * وقال الامير جمال الدين ابو علي موسى بن المأمون أبي عبد الله محمد بن فاتك بن مختار البطائحي في تاريخه واستهل عيد الغدير يعني من سنة ست عشرة وخمسمائة وهاجر الى باب الاجل يعني الوزير المأمون البطائحي الضعفاء والمساكين من البلاد ومن انضم اليهم من العوالي والاد واز على عادتهم في طلب الحلال وتزويج الايامي وصار موسما يرصده كل احد ويرتقبه كل غني وقتير فجرى في معروفه على رسمه وبالغ الشعراء في مدحه بذلك ووصلت كسوة العيد المذكور فحمل ما يختص بالخليفة والوزير وأمر بتفرقة ما يختص بأزمة العساكر فارسها وراجلها من عين وكسوة ومبالغ ما يختص بهم من

العين سبعمائة وتسعون دينارا ومن الكسوات مائة وأربع وأربعون قطعة والهيئة المختصة بهذا العيد برسم كبراء الدولة وشيوخها وأمرائها وضيوفها والاستاذين المحنكين والمميزين منهم خارجا عن أولاد الوزير وأخوته ويفرق من مال الوزير بعد الخلع عليه الفان وخمسمائة دينار وثمانون دينارا وأمر بتعليق جميع ابواب القصور وتفرقة المؤذنين بالجوامع والمساجد عليها وتقدم بأن تكون الاسمطة بقاءة الذهب على حكم سماط أول يوم من عيد النحر وفي باكر هذا اليوم توجه الخليفة الى الميدان وذبح ماجرت به العادة وذبح الجزارون بعده مثل عدد الكباش المذبوحة في عيد النحر وأمر بتفرقة ذلك لخصوص دون العموم وجلس الخليفة في المنطرة وخدمت الرهجية وتقدم الوزير والامراء وسامعوا فلما حان وقت الصلاة والمؤذنون على ابواب القصر يكبرون تكبير العيد الى أن دخل الوزير فوجد الخطيب على المنبر قد فرغ فتقدم القاضي ابو الحجاج يوسف بن ايوب فصلى به وبالجماعة صلاة العيد وطلع الشريف بن انس الدولة وخطب خطبة العيد ثم توجه الوزير الى باب الملك فوجد الخليفة قد جلس قاصدا للاقائه وقد ضربت المقدمة فأمره بالمضى اليها وخلع عليه خلعة مكملة من بدلات النحر وثوبها أحمر بالشدة الدائمة وقلده سيفا مرصعا بالياقوت والجوهر وعند ما نهض ليقبل الارض وجده قد أعد له العقد الجوهر ور بطه في عنقه بيده وبلغ في آكرامه وخرج من باب الملك فقامه المقرئون وسارع الناس الى خدمته وخرج من باب العيد وأولاده وأخوته والامراء المميزون بحجبه وخدمت الرهجية وضربت العربية والموكب جميعه بزيه وقد اصطفت العساكر وتقدم الى ولده بالجلوس على اسمطته وتفرقتها برسومها وتوجه الى القصر واستفتح المقرئون فسلم الحاضرون وجرى الرسم في السماط الاول والثاني وتفرقة الرسوم والموائد على حكم اول يوم من عيد النحر وتوجه الخليفة بعد ذلك الى السماط الثالث الخاص بالدار الجليلة لاقار به وجلسائه ولما انقضى حكم التعييد جلس الوزير في مجلسه واستفتح المقرئون وحضر الكبراء وبياض البلدين انتهى بالعيد والخلع وخرج الرسم وتقدم الشعراء فأنشدوا وشرحوا الحال وحضر متولي خزائن الكسوة الخاص بالثياب التي كانت على المأمون قبل الخلع وقبضوا الرسم الجارى به العادة وهو مائة دينار وحضر متولى بيت المال وصحبه صندوق فيه خمسة آلاف دينار برسم فكك العقد الجوهر والسيف المرصع فأمر الوزير المأمون الشيخ أبا الحسن بن أبي اسامة كاتب الدست الشريف بكتب مطالعة الى الخليفة بما حمل اليه من المال برسم منديل الكم وهو الف دينار ورسم الاخوة والاقارب ألف دينار وتسلم متولى الدولة بقية المال ليفرق على الامراء المطوقين والمميزين والضيوف والمستخدمين * (المحول) * قال ابن عبد الظاهر المحول هو مجلس الداعي ويدخل اليه من باب الريح وبابه من باب البحر ويعرف بقصر البحر وكان في أوقات الاجتماع يصلى الداعي بالناس (م ٢٩ - خطط ني)

في رواقه * وقال المسيحي وفي ربيع الاول يعنى من سنة خمس وثمانين وثمانمائة جلس القاضي محمد بن النعمان على كرسى بالقصر لقراءة علوم آل البيت على الرسم المعتاد المتقدم له ولاخيه بمصر ولابيه بالمغرب فأت في الزحمة أحد عشر رجلا فكفهم العزيز بالله وقال ابن الطوير وأما داعي الدعاة فانه يلي قاضى القضاة في الرتبة ويتزيا بزيه في اللباس وغيره ووصفه انه يكون علما بجميع مذاهب أهل البيت يقرأ عليه ويأخذ العهد على من ينتقل من مذهبه الى مذهبهم وبين يديه من ثقباء المعلمين اثنا عشر تقيوا له نواب كنواب الحكم في سائر البلاد ويحضر اليه فقهاء الدولة ولهم مكان يقال له دار العلم والجماعة منهم على التصدير بها أرزاق واسعة وكان الفقهاء منهم يتفقون على دفتر يقل له مجلس الحكمة في كل يوم اثنين وخميس ويحضر مبيضا الى داعي الدعاة فينفذه اليهم ويأخذه منهم ويدخل به الى الخليفة في هذين اليومين المذكورين فيتلوه عليه ان أمكن ويأخذ علامته بظاهره ويجلس بالقصر لتلاوته على المؤمنين في مكانين للرجال على كرسى الدعوة بالايمان الكبير وللنساء بمجلس الداعي وكان من اعظم المباني وأوسعها فاذا فرغ من تلاوته على المؤمنين والمؤمنات حضروا اليه لتقبيل يديه فيمسح على رؤسهم بمكان العلامة أعني خط الخليفة وله أخذ النجوى من المؤمنين بالقاهرة ومصر وأعمالها لاسما الصعيد ومبلغها ثلاثة دراهم وثلاث فيجتمع من ذلك شئ كثير يحمل الى الخليفة بيده بيته وبينه وأمانته في ذلك مع الله تعالى فيقرض له الخليفة منه مايعينه لنفسه وللقباء وفي الاسما عليه الممولين من يحمل ثلاثة وثلاثين دينارا وثلاثي دينار على حكم النجوى وصحبة ذلك رقعة مكتوبة باسمه فيتميز في الحول فيخرج له عليها خط الخليفة بارك الله فيك وفي مالك ولولدك ودينك فيدخر ذلك ويتفاخر به وكانت هذه الخدمة متعلقة بقوم يقال لهم بنو عبد القوي أبا عن جد آخرهم المجلس وكان الافضل بن أمير الجيوش نفاهم الى المغرب فولد المجلس بالمغرب وورث به وكان يميل الى مذهب أهل السنة وولى القضاء مع الدعوة وأدركه أسد الدين شيركوه وأكرمه وجعله واسطة عند الخليفة العاضد وكان قد حجب على العاضد ولولاه لم يبق في الخزان شئ لكرمه وكانه علم أنه آخر الخلفاء * قال المسيحي وكان الداعي يواصل الجلوس بالقصر لقراءة ما يقرأ على الاولياء والدعاوي المتصلة فكان يفرد للأولياء مجلسا وللأخصا وشيوخ الدولة ومن يختص بالقصور من الخدم وغيرهم مجلسا ولعوام الناس ولطائرئين على السبل مجلسا وللنساء في جامع القاهرة المعروف بالجامع الازهر مجلسا وللأحرار وخواص نساء القصور مجلسا وكان يعمل المجالس في داره ثم ينفذها الى من يختص بخدمة الدولة ويتخذ هذه المجالس كتباً يبيضونها بعد عرضها على الخليفة وكان يقبض في كل مجلس من هذه المجالس ما يحصل من النجوى من كل من يدفع شئاً من ذلك عينا وورقا من الرجال والنساء ويكتب أسماء من يدفع شئاً على مايدفعه وكذلك في عيد الفطر يكتب ما يدفع عن الفطرة ويحصل

من ذلك مال جليل يدفع الى بيت المال شيئاً بعد شيء وكانت تسمى مجالس الدعوة مجالس الحكمة وفي سنة اربعمائة كتب سجل عن الحاكم بأمر الله فيه رفع الخمس والزكاة والفطرة والنجوى التي كانت تحمل ويتقرب بها وتجرى على ايدي القضاة وكتب سجل آخر بقطع مجالس الحكمة التي تقرأ على الاولياء يوم الخميس والجمعة انتهى ووظيفة داعي الدعوة كانت من مفردات الدولة الفاطمية وقد حصلت من أمر الدعوة طرفاً أحببت ايراده هنا * (وصف الدعوة وترتيبها) * وكانت الدعوة مرتبة على منازل دعوة بعد دعوة * (الدعوة الاولى) * سؤال الداعي لمن يدعو الى مذهبه عن المشكلات وتأويل الآيات ومعاني الامور الشرعية وشيء من الطبيعيات ومن الامور الغامضة فان كان المدعو عارفاً سلم له الداعي والا تركه يعمل فكره فيما ألفاه عليه من الاسئلة وقل له ياهذا ان الدين مكتوم وان الاكثر له منكرون وبه جاهلون ولو علمت هذه الامة ماخض الله به الائمة من العلم لم تختلف فيتشوق حينئذ المدعو الى معرفة ما عند الداعي من العلم فاذا علم منه الاقبال اخذ في ذكر معاني القراءات وشرائع الدين وتقرير أن الآفة التي نزلت بالامة وشتتت الكلمه وأورثت الاهواء المضلة ذهاب الناس عن أئمة نصبوا لهم وأقيموا حافظين لشرائعهم يؤدونها على حقيقةها ويحفظون معانيها ويعرفون بواطنها غير أن الناس لما عدلوا عن الأئمة وبظروا في الامور بمقولههم واتبعوا ما حسن في رأيهم وقلدوا سفاههم وأطاعوا ساداتهم وكبراءهم اتباعاً للملوك وطائفاً للدنيا التي هي ايدى متبجي الائم واجناد الظلمة وأعوان الفسقة الذين يحبون العاجلة ويجهلون في طلب الرياسة على الضعفاء ومكيدة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته وتغيير كتاب الله عز وجل وتبديل سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخالفة دعوته وافساد شريعته وسلوك غير طريقته ومماندة الخلفاء الأئمة من بعده بختر من قبل ذلك وصار الناس الى أنواع الضلالات فان دين محمد صلى الله عليه وسلم ماجأ بالتحلى ولا بأمانى الرجال ولا شهوات الناس ولا بما خف على غامض ستره الله في حجبهِ وعظم شأنه عن ابتدال أسرارهِ فهو سر الله المكتوم وأمره المستور الذي لا يطيق حمله ولا ينهض بأعبائه وثقله الا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه لتقوى فاذا ارتبط المدعو على الداعي وأسلم له ثقله الى غير ذلك * فمن مسائلهم ما معني رحى الجمار والعدو بين الصفا والمروة ولم كانت الحائض تقضي الصوم ولا تقضى الصلاة وما بالجنب يغتسل من ماء دافق يسير ولا يغتسل من البول النجس الكثير القذر وما بال الله خالق الدنيا في ستة ايام أعجز عن خلقها في ساعة واحدة وما معنى الصراط المضروب في القرآن مثلاً والكاتبين الحافظين وما لنا لا نراهما أخاف أن نكابرهُ ونجاحده حتي أدلى العيون وأقام علينا الشهود

وقيد ذلك في القراطس بالكتابة وما تبديل الارض غير الارض وما عذاب جهنم وكيف
 يصح تبديل جلد مذنب بجلد لم يذنب حتى يعذب وما معنى ويحمل عرش ربك فوقهم
 يومئذ ثمانية وما ابليس وما الشياطين وما وصفوا به وأين مستقرهم وما مقدار قدرهم وما
 يأجوج وما أجوج وهاروت وماروت وأين مستقرهم وما سبعة ابواب النار وما ثمانية ابواب
 الجنة وما شجرة الزقوم النابتة في الجحيم وما دابة الارض ورؤس الشياطين والشجرة
 الملعونة في القرآن والتين والزيتون وما الخنس الكنيس وما معنى ألم والمص وما معنى
 كهيعص وحمسق ولم جعلت السموات سبعا والارضون سبعا والمثاني من القرآن سبع
 آيات ولم فجرت العيون اثني عشرة عينا ولم جعلت الشهور اثني عشر شهرا وما يمل معكم
 عمل الكتاب والسنة ومعاني الفرائض اللازمة فكروا أولا في انفسكم أين ارواحكم وكيف
 صورها وأين مستقرها وما أول أمرها والانسان ماهو وما حقيقة وما الفرق بين حياته
 وحياة البهائم وفضل ما بين حياة البهائم وحياة الحشرات وما الذي بات به حياة الحشرات
 من حياة النبات وما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقت حواء من ضلع آدم
 وما معنى قول الفلاسفة الانسان عالم صغير والعالم انسان كبير ولم كانت قامة الانسان متصبية دون
 غيره من الحيوانات ولم كان في يديه من الاصابع عشر وفي رجليه عشر أصابع وفي كل اصبع
 من اصابع يديه ثلاثة شقوق الا الابهام فان فيه شقين فقط ولم كان في وجهه سبع ثقب
 وفي سائر بدنه ثقبان ولم كان في ظهره اثنتا عشرة عقدة وفي عنقه سبع عقد ولم جعل عنقه
 صورة ميم ويداهء وبطنه ميماء ورجلاه دالا حتى صار ذلك كتابا مرسوما يترجم عن محمد
 ولم جعلت قامته اذا انتصب صورة الف واذا ركع صارت صورة لام واذا سجد صارت صورة
 هاء فكان كتابا يدل على الله ولم جعلت أعداد عظام الانسان كذا وأعداد أسنانه كذا والاعضاء
 الرئيسة كذا الى غير ذلك من التشریح والقول في العروق والاعضاء ووجود منافع الحيوان
 ثم يقول الداعي ألا تتفكرون في حالكم وتعتبرون وتعلمون أن الذي خلقكم حكيم غير
 مجازف وأنه فعل جميع ذلك لحكمة وله فيها أسرار خفية حتى جمع ما جمع وفرق ما فرق فكيف
 يسمعكم الاعراض عن هذه الامور وانهم تسمعون قول الله عز وجل وفي الارض آيات
 للموقنين وفي انفسكم أفلا تبصرون ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتفكرون سنبرهم
 آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق فأبى الكفار في انفسهم وفي
 الآفاق حتى عرفوا أنه الحق وأي حق عرفه من جحد الديانة الا يدلکم هذا على أن الله
 جل اسمه اراد أن يرشدكم الى بواطن الامور الخفية وأسرار فيها مكتومة لو تنبهتم لها
 وعرفتموها لزال غمكم كل حيرة ودحضت كل شبهة وظهرت لكم المعارف السنية الأترو
 أنكم جهلتم انفسكم التي من جهلها كان حريا أن لا يعلم غيرها أليس الله تعالى يقول ومن

كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا ونحو ذلك من تأويل القرآن وتفسير السنن والاحكام وايراد ابواب من التجويز والتعليل فاذا علم الداعي أن نفس المدعو قد تعلقت بمأسأله عنه وطلب منه الجواب عنها قال له حينئذ لا تعجل فان دين الله أعلى وأجل من أن يبذل لغير أهله ويجعل غرضا للعب وجرت عادة الله وسنته في عباده عند شرع من نصبه أن يأخذ العهد على من يرشده ولذلك قال واذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا وقال عز وجل من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم يانتظر وما بدلوا تبديلا وقال جل جلاله يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود وقال ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون ولا تكونوا كالتى نتضت غزها من بعد قوة أنسكنا وقال لقد أخذنا ميثاق بني اسرائيل ومن أمثال هذا فقد أخبر الله تعالى أنه لم يملك حقه الا لمن أخذ عهده فأعطانا صفقة بميثاق وعاهدنا بالموكد من أيمانك وعقودك أن لا نقضى لنا سرا ولا نظاهر علينا أحدا ولا نطلب لنا غيلة ولا نكتمننا نصحا ولا تواليا لنا عدوا فاذا أعطى العهد قال له الداعي أعطنا جملا من مالك نجعله مقدمة أمام كشفنا لك الامور وتعريفك اياها والرسم في هذا الجعل بحسب ما يراه الداعي فان امتنع المدعو أمسك عنه الداعي وان أجاب وأعطى نقله الى الدعوة الثانية وانما سميت الاسماعيلية بالباطنية لانهم يقولون انكل ظاهر من الاحكام الشرعية باطن وانكل تنزيل تأويل* (الدعوة الثانية)* لا تكون الا بعد تقدم الدعوى الاولى فاذا تقرر في نفس المدعو جميع ما تقدم وأعطي الجعل قال له الداعي ان الله تعالى لم يرض في اقامة حقه وما شرعه لعباده الا أن يأخذوا ذلك عن أئمة نصبهم للناس وأقامهم لحفظ شريعته على ما اراده الله تعالى ويسلك في تقرير هذا ويستدل عليه بامور مقررة في كتبهم حتى يعلم أن اعتقاد الأئمة قد ثبت في نفس المدعو فاذا اعتقد ذلك نقله الى الدعوة الثالثة* (الدعوة الثالثة)* مرتبة على الثانية وذلك أنه اذا علم الداعي ممن دعاه أن ارتباطه على دين الله لا يعلم الا من قبل الأئمة قرر حينئذ عنده أن الأئمة سبعة قدرتهم البارى تعالى كما رتب الامور الحلية فانه جعل السكواكب السيارة سبعة وجعل السموات سبعة وجعل الارضين سبعة ونحو ذلك مما هو سميع من الموجودات وهؤلاء الأئمة السبعة هم على بن ابى طالب والحسن بن علي والحسين بن علي وعلي بن الحسين الملقب زين العابدين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد الصادق والسابع هو القائم صاحب الزمان وهم اعني الشيعة مختلفون في هذا القائم فمنهم من يجعله محمد بن اسمعيل بن جعفر الصادق ويسقط اسماعيل بن جعفر ومنهم من يعد اسماعيل بن جعفر اماما ثم يعد ابنه محمد بن اسمعيل فاذا تقرر عند المدعو أن الأئمة سبعة انحل عن معتقد الامامية من الشيعة

القائلين بامامة اثني عشر اماما وصار الى معتقد الاسماعيلية بأن الامامة انتقلت الى محمد ابن اسمعيل بن جعفر فاذا علم الداعي ثبات هذا العقد في نفس المدعو شرع في ثلب بقية الأئمة الذين قد اعتقد الامامية فيهم الامامة وقرر عند المدعو أن محمد بن اسمعيل عنده علم المستورات وبواطن المعلومات التي لا يمكن أن توجد عند احد غيره وأن عنده أيضا علم التأويل ومعرفة تفسير ظاهر الامور وعنده سر الله تعالى في وجه تدبيره المسكتوم واتقان دلالاته في كل امر يسأل عنه في جميع المدعومات وتفسير المشكلات وبواطن الظاهر كله والتأويلات وتأويل التأويلات وأن دعائه هم الوارثون لذلك كله من بين سائر طوائف الشيعة لانهم أخذوا عنه ومن جهته رويوا وان احدا من الناس الخالفين لهم لا يستطيع أن يساويهم ولا يقدر على اتحقيق بما عندهم الا منهم ويحتج لذلك بما هو معروف في كتبهم مما لا يسع هذا الكتاب حكايته لطوله فاذا انقاد المدعو وأذعن لما تقرر نقله الى الدعوة الرابعة * (الدعوة الرابعة) * لا يشرع الداعي في تقريرها حتى يتيقن صحة انقياد المدعو للجميع ما تقدم فاذا يتيقن منه صحة الانقياد قرر عنده أن عدد الانبياء الناصحين للشرائع المبداين لاحكامها اصحاب الادوار وتقلبات الاحوال انما طاقين بالامور سبعة فقط كعدد الأئمة سواء وكل واحد من هؤلاء الانبياء لا بد له من صاحب يأخذ عنه دعوته ويحفظها على أمته ويكون معه ظهيرا له في حياته وخليفة له من بعد وفاته الى أن يباغ شرعته الى أحد يكون سبيله معه كسبيله هو مع نبيه الذي اتبعه ثم كذلك كل مستخلف خليفة الى أن يأتي منهم على تلك الشريعة سبعة اشخاص ويقال لهؤلاء السبعة الصامتون لثباتهم على شريعة ائمتهم فيها اثر واحد هو اولهم ويسمى الاول من هؤلاء السبعة السوس وانه لا بد عند انقضاء هؤلاء السبعة ونفاذ دورهم من استفتاح دور ثان يظهر فيه نبي ينسخ شرع من مضى من قبله وتكون خلفاء من بعده امورهم تجري كأمر من كان قباهم ثم يكون من بعدهم نبي ينسخ يقوم من بعده سبعة صمت ابدا وهكذا حتى يقوم النبي السابع من النطقاء فينسخ جميع الشرائع التي كانت قبله ويكون صاحب الزمان الاخير فكان اول هؤلاء الانبياء النطقاء آدم عليه السلام وكان صاحبه وسوسه ابنه شيث وعدوا تمام السبعة الصامتين على شريعة آدم وكان الثاني من الانبياء النطقاء نوح عليه السلام فانه نطق بشريعة نسخ بها شريعة آدم وكان صاحبه وسوسه ابنه سام وتلاه بقية السبعة الصامتين على شريعة نوح ثم كان الثالث من الانبياء النطقاء ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه فانه نطق بشريعة نسخ بها شريعة نوح وآدم عليهما السلام وكان صاحبه وسوسه في حياته والخليفة القائم من بعده المباغ شريعته ابنه اسمعيل عليه السلام ولم يزل يخلفه صامت بعد صامت على شريعة ابراهيم حتى تم دور السبعة الصمت وكان الرابع من الانبياء النطقاء موسى بن عمران عليه السلام فانه

نطق بشريعة نسخ بها شريعة آدم ونوح و ابراهيم وكان صاحبه وسوسه اخوه هرون
ولما مات هرون في حياة موسى قام من بعد موسى يوشع بن نون خليفة له صمت على شريعته
وباغها فأخذها عنه واحد بعد واحد الى أن كان آخر الصمت على شريعة موسى يحيى بن
زكرياء وهو آخر الصمت ثم كان الخامس من الانبياء انطقاء المسيح عيسى بن مريم صلوات
الله عليه فانه نطق بشريعة نسخ بها شرائع من كان قبله وكان صاحبه وسوسه شمعون الصفا
ومن بعده تمام السبعة الصمت على شريعة المسيح الى أن كان السادس من الانبياء انطقاء نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم فانه نطق بشريعة نسخ بها جميع الشرائع التي جاء بها الانبياء من
قبله وكان صاحبه وسوسه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثم من بعد علي ستة صمتوا
على الشريعة المحمدية وقاموا بميراث أسرارها وهم ابنه الحسن ثم ابنه الحسين ثم علي بن
الحسين ثم محمد بن علي ثم جعفر بن محمد ثم اسماعيل بن جعفر الصادق وهو آخر الصمت
من الأئمة المستورين والسابع من النطقاء هو صاحب الزمان وعند هؤلاء الاسماعيلية أنه محمد
ابن اسمعيل بن جعفر وأنه الذي انتهى اليه علم الاولين وقام بعلم بواطن الامور وكشفها
واليه المرجع في تفسيرها دون غيره وعلى جميع السكافة اتباعه والخضوع له والالقياد اليه
والتسليم له لان الهداية في موافقته واتباعه والضلال والحيرة في العدول عنه فاذا تقرر ذلك
عند المدعو انتقل الداعي الى الدعوة الخامسة * (الدعوة الخامسة) * مترتبة على ما قبلها
وذلك أنه اذا صار المدعو في الرتبة الرابعة من الاعتقاد أخذ الداعي يقرر أنه لا بد مع كل
امام قائم في كل عصر حجج متفرقون في جميع الارض عليهم تقوم وعدة هؤلاء الحجج
ابدا اثنا عشر رجلا في كل زمان كما أن عدد الأئمة سبعة ويستدل لذلك بأور من ان الله
تعالى لم يخلق شيئا عبثا ولا بد في خالق كل شيء من حكمة والا فلم خالق النجوم التي بها قوام
العالم سبعة وجعل ايضا السموات سبعا والارضين سبعا والبروج اثني عشر والشهور اثني
عشر شهرا ونقباء بني اسرائيل اثني عشر نقيباً ونقباء رسول الله صلى الله عليه وسلم من
الانصار اثني عشر نقيباً وخالق تعالى في كف كل انسان أربع اصابع وفي كل اصبع ثلاث
شقوق تكون جماتها اثني عشر شقا على أنه في يد كل ايهام شقان دلالة على ان الانسان بدنه
كالارض واصابعه كالجزائر الاربع والشقوق التي في الاصابع كالحجج والايهام الذي به قوام
جميع الكف وسداد الاصابع كالذي يقوم الارض بقدر ما فيها والشقان اللذان في الايهام
اشارة الى ان الامام وسوسه لا يفترقان ولذلك صار في ظهر الانسان اثنا عشرة خرزة
اشارة الى الحجج الاثني عشر وصار في عنقه سبع فكان العنق عاليا على خرزات الظهر وذلك
اشارة الى الانبياء النطقاء والأئمة السبعة وكذلك الانقلاب السبعة التي في وجه الانسان العالى
على بدنه وأشياء من هذا النوع كثيرة فاذا تمهد عند المدعو ما دعاه اليه الداعي وتقرر نفيه
حينئذ الى الدعوة السادسة * (الدعوة السادسة) * لا تكون الا بعد ثبوت جميع ما تقدم

في نفس المدعو وذلك أنه اذا صار الى الرتبة الخامسة أخذ الداعي في تفسير معاني شرائع الاسلام من الصلاة والزكاة والحج والطهارة وغير ذلك من الفرائض بأمور مخالفة للظاهر بعد تمهيد قواعد تبين في ازمئة من غير عجلة تؤدي الى أن هذه الاشياء وضعت على جهة الرموز لمصلحة العامة وسياستهم حتى يشتغلوا بها عن بنى بعضهم على بعض وتصدهم عن الفساد في الارض حكمة من الناصيين للشرائع وقوة في حسن سياستهم لاتباعهم واتقانها منهم لما رتبوه من النواميس ونحو ذلك حتى يتمكن هذا الاعتقاد في نفس المدعو فاذا طال الزمان وصار المدعو يعتقد أن أحكام الشريعة كلها وضعت على سبيل الرموز لسياسة العامة وأن لها معاني أخر غير ما يدل عليه الظاهر نقله الداعي الى الكلام في الفلسفة وحضه على النظر في كلام افلاطون وأرسطو وفيثاغورس ومن في معناهم ونهاه عن قبول الاخبار والاحتجاج بالسمعيات وزين له الافتداء بالدلة العقلية والتعويل عليها فاذا استقر ذلك عنده واعتقده نقله بعد ذلك الى الدعوة السابعة ويحتاج ذلك الى زمان طويل * (الدعوة السابعة) * لا يفصح بها الداعي مالم يكثر أنسه بمن دعاه ويتيقن أنه قد تأهل الى الانتقال الى رتبة أعلى مما هو فيه فاذا علم ذلك منه قال ان صاحب الدلالة والناصب للشيعة لا يستغنى بنفسه ولا بد له من صاحب معه يعبر عنه ليكون أحدهما الاصل والاخر عنه كان وصدر وهذا انما هو اشارة العالم السفلي لما يحويه العالم العلوي فان مدير العالم في اصل الترتيب وقوام النظام صدر عنه اول موجود بغير واسطة ولا سبب نشأ عنه واليه اشارة بقوله تعالى انما امره اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون اشارة الى الاول في الرتبة والاخر هو القدر الذي قال فيه انا كل شيء خالقاه بقدر وهذا معنى ما سمعته من أن الله اول ما خلق القلم فقال للقلم اكتب فكتب في اللوح ما هو كائن وأشياء من هذا النوع موجودة في كتبهم وأصلها مأخوذ من كلام الفلاسفة القائلين الواحد لا يصدر عنه الا واحد وقد أخذ هذا المعنى المتصوفة وبسطوه بعبارات أخر في كتبهم فان كنت ممن ارتاض وعرف مقولات الناس تبين لك ما ذكرت ولا يحتمل هذا الكتاب بسط القول في هذا المعنى واذا تقرر مذكر في هذه الدعوة عند المدعو نقله الداعي الى الدعوة الثامنة * (الدعوة الثامنة) * متوقفة على اعتقاد سائر ما تقدم فاذا استقر ذلك عند المدعو ديناً له قال له الداعي أعلم أن أحد المذكورين اللذين هما مدير الوجود والصادر عنه انما تقدم السابق على اللاحق تقدم العلة على المعلول فكانت الاعيان كلها ناشئة وكائنة عن الصادر الثاني بترتيب معروف في بعضهم ومع ذلك فالسابق عندهم لا اسم له ولا صفة ولا يعبر عنه ولا يقيد فلا يقال هو موجود ولا معدوم ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز وكذلك سائر الصفات فان الاثبات عندهم يقتضي شركة بينه وبين المحدثات والنفي يقتضي التعطيل وقالوا ليس بقديم ولا محدث بل

القديم امره وكلته والمحدث خلقه وفطرته كما هو مبسوط في كتبهم فاذا استقر ذلك عند المدعو قرر عنده الداعي أن التالي يدأب في أعماله حتى يلحق بمنزلة السابق وأن الصامت في الارض يدأب في أعماله حتى يصير بمنزلة الناطق سواء وأن الداعي يدأب في أعماله حتى يبلغ منزلة السوس وحاله سواء وهكذا تجرى امور العالم في أكواره وأدواره ولهذا القول بسط كثير فاذا اعتقده المدعو قرر عنده الداعي أن معجزة النبي الصادق الناطق ليست غير أشياء ينتظمها سياسة الجمهور وتشمل الكافة مصاحبتها بترتيب من الحكمة تحوي معاني فلسفية تنبئ عن حقيقة انية السماء والارض وما يشتمل العالم عليه بأسره من الجواهر والاعراض فتارة رموز يعقلها العالمون وتارة بافصاح يعرفه كل أحد فينتظم بذلك للنبي شريعة يتبناها الناس ويقرر عنده أيضا أن القيامة والقرآن والثواب والعقاب معناها سوى ما يفهمه العامة وغير ما يتبادر الذهن اليه وليس هو الاحداث أدوار عند انقضاء أدوار من أدوار الكواكب وعوالم اجتماعاتها من كون وفساد جاء على ترتيب الطبائع كما قد بسطه الفلاسفة في كتبهم فاذا استقر هذا العقد عند المدعو نقله الداعي الى الدعوة التاسعة * (الدعوة التاسعة) * هي النتيجة التي يحاول الداعي بتقرير جميع ما تقدم رسوخها في نفس من يدعو فاذا اتقن أن المدعو تأهل لكشف السر والافصاح عن الرموز أحاله على ما قرر في كتب الفلاسفة من علم الطبيعيات وما بعد الطبيعة والعلم الالهى وغير ذلك من أقسام العلوم الفلسفية حتى اذا تمكن المدعو من معرفة ذلك كشف الداعي قناعه وقال ما ذكر من الحدوث والاصول رموز الى معاني المبادئ وتقلب الجواهر وان الوحي انما هو صفاء النفس فيجسد النبي في فهمه ما يلقى اليه ويتنزل عليه فيبرزه الى الناس ويعبر عنه بكلام الله الذي ينتظم به النبي شريعته بحسب ما رآه من المصلحة في سياسة الكائنة ولا يجب حينئذ العمل بها الا بحسب الحاجة من رعاية مصالح الدهماء بخلاف العارف فانه لا يلزمه العمل بها ويكفيه معرفته فانها اليقين الذي يجب المصير اليه وما عدا المعرفة من سائر المشروعات فاتها هي أقوال وآصار حملها الكفار أهل الجهالة لمعرفة الاعراض والاسباب ومن جملة المعرفة عندهم أن الانبياء النطقاء أصحاب الشرائع انما هم لسياسة العامة وأن الفلاسفة انبياء حكماء الخاصة وأن الامام انما وجوده في العالم الروحاني اذا صرنا بالرياضة في المعارف اليه وظهوره الآن انما هو ظهور امره ونهيه على لسان اوليائه ونحو ذلك مما هو مبسوط في كتبهم وهذا حاصل علم الداعي ولهم في ذلك مصنفات كثيرة منها اختصرت ما تقدم ذكره (ابتداء هذه الدعوة) اعلم أن هذه الدعوة منسوبة الى شخص كان بالعراق يعرف بميمون القداح وكان من غلاة الشيعة فولد ابنه عرف بعبد الله بن ميمون اتسع علمه وكثرت معارفه وكاد أن يطلع على جميع مقالات الخليفة فرتب له مذهبا وجعله في تسع دعوات ودعا الناس الى مذهبه فاستجاب له خلق

(م ٣٠ - خططني)

وكان يدعو الى الامام محمد بن اسماعيل وظهر من الاهواز ونزل بعسكر مكرم فصار له مال واشتهرت دعائه فانكر الناس عليه وهموا به فقر الى البصرة ومعه من اصحابه الحسين الاهوازي فلما انتشر ذكره بها طلب فصار الى بلاد الشام واقام بسامية وبها ولد له ابنه احمد فقام من بعد أبيه عبد الله بن ميمون فسير الحسين الاهوازي داعية له الى العراق فلقى حمدان بن الاشعث المعروف بقرمط بسواد الكوفة فدعاه واستجاب له وأنزله عنده وكان من أمره ما هو مذكور في أخبار القرامطة من كتابنا هذا عند ذكر المعز لدين الله ممد ثم انه ولد لاحد بن عبد الله ابنه الحسين ومحمد المعروف بأبي الشائع فلما هلك أحمد خلفه ابنه الحسين ثم قام من بعده أخوه أبو الشائع وكان من أمرهم ما هو مذكور في موضعه فانتشرت الدعوة في اقطار الارض وتفقها في الدعوة حتى وضعوا فيها الكتب الكثيرة وصارت علما من العلوم المدونة ثم اضمحلت الآن وذهبت بذهاب أهلها ولهذا يقال ان اصل دعوة الاسما عيلية مأخوذ من القرامطة ونسبوا من أجلها الى الالحاد * (صفة العهد الذي يؤخذ على المدعو) * وهو أن الداعي يقول لمن يأخذ عليه العهد ويخلفه جعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وذمة رسوله وأنبيائه وملائكته وكتبه ورسوله وما أخذه على النبيين من عقد وعهد وميثاق أنك تستر جميع ما سمعه وسمعت وعلمته وتعلمه وعرفته وتعرفه من امري وأمر المقيم بهذا البلد لصاحب الحق الامام الذي عرفت اقرارى له ونصحتي لمن عقد ذمته وأمور اخوانه وأصحابه وولده وأهل بيته المطيعين له على هذا الدين ومخالصته له من الذكور والاناث والصغار والكبار فلا تظهر من ذلك شيئا قليلا ولا كثيرا ولا شيئا يدل عليه الا ما أطلقت لك أن تتكلم به أو أطلقه لك صاحب الامر المقيم بهذا البلد فتعمل في ذلك بأمرنا ولا تتعداه ولا تزيد عليه وليكن ما تعمل عليه قبل العهد وبعده بقولك وفعلك أن تشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وتشهد أن محمدا عبده ورسوله وتشهد أن الجنة حق وأن النار حق وأن الموت حق وأن البعث حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة لحقها وتصوم رمضان وتحج البيت الحرام وتجاهد في سبيل الله حق جهاده على ما أمر الله به ورسوله وتوالى أولياء الله وتعادى اعداء الله وتقوم بقراءات الله وسننه وسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطاهرين ظاهرها وباطنها وعلائية سرا وجهرا فان ذلك يؤكد هذا العهد ولا يهدمه ويثبت. ولا يزيله ويقربه ولا يباعده ويشده ولا يضعفه ويوجب ذلك ولا يبطله ويوضحه ولا يعميه كذلك هو الظاهر والباطن وسائر ما جاء به التبيون من ربهم صلوات الله عليهم أجمعين على الشروط المبينة في هذا العهد جعلت على نفسك الوفاء بذلك قل نعم فيقول المدعو نعم ثم يقول الداعي له والصيانة له بذلك وأداء الامانة على أن لا تظهر شيئا أخذ عليك

في هذا العهد في حياتنا ولا بعد وفاتنا لافي غضب ولا على حال رضى ولا على رغبة ولا في حال رهبة ولا عند شدة ولا في حال رخاء ولا على طمع ولا على حرمان تاتى الله على الستر لذلك والصيانة له على الشرائط المبدية في هذا العهد وجعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم أن تمنعني وجميع من أسميه لك وأنته عندك عما تمنع منه نفسك وتنصح لنا ولوليك ولى الله نصحا ظاهراً وباطناً فلا تخن الله ووليه ولا احداً من اخواننا وأوليائنا ومن تعلم أنه منا بسبب في أهل ولا مال ولا رأى ولا عهد ولا عقد تناول عليه بما يبطله فإن فعلت شيئاً من ذلك وأنت تعلم أنك قد خالفته وانت على ذكر منه فأنت برىء من الله خالق السموات والارض الذى سوى خلقك وألف تركيبك وأحسن اليك في دينك ودنياك وآخرتك وتبرأ من رسله الاولين والآخريين وملائكته المقربين الكروبيين والروحانيين والكلمات التامات والسبع المثاني والقرآن العظيم وتبرأ من التوراة والابجيل والزبور والذكر الحكيم ومن كل دين ارتضاه الله في مقدم الدار الآخرة ومن كل عبد رضى الله عنه وانت خارج من حزب الله وحزب اوليائه وخذلك الله خذلانا بينا يجعل لك بذلك النعمة والعقوبة والمصير الى نار جهنم التى ليس لله فيها رحمة وانت برىء من حول الله وقوته ملجأ الى حول نفسك وقوتك عليك لعنة الله التى لعن الله بها ابليس وحرم عليه بها الجنة وخلده في النار ان خالفت شيئاً من ذلك ولقيت الله يوم تلقاه وهو عليك غضبان والله عليك أن تحج الى بيته الحرام ثلاثين حجة واجبا ماشيا حافيا لا يقبل الله منك الا الوفاء بذلك وكل ما عاكف في الوقت الذى تخالفه فيه فهو صدقة على الفقراء والمساكين الذين لارحم بينك وبينهم لا يأجرك الله عليه ولا يدخل عليك بذلك منفعة وكل مملوك لك من ذكر أو أنثى في ملكك أو تستقيده الى وقت وفاتك ان خالفت شيئاً من ذلك فهم أحرار لوجه الله عز وجل وكل امرأة لك أو تزوجها الى وقت وفاتك ان خالفت شيئاً من ذلك فهن طواقي ثلاثاً بة طلاق الحرج لا ماثوبة لك ولا خيار ولا رجعة ولا مشيئة وكل ما كان لك من أهل ومال وغيرها فهو عليك حرام وكل ظهار فهو لازم لك وانا المستحلف لك لامامك وحجتك وانت الخالف لهما وان نويت أو عقدت أو أضمرت خلاف ما أحملك عليه وأحلفك به فهذه اليمين من أولها الى آخرها مجددة عليك لازمة لك لا يقبل الله منك الا الوفاء بها والقيام بما عاهدت بيني وبينك قل نعم فيقول نعم ولهم مع ذلك وصايا كثيرة أضربنا عنها خشية الاطالة وفيما ذكرناه كفاية لمن عقل

(الدواوين) *

وكانت دواوين الدولة الفاطمية لما قدم المعز لدين الله الى مصر ونزل بقصره في القاهرة محالها بدار الامارة من جوار الجامع الطولوني فلما مات المعز وقيل العزيز بالله الوزارة

ليعقوب بن كلس نقل الدواوين الى داره فلما مات يعقوب نقلها العزيز بعد موته الى القصر فلم تزل به الى ان استبد الأفضل بن امير الجيوش وعمر دار الملك بعصر فقل اليها الدواوين فلما قتل عادت من بعده الى القصر وما زالت هناك حتى زالت الدولة * قال في كتاب الذخائر والتحف وحدثني من اثنى به قال كنت بالقاهرة يوما من شهور سنة تسع وخمسين وأربعمائة وقد استفحل امر المارقين وقويت شوكتهم وامتدت ايدهم الى أخذ الذخائر المصونة في قصر السلطان بغير امره فرأيت وقد دخل من باب الديلم احد أبواب القصور المعمورة الزاهرة المعروف بتاج الملوك شادى ونخر العرب على بن ناصر الدولة بن حمدان ورضى الدولة بن رضى الدولة وامير الامراء بختكين بن بسكتكين وامير العرب بن كيغلغ والاعز بن سنان وعدة من الامراء اصحابهم البغداديين وغيرهم وصاروا في الايوان الصغير فوقفوا عند ديوان الشام لكثرة عددهم وجماعتهم وكان معهم احد الفراشين المستخدمين يرسم القصور المعمورة فدخلوا الى حيث كان الديوان النظري في الديوان المذكور وصحبتهم فقلة وانتهوا الى حائط مجير فأمروا الفعلة بكشف الخيزر عنه فظهرت حنية باب مسدود فأمروا بهدمه فتوصلوا منه الى خزانة ذكر أنها عنزنية من ايام العزيز بالله فوجدوا فيها من السلاح ما يروق الناظر ومن الرماح المزينة المطلية أستتمها بالذهب ذات مهارك فضة مجرأة بسواد ممسوح وفضة بياض ثقيلة الوزن عدة رزم اعوادها من الزان الحيد ومن السيوف المجوهرة النصول ومن الذئاب الخانجي وغيره ومن الدرق اللمطي والحجف الثني وغير ذلك ومن الدروع المكلل سلاح بعضها والحلي بعضها بالفضة المركبة عليه ومن التخانيف والجواشن والكراعيدات الملبسة ديباجا المكوكبة بكواكب فضة وغير ذلك مما ذكر أن قيمته تزيد على عشرين ألف دينار فحملوا جميع ذلك بعد صلاة المغرب ولقد شاهدت بعض حواشيهم وركابياتهم يكسرون الرماح ويتلفون بذلك اعوادها الزان ليأخذوا المهارك الفضة ومنهم من يجعل ذلك في سراويله وعمامته وحيبه ومنهم من يستوهب من صاحبه السيف الثمين وكان فيها من الرماح الطوال الخطية السمر الجياد عدة حملوا منها ما قدروا عليه وبقي منها ما كسره الركابية ومن يجري مجراهم كانوا يبيعونه لاهزليين ولصناع المرادن حتى كثر هذا الصنف بالقاهرة ولم تعترضهم الدولة ولا انتفتت الى قدر ذلك ولا احتفتت به وجعلته هو وغيره فداء لاموال المسلمين وحفظا لما في منازلهم

* (ديوان المجلس) *

قال ابن الطوير ديوان المجلس هو أصل الدواوين قديما وفيه علوم الدولة بأجمعها وفيه عدة كتاب ولكل واحد مجلس مفرد وعنده معين أو معينان وصاحب هذا الديوان هو المتحدث بالانطاعات ويلحق بديوان النظر ويخضع عليه وينشأ له السجل وله المرتبة

والسند والدواة والحاجب الى غير ذلك قال ذكر خدمهم الخاصة المتصلة بهم فأولها دفتر المجلس وصاحبه من الاستاذين المحنكين ثم يتولاه أجل كتاب الدولة من يكون مترشحا لرأس الدواوين ويتضمن ذلك الدفتر وله مكان ديوان بالقصر الباطن من الانعام في العطايا والظاهر من الرسوم المعروفة في غرة السنة والضحايا والمرتب من الكسوات للولاد والاقارب والجهات وارباب الرتب على اختلاف الطبقات وما يرد من ملوك الدينامن التحف والهدايا وما يرسل اليهم من الملاطفات ومقادير الصلات للمترسايين بالمسكيات وما يخرج من الاكفان لمن يموت من ارباب الجهات المحترمت ثم يضبط ما ينفق في الدولة من المهمات ليعلم ما بين كل سنة من التفاوت فالصرة المنعم بها في اول العام من الدنانير والرباعية والقرار يربط تقرب من ثلاثة آلاف دينار وثمان الضحايا يقرب من ألفي دينار وما ينفق في دار الفطرة فيما يفرق على الناس سبعة آلاف دينار وما ينفق في دار الطراز للاستعمالات الخاص وغيرها في كل سنة عشرة آلاف دينار وما ينفق في مهم فتح الحليج غير الطعام ألفا دينار وما ينفق في شهر رمضان في سماطه ثلاثة آلاف دينار وما ينفق في سماطى الفطر والنحر أربعة آلاف دينار وهذا خارج عما يطلق لثناس اصنافا من خزائنه من المأككل والمشارب والمواصلة من الهبات وما تخرج به الخطوط من التشريفات والمساحات وما يطلق من الاهراء من الغلات حتى لا يفوتهم علم شىء من هذه المطلقات وفي هذه الخدمة كاتب مستقل بين يدى صاحب ديوانه الاصلى ومعه كاتبان آخران لتزويل ذلك في الدفتر والدفتر عبارة عن جرائد مسطوحات ينزل ذلك فيها في اوقاته من غير فوات قال واذا انقضى عيد النحر من كل سنة تقدم بعمل الاستيثار لتلك السنة تمام ذى الحجة منها فيجتمع كتاب ديوان الرواتب عند متوليه وتحمل العروض اليه فاذا تحررت نسخة التحرير بيضت بعد أن يستدعي من المجلس اوراق بالادرار الذى يقبض بغير خرج وفي الادرار ما هو مستقر بالوجهين فيضاف هذا المبلغ بجهاته الى المبالغ المعلومه بديوان الرواتب وجهاتها حتى لا يفوت من الاستيثار شىء من كل ما تقرر شرحه ويعلم مقداره عينا وورقا وغلة وغير ذلك فيحدر ذلك كله باسماء المرتزقين واولهم الوزير ومن يلوز به وعلى ذلك الى أن ينتهى الجميع الى ارباب الضر فاذا اكمل استدعى له من خزانة النرش وطاء حرير لشده وشراة لمسكه اما خضرأ أو حمراء ويعمل له صدر من الكلام اللائق بما بعده وهذا كله خارج عن الكسوات المطقة لاربابها والرسوم المعدة في كل سنة وما يحمل من دار الفطرة من الاصناف برسم عيد الفطر وعما يشهده دفتر المجلس من العطايا الخافية والرسوم وقد انعقد مرة واما أتولى ديوان الرواتب على ما مبلغه نفق ومائة الف دينار أو قريب من مائتي ألف دينار ومن القمح والشعير على عشرة آلاف اردب فاذا فرغ من مسكه في الشراة

حمل الى صاحب ديوان النظر ان كان والا فله صاحب ديوان المجلس ليعرضه على الخليفة ان كان يعنى مستبدا أو الوزير لاستقبال المحرم من السنة الآتية في أوقات معلومة فيتأخر في العرض وربما يستوعب المحرم ليحيط العلم بما فيه فاذا كمل العرض أخرج الى الديوان وقد شطب على بعضه وكانوا يخرجون من الاقامات على مال الدولة التي لا اصل لها وعلى غير متوفر ويتجزها أربابها بالمستقبالات على الخلفاء والوزراء وينقص قوم للاستكثار ويزاد قوم للاستحقاق ويصرف قوم ويستخدم آخرون على ما تقتضيه الآراء في ذلك الوقت ثم يسلم لرب هذا الديوان فيحمل الامر على ما شطب عليه وعلامة الاطلاق خروجه من العرض وقيل انه عمل مرة في ايام المستنصر بالله فلما استؤذن على عرضه قال هل وقع أحد بما فيه غيرنا قيل له معاد الله يا مولانا ماتم انعام الالك ولا رزق الا من الله على يديك فقال ما ينقص به امرنا ولا خطنا وما صرفناه في دولتنا باذننا وتقدم الى ولي الدولة ابن جبران كاتب الانشاء بامضاءه للناس من غير عرض وحمل الامر على حكمه ووقع عن الخليفة بظاهره الفقر مر المذاق . والحاجة تذل الاعناق . وحراسة النعم بادرار الارزاق . فايجروا على رسوهم في الاطلاق . ما عنكم ينفذ وما عند الله باق . ووقع في خلافة الحافظ لدين الله على استيثار الرواتب مانصه أمير المؤمنين لا يستكثر في ذات الله كثير الاعطاء . ولا يكدره بالتأخير له والتسويق والابطاء . ولما انتهى اليه ما رباب الرواتب عليه من القلق الامتناع من إيجاباتهم . وحمل خروجاتهم . قدضعت قلوبهم . وقنطت نفوسهم . وساءت ظنونهم . شملهم برحمته ورأفته . وأمنهم مما كانوا وجلين من مخافته . وجعل اتوقع بذلك بخط يده تأكيداً للانعام والمن . وتهنئة بصدقة لا تتبع بالاذى والمن . فليعتمد في ديوان الجيوش المتصورة اجراء ما تضمنت هذه الاوراق ذكرهم . على ما ألفوه وعهدوه من روايتهم . وإيجابها على سياقها لكافتهم . من غير تأول ولا تنعت . ولا استدراك ولا تمقب . وليجروا في نسياتهم على عادتهم لا ينقص من امرهم ما كان مبرما . ولا ينسخ من رسمهم ما كان محكما . كرما من أمير المؤمنين وفعلا مبرورا . وعملا بما اخبر به عز وجل في قوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا . ولنسخ في جميع الدواوين بالحضرة ان شاء الله تعالى * وقال في كتاب كنز الدرر ان في سنة ست واربعمئة عرض على الحاكم بامر الله الاستيثار باسم المتفقين والقراء والمؤذنين بالقاهرة ومصر وكانت الجملة في كل سنة احدا وسبعين الف دينار وسبعمائة وثلاثة وثلاثين ديناراً واثني دينار وربع دينار فأضى جميع ذلك * وقال ابن المأمون وأما الاستيثار فبلغني ممن أئق به أنه كان في الايام الافضلية اثني عشر ألف دينار ووصار في الايام المامونية لاستقبال سنة ست عشرة وخمسمائة ستة عشر الف دينار وأما تذكرة الطراز فالحكم فيها مثل الاستيثار والشائع فيها أنها كانت تشتمل في الايام الافضلية على أحد وثلاثين ألف دينار ثم اشتملت في الايام

المأمونية على ثلاثة واربعين الف دينار وتضاعفت في الايام الآمرية وعرض روزنامج بما اتفق عينا من بيت المال في مدة أولها محرم سنة سبع عشرة وخمسمائة وآخرها ساخ ذى الحجة منها في العساكر المسيرة لجهاد الفرنج برأ والاساطيل بحرا والمنفق في ارباب النفقات من الحجرية والمصطبية والسودان على اختلاف قبوضهم وما ينصرف برسم خزانة القصور الزاهرة وما يتناع من الحيوان برسم المطابخ وما هو برسم منديل السكم الشريف في كل سنة مائة دينار والمطلق في الاعياد والمواسم وما ينعم به عند الركوبات من الرسوم والصدقات وعند العود منها وثمن الامتعة المباعة من التجار على ايدي الوكلاء والمطابق برسم الرسل والضيوف ومن يصل مستأمنا ودار الطراز ودار الديباج والمطلق برسم الصلات والصدقات ومن يهتدي للاسلام وما ينعم به على الولاة عند استخدامهم في الخدم ونفقات بيت المال والعماير وهو من العين أربعمائة ألف وثمانية وستون ألفا وسبعمائة وسبعة وتسعون دينارا ونصف من جملة خمسمائة ألف وسبعة وستين ألفا ومائة وأربعين دينارا ونصف يكون الحاصل بعد ذلك مما يحمل الى الصناديق الخاص برسم المهمات لما يتجدد من تسفير العساكر وما يحمل الى الثغور عند تقاد ما بها ثمانية وتسعين ألفا ومائة وسبعة وتسعين دينارا وربما وسدسا ولم يكن يكتب من بيت المال وصول ولا مجرى ولا تعرف وذلك خارج عما يحمل مشاهرة برسم الديوان المأموني والاجلاء اخوته وأولاده وما أنعم به على ما تضمنت اسمه مشاهرة من الاصحاب والخواشي وارباب الخدم والسكتاب والاطباء والشعراء والفراشين الخاص والجوق والمؤدين والخطاطين والرفائين وصبيان بيت المال وتواب الباب ونقباء الرسائل وأرباب الرواتب المستقرة من ذوى النسب والبيوتات والضعفاء والصعاليك من الرجال والنساء عن مشاهرتهم ستة عشر ألفا وستمائة واثنتان وثمانون دينارا وثلاثا دينار يكون في السنة مائتي ألف ومائة دينار فتكون الجملة سبعمائة ألف وسبعة وستين ألفا ومائتين وأربعة وتسعين دينارا ونصفا * قال وفي هذا الوقت يعني شوال سنة سبع عشرة وخمسمائة وقعت مرافعة في ابي البركات بن أبي الليث متولي ديوان المجلس صورتها المملوك يقبل الارض وينهي انه ما واصل انها حال هذا الرجل وما يتممه لانه أهل أن ينال خدمة وانما هي نصيحة تلزمه في حق ساطانه وقد حصل له من الاموال والذخائر مالا عد له ولا قيمة عليه ويضرب المملوك عن وجوه الجناية التي هي ظاهرة لان السلطان لا يرضى بذكرها في على مجلسه ولا سماعها في دولته وله ولا هله مستخدمون في الدولة ست عشرة سنة بالجاري الثقيل لكل منهم ويذكر المملوك ما وصلت قدرته الى علمه ما هو باسمه خاصة دون من هو مستخدم في الدواوين من أهله وأصحابه ويبدأ بما باسمه مياومة ادرارا من بيت المال والخزائن ودار التعمية والمطابخ وشون الحطب وهو ما يبين برسم البقولات والتوابل نصف دينار ومن

الضأن رأس واحد ومن الحيوان ثلاثة اطيبار ومن الخطب حملة واحدة ومن الدقيق خمسة وعشرون رطلا ومن الخبز عشرون وظيفة ومن الفاكهة ثمرة زهرة قصريتان وشمامة وفي كل اثنين وخميس من السماط بقاعة الذهب طيفور خاص وصحن من الاوائل وخمسة وعشرون رغيفا من الخبز الموآدي والسميد وفي كل يوم احد وأربعاء من الاسمطة بالدار المأمونية مثل ذلك وفي كل يوم سبت وثلاثاء من اسمطة الركوبات خروف مشوى وجام حلوى ورباعي عبا ويحضر اليه في كل يوم من الاصطبلات بغلة بمركوب محلى وبغلة يرسم الراحل وفراشين من الجوق يرسم خدمته وتبيت على بابه واذا خرج من بين يدي السلطان في الليل كان له شمعة من الموكيات توصله الى داره وزنها سبعة عشر رطلا ولا تعود ويرسم ولده في كل يوم ثلاثة ارطال لحم وعشرة ارطال دقيق وفي ايام الركوبات رباعي والمشاهرة جارى ديوان الخاص والمجلس يرسمه مائة وعشرون دينارا ويرسم ولده راتبا عشرة دنانير وأثبت أربعة علمان نصارى ونسبهم الاسلام في جملة المستخدمين في الركاب ولم يخدموا الا في الليل ولا في النهار بما مبالغه سبعة دنانير ومن السكر خمسة عشر رطلا ومن غسل النحل عشرة ارطال ومن قاب الفستق ثلاثة ارطال وقلب البنق خمسة ارطال وقلب اللوز أربعة ارطال وورد مربى رطلان زيت طيب عشرة ارطال شيرج خمسة ارطال زيت حار ثلاثون رطلا خل ثلاث جرار أرز نصف وبة سماق اربعة ارطال حصرم وكشك وحب رمان وقراصيا بالسوية اثنا عشر رطلا سدر وأشنان وبة ومن الكيزان عشرون شربة عسيزية وثلجية واحدة ومن الشمع ست شمعات منهن اثنتان منويات وأربعة رطليات والمسألة في بكور الغرة يرسم الخاصة خمسة دنانير وخمس رباعية وعشرة قراريط جدد ويرسم ولده دينار ورباعي وثلاثة قراريط وخروف مقوم وخمسة أرؤس وربيع قنطار خبز برماذق وصحن أرز بابن وسكر ومن السماط بالقصر في اليوم المذكور خروف شواء وزبادى وجام حلوى والخبز وقطعة منفوخ ومن القمح ثلثمائة أردب ومن الشعير مائة وخمسون أردبا وفي المواليد الاربعة اربع صواني فطرة وكسوة الشتاء يرسمه خاصة منديل حريرى وشقة ديبق حرير وشقة ديباج ورداء اطلس وشقة ديباج دارى وشقتان سقلاطون احدها اسكندرانية وشقتان عتابي وشقتان خز مغربي وشقتان اسكندراني وشقتان دمياطي وشقة طلى مرش وفوطة خاص ويرسم ولده شقة سقلاطون دارى وشقة عتابي دارى وشقة خز مغربي وشقتان دمياطي وشقتان اسكندراني وشقة طلى وفوطة ويرسم من عنده منديلا كم احدها خزائي خاص واصفى اردية ديبق وشقة سقلاطون دارى وشقة عتابي وشقة سوسى وشقة دمياطي وشقتان اسكندراني وفوطة ويرسمه أيضا في عيد الفطر طيفوران فطرة مشورة ومائة حبة. بورى وبذلة مذهبة مكملة ولولده بذلة حرير ويرسم من عنده حلة

مذهبة وفي عيد النحر رسمه مثل عيد الفطر ويزيد عنه هبة مائة دينار ولولده مثل عيد الفطر وزيادة عشرة دنانير ويساق اليه من الغنم ما لم يكن باسمه وفي موسم فتح الخليج اربعون ديناراً وصينية فطرة وظيفور خاص من القصر وخروف شواء وجام حلواء ورسم ولده خمسة دنانير ولخاصه في النوروز ثلاثون ديناراً وشقة ديبقي حريري وشقة لاذ ومعجر حريري ومنديل كم حريري وفوطه ومائة بطيخة وسبعمائة حبة رمان وأربعة عناقيد موز وفرد بسر وثلاثة أقفاص تمر قوصي وقنصان سفر جل وثلاث بكالي هريسة واحدة بدجاج واخرى بلحم ضان والثالثة بلحم بقرى وأربعون رطلا خبز برماذق ولولده خمسة دنانير وحوائج النوروز بما تقدم ذكره و برسمه في الميلاد جام قاهرية ومتردسميد مقتصمي وزلاية وست قرابات جلاب وعشر حبات بوري وبرسم الغيطاس خمسمائة حبة ترنج و نارنج وليون مركب وخمسة عشر طن قصب وعشر حبات بوري وباسمه في عيد الغدير من السباط بالقصر مثل عيد النحر وله هبة عن رسم الخلع من المجلس المأموني يعني مجلس الوزارة ثلاثون ديناراً ولولده خمسة دنانير ومن تكون هذه رسومه في أي وجه تنصرف أمواله والذي باسم أخيه نظير ذلك وكذلك صهره في ديوان الوزارة وابن أخيه في الديوان التاجي ووجوه الاموال من كل جهة واصلة اليهم والامانة مصروفة عنهم وقد اختصر المملوك فيما ذكر والذي باسمه أكثر واذا أمر بكشف ذلك من الدواوين تبين صحة قول المملوك وعلم أنه ممن يتجنب قول المحال ولا يرضاه لنفسه سيما ان رفعه الى المقام الكريم وشنع ذلك بكثرة القول فيهم وعرض بالقبض عليهم وأوجب على نفسه أنه يثبت في جهاتهم من الاموال التي تخرج عن هذا الانعام ما يجده حاضراً مدخوراً عند من يعرفه مائة ألف دينار فلم يسمع كلامه الى أن ظهر الراهب في الايام الآمرية فوجد هو وغيره الفرصة فيهم وكثر الوقائع عليهم فقبض عليهم عن آخرهم ومن يعرفهم وأخذ منهم الجملة الكبيرة ثم بعد ذلك عادوا الى خدمتهم بما كان من اسمائهم وتجدد من جاههم وانتقامهم من اعدائهم أكثر مما كان أولاً انتهى فانظر أعزك الله الى سعة أحوال الدولة من معلوم رجل واحد من كتاب دواوينها يتبين لك بما تقدم ذكره في هذه المرافعة من عظم الشأن وكثرة العطاء ما يكون دليلاً على باقي أحوال الدولة

(ديوان النظر)*

قال ابن الطوير أما دواوين الاموال فان أجلها من يتولى النظر عليهم وله العزل والولاية ومن يده عرض الاوراق في أوقات معروفة على الخليفة أو الوزير ولم يرفسه نصراني الا الاحزء ولم يتوصل اليه الا بالضمان وله الاعتقال بكل مكان يتعلق به اب الدولة وله الجلوس بالمرتبة والمسند وبين يديه حاجب من أمراء الدولة وتخرج له الدواة بغير (م. ٣١ - خطط ني)

كرسى وهو يندب المترسين لطلب الحساب والحث على طلب الاموال ومطالبة أر باب الدولة ولا يعترض فيما يقصده من أحد من الدولة
 (ديوان التحقيق)

هو ديوان مقتضاه المقابلة على الدواوين وكان لا يتولاه الا كاتب خبير وله الخلع والمرتبة والحاجب ويلحق برأس الديوان يعنى متولى النظر ويفتقر اليه في أكثر الاوقات * وقال ابن المأمون وفي هذه السنة يعنى سنة احدى وخمسمائة فتح ديوان المجلس قال ولما كثرت الاموال عند ابن أبي الليث صاحب الديوان رغب في التبحر على الافضل بن أمير الجيوش ينهضه ويسأله أن يشاهده قبل حمله وذكر أنه سبعمائة ألف دينار خارجا عن نفقات الرجال فجعلت الدنانير في صناديق بجانب والدراهم في صناديق بجانب وقال ابن أبي الليث بين الصنفين فلما شاهد الافضل بن أمير الجيوش ذلك قال لابن أبي الليث يا شيخ تفرحني بالمال وتربة أمير الجيوش ان بلغنى أن بئرا معطلة أو أرضا بائنة أو بلدا خراب لا ضرر بن عنقك فقال وحق نعمتك لقد حاشا الله أيامك أن يكون فيها بلد خراب أو بئر معطلة أو أرض بور فأبى أن يكشف عما ذكر انتهى وقتل ابن أبي الليث في سنة ثمان عشرة وخمسمائة
 (ديوان الجيوش والرواتب)

قال ابن الطوير أما الخدمة في ديوان الجيوش فتقسم قسمين . الاول ديوان الجيش وفيه مستوف أصيل ولا يكون الا مسماوله مرتبة على غيره لجلوسه بين يدي الخليفة داخل عتبة باب المجلس وله الطراحة والسند وبين يديه الحاجب وترد عليه أمور الاجناد وله العرض والحلى والثياب ولهذا الديوان خازنان يرسم رفع الشواهد واذا عرض أحد الاجناد ورضى به عرض دوابه فلا يثبت له الا الفرس الحيد من ذكور الخيل وانها ولا يترك لاحد منهم برذون ولا بغل وان كان عندهم البراذين والبغال وليس لهم تغيير أحسد من الاجناد الا بمرسوم وكذلك اقطاعهم ويكون بين يدي هذا المستوفى ثقباء الامراء ينهون اليه متجددات الاجناد من الحياة والموت والمرض والصحة وكان قد فسح للاجناد في مقايضة بعضهم بعضا في الاقطاع بالتوقيعات بغير علامة بل بتخريج صاحب ديوان المجلس ومن هذا الديوان تعمل أوراق أر باب الجرايات وما كان لأمير وان علاقده بلد مقور الانادراء وأما القسم الثاني من هذا الديوان فهو ديوان الرواتب ويشتمل على أسماء كل مرتزق وجار وجارية وفيه كاتب أصيل بطراحة وفيه من المعينين والمبيضين نحو عشرة أنفس والتعريفات واردة عليه من كل عمل باستمرار من هو مستمر ومباشرة من استجد وموت من مات ليوجب استحقاقه على النظام المستقيم وفي هذا الديوان عدة عروض * العرض الاول يشتمل على راتب الوزير وهو في الشهر خمسة آلاف دينار ومن يليه من ولد وأخ من ثلثمائة

دينار الى مائتي دينار ولم يقرر لولد وزير خمسمائة دينار سوى شجاع بن شاور المتنوع بالكامل ثم حواشيهم على مقتضى عدتهم من خمسمائة الى اربعمائة الى ثلثمائة خارجا عن الاقطاعات * العرض الثاني حواشي الخليفة وأولهم الاستاذون المحنكون على رتبهم وجوارى خدمهم التي لا يباشرها سواهم فزمام القصر وصاحب بيت المال وحامل الرسالة وصاحب الدفتر ومشاد التاج وزمام الاشراف الاقارب وصاحب المجلس لكل واحد منهم مائة دينار في كل شهر ومن دونهم ينقص عشرة دنانير حتى يكون آخرهم من له في كل شهر عشرة دنانير وتزيد عدتهم على ألف نفس ولطبيي الخاص لكل واحد خمسون دينارا ولمن دونهما من الاطباء برسم المقيمين بالقصر لكل واحد عشرة دنانير * العرض الثالث يتضمن ارباب الرتب بمحضرة الخليفة قاله كاتب الدست الشريف وجاريه مائة وخمسون دينارا ولكل واحد من كتابه ثلاثون دينارا ثم صاحب الباب وجاريه مائة وعشرون دينارا ثم حامل السيف وحامل الرمح لكل منهما سبعون دينارا وبقيعة الازمة على العساكر والسودان من خمسين الى اربعين دينارا الى ثلاثين دينارا * العرض الرابع يشتمل على المستقر لقاء القضاة ومن يلي قاضي القضاة مائة دينار وداعى الدعاة مائة دينار ولكل من قراء الحضرة عشرون دينارا الى خمسة عشر الى عشرة ولخطباء الجوامع من عشرين دينارا الى عشرة وللشعراء من عشرين دينارا الى عشرة دنانير * العرض الخامس يشتمل على ارباب الدواوين ومن يجري مجراهم وأولهم من يتولى ديوان النظر وجاريه سبعون دينارا وديوان التحقيق وجاريه خمسون دينارا وديوان المجلس أربعون دينارا وصاحب دفتر المجلس خمسة وثلاثون دينارا وكتابه خمسة دنانير وديوان الجيوش وجاريه أربعون دينارا والموقع بالقلم الجليل ثلاثون دينارا وجميع اصحاب الدواوين الجاري فيها المعاملات لكل واحد عشرون دينارا ولكل معين من عشرة دنانير الى سبعة الى خمسة دنانير * العرض السادس يشتمل على المستخدمين بالقاهرة ومصر لكل واحد من المستخدمين في ولاية القاهرة وولاية مصر في الشهر خمسون دينارا والحماة بالاهراء والمناخات والجوالي والبساتين والاملاك وغيرها لكل منهم من عشرين دينارا الى خمسة عشر الى عشرة الى خمسة دنانير * العرض السابع الفراشون بالقصور برسم خدمها وتنظيفها خارجا وداخلا ونصب الستائر المحتاج اليها وخدمة المناظر الخارجة عن القصر فثم خاص برسم خدمة الخليفة وعدتهم خمسة عشر رجلا منهم صاحب المائدة وحامى المطابخ من ثلاثين دينارا الى ما حولها ولهم رسوم متميزة ويقربون من الخليفة في الاسمطة التي يجلس عليها ويلبهم الرشاوشون داخل القصر وخارجة ولهم عرفاء ويتولى أمرهم استاذ من خواص الخليفة وعدتهم نحو الثمانيه رجل وجاريهم من عشرة دنانير الى خمسة دنانير * العرض الثامن صبيان الركاب وعدتهم تزيد على ألفي رجل

ومقدموهم أصحاب ركاب الخليفة وعدتهم اثنا عشر مقدما منهم مقدم المقدمين وهو صاحب الركاب اليمين واليسار من هؤلاء المقدمين في كل شهر خمسون ديناراً ولهم نقباء من جهة المذكورين يعرفونهم وهم مقررون جوقاً على قدر جوارهم جوقاً لكل منهم خمسة عشر ديناراً وجوقاً لكل منهم عشرة دنائير وجوقاً لكل منهم خمسة دنائير ومنهم من ينتدب في الخدم السلطانية ويكون لهم نصيب في الاعمال التي يدخلونها وهم الذين يحملون الملاحقات لركوب الخليفة في المواسم وغيرها وأول من قرر العطاء لغلمانهم وخدمته وأولادهم المذكور والانات والنساءهم وقرر لهم أيضاً الكسوة العزيز بالله نزار بن المعز

(ديوان الانشاء والمكاتبات)

وكان لا يتولاه الا أجل كتاب البلاغة ويخاطب بالشيخ الاجل ويقال له كاتب الدست الشريف ويسلم المكاتبات الواردة محتومة فيعرضها على الخليفة من بعده وهو الذي يأمر بتنزيلها والاجابة عنها للمكاتبات والخليفة يستشير في اكثر اموره ولا يحجب عنه متى قصد المشور بين يديه وهذا أمر لا يصل اليه غيره وربما بات عند الخليفة ليالى وكان جاريه مائة وعشرين ديناراً في الشهر وهو اول أرباب الاقطاعات وأرباب الكسوة والرسوم والملاطفات ولا سبيل أن يدخل الى ديوانه بالقصر ولا يجتمع بكتابه أحد الا الخواص وله حاجب من الامراء الشيوخ وفراشون وله المرتبة الهائلة والحداد والمسند والدواة سكنها بغير كرمى وهي من أخص الدوى ويحملها استاذ من استاذى الخليفة

(التوقيع بالقلم الدقيق في المظالم)

وكان لا بد للخليفة من جليس يذاكره ما يحتاج اليه من كتاب الله وتجويد الخط وأخبار الانبياء والخلفاء فهو يجتمع به في اكثر الايام ومعه استاذ من المحكين مؤهل لذلك فيكون الاستاذ ثالثهما ويقرأ على الخليفة ملخص السير ويكرر عليه ذكر مكارم الاخلاق وله بذلك رتبة عظيمة تلحق برتبة كاتب الدست ويكون محبته للجلوس دواة محلاة فاذا فرغ من المجالسة التي في الدواة كاغد فيه عشرة دنائير وقرطاس فيه ثلاثة مثاقيل تد مثلك خاص ليتخير به عند دخوله على الخليفة ثاني مرة وله منصب التوقيع بالقلم الدقيق وله طراحة ومسند وفراس يقدم اليه ما يوقع عليه وله موضع من حقوق ديوان المكاتبات لا يدخل اليه أحد الا باذن وهو يلي صاحب ديوان المكاتبات في الرسوم والكساوى وغيرها

(التوقيع بالقلم الجليل)*

وهي رتبة جليلة ويقال لها الخدمة الصغرى ولها الطراحة والمسند بغير حاجب بل الفراش لترتيب ما يوقع فيه

* (مجلس النظر في المظالم) *

كانت الدولة اذا خلعت من وزير صاحب سيف جلس صاحب الباب في باب الذهب بالقصر وبين يديه النقباء والحجاب فينادي المادي بين يديه يا ارباب الظلمات فيحضرون فمن كانت ظلامته مشاهقة أرسلت الى الولاة والقضاة رسالة بكشفها ومن تظلم ممن ليس من أهل البلدين أحضر قصة بأمره فيتسلمها الحاجب منه فاذا جمعها أحضرها الى الموقع بقلم الدقيق فيوقع عليها ثم تحمل الى الموقع بقلم الجليل فيسط ما أشار اليه الموقع الاول ثم تحمل في خريطة الى الخليفة فيوقع عليها ثم تخرج في الخريطة الى الحاجب فيقف على باب القصر ويسلم كل توقيع لصاحبه فان كان وزيره صاحب سيف جلس للمظالم بنفسه وقبائله قاضي القضاة ومن جانيه شاهدان مقبران ومن جانب الوزير الموقع بقلم الدقيق ويليه صاحب ديوان المال وبين يديه صاحب الباب واسفهلار العساكر وبين أيديهما النواب والحجاب على طبقاتهم ويكون الجلوس بالقصر في مجلس المظالم في يومين من الاسبوع وكان الخليفة اذا رفعت اليه القصة وقع عليها يعتمد ذلك ان شاء الله تعالى ويوقع في الجانب الايمن منها يوقع بذلك فتخرج الى صاحب ديوان المجلس فيوقع عليها جليلا ويخلي مكان العلامة فيعلم عليها الخليفة وتثبت وكانت علامتهم أبدا الحمد لله رب العالمين وكان الخليفة يوقع في المساحة والتسوية والتحسيس قد أنعمنا بذلك وقد أمضينا ذلك وكان اذا أراد أن يعلم ذلك الشيء الذي أنهى وقع ليخرج الحال في ذلك فاذا أحضر اليه اخرج الحال علم عليه فان كان حينئذ وزير وقع الخليفة بخطه وزيرنا السيد الاجل وذكر نعمته المعروف به أمتنا الله ببقائه يتقدم بحاج ذلك ان شاء الله تعالى فيكتب الوزير تحت خط الخليفة يمثل أمر مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه ويثبت في الدواوين

* (رتب الامراء) *

وكان أجل خدم الامراء ارباب السيوف خدمة الباب ويقال لتولي هذه الخدمة صاحب الباب وينعت أولا بالمعظم وأول من خدم بها المعظم حمر تاش في أيام الخليفة الحافظ وكان من العقلاء وناب عن الحافظ في مرضه فلما عوفي اراده على الوزارة فامتنع وله نائب يقال له النائب وتسمى الخدمة فيها بالنيازة الشريفة ومقتضاها أنها مميزة ولا يليها الا أعيان المدول وأرباب المعائم وينعت أبدا بعمد الملك وهو الذي يتلقى الرسل الواصلة من الدول ومعه نواب الباب في خدمته ويحفظهم وينزلهم بالاماكن المعدة لهم ويقدمهم للسلام على الخليفة والوزير مع صاحب الباب فيكون صاحب الباب يميناً وهو يسار ويتولى افتقارهم والحث على ضيافتهم ولا يمكن من التقصير في حقوقهم واجتماع الناس بهم والاطلاع على ما جاؤا فيه ولا من ينقل الاخبار اليهم وبلي رتبة صاحب الباب الاسفهلار وهو زمام كل زمام واليه أمور

الاجناد ثم يليه حامل سيف الخليفة أيام الركوب بالمظلة واليتمة ثم من يزم طائقي الحافظة والآمرية وهما وجه الاجناد وهؤلاء أرباب الاطواق ويلهم أرباب القصب والعماريات وهي الاعلام ثم زى الطوائف ثم من يترشح لذلك من الامائل وكانت الدولة لا تسند ذلك الا الى أرباب الشجاعة والنجدة ولهذا دخل فيه أخلاط الناس من الارمن والروم وغيرهم وعلى ذلك كان عملهم لا للزينة والتباهي

(قاضى القضاة)

وكان من عادة الدولة أنه اذا كان وزير رب سيف فانه يقلد القضاء رجلاً نيابة عنه وهذا انما حدث من عهد أمير الحيوش بدر الجمالي واذا كان الخليفة مستبدّاً قلد القضاء رجلاً ونعته بقاضى القضاة وتكون رتبته أجل رتب أرباب العمائم وأرباب الاقلام ويكون في بعض الاوقات داعياً فيقال له حينئذ قاضى القضاة وداعى الدعاء ولا يخرج شئ من الامور الدينية عنه ويجلس السبت والثلاثاء بزيادة جامع عمرو بن العاص بمصر على طراحة ومسد حرير فلما ولي ابن عقيل القضاء رفع المرتبة والمسند وجلس على طراحت السامان فاستمر هذا الرسم ويجلس الشهود حواله يمنة ويسرة بحسب تاريخ عدالتهم وبين يديه خمسة من الحجاب اثنان بين يديه واثنان على باب المقصورة وواحد ينفذ الحضور اليه وله أربعة من الموقعين بين يديه اثنان يقابلان اثنين وله كرسي الدواة وهي دواة محلاة بالفضة تحمل اليه من خزائن القصور ولها حامل بجامكية في الشهر على الدولة ويقدم له من الاصطبلات برسم ركوبه على الدوام بغلة شهباء وهو مخصوص بهذا اللون من البغال دون أرباب الدولة وعليها من خزانة السروج سرج محلى ثقيل ورائه دفتر فضة ومكان الجلد حرير وتأنيته في المواسم الاطواق ويخلع عليه الخلع المذهبة بلا طيل ولا يوق الا اذا ولى الدعوة مع الحكم فان للدعوة في خلعها الطيل والبوق والبنود الخاص وهي نظير البنود التي يشرف بها الوزير صاحب السيف واذا كان للحكم خاصة كان حواله القراء رجاله وبين يديه المؤذنون يماونون بذكر الخليفة والوزير ان كان ثم يحمل بنواب الباب والحجاب ولا يتقدم عليه أحد في محضر هو حاضره من رب سيف وقلم ولا يحضر لاملاك ولا جنازة الا باذن ولا سبيل الى قيامه لاحد وهو في مجلس الحكم ولا يعدل شاهد الا بأمره ويجلس بالقصر في يومى الاثنين والخميس أول النهار لاسلام على الخليفة ونوابه لايفترون عن الاحكام ويحضر اليه وكيل يت المال وكان له النظر في ديوان الضرب لضبط ما يضرب من الدنانير فكان يحضر مباشرة التغليب بنفسه ويحتم عليه ويحضر لفتحه وكان القاضى لا يصرف الا بجنحة ولا يعدل أحداً الا بتركية عشرين شاهداً عشرة من مصر وعشرة من القاهرة ورضى الشهود به ولا يحتجى أحد على الشرع ومن فعل ذلك أدب

* (قاعة الفضة) *

وهي من جملة قاعات القصر

* (قاعة السدرة) *

كانت بجوار المدرسة والتربة الصالحية واشتراها قاضي القضاة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الحنبلي مدرس الحنابلة بالمدرسة الصالحية بألف وخمسة وتسعين ديناراً في رابع شهر ربيع الآخر سنة ستين وستمائة من كمال الدين ظافر ابن الفقيه نصر وكيل بيت المال ثم باعها شمس الدين المذكور للملك الظاهر بيبرس في حادى عشرى ربيع الآخر المذكور وكان يتوصل اليها من باب البحر

* (قاعة الخيم) *

كانت شرقي قاعة السدرة وقد دخلت قاعة السدرة وقاعة الخيم في مكان المدرسة الظاهرية العتيقة

* (المناظر الثلاث) *

استجدهن الوزير المسامون البطاحي وزير الخليفة الأمر بأحكام الله احداهن بين باب الذهب وباب البحر والاخرى على قوس باب الذهب ومنظرة نائلة وكان يقال لها الزاهرة والفاخرة والناصرة وكان يجلس الخليفة في احداها لعرض المساكين يوم عيد الغدير ويقف الوزير في قوس باب الذهب

* (قصر الشوك) *

قال ابن عبد الظاهر كان منزلاً لبني عذرة قبل القاهرة يعرف بقصر الشوك وهو الآن أحد أبواب القصر انتهى والعامّة تقول قصر الشوق وأدركت مكانه داراً استجدت بعد الدولة الفاطمية هدمها الامير جمال الدين يوسف الاستادار في سنة احدى عشرة وثمانمائة لينشئها داراً فأت ذلك وموضعه اليوم بالقرب من دار الضرب فيما بينه وبين المارستان العتيق

* (قصر أولاد الشيخ) *

هذا المكان من جملة القصر الكبير وكان قاعة فسكنها الوزير صاحب الامير الكبير معين الدين حسين ابن شيخ الشيوخ صدر الدين بن حمويه في أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب فعرف به وأدركت هذا المكان خطأ يعرف بالقصر يتوصل اليه من زقاق تجاه حمام يسرى وفيه عدة دور منها دار الطوائف سابق الدين ومدرسته المعروفة بالمدرسة السابعة وكان يتوصل اليه من الركن الخلق أيضاً من الباب المظلم تجاه سور سعيد السعداء المعروف قديماً بباب الرمح ثم عرف بقصر ابن الشيخ وعرف في زمننا بباب القصر الى أن هدمه

جمال الدين الاستادار كما يأتي ان شاء الله تعالى

(قصر الزمرذ)

هو من جملة القصر الكبير وعرف أخيراً بقصر قوصون ثم عرف في زمننا بقصر الحجازية وقيل له قصر الزمرذ لانه كان بجوار باب الزمرذ أحد أبواب القصر ووجد به في سنة بضع وسبعين وسبعمائة تحت التراب عمودان عظيمان من الرخام الابيض فعمل لهما ابن عابد رئيس الحاربيق السلطانية اساقيل وحرهما الى المدرسة التي انشاها الملك الاشرف شعبان بن حسين نجاء الطبايعانة من قلعة الجبل وأدركنا لجر هذين العمودين اوقاتا في ايام تجمع الناس فيها من كل أوب لمشاهدة ذلك ولهجوا بكركهما زمنا وقالوا فيهما شعرا وغناء كثيرا وعملوا نموذجات من ثياب الحرير وتطريز المناديل عرفت بجر العمود وكانت الانفس حينئذ منبسطة والقلوب خالية من الهموم ولاناس اقبال على الالهو لكثرة نعمهم وطول فراغهم وكان العمودان المذكوران مما ارتدم من أنقاض القصر فسبحان الوارث

(الركن الخلق)

موضعه الآن تجاه حوض الجامع الاقر على يمنية من أراد الدخول الى المسجد المعروف الآن بمعبد موسى وقيل له الركن الخلق لانه ظهر في سنة ستين وستمائة في هذا الموضع حجر مكتوب عليه هذا مسجد موسى عليه السلام نخلق بالزعفران وسمي من ذلك اليوم بالركن الخلق وأخبرني الامير الوزير ابو المعالي يلبغا السلمي أنه قرأ في الاسطر المكتوبة بألكفة باب الجامع الاقر كلاما من جملته والحوانيت التي بالركن الخلق بواو بعد الخاء فرأيت بعد ذلك في الامالى للقال وقال ابو عبيدة عن أبي عمرو الخوق الصحرء التي لا ماء بها ويقال الواسعة وأخوق واسع فاعمله سمي الخوق بمعنى الاتساع فكان ركنا متسعا وفي بناء واسع أو يكون الخلق باللام من قولهم قدح مخلق بضم الميم وفتح الخاء وتشديد اللام وفتحها اى مستوا ملس وكل مالين وملس فقد خلق فكل ملس مخلق وسمته العامة بعد ذلك الركن الخلق عند ما خلقوه بالزعفران والله أعلم

(السقيفة ٣)

وكان من جملة القصر الكبير موضع يعرف بالسقيفة يقف عنده المتظلمون وكانت عادة الخليفة أن يجلس هناك كل ليلة لمن يأتيه من المتظلمين فاذا ظلم احد وقب تحت السقيفة وقال بصوت عال لا اله الا الله محمد رسول الله علي ولي الله فيسمعه الخليفة فيأمر باحضاره اليه او يفوض امره الى الوزير أو القاضي أو الوالى ومن غريب ما وقع أن الموفق بن الخلال لما كان قوله السقيفة هكذا هنا في النسخ بالقاف والفاء وهو الظاهر المتبادر خلافا لما

مر من انما سفينة بالفاء والنون اه مصححه

يحدث في أمور الدواوين أيام الخليفة الحافظ لدين الله وخرج من انتدب بعد انحطاط النيل من الدول والنصارى الكتاب الى الاعمال لتحرير ما شمله الرى وزرع من الاراضى وكتابة المكلفات فخرج الى بعض النواحي من يمسحها من شاد وناظر وعدول وتأخر الكتاب النصراني ثم لحقهم وأراد التعدي الى الناحية فحمله ضامن تلك المعدية الى البر وطلب منه اجرة التعدية فنفر فيه النصراني وسبه وقال أنا ماسح هذه البلدة وتريد منى حق التعدية فقال له الضامن ان كان لى زرع خذه وقلم لحام بغلة النصراني وألقاه في معديته فلم يجد النصراني بدا من دفع الاجرة اليه حين أخذ لحام بغلته فلما تم مساحة البلديين مكلفة المساحة ليحملها الى دواوين الباب وكانت عادتهم حينئذ كتب الجملة بزيادة عشرين فداناً ترك بياضاً في بعض الاوراق وقابل العدول على المكلفة وأخذ الخطوط عليها بالصحة ثم كتب في البياض الذي تركه ارض اللجام باسم ضامن المعدية عشرين فداناً قطعة كل فدان اربعة دنائير عن ذلك ثمانون ديناراً وحمل المكلفة الى ديوان الاصل وكانت العادة اذا مضى من السنة الخراجية اربعة اشهر ندب من الجند من فيه حماسة وشدة ومن الكتاب العدول وكتب نصراني فيخرجون الى سائر الاعمال لاستخراج ثلث الخراج على ما تشهد به المكلفات المذكورة فينفق في الاجناد فانه لم يكن حينئذ للاجناد اقطاعات كما هو الآن وكان من العادة أن يخرج الى كل ناحية ممن ذكر من لم يكن خرج وقت المساحة بل ينتدب قوم سواهم فلما خرج الشاد والكتاب والعدول لاستخراج ثلث مال الناحية استدعوا ارباب الزرع على ما تشهد به المكلفة ومن حملهم ضامن المعدية فلما حضر ألزم ستة وعشرين ديناراً وثلاث دنانير عن نظير ثلث المال الثمانين ديناراً التي تشهد بها المكلفة عن خراج ارض اللجام فانكر الضامن أن تكون له زراعة بالناحية وصدقه اهل البلد فلم يقبل الشاد ذلك وكان عسوفاً وأمر به فضرب بالمقارع واحتج بخط العدول على المكلفة وما زال به حتى باع معديته وغيرها وأورد ثلث المال الثابت في المكلفة وسار الى القاهرة فوقف تحت السقيفة وأعلن بما تقدم ذكره فأمر الخليفة الحافظ باحضاره فلما مثل بحضرته قص عليه ظلامته مشافهة وحكى له ما اتفق منه في حق النصراني وما كاده به فأحضر ابن الخلال وجميع ارباب الدواوين وأحضرت المكلفات التي عملت للناحية المذكورة في عدة سنين ماضية وتصفحت بين يديه سنة سنة فلم يوجد لارض اللجام ذكر ألبتة فحينئذ أمر الخليفة الحافظ باحضار ذلك النصراني وسعر في مركب وأقام له من يطعمه ويسقيه وتقدم بأن يطاف به سائر الاعمال وينادى عليه ففعل ذلك وأمر بكف ايدى النصرانية كلها عن الخدم في سائر المملكة فتمطلوا مدة الى أن ساءت احوالهم وكان الحافظ مغرماً بعلم النجوم وله عدة من المنجمين من حملهم شخص صار اليه عدة من أكبر كتاب النصارى ودفعوا

اليه جملة من المال ومعهم رجل منهم يعرف بالاخزم بن ابي زكريا وسأله أن يذكر له حافظ في أحكام تلك السنة حلية هذا الرجل فإنه ان أقامه في تدبير دولته زاد النيل ونما الارترفاع وزكت الزروع ونجت الاغنام ودرت الضروع وتضاعفت الاسماك وورد التجار ووجرت قوانين المملكة على اجمال الاوضاع فطمع ذلك المنجم في كثرة ما عاينه من الذهب وعمل ما قرره النصارى معه فلما رأى الحافظ ذلك تعلق نفسه بمشاهدة تلك الصفة فأمر باحضار الكتاب من النصارى وصار يتصفح وجوههم من غير أن يطالع أحدا على ما يريد وهم يؤخرون الاخرم عن الحضور اليه قصدا منهم وخشية أن يفتن بمكرهم الى أن اشتد الزامهم باحضار سائر من بقي منهم فأحضروه بعد أن وضعوا من قدره فلما رآه الحافظ رأى فيه الصفات التي عينها منجمه فاستدناه اليه وقربه وآل أمره الى أن ولاه أمير الدواوين فأعاد كتاب النصارى أوفر ما كانوا عليه وشرعوا في التجبر وبالغوا في اظهار الفخر وتظاهروا بالملابس العظيمة وركبوا البغال الرائعة والخيول المسومة بالسروج المحلاة واللجم الثقيلة وضابقوا المسلمين في أرزاقهم واستولوا على الاحباس الدينية والاقواف الشرعية واتخذوا العبيد والماليك والجواري من المسلمين والمسلمات وصودر بعض كتاب المسلمين فألجأه الضرورة الى بيع أولاده وبناته فيقال انه اشتراه بعض النصارى وفي ذلك يقول ابن الخلال

إذا حكم النصارى في الفروج * وغالوا بالبغال وبالسروج

وذلت دولة الاسلام طرا * وصار الامر في ايدي العلوج

فقل للاعور الدجال هذا * زمانك ان هزمت على الخروج

وموضع السقيفة فيما بين درب السلامي وبين خزانة البنود يتوصل اليه من تجاه البئر التي قدام دار كانت تعرف بقاعة ابن كتيلة ثم استولى عليها جمال الدين الاستادار وجعلها مسكنا لاختيه ناصر الدين الخطيب وغير بابها

(* دار الضرب) *

هذا المكان الذي هو الآن دار الضرب من بعض القصر فكان خزانة بجوار الايوان الكبير سجن بها الخليفة الحافظ لدين الله ابو الميمون عبد المجيد ابن الامير ابي القاسم محمد بن المستنصر بالله ابي تميم معد وذلك أن الأمر لما قتل في يوم الثلاثاء رابع عشر ذي القعدة سنة اربع وعشرين وخمسمائة قام العادل برغش وهزار الملوك جوارمرد وكانا أخص غلمان الأمر بالامير عبد المجيد ونصبا خليفة ونعتاه بالحافظ لدين الله وهو يومئذ أكبر الاقارب سنا وذكر أن الأمر قال قبل أن يقتل باسبوع عن نفسه المسكين المقتول بالسكين وأنه أشار الى أن بعض جهاته حامل منه وأنه رأى انها ستلد ذكرا وهو الخليفة من بعده وأن كفالته للامير عبد المجيد فجلس على أنه كافل للمذكور ونذب هزار الملوك

للوزارة وخلع عليه فلم ترض الاجناد به وثاروا بين القصرين وكبيرهم رضوان بن ولحشى وقاموا بأبي علي بن الفضل المناقب بكتيقات وقالوا لا نرضي الا أن يصرف هزار المملوك وتفوض الوزارة لاحد بن الفضل في سادس عشر فكان اول ما بدأ به أن أحاط على الخليفة الحافظ وسجنه بالقاعة المذكورة وقيده وهم بخلمه فلم يتأت له ذلك وكان اماميا فأبطل ذكر الحافظ من الخطبة وصار يدعو للقائم المنتظر ونقش على السكة الله الصمد الامام محمد فلما قتل في يوم الثلاثاء سادس عشر المحرم سنة ست وعشرين وخمسمائة بالميدان خارج باب الفتوح سارع صبيان الخاص الذين تولوا قتله الى الحافظ وأخرجوه من الخزانة المذكورة وفكوا عنه قيده وكان كبيرهم يانس وأجاسوه في الشباك على منصب الخلافة فوطيف برأس أحمد ابن الفضل وخلع على يانس خلع الوزارة وما زالت الخلافة في يد الحافظ حتى مات ليلة الخميس خمس خلون من جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة عن سبع وستين سنة منها خليفة من حين قتل ابن الفضل ثمان عشرة سنة وأربعة أشهر وأيام

* (خزائن السلاح) *

كانت بالايوان الكبير الذي تقدم ذكره في صدر الشباك الذي يجلس فيه الخليفة تحت القبة التي هدمت في سنة سبع وثمانين وسبعمائة كما تقدم وخزائن السلاح المذكورة هي الآن باقية بجوار دار الضرب خلف المشهد الحسيني وعقد الايوان باق وقد تشمت

* (المارستان العتيق) *

قال القاضي الفاضل في متجددات سنة سبع وسبعين وخمسمائة في تاسع ذي العقدة أمر السلطان يعني صلاح الدين يوسف بن أيوب بفتح مارستان للرضى والضعفاء فاختر له مكان بالقصر وأفرد برسمه من اجرة الرباع الديوانية مشاهرة مبالغها مائتا دينار وغلات جهاتها الفيوم واستخدم له أطباء وطبائعين وجراحيين ومشارف وعاملا وخداما ووجد الناس به رفقا واليه مستروحا وبه نقعا وكذلك بمصر أمر بفتح مارستانها القديم وأفرد برسمه من ديوان الاحباس ما تقدر ارتفاعه عشرون دينارا واستخدم له طبيب وعامل ومشارف وارتفق به الضعفاء وكثر بسبب ذلك الدعاء وقال ابن عبد الظاهر كان قاعة بناها العزيز بالله في سنة أربع وثمانين وثلثمائة وقيل ان القرآن مكتوب في حيطانها ومن خواصها أنه لا يدخلها غل اطلسم بها ولما قيل ذلك لصلاح الدين رحمه الله قال هذا يصلح أن يكون مارستانا وسألت مباشرة عن ذلك فقالوا انه صحيح وكان قديما المارستان فيما بلغني القشاشين وأظنه المكان المعروف بدار الدليم انتهى والقشاشين المذكورة تعرف اليوم بالخراطين المسالوك فيها الى الخميمين والجامع الازهر

* (التربة المعزية) *

كان من جملة القصر الكبير التربة المعزية وفيها دفن المعز لدين الله آباءه الذين أحضرهم في نوايت معه من بلاد المغرب وهم الامام المهدي عبيد الله وابنه القائم بامر الله محمد وابنه الامام المنصور بنصر الله اسماعيل واستقرت مدفنا يدفن فيه الخلفاء وأولادهم ونساءهم وكانت تعرف بتربة الزعفران وهو مكان كبير من جملةا الموضوع الذي يعرف اليوم بخط الزراكشة متيق ومن هناك بابها ولما أنشأ الأمير جهاركس الخليلي خانه المعروف به في الخط المذكور أخرج ما شاء الله من عظامهم فألقيت في المزابيل على كيان البرقية ويمتد من هناك من حيث المدرسة البديرية خلف المدارس الصالحة النجمية وبها الى اليوم بقايا من قبورهم وكان لهذه التربة عوايد ورسوم منها أن الخليفة كذا ركب بمظلة وعاد الى القصر لا بد أن يدخل الى زيارة آباءه بهذه التربة وكذلك لا بد أن يدخل في يوم الجمعة دائما وفي عيدي الفطر والاضحى مع صدقات ورسوم تفرق قال ابن المأمون وفي هذا الشهر يعني شوال السنة ست عشرة وخسمائة تنبه ذكر الطائفة النزارية وتقرر بين يدي الخليفة الأمر باحكام الله أن يسير رسول الى صاحب الموق بعد أن جمعوا الفقهاء من الاسماعيليه والامامية وقال لهم الوزير المأمون البطائحي ما لكم من الحجة في الرد على هؤلاء الخارجين على الاسماعيليه فقال كل منهم لم يكن لنزار امامة ومن اعتقد هذا فقد خرج عن المذهب وضل ووجب قتله وذكروا حجتهم فكتب الكتاب ووصلت كتب من خواص الدولة تتضمن أن القوم قويتم شوكتهم واشتدت في البلاد طمعهم وأنهم سيروا الآن ثلاثة آلاف برسم التجوى ورسوم المؤمنين الذين تنزل الرسل عندهم ويحتفون في محلمهم فتقدم الوزير بالفحص عنهم والاحتراز التام على الخليفة في ركوبه ومنزلهاته وحفظ الدور والاسواق ولم يزل البحث في طلبهم الى أن وجدوا فاعترفوا بأن خمسة منهم هم الرسل الواصلون بالمال فاصلبوا وأما المال وهو الفا دينار فان الخليفة أبي قبولة وأمر أن ينفق في السودان عبيد الشراء وأحضر من بيت المال نظير المبلغ وتقدم بأن يصاغ به قنديلان من ذهب وقنديلان من فضة وأن يحمل منها قنديل ذهب وقنديل فضة الى مشهد الحسين بنجر عسقلان وقنديل الى التربة المقدسة تربة الأئمة بالقصر وأمر الوزير المأمون باطلاق الف دينار من ماله وتقديم بأن يصاغ بها قنديل ذهب وسلسلة فضة برسم المشهد العسقلاني وأن يصاغ على المصحف الذي بخط أمير المؤمنين على بن أبي طالب بالجامع العتيق بمصر من فوق الفضة ذهب وأطلق حاصل الصناديق التي تشتمل على مال التجاوى برسم الصدقات عشرة آلاف درهم تفرق في الجوامع الثلاثة الازهر بالقاهرة والعتيق بمصر وجامع القرافة وعلى فقراء المؤمنين على ابواب القصور وأطلق من الامراء ألفي اردب قمحا وتصدق على عدة من الجهات بجملة

كثيرة واشترت عدة جوار من الحاجر وكتب عتقهن للوقت وأطلق سراحهن وقال في كتاب الذخائر ان الانراك طلبوا من المستنصر نفقة في أيام الشدة فاطلمهم وانهم هجموا على التربة المدفون فيها اجداده فأخذوا ما فيها من قناديل الذهب وكانت قيمة ذلك مع ما اجتمع اليه من الآلات الموجودة هناك مثل المداخن والمجامر وحلى الحاريب وغير ذلك خمسين ألف دينار

(القصر النافعي)

قال ابن عبد الظاهر القصر النافعي قرب التربة يقرب من جهة السبع خوخ كان فيه عجائز من عجائز القصر وأقارب الاشراف انتهى وموضع هذا القصر اليوم فندق المهمندار الذى يندق فيه الذهب وما في قبليه من خان منجك ودار خواجه عبد العزيز المجاورة للمسجد الذى بمحذاء خان منجك وما بجوار دار خواجه من الزقاق المعروف بدرب الحبشى وكان حد هذا القصر الغربي ينتهي الى الفندق الذى بالحميمين المعروف قديما بخان منكورس ويعرف اليوم بخان القاضي واشترى بعض هذا القصر لما بيع بعد زوال الدولة الامير ناصر الدين عثمان بن سنقر السكاملى المهمندار الذى يعرف بفندق المهمندار بعد أن كان اصطبلا له واشترى بعضه الامير حسام الدين لاجين الايدمرى المعروف بالدر فيل ودادار الملك الظاهر بيبرس وعمره اصطبلا ودارا وهى الدار التى تعرف اليوم بخواجه عبد العزيز على باب درب الحبشى ثم عمل الاصطبل الخان الذى يعرف اليوم بخان منجك وابتنى الناس في مكان درب الحبشى الدور وزال اثر القصر فلم يبق منه شئ البتة

(الخزائن التى كانت بالقصر)

وكانت بالقصر الكبير عدة خزائن منها خزانة الكتب وخزانة البنود وخزائن السلاح وخزائن الدرق وخزائن السروج وخزانة الفرش وخزانة الكسوات وخزائن الادم وخزائن الشراب وخزانة التوابل وخزائن الخيم ودار التعبئة وخزائن دار افتيكين ودار الفطرة ودار العلم وخزانة الجواهر والطيب وكان الخليفة يعضى الى موضع من هذه الخزائن وفي كل خزانة دكة عليها طراحة ولها فراش يخدمها ويغسلها طول السنة وله جار في كل شهر فيطوفها كلها في السنة

(خزانة الكتب)

قال المسيحي وذكر عند العزيز بالله كتاب العين للخليل بن أحمد فأمر خزان دقاره فأخرجوا من خزائنه نيفا وثلاثين نسخة من كتاب العين منها نسخة بخط الخليل بن أحمد وحمل اليه رجل نسخة من كتاب تاريخ الطبرى اشتراها بمائة دينار فأمر العزيز الخزان فأخرجوا من الخزانة ما ينيف عن عشرين نسخة من تاريخ الطبرى منها نسخة

بخطه وذكر عنده كتاب الجهرة لابن دريد فأخرج من الخزانة مائة نسخة منها وقال في كتاب الذخائر عدة الخزائن التي برسم السكتب في سائر العلوم بالقصر أربعون خزانة خزانة من جملتها ثمانية عشر ألف كتاب من العلوم القديمة وأن الموجود فيها من جملة السكتب المخرجة في شدة المستنصر ألفان وأربعمائة ختمة قرآن في ربعات بخطوط منسوبة زائدة الحسن محلاة بذهب وفضة وغيرها وأن جميع ذلك كله ذهب فيما أخذه الأتراك في واجباتهم ببعض قيمته ولم يبق في خزائن القصر البرانية منه شيء بالجمل دون خزائن القصر الداخلة التي لا يتوصل إليها ووجدت صناديق مملوءة أقلاما مبرية من براية ابن مقلة وابن البواب وغيرها قال وكنت بمصر في العشر الأول من محرم سنة إحدى وستين وأربعمائة فرأيت فيها خمسة وعشرين جملا موقرة كتبها محمولة الى دار الوزير أبي الفرج محمد بن جعفر المغربي فسألت عنها ففرفت أن الوزير أخذها من خزائن القصر هو والخطير بن الموفق في الدين بالحباب وجبت لهما عما يستحقانه وعلمانهما من ديوان الجليلين وأن حصة الوزير أبي الفرج منها قومت عليه من جاری مماليكه وغلمانه بمخمسة آلاف دينار وذكر لي من له خبرة بالسكتب أنها تبلغ أكثر من مائة ألف دينار ونهب جميعها من داره يوم انهزم ناصر الدولة بن حمدان من مصر في صفر من السنة المذكورة مع غيرها مما نهب من دور من سار معه من الوزير أبي الفرج وابن أبي كدينة وغيرها هذا سوى ما كان في خزائن دار العلم بالقاهرة وسوى ما صار الى عماد الدولة أبي الفضل بن المحترق بالاسكندرية ثم انتقل بعهد مقتله الى المغرب وسوى ما ظفرت به لواتة محمولا مع ما صار اليه بالاتباع والغصب في بحر النيل الى الاسكندرية في سنة إحدى وستين وأربعمائة وما بعدها من الكتب الجليلة المقدار المعدومة المثل في سائر الامصار صحة وحسن خط وتجليد وغرابة التي أخذ جلودها عبيدهم واماؤهم برسم عمل ما يلبسونه في أرجاءهم وأحرق ورقها تأولا منهم انها خرجت من قصر السلطان أعز الله أنصاره وأن فيها كلام المشاركة الذي يخالف مذهبهم سوى ما غرق وتلف وحمل الى سائر الاقطار وبقى منها ما لم يحرق وسفت عليه الرياح التراب فصار تلالا باقية الى اليوم في نواحي آثار تعرف بتلال السكتب وقال ابن الطوير خزانة السكتب كانت في أحد مجالس المارستان اليوم يعني المارستان العتيق فيجيء الخليفة راكبا ويترجل على الدكة المنصوبة ويجلس عليها ويحضر اليه من يتولاها وكان في ذلك الوقت الجليس بن عبد القوى فيحضر اليه المصاحف بالخطوط المنسوبة وغير ذلك مما يقترحه من السكتب فان عن له أخذ شيء منها أخذه ثم يعيده وتحتوى هذه الخزانة على عدة رفوف في دور ذلك المجلس العظيم والرفوف مقطعة بمحاجز وعلى كل حاجز باب مقفل بمفصلات وقفل وفيها من أصناف السكتب ما يزيد على مائتي ألف كتاب من

المجلدات ويسير من المجردات فيها الفقه على سائر المذاهب والنحو واللغة وكتب الحديث والتواريخ وسير الملوك والنجامة والروحانيات والكيمياء من كل صنف النسخ ومنها النواقص التي ماتمت كل ذلك بورقة مترجمة ملصقة على كل باب خزانة وما فيها من المصاحف الكريمة في مكان فوقها وفيها من الدروج بخط ابن مقلة ونظائره كابين البواب وغيره وتولى بيعها ابن صورة في أيام الملك الناصر صلاح الدين فإذا أراد الخليفة الانفصال مشى فيها مشية لنظرها وفيها ناسخان وفراشان صاحب المرتبة وآخر فيعطى الشاهد عشرين دينارا ويخرج الى غيرها وقال ابن أبي طي بعد ما ذكر استيلاء صلاح الدين على القصر ومن خلة ما باعوه خزانة الكتب وكانت من عجائب الدنيا ويقال انه لم يكن في جميع بلاد الاسلام دار كتب أعظم من التي كانت بالقاهرة في القصر ومن عجائبها أنه كان فيها ألف ومائتا نسخة من تاريخ الطبري الى غير ذلك ويقال انها كانت تشتمل على ألف وستمائة ألف كتاب وكان فيها من الخطوط المنسوبة اشياء كثيرة انتهى ومما يؤيد ذلك أن القاضي الفاضل عبد الرحيم ابن على لما أنشأ المدرسة الفاضلية بالقاهرة جعل فيها من كتب القصر مائة ألف كتاب مجلد وباع ابن صورة دلال الكتب منها جملة في مدة أعوام فلو كانت كلها مائة ألف لما فضل عن القاضي الفاضل منها شيء وذكر ابن أبي واصل أن خزانة الكتب كانت تزيد على مائة وعشرين ألف مجلد

* (خزانة الكسوات) *

قال ابن أبي طي وعمل يعني المعز لدين الله دارا وسماها دار الكسوة كان يفصل فيها من جميع أنواع الثياب والبز ويكسوها الناس على اختلاف أصنافهم كسوة الشتاء والصيف وكانت لاولاد الناس ونسائهم كذلك وجعل ذلك رسما يتوارثونه في الاعقاب وكتب بذلك كتباً وسمى هذا الموضع خزانة الكسوة وقال عند ذكر انقراض الدولة ومن أخبارهم انهم كانوا يخرجون من خزائن الكسوة الى جميع خدامهم وحواشيهم ومن يلودهم من صغير وكبير ورفيع وحقير كسوات الصيف والشتاء من العمامة الى السراويل وما دونه من الملابس والمنديل من فاخر الثياب ونفيس الملابس ويقومون لهم بجميع ما يحتاجون اليه من نفيس المطعومات والمشروبات وسمعت من يقول انه حضر كسا القصر التي تخرج في الصيف والشتاء فكان مقدارها ستائة ألف دينار وزيادة وكانت خلائهم على الامراء الثياب الديبقي والعمائم بالطراز الذهب وكان طراز الذهب والعمامة من خمس مائة دينار ويخلع على أكبر الامراء الاطواق والاسورة والسيوف المحلاة وكان يخلع على الوزير عوضاً عن الطوق عقد جوهر وقال ابن المأمون وجلس الاجل يعني الوزير المأمون في مجلس الوزارة لتنفيذ الامور وعرض المطالعات وحضر الكتاب ومن جملتهم ابن أبي الليث كاتب الدفتر ومعه ما كان

أمر به من عمل جرائد الكسوة لاشتاء بحكم حلوله وأوان تفرقتها فكان ما شتمل عليه المنفق فيها لسنة ست عشرة وخمسمائة من الأصناف أربعة عشر ألفاً وثمانمائة وخمس قطع وان أكثر ما أنفق عن مثل ذلك في الأيام الأفضلية في طول مدتها سنة ثلاث عشرة وخمسمائة ثمانية آلاف وسبعمائة وخمس وسبعون قطعة يكون الزائد عنها بحكم ما رسم به في منفق سنة ست عشرة خمسة آلاف وستمائة وأربعمائة وأربع قطع ووصلت الكسوة المختصة بالعيد في آخر الشهر وقد تضاعفت عما كانت عليه في الأيام الأفضلية لهذا الموسم وهي تشتمل على ذهب وسلف دون العشرين ألف دينار وهو عندهم الموسم الكبير ويسمى بعيد الحلال لان الحلال فيه تم الجماعة وفي غيره للاعيان خاصة فأحضر الأمير اقتضار الدولة مقدم خزانة الكسوة الخاص ليتسلم ما يختص بالخليفة وهو برسم الموكب (٣) بدلة خاص جليلة مذهبة ثوبها موشع مجاوم مذايل عدتها باللافافتين إحدى عشرة قطعة السلف عنها مائة وستة وسبعون دينارا ونصف ومن الذهب العالي المقزول ثمانمائة وسبعة وخمسون مثقالا ونصف كل مثقال اجرة غزله ثمن دينار ومن الذهب العراقي ألفان وتسعمائة وأربع وتسعون قصبه * تفصيل ذلك شاشية طميم السلف ديناران وسبعون قصبه ذهبا عراقيا منديل بعمود ذهب السلف سبعون وألفان ومائتان وخمسون قصبه ذهبا عراقيا فان كان الذهب نظير المصري كان الذي يرقم فيه ثمانمائة وخمسة وعشرين مثقالا لان كل مثقال نظير تسع قصبات ذهبا عراقيا وسط مرب بطانة للمنديل السلف عشرة دنانير وسبعون قصبه ذهبا عراقيا ثوب موشع مجاوم مطرف السلف خمسون دينارا وثمانمائة وأحد وخمسون مثقالا ونصف ذهبا عاليا اجرة كل مثقال ثمن دينار تكون جملة مبلغه وقيمة ذهبه ثمانمائة وأربعمائة وتسعين دينارا ونصف ثوب ديبقي حريري وسطافي السلف اثنا عشر دينارا غلالة ديبقي حريري السلف عشرون دينارا منديل كم أول مذهب السلف خمسة دنانير ومائتان وأربع قصبات ذهبا عراقيا منديل كم ثان حريري السلف خمسة دنانير حجرة السلف أربعة دنانير عرضي مذهب السلف خمسة دنانير وخمسة عشر مثقالا ذهبا عاليا عرضي لفاقفة للثخت دينار واحد ونصف بدلة ثانية برسم الجلوس على السماط عدتها باللافافتين عشر قطع السلف مائة وأربعة عشر دينارا ومن الذهب العالي خمسة وخمسون مثقالا ومن الذهب العراقي سبعمائة وأربعون قصبه نفضيل ذلك شاشية طميم السلف ديناران وسبعون قصبه ذهبا عراقيا منديل السلف ستون دينارا وستمائة قصبه ذهبا عراقيا شقة السلف ستة عشر دينارا وخمسة وخمسون مثقالا ذهبا عاليا اجرة كل مثقال ثمن

(٣) قوله بدلة خاص الخ ما ذكره في هذه البدلة وما بعدها من الكموات والحلل تفصيله في القالب لم يوافق اجماله على مقتضى ما بيدي من النسخ ولا يخفى ما في عباراته في هذا المقام وأمثاله من القلق ومخالفة العربية اه مصححه

دينار شقة ديبقي حريري وسطائي اثنا عشر دينارا شقة ديبقي غلالة ثمانية دنانير منديل
الكم الحريري الخمسة دنانير حجرة أربعة دنانير عرضي خمسة دنانير عرضي برسم التخت
دينار واحد ونصف وهذه البدلة لم تكن فيما تقدم في ايام الافضل لانه لم يكن ثم سباط
يجلس عليه الخليفة فانه كان قد نقل ما يعمل في القصور من الاسمطة والدواوين الى
داره فصار يعمل هناك ما هو برسم الاجل أبي الفضل جعفر أخى الخليفة الأمر بدلة
مذهبة مبلغها تسعون دينارا ونصف وخمسة وعشرون مثقالا ذهبيا عاليا واربعمئة
وسبعون قصبه ذهب عراقي تفصيل ذلك منديل السلف خمسون دينارا واربعمئة وسبعون
قصبه ذهب عراقي شقة ديبقي حريري وسطائي السلف عشرة دنانير شقة غلالة ديبقي السلف
ثمانية دنانير حجرة ثلاثة دنانير وثلاث عرضي ديبقي ثلاثة دنانير الجهة العالية بالاراجيد
التي يقوم بمحمتها جوهر حلة مذهب موشح مجاوم مذييل مطرف عدتها خمس عشرة قطعة
سلفها ستة آلاف وثمانمائة وثلاثون قصبه تفصيل ذلك مذهب مكلف موشح مجاوم السلف
خمس عشرة دينارا وستمئة وستون قصبه سداسي مذهب السلف ثمانية عشر دينارا ومائتا
قصبه معجر اول مذهب موشح مجاوم مطرف السلف خمسون دينارا وألف وتسعمائة
قصبه معجر ثان حريري السلف خمسة وثلاثون دينارا ونصف رداء حريري اول السلف
عشرة دنانير ونصف رداء حريري ثان السلف تسعة دنانير دراعة موشح مجاوم مذييل
مذهب السلف خمسة وتسعون دينارا ومن الذهب العراقي ألفان وستمئة وخمس وخمسون
قصبه شقة ديبقي حريري وسطائي السلف عشرون دينارا ونصف شقة ديبقي بغير رقم
برسم عجز التفصيل ثلاثة دنانير ملاءة ديبقي السلف أربعة وعشرون دينارا وستمئة قصبه منديل
كم أول السلف ستة دنانير ومائة وستون قصبه منديل كم ثان السلف خمسة دنانير ومائة
وستون قصبه منديل كم ثالث السلف خمسة دنانير حجرة ثلاثة دنانير عرضي ديبقي ثلاثة
دنانير جهة مكنون القاضى يمثل ذلك على الشرح والعدة جهة مرشد حلة مذهب عدتها
أربع عشرة قطعة السلف مائة وأحد وأربعون دينارا ومن الذهب العراقي ألف وستمئة
وتسع وثمانون قصبه جهة عنبر مثل ذلك السيدة جهة ظل مثل ذلك جهة منجب مثل ذلك
الامير ابو القاسم عبد الصمد بدلة مذهب الامير داود مثله السيدة العمة حلة مذهب السيدة
العابدة العمة مثل ذلك الموالي الجلساء من بني الاعمام وهم ابو الميمون بن عبيد المجيد
والامير ابو اليسر ابن الامير محسن والامير ابو علي ابن الامير جعفر والامير حميد بن
الامير عبد المجيد والامير موسى ابن الامير عبد الله والامير أبو عبد الله ابن الامير داود
لكل منهم بدلة مذهب البنون والبنات من بني الاعمام غير الجلساء لكل منهم بدلة حريري
(م ٣٣ - خطط ني)

ست سيدات لكل منهن حلة حريري جهة المولى ابى الفضل جعفر التي يقوم بخدمتها ربحان حلة مذهب جهة المولى عبد الصمد حلة حريري ما يختص بالدار الجيوشية والمظفرية فعلى ما كان باسمائهم المستخدمة لخزانة السكوة الخاص زين الخزان المقدمة حلة مذهب ست خزان لكل منهن حلة حريري عشر وقافات لكل منهن كذلك المعامة مقدمة المائدة كذلك رايات مقدمة خزانة الشراب كذلك المستخدمة من أرباب الصنائع من القصوريات ومن انضاف اليهن من الافضليات مائة وسبعون حلة مذهب وحريري على التفصيل المتقدم المستخدمة عند الجهات العالية جهة جوهر عشرون حلة مذهب وحريري وكذلك المستخدمة عند مكنون الامراء الاستاذون المحنكون الامير الثقة زمام القصور بدلة مذهب الامير نسيب الدولة مرشد متولى الدفتر كذلك الامير خاصة الدولة ربحان متولى بيت المال كذلك الامير عظيم الدولة وسيفها حامل المظلة كذلك الامير صارم الدولة صاف متولى الستر كذلك وفي الدولة اسعاف متولى المائدة مثله الامير اقتخار الدولة جنبد بدلة مذهب نظير البدلة المختصة بالامير الثقة ولكن من غير هؤلاء المذكورين حلة حريري أربع قطع ولفافة فوطه مختار الدولة ظل بدلة حريري ستة استاذين في خزانة السكوة الخاص عند الامير اقتخار الدولة جنبد لكل منهم بدلة مذهب جوهر زمام الدار الجديدة بدلة حريري تاج الملك امين بيت المال مثله مفاح برسم الخدمة في المجلس مثله مكنون متولى خدمة الجهة العالية مثله فنون متولى خدمة التربة مثله مرشد الخاص مثله التواب عن الامير الثقة في زمام القصور وعدتهم أربعة لكل منهم بدلة حريري خسرواني العظمى مقدم خزانة الشراب ورفيقه لكل منهما بدلة كذلك الصقالبة أرباب المداوب وعدتهم أربعة لكل منهم بدلة حريري وشقة وفوطه نائب الستر مثل ذلك الاستاذون برسم خدمة المظلة وعدتهم خمسة لكل منهم منديل سوسى وشقة دمياطي وشقة اسكندراني وفوطه الاستاذون الشدادون برسم الدواب وعدتهم ستة كذلك ما حمل برسم السيد الاجل المأمون يعني الوزير بدلة خاصة مذهب كبيرة موكبية عدتها احدى عشرة وما هو برسم جهاته وبرسم اولاده الاجل تاج الرياسة وتاج الخلافة وسعد الملك محمود وشرف الخلافة جمال الملك موسى وهو صاحب التاريخ نظير ما كان باسم اولاد الافضل بن امير الجيوش وهم حسن وحسين واحمد الاجل المؤتمن سلطان الملوك يعني أخا الوزير عن مقدمة العساكر وزم الأزمة وبرسم الجهة المختصة به وركن الدولة عز الملوك ابو الفضل جعفر عن حمل السيف الشريف خارجا عماله من حماية خزانة السكوات وصناديق النفقات وما يحمل أيضا للخزائن المأمونية مما ينفق منها على من يحسن في الرأى من الخاشية المأمونية ثلاثون بدلة الشيخ الاجل ابو الحسن بن ابي اسامة كاتب الدست الشريف بدلة مذهب عدتها خمس قطع وكم وعرضى الامير نحر

الخلافة حسام الملك متولى حجيبة الباب بدلة مذهبة كذلك القاضى ثقتة الملك ابن
 النائب فى الحكم بدلة مذهبة عدتها أربع قطع وكم وعرضى الشيخ الداعى ولى الدولة
 ابن ابى الحقيق بدلة مذهبة الامير الشريف ابو علي احمد بن عقيل نقيب الاشراف بدلة
 حريرى ثلاث قطع وفوطة الشريف أس الدولة متولى ديوان الانشاء بدلة كذلك ديوان
 المكاتبات الشيخ ابو الرضى ابن الشيخ الاجل أبى الحسن النائب عن والده فى الديوان المذكور
 بدلة مذهبة عدتها ثلاث قطع وكم ابو المكارم هبة الله اخوه بدلة مذهبة ثلاث قطع وفوطة
 ابو محمد حسن أخوها كذلك أخوهم ابو الفتح بدلة حريرى قطعتان وفوطة الشيخ
 ابو الفضل يحيى بن سعيد الندمى منشى ما يصدر عن ديوان المكاتبات ومحرر ما يؤمر
 به من المهمات بدلة مذهبة عدتها ثلاث قطع وكم ومزى ابو سعيد الكاتب بدلة حريرى
 ابو الفضل الكاتب كذلك الحاج موسى المين فى الاصلاق كذلك وأما السكتاب ديوان
 الانشاء فلم يتفق وجود الحساب الذي فيه اسمائهم فيذكرها ومن القياس أن يكونوا قريبا
 من ذلك الشيخ ولى الدولة ابو البركات متولى ديوان المجلس والخاص بدلة مذهبة عدتها
 خمس قطع وكم وعرضى ولامراته حلة مذهبة الشيخ أبو الفضائل هبة الله بن ابى الليث
 متولى الدفتر وما جمع اليه بدلة ابو المجد ولده بدلة حريرى عدي الملك ابو البركات متولى
 دارالضيافة بدلة مذهبة وبعده الضيوف الواردون الى الدولة جميعهم منهم من له بدلة مذهبة
 ومنهم من له بدلة حريرى وكذلك من يتفق حضوره من الرسل على هذا الحكم
 مقدمو الركاب عفيف الدولة مقبل بدلة مذهبة القائد موفق والقائد تميم مثل ذلك أربعة
 من المقدمين برسم الشكيمة لكل منهم بدلة حريرى الرواض عدتهم ثلاثة لكل منهم بدلة
 حريرى الخاص من الفراشين وهم اثنان وعشرون رجلا منهم أربعة يميزون لكل منهم
 بدلة مذهبة وبقيتهم لكل واحد بدلة حريرى الاطباء الشديد ابو الحسن علي بن ابى
 الشديد بدلة حريرى ابو الفضل النسطورى بدلة حريرى وكذلك الفئة المستخدمين
 برسم الخدام وهم ثمانية مقدمهم بدلة مذهبة وبقيتهم لكل واحد بدلة حريرى والى
 القاهرة ووالى مصر لكل منهما بدلة مذهبة المستخدمون فى المواكب الامير كوكب الدولة
 حامل الرمح الشريف وراء الموكب والدرقة المعزية بدلة حريرى حاملا الرمحين المعزية
 أيضا أمام الموكب بغير درق لكل منهما منديل وشقة وفوطة وهؤلاء الثلاثة رماح ما هى
 عربية بل هى خشوت قدم بها المعز من المغرب حاملا لواء الحمد المختصان بالخليفة عن يمينه
 ويساره لكل منهما بدلة متولى بقل الموكب الذى يحمل عليه جميع العدة المغربية بدلة
 حريرى متولى حمل المظلة كذلك عشرة نفر من صيدان الخاص برسم حمل العشرة رماح
 العربية المغشاة بالديباخ وراء الموكب لكل منهم منديل وشقة وفوطة حامل السبع وراء الموكب

بدلة حريري المقدمون من صبيان الخاص وهم عشرون لكل منهم بدلة عرفاء الفراشين الذين ينحطون عن فراشي الخاص وفراشي المجلس وفراشي خزائن الكسوة الخاص لكل منهم بدلة حريري الفراشون في خزائن الكسوات المستخدمون بالايوان وهم الذين يشدون ألوية الحمد بين يدي الخليفة ليلة الموسم فانها لا تشد الا بين يديه ويبدأ هو بالقص عليها بيده على سبيل البركة ويكمل المستخدمون بقية شدها وما سوى ذلك من القصب الفضة وألوية الوزارة وغيرها وعدتهم سبعة لكل منهم منديل سوسى وشقتان اسكندراني المستخدمون برسم حمل القصب الفضة ولواء الوزارة أربعة عشر كذلك مشارف خزانة الطيب وكانت من الخدم الجليلة وكانها اعلام الجوهر التي يركبها الخليفة في الاعياد ويستدعى منها عند الحاجة ويعاد اليها عند الغنى عنها وكذلك السيف والثلاثة رماح المعزية مشارف خزائن السروج بدلة حريري مشارف خزائن الفرش وكاتب بيت المال ومشارف خزائن الشراب ومشارف خزائن الكتب كل منهم بدلة حريري بركات الادمي والمستخدمون بالدولة بالباب وستان الدولة من الكركندى عن زم الرهجية والمبيت على ابواب القصور وكانت من الخدم الجليلة والصبيان الحجرية المشدون بلواء الموكب بمد المقرين وعدتهم عشرون لكل منهم الكسوة في الشتاء والعيدى وغيرها وعدة الذين يقبضون الكسوة في العيدى من الفراشين اكثر من صبيان الركاب وذلك انهم يتولون الاسمطة ويقفون في تقدمتها وينفرد عنهم المستخدمون في الركاب بما لهم من المتحصل في الخلفات في العيدى وهو ما يبلغه ستة آلاف دينار ما لاحد معهم فيها نصيب وكان يكتب في كل كسوة هي برسم وجوه الدولة رقعة من ديوان الانشاء فما كتب به من انشاء ابن الصيرفي مقترنة بكسوة عيد الفطر من سنة خمس وثلاثين وخمسمائة ولم يزل أمير المؤمنين منعما بالرشاد • موليا احسانه كل حاضر من أوليائه وغائب • مجزلا حظهم من منائحه ومواهبه • موصلا اليهم من الجباء ما يقصر شكرهم عن حقه وواجبه • وأكأيا الامير لاولاهم من ذلك بحسبه • وأحراهم باستنشاق نسيمه • وأخلقهم بالجزء الاوفى منه عند فضه وتقسيمه • اذ كنت في سماء المسابقة بدرا • وفي جرائد المناجحة صدرا • وعن أخلص في الطاعة سرا وجهرا • وحظي في خدمة أمير المؤمنين بما عطر له وصفا وسير له ذكرا • ولما أقبل هذا العيد السعيد والعادة فيه أن يحسن الناس هيأتهم • يأخذوا عند كل مسجد زينتهم • ومن وظائف كرم أمير المؤمنين تشريف أولياء • وخدمه فيه • وفي المواسم التي تجاربه • بكسوات على حسب منازلهم يجمع بين الشرف والجمال • ولا يبقى بعدها مطمع للأمال • وكنت من أخص الامراء المقدمين قال ووصلت الكسوة المختصة بفترة شهر رمضان وجمعيته برسم الخليفة للفترة بدلة كبيرة موكية مكملة مذهبة وبرسم الجامع الازهر للجمعة الاولى من

الشهر بدلة موكبية حررى مكلمة منديلها وطيلسانها بياض وبرسم الجامع الانور للجمعة الثانية بدلة منديلها وطيلسانها شمري وما هو برسم أخى الخليفة للفترة خاصة بدلة مذهبة ويرسم له مع جهات الخليفة أربع حلال مذهبات وبرسم الوزير للفترة بدلة مذهبة مكلمة موكبية وبرسم الجمعتين بدلتان حررى ولم يكن لغير الخليفة وأخيه والوزير في ذلك شيء فيذكر ويلات الكسوة المختصة بفتح الخليج وهي برسم الخليفة تختان ضمنهما بدلتان احدهما منديلها وطيلسانها طميم برسم المضي والاخري جميعها حررى برسم العود وكذلك ما يخص باخوته وجهاته بدلتان مذهبتان وأربع حلال مذهبة وبرسم الوزير بدلة موكبية مذهبة في تحت ويرسم أولاده الثلاثة ثلاث بدلات مذهبة وبرسم جهته حلة مذهبة في تحت وبقي ما يخص المستخدمين وابن أبى الرزاد في تحت كل تحت عدة بدلات وحضر متولى الدفتر واستأذن على ما يحمل برسم الخليفة وما يفرق ويفصل برسم الخلع وما يخرج من حاصل الخزائن عن الواصل وهو مايفصل برسم الخاص من العائسان برسم سبعمائة قباء وخمسمائة وشقين سقلاطون دارى وبرسم رؤساء العشاريات من الشقاق الدمياطي والمناديل السوسى والفوط الحرير الحر وبرسم النواتية التى برسم الخاص من العشارية من الشقاق الاسكندراني والكلونات وقد تقدم تفصيل الكسوات جميعها وعددها وأسماء المستمرين لقبضها* وقال في كتاب الذخائر وحدثني من أتى به عن ابن عبد العزيز أنه قال قومنا ما أخرج من خزائن القصر يميني في سني الشدة أيام المستنصر من سائر ألوان الخسرواني مايزيد على خمسين ألف قطعة أكثرها مذهب وسأت ابن عبد العزيز فقال أخرج من الخزائن مما حررت قيمته على يدي وبحضرتي أكثر من ألف قطعة وحدثني أبو الفضل يحيى بن ابراهيم البغدادى أحد أصحاب الدواوين بالحضرة أن الذى تولى أبو سعيد التهاندى المعروف بالمعتمد بيعه خاصة من مخرج القصر دون غيره من الامناء في مدة يسيرة ثمانية عشر ألف قطعة من بلور ويحكم منها مايساوى الالف دينار الى عشرة دنانير ونيف وعشرون ألف قطعة خسر واني وحدثني عميد الملك أبو الحسن على بن عبد الكريم نخر الوزراء بن عبد الحاكم أن ناصر الدولة أرسل بطالب المستنصر بمساقى لغلمانة فذكر أنه لم يبق عنده شيء الا ملابسه فأخرج ثمانمائة بدلة من ثيابه بجميع ألوانها كاملة فقومت وحلت اليه وقال ابن الطوير الخدمة في خزائن الكسوات لها رتبة عظيمة في المباشرات وهما خزانة فالظاهرة يتولاها خاصة أكبر حواشى الخليفة اما استاذ أو غيره وفيها من الحواصل مايدل على اسباغ نعم الله تعالى على من يشاء من خلقه من الملابس الشروب والخاص الديبقي الملونة رجالية ونسائية والديباج الملونة والسقلاطون واليا يحمل ما يستعمل في دار الطراز بتيس ودمياط واسكندرية من خاص المستعمل وبها صاحب المنقص وهو مقدم

الخياطين ولا صحابه مكان خياطتهم والتفصيل يعمل على مقدار الاوامر وما تدعو الحاجة اليه ثم ينقل الى خزانة الكسوة الباطنة ماهو خاص للباس الخليفة ويتولاها امرأة تنعت بزين الخزان أبدا وبين يديها ثلاثون جارية فلا يغير الخليفة أبدا ثيابه الا عندها ولباسه خافيا الثياب الدارية وسعة اكمامها سعة نصف اكمام الظاهر وليس في جهة من جهاته ثياب أصلا ولا يلبس الا من هذه الخزانة وكان يرسم هذه الخزانة بستان من أملاك الخليفة على شاطئ الخليج يعني أبدا فيه النسر بن والياسمين فيحمل في كل يوم منه شيء في الصيف والشتاء لا ينقطع البتة يرسم الثياب والصناديق فاذا كان أوان التفرقة الصيفية أو الشتوية شد لمن تقدم ذكره من أولاد الخليفة وجهاته وأقاربه وأرباب الرواتب والرسوم من كل صنف شدة على ترتيب المفروض من شقق الديساج الملون والسقلاطون الى السوسي والاسكندراني على مقدار الفصول من الزمان مايقرب من مائتي شدة فالخواص في العراضى الديبقي ودونهم في أوطية حرير ودونهم في فوط اسكندرية ويدخل في ذلك كتاب ديواني الانشاء والمكتابات دون غيرهم من الكتاب على مقدارهم وذلك يخرج من الحوارى في الشهر المطلقات * وقال القاضى الفاضل في متجددات سنة سبع وستين وخمسمائة بعد وفاة العاضد وكشف حاصل الخزائن الخاصة بالقصر ف قيل ان الموجود فيها مائة صندوق كسوة فاخرة من موشى ومرصع وعقود ثمينة وذخائر نفيسة وجواهر نفيسة وغير ذلك من ذخائر عظيمة الخطر وكان الكاشف بهاء الدين قراقوش

(* خزائن الجوهر والطيب والطرائف *)

قال ابن المأمون وكان بها الاعلام والجوهر التي يركب بها الخليفة في الاعياد ويستدعى منها عند الحاجة ويعاد اليها عند الغنى عنها وكذلك السيف الخاص والثلاثة رماح المعزية وقال في كتب الذخائر والتحف وذكر بعض شيوخ دار الجوهر بمصر أنه استدعى يوما هو وغيره من الجوهريين من أهل الخبرة بقيمة الجوهر الى بعض خزائن القصر يعنى في أيام الشدة زمن المستنصر فأخرج صندوق كيل منه سبعة أمداد زمرذ قيمتها على الأقل ثلثمائة ألف دينار وكان هناك جالسا نحر العرب بن حمدان وابن سنان وابن أبي كدينة وبعض الخالعين فقال بعض من حضر من الوزراء المعطلين للجوهريين كم قيمة هذا الزمرذ فقالوا انما نعرف قيمة الشيء اذا كان مثله موجودا ومثل هذا لا قيمة له ولا مثل فاغتاض وقال ابن أبي كدينة نحر العرب كثير المؤنة وعليه خرج فالتفت الى كتاب الحيش وبيت المال فقال بحسب عليه فيه خمسمائة دينار فكاتب ذلك وقبضه وأخرج عقد جوهر قيمته على الأقل من ثمانين ألف دينار فصاعدا فتجريا فيه فقال يكتب بألفي دينار وتشاغلوا بنظر ما سواه وانقطع ساكنه فتنازح به فأخذ واحد منهم واحدة فجعلها في جيبه وأخذ ابن أبي كدينة اخرى وأخذ نحر

العرب بعض الحب وباقي المخالفين التقطوا ما بقي منه وغاض كأن لم يكن واخذوا ما كان
 انفذ الصليحي من نفيس الدر الرقيق الرائع وكيله على ما ذكر سبع وبيات وأخذوا ألفا
 ومائتي خاتم ذهباً وقضة فصوصها من سائر انواع الجوهر المختلف الالوان والقيم والامنان
 والانواع مما كان لاجداده وله وصار اليه من وجوه دولته منها ثلاثة خواتم ذهب مربعة
 عليها ثلاثة فصوص احدها زمرد والاشنان ياقوت سماوي ورماني بيعت بأثنى عشر ألف دينار
 بعد ذلك وأحضر خريطة فيها نحو ويبة جوهر وأحضر الخبراء من الجوهريين وتقدم
 اليهم بقيمتها فذكروا أن لا قيمة لها ولا يشتري مثلها الا الملوك فقومت بمشرين ألف دينار
 فدخل جوهر السكاكيب المعروف بالختار عز الملك الى المستنصر وأعلمه أن هذا الجوهر
 اشتراه جده بسبع مائة ألف دينار واسترخصه فتقدم بانفاقه في الاتراك فقبض كل واحد
 منهم جزءاً بقيمة الوقت وفرق عليهم قال فأما ما أخذنا في خزائن البلور والمحكم والمينا المجرى
 بالذهب والمجروود والبغدادي والحيار والمدهون والخلنج والعيني والذهيمي والامدى وخزائن
 الفرس والبسط والستور والتعاليق فلا يحصى كثرة وحدثني من أثق به من المستخدمين
 في بيت المال انه أخرج يوماً في جملة ما أخرج من خزائن القصر عدة صناديق وان واحداً
 منها فتح فوجد فيه على مثال كيزان الفقاع من صافي البلور المنقوش والمجروود شيء كثير
 وان جميعها مملوء من ذلك وغيره وحدثني من أثق به أنه رأى قدح بلور بيع بمجروود بمائتين
 وعشرين ديناراً ورأى خردادي بلور بيع بثلاثمائة وستين ديناراً وكوز بلور بيع بمائتين وعشرة
 دنانير ورأى صحن مينا كثيرة تباع من المائة دينار الى ما دونها وحدثني من أثق بقوله
 انه رأى بطرابلس قطعتين من البلور الساذج الغاية في الثناء وحسن الصنعة احدهما
 خردادي والاخرى باطية مكتوب على جانب كل واحدة منهما اسم العزيز بالله تسع الباطية
 سبعة ارباط بالمصرى ماء والخردادي تسعة وانه عرضهما على جلال الملك أبي الحسن على
 ابن عمار فدفع فيهما ثمانمائة دينار فامتنع من بينهما وكان اشتراهما من مصر من جملة ما
 أخرج من الخزائن وأن الذي تولى بيعه ابو سعيد التهاندي من مخرج القصر دون غيره
 من الامناء في مديدة يسيرة ثمانية عشر الف قطعة من بلور وبحكم منها ما يساوى الالف
 دينار الى عشرة دنانير وأخرج من صواني الذهب المجرة بالمينا وغير المجرة المنقوشة بسائر
 انواع النقوش المملوء جميعها من سائر انواعه وألوانه وأجناسه شيء كثير جداً ووجد فيها
 وجد غلف خيار مبطنة بالحرير محلاة بالذهب مختلفة الاشكال خالية مما فيها من الاواني
 عدتها سبعة عشر الف غلاف كان في كل قطعة اما بلور مجروود أو محكم أو ما يشاكله
 ووجد أكثر من مائة كاس بادره ونصب وأشباهاها على أكثرها اسم هارون الرشيد وغيره
 ووجد في خزائن القصر عدة صناديق كثيرة مملوءة ساكنين مذهبة ومفضضة بنصب مختلفة

من سائر الجواهر وصناديق كثيرة مملوءة من أنواع الدوى المربعة والمسدورة والصغار والكبار المعمولة من الذهب والفضة والصنديل والعود والآبنوس الزنجي والعاج وسائر أنواع الخشب المحلاة بالجواهر والذهب والفضة وسائر الأنواع الغريبة والصنعة المعجزة الدقيقة بجميع آلاتها فيها ما يساوي الألف دينار والاكثر والاقل سوى ما عليها من الجواهر وصناديق مملوءة مشارب ذهب وفضة مخرقة بالسواد صغار وكبار مصنوعة بأحسن ما يكون من الصنعة وعدة ازيار صيني كبار مختلفة الالوان مملوءة كافورا قيصوريا وعدة من جواهر الغنبر الشحري ونوافج المسك التني وقوارير وشجر العود وقطعه ووجد للسيدة رشيدة ابنة المعز حين ماتت في سنة اثنين وأربعين وأربعمائة ماقيمته ألف ألف دينار وسبعمائة ألف دينار من جملة ثلاثون ثوب خز مقطوع وأثنا عشر ألفا من الثياب المصمت ألوانا ومائة قاطر ميز مملوءة كافورا قيصوريا ومما وجد لها معممات بجواهرها من أيام المعز وبيت هرون الرشيد الخز الاسود الذي مات فيه بطوس وكان من ولي من الخلفاء ينتظرون وفاتها فلم يقض ذلك الا لما صر بالله فخره في خزانته ووجد لعبد بن المعز أيضا وماتت في سنة اثنين وأربعين وأربعمائة مالا يحصى حدثني بعض خزان القصر أن خزان السيدة عبدة ومقاصيرها وصناديقها وما يجب أن يحتم عليه ذهب من الشمع في خواتمه على الصحة والمشاهدة أربعون رطلا بالنصرى وأن بصائق المتاع الموجود كتبت في ثلاثين رزمة ورق ومما وجد لها أيضا أربعمائة قطرة وألف وثمانمائة قطعة مينا فصة مخرقة زنة كل مينا عشرة آلاف درهم وأربعمائة سيف محلي بالذهب وثلاثون ألف شقة صقاية ومن الجواهر ما لا يحصى كثرة وزمرذ كيلة أردب واحد وأن سيد الوزراء أباً محمد البازوري وجد في موجوداتها طستا وبريقا فلقرط استحسانه لهما سأل المستنصر فيهما فوهبهما له ووجد مدهن ياقوت احمر وزنه سبعة وعشرون مثقالا واخرج أيضاً تسعون طستا وتسعون ابريقا من صافي البلور ووجد في القصر خزائن مملوءة من سائر أنواع الصيني منها احاجين صيني كبار محلاة كل اجانة منها على ثلاثة أرجل على صورة الوحوش والسباع قيمة كل قطعة منها ألف دينار معمولة لغسل الثياب ووجد عدة اقفاص مملوءة ببيض صيني معمول على هيئة البيض في خلقته وبياضه يجعل فيها ماء البيض التيمبرشت يوم الفصاد ووجد حصير ذهب وزنها ثمانية عشر رطلا ذكر أنها الحصير التي جلبت عليها بوران بنت الحسن بن سهل على المأمون وأخرج ثمان وعشرون صينية مينا مجرا بالذهب بكموب كان أرساها ملك الروم الى العزيز بالله قومت كل صينية منها بثلاثة آلاف دينار أنفذ جميعها الى ناصر الدولة ووجد عدة صناديق مملوءة مرأى حديد من صيني ومن زجاج المينا لا يحصى ما فيها كثرة جميعها محلي بالذهب المشبك والفضة ومنها المكمل بالجواهر في غلف الكيمخت وسائر أنواع الحرير

والخيزران وغيره مضرب بالذهب والفضة ولها المقايض من العقيق وغيره وأخرج من المظال وقضها الفضة والذهب شيء كثير وأخرج من خزائن الفضة ما يقارب الألف درهم من الآلات المصنوعة من الفضة المجراة بالذهب فيها مازنة القطعة الواحدة منه خمسة آلاف درهم الغربية النقش والصمة التي تساوي خمسة دراهم بدينار وإن جميعه يبيع كل عشرين درهما بدينار سوى ما أخذ من المشاريات الموكية وأعمدة الخيام وقضب المظال والمتحوقات والاعلام والقناديل والصناديق والتوقات والزوازين والمروج واللجم والمناطق التي للعماريات والقياب وغيرها مثل ذلك وأضاعفه وأخرج من الشطرنج والنرد المعمولة من سائر أنواع الجوهر والذهب والفضة والعاج والآبنوس برقاع الحرير والمذهب مالا يحصى كثيرة ونفاضة وأخرج آلات فضة وزنها ثلثمائة ألف ونيف وأربعون ألف درهم تساوي ستة دراهم بدينار وأخرج أقفاص مملوءة من سائر آلات مصوغة مجراة بالذهب عدتها أربع مائة قفص كبار سبكت جميعها وفرقت على المخالفين وأخرجت أربعة آلاف نرجسية مجوفة بالذهب يعمل فيها النرجس وألفا بنفسجية كذلك وأخرج من خزانة الطرثيف ستة وثلاثون ألف قطعة من محكم وبلور وقوم السكاكين بأقل القيم فجاءت قيمتها على ذلك ستة وثلاثين ألف دينار وأخرج من تماثيل العنبر اثنتان وعشرون ألف قطعة أقل تمثال منها وزنه اثنا عشر مائة وأكبره يجاوز ذلك ومن تماثيل الخليفة مالا يحصى من جملتها ثمانمائة بطيخة كافور وأخرجت السكوتة المرصعة بالجوهر وكانت من غريب ما في القصر ونفيسه ذكر أن قيمتها ثلاثون ألف دينار ومائة ألف دينار قومت بثمانين ألف دينار وكان وزن ما فيها من الجوهر سبعة عشر رطلا اقتسمها نحر العرب وتاج الملوك فصار إلى نحر العرب منها قطعة بلخش وزنها ثلاثة وعشرون مثقالا وصار إلى تاج الدين ثمان وقع إليه حبات در كل حبة ثلاثة مثاقيل عدتها مائة حبة فلما كانت هزيمتهم من مصر نهبت وأخرج من خزائن الطيب خمسة صواري عود هندي كل واحد من تسعة أذرع إلى عشرة أذرع وكافور قيصوري زنة كل حبة من خمسة مثاقيل إلى مادونها وقطع عنبر وزن القطعة ثلاثة آلاف مثقال وأخرج متارد صيني محمولة على ثلاثة أرجل ملء كل وعاء منها مائتا رطل من الطعام وعدة قطع شب وباد زهر منها جام سعته ثلاثة أشبار ونصف وعمقه شبر مليح الصنعة وقاطر ميز بلور فيه صور ثابتة تسع سبعة عشر رطلا وبلوحة بلور مجرود تسع عشرين رطلا وقصرية نصب كبيرة جدا وطابع ند فيه ألف مثقال كان نحر الدولة أبو الحسن على بن ركن الدولة بن بويه الديلمي عمله مكتوب في وسطه نحر الدولة شمس الملة أوبياث منها

ومن يكن شمس أهل الأرض قاطبة * فنده طابع من ألف مثقال

وطاوس ذهب مرصع بنفيس الجواهر عيناه من ياقوت أحمر وريشه من الزجاج المينا
الجري بالذهب على ألوان ريش الطاوس وديك من الذهب له عرف مفروق كأكبر ما يكون
من أعراف الديوك من الياقوت الأحمر مرصع بسائر الدر والجواهر وعيناه ياقوت وغزال
مرصع بنفيس الدر والجواهر وبطنه أبيض قد نظم من در رائع وجمع سكارج من بلور
تخرج منه وتعود فيه فتحته أربعة أشبار مليح الصنعة في غلاف خبززان و بطيخة من
الكافور في شباك ذهب مرصعة وزنها خالصه سبعون مثقالا من كافور وقطعة عنبر تسمى
الحروف وزنها سوى مايسكها من الذهب ثمانون مثقالا و بطيخة كافور أيضا وجد ما عليها من
الذهب ثلاثة آلاف مثقال ومائدة نصب كبيرة واسعة قوائمها منها وبيضة باخش وزنها سبعة
وعشرون مثقالا أشد صفاء من الياقوت الأحمر وقاطره من بلور مليح التقدير يسع مروجتين
قوم في المخرج بمائة دينار دفع الى تاج الملوك فيه بعد ذلك ألفا دينار فامتنع من بيعه
ومائدة جزع يقعد عليها جماعة قوائمها مخروطه منها ونحلة ذهب مكللة بالجواهر و بديع الدر
في اجانة ذهب تجمع الطامع والباح والرطب بشكله ولونه وعلى صفتيه وهياته من الجواهر
لا قيمة لها وكوز زر بلور يحمل عشرة أرطال ماء ودارج مرصع بنفيس الجواهر لا قيمة
له ومزينة مكللة بحج أولو نفيس وقبة المشارى وكارته وكسوة رحله الذي استعمله على بن
أحمد الجرجري وفيه مائة ألف وسبعة وستون ألفا وسبعمائة درهم نقرة وأطلق للصناع
عن أجرة صياغته وثمان مائة ألفا وتسعمائة دينار وكان سعر الفضة حينئذ كل
مائة درهم بستة دنانير وربع سعر ستة عشر درهما بدينار وأخرج العشارى الفضي الذي
استعمله على بن أحمد لأم المستنصر وكان فيه مائة ألف وعشرون ألف درهم نقرة وصرف
أجرة صياغة وطاء النان وأربعمائة دينار وكسوة بالجليل وأخرج جميع كساء العشاريات
التي برسم البرية والبحرية وعدتها ومناطقها ورؤس منحرفات وأهله وصفريات وكانت
أربعمائة ألف دينار لسته وثمانين عشاريا وعدة مياكم فضة فيها ما وزنه مائة وتسعة أرطال
فضة وأخرج بستان أرضه فضة مخرفة مذهبة وطينه ند وأشجاره فضة مذهبة مصوغة وأثماره
عنبر وغيره وزنه ثلثمائة وستة أرطال و بطيخة كافور وزنها ستة عشر ألف مثقال وقطع
ياقوت أزرق زنة كل قطعة سبعون درهما وقطع زمرد زنة كل قطعة ثمانون درهما ونصاب
مراة من زمرد له طول ونخن كل ذلك أخذت الخلقون

(* خزائن الفرش والامعة *)

قال في كتاب الذخائر وحدثني من أتق به عن ابن عبد العزيز الانماطي قال قومنا
ما أخرج من خزائن القصر من سائر الخسرواني ما يزيد على خمسين ألف قطعة أكثرها
ذهب وسألت ابن عبد العزيز فقال أخرج من الخزائن ما حررت قيمته على يدي وبحضرتي

أكثر من مائة ألف قطعة وأخرج مرتبة خسرواني حمراء بيعت بثلاثة آلاف وخمسمائة دينار ومرتبة قلموني بيعت بألفين وأربعمائة دينار وثلاثون سندسية بيعت كل واحدة منها بثلاثين ديناراً ونيف وعشرون ألف قطعة خسرواني في هديه لم يقطع منها شيء وكانت قيمة العرض المبيع بأقل القيم وأرز الأثمان في مدة خمسة عشر يوماً من صفر سنة ستين وأربعمائة سوى ما نهب وسرق ثلاثون ألف ألف دينار قبض جميعها الجند والأتراك ليس لاحد منهم درهم واحد قبضه عن استحقاق وحدثني الأمير أبو الحسن على ابن الحسن أحمد مقدمي الخيمين بالقصر أن الفراشين دخلوا الى بعض خزائن الفرش لما اشتدت مطالبة المارقي للمستنصر بالمال الى الخزانة المعروفة بخزانة الرفوف وسميت بذلك لكثرة رفوفها ولكل رف منها سلم مفرد فأزّلوا منها ألفي عدل شقق طعمم بهديها من سائر أنواع الخسرواني وغيره لم تستعمل بعد وجميع ما فيها مذهب معمول بسائر الاشكال والصور وأنهم فتحوا عدلاً منها فوجدوا ما فيه أجلة معمولة للفيلة من خسرواني أحمر مذهب كاحسن ما يكون من العمل وموضع زول اخفاذ الفيل ورجليه ساذجة بغير ذهب وأخرج من بعض الخزائن ثلاثة آلاف قطعة خسرواني أحمر مطرز بأبيض في هديها لم يفصل من كسابوت كاملة بجميع آلاتها ومقاطعها وكل بيت يشتمل على مسانده ومخادده ومساوره ومراتبه وبسطه وعتبه ومقاطعها وستوره وكل ما يحتاج اليه فيه قال وأخرج من خزائن الفرش من البيوت الكاملة الفرش من القلموني والديقي من سائر ألوانه وأنواعه المحمل والخسرواني والديباج المسكي والخز وسائر الحرير من جميع ألوانه وأنواعه مالا يحصى كثرة ولا يعرف قدره نفاسة وأخرج من الحصر والآنحاح السامان المطرزة بالذهب والفضة وغير المطرزة من المخرمة والطيور والفيلة المصورة بسائر أنواع الصور شيء كثير والتمس بعض الأتراك من المستنصر مقرمة يعني ستارة سندس أخضر مذهبة فأخرج عدل منها مكتوب عليه مائة وثمانية وعشرون من جملة أعداد أعدل فيها من المتاع ووجد من الستور الحرير المنسوجة بالذهب على اختلاف ألوانها وأطوالها عدة عشرين تقارب الألف فيها صور الدول وملوكها والمشاهير فيها مكتوب على صورة كل واحد اسمه ومدة أيامه وشرح حاله وأخرج من خزائن الفرش أربعة آلاف رزمة خسرواني مذهب في كل رزمة فرش مجلس ببسطه وتعليقه وسائر آلاته المنسوجة في خيط واحد باقية على حالها لم تمس وصار الى نخر العرب مقطوع من الحرير الأزرق التستري القرقوبي غريب الصنعة منسوج بالذهب وسائر ألوان الحرير كان المعز لدين الله أمر بعمله في سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة فيه صورة أقاليم الأرض وحبالها وبحارها ومدنها وأنهاؤها ومسالكها شبه جغرافياً وفيه صورة مكة والمدينة مينة للناظر مكتوب على كل مدينة وجبل وبلاد

ونهر وبحر وطريق اسمه بالذهب أو الفضة أو الحرير وفي آخره مما أمر بعمله المعز لدين الله شوقاً الى حرم الله واشهاراً لنعالم رسول الله في سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة والنفقة عليه اثنان وعشرون ألف دينار وصار الى تاج الملوك بيت آدمي أحمر منسوج بالذهب عمل للعتوكل على الله لا مثل له ولا قيمة وبساط خمرواني دفع اليه فيه ألف دينار فامتنع من بيعه وقال ابن الطوير خزانة الفرش وهي قريبة من باب الملك يحضر اليها الخليفة من غير جلوس ويطوف فيها ويستخير عن أحوالها ويأمر بادامة الاستعمال وكان من حقوقها استعمال السامان في أماكن خارجها بالقاهرة ومصر ويعطى مستخدمها خمسة عشر ديناراً يعني يوم يطوف بها الخليفة

* (خزائن السلاح) *

قال في كتاب الذخائر فأما خزائن السيوف والآلات والسلاح فان بعضها أخذ وقسم بين العشرة الثأرين على المستنصر وهم (٣) ناصر الدولة بن حمدان واخواه وبلدكوس وابن سبكتكين وسلام عايك وشاور بن حسين حتى صار ذو الفقار الى تاج الملوك وصمصامة عمرو بن معدي كرب وسيف عبد الله بن وهب الراسي وسيف كافور وسيف المعز وسيف ابي المعز الى الاعز بن سنان ودرع المعز لدين الله وكانت تساوي ألف دينار وسيف الحسين ابن علي بن ابي طالب عليهما السلام ودرقة حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه وسيف جعفر الصادق رضي الله عنه ومن الخود والدروع والتخيف والسيوف المحلاة بالذهب والفضة والسيوف الحديدية وصناديق النصول وجباب السهام الخنج وصناديق القسي ورزم الرماح الزان الخفية وشدات القسي الطوال والزرد والبيض مئين ألوف وكان كل صنف مفرداً عشرات ألوف * وقال ابن الطوير خزانة السلاح يدخل اليها الخليفة ويطوفها قبل جلوسه على السرير هناك ويتأمل حواصلها من الكراغندات المدفونة بالزرد المغشاة بالديباج الحكيمة الصناعة والجواشن المبطنة المذهبة والزرديات السابغة برؤسها والخود المحلاة بالفضة وكذلك اكثر الزرديات والسيوف على اختلافها من العربيات والقلاجوريات والرماح القنا والقنطاريات المدهونة والمذهبة والاسنة البرصانية والقسي لماية اليد المنسوبة الى صاعها مثل الخطوط المنسوبة الى اربابها فيحضر اليه ما يجربه ويتأمل انشباب وكانت نصوله مثلية الاركان على اختلافها ثم قسى الرجل والركاب وقسى اللواب الذي زنة لصله خمسة اربال ويرمي من كل سهم بين يديه فينظر كيف مجراه والانشاب الذي يقال له الجراد وطوله شبر يرمي به عن قسي في مجار معموله برسمه فلا يدري به الفارس أو الراجل الا وقد نفذ فاذا فرغ من نظر ذلك كله خرج من خزانة الدرق وكانت في المسكان الذي هو خان مسرور

(٣) (قوله وهم الخ) هكذا في النسخ ولم يستوف العشرة فليحذر اه مصححه

وهي برسم الاستعمالات للاساطيل من السكبورة الخرجية والحدود الجلودية الى غير ذلك فيعطى مستخدمها خمسة وعشرون ديناراً ويخلع على مقدم الاستعمالات جوكرانية مزينة حريراً وعمامة لطيفة

* (خزائن السروج) *

قال في كتاب الذخائر أخرج فيما أخرج صناديق سروج محلاة بفضة بجرأة بسواد مسوحة وجد على صندوق منها الثامن والتسعون والثمانمائة وعدة ما فيها زيادة على أربعة آلاف سرج وأخرج المستنصر من خزائن السروج خمسة آلاف سرج كان أبو سعد ابراهيم ابن سهل التستري ادخرها له فيها وتقدم بحفظها كل سرج منها يساوى من سبعة آلاف دينار الى ألف واكثرها عال سبك جميعها وفرق في الاتراك كان برسم ركابه منها أربعة آلاف سرج وأخذ من خزائن السيدة والدته أربعة آلاف سرج مثلها ودونها صنع بها مثل ذلك * وقال ابن الطوير خزانة السروج تحتوى على ما لا يحتوى عليه مملكة من الممالك وهي قاعة كبيرة بدورها مصطبة علوها ذراعاً ومجالسها كذلك وعلى تلك المصطبة متكآت محلاة الجانبين على كل متكأ ثلاثة سرج متطابقة وفوقه في الحائط وتد مدهون مضروب في الحائط قبل تبليصه وهو بارز بروزاً متكئاً عليه المركبات الخلى على لجم تلك السروج الثلاثة من الذهب خاصة أو الفضة خاصة أو الذهب والفضة وقلائدها وأطواقها لاعناق الخيل وهي لخاص الخليفة وأرباب الرتب ما يزيد على ألف سرج ومنها الخيام ومنها الوسط ومنها الدون وهي خيار غيرها برسم العواري لأرباب الرتب والخدم ومنها ما هو قريب من الخاص فيكون عند المستخدم بشداده الدائم وجاريه على الخليفة مادام مستخدماً والعائف مطاق من الالهراء وأما الصاغة فإن فيها منهم من المراكين والخرازين عدداً جماً دائماً لا يفترون عن العمل وكل مجلس مضبوط بعد متكأته وما عليها من السروج والاولاد واللجم وكل مجلس لذلك عند مستخدميه في العرض فلا يحتل عليهم منها شيء وكذلك وسط قاعتها بعدة متوالية أيضاً والشدادون مطلوبون بالقائص منها أيام المواسم وهم يحضرونها أو قيمتها فيعرض ويركب ويحضر اليها الخليفة ويطوفها من غير جلوس ويعطى حاميتها للتفرقة في المستخدمين عشرين ديناراً ويقال ان الحفظ لدين الله عرضت له فيها حاجة فجاء اليها مع الحامي فوجد الشاهد غير حاضر وختمه عليها فرجع الى مكانه وقال لا يفك ختم العدل الا هو ونحن نعود في وقت حضوره انتهى وكان الخليفة الأمر بأحكام الله تحذره نفسه بالسفر الى المشرق والغارة على بغداد فأعد لذلك سروجاً بجوفة القراييص وبطنها بصفائح من قصدير ليجعل فيها الماء وجعل لها فم فيه صفارة فإذا دعت الحاجة الى الماء شرب منه الفارس وكان كل سرج منها يسمع سبعة أرتال ماء وعمل عدة مخال للخيل من ديباج وقال في ذلك

دع اللوم عني لست متي بموثق * فلا بد لي من صدمة المتحقق
 وأسقى جيادى من قرات ودجلة * وأجمع شمل الدين بعد التفرق
 وأول من ركب المتصرفين في دولته من خيوله بالمرابك الذهب في المواسم العزى
 بالله نزار بن المعز

(* خزائن الحليم) *

قال في كتاب الذخائر وأخبرني سماء الرؤساء أبو الحسن علي بن أحمد بن مدبر وزير
 ناصر الدولة قال أخرج فيما أخرج من خزائن القصر عدة لم تحصى من أعدل الحليم والمضارب
 والفايزات والمسطحات والجركوات والحصون والقصور والشراعات والمشارع والفساطيط
 المعمولة من الديبقي والمحمل والخسرواني والديباج الماسكي والارمني والبهنساوي والكردياني
 والجيد من الحلبي وما أشبه ذلك من سائر ألوانه وأنواعه ومن السندس والطميم أيضاً منها
 المفيل والمسبيع والخيل والبطوس والمطير وغير ذلك من سائر الوحوش والطيور والادمين
 من سائر الاشكال والصور البديعة الرائعة ومنها الساذج والمنقوش في ظاهره بقرائب
 النقوش بجميع آلتها من الأعمدة الملبسة انابيب الفضة والثياب المذهبة وغير المذهبة
 من سائر أنواعها وألوانها والصفريات الفضة على أقدارها والحبال الملبسة القطن
 والحرير والاولاد وسائر ما يحتاج اليه من جميع آلتها وعدتها الملبطن جميعها بالديبقي
 الطميم المذهب والخسرواني المذهب وثياب الحرير الصيفي والتستري والمضرب
 والرجيح والشرفي والشعري والديباج والمريش وسائر أنواع الحرير من سائر الألوان
 وأنواعها كبارا وصغارا منها ما يحمل خرقه وأوتاده وعمده وسائر عدته على عشرين بعيرا
 ودون ذلك وفوقه فالمسطح بيت مربع له أربعة حيطان وسقف بستة أعمدة منها عمودان
 للحائط الواحد المرفوع للدخول والخروج والحيمة ظهرها حائط مربع وسقيفتها الى الباب
 حائط مربع وأركانها شوارك من الجانبيين على قدر القائم وفيها أربعة أعمدة اثنتان في الباب
 واثنان في وسطها وكلما زادت زاد عمدها وسقفها ولها حدان مشروكان من الجانبيين والشراع
 حائط في الظهر مسقف على الرأس بعمودين من أى موضع دارت الشمس حول الى ناحية
 الشمس والمشرعة فيه مثل المظلة على عمود واحد تام وشراع سابل خلفها من أى موضع
 دارت الشمس أدير والقبعة على حلقها * وحديثي أبو الحسن علي بن الحسن الخليلي قال
 أخرجنا في جملة ما أخرج من خزائن اقصر أيام المارقين حين اشتدت المطالبة على
 السلطان فسطاطا كبيرا اكبر ما يكون يسمى المدورة الكبيرة يقوم على فرد عمود طوله
 خمسة وستون ذراعا بالسكبير ودائر فاسكتة عشرون ذراعا وقطرها ستة اذرع وثلاث ذراع
 ودائرته خمسمائة ذراع وعدة قطع خرقه اربع وستون قطعة كل قطعة منها تحزم في عدل

واحد بجمع بعضه الى بعض بعري وشراريب حتى ينصب يحمل خرقة وحباله وعدته على مائة جبل وفي صفريته المعمولة من الفضة ثلاثة قناطر مصرية يحماها من داخلها قضبان حديد من سائر نواحيها تمتلئ ماء من راوية جبل قد صور في رفرقه كل صورة حيوان في الارض وكل عقد مليح وشكل ظريف وفيه باذهنج طوله ثلاثون ذراعا في اعلاه كان ابو محمد الحسن بن عبد الرحمن البازوري أمر بعمله ايام وزارته فعمله الصناعات وعدتهم مائة وخمسون صناعات في مدة تسع سنين واشتملت الثمنفة عليه على ثلاثين ألف دينار وكان عمله على مثال القاتول الذي كان العزيز بالله أمر بعمله ايام خلافته الا أن هذا أعلى عمودا منه وأوسع وأعظم وأحسن وكان الخليفة أنفذ الى ممالك الروم في طلب عمودين لفسطاط طول كل واحد منهما سبعون ذراعا بعد أن غرم عايهما ألف دينار أحدهما في هذا الفسطاط بعد أن قطع منه خمسة أذرع والآخر حمله ناصر الدولة بن حمدان حين خرج على الخليفة المستنصر بالله الى الاسكندرية وما أدري ما فعل به قال وأقنا مدة طويلة في تفصيل بعضه من بعض وتقطيعه خرقا وشققا قومت على المذكورين بأقل القيم وتفرق في الآفاق وقال لي أيضا أخرجنا مسطحا قلعونيا محملا موحها من جانيه عمل بتيس للعزيز بالله يسمى دار البطيخ وسطه بكنيس على ستة أعمدة أربعة منها في اركان الكنيس وفي أربعة الأركان أربع قباب ومن القبة الى القبة رواق دائر عليه والقباب دونه وفي كل قبة أربعة أعمدة طول كل عمود من أعمدة الكنيس ثمانية عشر ذراعا وكذلك طول قائم القباب وفعلنا به مثل ما فعلنا في الاول وقال لي أخرجنا مسطحا عمل للظاهر لاعزاز دين الله بتيس ذهب في ذهب طميم قائم على عمود له ست صفارى بلور وستة أعمدة فضة أفق عايه أربعة عشر ألف دينار ومسطحا ديقيا كبيرا مذهبا بدوائر كردواني منقوش وأخرجنا قصورا تحيط بالخيام بشرفات من الخمل والقلعوني والديقي والديساج الخمرواني والحريز من سائر أنواعه وألوانه المذهبة المنقوشة بجياضها ودككها ومصاطبها وقدورها وزجاجها وسائر عدها وأخرجنا من الخيام الكردواني شيئا كثيرا وأخرجنا خيمة كبيرة مدورة كردواني مليحة النقش والصناعة عدتها قطع كثيرة طول عمودها خمسة وثلاثون ذراعا فعلنا بجميعها مثل ما فعلنا بالاول وأخرج في جملتها الفسطاط الكبير المعروف بالمدورة الكبيرة المتولى عمله بحلب الحسن علي بن احمد المعروف بابن الايدر في سني ثيف وأربعين وأربعمائة المنفق على خرقة ونقشه وعمله وعدته ثلاثون ألف دينار الذي عموده أطول ما يكون من صواري درامين الروم البنادقة أربعون ذراعا ودائر فلكة عموده أربعة وعشرون شبرا ويعمل على سبعين جملا ووزن صفريته الفضة قنطاران سوى أنابيب عمده ويتولى اتقان عمده ونصبه مائتا رجل من فراش ومعين وهو شبيه بالقاتول العزيزي وسمى

بالباقول لأنه ما نصب قط الا وقتل رجلا أو رجلين ممن يتولى اتقانه من فراش وغيره قال
 ووجد في خزائن مملوءة من سائر أنواع الصواني المدهونة ببغداد المذهبة التي حشيت كل
 واحدة منها بما دونها في السعة الى ما سمعته دون الدرهم ومن سائر أنواع الاطباق الخلع
 الرازي في هذه السعة وفوق ذلك ودونه قد حشيت بطونها بما دونها في السعة الى ما سمعته
 دون الدينار ومن الموائد القوائم الصغار والكبار ألوف ومن موائد الكرم وما أشبهها
 شيء كثير ومن الجفان الحور الواسعة التي قد عمدت مقابضها من الفضة وحليت بأنواع
 الحلى التي لا يقدر الجمل القوى على حمل جفتين منها لعظمها تساوى الواحدة منها مائة
 دينار وفوقها ودونها شيء كثير ووجد من النكك والمحاريب والاسرة العود والصندل
 والعاج والآبنوس والبقم شيء كثير ما بيع الصنعة * وقال ابن ميسر وعمل الافضل بن امير
 الجيوش خيمة سماها خيمة الفرح اشتملت على ألف الف وأربعمائة ألف ذراع وقائمها
 ارتفاعه خمسون ذراعا بذراع العمل صرف عليها عشرة آلاف دينار ومدحها جملة
 من الشعراء

* (خزانة الشراب) *

قال ابن المأمون ولم يكن في الايوان فيما تقدم شراب حلو بل انها قررت لاستقبال
 انظار المأمون وأطلق لها من السكر مائة وخمسة عشر فنصارا وبرسم الورد المربي خمسة
 عشر قطاوا وأما ما يستعمل بالكافورى من الحلو الدانيد والحامض فلمبلغ في ذلك على ما
 حصره شاهد في السنة ستة آلاف وخمسة دينار وما يحمل للكافورى أيضا برسم كرك
 المساور ما يستدعيه متولى الشراب * وقال ابن الطوير خزانة الشراب وهي أحد مجالسه
 أيضا يعنى القاعة التي هي الآن المارستان العتيق فاذا جلس الخليفة على السرير عرض
 عليه ما فيها حاميا وهو من كبار الاستاذين وشاهدها فيحضر اليه فراشوها بين يدي
 مستخدمها من عيون الاصناف العالية من المماجين المجدبة في الصيني والطيافير الخلدنج
 فيذوق ذلك شاهدها بحضرتة ويستخير عن احوالها بحضور اطباء الخاص وفيها من
 الآلات والازيار الصيني والبرابي عدة عظيمة للورد والبنفسج والمرسين وأصناف الادوية
 من الراوند الصيني وما يجرى مجراه مما لا يقدر احد على مثله الا هناك وما يدخل في الادوية
 من آلات العطر الى ذلك ويسأل عن الدرياق الفاروق ويأمرهم بتحصيل أصنافه ليستدرك
 عمله قبل انقطاع الحاصل منه ويؤكد في ذلك تأكيداً عظيماً ويستأذن على ما يطلق منها
 برقاع أطباء الخاص للجهات وحواشى القصر فيأذن في ذلك ويعطى الحامى لتفرقة في
 الجماعة ثلاثين ديناراً

* خزانة التوابل *

وقال ابن المأمون فأما التوابل العالی منها والدون فانها جملة كثيرة ولم يقع لي شاهد بها بل انني اجتمعت بأحد من كان مستخدما في خزانة التوابل فذكر أنها تشتمل على خمسين ألف دينار في السنة وذلك خارج عما يحمل من البقولات وهي باب مفرد مع المستخدم في الكافورى والذي استقر اطلاقه على حكم الاستيثار من الجرايات المختصة بالقصور والرواتب المستجدة والمطلق من الطيب ويذكر الطراز وما يتساع من الثغور ويستعمل بها وغير ذلك فاولها جراية القصور وما يطلق لها من بيت المال ادرارا لاستقبال النظر المأمونى ستة آلاف وثلاثمائة وثلاثة وأربعون دينارا تفصيله منديل السكم الخاص الأمرى في الشهر ثلاثة آلاف دينار عن مائة دينار كل يوم اربع جمع الحمام في كل جمعة مائة دينار أربع مائة دينار ورسم الاخوة والاخوات والسيدة الملكة والسيدات والأمير أبى على واخوته والموالى والمستخدمات ومن استجد من الافضليات ألفان وتسعمائة وثلاثة وأربعون دينارا ولم يكن للقصور في الايام الافضلية من الطيب راتب فيذكر بل كان اذا وصلت الهدية والجلاوى من البلاد اليمنية تحمل برمتها الى الايوان فينقل منها بعد ذلك للافضل والطيب المطابق للخليفة من جماتها فانفسخ هذا الحكم وصار المرتب من الطيب مياومة ومشاهرة على ما يأتى ذكره ما هو برسم الخاص الشريف في كل شهر ند مثلت ثلاثون مثقالا عود صيفى مائة وخمسة دراهم كافور قديم خمسة عشر درهما عنبر خام عشرة مثاقيل زعفران عشرون درهما ماء ورد ثلاثون رطلا برسم بخور المجاس الشريف في كل شهر في أيام السلام ند مثلت عشرة مثاقيل عود صيفى عشرون درهما كافور قديم ثمانية دراهم زعفران شعر عشرة دراهم ما هو برسم بخور الحمام في كل ليلة جمعة عن أربع جمع في الشهر ند مثلت أربعة مثاقيل عود صيفى عشرة مثاقيل ما هو برسم السيدات والجهاات والاخوة في كل شهر ند مثلت خمسة وثلاثون مثقالا عود صيفى مائة وعشرون درهما زعفران شعر خمسون درهما عنبر خام عشرون مثقالا كافور قديم عشرون درهما مسك خمسة عشر مثقالا ماء ورد أربعون رطلا ما هو برسم المائدة الشريفة ما تستلمه المعامة مسك خمسة عشر مثقالا ماء ورد خمسة عشر رطلا ما هو برسم خزانة الشراب الخاص مسك ثلاثة مثاقيل ند مثلت سبعة مثاقيل عود صيفى خمسة وثلاثون درهما ماء ورد عشرون رطلا ما هو برسم بخور المواكب الستة وهي الجمعتان الكائنتان في شهر رمضان برسم الجامعين بالقاهرة يعنى الجامع الازهر والجامع الحاكمى والعيدان وعيد الغدير وأول السنة بالجوامع والمصلى ندر خاص جملة كثيرة لم تتحقق فتذكر ولم يكن للفرتين غرة السنة وغرة شهر رمضان وفتح الخليج بخور فيذكر وعدة المبخرين في المواكب ستة ثلاثة عن العيين وثلاثة عن الشمال وكل منهم (م ٣٥ - خطط ني)

مشدود الوسط وفي كفه فحم يرسم تعجيل المدخنة والمداخن فضة وحامل الدرج الفضة الذي فيه البخور أحد مقدمي بيت المال وهو فيها بين المبخرين طول الطريق ويضع يده البخور في المدخنة وإذا مات أحد هؤلاء المبخرين لا يخدم عوضا عنه الا من يتبرع بمدخنة فضة لان لهم رسوما كثيرة في المواسم مع قربهم في المواكب من الخليفة ومن الوقت الذي يتبرع فيه بالمدخنة يرجع في حاصل بيت المال وإذا توفي حاملها لا ترجع لورثته وعدة ما يبخر في الجوامع والمصلى غير هؤلاء في مداخن كبار في صواني فضة ثلاث صوان في الحراب احداهن وعن يمين المنبر وشماله اثنتان وفي الموضع الذي يجلس فيه الخليفة الى أن تقام الصلاة صينية رابعة وأما البخور المطلق يرسم المأمون فهو في كل شهر ندمثلث خمسة عشر مثقالا عود صفي ستون درهما غير خام ستة مثاقيل كافور ثمانية دراهم زعفران شعر عشرة دراهم ماء ورد خمسة عشر رطلا ومنها مقرر الجامع وما قرر من خزانة التفرقة في كل يوم اثنا عشر مجعا كل بيت عياره رطل واحد ولكل مجمع ثلاثة أرطال جبن قر يش وفاكهة بنصف درهم والمستقر لهذه الجامع في كل يوم من اللبن خمسة وثمانون رطلا ومنها مقرر الحلوى والفسق وما استجد ما يعمل في الايوان يرسم الخاص في كل يوم من الحلوى اثنا عشر جاما رطبة ويابسة نصفين وزن كل جام من الرطب عشرة أرطال ومن اليابس ثمانية أرطال ومقرر خشكناج والبسندود في كل ليلة على الاستمرار يرسم الخاص الآمرى والمأمون قطار واحد سكر ومثقالا نمسك وديناران يرسم المؤمن لعمل خشكناج وبسندود في قعبان وسلال صفاف ويحمل ثلثا ذلك الى القصر والثلث الى الدار المأمونية قال وجرت مفاوضة بين متولى بيت المال ودار الفطرة بسبب الاصناف ومن جعلتها الفستق وقبة وجوده وتزايد سعره الى أن بلغ رطل ونصف بدينار وقد وقف منه لارباب الرسوم ما حصل شكواهم بسببه فجأبه متولى الديوان بأن قال ماتم موجب الاتفاق لما هو راتب من الديوان وطالما المقام العالي بأنه لما رسم لهما ذكرا جميع ما شتمل عليه ماهو مستقر الاتفاق من قاب الفستق والذي يطلق من الخزان من قاب الفستق اذارا مستقرا بغير استدعاء ولا توقيع مياومة كل يوم حسابا في الشهر التام عن ثلاثين يوما خمسمائة وخمسة وثمانون رطلا وفي الشهر الناقص عن تسعة وعشرين يوما خمسمائة وخمسة وستون رطلا حسابا عن كل يوم تسعة عشر رطلا ونصف من ذلك ما يستلمه الصناع الحلاويون والمستخدمون بالايوان مما يصنع به خاص خارجا عما يصنع بالمطابخ الآمرية عن اثني عشر جام حلوى خاص وزنها مائة وثمانية أرطال منها رطب ستون رطلا ويابس وغيره ثمانية وأربعون رطلا مما يحمل في يومه وساعته منها ما يحمل مختوما يرسم المسائدين الآمريتين بالبادهنج والدار الجديدة اللتين ما يحضرهما الا من كبرت منزلته وعظمت جاهته جامان رطبا

وإبسا وما يفرق في العوالى من الموالى والجهات على أوضاع مختلفة تسع جامات وما يحمل إلى الدار المأمونية برسم المائدة بالداردون السباط جاء واحد تمة المياومة المذكورة ما يتسلمه مقدم الفراشين في خدمة المائدة الشريفة التي تتولاها المعمة بالقصور الزاهرة أربعة أرتال فستق ما يتسلمه الشاهد والمشارف على المطابخ الآمرية مما يصنع فيها برسم الجامات الحلوى وغيره مما يكون على المدورة في الاسمطة المستمرة بقاعة الذهب في أيام السلام وفي أيام الركوبات وحلول الركاب بالمناظر أربعة أرتال وما يتسلمه الحاج مقبل الفراش برسم المائدة المأمونية مما يوصله لزمام الداردون المطابخ الرجالية رطلان الحكم الثاني يطلق مشاهرة بغير توقيع ولا استدعاء باسماء كبراء الجهات والمستخدمين من الاصحاب والخواشي في الخدم المميزة وهو في الشهر ثلاثة عشر وطلا والديوان شاهد باسماء أربابه وما يطاق من هذه الخزان السعيدة بالاستدعاءات والمطالعات ويوقع عليه بالاطلاق من هذا الصنف في كل سنة على ما أتى ذكره وما يستدعي برسم التوسمة في الراتب عند تحويل الركاب العالي إلى اللؤلؤة مدة أيام النيل المبارك في كل يوم رطلان وما يستدعي برسم الصيام مدة تسعة وخمسين يوما رجب وشعبان حسابا عن كل يوم رطلان مائة وثمانية عشر رطلا وما يستدعي لما يصنع بدار الفطرة في كل ليلة برسم الخاص خشكنانج لطيفة وبسندود وجوارشات ونواطف ويحمل في سلال صفصاف لوقته عن مدة أولها مستهل رجب وآخرها سلخ رمضان عن تسعة وثمانين يوما مائة وثمانية وسبعون رطلا لكل ليلة رطلان ويسمى ذلك بالتعنية وما يستدعيه صاحب بيت المال ومتولي الديوان فيما يصنع بالايوان الشريف برسم الموالد الشريفة الاربعة النبوى والعلوى والفاطمى والآمرى مما هو برسم الخاص والموالى والجهات بالقصور الزاهرة والدار المأمونية والاصحاب والخواشي خارجا عما يطاق مما يصنع بدار الوكالة ويفرق على الشهود والمتصدرين والفقراء والمساكين مما يكون حسابه من غير هذه الخزائن عشرون رطلا قلب فستق حسابا لكل يوم مؤبد منها خمسة أرتال ما يستدعي برسم ليالى الوقود الاربع الكائنات في رجب وشعبان مما يعمل بالايوان برسم الخاصين والقصور خاصة عشرون رطلا لكل ليلة خمسة أرتال وأما ما ينصرف في الاسمطة والايالى المسد كورات في الجامع الازهر بالقاهرة والجامع الظاهرى بالقرافة فالحكم في ذلك يخرج عن هذه الخزائن ويرجع إلى مشارف الدار السعيدة وكذلك ما يستدعيه المستخدمون في المطابخ الآمرية من التوسعة من هذا الصنف المذكور في جملة غيره برسم الاسمطة لمدة تسعة وعشرين يوما من شهر رمضان وساخه لاسباط فيه وفي الاعياد جميعها بقاعة الذهب وما يستدعيه الثائب برسم ضيافة من يصرف من الامراء في الخدم الكبار ويعود إلى الباب ومن يرد إليه من جميع الضيوف وما يستدعيه المستخدمون في دار الفطرة برسم فتح الخليج

وهي الجملتان الكبيرتان فجميع ذلك لم يكن في هذه الخزائن محاسبته ولا ذكر جملته والمعاملة فيه مع مشارف الدار السعيدة وأماما يطلق من هذا الصنف من هذه الخزائن في هذه الولايات والأفراح وأرسال الأنعام فهو شيء لم تتحقق أوقاته ولا مبالغ استدعائه انتهى المملوك كان ذلك والمجلس فضل السمو والقدرة فيما يأمر به إن شاء الله تعالى

*** (دار التعمية) ***

قال ابن المأمون دار التعمية كانت في الأيام الأفضلية تشتمل على مبلغ يسير فأنتهى الأمر فيها إلى عشرة دنائير كل يوم خارجا عما هو موظف على البساتين السلطانية وهو النرجس والنيوفران الأصفر والاحمر والنخل الموقوف برسم الخاص وما يصل إليه من القيوم وثغر الاسكندرية ومن جملتها تعمية القصور للجهات والخاص والسيدات ولدار الوزارة وتعمية المناظر في الركوبات إلى الجمع في شهر رمضان خارجا عن تعمية الحمامات وما يحمل كل يوم من الزهرة وبرسم خزانة الكسوة الخاص وبرسم المائدة وتفرقة الثمرة الصيفية في كل سنة على الجهات والأمراء والمستخدمين والحواشي والأصحاب وما يحمل لدار الوزارة والضيوف وحاشية دار الوزارة

*** (خزانة الادم) ***

قال وأما الراتب من عند بركات الادمي فانه في كل شهر ثمانون زوجا أوطية من ذلك برسم الخاص ثلاثون زوجا برسم الجهات أربعون زوجا برسم الوزارة عشرة أزواج خارجا عن السباعيات فانها تستدعي من خزانة الكسوة وفي كل موسم تكون مذهبة

*** (خزائن دار أفتكين) ***

قال ابن الطوير وكانت لهم دار كبرى يسكنها نصر الدولة أفتكين الذي رافق نزار ابن المستنصر بالاسكندرية جعلوها برسم الخزن فقبل خزائن دار أفتكين وتحتوي على أصناف عديدة من الشمع المحمول من الاسكندرية وغيرها وجميع القلوب المأكولة من الفستق وغيره والاعسال على اختلاف أصنافها والسكر والقند والشيرج والزيت فيخرج من هذه الخزائن بيد حاميا وهو من الاستاذين المميزين ومشارفها وهو من المعدلين راتب المطابخ خاصا وعاما ليوم أو لايام يتفق منها للمستخدمين ثم لأرباب التوقيعات من الجهات وأرباب الرسوم في كل شهر من أرباب الرتب حتى لا يخرج عما يحتاجون فيها إلا اللحم والخضراوات فهي أبدا معمورة بذلك انتهى

*** (خبر نزار وأفتكين) *** لما مات الخليفة المستنصر بالله أبو تميم معد ابن الامام الظاهر لاعزاز دين الله أبي الحسن علي بن الحاكم بأمر الله أبي علي منصور في ليلة الخميس الثامن عشر من ذي الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة بادر الافضل شاهنشاه بن أمير الجيوش

بدر الجمالي الى القصر وأجلس أبا القاسم أحمد بن المستنصر في منصب الخلافة واقبله بالمستعلى بالله وسير الى الأمير نزار والأمير عبد الله والأمير اسماعيل أولاد المستنصر فجاؤا اليه فاذا أخوهم أحمد وهو أصغرهم قد جلس على سرير الخلافة فامتضوا ذلك وشق عليهم وأمرهم الافضل بتقيل الارض وقال لهم قبلوا الارض لمولانا المستعلى بالله وبايعوه فهو الذي نص عليه الامام المستنصر قبل وفاته بالخلافة من بعده فامتنعوا من ذلك وقال كل منهم ان أباه قد وعدده بالخلافة وقال نزار لو قطعت مبايعت من هو أصغر مني سنا وخط والدي عندي بأني ولي عهده وأنا أحضره وخرج مسرعا ليحضر الخط فغضب لا يدرى به أحد وتوجه الى الاسكندرية فلما أبطل بجيئه بعث الافضل اليه ليحضر بالخط فلم يعلم له خبرا فانزعج لذلك انزعاجا عظيما وكانت نفرة نزار من الافضل لأمور منها أنه خرج يوما فاذا بالافضل قد دخل من باب القصر وهو راكب فصاح به نزار انزل يأمرني الجنس فحقدتها عليه وصار كل منهما يكره الآخر ومنها أن الافضل كان يعارض نزارا في أيام أبيه ويستخف به ويضع من حواشيه وأسبابه ويبطش بغلامانه فلما مات المستنصر خافه لانه كان رجلا كبيرا وله حاشية وأعوان فقدم لذلك أحمد بن المستنصر بعد ما اجتمع بالأمراء وخوفهم من نزار وما زال بهم حتى وافقوه على الاعراض عنه وكان من حماهم محمود بن مصال فسير خفية الى نزار وأعلمه بما كان من اتفاق الافضل مع الأمراء على اقامة أخيه أحمد وادارته لهم عنه فاستعد الى المسير الى الاسكندرية هو وابن مصال فلما فارق الافضل ليحضر اليه بنحط أبيه خرج من القصر متكررا وسار هو وابن مصال الى الاسكندرية وبها الأمير نصر الدولة أفتكين أحدهما ليك أمير الجيوش بدر الجمالي ودخلا عليه ليلا وأعلماه بما كان من الافضل وتراهما عليه ووعد نزار بأن يجعله وزيرا مكان الافضل فقبلاهما أتم قبول وبايع نزارا وأحضر أهل المنع لمبايعته فبايعوه ونعته بالمصطفى لدين الله فبلغ ذلك الافضل فأخذ يتجهز لمحاربتهم وخرج في آخر المحرم سنة ثمان وثمانين بعساكره وسار الى الاسكندرية فبرز اليه نزار وأفتكين وكانت بين الفريقين عدة حروب شديدة انكسر فيها الافضل ورجع بمن معه منهزما الى القاهرة ففوى نزار وأفتكين وصار اليهما كثير من العرب واشتد أمر نزار وعظم واستولى على بلاد الوجه البحري وأخذ الافضل يتجهز ثانيا الى المسير لمحاربة نزار وبعث الى أكابر العربان ووجوه أصحاب نزار وأفتكين وصاروا الى الاسكندرية فنزل الافضل اليها وحاصرها حصارا شديدا وألح في مقاتلتهم وبعث الى أكابر أصحاب نزار ووعدهم فلما كان في ذي القعدة وقد اشتد البلاء من الحصار جمع ابن مصال ماله وفر في البحر الى جهة بلاد المغرب ففت ذلك في عصد نزار وتبين فيه الانكسار واشتد الافضل وتكاثر جموعه فبعث نزار وأفتكين اليه يطلبان الامان منه فأمنهما ودخل الاسكندرية وقبض على نزار

وأفتكبن وبعث بهما الى القاهرة فأما نزار فانه قتل في انقصر بان أقيم بين حائطين بنيا عليه
فمات بينهما وأما أفتكين فانه قتله الافضل بعد قدومه ودار أفتكين هذه كانت خارج انقصر
وموضعها الآن حيث مدرسة القاضى الفاضل وآدره بدر بملوخيا
* خزانة البنود *

البنود هي الرايات والاعلام ويشبه أن تكون هي التي يقال لها في زمننا العصاب
السلطانية وكانت خزانة البنود ملاصقة للقصر الكبير ومن حتوقه فيما بين قصر الشوك وباب
العبد بناها الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله أبو هاشم على بن الحاكم بأمر الله وكان فيها ثلاثة
آلاف صانع مبرزين في سائر الصنائع وكانت أيام الظاهر هذا سكونا وطمانينة وكان مشتغلا
بالاكل والشرب والزه وسماع الاغاني وفي زمانه تأثق أهل مصر والقاهرة في اتخاذ الاغاني
والرقاصات وبلغ من ذلك المبالغ المعجبة وأخذت له حجرة الممالك وكانوا يعملونهم فيها
أنواع العلوم وأنواع آلة الحرب وصنوف حيالها من الرماية والمنطاعنة والمسابقة وغير ذلك * وقال
في كتاب الذخائر والتحف ولما وهب السلطان يعني الخليفة المستنصر لسعد الدولة المعروف
بسلام عليك ما في خزانة البنود من جميع المتاع والآلات وغير ذلك في اليوم السادس من صفر
سنة احدى وستين وأربعمائة حمل جميعه ليلا وكان فيما وجد سعد الدولة فيها ألفا وتسعمائة
درقة الى ماسوى ذلك من آلات الحرب وما سواه وغير ذلك من القضب الفضة والذهب
والبنود وما سواه وفي خلال ذلك سقط من بعض الفراشين مقط شمع موقد نارا فصادف
هناك أعدال كتان ومتاعا كثيرا فاحترق جميعه وكانت اثلث غلبة عظيمة وخوف شديد
فيما يليها من القصر ودور العامة والاسواق وأعظم من له خبيرة بما كان في خزانة البنود
أن مبلغ ما كان فيها من سائر الآلات والامتنعة والذخائر لا يعرف له قيمة عظما وان المنفق
فيها كل سنة من سبعين ألف دينار الى ثمانين ألف دينار من وقت دخول القائد جوهر
وبناء القصر من سنة ثمان وخمسين وثلثمائة الى هذا الوقت وذلك زائد عن مائة سنة
وان جميعه باق فيها على الايام لم يتغير وأن جميعه احترق حتي لم يبق منهم بقية ولا اثر وانه
احترق في هذه الليلة من قربات النفط عشرات الوف ومن زراقات النفط ما ثلثها فأما الدرق
والسيوف والرماح والشباب فلا تحصى بوجه ولا سبب مع ما فهم من قضب الفضة وثيابها
المذهبة وغيرها والبنود الجملة وسروج ولحم وثياب الفرحية المصبغات والبادين
وغيرها بعد أن أخذوا ما قدروا عليه حتى لواء الحمد وسائر البنود وجميع
العلامات والالوية وحدثني من أثق به أيضا انه احترق فيها من السيوف عشرات ألوف
ومالا يحصى كثرة وأن السلطان بعد ذلك بمدة طويلة احتاج الى اخراج شئ من السلاح
لبعض مهماته فاخرج من خزانة واحدة مما بقي وسلم خمسة عشر ألف سيف مجوهره سوى

غيرها حدثني بجمعيه الاجل عظيم الدولة متولى السستر الشريف انتهى * وجمعت خزانة
البنود بعد هذا الحريق حبسا وفيها يقول القاضي المذهب بن الزبير لما اعتقل بها وكتب
بها للكامل بن شاور

أيا صاحبي سجن الخزانة خليا * نسيم الصبا يرسل الى كبدى نفحا
وقولا لضوء الصبح هل أنت عائد * الى نظري أم لا أرى بعدها صبحا
ولا تأسا من رحمة الله أن أرى * سر يعا فضل الكامل العفو والصفح

وقال

أيا صاحبي سجن الخزانة خليا * من الصبح ما يبدو سناء لنا نظري
فو الله ما أدري أطرفي ساهر * على طول هذا الليل أم غير ساهر
ومالى من أشكو اليه إذا كا * سوى ملك الدنيا شجاع بن شاور

واستمرت سجننا للأمراء والوزراء والاعيان الى أن زالت الدولة فأنخذها ملوك بني
أيوب أيضا سجننا تمثقل فيه الامراء والماليك * ومن غريب ما وقع بها أن الوزير أحمد
ابن على الجرجري لما توفي طاب الوزاره الحسن بن على الانباري فاجيب اليه فاعتجل من سوء التدبير
قبل تمامه ما فوته مراده وضيع ماله ونفسه وذلك أنه كان قد نبغ في أيام الحاكم بأمر الله
أخوان يهوديان يتصرف أحدهما في التجارة والآخر في الصرف وسيع ما يحمله التجار
من العراق وهما أبو سعد ابراهيم وأبو نصر هرون ابنا سهل التديري واشتهر من أمرها
في البيوع واظهار ما يحصل عندهما من الودائع الخفية بان يفقد من التجار في القرب والبعد
ما ينشأ به جميل الذكر في الآفاق فأتسع حالها لذلك واستخدم الخليفة الظاهر لاعزاز دين
الله أبا سعد ابراهيم بن سهل التديري في اتباع محتاج اليه من صنوف الامتعة وتقديم
عنده فباع له جارية سوداء فتحظي بها الظاهر وأولدها ابنه المستنصر فرعت لابي سعد
ذلك فلما أفضت الخلافة الى المستنصر ولدها قدمت أبا سعد وتخصت به في خدمتها فلما
مات الوزير الجرجري وتكلم ابن الانباري في الوزارة قصده أبو نصر اخو أبي سعد
خفيه أحد أصحابه بكلام مؤلم فظن أبو نصر أن الوزير ابن الانباري اذا بلغه ذلك ينكر
على غلامه ويبتدر اليه فجاء منه خلاف ما ظنه وبلغه عنه أضعاف ماسمعه من الغلام فشكا
ذلك الى أخيه أبي سعد وأعلمه بأن الوزير متغير النية لهما فلم يفتر أبو سعد عن ابن الانباري
وأغرى به أم المستنصر مولاته فتحدثت مع ابنها الخليفة المستنصر في أمره حتى عزله عن
الوزارة فسيى أبو سعد عند أم المستنصر لابي نصر صدقة بن يوسف الفلاحى في الوزارة
فاستوزره المستنصر وتولى أبو سعد الاشراف عليه وصار الوزير الفلاحى متقادا لابي
سعد تحت حكمه وأخذ الفلاحى يعمل على ابن الانباري ويقرى به ويصنع عليه ديونا

ويذكر عنه ما يوجب الغضب عليه حتى تم ما يريد فقبض عليه وخرج عليه من الدواوين أموالا كثيرة مما كان يتولاه قديما وألزمه بمحاملها ونوع له أصناف العذاب واستصفي أمواله وهو معتقل بخزانة البنود ثم قتله في يوم الاثنين الخامس من المحرم سنة أربعين وأربعمائة بها فاتفق ان الفلاحى لما صرف عن الوزارة اعتقل بخزانة البنود حيث كان ابن الأنبارى ثم قتل بها وحفر له ليدفن فظهر في الحفر رأس ابن الأنبارى قبل أن يمضى فيه القتل فقال لا اله الا الله هذا رأس ابن الأنبارى انا قتلته ودفنته ههنا وأنشد

رب لحد قد صار لحد امرارا * ضاحكا من تراحم الاضداد

فقتل ودفن في تلك الحفرة مع ابن الأنبارى فعد ذلك من غرائب الاتفاق * ثم ان خزانة البنود جمعت منازل للاسرى من الفرنج المأسورين من البلاد الشامية ايام كانت محاربة المسلمين لهم فانزل بها الملك الناصر محمد بن قلاوون الاسارى بعد حضوره من السكر وأبطل السجن بها فلم يزلوا فيها بأهاليهم واولادهم في ايام السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون فصار لهم فيها افعال قبيحة وأمور منكرة شنيعة من التجاهر ببيع الخمر والتظاهر بالزنا واناياطة وحماية من يدخل اليها من أبواب الديون واصحاب الجرائم وغيرهم فلا يقدر أحد ولو جل على اخذ من صار اليهم واحتمى بهم والسلطان يقضى عنهم لما يرى في ذلك من مراعاة المصاحبة والسياسة التي اقتضاها الحال من مهادنة ملوك الفرنج وكان يسكن بالقرب منها الامير الحاج آل ملك الجوكندار ويبلغه ما يفعله الفرنج من العظائم الشنيعة فلا يقدر على منعهم وخش أمرهم فرفع الخبر الى السلطان واكثر من شكيتهم غير مرة والسلطان يتغافل عن ذلك الى أن كثرت مفاوضة الحاج آل ملك للسلطان في أمرهم فقال له السلطان انتقل أنت عنهم يا أمير فلم يسمع الا الاعراض عن ذلك وعمر داره التي بالحسينية والاصطبل والجامع المعروف بآل ملك والحمام والفندق وانتقل من داره التي كان فيها بجوار خزانة البنود وسكن بالحسينية الى أن مات السلطان الملك الناصر في اخريات سنة احدى وأربعين وسبعمائة وتقل الملك في اولاده الى أن جلس الملك الصالح عماد الدين اسمعيل ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون وضرب شورى على من يكون نائب السلطنة بالديار المصرية يدبر أحوال المملكة كما كانت العادة في ذلك مدة الدولة التركية فأشير بتولية الامير بدر الدين جنكلى بن البابا فنصل من ذلك وأبى قبوله فعرضت النيابة على الامير الحاج آل ملك فاستبشر وقال لى شروط أشراطها على السلطان فان أجابني اليها فقلت ما يرسم به وهي أن لا يفعل شيء في المملكة الا برأى وأن يمنع الناس من شرب الخمر ويقام منار الشرع ولا يعترض على أمر من الأمور فأجيب الى ما سأل وأحضرت التشاريف فأقيضت عليه بالجامع من قلعة الجبل في يوم الجمعة الثاني عشر من المحرم سنة أربع وأربعين

وسبعمائة وأصبح يوم السبت جالسا في دار النيابة من القلعة وحكم بين الناس وأول ما بدأ به أن أمروا إلى القاهرة بالزول إلى خزانة البنود وأن يحتاط على جميع ما فيها من الخمر والفواحش ويخرج الأسرى منها ويهدمها حتى يجعلها دكا ويسوي بها الأرض فنزل إليها ومعه الحاجب في عدة وافرة وهجموا على من فيها وهم آمنون وأحاطوا بسائر ما تشتمل عليه وقد اجتمع من العامة والغوغاء ما لا يقع عليه حصر فأراقوا منها خمورا كثيرة تجاوز الحد في الكثرة وأخرج من كان فيها من النساء البغايا وغيرهن من الشباب وأرباب الفساق ووقبض على الفرنج والارمن وهدمها حتى لم يبق لها أثر ونودي في الناس فحكروها وبنوا فيها الدور والطواحين على ما هي عليه الآن وأمر بالأسرى فأُتزلوا بالقرب من المشهد النفيسى بجوار كيما من مصر فهم هناك إلى الآن وأُتزل من كان منهم أيضا بقاعة الجبل فأُسكنوا معهم وطهر الله تلك الأرض منهم وأراح العباد من شرهم فانها كانت شربة من بقاع الأرض يباع فيها لحم الخنزير على الوضغ كما يباع لحم الضأن ويمصر فيها من الخمر في كل سنة ما لا يستطيع أحد حصره حتى يقال انه كان يمصر بها في كل سنة اثنان وثلاثون ألف جرة خمر ويباع فيها الخمر نحو اثني عشر رطلا بدرهم إلى غير ذلك من سائر أنواع الفسوق

*(دار الفطرة) *

قال ابن الطوير دار الفطرة خارج القصر بناها العزيز بالله وهو أول من بناها وقرر فيها ما يعمل مما يحمل إلى الناس في العيد وهي قبالة باب الديلم من القصر الذي يدخل منه إلى المشهد الحسيني ويكون مبدأ الاستعمال فيها وتحصيل جميع اصنافها من السكر والعسل والقلوب والزعفران والطيب والدقيق لاستقبال النصف الثاني من شهر رجب كل سنة ليلا ونهارا من الخشكناخ والبسندود واصناف الفايز الذي يقال له كعب الغزال والبرما ورد والفسق وهو شواير مثال الصنج والمستخدمون يرفعون ذلك إلى اماكن وسعة مصنوعة فيحصل منه في الحاصل شيء عظيم هائل بيد مائة صانع للحلاويين مقدم وللخشكناخيين آخر ثم يندب لها مائة فراش لحم طيافير للفرقة على أرباب الرسوم خارجا عن هومرتب لخدمتها من الفراشين الذين يحفظون رسومها ومواعينها الحاصلة بالدائم وعندتهم خمسة فيحضر اليها الخليفة والوزير معه ولا يصحبه في غيرها من الخزائن لانها خارج القصر وكلها للفرقة فيجلس على سريره بها ويجلس الوزير على كرسي ملين على عادته في النصف الثاني من شهر رمضان ويدخل معه قوم من الخواص ثم يشاهد ما فيها من تلك الحواصل المعمولة المعبأة مثل الخيال من كل صنف فيفرقها من ربع قطار إلى عشرة اربطال إلى رطل واحد وهو أقلها ثم ينصرف الخليفة والوزير بعد أن ينعم على مستخدميها بستين دينارا ثم يحضر إلى حاميتها ومشارفها الادعية المعمولة المخرجة من دفتر المجلس كل دعو لتفريق

(م ٣٦ - خطط ني)

فريق من خاص وغيره حتى لا يبقى أحد من ارباب الرسوم الا واسمه وارد في دعو من تلك الادعية ويندب صاحب الديوان الكتاب المسلمين في الديوان فيسيرهم الى مستخدمها فيسلم كل كاتب دعوا أو دعوين أو ثلاثة على كثرة ما يحتويه وقلته ويؤمر بالفرقة من ذلك اليوم فيقدمون أبدا مائتي طيفور من العالي والوسط والدون فيحملها الفراشون برقاع من كتاب الادعية باسم صاحب ذلك الطيفور علا أو دنا وينزل اسم الفراش بالدعوى أو عريفه حتى لا يضيع منها شيء ولا يختلط ولا يزال الفراشون يخرجون بالطيافير ملأى ويدخلون بها فارغة فبمقدار ما تحمل المائة الاولى عيت المائة الثانية فلا يفر ذلك طول التفرقة فأجل الطيافير ما عدد خشكنايه مائة حبة ثم الى سبعين وخمسين ويكون على صاحب المائة طريحة فوق قوارته ثم الى خمسين ثم الى ثلاث وثلاثين ثم الى خمس وعشرين ثم الى عشرين ونسبة منشور كل واحد على عدد خشكنايه ثم العبيد السودان بغير طيافير كل طائفة يتسلمها عرفاؤها في افراد الخواص لكل طائفة على مقدارها الثلاثة الافراد والخمسة والسبعة الى العشرة فلا يزالون كذلك الى أن يتقضى شهر رمضان ولا يفوت أحدا شيء من ذلك ويتهاداه الناس في جميع الاقليم قال وما ينفق في دار الفطرة فيما يفرق على الناس منها سبعة آلاف دينار * وقال ابن عبد الظاهر دار الفطرة بالقاهرة قبالة مشهد الامام الحسين عليه السلام وهي الفندق الذي بناه الامير سيف الدين بهادر الآن في سنة ست وخمسين وستائة اول من رتبها الامام العزيز بالله وهو اول من سنها وكانت الفطرة قبل أن ينتقل الافضل الى مصر تعمل بالايوان وتفرق منه وعند ما تحول الى مصر نقل الدواوين من القصر اليها واستجد لها مكانا قبالة دار الملك بياوانى المسكيات والانشاء فانهما كانا بقرب الدار ويتوصل اليهما من القاعة الكبرى التي فيها جلوسه ثم استجد للفطرة دارا عملت بعد ذلك وراقية وهي الآن دار الامير عز الدين الافرم بمصر قبالة دار الوكالة وعملت بها الفطرة مدة وفرق منها الاما ينحس الخليفة والجهات والسيدات والمستخدمات والاستاذين فانه كان يعمل بالايوان على العادة ولما توفي الافضل وعادت الدواوين الى مواضعها أنهى خاصة الدولة ربحان وكان يتولى بيت المال ان المسكان بالايوان يضيق بالفطرة فأمره المأمون أن يجمع المهندسين ويقطع قطعة من اصطبل الطارمة يبنيه دار الفطرة فانشأ الدار المذكورة قبالة مشهد الحسين والباب الذي بمشهد الحسين يعرف بباب الديلم وصار يعمل بها ما استجد من رسوم المواليد والوقودات وعقدت لها جمانتان احدهما وجدت فسطرت وهي عشرة آلاف دينار خارجا عن جوارى المستخدمين والجملة الثانية فصلت فيها الاصناف وشرحتها دقيق ألف حملة سكر سبعمائة قنطار قلب فستق ستة قناطر قلب لوز ثمانية قناطر قلب بندق أربعة قناطر تمر أربع مائة اردب زبيب ثلثمائة

أردب خل ثلاثة قناطير غسل نخل خمسة عشر قنطارا شيرج مائتا قنطار حطب ألف ومائتا حملة سمس أردبان أنيسون أردبان زيت طيب برسم الوقود ثلاثون قنطارا ماء ورد خمسون رطلا مسك خمس نوافج كافور قديم عشرة مثاقيل زعفران مطحون مائة وخمسون درهما ويبد الوكيل برسم المواعين والبيض والسقائين وغير ذلك من المؤن على ما يحاسب به ويرفع المحازيم خمسمائة دينار * ووجدت بخط ابن ساكن قال كان المرتب في دار الفطرة وطها ما يذكر وهو زيت طيب برسم القناديل خمسة عشر قنطارا مقاطع سكندري برسم القوارات ثلثمائة مقطع طيافير جدد برسم السماط ثلثمائة طيفور شمع برسم السماط وتوديع الامراء ثلاثون قنطارا أجرة الصانع ثلثمائة دينار جارى الحامى مائة وعشرون دينارا جارى العامل والمشارف مائة وثمانون دينارا وشقة ديقى بياض حريري ومنديل ديقى كبير حريري وشقة سقلاطون اندلسي يلبسها قدام الفطرة يوم حملها ليفرق طيافير الفطرة على الامراء وأرباب الرسومات وعلى طبقات الناس حتى يعم الكبير والصغير والضعيف والقوي ويبدأ بها من أول رجب الى آخر رمضان * (ذكر ما اختص من صفة الطيافير) * الا على منها طيفور فيه مائة حبة خشكناج وزنها مائة رطل وخمسة عشر قطعة حلاوة زنتها مائة رطل سكر سايماني وغيره عشرة ارطال قلوبات ستة ارطال بسندود عشرون حبة كحك وزيب وتمر قنطار جملة الطيفور ثلاثة قناطير وناث الى ما دون ذلك على قدر الطبقات الى عشر حبات * وقال ابن أبي طي وعمل المعز لدين الله دار اسمها دار الفطرة فكان يعمل فيها من الخشكناج والحلواء والبسندود والفانيذ والكحك والتمر والبندق شيء كثير من أول رجب الى نصف رمضان فيفرق جميع ذلك في جميع الناس الخاص والعام على قدر منازلهم في اوان لا تستعاد وكان قبل ليلة العيد يفرق على الامراء الخيول بالمرآكب الذهب والخلع النفيسة والطرّاز الذهب والياثاب برسم النساء * (المشهد الحسيني) *

قال الفاضل محمد بن علي بن يوسف بن ميسر وفي شعبان سنة احدى وتسعين وأربعمائة خرج الافضل بن أمير الحيوش بعساكر حجة الى بيت المقدس وبه سكان وابلغازى ابنا ارتق في جماعة من اقاربهما ورجالهما وعساكر كثيرة من الاتراك فراسلها الافضل ياتمس منهم تسام القدس اليه بغير حرب فلم يجيباه لذلك فقاتل البلد ونصب عليها المجانيق وهدم منها جانباً فلم يجدا بدا من الاذعان له وساماه اليه نخاع عنيهما وأطلقهما وعاد في عساكره وقد ملك القدس فدخل عسقلان وكان بها مكان دارس فيه رأس الحسين بن علي بن ابي طالب رضى الله عنهما فأخرجهم وعطره وحمله في سفظ الى أجل دار بها وعمر المشهد فلما تكامل حمل الافضل الرأس الشريف على صدره وسعى به ماشيا الى أن أحله في مقره

وقيل ان المشهد بعسقلان بناه أمير الحيوش بدر الجمالي وكله ابنه الافضل وكان حمل الرأس الى القاهرة من عسقلان ووصله اليها في يوم الاحد ثامن جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة وكان الذي وصل بالرأس من عسقلان الامير سيف المملوك تميم واليها كان والقاضي المؤمن بن مسكين مشارفها وحصل في القصر يوم الثلاثاء العاشر من جمادى الآخرة المذكور * ويذكر أن هذا الرأس الشريف لما أخرج من المشهد بعسقلان وجد دمه لم يجف وله ريح كريج المسك فقدم به الاستاذ مكنون في عشارى من عشاريت الخدمة وأنزل به الى الكافورى ثم حمل في السرداب الى قصر الزمرى ثم دفن عند قبة الديلم بباب دهليز الخدمة فكان كل من يدخل الخدمة يقبل الارض أمام القبر وكانوا يخرون في يوم عاشوراء عند القبر الابل والبقر والغنم ويكثر النوح والبكاء ويسبون من قتل الحسين ولم يزالوا على ذلك حتى زالت دولتهم * وقال ابن عبد الظاهر مشهد الامام الحسين صلوات الله عليه قد ذكرنا أن طلائع بن رزيك المنعوت بالصالح كان قد قصد نقل الرأس الشريف من عسقلان لما خاف عليها من الفرنج وبنى جامعها خارج باب زويلة ليدفنه به ويفوز بهذا الفخار فقلبه أهل القصر على ذلك وقالوا لا يكون ذلك الا عندنا فعمدوا الى هذا المكان وبنوه له ونقلوا الرخم اليه وذلك في خلافة الفائز على يد طلائع في سنة تسع وأربعين وخمسمائة * وسمعت من يحكي حكاية يستدل بها على بعض شرف هذا الرأس الكريم المبارك وهي أن السلطان الملك الناصر رحمه الله لما أخذ هذا القصر وشى اليه بخادم له قد در في الدولة المصرية وكان زمام القصر وقيل له انه يعرف الاموال التي بالقصر والدفائن فأخذ وسئل فلم يجب بشيء وتجاهل فأمر صلاح الدين نوابه بتعذيبه فأخذته متولى العقوبة وجعل على رأسه خنافس وشد عليها قرمزية وقيل ان هذه أشد العقوبات وان الانسان لا يطيق الصبر عليها ساعة الا تنقب دماغه وتقتله ففعل ذلك به مرارا وهو لا يتأوه وتوجد الخنافس ميتة فعجب من ذلك وأحضره وقال له هذا سرفيك ولا بد أن تعرفني به فقال والله ما سبب هذا الا أني لما وصلت رأس الامام الحسين حملتها قال واى سر أعظم من هذا وراحع في شأنه فعفا عنه * ولما ملك السلطان الملك الناصر جعل به حلقة تدريس وفقهاء وفوضها للفقهاء البهاء الدمشقي وكان يجلس للتدريس عند الحراب الذى الضريح خلفه فلما وزر معين الدين حسين بن شيخ الشيوخ بن حمويه ورد اليه أمر هذا المشهد بعد اخوته جمع من أوقافه ما بني به ايوان التدريس الآن وبيوت الفقهاء العلوية خاصة واحترق هذا المشهد في الايام الصالحية في سنة بضع وأربعين وستمائة وكان الامير جمال الدين بن يعمر نائباً عن الملك الصالح في القاهرة وسببه أن أحد خزان الشمع دخل ليأخذ شيئاً فسقطت منه شعلة فوقف الامير جمال الدين المذكور

بنفسه حتى طفئ وأنشدته حينئذ فقلت

قالوا تعصب للحسين ولم يزل * بالنفس للهول المخوف معرّضا
حتى انضوى ضوء الحريق وأصبح السمسود من تلك المخاوف أيضا
أرضى الله بما أني نمكأنه * بين الأنام بفعله موسى الرضى

قال ولحفظه الآثار وأصحاب الحديث ونقله الاخبار ما اذا طولع وقف منه على المسطور
وعلم منه ما هو غير المشهور وانما هذه البركات مشاهدة مرئية وهى بصحة الدعوى ملية
والعمل بالنية * وقال في كتاب الدر النظيم في أوصاف القاضى الفاضل عبد الرحيم ومن جملة
مبانيه الميضة قريب مشهد الامام الحسين بالقاهرة والمسجد والساقية ووقف عليها أراضى قريب
الحنديق ظاهر القاهرة ووقفها دار جابر والانتفاع بهذه المثوبة عظيم ولما هدم المكان الذى
بنى موضعه مئذنة وجد فيه شيء من طابسم لم يعلم لاي شيء هو فيه اسم الظاهرين الحاكم
واسم امه رصد * (خير الحسين) * هو الحسين بن على بن أبى طالب واسمه عبد مناف بن
عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي أبو عبد الله وامه فاطمة الزهراء بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولد لخمس خلون من شعبان سنة اربع وقيل سنة ثلاث وعق عنه رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم سابعه بكبش وحلق رأسه وأمر أن يتصدق بزنته فضة وقال أرونى
ابني ما سميتموه فقال على بن أبى طالب حربا فقال بل هو حسين وكان أشبه الناس بالنبي
صلى الله عليه وسلم ما كان أسفل من صدره وكان فاضلا دينيا كثير الصوم والصلاة والحج
وقتل يوم الجمعة لعشر خلون من المحرم يوم عاشوراء سنة احدى وستين من الهجرة بموضع
يقال له كربلاء من أرض العراق بناحية الكوفة ويعرف الموضع أيضا بلطف قتله سنان
ابن انس اليحصبي وقيل قتله رجل من مذحج وقيل قتله شمر بن ذى الجوشن وكان ابرص
وأجهز عليه خولى بن يزيد الاصبحي من حمير حز رأسه واتى عبيد الله بن زياد وقال

أوقر ركابي فضة وذهبا * اتي قتلت الملك المحجبا

قتلت خير الناس أما وأبا * وخيرهم اذ ينسبون نسباً

وقيل قتله عمرو بن سعد بن أبى وقاص وكان الامير على الخيل اتي أخرجه عبيد الله
ابن زياد الى قتل الحسين وأمر عاهم عمرو بن سعد ووعدته أن يولييه الرى انظفر بالحسين
وقتله وقال ابن عباس رضي الله عنهما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرى النائم نصف
النهار وهو قائم أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم فقلت بأبى أنت وأمى ما هذا قال هذا
دم الحسين لم أزل ألقطه منذ اليوم فوجدته قد قتل في ذلك اليوم وهذا البيت زعموا
قدما لا يدري قائله

أترجو أمة قتلت حسينا * شفاعته جده يوم الحساب

وقتل مع الحسين سبعة عشر رجلا كلهم من ولد فاطمة وقيل قتل معه من أهل بيته
 واخوته ثلاثة وعشرون رجلا * وكان سبب قتله أنه سامات معاوية بن أبي سفيان رضي
 الله عنه في سنة ستين وردتبيعة اليزيد على الوليد بن عقبة بالمدينة ليأخذ البيعة على أهلها
 فأرسل إلى الحسين بن علي وإلى عبد الله بن الزبير ليلا فأتيا بهما فقالا بايعا فقلنا لا
 يبايع سرا ولكننا تباع على رؤس الناس إذا أصبحنا فرجعا إلى بيوتهما وخرجا من
 ليماهما إلى مكة وذلك ليلة الاحد لليلتين بقيتا من رجب فأقام الحسين بمكة شعبان ورمضان
 وشوالا والقعدة وخرج يوم التروية يريد الكوفة يكتب أهل العراق إليه فلما بلغ عبيد
 الله بن زياد مسير الحسين من مكة بعث الحسين بن تميم التميمي صاحب شرطته فنزل القادسية
 ونظم الخيل ما بينها وبين جبل الاعم فباع الحسين الحاجز له عن البلاد فكاتب إلى أهل
 الكوفة يعرفهم بقدومه مع قيس بن مسهر فظفروا به الحصين وبعث به إلى ابن زياد فقتله
 وأقبل الحسين يسير نحو الكوفة فأتاه خبر قتل مسلم بن عقيل وخبر قتل أخيه من الرضاة
 فقام حتى أعلم الناس بذلك وقال قد خذلنا شيعة فن أحب أن ينصرف فلينصرف فليس عليه
 ذمام منا ففارقوا حتى بقي في أصحابه الذين جاؤا معه من مكة وسار فادركته الخيل وهم
 ألف فارس مع الحر بن يزيد التميمي ونزل الحسين فوقوا تجاهه وذلك في نحر الظهيرة
 فسقى الحسين الخيل وحضرت صلاة الظهر فأذن مؤذنه وخرج فحمد الله وأثنى عليه ثم
 قال أيها الناس انما معذرة إلى الله واليكم اني لم آتكم حتى اتتني كتبكم ورسلكم أن أقدم
 علينا فليس لنا امام لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى وقد جئتمكم فان تعطوني ما اطمئن
 اليه من عهدكم أقدم مصركم وان لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين انصرفت عنكم إلى
 المكان الذي أبيت منه فسكرتوا وقال له مؤذن اقم فأقام وقال الحسين لا حرج أريد أن تصلي
 أنت بأصحابك قال بل صل أنت ونصلي بصلاتك فصلى بهم ودخل فاجتمع إليه أصحابه
 وانصرف الحر إلى مكانه ثم صلى بهم العصر واستقبلهم فحمد الله وأثنى عليه وقال يا أيها
 الناس انكم ان تقوا الله وتعرفوا الحق لاهله يكن أرضى لله ونحن أهل البيت أولى بولاية
 هذا الامر من هؤلاء المدعين ما ليس لهم السائر فيكم بالجور والعدوان فان أنتم
 كرهتمونا وجهاتم حقنا وكان رأيكم غير ما أتتني به كتبكم انصرفت عنكم فقال الحر انا
 والله ما ندرى ما هذه الكتب والرسائل التي تذكر فأخرج خريجين مملوءين صحفا فنشرها
 بين أيديهم فقال الحر انا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك وقد أمرنا إذا نحن لقيناك أن
 لا نفارقك حتى نقدمك الكوفة على عبيد الله بن زياد فقتل الحسين الموت ادني اليك من
 ذلك ثم أمر أصحابه لينصرفوا فركبوا فتمهم الحر من ذلك فقال له الحسين ثمكتك امك
 ما تريد فقال له والله لو كان غيرك من العرب يقولها ما تركت ذكر امه بالكل كائنا من

كان والله مالى الى ذكر أمك من سبيل الا بأحسن ما تقدر عليه فقال له الحسين ما تريد قال أريد أن أنطلق بك الى ابن زياد وتراد الكلام فقال له الحر انى لم أوامر بقتالك وانما أمرت أن لا أفارقك حتى أدخلك الكوفة نخذ طريقا لا تدخلك الكوفة ولا تزول الى المدينة حتى أكتب الى ابن زياد وتكتب انت الى يزيد أو الى ابن زياد فاعل الله أن يأتي بأمر يرزقني فيه العافية من أن أبتي بشيء من أمرك فقياسر عن طريق العذيب والقادسية والحر يسيره فلما كان يوم الجمعة الثالث من المحرم سنة احدى وستين قدم عمرو بن سعد بن أبي وقاص من الكوفة فى أربعة آلاف وبعث الى الحسين رسولا يسأله ما الذي جاء به فقال كتب الى أهل مصركم هذا أن أقدم عليهم فاذا كرهوني فانا أنصرف عنهم فكتب عمرو الى ابن زياد يعرفه ذلك فكتب اليه أن يعرض على الحسين ببيعة يزيد فان فعل رأينا فيه رأينا والا نمنعه ومن معه الماء فأرسل عمرو بن سعد خمسمائة فارس فنزلوا على الشريعة وحالوا بين الحسين وبين الماء وذلك قبل قتله بثلاثة أيام ونادى مناد يا حسين ألا تنظر الماء لا ترى منه قطرة حتى تموت عطشا ثم التقى الحسين بعمر بن سعد مرارا فكتب عمرو بن سعد الى عبيد الله بن زياد أما بعد فان الله قد أطقأ الثائرة وجمع الكلمة وقد أعطاني الحسين أن يرجع الى المكان الذي أتى منه أو أن يسيره الى اى ثغر من الثغور شاء أو أن يأتي يزيد أمير المؤمنين فيضع يده فى يده وفى هذا لكم رضى وللامة صلاح فقال ابن زياد لشمر بن ذى الجوشن اخرج بهذا الكتاب الى عمرو فليعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكمى فان فعلوا فليبعث بهم وان ابوا فابقا تايمهم فان فعل فاسمع له وأطع وان أبى فأنت الامير عليه وعلى الناس واضرب عنقه وابعث الى رأسه وكتب الى عمرو بن سعد أما بعد فانى لم أبعثك الى الحسين لتكف عنه ولا لتنيه ولا لتطاوله ولا لتقمعه له عندى شافعا انظر فان نزل حسين وأصحابه على الحكم واستسلموا فابعت بهم الى سلما وان أبوا فازحف اليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم فانهم لذلك مستحقون فان قتل الحسين فأوطى الخيل صدره وظهره فانه عاق شاق قاطع ظلوم فان انت مضيت لامرنا جزيناك جزاء السامع المطيع وان انت ابيت فاعتزل جندنا وخل بين شمر وبين العسكر والسلام فلما أنه الكتاب ركب والناس معه بعد العصر فأرسل اليهم الحسين ما لكم فقالوا جاء امر الأمير بكذا فاستمهمهم الى غدوة فلما أمسوا قام الحسين ومن معه الليل كله يصلون ويستغفرون ويدعون ويتضرعون فلما صلى عمرو بن سعد الغداة يوم السبت وقيل يوم الجمعة يوم عاشوراء خرج فيمن معه وعبي الحسين أصحابه وكان معه اثنان وثلاثون فارسا وأربعون رجلا وركب ومعه مصحف بين يديه وضعه أمامه واقتتل أصحابه بين يديه وأخذ عمرو بن سعد سهما فرمى به وقال شهدوا انى اول من رمى الناس

وحمل أصحابه فصرعوا رجالا وأحاطوا بالحسين من كل جانب وهم يقاتلون قتالا شديدا حتى انصرف النهار ولا يقدر أن يكفوا عن القتال حتى يلقى ففعلوا الحسين وحضر وقت الصلاة فسأل الحسين أن يكفوا عن القتال حتى يصلي ففعلوا ثم اقتتلوا بعد الظهر أشد قتال ووصل إلى الحسين وقد صرعت أصحابه ومكث طويلا من النهار كلما انتهى إليه رجل من الناس رجع عنه وكره أن يتولى قتله فأقبل عليه رجل من كندة يقال له مالك فضربه على رأسه بالسيف قطع البرنس وأدماء فأخذ الحسين دمه بيده فصبه في الأرض ثم قال اللهم ان كنت حبست عنا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خير وانتقم من هؤلاء الظالمين واشتد عطشه فدابلي شرب فرماه حصين بن تميم بسهم فوقع في فمه فتناقى الدم بيده ورمى به إلى السماء ثم قال بعد حمد الله والثناء عليه اللهم اني أشكو اليك ما يصنع يان بنت نبيك اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تبق منهم أحدا فأقبل شمر في نحو عشرة إلى منزل الحسين وحاولوا بينه وبين رحله وأقدم عليه وهو يحمل عليهم وقد بقي في ثلاثة ومكث طويلا من النهار ولو شاؤا أن يقتلوه لقتلوه ولكنهم كان يتقى بعضهم ببعض ويحب هؤلاء أن يكفهم هؤلاء فنادى شمر في الناس ويحكم ما تنتظرون بالرجل اقتلوه تنكثكم أمكم فحملوا عليه من كل جانب فضرب زرعة بن شريك التميمي كفه الأيسر وضرب عاتقه وهو يقوم ويكبو فحمل عليه في تلك الحال سنان بن انس النخعي فطعنه بالرمح فوقع وقال الخولى بن يزيد الأصبحي احتز رأسه فأرعد وضعف فنزل عليه وذبحه وأخذ رأسه فدفعه إلى خولى وسأب الحسين ما كان عليه حتى سراويله ومل الناس فاتهموا ثقله ومتاعه وما على النساء ووجد بالحسين ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وأربعون ضربة ونادى عمر بن سعد في أصحابه من ينتدب لحسين فيوطئه فرسه فانتدب عشرة فداسوا الحسين بخيولهم حتى رضوا ظهره وصدره وكان عدة من قتل معه اثنين وسبعين رجلا ومن أصحاب عمرو بن سعد ثمانية وثمانين رجلا غير الجرحى ودفن أهل العاصرية من بني أسد الحسين بعد قتله بيوم وبعد أن أخذ عمرو بن سعد رأسه ورؤس أصحابه وبعث بها إلى ابن زياد فأحضر الرؤس بين يديه وجعل ينكت بقضيب ثيابا الحسين وزيد بن أرقم حاضر وأقام ابن سعد بعد قتل الحسين يومين ثم رحل إلى الكوفة ومعه ثياب الحسين واخوانه ومن كان معه من الصبيان وعلى بن الحسين مريض فأدخلهم على زياد ولما مرت زينب بالحسين صريعا صاحت يا محمداه هذ حسين بالعراء مزملا بالدماء مقطوع الاعضاء يا محمد بناتك سبايا وذريتك مقتلة فأبكت كل عدو وصديق وطيف برأسه بالكوفة على خشبة ثم أرسل بها إلى يزيد بن معاوية وأرسل النساء والصبيان وفي عنق علي بن الحسين ويديه الغل وحملوا على الاقتاب فدخل بعض بني أمية على يزيد فقال أبشر يا أمير المؤمنين فقد

أمكنك الله من عدو الله وعدوك قد قتل ووجه برأسه اليك فلم يابث الا اياما حتى جئ
برأس الحسين فوضع بين يدي يزيد في طشت فأمر الغلام فرفع الثوب الذي كان عليه
فحين رآه خر وجهه بكهه كأنه شم منه رائحة وقال الحمد لله الذي كفانا المؤنة بغير مؤنة
كلما أوقدوا نارا للحرب أطفاها الله قالت ربا حاضنة يزيد فدنوت منه فنظرت اليه وبه
ردغ من حناء والذي أذهب نفسه وهو قادر على أن يغفر له لقد رأيته يقرع ثيابه بقضيب
في يده ويقول أيايما من شعر ابن الزبيرى ومكت الرأس مصلوبا بدمشق ثلاثة أيام ثم
أُزل في خزائن السلاح حتى ولى سامان بن عبد الملك الملك فبعث اليه فجئ به وقد محل
وبقى عظما أبيض فجعله في سبط وطيبه وجعل عليه ثوبا ودفعه في مقابر المسلمين فلما ولى
عمر بن عبد العزيز بعث الى خازن بيت السلاح وأن وجهه الى رأس الحسين بن علي
فكتب اليه ان سامان أخذه وجعله في سبط وصلى عليه ودفعه فلما دخلت المسودة سألوا
عن موضع الرأس السكرية الشريفة فنبشوه وأخذوه والله أعلم ما صنع به * وقال السرى
لما قتل الحسين بن علي بكت السماء عليه وبكاؤها حرمتها وعن عطاء في قوله تعالى فما
بكت عليهم السماء والارض قال بكائها حرمة أطرافها وعن علي بن مسهر قال حدثتني جدتي
قالت كنت أيام الحسين جارية شابة فكانت السماء اياما ككأنها علقه وعن الزهرى بلغني
أنه لم يقاب حجر من أحجار بيت المقدس يوم قتل الحسين الا وجسد تحته دم عييط
ويقال ان الدنيا أظلمت يوم قتل ثلاثا ولم يمض أحد من زعفرانهم شيئا فجعله على وجهه
الا احترق وانهم اصابوا ابلا في عسكر الحسين يوم قتل فنجروها وطبخوها فصارت مثل
العلقم فما استطاعوا أن يسبقوا منها شيئا وروى أن السماء أمطرت دما فأصبح كل شيء
لهم ملآن دما

* (ما كان يعمل في يوم عاشوراء) *

قال ابن زولاق في كتاب سيرة المعز لدين الله في يوم عاشوراء من سنة ثلاث وستين
وثلاثمائة انصرف خلق من الشيعة وأشباعهم الى المشهدين قبر كلثوم ونفيسة ومعهم جماعة
من فرسان المغاربة ورجالهم بالنيابة والبكاء على الحسين عليه السلام وكسروا أواني السقائين
في الاسواق وشققوا الروايا وسبوا من يتفق في هذا اليوم ونزلوا حتى بلغوا مسجد
الريح وثار عليهم جماعة من رعية أسفل نخرج أبو محمد الحسين بن عمار وكان يسكن
هناك في دار محمد بن أبي بكر وأغاق الدرب ومنع الفريقين ورجع الجميع فحسن موقع
ذلك عند المعز ولولا ذلك لعظمت الفتنة لان الناس قد أغلقوا الدكاكين وأبواب الدور
وعطلوا الاسواق وانما قويت أنفس الشيعة بكون المعز بمصر وقد كانت مصر لا تخلو منهم
في أيام الاخشيديّة والسكافورية في يوم عاشوراء عند قبر كلثوم وقبر نفيسة وكان السودان

وكافور يتمصبون على الشيعة وتعلق السودان في الطرقات بالناس ويقولون للرجل من خالك فان قال معاوية أكرموه وان سكت اتى المكروه وأخذت ثيابه وما معه حتى كان كافور قد وكل بالصحراء ومنع الناس من الخروج * وقال المسيحي وفي يوم عاشوراء يعنى من سنة ست وتسعين وثلاثمائة جرى الامر فيه على ما يجري كل سنة من تعطيل الاسواق وخروج المنشدين الى جامع القاهرة ونزولهم بمجمعين بالنوح والنشيد ثم جمع بعد هذا اليوم قاضي القضاة عبد العزيز بن النعمان سائر المنشدين الذين يتكسبون بالنوح والنشيد وقال لهم لا تلموا الناس أخذ شئ منهم اذا وقفتم على حوائيتهم ولا تؤذوهم ولا تنكسبوا بالنوح والنشيد ومن أراد ذلك فعليه بالصحراء ثم اجتمع بعد ذلك طائفة منهم يوم الجمعة في الجامع العتيق بعد الصلاة وأنشدوا وخرجوا على الشارع بجمعهم وسبوا السلف فقبضوا على رجل ونودي عليه هذا جزء من سب عائشة وزوجها صلى الله عليه وسلم وقدم الرجل بعد النداء وضرب عنقه * وقال ابن المأمون وفي يوم عاشوراء يعنى من سنة خمس عشرة وخمسمائة عبي السباط بمجلس المطايا من دار الملك بمصر التي كان يسكنها الافضل بن أمير الجيوش وهو السباط المختص بعاشوراء وهو يعنى في غير المكان الجارى به العادة في الاعياد ولا يعمل مدورة خشب بل سفرة كبيرة من آدم والسباط يملوها من غير مرافع نحاس وجميع الزبادى أحيان وسلائط ومخللات وجميع الخبز من شعير وخرج الافضل من باب فرد الحكم وجلس على بساط صوف من غير مشورة واستفتح المقرئون واستدعى الاشراف على طبقاتهم وحمل السباط لهم وقد عمل في الصحن الاول الذى بين يدى الافضل الى آخر السباط عدس أسود ثم بعده عدس مصفى الى آخر السباط ثم رفع وقدمت محون جميعها غسل نخل ولما كان يوم عاشوراء من سنة ست عشر وخمسمائة جلس الخليفة الأمر بأحكام الله على باب الباذنج يعنى من القصر بعد قتل الافضل وعود الاسمطة الى القصر على كرسي جريد بغير مائدة مثلما هو وجميع حاشيته فسلم عليه الوزير المأمون وجميع الامراء الكبار والصغار بالقرايمز وأذن للقاضى والداعي والاشراف والامراء بالسلام عليهم بغير مناديل ملثمون حفاة وعبي السباط في غير موضعه المعتاد وجميع ما عليه خبز الشعير والخواضر على ما كان في الايام الافضلية وتقدم الى والى مصر والقاهرة بأن لا يمكننا أحدا من جمع ولا قراءة مصرع الحسين وخرج الرسم المطلق للمصدرين والقراء الخاص والوعاظ والشعراء وغيرهم على ما جرت به عادتهم قال وفي ليلة عاشوراء من سنة سبع عشرة وخمسمائة اعتمد الاجل الوزير المأمون على السنة الافضلية من المضى فيها الى التربة الجيوشية وحضور جميع المصدرين والوعاظ وقراء القرآن الى آخر الليل وعوده الى داره واعتمد في صبيحة الليلة المذكورة

مثل ذلك وجلس الخليفة على الارض متلماً يرى به الحزن وحضر من شرف بالسلام عليه والجلوس على السباط بما جرت به العادة * قال ابن العالور اذا كان اليوم المباشر من المحرم احتجب الخليفة عن الناس فاذا علا النهار ركب قاضى القضاة والشهود وقد غيروا زيهم فيكونون كما هم اليوم ثم صاروا الى المشهد الحسيني وكان قبل ذلك يعمل في الجامع الازهر فاذا جلسوا فيه ومن معهم من قراء الحضرة والتصدرين في الجوامع جاء الوزير فجلس صدرا والقاضى والداعي من جانبه والقراء يقرؤن نوبة بنوبة وينشد قوم من الشعراء غير شعراء الخليفة شعرا يرثون به أهل البيت عليهم السلام فان كان الوزير رافضيا تفلوا وان كان سنيا اقتصدوا ولا يزالون كذلك الى أن تمضى ثلاث ساعات فيستدعون الى القصر بنبقاء الرسائل فيركب الوزير وهو بمنديل صغير الى داره ويدخل قاضى القضاة والداعي ومن معهم الى باب الذهب فيجدون الدهاليز قد فرشت مصاطبها بالحمر بدل البسط وينصب في الاماكن الخشالية من المصاطب دكاك لتأحق بالمصاطب لتفرش ويجدون صاحب الباب جالسا هناك فيجاس القاضى والداعي الى جانبه والناس على اختلاف طبقاتهم فيقرأ القراء وينشد المنشدون أيضاً ثم يفرش عليها سباط الحزن مقدار ألف زبديّة من العسّس والمملوحات والمخللات والاحبان والالبان الساذجة والاعسال النحل والفطير والحبز المغير لونه بالقصد فاذا قرب الظهر وقف صاحب الباب وصاحب المائدة وأدخل الناس الاكل منه فيدخل القاضي والداعي ويجلس صاحب الباب نيابة عن الوزير والمذكوران الى جانبه وفي الناس من لا يدخل ولا يلزم أحد بذلك فاذا فرغ القوم انفصلوا الى أماكنهم ركبانا بذلك الزى الذى ظهروا فيه وطاف النواح بالقاهرة ذلك اليوم وأغلق البياعون حوانيتهم الى جواز العصر فيفتح الناس بعد ذلك ويتصرفون

* (ذكر أبواب القصر الكبير الشرقي) *

وكان لهذا القصر الكبير الشرق تسعة أبواب أكبرها وأجلها باب الذهب ثم باب البحر ثم باب الريح ثم باب الزمرذ ثم باب العيد ثم باب قصر الشوك ثم باب الدليم ثم باب تربة الزعفران ثم باب الزهومة

* (باب الذهب) * وهو باب القصر الذى تدخل منه العساكر وجميع أهل الدولة في يومي الاثنين والخميس للموكب المقدم ذكره بقاعة الذهب قال ابن أبي طي عن المعز لدين الله انه لما خرج من بلاد المغرب أخرج أموالا كانت له ببلاد المغرب وأمر بسبكها أرحية كإرحية الطواحين وأمر بها حين دخل الى مصر فألقيت على باب قصره وهي التى كان الناس يسمونها الحشرات ولم تزل على باب القصر الى أن كان زمن الغلاء في أيام الخليفة المستنصر بالله فلما ضاق بالناس الامر أذن لهم أن يبردوا منها بمبارد فاتخذ الناس

مبارد حادة وغرهم الطمع حتى ذهبوا بأكثرها فأمر بحمل الباقي الى القصر فلم تر بعد ذلك * وقال ابن ميسر ان المعز لما قدم الى القاهرة كان معه مائة جمل عليها الطواحين من الذهب وقال غيره كانت خمسمائة جمل على كل جمل ثلاثة ارجحة ذهباً وانه عمل عضادتي الباب من تلك الارجحة واحدة فوق اخرى فسمى باب الذهب

* (جلوس الخليفة في الموالد بالمنظرة علو باب الذهب) * قال ابن المأمون في أخبار سنة ست عشرة وخمسمائة وفي الثاني عشر من المحرم كان المولد الآمرى واتفق كونه في هذا الشهر يوم الخميس وكان قد تقرر أن يعمل أربعون صينية خشكناج وحلوى وكحك وأطاق برسم المشاهد المحتوية على الضرائح الشريفة لكل مشهد سكر وعسل ولوز ودقيق وشيرج وتقدم بأن يعمل خمسمائة رطل حلوى وتفرق على المتصدرين والقراء والفقراء للمتصدرين ومن معهم في صحون وللفقراء على أرغفة السميد ثم حضر في الليلة المذكورة القاضي والداعي والشهود وجميع المتصدرين وقراء الحضرة وفتحت الطاقات التي قبلي باب الذهب وجلس الخليفة وسلموا عليه ثم خرج متولى بيت المال بصندوق محتوم ضمنه عينا مائة دينار وألف وثمانمائة وعشرون درهما برسم أهل القرافة وساكنتها وغيرهم وفرت الصواني بعد ما حمل منها للخاص وزمام القصر ومتولى الدفتر خاصة الى دار الوزارة والاجلاء الاخوة والاولاد وكاتب الدست ومتولى جعبة الباب والقاضي والداعي ومفتي الدولة ومتولى دار العلم والمقرئين الخاص وأئمة الجوامع بالقاهرة ومصر وبقية الاشراف قال وخرج الآمرى يعني في سنة سبع عشرة وخمسمائة بالاطلاق ما يخص المولد الآمرى برسم المشاهد الشريفة من سكر وعسل وشيرج ودقيق وما يصنع مما يفرق على المساكين بالجامعين الازهر بالقاهرة والعتيق بمصر وبالقرافة خمسة قناطير حلوى وألف رطل دقيق وما يعمل بدار الفطرة ويحمل للاعيان والمستخدمين من بعد القصور والدار المأمونية صينية خشكناج وحضر القاضي والداعي والمستخدمون بدار العيد والشهود في عشية اليوم المذكور وقطع سلوك الطريق بين القصرين وجلس الخليفة في المنظرة وقبلوا الارض بين يديه والمقرئون الخاص جميعهم يقرؤون القرآن وتقدم الخطيب وخطب خطبة وسبح القول فيها وذكر الخليفة والوزير ثم حضر من أنشد وذكر فضيلة الشهر والمولود فيه ثم خرج متولى بيت المال ومعه صندوق من مال التجاوى خاصة مما يفرق على الحكم المتقدم ذكره قال واستهل ربيع الاول ونبدأ بما شرف به الشهر المذكور وهو ذكر مولد سيد الاولين والآخرين محمد صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة منه وأطلق ماهو برسم الصدقات من مال التجاوى خاصة ستة آلاف درهم ومن الاصناف من دار الفطرة أربعون صينية فطرة ومن الخزائن برسم المتولين والسدنة للمشاهد الشريفة التي بين الجبل والقرافة التي

فيها أعضاء آل رسول الله صلى الله عليه وسلم سكر ولوز وعسل وشيرج لكل مشهد وما يتولى تفرقة سنا الملك ابن ميسر أربعمائة ألف رطل حلوة وألف رطل خبزاً قال وكان الأفضل بن أمير الجيوش قد أبطل أسر الموالد الأربعة النبوى والعلوى والفاطمى والامام الحاضر وما يتم به وقدم العهد به حتى نسي ذكرها فأخذ الاستاذون يجددون ذكرها للخليفة الأمر بإحكام الله ويرددون الحديث معه فيها ويحسنون له معارضة الوزير بسببها واعادتها واقامة الجوارى والرسوم فيها فأجاب الى ذلك وعمل ما ذكر وقال ابن الطوير ذكر جلوس الخليفة في الموالد الستة في توارج مختلفة وما يطلق فيها وهى مولد النبي صلى الله عليه وسلم ومولد أمير المؤمنين على بن أبي طالب ومولد فاطمة عليها السلام ومولد الحسن ومولد الحسين عليهما السلام ومولد الخليفة الحاضر ويكون هذا الجلوس في المنطرة التى هى أنزل المناظر وأقرب الى الأرض قبالة دار نحر الدين جهار كس والفندق المستجد فاذا كان اليوم الثاني عشر من ربيع الاول تقدم بان يعمل في دار الفطرة عشرون قطاراً من السكر اليابس حلوة يابس من طرائفها وتعبي في ثلثمائة صينية من النحاس وهو مولد النبي صلى الله عليه وسلم فتفرق تلك الصواني في أرباب الرسوم من أرباب الرتب وكل صينية في قوارة من أول النهار الى ظهره فأول أرباب الرسوم قاضي القضاة ثم داعى الدعاة ويدخل في ذلك القراء بالحضرة والخطباء والمتصدرون بالجامع بالقاهرة وقومة المشاهد ولا يخرج ذلك مما يتعاقب هذا الجانب بدعو يخرج من دفتر المجلس كما قدمناه فاذا صلى الظهر ركب قاضي القضاة والشهود بأجمعهم الى الجامع الأزهر ومعهم أرباب تفرقة الصواني فيجلسون مقدار قراءة الختمة السكرية ثم يستدعى قاضي القضاة ومن معه فان كانت الدعوة مضافة اليه والاحضر الداعى معه بقباء الرسائل فيركبون ويسيرون الى أن يصلوا الى آخر المضيق من السيوفيين قبل الابتداء بالسلوك بين القصرين فيقفون هناك وقد سلك الطريق على السالكين من الركن الخلق ومن سويقة أمير الجيوش عند الحوض هناك وكنست الطريق فيما بين ذلك ورشت بالماء رشا خفيفاً وفرش تحت المنطرة المذكورة بالرمل الأصفر ثم يستدعى صاحب الباب من دار الوزارة ووالى القاهرة ماض وعائد لحفظ ذلك اليوم من الازدحام على نظر الخليفة فيكون بروز صاحب الباب من الركن الخلق هو وقت استدعاء القاضي ومن معه من مكان وقوفهم فيقربون من المنطرة ويترجلون قبل الوصول اليها بخطوات فيجتمعون تحت المنطرة دون الساعة الزمانية بسمت وتشوف لانتظار الخليفة فتفتح احدى الطاقات فيظهر منها وجهه وما عليه من التديل وعلى رأسه عدة من الاستاذين الحنكين وغيرهم من الخواص منهم ويفتح بعض الاستاذين طاقة ويخرج منها رأسه ويده اليمنى في كفه ويشير

به قائلا أمير المؤمنين يرد عليكم السلام فيسلم بقاضي القضاة أولا ببعوته وبصاحب الباب بعده كذلك وبالجماعة الباقية جملة جملة من غير تعيين احد فيستفتح قراء الحضرة بالقراءة ويكونون قياما في الصدر وجوههم للحاضرين وظهورهم الى حائط المنطرة فيقدم خطيب الجامع الانور المعروف بجامع الحاكم فيخطب كما يخطب فوق المنبر الى أن يصل الى ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فيقول وان هذا يوم مولده الى ما من الله به على ملة الاسلام من رسالته ثم يحتم كلامه بالدعاء للخليفة ثم يؤخر ويقدم خطيب الجامع الازهر فيخطب كذلك ثم خطيب الجامع الأحمر فيخطب كذلك والقراء في خلال خطابة الخطباء يقرؤون فاذا انتهت خطابة الخطباء أخرج الاستاذ رأسه ويده في كمه من طاقته ورد على الجماعة السلام ثم تعلق الطاقتان فتفرض الناس ويجري أمر الموالد الحسة الباقية على هذا النظام الى حين فراغها على عدتها من غير زيادة ولا نقص انتهى وهذا الباب صار بعد زوال الدولة الفاطمية يقابل دار الامير نحر الدين جهاركس الصلاحى التى عرفت بعد ذلك بالدار القبطية وهي الآن المارستان المنصوري وصار موضع هذا الباب محراب مدرسة الظاهر ركن الدين بيبرس

* (باب البحر) * هو من انشاء الحاكم بأمر الله أبى على منصور وهدم في أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري وشوهد فيه أمر عجيب * قال جامع السيرة الظاهرية لما كان يوم عاشوراء يعني من سنة اثنتين وسبعين وستمائة رسم بنقش علو أحد ابواب القصر المسمى بباب البحر قبالة المدرسة دار الحديث السكلمية لاجل نقل عمود فيه لبعض العماير السلطانية فظهر صندوق في حائط مبني عليه فلما وقت أحضرت الشهود وجماعة كثيرة وفتح الصندوق فوجد فيه صورة من نحاس أصفر مفرغ على كرسي شبه الهرم ارتفاعه قدر شبر له أربعة أرجل تحمل الكرسي والصنم جالس متوركا وله يدان مرفوعتان ارتفاعا جيدا يحمل صحيفة دورها قدر ثلاثة أشبار وفي هذه الصحيفة أشكال ثابتة وفي الوسط صورة رأس بغير جسد ودائرته مكتوب كتابة بالقبطي وبالقالطريات والى جانبها في الصحيفة شكل له قرنان يشبه شكل السنبلة والى الجانب الآخر شكل آخر وعلى رأسه صليب والآخر في يده عكاز وعلى رأسه صليب وتحت أرجلهم أشكال طيور وفوق رؤس الاشكال كتابة ووجد مع هذا الصنم في الصندوق لوح من ألواح الصيدان التى يكتبون فيها بالمسكاتب مدهون وجهه الواحد أيضا ووجهه الواحد أحمر وفيه كتابة قد تكشط أكثرها من طول المدة وقد بلى الألواح وما بقيت الكتابة تلتئم ولا الخط يفهم وهذا نص ما فيه وأخليت مكان كتابته التى تكشطت وأما الوجه الأبيض فهو مكتوب بقلم الصحيفة القبطي والمكتوب في الوجه الأحمر على هذه الصورة السطر الاول بقى منه مكتوبا

الاسكندر السطر الثاني الارض وهبها له السطر الثالث وجرب لسكل السطر الرابع أصحاب السطر الخامس وهو بحرس السطر السادس واحترازه بقوة السطر السابع الملك مرجو وابواب السطر الثامن غير بيته سبعة السطر التاسع علم حكيم عالم في عقله السطر العاشر وصفها فلا تفسد السطر الحادى عشر طارد كل سوء والذى صاغها النساء السطر الثاني عشر سد أيضا كل آثار اسدية بيبرس وهى احد السطر الثالث عشر بيبرس ملك الزمان والحكمة كلمة الله عز وجل هذا صورة ما وجد في اللوح مما بقى من الكتابة والبقية قد تكشط وقيل ان هذا اللوح بخط الخليفة الحاكم وأعجب ما فيه اسم السلطان وهو بيبرس ولما شاهد السلطان ذلك أمر بقرائه فمضى على قراءة الاقلام فقرأ ذلك بالتم القبطى ومضمونه طلسم عمل للظالمين الحاكم واسم أمه رصد وفيه أسماء الملائكة وعزائم ورق وأسماء روحانية وصور ملائكة أكثره حرس لدير مصر وثغورها وصرف الاعداء عنها وكفهم عن طروقههم اليها وابتها الى الله تعالى بأقسام كثيرة لحماية الديار المصرية ووصونها من الاعداء وحفظها من كل طارق من جميع الاجناس وتضمن هذا الطلسم كتابة بالقبطيات وأوفقا وصورا وخواص لا يعلمها الا الله تعالى وحل هذا الطلسم الى السلطان وبقي في ذخائره قال ورأيت في كتاب عتيق رث سماء مصنفه وصية الامام العزيز بالله والد الامام الحاكم بأمر الله لولده المذكور وقد ذكر فيه الطلسمات التى على أبواب القصر ومن جعلها أن أول البروج الحمل وهو بيت المريح وشرف الشمس وله القوة على جميع سلطان الفلك لانه ضاحب السيف واسفها لارية العسكرين يذى الشمس الملك وله الامر والحرب والسلطان والقوة والمستولى لقوة روحانيته على مدينتنا وقد أقمنا طلسمها لساعته ويومه لقمه الاعداء وذل المنافقين في مكان أحكمناه على اشرافه عليه والحصن الجامع لقصر بحاور الأول باب بنيان هذا نص ما رأيت انتهى ولعل معنى كتابة بيبرس في هذا اللوح اشارة الى ان هدم هذا الباب يكون على زمان بيبرس فان القوم كانت لهم معارف كثيرة وعنايتهم بهذا الفن وافرة كبيرة والله أعلم وموضع باب البحر هذا اليوم يعرف بباب قصر بشتاق قبالة المدرسة الكاملية

* (باب المريح) * كان على ما أدركته تجاه سور سعيد السعداء على يئنة السالك من الركن الخلق الى رحبة باب العيد وكان بابا مربعا يسلك فيه من دهليز مستطيل مظلم الى حيث المدرسة السابقة ودار الطواشى سابق الدين وقصر أمير السيلاح وينتهي الى ما بين القصرين تجاه حمام اليسرى وعرف هذا الباب في الدولة الايوبية بباب قصر ابن الشيخ وذلك أن الوزير صاحب معين الدين حسين بن شيخ الشيوخ وزير الملك الصالح نجم الدين أيوب كان يسكن بالقصر الذى في داخل هذا الباب ثم قيل له في زمننا باب القصر وكان

على حاله له عضادتان من حجارة ويعملوه أسكفة حجر مكتوب فيها نقرا في الحجر عدة أسطر بالقلم الكوفي لم ينته إلى قراءة ما فيها وكان دهليز هذا الباب عريضا يتجاوز عرضه فيما أقدر العشرة أذرع في طول كبير جدا ويعلو هذا الباب دور لاسكنى تشرف على الطريق وما زال على ذلك الى أن أنشأ الأمير الوزير المشير جمال الدين يوسف الاستادار مدرسته بدرجة باب العيد واغتصب لها أملاك الناس وكان مما اغتصب ما بجوار المدرسة المذكورة من الحوانيت والرباع التي فوقها وما جاور ذلك وهدمها لينبئها على ما يريد فهدم هذا الباب في صفر سنة احدى عشرة وثمانمائة وبني في مكانه ومكان الدهليز المظلم الذي كان ينتهى بالسالك فيه من هذا الباب الى المدرسة السابقة هذه القيسارية الكبيرة ذات الحوانيت والسقيفة والابواب الجديدة ودخل فيها بعض مما كان بجاني هذا الباب من الحوانيت وعلوها ولما هدم هذا الباب ظهر في داخل بنيانه شخص وباعني ذلك فسرت الى الأمير المذكور وكان بنى وبينه صحة لاشاهد هذا الشخص المذكور والتمست منه احضاره فأخبرني أنه أحضر اليه شخص من حجارة قصير القامة احدى عينيه أصغر من الاخرى فقلت لابدى من مشاهدته فأمر باحضاره الموكل بالعمارة وأنا معه اذ ذاك في موضع الباب وقد هدم ما كان فيه من البناء فذكر أنه رماه بين أحجار العمارة وأنه تكسر وصار فيما بينها ولا يستطيع تمييزه منها فأغلظ عليه وباعني في الفحص عنه فأعياهم احضاره فسألت الرجل حينئذ عنه فقال لى أنهم لما انتهوا في الهدم الى حيث كان هذا الشخص اذا بدائرة فيها كتابة وبوسطها شخص قصير صغير احدى العينين من حجارة وهذه كانت صفة جمال الدين فانه كان قصير القامة احدى عينيه أصغر من الاخرى ويشبه والله أعلم أن يكون قد عين في تلك الكتابة التي كانت حول الشخص أن هذا الباب يهدمه من هذه صفته كما وجد في باب البحر اسم بريس الذي هدم على يديه وبأمره وقد ظفر جمال الدين هذا بأموال عظيمة وجدها في داخل هذا القصر لما أنشأ داره الاولى في الحجرة من داخل هذا الباب في سنة ست وتسعين وسبعماية وكان لكثرة هذا المال لا يستطيع كتمان ومن شدة خوفه يومئذ من الظاهر برقوق أن يظهر عليه لا يقدر أن يصرح به فكان يقول لاصحابه وخواصه وجدت في هذا المكان سبعين قفة من حديد أخبرني انسان رئيسان من أعيان الدولة عنه أنه قال لهما هذا القول وكنت اذ ذاك أيام عمارته لهذه القاعة أتردد لشيخنا سراج الدين عمر بن الملقن رحمه الله تعالى بالمدرسة السابقة وبها كان يسكن فتعرفت بجمال الدين منه وكان يومئذ من عرض الجند ويعرف باستادار نحاس فاشتهر هناك أنه وجد حال هدمه وعمارته القاعة والرواق بالحجرة مكانا مبياً تحت الارض مبيض الحيطان فيه مال فما كان عندي شك أنه من أموال خبايا الفاطميين فانه قد ذكر غير واحد من الاخباريين أن السلطان صلاح الدين لما استولى

على القصر بعد موت العاضد لم يظفر بشيء من الحبابا وعاقب جماعة فلم يوقفوه على أمرها
 * (باب الزمرذ) * سمي بذلك لانه كان يتوصل منه الى قصر الزمرذ وموضعه الآن
 المدرسة الحجازية بخط رحبة باب العيد

* (باب العيد) * هذا الباب مكانه اليوم في داخل درب السلامي بخط رحبة باب العيد
 وهو عقد محكم البناء ويعلموه قبة قد عملت مسجدا وتحته حانوت يسكنه سقاء ويقابله
 مصطبة وأدركت العامة وهم يسمون هذه القبة بالقاهرة ويزعمون أن الخليفة كان يجلس
 بها ويرخي كفه فتأتى الناس وتقبله وهذا غير صحيح وقيل لهذا الباب باب العيد لان الخليفة
 كان يخرج منه في يومي العيد الى المصلى بظاهر باب النصر فيخطب بعد أن يصلي بالناس
 صلاة العيد كما ستقف عليه عند ذكر المصلى ان شاء الله تعالى وفي سنة احدى وستين
 وستة بنى الملك الظاهر ببرس خاناً للسبيل بظاهر مدينة القدس ونقل اليه باب العيد هذا
 فعمله باباً له وتم بناؤه في سنة اثنتين وستين

* (باب قصر الشوك) * وهو الذى كان يتوصل منه الى قصر الشوك وموضعه الآن
 تجاه حمام عرفت بحمام الايدمرى ويقال لها اليوم حمام يونس عند موقف المنكارية
 بجوار خزانة البنود على يمين السالك منها الى رحبة الايدمرى وهو الآن زقاق ينتهى الى
 بر يسقى منها بالدلاء ويتوصل من هناك الى المارستان العتيق وغيره وأدركه منه قطعة
 من جانبه الايسر

* (باب الديلم) * وكان يدخل منه الى المشهد الحسيني وموضعه الآن درج ينزل منها
 الى المشهد تجاه الفندق الذى كان دار الفطرة ولم يبق لهذا الباب أثر البتة
 * (باب تربة الزعفران) * مكانه الآن بجوار خان الخليلي من بحريه مقابل فندق
 المهمندار الذى يدق فيه ورق الذهب وقد بنى بأعلاء طبقة ورواق ولا يكاد يعرفه كثير
 من الناس وعليه كتابة بالقلم الكوفي وهذا الباب كان يتوصل منه الى تربة القصر المذكورة فيما تقدم
 * (باب الزهومة) * كان في آخر ركن القصر مقابل خزانة الدرق التى هى اليوم خان
 مسرور وقيل له باب الزهومة لان الاحوم وحوائج الطعام التى كانت تدخل الى مطبخ
 القصر الذى لاحوم انما يدخل بها من هذا الباب فقيل له باب الزهومة يعنى باب الزفر
 وكان تجاهه أيضاً درب السلسلة الآتى ذكره ان شاء الله تعالى وموضعه الآن باب قاعة
 الحنايئة من المدارس الصالحية تجاه فندق مسرور الصغير ومن بعد باب الزهومة المذكور
 باب الذهب الذى تقدم ذكره فهذه أبواب القصر الكبير التهمة

* (ذكر المنحر) *

وكان بجوار هذا القصر الكبير المنحر وهو الموضع الذى اتخذته الخلفاء لتبحر الاضاحي
 (م ٣٨ - خطط ني)

في عيد النحر وعيد الغدير وكان تجاه رحة باب العيد وموضعه الآن يعرف بالدرب الاصفر
تجاه خانقاه بيبرس وصار موضعه ما في داخل هذا الدرب من الدور والطاحون وغيرها
وظاهره تجاه رأس حارة برجوان يفصل بينهما وبين حارة برجوان الحوائت التي تقابل باب الحارة
ومن جملة المنحر الساحة العظيمة التي عملت لها خوند بركة ام الساطان الملك الاشرف
شعبان بن حسين البوابة العظيمة بخط الركن المخلق بجوار قيسارية الجلود التي عمل فيها
حوائت الاساكفة وكان الخليفة اذا صلى صلاة عيد النحر وخطب نحر بالمصلى ثم يأتي
المنحر المذكور وخافه المؤذنون يجهرون بالتكبير ويرفعون أصواتهم كل نحر الخليفة شياً
وتكون الحربة في يد قاضي القضاة وهو بجانب الخليفة ليناوله اياها اذا نحر واول من سن
منهم اعطاء الضحايا وتفرقتها في اولياء الدولة على قدر رتبهم العزيز بالله نزار* (ما كان يعمل
في عيد النحر)* قال المسيحي وفي يوم عرفة يعنى من سنة ثمانين وثلاثمائة حمل يانس صاحب
الشرطة السباط وحمل أيضاً على بن سعد المحتسب سباطا آخر وركب العزيز بالله يوم النحر
فصلى وخطب على العادة ثم نحر عدة نوق بيده وانصرف الى قصره فنصب السباط والموائد
وأكل ونحريين يديه وأمر بتفرقة الضحايا على اهل الدولة رذكر مثل ذلك في باقي السنين
وقال ابن المأمون في عيد النحر من سنة خمس عشرة وخمسمائة وأمر بتفرقة عيد النحر
والهبة وجملة العين ثلاثة آلاف وثلاثمائة وسبعون ديناراً ومن السكوات مائة قطعة وسبع
قطع برسم الامراء المطوقين والاستاذين المحضكين وكاتب الدست ومتولى حجة الباب
وغيرهم من المستخدمين وعدة ما ذبح ثلاثة ايام النحر في هذا العيد وعيد الغدير ألفان
 وخمسمائة وأحد وستون رأساً تفصيله نوق مائة وسبعة عشر رأساً بقر أربعة وعشرون
رأساً جاموس عشرون رأساً هذا الذي يخرجه ويذبحه الخليفة بيده في المصلى والمنحر
وباب السباط وذبح الجزارون من الكباش ألفين وأربعمائة رأس والذي اشتملت عليه
نفقات الاسمطة في الايام المذكورة خارجاً عما يعمل بالدار المأمونية من الاسمطة وخارجاً
عن اسمطة القصور عند الحرم وخارجاً عن القصور الحلواء والقصور المنفوخ المصنوعة بدار
الفترة ألف وثلاثمائة وستة وعشرون ديناراً وربع وسدس ديناراً ومن السكر برسم القصور
والقطع المنفوخ أربعة وعشرون قطاراً تفصيله عن قصرين في اول يوم خاصة اثنا عشر
قطاراً المنفوخ عن ثلاثة الايام اثنا عشر قطاراً وقال في سنة ست عشرة وخمسمائة وحضر
وقت تفرقة كسوة عيد النحر ووصل ما تأخر فيها بالطاراز وفرقت الرسوم على من جرت عادته
خارجاً عما أمر به من تفرقة العين المختص بهذا العيد وأضحيتة وخارجاً عما يفرق على سبيل
المناء ومن باب السباط مذبحاً ومنحوراً ستمائة دينار وسبعة عشر ديناراً وفي التاسع من ذي
الحجة جالس الخليفة الأمر باحكام الله على سرير الملك وحضر الوزير واولاده وقاموا بما يجب

من السلام واستفتح المقرئون وتقدم حامل المظلة وعرض ما جرت عادته من المظال الخمسة التي جميعها مذهب وسلم الامراء على طبقاتهم وختم المقرئون وعرضت الدواب جميعها والعماريات والوحوش وعاد الخليفة الى محله فلما اسفر الصبح خرج الخليفة وسلم على من جرت عادته بالسلام عليه ولم يخرج شيء عما جرت به العادة في الركوب والعود وغير الخليفة ثيابه ولبس ما يختص بالنحر وهي البدلة الحمراء بالشدة التي تسمى بشدة الوقار والعلم الجوهر في وجهه بغير قضيب ملك في يده الى أن دخل المنحر وفرشت الملاة الديبقي الحمراء وثلاث بطائن مصبوغة حمر ليتقى بها الدم مع كون كل من الجوارين بيده مكبة صفصاف مدهونة يلقى بها الدم عن الملاة وكبير المؤذنون ونحر الخليفة أربعاً وثلاثين ناقة وقصد المسجد الذي آخر صف المنحر وهو مغلق بالشروب والفاكهة المعبأة فيه بمقدار ما غسل يديه ثم ركب من فوره وجملة ما نحره وذبحه الخليفة خاصة في المنحر وباب الساباط دون الاجل الوزير المأمون وأولاده واخوته في ثلاثة الايام ما عدته ألف وتسعمائة وستة وأربعون رأساً تفصيله نوق مائة وثلاث عشرة ناقة نحر منها في المصلى عقيب الخطبة ناقة وهي التي تهدي وتطلب من آفاق الارض للتبرك بلحمها ونحر في المناخ مائة ناقة وهي التي يحمل منها للوزير وأولاده واخوته والامراء والضيوف والاجناد والعسكرية والمميزين من الراجل وفي كل يوم يتصدق منها على الضعفاء والمساكين بناقة واحدة وفي اليوم الثالث من العيد تحمل ناقة منجورة للفقراء في القرافة ونحر في باب الساباط ما يحمل الى من حوته القصور والى دار الوزارة والى الاصحاب والخواشي اثنتا عشرة ناقة وثمانى عشرة بقرة وخمس عشرة جاموسة ومن السكباش ألف وثمانمائة رأس ويتصدق كل يوم في باب الساباط بسقط ما يذبح من التوق والبقر وأما مبلغ المنصرف على الاسمطة في ثلاثة الايام خارجاً عن الاسمطة بالدار المأمونية فألف وثلثمائة وستة وعشرون ديناراً وربع وسدس دينار ومن السكر يرسم قصور الحلاوة والقطع المنفوخ المصنوعة بدار الفطرة خارجاً عن المطابخ ثمانية وأربعون قطاراً * وقال ابن الطوير فاذا انقضى ذو القعدة وأهل ذو الحجة اهتم بالركوب في عيد النحر وهو يوم عاشره فيجرى حاله كما جرى في عيد الفطر من الزى والركوب الى المصلى ويكون لباس الخليفة فيه الاحمر الموشح ولا يخرم منه شيء وركوبه ثلاثة أيام متوالية فأولها يوم الخروج الى المصلى والخطابة كعيد الفطر وثاني يوم وثالثه الى المنحر وهو المقابل لباب الرح الذي في ركن القصر المقابل لسوردار سعيد السعداء الخانقاه اليوم وكان براحا خاليا لا عمارة فيه فيخرج من هذا الباب الخليفة بنفسه ويكون الوزير واقفا عليه فيترجل ويدخل ماشيا بين يديه بقربه هذا بعد انفصالهما من المصلى ويكون قد قيد الى هذا المنحر احد وثلاثون فصيلاً وناقة أمام مصطبة مفروشة يطلع عليها الخليفة والوزير

ثم اكابر الدولة وهو بين الاستاذين المحنكين فيقدم الفراشون له الى المصطبة رأسا ويكون بيده حربة من رأسها الذي لا سنان فيه ويدقاضي القضاة في اصل سنانها فيجعلها القاضي في نحر النخيرة ويطعن بها الخليفة وتجر من بين يديه حتي يأتي على العدة المذكورة فأول نخيرة هي التي تقدد وتسير الى داعي العين وهو الملك فيه فيفرقها على المعتقدين من وزن نصف درهم الى ربع درهم ثم يعمل ثاني يوم كذلك فيكون عسدد ما ينحر سبعة وعشرين ثم يعمل في اليوم الثالث كذلك وعدة ما ينحر ثلاث وعشرون هذا وفي مدة هذه الايام الثلاثة يسير رسم الاضحية الى ارباب الرب والرسوم كما سیرت الغرة في اول السنة من الدنانير بغير رباعية ولا قراريط على مثال الغرة من عشرة دنانير الى دينار وأما لحم الجزور فانه يفرق في ارباب الرسوم للتبرك في أطباق مع ادوان الفراشين واكثر ذلك تفرقة قاضي القضاة وداعي الدعاة للطلبة بدار العلم والمتصدين بجوامع القاهرة ونقباء المؤمنين بها من الشيعة للتبرك فاذا انقضى ذلك خلع الخليفة على الوزير ثيابه الحر التي كانت عليه ومنديلا آخر بغير السمة والعقد المنظوم من القصر عند عود الخليفة من المنحر فيركب الوزير من القصر بالخلع المذكورة شاقا القاهرة فاذا خرج من باب زويلة انعطف على يمينه سالكا على الخليج فيدخل من باب القنطرة الى دار الوزارة وبذلك انفصال عيد المنحر * وقال ابن أبي طي عدة ما يذبح في هذا العيد في ثلاثة ايام المنحر وفي يوم عيد الغدير ألفان وخمسمائة وأحد وستون رأسا تفصيله نوق مائة وسبعة عشر رأسا بقر أربعة وعشرون رأسا جاموس عشرون رأسا هذا الذي يخرج الخليفة ويذبحه بيده في المصلى والمنحر وباب السباط ويذبح الجزارون بين يديه من الكباش ألفا وأربعمائة رأس * وقال ابن عبد الظاهر كان الخليفة ينحر بالمنحر مائة رأس ويعود الى خزنة الكسوة فيغير قماشه ويتوجه الى الميدان وهو الحرنشف بباب السباط للمنحر والذبح ويعود بعد ذلك الى الحمام ويغير ثيابه للجلوس على الاسمطة وعدة ما يذبحه ألف وسبعمائة وستة وأربعون رأسا مائة وثلاث عشرة ناقة وبالي بقرة وغنم * قال ابن الطوير وثمن الضحايا على ما تقرر ما يقرب من ألفي دينار وكانت تخرج الخلفاء الى الاعمال بشائر بركوب الخليفة في يوم عيد المنحر فمما كتب به الاستاذ البارع ابو القسم علي بن منجب بن سليمان الكاتب المعروف بابن الصيرفي المنعوت بتاج الرياسة أما بعد فالحمد لله الذي رفع منار الشرع وحفظ نظامه • ونشر راية هذا الدين وأوجب اعظامه • وأطلع بخلافة أمير المؤمنين كواكب سعوده • وأظهر للمؤلف و الخائف عزه وأحزابه وقوة جنوده • وجعل قرعه ساميا تاميا وأصله نابتا راسخا • وشرفه على الاديان بأسرها وكان لعراسها فاصما ولا حكمها مانعا • بحمد أمير المؤمنين أن ألزم طاعته الخليفة • وجعل كراماته الاسباب الجديرة بالامارة الخليفة • ويرغب اليه في الصلاة على

جده محمد الذي حاز الفخار أجمعه • وضمن الجنة لمن آمن به واتبع النور الذي أنزل معه • ورفعه الى أعلى منزلة تخير له منها الحل • وأرسله بالهدى ودين الحق فزهق الباطل وخذت ناره واضمححل • صلى الله عليه وعلى أخيه وابن عمه أمير المؤمنين على بن أبي طالب خير الامة وامامها • وحبير الملة وبدر تمامها • والموفي يومه في الطاعات على مضى أمسه • ومن أقامه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المباهلة مقام نفسه • واختصه بأبعد غاية في سورة براءة فنادى في الحج بأولها ولم يكن غيره ينفذ نفاذه ولا يسد مكانه • لانه قال لا يباع عنى الرجل من أهل بيتى عملا في ذلك بما أمر الله به سبحانه • وعلى الأئمة من ذريتهما خلفاء الله في أرضه • والقائمين في سياسة خلقه • بصرىح الايمان ومحضه • والمحكمين من أمر الدين ما لا وجه لحله ولا سبيل الى تقضه • وسلم عليهم أجمعين سلاما يتصل دوامه • ولا يخشى انصرامه • ومجدوكرم • وشرف وعظم • وكتاب أمير المؤمنين هذا اليك يوم الاحد عيد التجر من سنة ست وثلاثين وخمسمائة الذى تبلغ خبره عن سيئات محصت • ونفوس من آثار الذنوب خلعت • ورحمة امتدت ظلها وانتشرت • ومغفرة هنأت ونشرت • وكان من خبر هذا اليوم أن أمير المؤمنين برز لكافة من بحضرته من اولياءه • متوجها لقضاء حق هذا العبد السعيد وأدائه • في عترة راسخة قواعدها متمكنة • وعسا كر حمة تضيق عنها ظروف الامكنة • ومواكب تتوالى كتوالى السيل • وتهاب هيبة مجيئه في الليل • بأساحة تحسرها الابصار وتبرق • وترتاع الافئدة منها وتفرق • فمن مشرف اذا وردتورد • ومن سمهرى اذا قصدتقصد • ومن عمدا اذا عمدت • تبرأت المغافر من ضمانها • ومن قسى اذا ارسلت بناتها وصلت الى القلوب بغير استئذانها • ولم يزل سائرا في هدى الامامة وأنوارها • وسكنة الخلافة ووقارها • الى أن وصل الى المصلى قدام الحراب • وأدى الصلاة اذ لم يكن بينه وبين التقبيل حجاب • ثم علا المنبر فاستوى على ذروته • ثم هلل الله وكبر وأثنى على عظمته • وأحسن الى الكافة بيلغي موعظته • وتوجه الى ما أعد من البدن فنجره تكميلا لقربه • وانتهى في ذلك الى ما أمر الله عز وجل وعاد الى قصوره المكرمة • ومنازله المقدسة • قد رضى الله عمله • وشكر فعله وتقبله • أعلمك أمير المؤمنين بذلك لتشكر الله على النعمة فيه • وتذيعه قبلك على الرسم مما تجاريه • فاعلم هذا واعمل به ان شاء الله تعالى

* (ذكر دار الوزارة الكبرى) *

وكان بجوار هذا القصر الكبير الشرقي تجاه رحة باب العيد دار الوزارة الكبرى ويقال لها الدار الافضلية والدار السلطانية * قال ابن عبد الظاهر دار الوزارة بناها بدر الجمالى أمير الحيوش ثم لم يزل يسكنها من بلى امرة الحيوش الى أن انتقل الامر عن المصريين وصار الى بني أيوب فاستقر سكن الملك الكامل بقلعة الجبل خارج القاهرة وسكنها

السلطان الملك الصالح ولده ثم أرصدت دار الوزارة لمن يرد من الملوك ورسل الخليفة الى هذا الوقت وكانت دار الوزارة قديما تعرف بدار القباب وأضافها الافضل الى دور بني هريسة وعمرها دارا وسماها دار الوزارة انتهى والذي يدل عليه كتب ابتياعات الاملاك القديمة التي بتلك الخطة أنها من بناء الافضل لا من عمارة ابيه بدر والدار التي عمرها أمير الجيوش بدر هي داره بحارة برجوان التي قيل لها دار المظفر وما زال وزراء الدولة الفاطمية أرباب السيوف من عهد الافضل بن أمير الجيوش يسكنون بدار الوزارة هذه الى أن زالت الدولة فاستقر بها السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب وابنه من بعده الملك العزيز عثمان ثم ابنه الملك المنصور ثم الملك العادل أبو بكر بن ايوب ثم ابنه الملك الكامل وصاروا يسمونها الدار السلطانية وأول من انتقل عنها من الملوك وسكن بالقلعة الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن ايوب وجعلها منزلا للرسل فلما ولي قطز ساططة ديار مصر وتلقب بالملك العادل في سنة سبع وخمسين وستمائة وحضر اليه البحرية وفيه برس البندقدارى وقلاون الالفي من الشام خرج الملك العادل قطز الى لقائهم وأنزل الامير ركن الدين بيبرس بدار الوزارة فلم يزل بها حتى سافر محبة قطز الى الشام وقتله وعاد الى مصر فتسلطن وسكن بقلعة الجبل * وفي سنة ثلاث وتسعين وستمائة لما قتل الاشرف خليل بن قلاون في واقعة بيدرا ثم قتل بيدرا وأجلس الملك الملك الناصر محمد على تخت الملك وثار الاشرفية من المماليك على الامراء وقتل من قتل منهم خاف بقية الامراء من شر المماليك الاشرفية فقبض منهم على نحو الستائة مملوك وأنزل بهم من القلعة وأسكن منهم نحو الثلثائة بدار الوزارة وأسكن منهم كثير في منظر السكبش وأجريت عليهم الرواتب ومنعوا من الركوب الى أن كان من أمرهم ما هو مذكور في موضعه من هذا الكتاب * ولما كانت سنة سبعمائة أخذ الأمير شمس الدين قراسنقر المنصوري نائب السلطنة في أيام الملك المنصور حسام الدين لاجين قطعة من دار الوزارة فبنى بها الربع المقابل خانقاه سعيد السعداء ثم بنى المدرسة المعروفة بالقراسنقرية ومكتب الايتام فلما كانت دولة البرجية بنى الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير الخانقاه اركنية والرباط بجانبها من جملة دار الوزارة وذلك في سنة سبع وستمائة ثم استولى الناس على ما بقي من دار الوزارة وبنوا فيها فن حقوقها الربع تجاه الخانقاه الصلاحية دار سعيد السعداء والمدرسة القراسنقرية وخانقاه ركن الدين بيبرس وما بجوارها من دار قزمان ودار الامير شمس الدين سنقر الاعسر الوزير المعروفة بدار خوند طولوباي الناصرية جهة الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاون وحمام الاعسر التي بجانبها والحمام المجاورة لها وما وراء هذه الاماكن من الآدر وغيرها وهي القرن والطاحون التي قبلي

المدرسة القراسنقرية ومن الآدر والخربة التي قبلي ربع قراسنقروما جاور بابسر المدرسة القراسنقرية من الآدر وخربة أخرى هناك والدار الكبرى المعروفة بدار الأمير سيف الدين برلني الصغير صهر الملك المظفر بيبرس الجاشنكير المعروفة اليوم بدار الغزاوي وفيها السرداب الذي كان رزيك بن الصالح رزيك فتحه في أيام وزاته من دار الوزارة الى سعيد السعداء وهو باق الى الآن في صدر قاعتها وذكر أن فيه حية عظيمة ومن حقوق دار الوزارة المناخ المجاور لهذه القاعة وكان على دار الوزارة سور مبني بالحجارة وقد بقي الآن منه قطعة في حد دار الوزارة الغربي وفي حدها القبلي وهو الجدار الذي فيه باب الطاحون والساقية تجاه باب سعيد السعداء من الزقاق الذي يعرف اليوم بخرائب تتر ومنه قطعة في حدها الشرقي عند باب الحمام والمستوقد بباب الجوانية وكان بدار الوزارة هذا الشباك الكبير المعمول من الحديد في القبة التي دفن تحتها بيبرس الجاشنكير من خانقاهه وهو الشباك الذي يقرأ فيه القراء وكان موضوعا في دار الخلافة ببغداد يجلس فيه الخلفاء من بني العباس فلما استولى الأمير أبو الحرث البساسيري على بغداد وخطب فيها للخليفة المستنصر بالله الفاطمي أربعين جمعة وانتهب قصر الخلافة وصار الخليفة القائم بأمر الله العباسي الى عانة وسير البساسيري الاموال والتحف من بغداد الى المستنصر بالله بمصر في سنة سبع وأربعين وأربعمئة كان من جملة ما بعث به منديل الخليفة القائم بأمر الله الذي عممه بيده في قالب من رخام قد وضع فيه كما هو حتى لا تستير شدته ومع هذا المنديل رداءه والشباك الذي كان يجلس فيه ويتكى عليه فاحتفظ بذلك الى أن عمرت دار الوزارة على يد الافضل بن أمير الجيوش فجعل هذا الشباك بها يجلس فيه الوزير ويتكى عليه وما زال بها الى أن عمر الأمير دكن الدين بيبرس الجاشنكير الخانقاه الركنية وأخذ من دار الوزارة أنقاضا منها هذا الشباك فجعله في القبة وهو شباك جميل وأما العمامة والرداء فبازالا بالقصر حتى مات العاضد وتملك السلطان صلاح الدين ديار مصر فسيرها في جملة ما بعث من مصر الى الخليفة المستنصر بالله العباسي ببغداد ومعهما الكتاب الذي كتبه الخليفة القائم على نفسه وأشهد عليه العدول فيه أنه لاحق لبني العباس ولاله من جملتهم في الخلافة مع وجود بني فاطمة الزهراء عليها السلام وكان البساسيري ألزمه حتى أشهد على نفسه بذلك وبعث بالاشهاد الى مصر فأنفذ صلاح الدين الى بغداد مع ماسير به من التحف التي كانت بالقصر وأخبرني شيخ معمّر يعرف بالشيخ على السعودى ولد في سنة سبع وسبعمئة قال رأيت مرة وقد سقط من ظهر الرباط المجاور لخانقاه بيبرس من جملة ما بقي من سور دار الوزارة جانب ظهرت منه علبسة فيها رأس انسان كبير وعندي أن هذا الرأس من جملة رؤس الامراء البرقية الذين قتلهم ضرغام في أيام وزارته للعاضد بعد شاور فانه كان عمل الحيلة عليهم بدار

الوزارة وصار يستدعي واحدا بعد واحد الى خزانة بالدار ويوهم أنه يخضع عليهم فاذا صار واحد منهم في الخزانة قتل وقطع رأسه وذلك في سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وكانت دار الوزارة في الدولة الفاطمية تشتمل على عدة قاعات ومساكن وبستان وغيره وكان فيها مائة وعشرون مقصدا للماء الذي يجري في بركها ومطابخها ونحو ذلك

(ذكر رتبة الوزارة وهيئة خلعهم ومقدار جاريهم وما يتعلق بذلك)
أما المعز لدين الله أول الخلفاء الفاطميين بديار مصر فإنه لم يوقع اسم الوزارة على أحد في أيامه وأول من قيل له الوزير في الدولة الفاطمية الوزير يعقوب بن كلس وزير العزيز بالله أبي منصور زار بن المعز واليه تنسب الحارة الوزيرية كما ستقف عليه عند ذكر الحارات من هذا الكتاب فلما مات ابن كلس لم يستوزر العزيز بالله بعده أحدا وانما كان رجل يلى الوساطة والشفاعة فاستقر في ذلك جماعة كثيرة بقية أيام العزيز وسائر أيام ابنه أبي على منصور الحاكم بأمر الله ثم ولي الوزارة أحمد بن على الجرجري في أيام الظاهر أبي هاشم على بن الحاكم وما زال الوزراء من بعده واحدا بعد واحد وهم أرباب أقلام حتى قدم أمير الجيوش بدر الجمالي * قال ابن الطوير وكان من زلي هؤلاء الوزراء أنهم يلبسون المناديل الطبقيات بالاحناك تحت حلوقهم مثل العدول الآن وينفردون بلبس ثياب قصار يقال لها الذرايع واحدها ذراعة وهي مشقوفة أمام وجهه الى قريب من رأس القواد بأزرار وعرى ومنهم من تكون أزراره من ذهب مشبك ومنهم من أزراره لؤلؤ وهذه علامة الوزارة ويحمل له الدواة المحلاة بالذهب ويقف بين يديه الحجاب وأمره نافذ في أرباب السيوف من الاجناد وأرباب الاقلام وكان آخرهم الوزير ابن المغربي الذي قدم عليه أمير الجيوش بدر الجمالي من عكا ووزر للمستنصر وزير سيف ولم يتقدمه في ذلك أحد انتهى وترتيب وزارته بأن تكون وزارته وزارة صاحب سيف بأن تكون الامور كلها مردودة اليه ومنه الى الخليفة دون سائر خدمه فمعد له هذا العقد وأنشئ له السجل ونعت بالسيد الاجل أمير الجيوش وهو النعت الذي كان لصاحب ولاية دمشق وأضيف اليه كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين وجعل القاضي والداعي نائين عنه ومقلدين من قبله وكتب له في سجله وقد قلدك أمير المؤمنين جميع جوامع تديره وناط بك النظر في كل ما وراء سريره فباشر ماقلدك أمير المؤمنين من ذلك مديرا للبلاد ومصلحا للفساد ومدمرا أهل العناد وخلع عليه بالعقد المنظوم بالجواهر مكان الطوق وزيد له الخنك مع النؤابة المرخاة والطيلسان المقورزي قاضي القضاة وذلك في سنة سبع وستين وأربعمائة فصارت الوزارة من حينئذ وزارة تفويض ويقال لتوليها أمير الجيوش وبطل اسم الوزارة فلما قام شاهنشاه بن أمير الجيوش من بعد أبيه ومات الخافية المستنصر وأجلس ابن بدر

في الخلافة احمد بن المستنصر ولقبه بالمستعلي صار يقال له الافضل ومن بعده صار من يتولى هذه الرتبة يتلقب به أيضا وأول من لقب بالملك منهم مضافا الى بقية الالقاب رضوان بن ولحيي عند ماوزر لحافظ لدين الله فقيل له السيد الاجل الملك الافضل وذلك في سنة ثلاثين وخمسة وفضل ذلك من بعده فتلقب طلائع بن رزيك بالملك المنصور وتلقب ابنه رزيك بن طلائع بالملك العادل وتلقب شاور بالملك المنصور وتلقب آخرهم صلاح الدين يوسف بن ايوب بالملك الناصر وصار وزير السيف من عهد أمير الجيوش بدر الى آخر الدولة هو سلطان مصر وصاحب الحل والعقد واليه الحكم في الكافة من الامراء والاجناد والقضاة والكتّاب وسائر الرعية وهو الذي بولي أرباب المناصب الديوانية والدينية وصار حال الخليفة معه كما هو حال ملوك مصر من الاتراك اذا كان السلطان صغيرا والقائم بأمره من الامراء وهو الذي يتولى تدبير الامور كما كان الامير يلبغا الخاصكي مع الاشرف شعبان وكما ادركننا الامير برقوق قبل سلطته مع ولدي الاشرف وكما كان الامير ايتش مع الملك الناصر فرج بعد موت الظاهر برقوق * قال ابن أبي طي وكانت خلعهم يعني الخلفاء الفاطميين على الامراء الثياب الديقي والعمائم القصب بالطراز الذهب وكان طراز الذهب والعمامة من خمسة دنانير ويخلع على اكابر الامراء الاطواق الذهب والاسورة والسيوف المحلاة وكان يخلع على الوزير عوضا عن الطوق عقد جوهر * قال ابن الطوير وخالع عليه يعني على امير الجيوش بدر الجمالي بالعقد المنظوم بالجواهر مكان الطوق وزيد له الخنك مع الذؤابة المرخة والطليسان المقور زى قاضي القضاة وهذه الخلع تشابه خلع الوزراء وأرباب الاقلام في زماننا هذا غير أنه لقصور احوال الدولة جعل عوض العقد الجوهر الذي كان للوزير ويفك بخمسة آلاف مثقل ذهباً قلادة من عنبر ممشوش يقال لها العنبرية ويتميز بها الوزير خاصة : يلبس أيضا الطليسان المقور ويسمى اليوم بالطرحة ويشاركه فيها جميع أرباب العمائم اذا خلع عليهم فانه تكون خلعهم بالطرحة وترك أيضا اليوم من خامة الوزير وغيره الذؤابة المرخة وهي العذبة وصارت الآن من زى القضاة فقط وهجرها الوزراء ويشبه والله أعلم أن يكون وضعها في الدولة الفاطمية للوزير في خلعها اشارة الى أنه كبير أرباب السيوف والاقلام فانه كان مع ذلك يتقلد بالسيف وكذلك ترك في الدولة التركية من خلع الوزارة تقاليد السيف لانه لا حكم له على أرباب السيوف ولما قام الافضل بن امير الجيوش خلع أيضا عليه بالسيف والطليسان المقور وبعد الافضل لم يخلع على احد من الوزراء كذلك الى أن قدم طلائع بن رزيك ولقب بالملك الصالح عند ما خلع عليه للوزارة وجعل في خلعته السيف والطليسان المقور * قال ابن المامون وفي يوم الجمعة ثانيه يعني ثاني ذي الحجة يعني سنة خمس عشرة وخمسة خلع على القائد ابن قاتك البطاسحي من

الملابس الخاص الشريفة في فردم مجلس السكبة وطوق بطوق ذهب مرصع
وسيف ذهب كذلك وسلم على الخليفة الامر باحكام الله وأمر الخليفة الاستاذين المحنكين
بالخروج بين يديه وأن يركب من المكان الذي كان الافضل بن أمير الجيوش يركب منه
ومشى في ركابه القواد على عادة من تقدمه وخرج بتشريف الوزارة يعنى من باب الذهب
ودخل من باب العبد راكبا وجرى الحكم فيه على ما تقدم للافضل ووصل الى داره
فضاعف الرسوم وأطلق الهبات ولما كان يوم الاثنين خامس ذى الحجة اجتمع امراء
الدولة لتقيل الارض بين يدي الخليفة الامر على العادة التي قررها مستجدة واستدعى
الشيخ أبا الحسن بن أبي أسامة فلما حضر أمر باحضار السجل الاجل الوزير المأمون من
يده قبله وسلمه لزمام النضر وأمر الخليفة الوزير المأمون بالجلوس عن يمينه وقرئ السجل
على باب المجلس وهو اول سجل قرئ في هذا المكان وكانت سجلات الوزراء قبل ذلك
تقرأ بالايوان ورسم للشيخ أبي الحسن أن ينقل النسبة الامراء والمحنكين من الامراء الى
المأموني للناس أجمع ولم يكن أحدهم ينتسب للافضل ولا لأمير الجيوش وقدمت الدواة للمأمون
فعلم في مجلس الخليفة وتقدمت الامراء والاجناد قبلوا الارض وشكروا على هذا الاحسان
وأمر الخليفة باحضار الخلع لحاجب الحجاب حسام الملك وطوق بطوق ذهب وسيف
ذهب ومنطقة ذهب ثم امر بالخلع للشيخ أبي الحسن بن أبي أسامة باستمراره على ما بيده
من كتابه الدست الشريف وشرفه بالدخول الى مجلس الخليفة ثم استدعى الشيخ أبا
البركات بن أبي الليث وخلع عليه بدلة مذهبة وكذلك ابو الرضى سالم ابن الشيخ أبي الحسن
وكذلك ابو المسكارم أخوه وأبو محمد أخوها ثم ابو الفضل بن الميمني ووجهه دائر كثيرة
بحكم أنه الذي قرأ السجل وخلع على الشيخ أبي الفضائل بن أبي الليث صاحب دفتر المجلس
ثم استدعى عدى الملك سعيد بن عماد الضيف متولى امور الضيافات والرسل الواصلين
الى الحضرة من مجلس الافضل ولا يصل لعقبته أحد لا حاجب الحجاب ولا غيره سوى
عدى الملك هذا فانه كان يقف من داخل القبة وكانت هذه الخدمة في ذلك الوقت من
أجل الخدم واكبرها ثم عادت من أهون الخدم وأقامها فعند ذلك قال القاضي ابو الفتح بن
قادوس يمدح الوزير المأمون عند منوله بين يديه وقد زيد في نعوته

قالوا أثناء التمت وهو السيد المأمون حقا والأجل الاشرف

ومغيث أمة احمد ومجربها * ما زادنا شيئا على ما نعرف

قال ولما استمر حسن نظر المأمون للدولة وجميل أفعاله بلغ الخليفة الامر باحكام
الله فشكره وأثنى عليه فقال له المأمون ثم كلام يحتاج الى خلوة فقال الخليفة تكون في هذا
الوقت وأمر بخلو المجلس فعند ذلك مثل بين يدي الخليفة وقال له يا مولانا استأنا الامر

صعب ومخالفته أصعب وما يتبع خلافه قدام امراء دولته وهو في دست خلافته ومنصب
آبائه وأجداده وما في قواى ما يرومه منى ويكفينى هذا المقدار وهميت أن أقوم به والامر
كبير فعند ذلك تغير الخليفة وأقسم أن كان لى وزير غيرك وهو في نفسي من ايام الافضل
وهو مستمر على الاستمقاء الى أن بن له التغير في وجه الخليفة وقال ما اعتقدت أنك تخرج
عن أمرى ولا تخافني فقال له المأمون عند ذلك لى شروط وأنا أذكرها فقال له مهما
شئت اشترط فقل له قد كنت بالامس مع الافضل وكان قد اجتهد في النعوت وحل المنطقة
فلم أفعل فقال الخليفة علمت ذلك في وقته قال وكان أولاده يكتبون اليه بما يعلمه مولاي
من كوفى قد خنته في المال والاهل وما كان والله العظيم ذلك منى يوما قط ثم مع ذلك
معاداة الاهل جميعا والاجناد وارباب الطيبالس والاقلام وهو يعطيني كل رقعة تصل اليه
منهم وما سمع كلام أحد منهم في فعند ذلك قال له الخليفة فاذا كان فعل الافضل معك ما ذكرت
ايش يكون فقللى انا فقال المأمون يعرفني المولى ما يأمر به فأمثله بشرط أن لا يكون عليه
زائد فأول ما ابتدأ به أن قال أريد الاموال لا تجبى الا بالقصر ولا تصل السكسوات من
الطراز والثغور الا اليه ولا تفرق الا منه وتكون أسمطة الاعياد فيه ويوسع في رواتب
القصور من كل صنف وزيادة رسم منديل السكم فعند ذلك قال له المأمون سمعا وطاعة
أما السكسوات والجباية من الاسمطة فما تكون الا بالقصور وأما توسعة الرواتب فما ثم من
يخالف الامر وأما زيادة رسم منديل السكم فقد كان الرسم في كل يوم ثلاثين دينارا
يكون في كل يوم مائة دينار ومولانا سلام الله عليه يشاهد ما يعمل بعد ذلك في الركوبات
وأسمطة الاعياد وغيرها في سائر الايام ففرح الخليفة وعظمت مسرته ثم قال المأمون أريد
بهذا مسطورا بخط امير المؤمنين ويقسم لى فيه بأبائه الطاهرين أن لا يافت لحاسد ولا
مبغض ومهما ذكر في يطاعني عليه ولا يأمر في بأمر سراولا جهرا يكون فيه ذهاب نفسي
وانحطاط قدرى وهذه الايمان باقية الى وقت وفاتي فاذا توفيت تكون لاولادى ولن أخلفه
بعدي فحضرت الدواة وكتب ذلك جميعه وأشهد الله تعالى في آخرها على نفسه فعندما حصل
الخط بيد المأمون وقف وقبل الارض وجعله على رأسه وكان الخط بالايمان نسختين
احدهما في قصبة فضة قال فامض قبض على المأمون في شهر رمضان سنة تسع وعشرين
وخمسمائة أنفذ الخليفة الأمر باحكام الله يطلب الايمان فنفذ له التي في القصبة الفضة فخر قهالوقها
وبقيت النسخة الاخرى عندى فعصمت في الحركات التي حرت * وقال ابن ميسر في
حوادث سنة خمس عشرة وخمسمائة وفيها تشرف القائد ابو عبد الله محمد ابن الامير نور
الدولة أبي شجاع فانك ابن الامير منجد الدولة أبي الحسن محتار المستنصرى المعروف
بأبن البطائحي في الخامس من ذى الحجة وكان قبل ذلك عند الافضل استاداره وهو الذى

قدمه الى هذه المرتبة واستقرت نعوته في سجله المقرر على كافة الامراء والاجناد بالاجل
 المأمون تاج الخلافة وحيه الملك نخر الصنائع ذخر امير المؤمنين ثم تجدد له من النعوت بعد
 ذلك الاجل المأمون تاج الخلافة عز الاسلام نخر الامام نظام الدين والدنيا ثم امت بما كان يعتد
 به الافضل وهو السيد الاجل المأمون امير الجيوش سيف الاسلام ناصر الانام كافل قضاء المسامين
 وهادى دعاة المؤمنين ولما كان يوم الثلاثاء التاسع من ذى الحجة وهو يوم الهناء بعيد
 التحرر جلس المأمون في داره عند اذان الصبح وجاء الناس لخدمته لاهناء على طبقاتهم من
 ارباب السيوف والاقلام ثم الامراء والاستاذون المحنكون والشعراء بعدهم فركب الى
 القصر وأتى باب الذهب فوجد المرتبة المختصة بالوزارة قد هيئت له في موضعها الجارى
 به العادة وأغلق الباب الذى عندها على الرسم المعتاد لوزراء السيوف والاقلام وهذا الباب
 يعرف بباب السرداب فعند ما شاهد الحال في المرتبة توقف عن الجلوس عليها لانها حالة
 لم يجز معه حديث فيها ثم أجلسه الضرورة لاجل حضور الامراء الى الجلوس فجلس عليها
 وجلس اولاده الثلاثة عن يمينه وأخوه عن يساره والامراء المطوقون خاصة دون غيرهم
 قيام بين يديه فانه لا يصل أحد الى هذا المكان سواهم فلم يكن بأسرع من أن فتح الباب
 وخرج عدة من الاستاذين المحنكين بسلام امير المؤمنين وخرج اليه الامير الثقة متولى الرسالة
 وزمام القصور فعند حضوره وقف له اولاد المأمون وأخوه فطاع عند خروجه قبلة
 المرتبة وقال امير المؤمنين يرد على السيد الاجل المأمون السلام فوقف عند ذلك المأمون
 وقبل الارض وعاد فجلس مكانه وتأخر الامير الى أن نزل من المنصبة وقبل الارض وقبل
 يد المأمون ودخل من فوره من الباب وأغلق الباب على حاله على ما كان عليه الافضل وكان الافضل
 يقول ما ازال أعد نفسي سلطانا حتى أجلس على تلك المرتبة والباب يغلق في وجهي والدخان
 في انفي فان الحمام كانت من خلف الباب في السرداب ثم فتح الباب وعاد الثقة وأشار
 بالدخول الى القصر فدخل الى المسكن الذى هيئ له وعاد لمجلس الوزارة وبقي الامراء
 بالدهاليز الى أن جلس الخليفة وافتتح القراء واستدعى المأمون فحضر بين يديه وسلم عليه
 اولاده واخوته وأحل الامراء على قدر طبقاتهم أولهم ارباب الاطواق ويلهم ارباب
 العماريات والاقصاب ثم الضيوف والاشراف ثم دخل ديوان المكاتبات وسلم بهم الشيخ
 ابو الحسن بن أبى اسامة ثم ديوان الانشاء وسلم بهم الشريف ابن انس الدولة ثم بقية
 الطالبيين من الاشراف ثم سلم القاضي ابن الرسعنى بشهوده والداعى ابن عبدالحق للمؤمنين
 ثم سلم القائد مقبل مقدم الركاب الامرى بجميع المقدمين الآمرية ثم سلم بعدهم الشيخ
 ابو البركات بن أبى الايث متولى ديوان المملكة ثم دخل الاجناد من باب البحر وسلم كل
 طائفة بمقدمها فلما انقضى ذلك دخل والى القاهرة ووالى مصر وسلم كل منهما بياض

اهل البلدین ثم دخل البطرک بالنصارى وفيهم كتاب الدولة من النصارى ورئيس اليهود ومعه السكتاب من اليهود ثم سلم المقربون وقد قارب القصر ودخل الشعراء على طبقاتهم وأشد كل منهم ما سمحت به قريحته قال فكان هذا رتبة الوزير المأمون قال ابن المأمون وأما ما قرر للوزارة عينا في الشهر بغير ايجاب بل يقبض من بيت المال فهو ثلاثة آلاف دينار تقيصلها ما هو على حكم النيابة في العلامة ألف دينار وما هو على حكم الراتب ألف وخمسمائة دينار وما هو عن مائة غلام برسم مجلسه وخدمته لكل غلام خمسة دنانير في الشهر فاما الغلمان الركابية وغيرهم من الفراشين والطباخين فعلى حكم ما يرغب في انباته وفي السنة من الاقطاعات خمسون ألف دينار منها دهشور وجزيرة الذهب وبقية الجملة صفقات ومن البساتين ثلاثة بستان الامير تميم وبستانان بكم أشفين ومن القوات يعنى القمع ومن القضم يعنى الشعر والبرسم في السنة عشرون ألف أردب قمحا وشعيرا ومن الغنم برسم مطابخه ساقه من المراحات ثمانية آلاف رأس وأما الحيوان والاحطاب وجميع التوابل العمال منها والدون فهما استدعا متولى المطابخ يطاق من دار أفكيكين وشون الاحطاب وغير ذلك وقد تقدم مقرر كسوة الوزارة في العيدين وفصل الشتاء والصيف وموسم عيد الغدير وفتح الخليج وغير ذلك من غرتي شهر رمضان وأول العام وغيره كما سيرد في موضعه من هذا السكتاب ان شاء الله تعالى وقد استقصيت سير الوزراء في كتابي الذي سميته تلخيص العقول والآراء في تقييح أخبار الجلة الوزراء فانظره

(*) ذكر الحجر التي كانت برسم الصليان الحجرية *)

وكان بجوار دار الوزارة مكان كبير يعرف بالحجر جمع حجرة فيها الغلمان المختصون بخلفاء كما أدركنا بالقمعة البيوت التي كان يقال لها الطبايق وكانت هذه الحجر من جانب حارة الجوانية والى حيث المسجد لذى يعرف بمسجد القاصد تجا باب الجامع الحاكمي الذي يقضى الى باب النصر فمن حقوق هذه الحجر دار الامير بهادر اليوسفي السلاحدار الناصرى التي تجاور المسجد السكائن على يمنة من سلك من باب الجوانية طلبة باب النصر ومنها الحوض الجاور لهذه الدار ودار الامير أحمد قريب الملك الناصر محمد بن قلاوون والمسجد المعروف بالتمخلة وما بجواره من القاعتين اللتين تعرف احداها بقاعة الامير علم الدين سنجر الجاولى وما في جانبها الى مسجد القاصد وما وراء هذه الدور وكان هؤلاء الحجرية اصطبل برسم دوابهم سيأتي ذكره ان شاء الله تعالى وما زالت هذه الحجر باقية بعد انقضاء دولة الخلفاء الفاطميين الى ما بعد السبعمائة فهدمت وابتقى الناس مكانها الا ما كن المذكورة * قال ابن أبي طي عن المعز لدين الله وجعل كل ماهر في صنعة صانعا للاخص وأفرد لهم مكانا برسمهم وكذلك فعل بالسكتاب والافاضل وشرط على ولاة الاعمال عرض

أولاد الناس بأعمالهم فمن كان ذا شهامة وحسن خلقة أرسله ليخدم في الركاب فيسروا اليه عالماً من أولاد الناس فأفرد لهم دوراً وسماها الحجر * وقال ابن الطوير وكوتب الأفضل ابن أمير الجيوش من عسقلان باجتماع الفرنج فاهتم للتوجه اليها فلم يبق تمكنا من مل وسلاح وخيل ورجل واستتاب أخاه المظفر أبو محمد جعفر بن أمير الجيوش بدر بين يدي الخليفة مكانه وقصد استنقاذ الساحل من يد الفرنج فوصل الى عسقلان وزحف عليها بذلك العسكر فخذل من جهة عسكره وهي نوبة النصبة وعلم أن السبب في ذلك من جنده ولما غلب حرق جميع ما كان معه من الآلات وكان عند الفرنج شاعر منتجع اليهم فقال يخاطب صنجل ملك الفرنج

نصرت بسيفك دين المسيح * قلله درك من صنجل

وما سمع الناس فيما روه * بأقبح من كسرة الأفضل

فتوصل الأفضل الى ذبح هذا الشاعر ولم ينتفع بعد هذه النوبة أحد من الاجناد بالأفضل وحظر عليهم النعوت ولم يسمع لاحد منهم كلمة وأنشأ سبع حجر واختار من أولاد الاجناد ثلاثة آلاف راجل وقسمهم في الحجر وجعل لكل مائة زماماً ونقيباً وزم الشكل بأمر يقال له الموفق وأطاق لكل منهم ما يحتاج اليه من خيل وسلاح وغيره وعنى بهؤلاء الاجناد فكان اذا دهمه أمر مهم جهزهم اليه مع الزمام الأكبر * وقال ابن المأمون وكان من جملة الحجريه الذين يحضرون السباط رجل يعرف بابن زحل وكان يأكل خروفاً كبيراً مشوياً ويستوفيه الى آخره ثم يقدم له صحن كبير من القصور المعمولة بالسكر وجميع صنوف الحيوانات على اختلاف أجناسها ما لم يعمل قط مثله من الاطعمة فيأكل معظمه وكان يقعد في طرف المدورة حتى يكون بالقرب من نظر الخليفة لا لميزته وكان من الاجناد وأسر في أيام الأفضل وقيدته الفرنجي الذي أسره وعذبه وطالت مدته في الاسر وكان فقيراً فاتفق ان ذكر للفرنجي كثرة اكله فأراد أن يمتحنه فقال له احضر لي عجلاً أكبر عجل عندكم آكله الى آخره فضحك منه الفرنجي ونقص عقله وأناه بعجل كبير وبنال بخنزير فقال له اذبحه واشوه واثنى معه بحجرة خل ثم قال اذا اكلته ما يكون لي عندك فغلط الفرنجي وقال له أطلقك تمضي الى أهلك فاستحلفه على ذلك وغلط عليه اليمين وأحضر الفرنجي عدة من أصحابه ليشاهدوا فعله فلما استوفى العجل جميعه صلب كل من الحاضرين على وجهه وتمجب من فعله وأطلقه فقال أخاف من أن يعتقد اني هربت فأرد اليكم فأحضر الفرنجي من العربان من سلمه اليهم ولم يشعر به الا بباب عسقلان فطاع منها وأعفى بعد ذلك من السفر وبقي يرسم الاسمطة * وقال ابن عبد الظاهر الحجر قريب من باب النصر وهو مكان كبير في صف دار الوزارة الى جانبه باب القوس الذي يسمى باب

النصر قديماً على يمتة الخارج من القاهرة كان تربى فيه جماعة من الشباب يسمون صبيان الحجر يكونون في جهات متعددة وهم يناهزون خمسة آلاف نسمة ولكل حجرة اسم تعرف به وهى المنصورة والفتح والجديدة وغير ذلك مفردة لهم وعندهم سلاحهم فاذا جردوا خرج كل منهم لوقته لا يكون له ما يمنعه وكانوا في ذلك على مثال الذؤابة والاستار وكانوا اذا سمى الرجل منهم بعقل وشجاعة خرج من هناك الى الامرة أو التقدمة مثل على بن السلال وغيره ولا يأوى أحد منهم الا بحجرته بفرسه وعدته وقاشه وللاصبيان الحجرية حجرة مفردة عليهم أستاذون يبيتون عندهم وخدام يرسمهم

(ذكر المناخ السعيد)

وكان من وراء القصر الكبير فيما يلى ظهر دار الوزارة الكبرى والحجر المناخ وهو موضع برسم طواحين القمح التى تطحن جريات القصور وبرسم مخازن الاخشاب والحديد ونحو ذلك * قال ابن الطوير وأما المناخات ففيها من الحواصل ما لا يحصره الا القلم من الاخشاب والحديد والطواحين النجدية والفشيحة وآلات الاساطيل من الاساحة المعمولة بيد الفرنج القاطنين فيه والقنب والسكران والمتجنيقات المعدة والطواحين الدائرة برسم الجريات المقدم ذكرها والزفت في المخازن الذى عليه الاتربة ولا يقطع الا بالمعاول وقد أدركت هذه الدولة يعنى دولة بنى أبوب منه شيئاً كثيراً في هذا المكان التمتع به واليه يأوى الفرنج في بيوت يرسمهم وكانت عدتهم كثيرة ففية من التجارين والجزارين والدهانين والحجازين والحيساطين والفعلة ومن المعجانيين والطحانيين في تلك الطواحين والفرانين في أفران الجريات وفي هذا المكان مادة أكثر أهل الدولة وحاميه أمير من الأمراء ومشاركة من العدول وفيه أيضاً شاهد النفقات وعامل يتولى التنفيذ مع المشارف وعامل برسم نظم الحساب من تعلقاتهم بجار غير جوارهم لان أوقاتهم مستغرقة في مباشرة الاطلاقات وغيرها وذكر ابن الطوير أن المأمون بن البطاحي استجد طواحين برسم الرواتب

(ذكر اصطبل الطارمة)

الطارمة بيت من خشب وهو دخیل وكان بجوار القصر الكبير تجاه باب الدلم من شرقي الجامع الازهر اصطبل * قال ابن الطوير وكان لهم اصطبلان أحدهما يعرف بالطارمة يقابل قصر الشوك والآخر بحارة زويلة يعرف بالجيزة وكان للخليفة الحاضر ما يقرب من ألف رأس في كل اصطبل النصف من ذلك منها ما هو برسم الخالص ومنها ما يخرج برسم العواري لارباب الرتب والمستخدمين دائماً ومنها ما يخرج أيام المواسم وهي التغيرات المتقدم ذكر ارسالها لارباب الرتب والخدم والمرتب لكل اصطبل منها لثلاثة رؤوس سائس واحد ملازم ولكل واحد منها شداد برسم تسييرها وفي كل اصطبل بئر بساقية

تدور الى أحواض ومخازن فيها الشعير والاقراط اليابسة المحمولة من البلاد اليها ولكل عشرين رجلا من السواس عريف ياتزم دركهم بالضم لانهم الذين يتسلمون من خزائن السروج المركبات بالحلى ويعيدونها اليها كما تقدم ذكره في خزائن السروج ولكل من الاصطليين رائض كامير اخور ولهما ميرة وجامكية متسعة وللعرفاء على السواس ميرة وللاجتماعات الجرايات من القمح والخبز خارجا عن الجامكيات فاذا بقي الايام المواسم التي يركب فيها الخليفة بالمظلة مدة أسبوع أخرج الى كل رائض في الاصطبل مع استاذ مظلة ديبقى مركبة على قنطارية مدهونة ويختص الرائض على ما يركبه الخليفة اما فرسين أو ثلاثة وعامهما المركبات الحلى التي يركبها الخليفة فيركبها الرائض بحائل بينه وبين السرج ويركب الاستاذ بغلة مظلة ويحمل تلك المظلة ويسير في راح الاصطبل وفيه سعة عظيمة مارا وعائدا وحوطها البوق والطبل فيكرر ذلك عدة دفعات في كل يوم مدة ذلك الاسبوع ليستقر ما يركبه الخليفة من الدواب على ذلك ولا ينفر منه في حال الركوب عليه فيعمل كذلك في كل اصطبل من الاصطليين والدواب والبغلة التي تنهى هي التي يركبها الخليفة وصاحب المظلة يوم الموسم ولا يختل ذلك ويقال انه ما رأت دابة ولا بات والخليفة راكبا ولا بغلة صاحب المظلة ايضا الى حين نزولهما عنهما وكان في الساحل بطريق مصر من القاهرة في البساتين المنسوبة الى ملك صارم الدين حلباشوتان مملوءتان لبنا معيتان كتعبيته في المراكب كالجليين الشاهقين ولهما مستخدمون حام ومشارف وعامل محامكية جيدة تصل بذلك المراكب التبانة الموهولة له من موظف الاتبان بالبلاد الساحية وغيرها مما يدخل اليه في ايام النيل ولها رؤساء وأمرها جار في دوان العماثر والصناعة والانفاق منها بالتوقيعات السلطانية للاصطبلات المذكورة وغيرها من الاوامر الديوانية وعوامل بساتين الملك واذا جرى بين المستخدمين خالف في الشنف التبن المعتبر عادوا الى قبضه بالوزن فيكون الشنف التبن ثلثمائة وستين رطلا بالمصرى نقيما واذا انفقوا دريسا قد تغيرت صورة قته كان عن القته اثنا عشر رطلا ولم يزل ذلك كذلك الى آخر وقته ومما يخبر عنهم أنهم لم يركبوا احصانا ادهم قط ولا يرون اضافته الى دوابهم بالاصطبلات وقال ابن عبد الظاهر اصطبل الطارمة كان اصطبلا للخليفة فلما زالت تلك الايام اختط وبني آدرا

(*) ذكر دار الضرب وما يتعلق بها *

وكان بجوار خزانة الدرق التي هي اليوم خان مسرور الكبير دار الضرب وموضعها حيثئذ كان بالقشاشين التي تعرف اليوم بالخراطين وصار مكان دار الضرب اليوم درب يعرف بدرب الشمسى في وسط سوق السقطيين المهامزين وباب هذا الدرب تجاه قيسارية العصفر فاذا دخلت هذا الدرب فما كان على يسارك من الدور فهو موضع دار الضرب

وبجوارها دار الوكالة الحافظية فجعلت الحوانيت التي على يمينه من سلك من رأس الخراطين تجاه سوق العنبر طالبا الجامع الأزهر في ظهر دار الضرب وانشأ هذه الحوانيت وما كان يعملها من البيوت الأمير المعظم خزنات الحافظي وجعلها وقفا وقال في كتاب وقفها وحد هذه الحوانيت الغربي ينتهي الى دار الضرب وإلى دار الوكالة وقد صارت هذه الحوانيت الآن من جهة أوقاف المدرسة الجمالية مما اغتصب من الأوقاف وما زالت دار الضرب هذه في الدولة الفاطمية باقية الى أن استبد السلطان صلاح الدين فصارت دار الضرب حيث هي اليوم كما تقدم ذكره وكان لدار الضرب المذكورة في أيامهم أعمال ويعمل بها دنائير الغرة ودنائير خميس العدى ويتولاهما قاضي القضاة لجلالة قدرها عندهم * قال ابن المأمون وفي شوال منها وهي سنة ست عشرة وخمسمائة أمر الاجل ببناء دار الضرب بالقاهرة المحروسة لكونها مقر الخلافة وموطن الامامة فبنيت بالقشاشين قبالة المارستان وسميت بالدار الآمرية واستخدم لها العدول وصار دينارها أعلى عيارا من جميع ما يضرب بجميع الامصار انتهى وكانت دار الضرب المذكورة تجاه المارستان فكان المارستان بجوار خزانة الدرق فما عن يمينك الآن اذا سلكت من رأس الخراطين فهو موضع دار الضرب ودار الوكالة هكذا الى الحمام التي بالخراطين وما وراءها وما عن يسارك فهو موضع المارستان * قال ابن عبد الظاهر في أيام المأمون بن البطاحي وزير الأمر بأحكام الله بنيت دار الضرب في القشاشين قبالة المارستان الذي هناك وسميت بالدار الآمرية

* (دار العلم الجديدة) * وكان بجوار القصر الكبير الشرقي دار في ظهر خزانة الدرق من باب تربة الزعفران لمسا أغلق الافضل بن أمير الحيوش دار العلم التي كان الحاكم بأمر الله فتحها في باب التبانين اقتضى الحال بعد قتله إعادة دار العلم فامتنع الوزير المأمون من أعادتها في موضعها فأشار الثقة زمام القصور بهذا الموضع فعمل دار العلم في شهر ربيع الاول سنة سبع عشرة وخمسمائة وولاهها لابي محمد حسن بن آدم واستخدم فيها مقرئين ولم تزل دار العلم عامرة حتى زالت الدولة الفاطمية * قال ابن عبد الظاهر رأيت في بعض كتب الاملاك القديمة ما يدل على انها قرية من القصر النافعي وكذا ذكر لي السيد الشريف الحلي انها دار ابن أزدمر المجاورة لدار سكنى الآن خائف فندق مسرور الكبير وكذلك قال لي والذي رحمه الله وقد بناها جمال الدين الاستادار الحلي دار عظيمة غرمها مائة ألف وأكثر من ذلك على ما ذكره انتهى وموضع دار العلم هذه دار كبيرة ذات زلافة بجوار درب ابن عبد الظاهر قريبا من خان الخليلي بخط الزراكية العتيق

* (موسم اول العام) * قال ابن المأمون وأسفرت غرة سنة سبع عشرة وخمسمائة وبادر المستخدمون في الخرائن وصناديق الانفاق بحمل ما يحضر بين يدي الخليفة من عين

وورق من ضرب السنة المستجدة ورسم جميع من يختص به من اخوته وجهاته وقرابته وأرباب الصنائع والمستخدمات وجميع الاستاذين العوالى والادوان وثنوا بحمل ما يختص بالاجل المأمون وأولاده واخوته واستأذنوا على تفرقة ما يختص بالاجل المأمون وأولاده والاصحاب والخواشي والامراء والضيوف والاحفاد فأمروا بتفرقة والذي اشتمل عليه المبلغ في هذه السنة انظير ما كان قبلها وجلس المأمون باكرا على السباط بداره وفترت الرسوم على أرباب الخدم والمميزين من جميع اصنافه على ما تضمنته الاوراق وحضرت التعاشير والتشريفات وزى الموكب الى الدار المأمونية وتسلم كل من المستخدمين المدارج بأسماء من شرف بالحجة ومصافات العساكر وترتيب الاسمطة وأصمد كل منهم الى شغله وتوجه لخدمته ثم ركب الخليفة واستدعى الوزير المأمون ثم خرج من باب الذهب وقصد نشرت مظلمته وخدمت الرهجة ورتب الموكب والجنايب ومصافات العساكر عن يمينه وشماله وجميع تجار البلدين من الجوهريين والصارف والصاغة والبرازين وغيرهم قدزينوا الطريق بما تقتضيه تجارة كل منهم ومعاشه لطلب البركة بنظر الخليفة وخرج من باب الفتوح والعساكر فارسها وراجلها تجملها وزينها وأبواب حارات العيد معلقة بالسستور ودخل من باب النصر والصدقات تم المساكين والرسوم تفرق على المستقرين الى أن دخل من باب الذهب فاقية المقرئون بالقرآن الكريم في طول الدهاليز الى أن دخل خزانة الكسوة الخاص وغير ثياب الموكب بغيرها وتوجه الى تربة آبائه للترحم على عادته وبعد ذلك الى ما رآه من قصوره على سبيل الراحة وعيت الاسمطة وجرى الحال فيها وفي جلوس الخليفة ومن جرت عادته وتهيئة قصور الخلافة وتفرقة الرسوم على ما هو مستقر وتوجه الاجل المأمون الى داره فوجد الحال في الاسمطة على ما جرت به العادة والتوسعة فيها اكثر مما تقدمها وكذلك الهناء في صبيحة الموسم بالدار المأمونية والقصور وحضر من جرت العادة بحضوره للهناء وبعدهم الشعراء على طبقاتهم وعادت الامور في ايام السلام والركوبات وترتيبها على المعبود وأحضر كل من المستخدمين في الدواوين ما يتماق بديوانه من التذاكر والمطالعات مما تحتاج اليه الدولة في طول السنة وينعم به ويتصدق ويحمل الى الحرمين الشريفين من كل صنف على ما فصل في التذاكر على يد المنسويين ويحمل الى الثغور ويخزن من سائر الاصناف ما يستعمل ويباع في الثغور والبلاد والاستيلاء وجريدة الابواب وتذكرة الطراز والتوقيع عليها * وقال ابن الطوير فاذا كان العشر الاخير من ذي الحجة في كل سنة انتصب كل من المستخدمين بالاماكن لاجرا لآلات الموكب من الاسلحة وغيرها فيخرج من خزان الاسلحة ما يحمله صبيان الركاب حول الخليفة من الاسلحة وهو الصمام المصقولة المذهبة مكان السيوف المحدبة والدبابيس الكيمخت الاحمر والاسود ورؤسها مسدورة

مضرسة والتتوت كذلك ورؤسها مستطيلة مضرسة أيضا وآلات يقال لها المستوفيات وهي عمد حديد من طول ذراعين مربعة الاشكال بمقابض مدورة في ايديهم بمدة معلومة من كل صنف فيتسلها نقباؤهم وهي في ضمانهم وعليهم اعدادها الى الخزائن بعد تقضى الخدمة بها ويخرج للطائفة من العبيد الاقوياء السودان الشباب ويقال لهم ارباب السلاح الصفر وهم ثلثمائة عبد لكل واحد حربتان بأسنة مصقولة تحتها جلب فضة كل اثنتين في شرابة وثلاثمائة درقة بكواخ فضة يتسلم ذلك عرفاؤهم على ما تقدم فيسلمونه للعبيد لكل واحد حربتان ودوقة ثم يخرج من خزانة التجميل وهي من حقوق خزائن السلاح القصب الفضة برسم تشريف الوزير والامراء ارباب الرتب وأزمة العساكر والطوائف من الفارس والراجل وهي رماح ملبسة بالنايب الفضة المنقوشة بالذهب الا ذراعين منها فيشد في ذلك الخلى من الاناييب عدة من المعاجر الشرب الملونة ويترك أطرافها المرقومة مسبلة كالصناجق وبرؤسها رماحين منقوشة فضة مذهبة واهلة مخوفة كذلك وفيها جلاجل لها حرس اذا تحركت وتكون عدتها ما يقرب من مائة ومن العماريات وهي شبه الكخاوات من الديباج الاحمر وهو اجلها والاصفر والقرقوبى والسقلاطون مبطنة مضبوطة بزنانير حرير وعلى دائر التريبع منها مناطق بكواخ فضة مسمورة في جلد نظير عدد القصب فيسير من القصب عشرة ومن العماريات مثلها من الحمر خاصة ويخرج للوزير خاصة لوا آت على رحلين طويلين ملبسين بمثل تلك الاناييب ونفس الالهة ملفوف غير منشور وهذا التشريف يسير أمام الوزير وهو للامراء من ورائهم ثم يسير للامراء ارباب الرتب في الخدم وأولهم صاحب الباب وهو أجملهم خمس قصبات وخمس عماريات ويرسل لاسفهلار العساكر أربع قصبات وأربع عماريات من عدة ألوان ومن سواهما من الامراء على قدر طبقاتهم ثلاث ثلاث واثنتان اثنتان وواحدة واحدة ثم يخرج من البنود الخاص الديقى المرقوم الملون عشرة رماح ملبسة بالنايب وعلى رؤسها الرماحين والاهلة للوزير خاصة ودون هذه البنود ثمانية من الحرير على رماح غير ملبسة ورؤسها ورماحينها من نحاس مخوف مطلى بالذهب فتكون هذه أمام الامراء المذكورين من تسعة الى سبعة اذرع برأسها طاعة مصقولة وهي من خشب القنطاريات داخلية في الطاعة وعقبها حديد مدور أسفل فهي في كف حاملها الايمن وهو يفتها فيه فلا متدارك الدوران وفي يده اليسرى نشابة كبيرة يحظر بها وعدتها ستون مع ستين رجلا يسرون رجالة في الموكب يسرون يمنة ويسرة ثم يخرج من النقارات حمل عشرين بغلا على كل بغل ثلاث مثل نقارات الكوسات بغير كوسات يقال لها طبول فيتسلها صنعاها ويسرون في الموكب اثنين اثنين ولها حرس مستحسن وكان لها ميزة عندهم في التشريف ثم يخرج لقوم متطوعين بغير جاز ولا جارية تقرب عدتهم من مائة رجل لكل واحد

درقة من درق اللمط وهى واسعة وسيف ويسرون أيضا رجالة في الموكب هذا وظيفة خزائن السلاح ثم يحضر حامى خزائن السروج وهو من الاستاذين المحنكين اليها مع مشارفها وهو من الشهود المعدلين فيخرج منها برسم خاص الخليفة من المركبات الحلي ما هو برسم ركوبه وما يجنب في موكبه مائة سرج منها سبعون على سبعين حصانا ومنها ثلاثون على ثلاثين بغلة كل مركب مصوغ من ذهب أو من ذهب وفضة أو من ذهب منزل فيه المينا أو من فضة منزلة بالمينا وروادفها وقرائيسها من نسبها ومنها ما هو مرصع بالجواهر الفاتحة وفي اعناقها الاطواق الذهب وقلائد العنبر وربما يكون في أيدي وأرجل أكثرها خلاخل مسطوحة دائرة عليها ومكان الجلد من السروج الديباج الاحمر والاصفر وغيرهما من الالوان والسقلاطون المنقوش بألوان الحرير قيمة كل دابة وما عليها من العدة ألف دينار فيشرف الوزير من هذه بعشرة حصن لركوبه وأولاده واخوته ومن يعز عليه من أقاربه ويسلم ذلك لعرفاء الاصطبلات بالعرض عليهم من الجرائد التي هى ثابتة فيها بعلامتها في اماكنها وأعدادها وعدد كل مركب منقوش عليه مثل اول وثان وثالث الى آخرها كاهو مسطور في الجرائد فيعرف بذلك قطعة قطعة ويسلمها العرفاء للشدادين بضمن عرفاتهم الى أن تعود وعليهم غرامة ما نقص منها واعادتها برمتها ثم يخرج من الخزائن المذكورة لارباب الدواوين المرتبين في الخدم على مقاديرهم مركبات أيضا من الحلي دون ما تقدم ذكره ما تقرب عدته من ثلثمائة مركب على خيل وبغلات وبغل يتسلمها العرفاء المتقدم ذكرهم على الوجه المذكور ويتنذب حاجب يحضر على التفرقة لفلان وفلان من أرباب الخدم سيفاقولما فيعرف كل شداد صاحبه فيحضر اليه بالقاهرة ومصر سحر يوم الركوب ولهم من الركاب رسوم من دينار الى نصف دينار الى ثلث دينار فاذا تكمل هذا الامر وسلم أيضا الجمالون المناخت أغشية العماريات ويكون اراحة في ذلك كله الى آخر الثامن والعشرين من ذى الحجة وأصبح اليوم التاسع والعشرون من سابعه علي رأي القوم عزم الخليفة على الجلوس في الشباك لعرض دوابه الخالص المقدم ذكرها ويقال له يوم عرض الخيل فيستدعى الوزير بصاحب الرسالة وهو من كبار الاستاذين المحنكين وفصحاءهم وعقلائهم ومحصلهم فيمضى الى استدعائه في هيئة المسرعين على حصان دهراج امتثالاً لامر الخليفة بالاسراع على خلاف حركته المعتادة فاذا عاد مثل بين يدي الخليفة وأعلمه باستدعائه الوزير فيخرج راكبا من مكانه في القصر ولا يركب أحد في القصر الا الخليفة وينزل في السد لابدهايز باب الملك الذي فيه الشباك وعليه من ظاهره للناس ستر فيقف من جانبه اليمين زمام القصر ومن جانبه اليسر صاحب بيت المال وهما من الاستاذين المحنكين فيركب الوزير من داره وبين يديه الامراء فاذا وصل الى باب القصر ترجل الامراء وهو راكب ويكون

دخوله في هذا اليوم من باب العيسد ولا يزال راكبا الى اول باب من الدهاليز الطوال
 فينزل هناك ويمشي فيها وحواليه حاشيته وغلمانه وأصحابه ومن يراه من أولاده وأقاربه
 ويصل الى الشباك فيجد تحته كرسيًا كبيرًا من كراسي البلق الحديد فيجلس عليه ورجلاه
 تطأ الأرض فاذا استوى جالسًا رفع كل استاذ الستر من جانبه فيرى الخليفة جالسًا في المرتبة
 الهائلة فيقف ويسلم ويخدم بيده الى الأرض ثلاث مرات ثم يؤمر بالجلوس على كرسيه
 فيجلس ويستفتح القراء بالقراءة قبل كل شيء بآيات لائقة بذلك الحال مقدار نصف ساعة
 ثم يسلم الامراء ويسرع في عرض الحيل والبغال الخاص بالمقدم ذكرها دابة دابة وهي هادئة
 كأنها راس يابدي شدايدها الى أن يكمل عرضها فيقرأ القراء تحم ذلك الجلوس ويرخي الاستاذان
 الستر فيقيم الوزير ويدخل اليه ويقبل يديه ورجليه وينصرف عنه الى داره فيركب من
 مكان نزوله والامراء بين يديه لوداعه الى داره ركبانا ومشاة الى قريب المسكن فاذا صلى
 الخليفة الظهر بعد انقضاء ما تقدم جلس لعرض ما يابسه في عيد تلك الليلة وهو يوم
 افتتاح العام بخزائن السكوات الخاص ويكون لباسه فيه البياض غير الموشح فيعين على
 منديل خاص وبدلة فأما المنديل فيسلم لشاد التاج الشريف ويقال له شدة الوقار وهو من
 الاستاذين المحسنيين وله ميزة لماسة ما يعلو تاج الخليفة فيشدها شدة غريبة لا يعرفها سواه
 شكل الاهليلجة ثم يحضر اليه اليتيمة وهي جوهرة عظيمة لا يعرف لها قيمة فتتظم هي
 وحواليها ما دونها من الجواهر وهي موضوعة في الحافر وهو شكل الهلال من ياقوت أحمر
 ليس له مثال في الدنيا فتتظم على خرقه حرير أحسن وضع وبخيطها شاد التاج بخياطة
 خفيفة ممكنة فتكون بأعلى جبهة الخليفة ويقال ان زنة الجوهرة سبعة دراهم وزنة الحافر
 أحد عشر مثقالا وبدائرها قصبة زمرذ ذبابي له قدر عظيم ثم يؤمر بشد المظلة التي تشابهها
 تلك البدلة المحضرة بين يديه وهي مناسبة للثياب ولها عندهم جلالة لكونها تعلو رأس الخليفة
 وهي اثنا عشر شوركًا عرض سفلى كل شورك شبر وطوله ثلاثة اذرع وثلاث وأخر الشورك
 من فوق دقيق جدًا فيجتمع ما بين الشورك في رأس عودها بدائرها وهو قنطارية من
 الزان ملبسة بأنابيب الذهب وفي آخر أنبوبة تلى الرأس من جسمه فاكهة بارزة مقدار
 عرض ابهام فيشد آخر الشورك في حلقة من ذهب ويترك متسعًا في رأس الرمح وهو
 مفروض فتلقى تلك الفاكهة فتنع المظلة من الحدود في العمود المذكور ولها اضلاع من
 خشب المخارج مربعات مكسوة بوزن الذهب على عدد الشورك خفاف في الوزن طولها
 طول الشورك وفيها خطاطيف لطاف وحلق بمسك بعضها بعض وهي تنضم وتنفتح على طريقة
 شوكة الكيزان ولها رأس شبه الرمانة ويعلموه رمانة صغيرة كلها ذهب مرصع بجوهر يظهر لالعيان
 ولها رفرف دائري فتهجم من نسبتهما عرضة أكثر من شبر ونصف وسفل الرمانة فاصل يكون

مقداره ثلاث أصابع فإذا أدخلت الحلقة الذهب الجامعة لآخر شوارك المظلة في رأس العمود ركبت الرمانة عليها ولقت في عرض ديبقى مذهب فلا يكشفها منه الا حاملاها عند تسليمها اليه اول وقت الركوبة ثم يؤمر بشد لواءي الحمد المختصين بالخليفة وهما رحمان طويلان ملبسان بمثل أنابيب عمود المظلة الى حد نصفهما وهما من الحرير الابيض المرقوم بالذهب وغير منشورين بل ملفوفين علي جسم الرحبين فيشدان ليخرجا بمخرج المظلة الى أميرين من حاشية الخليفة يرسم حماهما ويخرج احدي وعشرون راية لطاف من الحرير المرقوم ملونة بكتابة تحالف ألوانها من غيره ونص كتابتها نصر من الله وفتح قريب على رماح مقومة من القنا المنتقى طول كل راية ذراعان في عرض ذراع ونصف في كل واحدة ثلاث طرازات فتسلم لاحد وعشرين رجلا من فرسان صبيان الخصاص ولهم بشارة عود الخليفة سالسا عشرون ديارا ثم يخرج رحمان رؤسهما أهلة من ذهب صامته في كل واحد سبع من ديباج أحمر وأصفر وفي فمه طارة مستديرة يدخل فيها الريح فينفثحان فيظهر شكلهما ويتسلمهما فارسان من صبيان الخصاص فيكونان أمام الرايات ثم يخرج السيف الخاص وهو من صاعقة وقمت على ما يقال وجلبته ذهب مرصعة بالجواهر في خريطة مرقومة بالذهب لا يظهر الا رأسه ليسلم الي حامله وهو أمير عظيم القدر وهذه عندهم رتبة جليلة المقدار وهو اكبر حامل ثم يخرج الريح وهو ربح لطيف في غلاف منظوم من اللؤلؤ وله سنان مختصر بحاية ذهب ودرقة بكواخ ذهب فيها سعة منسوبة الى حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه في غشاء من حرير لتخرج الى حاملها وهو أمير مميز ولهذه الخدمة وصاحبها عندهم جلالة ثم تشعر الناس بطريق الموكب وسلوكه لا يتعدى دورتين احدهما كبرى والاخرى صغرى أما الكبرى فمن باب القصر الى باب النصر مارا الى حوض عن الملك نيا ومسجده هناك وهو أقصاها ثم ينعطف على يساره طالبا باب الفتوح الى القصر والاخرى اذا خرج من باب النصر سار حافا بالسور ودخل من باب الفتوح فيعلم الناس بسلوك احدها فيسيرون اذا ركب الخليفة فيها من غير تبديل للموكب ولا تشويش ولا اختلال فلا يصبح الصبح من يوم الركوب الا وقد اجتمع من بالقاهرة ومصر من أرباب الرتب وأرباب التميزات من أرباب السيوف والاقلام قياما بين القصرين وكان يراحا واسعا خاليا من البناء الذي فيه اليوم فيسع القوم لانتظار الخليفة ويكر الامراء الى الوزير الى داره فيركب الى القصر من غير استدعاء لانها خدمة لازمة للخليفة فيسير أمامه تشريفه المقدم ذكره والامراء بين يديه ركبانا ومشاة وأمامه أولاده واخوته وكل منهم مرخي الذؤابة بلا خنك وهو في أبهة عظيمة من الثياب الفاخرة والتبديل وهو بالخنك ويتقلد بالسيف المذهب فاذا وصل القصر ترجل قبله أهله في أخص مكان لا يصل

الامراء اليه ودخل من باب القصر وهو راكب دون الحاضرين الى دهليز يقال له دهليز العمود فيترجل على مصطبة هناك ويمشي بقية الدهليز الى القاعة فيدخل مقطع الوزارة هو وأولاده واخوته وخواص حاشيته ويجلس الامراء بالقاعة على دكك معدة لذلك مكسوة في الصيف بالحصر السامان وفي الشتاء بالبط الجهرمية المحفورة فاذا ادخلت الدابة لركوب الخليفة وأسندت الى الكرسي الذي يركب عليه من باب المجلس أخرجت المظلة الى حاملها فيكشفها مما هي ملفوفة فيه غير مطوية فيتسامها باعانة أربعة من الصقالبة برسم خدمتها فيركزها في آلة حديد متخذة شكل القرن وهو مشدود في ركاب حاملها الأيمن بقوة وتأكيد فيمسك العمود بحاجز فوق يده فيبقي وهو منتصب واقف ولم يذكر قط انها اضطربت في ريح عاصف ثم يخرج بالسيف فيتسامه حامله فاذا تسامه أرخيت ذؤابته مادام حاملها له ثم تخرج الدواة فتسلم لحاملها وهو من الاستاذين المحنكين وكان الوزراء حملوها لقوم من الشهود المعدلين وهي الدواة التي كانت من أعاجيب الزمان وهي في نفسها من الذهب وحليتها مرجان وهي ملفوفة في منديل شرب بياض مذهب وقد قال فيها بعض الشعراء يخاطب الخليفة التي صنعت حاية المارجان في وقته وهذا من أغرب ما يكون ذكر ذلك في بيتين وهما

أين لداود الحديد كرامة * فقدر منه السرد كيف يريد

ولان لك المرجان وهو حجارة * ومقطعه صعب المرام شديد

فيخرج الوزير ومن كان معه من المقطع وتنضم اليه الامراء ويقفون الى جانب الراية فيرفع صاحب المجلس الست فيخرج من كان عند الخليفة للخدمة منهم وفي أثرهم يبرز الخليفة بالهيئة المشروح حاطها في لباسه الثياب المعروضة عاياه والمنديل الحامل لايشمة بأعلى جبهته وهو محنك مرخي الذؤابة مما يلي جانبه اليسر ويتقلد بالسيف المغربي ويده قضيب الملك وهو طول شبر ونصف من غود مكسو بالذهب المرصع بالدر والجواهر فيسلم على الوزير قوم مرتبون لذلك وعلى أهله وعلى الامراء بعندهم ثم يخرج أولئك أولا فأولا والوزير يخرج بعد الامراء فيركب ويقف قبالة باب القصر بهيئته ويخرج الخليفة وحواليه الاستاذون ودابته ماشية على بسط مفروشة خيفة من زلقها على انرخاء فاذا قارب الباب وظهر وجهه ضرب رجل ببوق لطيف من ذهب معوج الرأس يقال له الغربية بصوت عجيب يخالف أصوات البوقات فاذا سمع ذلك ضربت الابواق في الموكب ونثرت المظلة وبرز الخليفة من الباب ووقف وقفة يسيرة بمقدار ركوب الاستاذين المحنكين وغيرهم من أرباب الرتب الذين كانوا بالقاعة للخدمة وسار الخليفة وعلى يساره صاحب المظلة وهو يبالغ أن لايزول عنه ظاهرا ثم يكتشف الخليفة مقدمو صبيان الركاب منهم اثنان في الشكيمة واثنان في عنق الدابة من الجانبين واثنان في ركابه فالأيمن مقدم المقدمين وهو صاحب المقرعة

التي يتناولها ويتناولها وهو المؤدى عن الخليفة مدة ركوبه الاوامر والتواهي ويسير الموكب بالحث فأوله فروع الامراء وأولادهم وأخلاق بعض العسكر الامثال الى أرباب القصب الى أرباب الاطواق الى الاستاذين المحنكين الى حامل اللواوين من الجانبين الى حامل الدواة وهي بينه وبين قربوس السرج الى صاحب السيف وهما في الجانب الايسر كل واحد ممن تقدم ذكره بين عشرة الى عشرين من أصحابه ويحجبه أهل الوزير المقدم ذكرهم من الجانب الايمن بعد الاستاذين المحنكين ثم يأتي الخليفة وحواليه صبيان الركاب المذكورة تفرقة السلاح فيهم وهم أكثر من ألف رجل وعليهم المناديل الطبقيات ويتقلدون بالسيوف وأوساطهم مشدودة بمناديل وفي أيديهم السلاح مشهور وهم من جانبي الخليفة كالجناحين المسادين وبينهما فرجة لوجه الفرس ليس فيها أحد وبالقرب من رأسها الصقليان الحاملان للمذبتين وهما مرفوعتان كالنحلتين لما يسقط من طائر وغيره وهو سائر على تؤدة وورق وفي طول الموكب من أوله الى آخره الى القاهرة ماراً وعائداً يفسح الطرقات ويسير الركبان فيأتي في عوده الاسفهلار كذلك ماراً وعائداً لحث الاجناد في الحركة والابتكار على المزارحين المعترضين ويبقى في عوده صاحب الباب ومروره في زمرة الخليفة الى أن يصل الى الاسفهلار فيعود لترتيب الموكب وحراسة طرقات الخليفة وفي يد كل منهم دبوس وهو راكب خير دوابه وأسرعها هذا لمن أمام الموكب ثم يسير خلف دابة الخليفة قوم من صبيان الركاب لحفظ أعقابهم ثم عشرة يحملون عشرة سيوف في خرائط ديباج أحمر وأصفر بشراريب غزيرة يقال لها سيوف الدم برسم ضرب الاعناق ثم يسير بعدهم صبيان السلاح الصغير أرباب الفرنجيات المقدم ذكرهم أولاً ثم يأتي الوزير في هيئة وفي ركابه من أصحابه قوم يقال لهم صبيان الزرد من أقوياء الاجناد يختارهم لنفسه مامقداره خمسمائة رجل من جانبه بفرجة لطيفة أمامه دون فرجة الخليفة وكأنه على وفز من حراسة الخليفة ويحجبه أن لا يغيب عن نظره وخلفه الطبول والصنوج والصمافير وهو مع عدة كثيرة تدوى بأصواتها وحسها الدنيا ثم يأتي حامل الرمح المقدم ذكره ودرقته حمراء ثم طوائف الراجل من الركابية والحيوشية وقباهما المصامدة ثم الفرنجية ثم الوزيرية زمرة زمرة في عدة وافرة تزيد على أربعة آلاف في الوقت الحاضر وهم أضعاف ذلك ثم أصحاب الرايات والسبعين ثم طوائف العساكر من الآمرية والحجرية الكبار والحافظية والحجرية الصغار المنقولين والافضلية والحيوشية ثم الاتراك المصطنعون ثم الديلم ثم الاكراد ثم الغز المصطنعة وقد كان تقدم هؤلاء الفرسان عدة وافرة من المترجلة أرباب قسي اليد وقسي الرجل في أكثر من خمسمائة وهم المعدون للاسطيل ويكون من الفرسان المقدم ذكرهم ما يزيد على ثلاثة آلاف وهذا كله بعض من كل فاذا انتهى الموكب الى المكان المحدود عادوا على أدراجهم ويدخلون

من باب الفتوح ويقفون بين القصرين بعد الرجوع كما كانوا قبله فاذا وصل الخليفة الى الجامع الاقمر بالقماحين اليوم وقف وقفة بجملته في موكنه وانفرج الموكب للوزير فتحرك مسرعا ليصير أمام الخليفة حتى يدخل بين يديه فيمر الخليفة ويسكن له سكة ظاهرة فيشير الخليفة للسلام عليه اشارة خفية وهذه أعظم مكارمة تصدر عن الخليفة ولا تكون الا للوزير صاحب السيف وسبقه الى دخول باب القصر راكبا على عادته الى موضعه ويكون الامراء قد نزلوا قبله لانهم في أوائل الموكب فاذا وصل الخليفة الى باب القصر ودخله ترحل الوزير ودخل قبله الاستاذون المحنكون وأحد قوايه والوزير أمام وجه الفرس مكان ترحله الى الكرسي الذي ركب منه فينزل عليه ويدخل الى مكانه بعد خدمة المذكورين له فيخرج الوزير ويركب من مكانه الجاري به على عادته والامراء بين يديه وأقاربه حواليه فيركبون من أماكنهم ويسيرون صحبتهم الى داره فيدخل وينزل أيضا الى مكانه على كرسي فتخدمه الجماعة بالوداع ويتفرق الناس الى أماكنهم فيجدون قد أحضر اليهم الغرة وهو أنه يقدم الخليفة بأن يضرب بدار الضرب في العشر الآخر من ذى الحجة بتاريخ السنة التي ركب أولها في هذا اليوم جملة من الدينانير والرباعية والدرهم المدورة المسقاة فيحمل الى الوزير منها ثلثائة وستون دينارا وثلثائة وستون رباعيا وثلثائة وستون قيراطا والى أولاده واخوته من كل صنف من ذلك خمسون والى ارباب الرتب من أصحاب السيوف والاقلام من عشرة دينانير وعشر رباعيات وعشرة قراريط الى دينار واحد ورباعي واحد وقيراط واحد فيقبلون ذلك على حكم البرمكية من مبالغ الخليفة قال ومبلغ الغرة التي ينعم بها في أول العام المقدم ذكرها من الدينانير والرباعيات والقراريط ما يقرب من ثلاثة آلاف دينار والله تعالى أعلم

(ذكر ما كان يضرب في خميس العدى من خرايب الذهب)

قال ابن المأمون وأحضر الاجل المأمون كاتب الدفتر وأمره بالكشف عما كان يضرب برسم خميس العدى من الخرايب الذهب وهو خمسمائة دينار عن عشرين ألف خروبة واستدعى كاتب بيت المال ووقع له باطلاق ألف دينار وأمره بالحضار مشارف دار الضرب وسلمها اليه فاعتمد ذلك وضربت عشرون ألف خروبة وأحضرها فامر بحملها الى الخليفة فسير الخليفة منها الى المأمون ثلثائة دينار وذكر أنها لم تضرب في مدة خلافة الحافظ لدين الله غير ستة واحدة ثم بطل حكمها ونسى ذكرها قال وصار ما يضرب باسم الخليفة يعني الأمر باحكام الله في ستة مواضع القاهرة ومصر وقوص وعسقلان وصور والاسكندرية * وقال ابن عبد الظاهر بخمس العدى كان يضرب فيه خمسمائة تعمل عشرة آلاف خروبة كان الافضل بن أمير الجيوش يحمل منها للخليفة مائتي دينار والبقية (م ٤٠ - خطط ي)

برسمه ثم جعلت في الايام المأمونية ألف دينار وربما زادت أو نقصت يسيرا وقد تقدم
أن قاضي القضاة كان يتولى عيار دار الضرب ويحضر التعليق بنفسه ويحتم عليه ويحضر
الموعود الآخر لفتحه

(ذكر دار الوكالة الآمرية)

كانت دار الوكالة المذكورة بجانب دار الضرب وموضعها الآن على يمين السالك من رأس
الخراطين الى سوق الخيمين والجامع الازهر * قال ابن المأمون في شوال سنة ست عشرة
وخمسة ثم أنشأ يعني المأمون بن البطاحي وزير الخليفة الأمر بأحكام الله دار الوكالة
بالقاهرة المحروسة لمن يصل من العراقيين والشاميين وغيرها من التجار ولم يسبق الى ذلك
(ذكر مصلى العيد)

وكان في شرقي القصر الكبير مصلى العيد من خارج باب النصر وهذا المصلى بناه القائد
جوهر لاجل صلاة العيد في شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ثم جددده العزيز بالله
وقد بقي الى الآن بعض هذا المصلى واتخذ في جانب منه موضع مصلى الاموات اليوم
(ذكر هيئة صلاة العيد وما يتعلق بها) *

قال ابن زولاق وركب المعز لدين الله يوم الفطر لصلاة العيد الى مصلى القاهرة التي
بناها القائد جوهر وكان محمد بن أحمد بن الادرع الحسيني قد بكر وجلس في المصلى تحت
القبة في موضع خفاء الخدم وأقاموه وأقمدا موضعاً أبا جعفر مساماً وأقمداوه هو دونه
وكان أبو جعفر مسلم خلف المعز عن يمينه وهو يصلي وأقبل المعز في زيه وبنوده وقبابه
وصلى بالناس صلاة العيد تأمة طويلة قرأ في الاولى بأمر الكتاب وهل أنك حديث الغاشية
ثم كبر بعد القراءة وركع فأطال وسجد فأطال أنا سبحت خلفه في كل ركعة وفي كل
سجدة نيفا وثلاثين تسبيحة وكان القاضي النعمان بن محمد يبايع عنه التكبير وقرأ في الثانية
بأمر الكتاب وسورة والضحى ثم كبر أيضاً بعد القراءة وهي صلاة جده علي بن أبي طالب
عليه السلام وأطال أيضاً في الثانية الركوع والسجود أنا سبحت خلفه نيفا وثلاثين تسبيحة
في كل ركعة وفي كل سجدة وجهه بسم الله الرحمن الرحيم في كل سورة وأنكر جماعات
يتوسمون بالعلم قراءته قبل التكبير لقلة علمهم وتقصيرهم في العلوم حدثنا محمد بن أحمد
قال حدثنا عمر بن شبة حدثنا عبد الله ورجاء عن اسرائيل عن أبي اسحق عن الحارث
عن علي عليه السلام أنه كان يقرأ في صلاة العيد قبل التكبير فلما فرغ المعز من الصلاة صعد
المنبر وسلم على الناس يمينا وشمالاً ثم ستر بالسترين اللذين كانا على المنبر فخطب وراءها على
رسمه وكان في أعلى درجة من المنبر وسادة ديباج مقل فجلس عليها بين الخطبتين واستفتح
الخطبة بسم الله الرحمن الرحيم وكان معه على المنبر القائد جوهر وعمار بن جعفر وشفيق

صاحب المظلة ثم قال الله أكبر الله أكبر واستفتح بذلك وخطب وأبغ وأبكى الناس وكانت خطبة بخشوع وخضوع فلما فرغ من خطبته انصرف في عساكره وخلفه أولاده الاربعة بالجواشن والحدود على الحيل بأحسن زى وساروا بين يديه بالفيلين فلما حضر في قصره أحضر الناس فأكلوا وقدمت اليهم السمط ونشطهم الى الطعام وغب على من تأخر وهدد من بلغه عنه صيام العيد * وقال المسيحي في حوادث آخر يوم من رمضان سنة ثمانين وثلاثمائة وبقيت مصاطب ما بين القصور والمصلى الجديدة ظاهر باب النصر عليها المؤذنون حتى يتصل التكبير من المصلى الى القصر وفيه تقدم أمر القاضي محمد بن النعمان باحضار المتفقهة والمؤمنين يعني الشيعة وأمرهم بالجلوس يوم العيد على هذه المصاطب ولم يزل يرتب الناس وكتب رقاعا فيها أسماء الناس فكانت تخرج رقعة رقعة فيجاس الناس على مصطبة مصطبة بالترتيب وفي يوم العيد ركب العزيز بالله لصلاة العيد وبين يديه الجنائب والقباب الدباج بالحلى والعسكر فيزيه من الأتراك والدليم والعزيرية والاشيدية والسكافورية وأهل العراق بالدباج الثقيل والسيوف والمناطق الذهب وعلى الجنائب السروج الذهب بالجواهر والسروج بالعنبر وبين يديه ائيلة عليها الرجال بالسلاح والزرافة وخرج بالمظلة الثقيلة بالجواهر ويده قضيب جده عليه السلام فصلى على رسمه وانصرف * وقال ابن المأمون لما توفي أمير الجيوش بدر الجمالي وانتقل الامر الى ولده الافضل بن أمير الجيوش جرى على سنن والده في صلاة العيد ويقف في قوس باب داره الذى عند باب النصر يعنى دار الوزارة فلما سكن بمصر صار يطالع من مصر باكرا ويقف على باب داره على الحالة الاولى حتى تستحق الصلاة فيدخل من باب العيد الى الايوان ويعلي به القاضي ابن الرسمى ثم يجاس بعد الصلاة على المرتبة الى أن تنقضى الخطبة فيدخل من باب الملك ويسلم على الخليفة بحيث لا يراه أحد غيره ثم يجامع عليه ويتوجه الى داره بمصر فيكون السباط بهامدى الاعياد فلما قتل الافضل واستقر بعده المأمون بن البطاحي في الوزارة قال هذا نقص في حق العيد ولا يعلم السبب في كون الخليفة لا يظهر فقال له الخليفة الامر باحكام الله فما تراه أنت فقال يجاس مولانا في المنظرة التي استجدت بين باب الذهب وباب البحر فاذا جلس مولانا في المنظرة وفتحت الطاقات وقف المملوك بين يديه في قوس باب الذهب وتجاوز المساكر فارسها وراجلها وتشماها بركة نظر مولانا اليها فاذا كان وقت الصلاة توجه المملوك بالموكب والزى وجميع الامراء والاحباب واجتاز بأبواب القصر ودخل الايوان فاستحسن ذلك منه واستصوب رأيه وبالغ في شكره ثم عاد المأمون الى مجلسه وأمر بتفرقة كسوة العيد والهبات يعنى في عييد التحر سنة خمس عشرة وخمسمائة وجملة العين ثلاثة آلاف وثلاثمائة دينار وسبعة دنانير ومن الكسوات مائة قطعة وسبع قطع

برسم الامراء المطوقين والاستاذين المحنكين وكاتب الدست ومتولى حجابة الباب وغيرهم قال ووصلت الكسوة المختصة بالعيد في آخر شهر رمضان يعني من ستة عشر عشرة وخمسةائة وهى تشتمل على دون العشرين ألف دينار وهو عندهم الموسم الكبير ويسمى بعيد الحال لان الحال فيه تم الجماعة وفي غيره للاعيان خاصة وقد تقدم تفصيلها عند ذكر خزانة الكسوة من هذا الكتاب . قال ولما كان في التاسع والعشرين من شهر رمضان خرجت الاوامر بأضعاف ما هو مستقر للمقرئين والمؤذنين في كل ليلة برسم السحور بحكم أنها ليلة ختم الشهر وحضر المأمون في آخر النهار الى القصر للفقطور مع الخليفة والحضور على الاسمطة على العادة وحضر اخوته وعمومته وجميع الجلساء وحضر المقرئون والمؤذنون وساموا على عاداتهم وجلسوا تحت الروشن وحمل من عند مظلم الجهات والسيدات والمميزات من أهل القصور بلاحي وموكيات مملوءة ماء ملفوفة في عراضى ديبقى وجعلت أمام المذكورين ليشملها بركة ختم القرآن واستفتح المقرئون من الحمد الى خاتمة القرآن تلاوة وتطريباً ثم وقف بعد ذلك من خطب فأسمع ودعا فأبلغ ورفع الفراشون ما أعدوه برسم الجهات ثم كبر المؤذنون وهللوا وأخذوا في الصوفيات الى أن نثر عليهم من الروشن دراهم ودنانير ورباعيات وقدمت جفان القطائف على الرسم مع الحلوى فجروا على عاداتهم وملأوا أكعابهم ثم خرج أستاذ من باب الدار الجليلة لمجامع خلعها على الخطيب وغيره ودراهم تفرق على الطائفتين من المقرئين والمؤذنين ورسم أن تحمل الفطرة الى قاعة الذهب وأن تكون التعمية في مجلس الملك وتعبي الطيافير المشورة الكبار من السرير الى باب المجلس وتعبي من باب المجلس الى ثلثى القاعة سماطاً واحداً مثل سماط الطعام ويكون جميعه سداً واحداً من خلالة الموسم ويزين بالقطع المنفوخ فامثل الامر وحضر الخليفة الى الايوان واستدعى المأمون وأولاده واخوته وعرضت المظال المذهبة المحاومة وكان المقرئون يلوحون عند ذكرها بالآيات التى في سورة النحل والله جعل لكم مما خلق ظلالا الى آخرها وجلس الخليفة ورفعت الستور واستفتح المقرئون وجدد المأمون السلام عليه وجلس على المرتبة عن يمينه وسلم الامراء جميعهم على حكم منازلهم لا يتمدى أحد منهم مكانه والنواب جميعهم يستدعونهم بنعوتهم وترتيب وقوفهم وسلم الرسل الواصول من جميع الاقاليم ووقفوا في آخر الايوان وختم المقرئون وسلموا وخدمت الرحية وتقدم متولى كل اصطبل من الرواض وغيرهم يقبل الارض ويقف ودخلت الدواب من باب الديلم والمستخدمون فى الركاب بالمناديل يتسلمونها من الشدادين ويدورون بها حول الايوان ودواب المظلة متميزة عن غيرها يتسلمها الاستاذون والمستخدمون فى الركاب ويعلمون بها الى قريب من الشباك الذى فيه الخليفة وكلما عرض دواب اصطبل قبل الارض متولىه وانصرف وتقدم متولى غيره على حكمه الى أن يعرض جميع ما أحضره

وهو ما يزيد على ألف فرس خارجا عن البغال وما تأخر من العشاريات والحجور والمهارة ولما عرضت الدواب أبطلت الرهية وعاد استفتاح المقرئين وكانوا محسنين فيما ينزعونه من القرآن الكريم مما يوافق الحال مثل الآية من آل عمران زين الناس حب الشهوات الى آخرها ثم بعدها قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء الى آخرها وعرضت الوحوش بالاجلة الديباج والديبقي بقباب الذهب والمناطق والالهة وبعدها النجب والبخاقي بالاقتاب الملبسة بالديبقي الملون المرقوم وعرض السلاح وآلات الموكب جميعها ونصبت الكسوات على باب العيد وضربت طول الليل وحملت الفطرة الخاص التي يفطر عليها الخليفة باصناف الجوارشات بالمسك والعود والكافور والزعفران والتمور المصبغة التي يستخرج مافها وتحشي بالطيب وغيره وتسد وتحتم وسامت للمستخدمين في القصور وعبيت في مواعين الذهب المكللة بالجواهر وخرجت الاعلام والبنود وركب المأمون فلما حصل بقاعة الذهب أخذ في مشاهدة السماط من سرير الملك الى آخرها وخرج الخليفة لوقته من الباذننج وطلع الى سرير ملكه وبين يديه الصواني المقدم ذكرها واستدعي بالمأمون فجلس عن يمينه بعد أداء حق السلام وأمر باحضار الامراء المميزين والقاضي والداعي والضيوف وسلم كل منهم على حكم ميزته وقدمت الرسل وشرقوا بتقيل الارض والمقرئون يتلون والمؤذنون يهللون ويكبرون وكشفت القوارات الشرب المذهبات عما هو بين يدي الخليفة فبدأ وكبر وأخذ بيده تمر فافطر عليها وناول مثلها الوزير فافطر الفطر عليها وأخذ الخليفة في أن يستعمل من جميع ما حضر فيناول وزيره منه وهو يقبله ويجمله في كه وتقدمت الاجلاء اخوة الوزير وأولاده من تحت السرير وهو يناولهم من يده فيجملونه في أحكامهم بعد تقيله وأخذ كل من الحاضرين كذلك ويومئ بالقطور ويجمله في كه على سبيل البركة فمن كان رايه الفطور افطر ومن لم يكن رايه أوماً وجعله في كه لا ينتقد على أحد فعلمه ثم قال المأمون بعد ذلك ما على من يأخذ من هذا المكان نقیصة بل له به الشرف والميزة ومد يده وأخذ من الطيفور الذي كان بين يديه عود نبات وجعله في كه بعد تقيله وأشار الى الامراء فاعتمد كل من الحاضرين ذلك وملاؤا أحكامهم ودخل الناس فأخذوا جميع ذلك ثم خرج الوزير الى داره والجماعة في ركابه فوجد التعية فيها من صدر المجلس الى آخره على ما أمر به ولم يعدم مما كان بالقصر غير الصواني الخاص فجلس على مرتبة والاجلاء أولاده واستدعى بالعالي من الامراء والقاضي والداعي والضيوف فحضرُوا وشرفوا بجلوسهم معه وحصل من مسرتهم بذلك ما بسطهم ورفعوا اليسير مما حضر على سبيل الشرف ثم انصرفوا وحضرت الطوائف والرسل على طبقاتهم الى أن حمل جميع ما كان بالدار بأسره وانقضى حكم الفطور وعاد للتنفيذ في غيره وضربت الطبول والابواق على أبواب القصور

والدار المأمونية وأحضرت التباير وفرقت على أربابها من الاجناد والمستخدمين وخرجت
أزمة العساكر فارسها وراجلها ونذب الحاجب الذي بيده الدعوى لترتيب صفوفها من باب
القصر الى المصلى ثم حضر الى الدار المأمونية الشيوخ ليميزون وجلس المأمون في مجلسه
وأولاده بهيئة العيد وزينته ورفعت الستور وابتدأ المقرئون وسلم متولى الباب والشيوخ ولم
يدخل المجلس غير كاتب الدست ومتولى الحجبة وبالغ كل منهما في زيه وملبوسه وجروا
على رسمهم في تقبيل الارض وعتبة المجلس ووصل الى الدار المأمونية التجمل الخاص الذي
برسم الخليفة جميعه القصب النضة والاعلام والمنجوقات والعقبات والعماريات ولوا آ الوزارة
لركوب الخاية بالمظلة بالطعيم والمر اكيب الذهب المرصعة بالجواهر وغير ذلك من التجملات
وركب المأمون من داره وجميع التشايف الخاص بين يديه وخدمت الرهجية ومن حملتهم
الغرية وهي أبواق لطاف عجيبة غريبة الشكل تضرب كل وقت يركب فيه الخليفة ولا
تضرب قدام الوزير الا في المواسم خاصة وفي أيام الخلع عليه والامراء مصطفون عن يمينه
وعن شماله ويلهم اخوته وبعدهم أولاده ودخل الى الايوان وجلس على المرتبة المختصة
به وعن يمينه جميع الاجلاء والمميزون وقوف أمامه ومن انحط عنهم من باب الملك الى الايوان
قيام ويخرج خاصة الدولة ريحان الى المصلى بالفرش الخاص وآلات الصلاة وعاق المحراب
بالشروب المذهبة وفرش فيه ثلاث سجادات متراكبة وأعلاها السجادة اللطيفة التي كانت
عندهم معظمة وهي قطعة من حصير ذكر أنها كانت من حلة حصير لجعفر بن محمد الصادق
عليهما السلام يصلى عليها وفرش الارض جميعها بالحصير المحاريب ثم علق على جانبي المنبر
وفرش جميع درجه وجعل أعلاه المخاد التي يجلس عليها الخليفة وعاق اللوا أن عليه وقعد
تحت القبة خاصة الدولة ريحان والقاضي وأطلق البخور ولم يفتح من أبوابه الاباب واحد
وهو الذي يدخل منه الخليفة ويقعد الداعي في الدهليز وتقباء المؤمنين بين يديه وكذلك
الامراء والاشراف والشيوخ والشهود ومن سواهم من أرباب الحرف ولا يمكن من الدخول
الا من يعرفه الداعي ويكون في ضمانه واستفتحت الصلاة وأقبل الخليفة من قصوره بقاية
زبه والعلم الجوهري في منديله وقضيب الملك بيده وبنو عمه واخوته وأستاذوه في ركابه وتلقاه
المقرئون عند وصوله والخواص واستدعى بالمأمون فتقدم بمفرده وقبل الارض وأخذ
السيف والرمح من مقدمي خزان الكسوة والرهجية تخدم وحمل لواء الحمد بين يديه الى أن
خرج من باب العيد فوجد المظلة قد شرت عن يمينه والذي بيده الدعوى في ترتيب الحجبة
لمن شرف بها لا يتعدى أحد حركته وسائر المواكب بالجنائب الخاص وخيل التخافيف
ومصفات العساكر والطوائف جميعها بزينا وراياتها وراء الموكب الى أن وصل الى قريب
المصلى والعماريات والزراقات وقد شد على الفيلة بالاسرة مملوءة رجالا مشبكة بالسلاح لا يتبين

منهم الا الاحداق وبأيديهم السيوف المجردة والدرق الحديد الصفي والعساكر قد اجتمعت
وترادفت صفوفها من الجانبين الى باب المصلى والنظارة قد ملأت الفضاء لمشاهدة ما لم يباغوه
والموكب سائر بهم وقد أحاط بالخليفة والوزير صبيان الخاص وبعدهم الاجناد بالدروع
المسبلة والزرديات بالمغافر ملثمة والبروك الحديد بالصماصم والدبابيس ولما طلع الموكب من
ربوة المصلى ترجل متولى الباب والحجاب ووقف الخليفة بجمعه بالمظلة الى أن اجتاز المأمون
راكبا بمن حول ركابه ورد الخليفة السلام عليه بكه وصار أمامه وترجل الامراء المميزون
والاستاذون المحنكون بعدهم وجميع الاجلاء وصار كل منهم يبدأ بالسلام على الوزير ثم على
الخليفة الى أن صار الجميع في ركابه ولم يدخل من باب المصلى راكبا غير الوزير خاصة ثم
ترجل على بابه الثاني الى أن وصل الخليفة اليه فاستدعى به فسلم وأخذ الشكيمة بيده الى
أن ترجل الخليفة في الدهليز الآخر وقصد المحراب والمؤذنون يكبرون قدامه واستفتح
الخليفة في المحراب وسامته فيه وزيره والقاضي والداعي عن يمينه وشماله ليوصلوا التكبير
لجماعة المؤذنين من الجانبين ويتصل منهم التكبير الى مؤذني مصلى الرجال والنساء الخارجين
عن المصلى الكبير وكاتب الدست وأهله ومتولى ديوان الانشاء يصلون تحت عقد المنبر ولا
يمكن غيرهم أن يكون معهم ولما قضى الخليفة الصلاة وهى ركعتان قرأ في الاولى بفاتحة
الانكتاب وهل أتاك حديث الغاشية وكبر سبع تكبيرات وركع وسجد وفي الثانية بالفاتحة
وسورة الشمس وضحاها وكبر خمس تكبيرات وهذه سنة الجميع ومن ينوب عنهم في صلاة
العيدين على الاستمرار وسلم وخرج من المحراب وعطف عن يمينه والحرص عليه شديد
ولا يصل اليه الا من كان خضيصا به وصعد المنبر بالخشوع والسكينة وجميع من بالمصلى
والتربة لا يسأم نظره ويكثرون من الدعاء له ولما حصل في أعلى المنبر أشار الى المأمون فقبل
الارض وسارع في الطلوع اليه وأدى ما يجب من سلامه وتعظيم مقامه ووقف بأعلى درجة
وأشار الى القباضي فتقدم وقبل كل درجة الى أن يصل الى الدرجة الثالثة وقف عندها
وأخرج الدعو من كفه وقبله ووضعه على رأسه وأعلى بما تضمنه وهو ما جرت به العادة من
تسمية يوم العيد وسنته والدعاء للدولة وكانت الحال في أيام وزراء الاقلام والسيوف اذا
حصل الخليفة في أعلى المنبر بقى الوزير مع غيره وأشار الخليفة الى القاضي فيقبل الارض
ويطلع الى الدرجة الثالثة ويخرج الدعو من كفه ويقبله ويضعه على رأسه وينكر يوم العيد
وسنته والدعاء للدولة ثم يستدعى بالوزير بعد ذلك فيصعد بعد القاضي فراعى الخليفة ذلك
الامر في حق الوزير فجعل الاشارة منه اليه أولا ورفعته عن أن يكون مأمورا مثل غيره
وجعلها له ميزة على غيره ممن تقدمه واستمرت فيما بعد واستفتح الخليفة بالتكبير الجارى به
العادة في الفطار والخطبتين الى آخرها وكبر المؤذنون ورفع الدوا آن وترجل كل أحد من

موضعه كما كان ركوبه وصار الجميع في ركاب الخليفة وجرى الامر في رجوعه على ماتقدم شرحه ومضى الى تربة آبائه وهي سنتهم في كل ركبة بمظلة وفي كل يوم جمعة مع صدقات ورسوم تفرق وأما الوزير المأمون فانه توجه وخرج من باب العيد والامراء بين يديه الى أن وصل الى باب الذهب فدخل منه بعد أن أمر ولده الاكبر بالوصول الى داره والجلوس على سماط العيد على عادته ولما دخل المأمون بقاعة الذهب وجد الشروع قد وقع من المستخدمين بتعبية السماط فأمر بتفرقة الرسوم على أربابها وهو ما يحمل الى مجلس الوزارة برسم الحاشية ولكل من حاشية أولاد واخوته وكاتب الدست ومتولى حجابة الباب ومتولى الديوان وكاتب الدفتر والنائب لكل منهم رسم يصرف قبل جلوس الخليفة وعند انقضاء الاسمطة لغير المذكورين على قدر منزلة كل منهم ثم حضر أبو الفضائل بن أبي الميث واستأذن على طيافير الفطرة الكبار التي في مجلس الخليفة فأمره الوزير بأن يعتمد في تفرقتها على ما كان يعتمد في الايام الافضلية وهو لكل من يصعد المنبر مع الخليفة طيفور فلما أخذ الخليفة راحة بعد مضيه الى التربة جالس على السرير وبين يديه المائدة اللطيفة الذهب بالمتنا معبأة بالزبادى الذهب واستدعى الوزير واصطف الناس من المدورة الى آخر السماط من الجانبين على طبقاتهم ورفعت الستور واستفتح المقرئون ووفى الدولة اسعاف متولى المائدة مشدود الوسط ومقدم خزانة الشراب بيده شربة في مرفع ذهب وغطاء مرصعين بالجواهر والياقوت ومتولى خزائن الانفاق بيده خريطة مملوءة دنائير لمن يقف يطلب صدقة وانعاما فيؤمر بما يدفع اليه وتفرقة الرسوم الجارية بها العادة ولعبت المنافقون والتحصارية وتناوب القراء والمنشدون وأرخت الستور وعبي السماط ثانيا على ما كان عليه أولا ثم رفعت الستور وجلس على المدورة والسماط من جرت العادة به وفرت الدناير على المقرئين والمنشدين والتحصارية والمنافقين ومن هو معروف بكثرة الاكل ونهبت قصور الخليفة وفرق من الاصناف ماجرت به العادة وأرخت الستور وأحضر متولى خزانة الكسوة الخاص للخليفة بدلة الى أعلى السرير حسبما كان أمره فلبسها وخلع الثياب التي كانت عليه على الوزير بعد ما بالغ في شكره والثناء عليه وتوجه الى داره فوصل اليه من الخليفة الصواني الخاص المكللة معبأة على ما كانت بين يديه وغيرها من الموائد وكذلك الى أولاده واخوته صينية صينية ولكاتب الدست ومتولى حجابة الباب مثل ذلك ويكبر الوزير بجلوسه في داره معلنا وتسارع الناس على طبقاتهم باعيد والخلع وبما جرى في صعود المنبر وحضر الشعراء وأسئلتهم الجوائز وجرى الحال يومئذ في جلوس الخليفة وفي السلام لجميع الشيوخ والقضاة والشهود والامراء والكتاب ومقدمي الركاب والمتصدرين بالجوامع والفقهاء والقاهريين والمصريين واليهود برئيسهم والنصارى ببطريقهم على ماجرت به عادتهم وختم المقرئون وقدمت الشعراء على

طبقاتهم الى آخرهم ووجد لكل من الحاضرين سلامه وانكفاً الخليفة الى الباذننج لاداء
فريضة الصلاة والراحة بمقدار ما عيت المائدة الخاص واستحضر المأمون وأولاده واخوته
على عادتهم واستدعى من شرف بحضور المائدة وهم الشيخ أبو الحسن كاتب الدست وأبو
الرضى سالم ابنه ومتولى حجابة الباب وظهر الدين الكناني على ما كان عليه الحال قبل الصيام
وانقضى حكم العيد * وقال ابن الطوير اذا قرب آخر العشر الاخر من شهر رمضان
خرج الزبي من أما كنه على ما وصفنا في ركوب أول العام ولكن فيه زيادات يأتي ذكرها
ويركب في مسهل شوال بعد تمام شهر رمضان وعدته عندهم أبداً ثلاثون يوماً فاذا تهيأت
الامور من الخليفة والوزير والامراء وأرباب الرتب على ما تقدم وصار الوزير بجماعته
الى باب القصر ركب الخليفة بهيئة الخلافة من المظلة والقيمة والآلات المقدم ذكرها
ولباسه في هذا اليوم الثياب البياض الموشحة المحومة وهي أجل لباسهم والمظلة كذلك فانها
أبداً تابعة لثيابه كيف كانت الثياب كانت ويكرن خروجه من باب العد الى المصلى والزيادة
ظاهرة في هذا اليوم في العساكر وقد انتظم القوم له صفين من باب القصر الى باب المصلى
ويكون صاحب بيت المال قد تقدم على الرسم لفرض المصلى فيفرش الطراحت على رسمها
في المحراب مطابقة ويلحق سترين يمنة ويسرة في الايمن البسملة والفاحة وسبح اسم ربك
الأعلى وفي الايسر مثل ذلك وهل أتاك حديث الغاشية ثم يركز في جانب المصلى لواءين
مشدودين على رحلين ملبسين بأنايب الفضة وهما مستوران مرخيان فيدخل الخليفة من
شرقي المصلى الى مكان ليستريح فيه دقيقة ثم يخرج محفوظاً كما يحنظ في جامع القاهرة فيصير
الى المحراب ويصلي صلاة العيد بالتكبيرات المسنونة والوزير وراعه والقاضي ويقرا في كل ركعة
ما هو مرقوم في السترين فاذا فرغ وسلم صعد المنبر للخطابة العيدية يوم الفطر فاذا جالس في
الذروة وهناك طراحة سامان أو ديبقى على قدرها وباتمه يستر بياض على مقدارها في تقطيع
درجه وهو مضبوط لا يتغير فيراه أهل ذلك الجمع جالساً في الذروة ويكون قد وقف أسفل المنبر
الوزير وقاضي القضاة وصاحب الباب اسفهلار العساكر وصاحب السيف وصاحب الرسالة
وزمام القصر وصاحب دفتر المجالس وصاحب المظلة وزمام الاشراف الاقارب وصاحب بيت
المال وحامل الرمح ونقيب الاشراف الطالبيين ووجه الوزير اليه فيشير اليه فيصعد ويقرب
وقوفه منه ويكون وجهه موازياً لرجليه فيقباهما بحيث يراه العالم ثم يقوم ويقف على يمينه فاذا
وقف أشار الى قاضي القضاة فيصعد الى سابع درجة ويتطلع اليه صاغياً لما يقول فيشير اليه
فيخرج من كنه مدرجاً قد أحضر اليه أمس من ديوان الانشاء بعد عرضه على الخليفة والوزير
فيعان بقراءة مضمونه ويقول بسم الله الرحمن الرحيم ثبت بمن شرف بصعوده المنبر الشريف
في يوم كذا وهو عيد الفطر من سنة كذا من عبيد أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آباء

الطاهرين وأبنائه الاكرمين بعد صعود السيد الاجل ونعوته المقررة ودعائه المحرر فان أراد الخليفة أن يشرف أحدا من أولاد الوزير وإخوته استدعاه القاضي بالنعمة المذكور ثم يتلو ذلك ذكر القاضي وهو القارئ فلا يتسع له أن يقول عن نفسه نعوته ولا دعائه بل يقول المملوك فلان بن فلان وقرأه مرة القاضي ابن أبي عقيل فلما وصل الى اسمه قال العبد الذليل المعترف بالصنع الجليل في المقام الجليل أحمد بن عبد الرحمن بن أبي عقيل فاستحسن ذلك منه ثم حذا حذوه الاعز بن سلامة وقد استقضى في آخر الوقت فقال المملوك في محل الكرامة الذي عاينه من الولاء أصدق علاءه حسن بن علي بن سلامة ثم يستدعى من ذكرنا وقوفهم على باب المنبر بنعوتهم وذكر خدمهم ودعائهم على الترتيب فإذا طلع الجماعة وكل منهم يعرف مقامه في المنبر بمنته ويسرة أشار الوزير اليهم فأخذ من هو من كل جانب بيده نصيبا من اللواء الذي بجانبه فيستر الخليفة ويسترون وينادي في الناس بأن ينصتوا فيخطب الخليفة من المسطور على العادة وهي خطبة بليغة موافقة لذلك اليوم فإذا فرغ ألقى كل من في يده من اللواء شئ خارج المنبر فينكشفون وينزلون أولا فأولا الاقرب فالأقرب الى القهقري فإذا خلا المنبر منهم قام الخليفة هابطا ودخل الى المكان الذي خرج منه نابت يسيرا وركب في زيه المفخم وعاد من طريقه بعينها الى أن يصل الى قريب القصر فيقدمه الوزير كما شرفنا ثم يدخل من باب العيد فيجلس في الشباك وقد نصب منه الى فسقية كانت في وسط الايوان مقدار عشرين قصبة سماط من الخشكنان والبسندود والبرماورد مثل الجبل الشاهق وفيه القطعة وزنها من ربع قطار الى رطل فيدخل ذلك الجمع اليه ويفطر منه من يفطر وينقل منه من ينقل ويباح ولا يحجر عليه ولا مانع دونه فيمر ذلك بأيدي الناس وليس هو مما يعتد به ولا يبيح مما يفرق للناس ويحمل الى دورهم ويعمل في هذا اليوم سماط من الطعام في القاعة يحضر عليه الخليفة والوزير فإذا انقضى ذو القعدة وهل هلال ذي الحجة اهتم بركوب عيد النحر فيجري حله كما جرى في عيد الفطر من الزى والركوب الى المصلى ويكون لباس الخليفة فيه الاحمر الموشح ولا يخرج منه شيء انتهى * وصعد مرة الخليفة الحافظ لدين الله أبو الميمون عبيد المجيد المنبر يوم عيد فوقف الشريف ابن أنس الدولة بازائه وقال مشيرا الى الحاضرين

خشوعا فان الله هذا مقامه * وهمسا فهذا وجهه وكلامه

وهذا الذي في كل وقت بروزه * تحياته من ربنا وسلامه

فضرب الحافظ الجانب الايسر من المنبر فرقي اليه زمام القصر فقال له قل للشريف حسبك قضيت حاجتك ولم يدعه يقول شيئا آخر وكانت تكتب المحلقات بركوب أمير المؤمنين صلاة العيد ويبعث بها الى الاعمال فمما كتب به من انشاء ابن الصيرفي * أما بعد فالحمد لله

الذى رفع بأمر المؤمنين عماد الايمان وثبت قواعده . وأعر بخلافته معتقده وأذل بمهابته معانده . وأظهر من نوره ما انبسط في الآفاق وزال معه الانظلام . ونسخ به ما تقدمه من الملل فقال ان الدين عند الله الاسلام . وجعل المعتصم بحبله مفضلا على من يفاخره وبباهيه وأوجب دخول الجنة وخلودها لمن عمل بأوامره ونواهيه . وصلى الله على سيدنا محمد نبيه الذى اصطفى له الدين . وبعثه الى الاقربين والابعدين . وأيده في الارشاد حتى صار المعاصي مطيعا . ودخل الناس في التوحيد فرادى وجميعا . وغدوا بعروته الوثقى متمسكين . وأنزل عليه قل انني هداة ربى الى صراط مستقيم دينا قويا . لملة ابراهيم خنيفا . وما كان من المشركين . وعلى أخيه وابن عمه أئينا أمير المؤمنين على بن أبي طالب امام الامة . وكاشف الغمة . وأوجه الشفعاء اشيعته يوم العرض . ومن الاخلاص في ولاته قيام بحق وأداء فرض . وعلى الأئمة من ذريتهم سادة البرية . والعاديين في انقضيه . والعالمين بالسيرة المرضية . وسلم وكرم . وشرف وعظم . وكتاب أمير المؤمنين هذا اليك يوم الثلاثاء عيد الفطر من سنة ست وثلاثين وخمسمائة . وقد كان من قيام أمير المؤمنين بحقه وأدائه . وجريه في ذلك على عادته وعادة من قبله من آبائه . ما يثبتك به . ويطامك على مستوره . عك ومغيبه . وذلك أن دنس ثوب الابل لما بيضه الصباح . وعاد الحرم المحظور بما أطلقه الحلل المباح . توجهت عساكر أمير المؤمنين من مظانها الى بانه . وأفطرت بين يديه بعد ما حازته من أجر الصيام وثوابه . ثم انتت الي . مصافها في الهيات . التي يقصر عنها تجريد الصفات . وتفني مهابتها عن تجريد المرهفات . وتشهد أسلحتها وعددها بالتنافس في الهمم . وتفاق مواضيا في أعمادها شوقا الى العلى والقمم . وقد امتلأت الارض بازدهام الرجل والحيسل . وثار العجاج فلم ير أغرب من اجتماع النهار والليل . وبرز أمير المؤمنين من قصوره . وظهر للابصار على أنه محتجب بضياء ونوره . وتوجه الى المصلى في هدى جده وأبيه . والوقار الذي ارتفع فيه عن النظر والشبيه . ولما انتهى اليه قصد المحراب واستقبله . وأدى الصلاة على وضع رضيه الله وتقبله . وأجرى أمرها على أفضل المهود . ووفاهها حقها من القراءة والتكبير والركوع والسجود . وانتهى الى المنبر فعلا وكبر الله . وهله على ما أولاه . وذكر الثواب على اخراج الفطرة وبشره . وان المسارعة اليه من وسائل المحافظة على الخير وقربه . ووعظ وعظا ينفع قلبه في عاجلته ومتقلبه . ثم عاد الى قصوره الزاهرة مشمولا بالوقايه مكنوفا بالكفايه . منتهيا في ارشاد عبيده ورعاياه أقصى الغاية . أعلمك أمير المؤمنين خبر هذا اليوم لتعلم منه ما تسكن اليه . وتعمان بتلاوته على الكفاية ليشتروا في معرفته ويشكروا الله عليه . فاعلم هذا واعمل به ان شاء الله تعالى * وكان من أهل برقة طائفة تعرف بصيدان اخف لها اقطاعات وجرايات وكسوات ورسوم فاذا ركب الخليفة في العيدين مدوا حباين

مسطوحين من أعلى باب النصر الى الارض حبلا عن يمين الباب وحبلا عن شماله فاذا عاد الخليفة من المصلى نزل على الحبلين طائفة من هؤلاء على أشكال خيل من خشب مدهون وفي أيديهم رايات وخاف كل واحد منهم رديف وتحت رجليه آخر معلق بيديه ورجليه ويعملون أعمالا تذهل العقول ويركب منهم جماعة في الموكب على خيول فيركضون وهم يتقلّبون عليها ويخرج الواحد منهم من تحت ابط الفرس وهو يركض ويعود يركب من الجانب الآخر ويعود وهو على حاله لا يتوقف ولا يسقط منه شيء الى الارض ومنهم من يقف على ظهر الحصان فيركض به وهو واقف

ذكر القصر الصغير الغربي

وكان تجاه القصر الكبير الشرقى الذي تقدم ذكره في غريبه قصر آخر صغير يعرف بالقصر الغربى ومكانه الآن حيث المارستان المنصوري وما في صفه من المدارس ودار الامير يسرى وباب قبو الخرنشف وربع الملك الكامل المطل على سوق الدجاجين اليوم المعروف قديما بالتيانين وما يجاوره من الدرب المعروف اليوم بدرب الخضيرى تجاه الجامع الاقروما وراء هذه الاماكن الى الخليج وكان هذا القصر الغربى يعرف أيضا بقصر البحر والذي بناه العزيز بالله زار بن المعز * قال المسيجى ولم يبن مثله في شرق ولا في غرب * وقال ابن أبى طي في أخبار سنة سبع وخمسين وأربعمائة ففيها تم الخليفة المستنصر بناء القصر الغربى وسكنه وغرم عليه ألفى دينار وكان ابتداء بنيانه في سنة خمسين وأربعمائة وكان سبب بنائه أنه عزم على أن يجعله منزلا للخليفة القائم بأمر الله صاحب بغداد ويجمع بني العباس اليه ويجعله كالجلس لهم فخانه أملاه وتممه في هذه السنة وجعله لنفسه وسكنه * وقال ابن ميسر ان ست الملك أخت الحاكم كانت أكبر من أخيها الحاكم وان والدها العزيز بالله كان قد أفردها بسكنى القصر الغربى وجعل لها طائفة برسمها كانوا يسمون بالقصرية وهذا يدل على أن القصر الغربى كان قد بنى قبل المستنصر وهو الصحيح وكان هذا القصر يشتمل أيضا على عدة أماكن

(*) (الميدان) * وكان بجوار القصر الغربى ومن حقوقه الميدان ويعرف هذا الميدان اليوم بالخرنشف واصطبل القطية

(*) (البستان السكافورى) * وكان من حقوق القصر الصغير الغربى البستان السكافورى وكان بستانا أنشأه الامير أبو بكر محمد بن طنج بن جف الاخشيد أمير مصر وكان مضافا على الخليج فاعتنى به الاخشيد وجعل له أبوابا من حديد وكان ينزل به ويقيم فيه الايام واهتم بشأنه من بعد الاخشيد ابنه الامير أبو القاسم أونوجور بن الاخشيد والامير أبو الحسن على ابن الاخشيد في أيام امارتهما بعد أبيهما فلما استبد من بعدهما الاستاذ أبو المسك كافور

الاخشيدي بامارة مصر كان كثيرا ما ينزله به ويواصل الركوب الى الميدان الذي كان فيه وكانت خيوله بهذا الميدان فلما قدم القائد جوهر من المغرب بجيوش مولاه المعز لدين الله لاختد ديار مصر اناخ بجوار هذا البستان وجعله من جملة القاهرة وكان منزها للخلفاء الفاطميين مدة ايامهم وكانوا يتوصلون اليه من سرايب مبنية تحت الارض ينزلون اليها من القصر الكبير الشرقي ويسرون فيها بالدواب الى البستان السكافوري ومناظر اللؤلؤة بحيث لا تراهم الاعين وما زال البستان عامرا الى ان زالت الدولة فمحكر وبقي فيه في سنة احدى وخمسين وستائة كياتي ذكره ان شاء الله تعالى عند ذكر الحارات والخطط من هذا الكتاب وأما الاقباء والسرايب فانها عملت أسرية للمراحيض وهي باقية الى يومنا هذا تصب في الخليج

(القاعة) وكان من جملة القصر الغربي قاعة كبيرة هي الآن المارستان المنصوري حيث المرضى كانت سكن ست الملك أخت الحاكم بأمر الله وكانت أحوالها متسعة جدا . قال في كتاب الذخائر والتحف وأهدت السيدة الشريفة ست الملك أخت الحاكم بأمر الله الى أخيها يوم الثلاثاء التاسع من شعبان سنة سبع وثمانين وثمائة هدايا من جملتها ثلاثون فرسا براكبا ذهبيا منها مركب واحد مرصع ومركب من حجر البلور وعشرون بغلة يسرجها ولجها وخمسون خادما منهم عشرة صقالبة ومائة تحت من أنواع الثياب وفاخرها وتاج مرصع بنفيس الجوهر وبديعه وشاشية مرصعة وأسفاط كثيرة من طيب من سائر أنواعه وبستان من الفضة مزروع من أنواع الشجر قل وخلفت حين ماتت في مستهل جمادى الآخرة من سنة خمس وعشرين وأربعمائة مالا يحصى كثرة وكان اقطاعها في كل سنة يغل خمسين ألف دينار ووجد لها بعد وفاتها ثمانية آلاف جارية منها بنات ألف وخمسمائة وكانت سمحة نبيلة كريمة الاخلاق والفعل وكان في جملة موجودها نيف وثلاثون زيرا صينيا مملوا جميعها مسكيا مستحوقا ووجد لها جوهر نفيس من جملته قطعة ياقوت ذكر أن فيها عشرة مثاقيل * قال المسيحي ولدت بالمغرب في ذى القعدة سنة خمس وثلثمائة ولما زالت الدولة عرفت هذه الدار بالامير نحر الدين چهاركس (٣) موسك ثم بالملك المفضل قطب الدين (٣) بن الملك المعادل فلما كان في شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث وثمانين وستائة شرع الملك المنصور قلاون الاثني في بنائها مارستانا ومدرسة وتربة وتولى عمارتها الامير علم الدين سنجر الشجاعى مدير الممالك ويقال ان ذرع هذه الدار عشرة آلاف وستائة ذراع

(أبواب القصر الغربى)

كان لهذا القصر عدة أبواب منها باب الساباط وباب التباين وباب الزمرذ
(باب الساباط) هذا الباب موضعه الآن باب سر المارستان المنصوري الذي يخرج منه

الآن الى الحرنشف وكان من الرسم أن يذبح في باب الساباط المذكور مدة أيام النحر وفي عيد الغدير عدة ذبائح تفرق على سبيل الشرف * قال ابن المأمون في سنة ست عشرة وخمسمائة وجملة ما نحره الخليفة الأمر بأحكام الله وذبحه خاصة في المنحر وباب الساباط دون المأمون وأولاده واخوته في ثلاثة الايام ألف وسبعمائة وستة وأربعون رأساً فذكر ما كان بالمنحر قال وفي باب الساباط مما يحمل الى من حوته القصور والى دار الوزارة والاصحاب والخواشي اثنتا عشرة ناقة وثمانية عشر رأس بقر وخمسة عشر رأس جاموس ومن الكباش ألف وثمانمائة رأس ويتصدق كل يوم في باب الساباط بسقط ما يذبح من النوق والبقر * وقال ابن عبد الظاهر كان في القصر باب يعرف بباب الساباط كان الخليفة في العيد يخرج منه الى الميدان وهو الحرنشف الآن لينحر فيه الضحايا

* (باب التبانين) * هذا الباب مكان باب الحرنشف الآن وجعل في موضعه دار العلم التي بناها الحاكم الآتي ذكرها ان شاء الله تعالى
* (باب الزمرذ) * كان موضع اصطبل القطبية قريباً من باب البستان الكافوري الموجود الآن * (ذكر دار العلم) *

وكان بجوار القصر الغربي من بحريه دار العلم ويدخل اليها من باب التبانين الذي هو الآن يعرف بقبو الحرنشف وصار مكان دار العلم الآن الدار المعروفة بدار الحضيرى الكتلة بدرب الحضيرى المقابل للجامع الاقمر ودار العلم هذه اتخذها الحاكم بأمر الله فاستمرت الى أن أبطلها الافضل بن أمير الحيوش * قال الامير المختار عز الملك محمد بن عبد الله المسيحى وفي يوم السبت هذا يعني العاشر من جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وثمانمائة فتحت الدار الملقبة بدار الحكمة بالقاهرة وجلس فيها الفقهاء وحمت الكتب اليها من خزائن القصور المعمورة ودخل الناس اليها ونسخ كل من التمس نسخ شيء مما فيها ما التمس وكذلك من رأى قراءة شيء مما فيها وجلس فيها القراء والمنجمون واصحاب النجوم والائمة والاطباء بعد أن فرشت هذه الدار وزخرفت وعلقت على جميع أبوابها وممراتها الستور وقيم قوام وخدام وفراشون وغيرهم وسموا بخدمتها وحصل في هذه الدار من خزائن أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله من الكتب التي أمر بحملها اليها من سائر العلوم والآداب والخطوط المنسوبة ما لم ير مثله مجتمعاً لاحد قط من الملوك وأباح ذلك كله لسائر الناس على طبقاتهم من يؤثر قراءة الكتب والنظر فيها فكان ذلك من المحاسن الماثورة أيضاً التي لم يسمع بمثله من اجراء الرزق السننى لمن رسم له بالجلوس فيها والخدمة لها من فقيه وغيره وحضرها الناس على طبقاتهم فمنهم من يحضر لقراءة الكتب ومنهم من يحضر للنسخ ومنهم من يحضر للتعلم وجعل فيها ما يحتاج الناس اليه من الحبر والاقلام والورق والمخابر وهي الدار المعروفة بمختار الصقابي

قال وفي سنة ثلاث وأربعمائة أحضر جماعة من دار العلم من أهل الحساب والمنطق وجماعة من الفقهاء منهم عبد الغني بن سعيد وجماعة من الأطباء الى حضرة الحاكم بأمر الله وكانت كل طائفة تحضر على انفرادها للمناظرة بين يديه ثم خلع على الجميع ووصلهم ووقف الحاكم بأمر الله أما كن في فسطاط مصر على عدة مواضع وضمنها كتابا ثبت على قاضي القضاة مالك بن سعيد وقد ذكر عند ذكر الجامع الأزهر وقال فيه وقد ذكر دار العلم ويكون العشر وثمان العشر لدار الحسكة لما يحتاج اليه في كل سنة من العيين المغربي مائتان وسبعة وخمسون دينارا من ذلك لثمان الحضر العبداني وغيرها لهذه الدار عشرة دنانير ومن ذلك لورق الكتاب يعني الناسخ تسعون دينارا ومن ذلك للخازن بها ثمانية وأربعون دينارا ومن ذلك لثمان الماء اثنا عشر دينارا ومن ذلك للفراش خمسة عشر دينارا ومن ذلك للورق والخبر والاقلام لمن ينظر فيها من الفقهاء اثنا عشر دينارا ومن ذلك لمرمة الستارة دينار واحد ومن ذلك لمرمة ما عسى أن يتقطع من الكتب وما عساه أن يسقط من ورقها اثنا عشر دينارا ومن ذلك لثمان لبود للفراش في الشتاء خمسة دنانير ومن ذلك لثمان طنافس في الشتاء أربعة دنانير * وقال ابن المأمون وفي هذا الشهر يعني شهر ذى الحجة سنة ست عشرة وخمسمائة جرت نوبة القصر وهي طويلة وأولها من الايام الافضلية وكان فيهم رجلان يسمى أحدهما بركات والآخر حميد بن مكي الاطفيحي القصار مع جماعة يعرفون بالبديعية وهم على الاسلام والمذاهب الثلاثة المشهورة وكانوا يجتمعون في دار العلم بالقاهرة فاعتمد بركات من جملةهم أن استفسد عقول جماعة وأخرجهم عن الصواب وكان ذلك في أيام الافضل فأمر لوقت بفلق دار العلم والقبض على المذكور فهرب وكان من جملة من استفسد عقله بركات المذكور استأذان من القصر فلما طلب بركات المذكور واسترددق الاستاذان الحيلة الى أن أدخلاه عندهما في زى جارية اشتريها وقاما بحقه وجميع ما يحتاج اليه وصار أهله يدخلون اليه في بعض الاوقات ففرض بركات عند الاستاذين فخارا في أمره ومداواته وتعدر عليهما احضار طبيب له واشتد مرضه ومات فأعملوا الحيلة وعرفا زمام القصر أن احدى عجائزها قد توفيت وأن عجائزها يغسلنها على عادة القصور ويشيعنها الى تربة النعمان بالقرافة وكتبا عدة من يخرج ففسح لهما في العدة وأخذوا في غسله واللباس ما أخذاه من أهله وهو ثياب معلمة وشاشية ومنديل وطيلسان مقور وأدرجوه في الدبقي وتوجه مع الثابوت الاستاذان المشار اليهما فلما قطعوا به بعض الطريق أرادا تكميل الاجر له على قدر عقولهما فقالا للحمالين هو رجل تربته عندنا فنادوا عليه نداء الرجال واكتموا الحال وهذه أربعة دنانير لكم فسر الحمالون بذلك فلما عادوا الى صاحب الدكان عرفوه بما جرى وقاسموه الدنانير تخافت نفسه وعلم أنها قضية لا تخفى فضى به الى الوالي وشرح له

القضية فأودعهم في الاعتقال وأخذ الذهب منهم وكتب مطالعة الحال فن أول ما سمع
القائد أبو عبد الله بن فاتك الذي قيل له بعد ذلك المأمون بالقضية وكان مدير الامور
في الايام الافضية قال هو بركات المطلوب وامر باحضار الاستاذين والكشف عن القضية
واحضار الحاملين والكشف عن القبر بحضورهم فاذا تحققوا أمرهم بلمنه فن أجاب الى
ذلك منهم أطلقوه ومن أنى أحضروه فحققوا معرفته ففهم من بصق في وجهه وتبرأ منه
وممنهم من هم بتقبيله ولم يتبرأ منه فجلس الافضل واستدعى والى والسياف واستدعى من
كان تحت الحوطة من أصحابه فكل من تبرأ منه ولمنه أطلق سبيله وبقي من الجماعة ممن لم
يتبرأ منه خمسة نفر وصبي لم يبلغ الحلم فأمر بضرب رقابهم وطاب الاستاذين فلم يقدر عليهم
وقال للصبي من لفظه تبرأ منه وأنم عليك وأطلق سبيلك فقال له الله يطالبك ان لم تلحقني
بهم فاني مشاهد ما هم فيه وأخذ بسيفه على الافضل فأمر بضرب عنقه فلما توفي
الافضل أمر الخليفة الأمر باحكام الله وزير المأمون بن البطاحي بتأخذ دار العلم وفتحها
على الاوضاع الشرعية ثم عاد حميد القصار المثنى بذكره وظهر وسكن مصر يدق الثياب بها
ويطلع الى دار العلم وأفسد عقل استاذ وخطاط وجماعة وادعى الربوبية فحضر الداعي ابن
عبد الحقيق الى الوزير المأمون وعرفه بان هذا قد تعرف بطرف من علم الكلام
على مذهب أبي الحسن الاشعري ثم انساخ عن الاسلام وسلك طريق الحلاج في التوبة
فاستهوى من ضعف عقله وقالت بصيرته فان الحلاج في أول أمره كان يدعى أنه داعية
المهدى ثم ادعى أنه المهدي ثم ادعى الالهية وأن الجن تخدمه وأنه أحياء عدة من الطيور
وكان هذا القصار شيعي الدين وجرت له امور في الايام الافضية ونفى دعة واعتقل اخرى
ثم هرب بعد ذلك ثم حضر وصار يواصل طلوع الجبل واستصحب من استهواه من أصحابه
فاذا أبعد قال لبعضهم بعد أن يصلي ركعتين نطلب شيئاً تأكله أصحابنا فيمضي ولا يلبث دون
أن يعود ومعه ما كان أعده مع بعض خاصته الذين يطمعون على باطنه فكانوا يهابونه
ويعظمونه حتى أنهم يخافون الائم في تأمل صورته فلا ينفكون مطرقين بين يديه وكان
قصيرا دميم الخالقة وادعى مع ذلك الربوبية وكان ممن اختص بحميد رجل خطاط وخصي
فرسم المأمون بالقبض على المذكور وعلى جميع أصحابه فهرب الخطاط وطاب فلم يوجد ونودي
عليه وبذل لمن يحضر به مال فلم يقدر عليه واعتقل القصار وأصحابه وقرروا فلم يقرروا
بشيء من حاله وبعد أيام تماوت في الحبس فلما استؤمر عليه أمر بدفنه فلما حمل ليدفن
ظهر أنه حي فأعيد الى الاعتقال وبقي كل من لم يتبرأ منه معتقلا ما خلا الخصي فإنه لم
يتبرأ منه وذكر أن القتل لا يصل اليه فأمر بقطع لسانه ورمى قدامه وهو مصر على
ما في نفسه فأخرج القصار والخصي ومن لم يتبرأ منه من أصحابه فصلبوا على الحشب وضربوا

بالنشاب فقاتوا لوقتهم ثم نودى على الحيايط ثانيا فاحضر وفعل به ما فعل بأصحابه بعد أن قيل له ها أنت تنظره فلم يبرأ منه وصاب الى جانبه وذكر أن بعض أصحاب هذا القصر ممن لم يعرف أنه كان يشترى السكافور ويرميه بالقرب من خشبته التي هو مصلوب عليها فيستقبل رائحته من سلك تلك الطريق ويتصدق بذلك أن يربط عقول من كان القصار قد أضله فأمر المأمون أن يحطوا عن الخشب وأن تخلط رممهم ويدفنوا متفرقين حتى لا يعرف قبر القصار من قبورهم وكان قتالهم في سنة سبع عشرة وخمسمائة وابتداء هذه القضية سنة ثلاث عشرة وخمسمائة قال وكان الشريف عبد الله يحدث عن صديق له مأمون القول أنه أخبره أنه لما شاع خبر هذا القصار وما ظهر منه أراد أن يمتحنه فتسبب الى أن خاطبه وصار في جملة أصحابه ومن يعظمه ويطلع معه الى الحيل فافسد عقله وغير معتقده وأخرجه عن الاسلام وأنه لاه على ذلك وردعه فحدثه بمجائب منها أنه قال والله ما من الجماعة الذين يطلعون معه الى الجبل أحد الا ويسأله ويستدعيه ما يريد على سبيل الامتحان فيحضره اليه لوقته وان بيده سكيناً لا تقطع الا بيده واذا أمسك طائراً وقبضه أحد من الحاضرين يدفع السكين التي معه له ويقول له اذهب فلا تمشي في يده فياخذها هو ويدبحها بها ويحرق دمه ثم يعود ويمسك بيده ويسرحه فيطير ويقول ان الحديد لا يعمل فيه ويوسع القول فيها يشاهده منه ويسمعه فلما اعتقل القصار بقى هذا الرجل مصراً على اعتقاده فلما قتل وخرج اليه وشاهده وتحقق موته علم أن ما كان فيه سحر وزور وانك فتصدق بجملة من مله وعاد الى مذهبه وصح معتقده* وقال ابن عبد الظاهر دار العلم كان الافضل بن أمير الجيوش قد أبطالها وهي بجوار باب التبانين وهي متصلة بالقصر الصغير وفيها مدفون الداعي المؤيد في الدين هبة الله بن موسى الاعجمي وكان لابطالها أمور سببها اجتماع الناس والخوض في المذاهب والخوف من الاجتماع على المذهب الزاري ولم يزل الخدام يتوصلون الى الخليفة الأمر بأحكام الله حتى تحدث في ذلك مع الوزير المأمون فقال أين تكون هذه الدار فقال بعض الخدام تكون بالدار التي كانت اولاً فقال المأمون هذا لا يكون لانه باب صار من جملة ابواب القصر وبرسم الحوائج ولا يمكن الاجتماع ولا يؤمن من غريب يتحصل به فأشار كل من الاستاذين بشيء فأشار بعضهم أن تكون في بيت المال القديم فقال المأمون يا سبحان الله قد منعنا أن تكون متاخة للقصر الكبير الذي هو سكن الخليفة فجعلها ملاصقة فقال الثقة زمام القصور في جوارى موضع ليس ملاصقا للقصر ولا مخالطاً له يجوز أن يعمر ويكون دار العلم فأجاب المأمون الى ذلك وقال بشرط أن يكون متولياها رجلا ديناً والداعي الناظر فيها ويقام فيها متصدرون بزعم قراءة القرآن فاستخدم فيها أبو محمد حسن بن آدم فتولواها وشرط عليه ما تقدم ذكره واستخدم فيها مقررئون

* (ذكر دار الضيافة) *

خرج مالك في الموطن عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنه قال كان إبراهيم عليه السلام أول من ضيف الضيف وأول من اتخذ دار ضيافة في الإسلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سنة سبع عشرة وأعد فيها الدقيق والسمن والسنبل وغيره وجعل بين مكة والمدينة من يحمل المنتظمين من ماء إلى ماء حتى يوصلهم إلى البلد فلما استخلف عثمان ابن عفان رضي الله عنه أقام الضيافة لابناء السبيل والمتعبدين في المسجد وأول من بنى دار الضيافة بمصر للناس عثمان بن قيس بن أبي العاص السهمي أحد من شهد فتح مصر من الصحابة وكان ميدان القصر الغربي الذي هو الآن آخر نشف دار الضيافة بحارة رجوان وكانت هذه الدار أولاً تعرف بدار الاستاذ رجوان وفيها كان يسكن حيث الموضع المعروف بحارة رجوان ثم لما قدم أمير الجيوش بدر الجمالي في أيام الخليفة المستنصر من عكا واستبد بأمر الدولة أنشأ هناك داراً عظيمة وسكنها ولم يسكن بدار الديباج التي كانت دار الوزارة القديمة فلما مات أمير الجيوش بدر واستولى سلطنة ديار مصر ابنه الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش وأنشأ دار القباب التي عرفت بدار الوزارة الكبرى قريباً من رحبة باب العيد أقر أخاه أبا محمد جعفر المنعوت بالمظفر بن أمير الجيوش بدار أمير الجيوش من حارة رجوان فعرفت بدار المظفر وما زال بها حتى مات وقبر بها وإلى اليوم قبره بها وتسميه العامة جعفر الصادق ولما مات المظفر اتخذت داره المذكورة دار ضيافة برسم الرسل الواردين من الملوك واستمرت كذلك إلى أن انقرضت الدولة فأنزل بها السلطان صلاح الدين أولاد المعاضد إلى أن نقلهم إلى قلعة الجبل الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أبوب فلما كان في سنة تسع وسبعين وستائة تقدم أمر الملك المنصور قلاوون لوكيل بيت المال القاضي مجد الدين عيسى بن الحشاش ببيع دار المظفر فباع القاعة الكبرى وما هو من حقوقها وبيعت دار المظفر الصغرى وهدمها الناس وبنوا في مكانها دوراً وموضعها الآن دار قاضي القضاة شمس الدين محمد الطراباسي الحنفي وما بجوارها إلى الدار التي بها سكنى اليوم وهي من حقوق دار المظفر الصغرى على ما في كتبها القديمة ولما أنشأ قاضي القضاة شمس الدين المذكور داره في سنة سبع أو سنة ثمان وثمانين وسبع مائة ظهر من تحت الأرض عند حفر الأساس حجر عظيم قيل أنه عتبة دار المظفر الكبرى وكان إذ ذاك الأمير جهار كس الحلبي يتولى عمارة مدرسة الملك الظاهر برقوق التي في خط بين القصرين فلما بلغه خبر هذا الحجر بعث إليه وأمر بحجره إلى العمارة فعمل عتبة باب المزملة التي للمدرسة وكان من وراء هذه الدار رحبة الأيالي أدركتها مساحة ثم عمر فيها * قال ابن الطوير الخدمة المعروفة بالنيابة للقاء المرسلين وهي خدمة جليلة يقال لمثولها النائب وينعت بعدى الملك وهو ينوب عن صاحب الباب في لقاء الرسل الوافدين

على مسافة وانزال كل واحد في دار تصالح له ويقم له من يقوم بخدمته وله نظير في دار الضيافة وهو يسمى اليوم بمهمندار ورتب لهم ما يحتاجون اليه ولا يمكن أحدا من الاجتماع بهم ويذكر صاحب الباب بهم ويبالغ في تبحر ما وصلوا فيه وهو الذي يسلم بهم أبدا عند الحليفة ولوزير وينفذ بهم ويستأذن عليهم ويدخل الرسول وصاحب الباب قابض على يده اليمنى والنائب سيده اليسرى فيحفظ ما يقولون وما يقل لهم ويحتمد في انفصالهم على أحسن الوجوه وبين يديه من الفراشين المقدم ذكرهم عدة لاعاته واذا غاب أقام عنه نائباً الى أن يعود وله من الجارى خمسون ديناراً في كل شهر وفي اليوم نصف قطار خبز وقد يهدى اليه المرسلون طرفاً فلا يتناولها الا باذن انتهى * وفي هذه الدولة التركية يقال لمتولى هذه الوظيفة مهمندار ولا يلبسها عندهم الا صاحب سيف من الامراء العثمراوات وكانت في الدولة الفاطمية على ما ذكره ابن الطوير لا يلبسها الا أعيان المدول وأرباب العمائم وينمت أبداً بعدى الملك وأصل هذه الكلمة بالفارسية مهمان دار (ومعناها ملتي الضيوف)

(* ذكر اصطبل الحجرية *)

وكان بجوار دار الضيافة اصطبل الصبيان الحجرية المقدم ذكرهم وموضع هذا الاصطبل اليوم يعرف بخان الوراقه داخل باب الفتوح القديم بسوق المرحلين على يسرة من أراد الخروج من باب الفتوح القديم تجاه زيادة الجامع الحاكمي ومن حقوق هذا الاصطبل أيضاً الموضع الذي فيه الآن القيسارية المعروفة بقيسارية الست التي هي اليوم تجاه المدرسة الصيرمية والجلون الصغير وكانت بهذا الاصطبل خيول الصيادين الحجرية احدى طوائف العساكر في زمن الخلفاء الفاطميين

(* ذكر مطبخ القصر *)

وكان بجوار القصر الغربي قبالة باب الزهومة من القصر الكبير مطبخ القصر وموضعه الآن الصاغة تجاه المدارس الصالحية ولما كانت مطبخاً كان يخرج اليه من باب الزهومة وذكر ابن عبد الظاهر أنه كان يخرج من المطبخ المذكور مدة شهر رمضان ألف ومائتا قدر من جميع ألوان الطعام تفرق كل يوم على أرباب الرسوم والضماة

(* درب السلسلة *) وكان بجوار مطبخ القصر درب السلسلة قال ابن الطوير ويبيت خارج باب القصر في كل ليلة خمسون فارساً فاذا أذن بالعشاء الآخرة داخل القاعة وصلى الامام الراتب بها بالمقيمين فيها من الاستاذين وغيرهم وقف على باب القصر أمير يقسال له سنان الدولة ابن الكركندي فاذا علم بفراغ الصلاة أمر بضرب التوابات من الطبل والبوق ولواقيهما من عدة وافرة بطرائق مستحسنة مدة ساعة زمانية ثم يخرج بعد ذلك أساندرسم هذه الخدومة فيقول أمير المؤمنين يرد على سنان الدولة السلام فيصقع ويفرس حربة على

الباب ثم يرفعها بيده فاذا رفعها أغلق الباب وسار حوالى القصر سبع دورات فاذا انتهى ذلك جمل على الباب البياتين والفراشين المقدم ذكرهم وانصرف المؤذنون الى خزائهم هناك وترى السلسلة عند المضيق آخر بين القصرين من جانب السيوفيين فينقطع المار من ذلك المسكن الى أن تضرب النوبة سجرا قرب الفجر فتصرف الناس من هناك بارتفاع السلسلة * وقال ابن عبد الظاهر درب السلسلة الذى هو الآن الى جانب السيوفيين كانت عنده سلسلة منه الى قبائه تعلق كل يوم من الظهر حتى لا يعبر راكب تحت القصر وهذا الدرب يعرف بسنان الدولة بن الكركندى وهذا الدرب هو المختص بالتقفيزة وهذه التقفيزة أمرها مستظرف لا من قبل الحسن بل من قبل التمتع من العقول ولها خمسة أوقات وهى ليالى العيدين وغرة السنة وغرة شهر رمضان ويوم فتح الخليج وهو أنه يقف راكباً في وسط الزلافة التي لباب الذهب قبالة الدار القطبية فيخرج اليه السلام من الخليفة ثم يخدم الرهية ثم يصعد على كندرة باب الزهومة وقدامه دواب المظلة بمنة ويسرة والرهية تخدم وأرباب الضوء مستخدمو الطارق على السلسلة فاذا كان الطرف وصلوا اليه واجتمعت الرهية كلهم وركب فرسا وعليه ثياب حسنة وكشف عن رايته وأخذ بيده رحا واجتمعت الرهية حوله ويعبر مشورا وأولئك خلفه بالصراخ والصياح بشعار الامام ثم يسير بذلك الجمع وخيل المظلة الى أبواب القصر فيقف عند كل باب تخدم الرهية الى أن يعودوا الى باب الذهب ثم الى دار الوزارة للهناء فلم يزالوا كذلك الى ولاية ابن الكركندى فبطلت هذه السنة فى الايام الآمربة وصاحب التقفيزة ممن وصل آباؤه بحبة المعز لدين الله من بلاد المغرب فكانت هذه سنتهم

(ذكر الدار المأمونية) *

وكان بجوار درب السلسلة الدار المأمونية وهى المدرسة السيوفية وكانت هذه الدار سكن المأمون بن البطائحي وعرفت قديما بقوام الدولة حبوب ثم جددتها المأمون محمد بن فاتك * (المأمون البطائحي) * هو أبو عبد الله محمد ابن الامير نور الدولة أبي شجاع فاتك ابن الامير منجد الدولة أبي الحسن مختار المستنصرى اتصل بخدمة الافضل بن أمير الجيوش في شهر شوال سنة احدى وخمسمائة عند ما تغير على تاج المعالى مختار الذى كان اصطنعه ونظم أمره وسلم اليه خزائن أمواله وكسواته وسلم ما كان بيده من الخدمة لمحمد بن فاتك فتصرف فيها وقرر له الافضل ما كان باسم مختار من المين خاصة دون الاقطاع وهو مائة دينار في كل شهر وثلاثون دينارا عن جارى الخزائن مضافا الى الاصناف الاربعة مياومة ومشاهرة ومسانة فحسن عند الافضل موقع خدمته فاعتمد عليه وسلم له جميع أموره وصرفه في كل أحواله فلما كثر عليه الشغل استعان باخويه أبي تراب حيدرة وأبي الفضل

جعفر فأطلق الافضل لهما ما وسع به عليهما من المياومة والمشاهرة والمساهمة ونعمته الافضل بالقائد فصار يخاطب بالقائد ويكتب به وصار عنده بمنزلة الاستادار فلما قتل الافضل ليلة عيد الفطر من سنة خمس عشرة وخمسمائة قام القائد أبو عبد الله بن فاتك لخدمة الخليفة الآمر بإحكام الله وأطلعه على أموال الافضل وبالغ في مناصحته حتى لقد اتهم أنه هو الذي دبر في قتل الافضل بإشارة الخليفة فخلع عليه الآمر في مستهل ذي القعدة بمجلس اللعبة من القصر وهو المجلس الذي يجلس فيه الخليفة ولم يخاع قبله على أحد فيه وحل المنطقة من وسطه وخاع على ولده وحل منطقته وخاع على اخوته واستمر تنفيذ الامور اليه الى أن استهل ذو الحجة ففى يوم الجمعة ثابته خلع عليه من الملابس الخاص في فرد كم مجلس اللعبة طوق ذهب مرصع وسيف ذهب كذلك وسلم على الخليفة وتقدم الامر للامراء وكافة الاستاذين المحنكين بالخروج بين يديه وأن يركب من المكان الذي كان الافضل يركب منه ومشى في ركابه القواد على عادة من تقدمه وخرج بثمريف الوزارة ودخل من باب العيد راكباً ووصل الى داره فضاءف الرسوم وأطلق الهبات فلما كان يوم الاثنين خامس اجتمع الامراء بين يدي الخليفة وأحضر السجل في لفافة خاص مذهب فسامه الخليفة له من يده فقبله وسامه لزمم القصر فأمره الخليفة بالجلوس الى جانبه عن يمينه وقرئ السجل على باب المجلس وهو أول سجل قرئ هناك وكانت سجلات الوزراء قبل ذلك تقرأ بالايوان ورسم للشيخ أبي الحسن بن أبي أسامة كاتب الدست أن ينقل نسبة الامراء والمحنكين من الآمري الى المأموني وكذا الناس أجمع ولم يكن أحد ينتسب الى الافضل ولا لأمير الجيوش وقدمت له الدواة فعمل في مجلس الخليفة ونعت بالسيد الاجل المأمون تاج الخلافة ووجيه الملك فخر الصنائع ذخير أمير المؤمنين عز الاسلام فخر الانام نظام الدين أمير الجيوش سيف الاسلام ناصر الانام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين وكان يجلس بداره في يومي الاحد والاربعاء للراحة والنفقة في العسكر البساطية الى الظهر ثم يرفع النفقة ويحط السباط ويجلس بعد العصر والكتاب بين يديه فينفق في الراجل الى آخر النهار وفي يوم الجمعة يطلق للمقرئين بحضرته خمسة دنانير ولكل من هو مستمر القراءة على باب من الضعفاء والاجراء مما هو ثابت بأسمائهم خمسمائة درهم ولبقية الضعفاء والمساكين خمسمائة درهم أخرى فاذا توجه يوم الجمعة الى القرافة يكون المبلغ المذكور مستقرا لاربابه ولم يزل الى ليلة السبت الرابع من رمضان سنة تسع عشرة وخمسمائة فقبض الآمر المذكور عليه وعلى اخوته الخمسة مع ثلاثين رجلا من خواصه وأهله واعتقله ثم صلبه مع اخوته في سنة اثنتين وعشرين * قيل ان سبب القبض عليه ما بلغ الآمر عنه أنه بعث الى الأمير جعفر بن المستعلى بغريه بقتل أخيه ليعقبه مكانه في الخلافة وكان الذي بلغ الآمر ذلك الشيخ أبا الحسن بن أبي أسامة وبلغه

ايضا عنه أنه سير نجيب الدولة أبا الحس الى اليمن ليضرب سكة عليها الامام المختار محمد بن نزار وذكر عنه أنه سم شيئاً ودفعه لقصاد الخليفة فتم عايه القصاد وكان مولد المأمون في سنة ثمان وسبعين وأربعمئة وكان من ذوى الآراء والمعرفة الثامة بتدبير الدول كريم واسع الصدر سفا كالدماء كثير التحرز والتطلع الى معرفة أحوال الناس من العامة والخبند فكثير الوشاة في أيامه

(*) حبس المعونة (*) وكان بجوار الدار المأمونية حبس المعونة وموضعه اليوم قيسارية الغبر قال ابن المأمون في سنة سبع عشرة وخمسة تقدم أمر المأمون الى والييين بمصر والقاهرة باحضار عرفاء السفائين وأخذ الجميع على المتعشين منهم بالقاهرة بحضورهم متى دعت الحاجة اليهم ليلا وهارا وكذلك يعتمد في القريين وأن يبيتوا على باب كل معونة ومهم عشرة من الفعلة بالطوارى والمساحي وأن يقوموا لهم بالعشاء من أموالهما بحكم فقرهم انتهى وكان حبس المعونة هذا يسجن فيه أرباب الجرائم كما هو اليوم السجن المعروف بخزانة شمائل وأما الامراء والاعيان فيسجنون بخزانة البنود كما تقدم ولم يزل هذا الموضع سجنا مدة الدولة الفاطمية ومدة دولة بنى أبوب الى أن عمره الملك المنصور قلاون قيسارية أسكن فيها الغبرانيين في سنة ثمانين وستة

(*) ذكر الحسبة ودار العيار (*)
 وكان بجوار حبس المعونة دكة الحسبة ومكانها اليوم يعرف بالابازرة ومكسر الخطب بجوار سوق القصارين والفتحامين * قال ابن الطوير وأما الحسبة فان من تسند اليه لا يكون الا من وجوه المسلمين وأعيان المعدلين لانها خدمة دينية وله استخدام النواب عنه بالقاهرة ومصر وجميع أعمال الدولة كنواب الحكم وله الجلوس بجامعي القاهرة ومصر يوما بعد يوم ويطوف نوابه على أرباب الحرف والمعاش ويأمر نوابه بالختم على قدور الهراسين ونظر لحظهم ومعرفة من جزاره وكذلك الطباخون ويتبعون الطرقات ويمنعون من المضايقة فيها ويلزمون رؤساء المراكب أن لا يحملوا أكثر من وسق السلامة وكذلك مع الخمالين على البهائم ويأمرون السقائين بتغطية الروايا بالاكسية ولهم عيار وهو أربعة وعشرون دلو كل دلو أربعون رطلا وأن يابسوا السراويلات القصيرة الضابطة لعوراتهم وهى زرق ويندرون معاهى المكاتب بأن لا يضربوا الصبيان ضربا مبرحا ولا في مقتل وكذلك معاهى العموم بتحذيرهم من التعزيز بأولاد الناس ويقفون على من يكون سيئ المعاملة فيهنونه بالردع والادب وينظرون المسكيلين والموازين والمحتسب النظر في دار العيار ويخضع عليه وبقرأ سجله بمصر والقاهرة على المنبر ولا يحال بينه وبين مصلحة اذا رآها والولاية تشد معه اذا احتاج الى ذلك وجا به ثلاثون دينارا في كل شهر انتهى * وكان لالعيار مكان يعرف بدار

العيار تعير فيه الموازين بأسرها وجميع الصنح وكان ينفق على هذه الدار من الديوان السلطاني فيما يحتاج اليه من الاصناف كالنحاس والحديد والخشب والزجاج وغير ذلك من الآلات وأجر الصناع والمشارفين ونحوهم ويحضر المحتسب أونائبه الى هذه الدار ليعير المعمول فيها بحضوره فان صح ذلك أمضاه والا أمر باعادة عمله حتى يصح وكان بهذه الدار أمثلة يصحح بها العيار فلا تباع الصنح والموازين والا كيال الا بهذه الدار ويحضر جميع الباعة الى هذه الدار باستدعاء المحتسب لهم ومعهم موازينهم وصنجهم ومكاييلهم فتعير في كل قليل فان وجد فيها الناقص استهلك وأخذ من صاحبه لهذه الدار وألزم بشراء نظيره مما هو محرر بهذه الدار والقيام ثمنه ثم سوح الناس وصار يلزم من يظهر في ميزانه أو صنجه خلل باصلاح ما فيها من فساد فقط والقيام باجرته فقط وما زالت هذه الدار باقية جميع الدولة الفاطمية فلما استولى صلاح الدين على الساطية أقر هذه الدار وجعلها وقفا على سور القاهرة مع ما كان جاريا في أوقاف السور من ارباع والنواحي الجارية في ديوان الاسوار وما زالت هذه الدار باقية

* (اصطبل الجميزة) * وكان بجوار القصر الغربي من قبله اصطبل الجميزة من جانب باب السباط الذي هو الآن باب سر المارستان المنصوري وقيل له اصطبل الجميزة من أجل أنه كان في وسطه شجرة جميز كبيرة وكان موضع هذا الاصطبل تجاه من يخرج من باب السباط فينزل من الحجرة التي هي الآن تجاه باب سر المارستان المتوصل منها الى حارة زويلة ويمتد فيها حاذاه يسارك اذا وقفت بأول هذه الحجرة حيث الطاحون الكبيرة التي هي الآن في أوقاف المارستان وما وراءها ويحاذيها الى الموضع المعروف اليوم بالبندقاين وكانت بئر تعرف ببئر زويلة وعليها ساقية تنقل الماء اشرب الخيول وموضع هذا البئر اليوم قيسارية تعرف بقيسارية يونس تجاه درب الانجب وقد شاهدت هذه البئر لما أنشأ الأمير يونس الدواidar هذه القيسارية والربع علوها فرأيت بئرا كبيرة جدا وقد عقد على فوهتها عقد ركب فوقه بعض القيسارية وترك منها شيء ومنها الآن الناس تسقى بالدلاء وما زال هذا الاصطبل باقيا الى أن انقرضت الدولة الفاطمية فحُكِرَ وبني في مكانه الآدر التي هي موجودة الآن وكره جار في أوقاف الصلاح الأزبكي وقد تقدم ذكر هذا الاصطبل عند ذكر اصطبل الطارمة فانظر رسومه هناك

* (دار الديباج) * وكان بجوار اصطبل الطارمة من غربيه دار الديباج وهي حيث المدرسة الصاحية بسويقة الصاحب وما جاورها من جانبها وما خلفها الى الوزيرية وكانت هي دار الوزارة القديمة وأول من أنشأها الوزير يعقوب بن يونس بن كلثوم وزير العزيز بالله ثم سكنها الوزير الناصر لدين قاضي القضاة وداعي الدعاة علم المجد أبو محمد الحسن بن

على بن عبد الرحمن البازورى وما زالت سكن الوزراء الى أن قدم أمير الجيوش بدر الجملاني من عكا ووزره المستنصر وصار وزيراً مستبداً فأنشأ داره بحجارة برجوان وسكنها وسكن من بعده ابنه الافضل بن أمير الجيوش بدار القباب التي عرفت بدار الوزارة الكبرى وصارت هذه الدار تعرف بدار الديباج لانه يعمل فيها الحرير الديباج ويتولاها الامائل والاعيان فمن ولها أبو سعيد بن قرقة الطيب متولى خزائن السلاح وخزائن السروج والصناعات فلما انقرضت الدولة الفاطمية خي الناس في مكان دار الديباج المدرسة السيفية وماوراءها من المواضع التي تعرف أماكنها اليوم بدرب الحريري وما جاور هذا الدرب الى المدرسة الصاحبية وما بجوارها وما هو في ظهرها فصار يعرف خط دار الديباج في زمننا بحط سويقة الصاحب

(الاهراء السلطانية) وكانت اهراء الفلال السلطانية في دولة الخلفاء الفاطميين حيث المواضع التي فيها الآن خزائن شتائل وما وراءها الى قرب الحارة الوزيرية * قال ابن الطوير وأما الاهراء فانها كانت في عدة أماكن بالقاهرة هي اليوم اصطبلات ومناخات وكانت تحتوى على ثلثمائة ألف اردب من الغلات وأكثر من ذلك وكان فيها مخازن يسمى أحدها بغدادي وآخر الفول وآخر القرافة ولها الحماة من الامراء والمشارفين من العدول والمراكب واصلة اليها بأصناف الغلات الى ساحل مصر وساحل المقيس والحميلون يحملون ذلك اليها بالرسائل على يد رؤساء المراكب وأمنائها من كل ناحية سلطانية وأكثر ذلك من الوجه القبلي ومنها اطلاق الاقوات لأرباب الرتب والخدم وأرباب الصدقات وأرباب الجوامع والمساجد وجرايات العبيد السودان بتمريفات وما ينفق في الطواحين برسم خاص الخليفة وهي طواحين مدارها سفلى وطواحينها علو حتى لا تقارب زبل الدواب ويحمل دقيقتها للخاص وما يختص بالجهاث في خرائط من شفق حلبيية ومن الاهراء تخرج جرايات رجال الاسطول وفيها ماهو قديم يقطع بالمساحي ويحلط في بعض الجرايات بالجديد بجرايات المذكورين وجرايات السودان ومنها ما يستدعي بدار الضيافة لاختبار الرسل ومن يتبعهم وما يعمل من القمح برسم الكعك ليزاد الاسطول فلا يقتر مستخدموها من دخل وخروج ولهم جامكية مميزة وجرايات برسم أقواتهم وشعير لدوابهم وما يقبض من الواصلين بالفلال الامايمائل العيون الختومة معهم والاذرى وطلب المعجز بالنسبة * وذكر ابن المأمون أن غلات الوجه القبلي كانت تحمل الى الاهراء وأما الاعمال البحرية والبحيرة والجزيرتان وانغربية والكفور والاعمال الشرقية فيحمل منها اليسير ويحمل باقيةا الى الاسكندرية ودمياط وتيسر ليسير الى ثغر عسقلان وثر صور وانه كان يسير اليهما في كل سنة مائة وعشرون ألف اردب منها لعسقلان خمسون ألفاً ولصور سبعون ألفاً فيصير هناك ذخيرة ويباع منها عند الغنى عنها قال وكان

متحصل الديوان في كل سنة ألف ألف أردب * وذكر جامع السيرة البازورية أن المتجر كان يقام به للديوان من الغلة وأن الوزير أبا محمد البازورى قال للخليفة المستنصر وهو يومئذ يتقلد وظيفة قاضى القضاة وقد قصر النيل في سنة أربع وأربعين وأربعمائة ولم يكن بالخازن السلطانية غلال فاشتدت المسغبة بأمر المؤمنين أن المتجر الذى يقام بالغلة فيه أوفى مضرة على المسامين وربما أقحط السعر من مشتراها ولا يمكن بيعها فتتغير في الخازن وتختلف وأنه يقام متجر لا كلفة فيه على الناس ويفيد أضعاف فائدة الغلة ولا يخشى عليه من تغير في الخازن ولا انحطاط سعر وهو الصابون والحشب والحديد والرصاص والعسل وما أشبه ذلك فأمضى الخليفة ما رآه واستمر ذلك ودام الرخاء على الناس وتوسعوا

* (ذكر المناظر التي كانت للخلفاء الفاطميين ومواضع نزهمهم وما كان لهم فيها من أمور جميلة) * وكان للخلفاء الفاطميين مناظر كثيرة بالقاهرة ومصر والروضة والقرافة وبركة الحبش وظواهر القاهرة وكانت لهم عدة منزهات أيضاً فمن مناظرهم التي بالقاهرة منظره الجامع الأزهر ومنظره المؤلوة على الخليج ومنظره الدكة ومنظره المنقس ومنظره باب الفتوح ومنظره البعل ومنظره التاج والحس وجوه ومنظره الصناعة بمصر ودار الملك ومنازل العز والهودج بالروضة ومنظره بركة الحبش والاندلس بالقرافة وقبة الهواء ومنظره السكره وكان من منزهاتهم كسر خليج أبي المنجا وقصر الورد بالخرقانية وبركة الحب

* (منظره الجامع الأزهر) * وكان بجوار الجامع الأزهر من قبله منظره تشرف على

الجامع الأزهر يجالس الخليفة فيها لمشاهدة ليالى الوقود

* (ذكر ليالى الوقود) * قال المسيحي في حوادث شهر رجب من سنة ثمانين وثلثمائة وفيه خرج الناس في لياليه على رسمهم في ليالى الجمع وليلة النصف الى جامع القاهرة يعني الجامع الأزهر عوضاً عن القرافة وزيد فيه في الوقيد على حافات الجامع وحول صحنه التناير والقناديل والشمع على الرسم في كل سنة والاطعمة والحلوى والبخور في مجامر الذهب والفضة وطيف بها وحضر القاضى محمد بن النعمان في ليلة النصف بالمقصورة ومعه شهوده ووجوه البلد وقدمت اليه سلال الحلوى والطعام وجلس بين يديه القراء وغيرهم والمنشدون والناحة وأقام الى نصف الليل وانصرف الى داره بعد أن قدم الى من معه أطعمة من عنده وبخرهم * وقال في شعبان وكان الناس في كل ليلة جمعة وليلة النصف على مثل ما كانوا عليه في رجب وأزيد وفي ليلة النصف من شعبان كان للناس جمع عظيم بجامع القاهرة من الفقهاء والاقراء والمنشدين وحضر القاضى محمد بن النعمان في جميع شهوده ووجوه البلد ووقدت التناير والمصابيح على سطح الجامع ودور صحنه ووضع الشمع على المقصورة وفي مجالس العلماء وحمل اليهم العزيز بالله الاطعمة والحلوى والبخور فكان جمعاً عظيماً * قال وفي شهر رجب

سنة اثنتين وأربعمئة قطع الرسم الجارى من الخبز والحموى الذى يقام في هذه الثلاثة الاشهر لمن سببت بجامع القاهرة في ليالى الجمع والانصاف وحضر قاضى القضاة مالك بن سعيد الفارقي الى جامع القاهرة ليلة النصف من رجب واجتمع الناس بالقرافة على ماجرت به رسومهم من كثرة اللعب والمزاح * روى الفاكهي في كتاب مكة أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يصيح في أهل مكة ويقول يا أهل مكة أوقدوا ليلة هلال المحرم فأوضحوا لغيرهم الحاج بيت الله واحرسوهم ليلة هلال المحرم حتى يصبحوا وكان الامر على ذلك بمكة في هذه الليلة حتى كانت ولاية عبد الله بن محمد بن داود على مكة فأمر الناس أن يوقدوا ليلة هلال رجب فيحرسوا عمار أهل اليمن ففعلوا ذلك في ولايته ثم تركوه بعد * وفي ليلة النصف من رجب سنة خمس عشرة وأربعمئة حضر الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله أبو هاشم على بن الجاكم بأمر الله ومعه السيدات وخدم الخاصة وغيرهم وسائر العامة والرعايا فجلس الخليفة في المنظرة وكان في ليلة شعبان أيضاً اجتماع لم يشهد مثله من أيام العزيز بالله وأوقدت المساجد كلها أحسن وقيد وكان مشهداً عظيماً بعد عهد الناس بمثله لان الحاكم بأمر الله كان أبطل ذلك فانتقطع عمله * وقال ابن المأمون ولما كانت ليلة مستهل رجب يعنى من سنة ست عشرة وخمسمائة عمات الاسمطة الجارى بها العادة وجلس الخليفة الأمر بأحكام الله عليها والاجل المأمون الوزير ومن جرث عادته بين يديه وأظهر الخليفة من المسرة والاشراح ما لم تجربه عادته وبالغ في شكر وزيره واطرائه وقال قد أعدت لدولتي بهجتها وحدثت فيها من المحاسن ما لم يكن وقد أخذت الايام نصيبها من ذلك وبقيت الليالى وقد كان بها مواسم قد زل حكمها وكان فيها توسعة وبر ونفقات وهى ليالى الوقود الاربع وقد آن وقتهن فأشتمى نظره من فامتثل الامر وتقدم بأن يحمل الى القاضى خمسون ديناراً يصرفها في ثمن الشمع وأن يعتمد الركوب في الاربع الليالى وهى ليلة مستهل رجب وليلة نصفه وليلة مستهل شعبان وليلة نصفه وأن يتقدم الى جميع الشهود بأن يركبوا صحبته وأن يطلق للجوامع والمساجد توسعة في الزيت برسم الوقود ويتقدم الى متولى بيت المال بأن يهتم برسم هذه الليالى من أصناف الحلوات مما يجب برسم القصور ودار الوزارة خاصة * وقال في سنة سبع عشرة وخمسمائة وفي الليلة التي صيحتها مستهل رجب حضر القاضى أبو الحجاب يوسف بن أيوب المغربي ووقع له بما استجد اطلاقه في العام الماضى وهو خمسون ديناراً من بيت المال لاتباع الشمع برسم أول ليلة من رجب واستدعى ما هو برسم التبعيتين احدهما للمقصورة والاخرى للدار المأمونية بحكم الصيام من مستهل رجب الى سابع رمضان ما يصنع في دار الفطرة خشكناج صغير وبسندود في كل يوم قنطار سكر ومثقالان مسكا وديناران مؤنة وكان يطلق في أربع ليالى الوقود برسم الجوامع الستة

الأزهر والاقمر والانور بالقاهرة والطولوني والعتيق بمصر وجامع القرافة والمشاهد التي
تضمنت الاعضاء الشريفة وبعض المساجد التي لازبها واجهة جملة كبيرة من الزيت الطيب
ويختص بجامع راشدة وجامع ساحل الغلة بمصر والجامع بالمقس يسير قال ولقد حدثني
القاضي المكي بن حيدرة وهو من أعيان الشهود أن من جملة الخدم التي كانت بيده مشاركة
الجامع العتيق وأن القومة بأجمعهم كانوا يجتمعون قبل ليلة الوقود بمدة إلى أن يكملوا ثمانية
عشر ألف قتيلة وأن المطلق برسمه خاصة في كل ليلة يرسم وقودا أحد عشر قطارا ونصف
قطار زيت طيب وذكر ركوب القاضي والشهود في الليلة المذكورة على جاري العادة قال
وتوجه الوزير المأمون يوم الجمعة ثاني الشهر بموكبه إلى مشهد السيدة نفيسة وما بعده من
المشاهد ثم إلى جامع القرافة وبعده إلى الجامع العتيق بمصر وقدم معروفا لجميع الفضلاء
وقومة المساجد والمشاهد وصلى الجمعة وعند انقضاء الصلاة أحضر إليه الشريف الخطيب
المصنف الذي بخط أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه فوقع باطلاق ألف دينار
من ماله وأن يصاغ عليه فوق حلية الفضة حلية ذهب وكتب عليه اسمه وفي الخامس عشر
من الشهر المذكور ليلة الوقود جرى الحال في ركوب القاضي وشهوده على الترتيب الذي
تقدم في أول الشهر ولما وصل إلى الجامع وجدته قد عي في الرواق الذي عن يمين الخارج
منه سباط كهك وخشكان وخشكان وخشكان وخشكان عليه بشهوده ونهبه الفقراء والمساكين وتوجه
بعده إلى ما سواه من جامع القرافة وغيره فوجد في رواق الجامع المذكور سباطا مثل السباط
المذكور فأعتمد فيه على ما ذكره وله أيضا رسم صدقة في هذا النصف للفقراء وأهل الربط
ما يفرقه القاضي عشرة دنانير يفرقها القاضي * وقال ابن الطوير إذا مضى النصف من
جمادى الآخرة وكان عدده عندهم تسعة وعشرين يوما أمر أن يسبك في خزائن دار
أفتكين ستون شمعة وزن كل شمعة منها سدس قطار بالمصري وحملت إلى دار قاضي
القضاة لركوب ليلة مستهل رجب فإذا كان بعد صلاة العصر من ذلك اليوم أهتم الشهود
أيضا فتنهم من يركب بثلاث شمعات إلى اثنين إلى واحدة ويمضي أهل مصر منهم إلى
القاهرة فيصلون المغرب في الجوامع والمساجد ثم ينتظرون ركوب القاضي فيركب من
داره بهيئته وأمامه الشمع المحمول إليه موقودا مع المندوبين لذلك من القراشين من
الطبقة السفلى من كل جانب ثلاثون شمعة وبينهما المؤذنون بالجوامع يذكرون الله تعالى
ويدعون للخليفة والوزير بترتيب مقدر محفوظ ويندب في حجبه ثلاثة من نواب الباب
وعشرة من الحجاب خارجا عن حجاب الحكم المستقرين وعدتهم خمسة في زى
الامراء وفي ركابه القراء يطربون بالقراءة والشهود وراءه على الترتيب في جلوسهم بمجلس
الحكم الاقدم فالأقدم وحوالي كل واحد ماله من شمع فيشقون من أول شارع فيه دار

القاضي الى بين القصرين وقد اجتمع من العالم في وقت جوازهم ما لا يحصى كثرة رجالا ونساء وصبياناً بحيث لا يعرف الرئيس من المرسوم وهو مارة الى أن يأتي هو والشهود باب الزمرذ من أبواب القصر في الرحبة الوسيمة تحت المنطرة العالية في السعة العظيمة من الرحبة المذكورة وهي التي تقابل درب قراصيا فيحضر صاحب الباب ووالى القاهرة والقراء والخطباء كما شرحنا في المواليد الستة ويترجلون تحتها ريثما يجلس الخليفة فيها وبين يديه شمع ويبين شخصه ويحضر بين يديه الخطباء الثلاثة ويخطبون كلوا ليد ويذكرون استهلال رجب وأن هذا الركوب علامته ثم يسلم الاستاذ من الطاقة الاخرى استفتاحا وانصرافا كما ذكرنا ثم يركب الناس الى دار الوزارة فيدخل القاضي والشهود الى الوزير فيجلس لهم في مجلسه ويسلمون عليه ويخطب الخطباء أيضا بأخف من مقام الخليفة ويدعون له ويخرجون عنه فيشق القاضي والجماعة القاهرة وينزل على باب كل جامع بها ويصلى ركعتين ثم يخرج من باب زويلة طالبا مصر بغير نظام ووالى القاهرة في خدمته اليوم مستكثرا من الاعوان والحفظة في الطرقات الى جامع ابن طولون فيدخل القاضي اليه لاصلاة فيجد والى مصر عنده للقاء القوم وخدمتهم فيدخل المشاهد التي في طريقه أيضا فاذا وصل الى باب مصر ترتب كما ترتب في القاهرة وصار شاقا الشارع الأعظم الى باب الجامع من الزيادة التي يحكم فيها فيوقد له النور الفضة الذي كان معاقا فيه وكان مليحا في شكله وتعليقه غير منافر في الطول والعرض واسع التدوير فيه عشر مناطق في كل منطقة مائة وعشرون بزاوية وفيه سروات بارزة مثل النخيل في كل واحدة عدة بزاوية تقرب عدة ذلك من ثلثمائة ومعاق بدائر سفله مائة قنديل نجمية ويخرج له الحاكم فان كان ساكنا بمصر استقر بها وان كان ساكنا بالقاهرة وقف له والى القاهرة بجامع ابن طولون فيودعه والى مصر ويسير معه والى القاهرة الى داره فاذا مضى من رجب أربعة عشر يوما ركب ليلة الخامس عشر كذلك وفيه زيادة طلوعه بعد صلاته بجامع مصر الى القرافة ليصلى في جامعها والناس يجتمعون له لينظروه ومن معه في كل مكان ولا يملون من ذلك فاذا انقضت هذه الليلة استدعي منه الشمع ليكمل بعضه حتى يركب به في أول شعبان ونصفه على الهيئة المذكورة والاسواق معمورة بالحلواء ويتفرغ الناس لذلك هذه الاربعة الليالي

(* منظره اللؤلؤة *) وكان للخلفاء الفاطميين منظره تعرف بقصر اللؤلؤة ومنظره اللؤلؤة على الخليج بالقرب من باب القنطرة وكان قصرا من أحسن القصور وأعظمها زخرفة وهو أحد منزهات الدنيا المذكورة فانه كان يشرف من شربه على البستان السكافورى ويطل من غربيته على الخليج وكان غربي الخليج اذ ذاك ليس فيه من المباني شيء وانما كان فيه بساتين عظيمة وبركة تعرف ببطن البقرة فيري الجالس في قصر اللؤلؤة جميع ارض

الطبالة وسائر أرض اللوق وما هو من قبلها ويرى بحر النيل من وراء البساتين * قال ابن ميسر هذه المنظرة بناها العزيز بالله ولما ولي برجوان وزارة الحُكْم بأمر الله بعد أمين الدولة ابن عمار السكتامي سكن بمنظرة اللؤلؤة في جادى الأولى سنة ثمان وثمانين وثمانمائة الى أن قتل وفي السادس والعشرين من ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعمائة أمر الحاكم بأمر الله بهدم اللؤلؤة ونهبها فهدمت ونهبت وبيع ما فيها * وقال المسيحي وفي سادس عشر ربيع الآخر يعني سنة اثنتين وأربعمائة أمر الحاكم بأمر الله بهدم الموضع المعروف باللؤلؤة على الخليج موازاة المقس وأمر بنهب أنقاضه فنهبت كلها ثم قبض على من وجد عنده شيء من نهب أنقاض اللؤلؤة واعتقلوا * وقال ابن المأمون ولما وقع الاهتمام بسكن اللؤلؤة والمقام فيها مدة النيل على الحُكْم الاول بنى قبل وزارة أمير الجيوش بدر وابنه الافضل أمر بإزالة ما لم تكن العادة جارية به من مضائقها بالبناء ولما بدت زيادة النيل وعول الخليفة الأمر بأحكام الله على السكنى باللؤلؤة أمر الاجل الوزير المأمون بأخذ جماعة الفراشين الموقوفين برسم خدمتها بالمبيت بها على سبيل الحراسة لا على سبيل السكنى بها وعند ما بلغ النيل ستة عشر ذراعاً أمر بإخراج الخليم وعند ما قارب النيل الوفاء تحوّل الخليفة في الليل من قصوره بجميع جهاته وأخوته وأعمامه والسيدات كرائمه وعماته الى اللؤلؤة وتحول المأمون الى دار الذهب وأسكن الشيخ ابا الحسن محمد بن أبي أسامة الغزالية على شاطئ الخليج وسكن حسام الملك حاجب الباب داره على الخليج وأمر متولى المعونة أن يكشف الأدر المطلة على الخليج قبلى اللؤلؤة ولا يمكن أحداً من السكنى في شيء منها الا من كان له ملك ومن كان ساكناً بالأجرة ينقل ويقام بالأجرة لرب الملك ليسكن بها حواشى الخليفة مدة سنة وقرر من التوسعة في النفقات وما يكون برسم المستخدمين في المديتات ما يختص برواتب القصور مدة المقام في اللؤلؤة في أيام النيل مياومة من الغنم والحيوان وجميع الاعناف وهى جملة كبيرة وأمر متولى الباب أن يندب في كل يوم خروف شواء وقصائر خبز وكذلك جميع الدروب من بحرسها ويطلق لهم برسم الغداء مثل ذلك وتكون نوبة دائرة بينهم وبقية مستخدمي الركاب ملازمون لآبواب القصر على رسمهم وفي يومى الركوب يجتمعون للخدمة الا من هو في نوبته فيما رسم له وأمر متولى زمام الممالك الخنافس أن يكونوا باجمعهم حيث يكون الخليفة وفي الليل يبيت منهم عدة برسم الخدمة تحت اللؤلؤة ولهم في كل يوم مثل ما تقدم والرهية تنقسم قسمين أحدهما على أبواب القصور والآخر على أبواب اللؤلؤة وأصحاب الضوء مثل ذلك وقرر للجماعة المقسّم ذكرها في الليل عن رسم المبيت وعن ثمن الوقود ما يخرج اليهم مختوماً بأسماء كل منهم ويعرضهم متولى الباب في كل ليلة بنفسه عند رواحه وعوده وكذلك ما يختص بدار الذهب من الحرس عايتها من

باب سعادة ومن باب الخوخة ولهم رسوم كما تقدم لغيرهم والمتفرجون يخرجون كل ليلة للترفة عليهم ويقومون الى بعض الليل حتى ينصرفوا من غير خروج في شئ من ذلك عما يوجب الشرع وفي يومي السلام يمضي الخليفة من قصوره بحيث لا يراه الا استاذوه وخواصه الى قاعة الذهب من القصر الكبير الشرقي ويحضر الوزير على عادته اليه فيكون السلام بها على مستمر العادة والاسمطة بها في يومي الاثنين والجميس وتكون الركوبات من الاولولة في يومي السبت واشلاثاء الى المنزهات * وقال في سنة سبع عشرة وخمسمائة ولما جرى النيل وبلغ خمسة عشر ذراعا أمر باخراج الخيام والمضارب الدقيق والديباج وتحول الخليفة الامر بأحكام الله الى الاولولة بحاشيته وأطلقت التوسمة في كل يوم لما يخص الخاص والجهات والاستاذين من جميع الاصناف وانضاف اليها ما يطلق كل ليلة عينا وورقا وأطعمة للبياتين بالنوبة برسم الحرس بالنهار والسهر في طول الليل من باب القنطرة بمادار الى مسجد الليمونة من اثنين من صبيان الخاص والركاب والرحمة والسودان والحجاب كل طائفة بنقيبها والعرض من متولى الباب واقع بالعدة في طرفي كل ليلة ولا يمكن بمضهم بعضا من المنام والرحمة تخدم على الدوام وتحول الوزير المأمون الى دار الذهب وأطلقت التوسمة والحال في اطلاق الاسمطة لهم في الليل والنهار مستمر * وقال ابن عبد الظاهر المنظرة المعروفة بالاولولة على بر الخليج بناها الظاهر لاعزاز دين الله ابن الحاكم يعني بعد ما هدمها ابوہ الحاكم وكانت مدة لثرة الخلفاء وكان التوصل اليها من القصر يعني القصر الغربي من باب مراد وأظنه فيما ذكره لى علم الدين بن مماتي الوراق أنه شاهد في كتب دار ابن كوخيا العتيقة أنه بابها وكانت عادة الخلفاء أن يقيموا بها أيام النيل ولما حصل التوهم من التزارية والحشيشية قبل تصرفهم لاسما اصغر سن الخليفة وقلة حواشيه أمر بسد باب مراد المذكور الذي يتوصل منه الى السكافورى والى الاولولة وأسكن في بعضها فراشين لحفظها فاذا كان في صبيحة كسر الخابج استوذن الافضل بن أمير الجيوش في فتح باب مراد الذي يتوصل منه الى الاولولة وغيرها فيفتح ويروح الخليفة ليتفرج هو وأهله من النساء ثم يعود ويسد الباب هذا الى آخر أيام الافضل لما راجع الوزير المأمون في ذلك سارع اليه فأصلحت وأزيل ما كان أنشئ قبالتها على ما سيذكر في مكانه ان شاء الله تعالى ومات بقصر الاولولة من خلفاء افاطميين الامر بأحكام الله والحافظ لدين الله والفائز وحملوا الى القصر الكبير الشرقي من السرايب ولما قدم نجم الدين أيوب بن شاذى من الشام على ولده صلاح الدين يوسف وخرج الخليفة العاضد لدين الله الى لقائه بصحراء الهلباج باخر الحسينية عند مسجد تبر أنزل بمنظرة الاولولة فسكنها حتى مات في سنة سبع وستين وخمسمائة واتفق أن حضر يوما عنده الفقيه نجم الدين عمارة البني والرضى أبو سالم يحيى الاحدب بن

أبي حصيبة الشاعر في قصر اللؤلؤة بعد موت الخليفة العاضد فأشدد ابن أبي حصيبة نجم الدين أيوب فقال

يا مالك الارض لا أرضى له طرفا * منها وما كان منها لم يكن طرفا
قد عجل الله هذى الدار تسكنها * وقد أعد لك الجنات والغرفا
تشرفت بك عمن كان يسكنها * فالبس بها العز وتلبس بك الشرقا
كانوا بها صدقا والدار لؤلؤة * وأنت لؤلؤة صارت لها صدقا
فقال الفقيه عمارة يرد عليه

أنت يا من هجا السادات والخلفا * وقت ما قلته في ثلبهم سخفا
جعاتهم صدقا حلوا بلؤلؤة * والعرف ما زال سكنى اللؤلؤة الصدقا
وأنما هي دار حل جوهرهم * فيها وشف فاسناها الذى وصفا
فقال لؤلؤة عجبا ببهجتها * وكونها حوت الأشراف والشرقا
فهم بسكناهم الآيات اذ سكنوا * فيها ومن قبلها قد أسكنوا الصخفا
والجوهر الفرد نور ليس بمرفه * من البرية لا كل من عرفا
لولا تجسمهم فيه لكان على * ضعف البصائر الابصار مختظفا
فالكلب يا كلب اسنى منك مكربة * لان فيه حفاظا دائما ووقا

فله در عمارة لقد قام بحق الوفاء ووفى بحسن الحفاظ كما هي عادته لا جرم أنه قتل في واجب من يهوى كما هي سنة المحيين فله يرحمه ويجاوز عنه

* (منظرة الغزاة) * وكان بجوار منظرة اللؤلؤة منظرة تعرف بالغزاة على شاطئ الخليج تقابل حمام ابن قرقة وقد خربت هذه المنظرة أيضاً وموضعها الآن تجاه باب جامع ابن المغربى الذي من ناحية الخليج وقد خربت أيضاً حمام ابن قرقة وصار موضعها فندقاً بجوار حمام السلطان التي هناك يعرف بفندق عماد وموضع منظرة الغزاة اليوم ربيع يعرف بربع غزاة الى جانب قطرة الموسيقى في الحد الشرقى وكان يسكن بهذه المنظرة الامير أبو القاسم ابن المستنصر والد الحافظ لدين الله ثم سكنها أبو الحسن بن أبي أسامة كاتب الدست وكان بعد ذلك ينزلها من يتولى الخدمة في الطراز أيام الخلفاء * قال ابن المأمون لما ذكر تحول الخليفة الأمر بأحكام الله الى اللؤلؤة وأسكن الشيخ أبا الحسن بن أبي أسامة كاتب الدست الغزاة التي على شاطئ الخليج ولم يسكن أحد فيها قبله من يجري مجراه ولا كانت الاسكن الامير أبي القاسم ولد المستنصر والد الامام الحافظ قال وأما ما يذكره الطراز فالحكم فيه مثل الاستيثار والشائع فيها أنها كانت تشتمل في الايام الافضل على أحد وثلاثين ألف دينار فمن ذلك السلف خاصة خمسة عشر ألف دينار قيمة الذهب العراقي والمصري ستة عشر

ألف دينار ثم اشتمت في الايام الماء ونيسة على ثلاثة وأربعين ألف دينار وتضاعفت في الايام الامرية * وقال ابن الطوير الخدمة في الطراز وينعت بالطراز الشريف ولا يتولاه الا اعيان المستخدمين من ارباب العمام والسيوف وله اختصاص بالخليفة دون كافة المستخدمين ومقامه بدمياط وتيس وغيرها وجاريه أمير الجوارى وبين يديه من المندوبين مائة رجل تنفيذ الاستعمالات بالقرى وله عشاري دتماس مجرد معه وثلاثة مراكب من الدكاسات ولها رؤساء ونوابية لا يبرحون ونفقاتهم جارية من مال الديوان فاذا وصل بالاستعمالات الخاصة التي منها المظلة وبدلتها والبدنة واللباس الخاص الجمي وغيره هي بكراسة عظيمة وتنب له دابة من مراكب الخليفة لا تزال تحته حتى يعود الى خدمته وينزل في الغزاة على شاطيء الخليج وكانت من المناظر السلطانية وجددها شعاع بن شاور ولو كان لصاحب الطراز في القاهرة عشرة دور لا يمكن من نزوله الا بلغزاة وتجري عليه الضيافة كالغرباء الواردين على الدولة فيتمثل بين يدي الخليفة بعد حمل الاسقاط المشدودة على تلك الكساوى العظيمة ويعرض جميع ما معه وهو ينسبه على شئ فشيئ بيد فراشي الخاص في دار الخليفة مكان سكنه ولهذا حرمة عظيمة ولا سيما اذا وافق استعماله غرضهم فاذا انقضى عرض ذلك بالدرج الذي يحضره سلم لمستخدم الكسوات وخلع عليه بين يدي الخليفة باطنا ولا يخلع على أحد كذلك سواء ثم ينكفي الى مكانه وله في بعض الاوقات التي لا يتسع له الانفصال نائب يصل عنه بذلك غير غريب منه ولا يمكن أن يكون الا ولداً أو أخافان الرتبة عظيمة والمطابق له من الجامكية في الشهر سبعون ديناراً ولهذا النائب عشرون ديناراً لانه يتولى عنه اذا وصل بنفسه ويقوم اذا غاب في الاستعمال مقامه ومن أدواته أنه اذا عي ذلك في الاسقاط استدعى والى ذلك المكان ليشاهده عند ذلك ويكون الناس كلهم قياماً لحلول نفس المظلة وما يابها من خاص الخليفة في مجلس دار الطراز وهو جالس في مرتبة والوالى واقف على رأسه خدمة لذلك وهذا من رسوم خدمته وميزتها

* (دار الذهب) * وكان بجوار الغزاة دار الذهب وموضعها الآن على يسره الخارج من باب الخوخة فيما بينه وبين باب سعادة وكانت مطلة على الخليج وفي مكانها اليوم دار تعرف ببهادر الاعسر وبقي منها عقد بجوار دار الاعسر يعرف الآن بقبو الذهب من خطة بين السورين * قال ابن المأمون لما ذكر تحول الخليفة الأمر بأحكام الله الى اللؤلؤة ثم أحضر الوزير المأمون وكيله أبا البركات محمد بن عثمان وأمره أن يمضي الى دارى الفلك والذهب اللتين على شاطيء الخليج فالدار الاولى التي من حيز باب الخوخة بناها فلك الملك وذكر أنه من الاستاذين الحاكمة ولم تكن تعرف الابدار الفلك ولما بنى الافضل ابن أمير الحيوش الدار الملاصقة لها التي من حيز باب سعادة وسماها دار الذهب غلب الاسم

على الدارين ويصلح ما فسد منهما ويضيف اليهما دار الشابورة وذكر أن هذه الدار لم تسم بهذا الاسم إلا لأن جزءاً منها بيع في أيام الشدة في زمن المستنصر بشابورة قال وعند مقارب النيل الوفاء تحول الخليفة في الليل من قصوره بجميع جهاته وأخوته وأعمامه والسيدات كرائمه وعماته إلى اللؤلؤة وتحول الأجل المأمون بالأجلاء أولاده إلى دار الذهب وما أضيف إليها * وقال ابن عبد الظاهر دار الذهب بناها الأفضل بن أمير الجيوش وكانت عادة الأفضل أن يستريح بها إذا كان الخليفة باللؤلؤة يكون هو بدار الذهب وكذلك كان المأمون من بعده وكان حرس دار الذهب يسلم للوزيرية من باب سماعة يسلم لهم ومن باب الخوخة للمصامدة أرباب الشعور وصبيان الخاص وكان المقرر لهم في كل يوم سباطين أحدهما بقاعة الفلك للممالك الخاص والحاشية وأرباب الرسوم والآخرون على باب الدار يرسم المصامدة حتى أنه من اجتاز ورأى أنه يجلس معهم على السباط لا يمنع والضعفاء والعصاليك يقعدون بمدحهم وفي أول الليل يمثل ذلك ولكل منهم رسم لجميع من بيت من أرباب الضوء إلى الأعلى

* (منظر السكرة) * وكان من جملة مناظر الخلفاء منظره تعرف بمنظر السكرة في بحر الخليج الغربي يجلس فيها الخليفة يوم فتح الخليج وكان لها بستان عظيم بناها العزيز بالله ابن المعز وقد دثرت هذه المنظره وبشبه أن يكون موضعها في المكان الذي يقال له اليوم المريس قريباً من قنطرة السد وكانت السكرة من جنات الدنيا المزخرفة وفيها عدة أماكن معدة لنزول الوزير وغيره من الاستاذين

* (ذكر ما كان يعمل يوم فتح الخليج) *

قال ابن زولاق في كتاب سيرة المعز لدين الله وفي ذى القعدة يعني من سنة اثنتين وستين وثلثمائة وهي السنة التي قدم فيها الخليفة المعز لدين الله إلى القاهرة من بلاد المغرب ركب المعز لدين الله عليه السلام لكسر خليج القنطرة فكسر بين يديه ثم سار على شاطئ النيل حتى بلغ إلى بني وائل ومر على سطح الجرف في موكب عظيم وخافه وجوه أهل الدولة ومعه أبو جعفر أحمد بن نصر يسير معه ويعرفه بالمواضع التي يجتاز عليها ونجحت له الرعاية بالدعاء ثم عطف على بركة الحبش ثم على الصحراء على الخندق الذي حفره القائد جوهر ومر على قبر كافور وعلى قبر عبد الله بن أحمد بن طبا طباً الحسنى وعرفه به ثم عاد إلى قصره * وذكر الأمير المسيحي في تاريخه الكبير ركوب العزيز بالله بن المعز وركوب الحاكم بأمر الله بن العزيز وركوب الظاهر لأعزاز دين الله بن الحاكم في كل سنة لفتح الخليج * وقال ابن المأمون في سنة ست عشرة وخمسمائة وعند ما بلغ النيل ستة عشر ذراعاً أمر بإخراج الخليم وأن يضرب الثوب الكبير الأفضل المعروف بالقاتول وهو أعظم ما في الحاصل بأربعة دهاينز

وأربع قاعات خارجاً عن القاعة الكبيرة ومباحته على ما ذكر ألف ألف ذراع وأربعمائة ذراع بالذراع الكبير خارجاً عن سرادقه وعمود القاعة الكبيرة منه ارتفاعه خمسون ذراعاً ولما كمل استعماله في أيام الأفضل ونصب تأذى منه جماعة ومات رجلان فسمى بالقاتول لاجل ذلك وما زال لا يضرب الا بحضور المهندسين وتنصب له أساقيل عدة بأخشاب كثيرة والمستخدمون يكرهون ضربه ويرغبون في ضرب أحد الثوبين الجيوشيين وان كانا عظيمين الا انهما لا يصلان بجملتهما الى مقياسه ولا مؤنثه ولا صنفه وأقام هذا الثوب في الاستعمال عدة سنين مع جمع الصناعات عليه وما يضرب منه سوى القاعة الكبيرة لا غير وأربعة الدهاليز وبعض السرادق الذي هو سور عليه لضيق المكان الذي يضرب فيه وكونه لا يسعه بجملته قال ووصلت كسوة موسم فتح الخليج وهي ما يختص بالخليفة وأخيه وبعض جهاته والوزير * فأما ما يختص بالخليفة خاصة فبدلة شرحها بدنة طميم منديل سلفه مائة وعشرون ديناراً وأحد طرفيه ثلاثة عشر ذراعاً ذهباً عراقياً دجاً لوحاً واحداً والثاني ثلاثة أذرع سلفه أربعة وعشرون ديناراً ثوب طميم سلفه خمسون ديناراً والذهب الذي في الثوب والمنديل والحللك ألف دينار وخمسة دنانير فتكون جملتها بالسلف ألف دينار ومائة وخمسة وسبعين ديناراً شاشية طميم للسلف ديناران وسبعون قصبة ذهباً عراقياً فتكون جملة سلفها وقيمة ذهبها ثمانية دنانير منديل سلام سلفه ديناران وسبعون قصبة قيمة كذلك وسط برسم المنديل بخوص ذهب سلفه اثنا عشر ديناراً وسبعون قصبة قيمة ذلك عشرون ديناراً شقة ديبقى وسطاني حريري السلف اثنا عشر ديناراً غلالة ديبقى حريري السلف عشرة دنانير منديل كم مذهب السلف خمسة دنانير وما ساق قصبة وأربع قصبات ذهباً عراقياً قيمة ذلك خمسة وعشرون ديناراً منديل كم ثمان حريري خمسة دنانير حجره أربعة دنانير عرضي لفافة خاص خمسة دنانير وستة عشر مثقالاً ذهباً مصرياً فتكون سلفه وذهبه خمسة وعشرين ديناراً عرضي ثمان برسم تقطية التخت دينار واحد ونصف تحت ثمان ضمنه بدلة خاص حريري برسم العود من السكره شرحها منديل حريري سلفه ستون ديناراً وسط شرب رسمه اثنا عشر ديناراً شقة ديبقى وكه عشرون ديناراً شقة وسطاني اثنا عشر ديناراً غلالة خمسة عشر ديناراً غلالة عشرة دنانير منديل سلام ديناران منديل كم خمسة دنانير منديل كم ثمان أيضاً خمسة دنانير شاشية حريري ديناران حجره أربعة دنانير عرضي لفافة خمسة دنانير عرضي ثمان برسم لفافة التخت دينار واحد ونصف * قال ورأيت شاهداً أن قيمة كل حلة من هذه الحلل وسلفها اذا كانت حريري ثلثمائة وستة دنانير واذا كانت مذهبة ألف دينار واختصر ما باسم أبي الفضل جعفر أخي الخليفة وأربع جهات * وأما ما يختص بالوزير فبدلة مذهبة شرحها منديل سلفه سبعون ديناراً وخمسمائة وسبعون قصبة عراقية جملة سلفه وذهبه

مائة وأربعة عشر ديناراً شقة ديبقى وكم السلف ستة عشر ديناراً وثمانية وعشرون مثقالاً ذهباً عالياً تكون جملة ذلك خمسين ديناراً نصف شقة ديبقى وسطاني اثنا عشر ديناراً ونصف شقة وسطاني برسم العود ثلاثة دنانير غلالة ديبقى سبعة دنانير ونصف شقة برسم الغلالة ديناران ونصف منديل كم سبعة دنانير واثنا عشر مثقالاً ذهباً تكون قيمته تسعة عشر ديناراً حجره ثلاثة دنانير عرضي أربعة دنانير وأحد عشر مثقالاً تكون سلفه وذهبه سبعة عشر ديناراً ثم ذكر بعد ذلك ما يكون لجهة الوزير وما يكون برسم صبيان الحمام وما يفصل برسم الممالك الخاص صبيان الرايات والرماح خمسمائة شقة سقلاطون داري تكون قيمتها سبعمائة وخمسين قباء يحمل منها برسم غلمان الوزير مائة قباء ويفرق جميع ذلك قال ولم يكن لاحد من الاصحاب والخواشي وغيرهم في هذا الموسم شيء فيذكر بل لهم من الهبات المئين والرسوم الخارجة عن ذلك ما يأتي ذكره في موضعه وفي صبيحة هذا الموسم خلع على ابن أبي الرداد وعلى رؤساء المراكب وغيرهم وحمل الى المقياس برسم المبيت وركوب الخليفة تجملته ومواكبهم الى السكرة مافصله وبينه مما يطول ذكره * وقال في سنة سبع عشرة وخمسمائة ولما جرى النيل وباع خمسة عشر ذراعاً أمر باخراج الحيام والمضارب الديبق والديباج وتحول الخليفة الى اللؤلؤة بحاشيته وتحول المأمون الى دار الذهب ووصات كسوة الموسم المذكور من العراز وان كانت يسيرة العدة فهي كثيرة القيمة ولم تكن للعموم من الحاشية والمستخدمين بل للخليفة خاصة واخوته وأربع من خواص جهاته والوزير وأولاده وابن أبي الرداد فلبسوا في النيل ستة عشر ذراعاً ركب الخليفة والوزير الى الصناعة بمصر ورميت المشاريات بين أيديهما ثم عديا في احداها الى المقياس وصليا وزل الثقة صدقة ابن أبي الرداد منزلته وحقاق العامود وعاد الخليفة على فوره وركب البحر في المشارى الفضى والوزير صحبته والرهية تخدم برا وبحرا والعساكر طول البر قبالة الى أن وصل الى المقس ورتب الموكب وقدم المشارى بالخليفة الأمر بأحكام الله والوزير المأمون وسار الموكب والرهية تخدم والصدقات والرسوم تفرق ودخل من باب القنطرة وقصد باب العيد واعتمد ماجرت به العادة من تقديم الوزير وترجله في ركابه الى أن دخل من باب العيد الى قصره وتقدم بالخلع على ابن أبي الرداد بدلة مذهبة وثوب ديبقى حريري وطيلسان مقور وياض مذهب وشقة سقلاطون وشقة تحتاني وشقة خز وشقة ديبقى وأربعة أكياس دراهم ونشرت قدامه الاعلام الخاص الديبق المحاومة بالالوان المختلفة التي لا ترى الاقدامه لانها من جملة تجمل الخليفة وأطلق له برسم المبيت من البخور والشموع والانغام والحلاوات كثير * قال وهيئت المقصورة في منظر السكرة برسم راحة الخليفة وتغيير ثيابه وقد وقعت المبالغة في تمليقها وفرشها وتجميلها وقدم بين يديه الصواني الذهب التي وقع التناهي فيها من

همم الجهات من أشكال الصور الآدمية والوحشية من الفيلة والزرافات ونحوها المعمولة من الذهب والفضة والعنبر والمرسين المشدود والمظفور عليها المكل بالؤلؤ والياقوت والزبرجد من الصور الوحشية ما يشبه الفيلة جميعها غير معجون كخليفة الفيل وناباه فضة وعيناه جوهرتان كبيرتان في كل منهما مسمار ذهب مجرى سواده وعليه سرير منجور من عود يتسكك فضة وذهب وعليه عدة من الرجال ركبان وعليهم اللبوس تشبه الزرديات وعلى رؤسهم الخود وبأيديهم السيوف المجردة والدرق وجميع ذلك فضة ثم صور السباع منجورة من عود وعيناه ياقوتتان حراوان وهو على فريسته وبقية الوحوش وأصناف تشد من المرسين المكل بالؤلؤ شبه الفاكمة * قال ومن جملة ما وقع الاهتمام به في هذا الموسم ماصار يستعمل في الطراز وان لم يتقدم نظيره للولائم التي تتخذ برسم تغطية الصواني عدة من عراضى ديبقى ثم قوارات شرب تكون من تحت العراضى على الصواني مفتوح كل قوارة منهن دون أربعة أشبار سلف كل واحدة منهن خمسة عشر دينارا ورقم في كل منهن سحجف ذهب عراقى ثمنه من أربعين الى ثلاثين دينارا تكون الواحدة بخمسين دينارا ويستعمل أيضا برسم الطرح من فوق القوارات الاسكندراني التي تشد على الموائد التي تحمل من عند كل جهة قوارات ديبقى مقصور من كل لون محمولة بالرقم الحريرى مفتوح كل قوارة أربعة أذرع يكون الثمن عن كل واحدة أربعين دينارا ولقد بيعت عدة من القوارات الشرب فسارع التجار العراقيون الى شرائها ونهاية ما بلغ ثمن كل واحدة منهن ستة عشر دينارا وسافروا بها الى البلاد فلم يبيع لهم منها سوى اثنتين وعادوا بالبقية الى الديار المصرية في سنة ست وثمانين وخمسمائة وحفظوا منهن شيئا عن السوق فلم يحفظ لهم رأس ما هن قال وكان ماتقدم من الزبادى فى الطيافير من الصينى الى آخر أيام الافضل بن أمير الجيوش وأيام المأمون وانما استجذبت الاواني الذهب فى أواخر الايام الآسرية والذي يعنى بين يدى الخليفة قوائمىة ضمنها عدة من الطيافير المحمولة بالمرافع الفضة برسم الاطباق الحارة وليس فى المواسم مائدة بغير سباط للامراء ويجلس عليها الخليفة غير هذا الموسم وان كان يجرى مجرى الاعياد وله البخور مطلق مثلها وينفرد بالجلوس معه المجلساء المميزون والمستخدمون وعند كمال تقيتها ونحوها جلس الخليفة عليها عن يمينه وزيره وعن يساره أخوه ومن شرف بحضوره وفي آخرها فرق منها ما جرت به العادة على سبيل البركة * وقال فى سنة ثمان عشرة وخمسمائة ووصلت الكسوة المختصة بفتح الخليج وهى برسم الخليفة تحتان ضمنهما بدلتان احدها منديلها وثوبها طميم برسم المضى والاخرى جميعها حريرى برسم العود وكذلك ما يخص اخوته وجهاته بدلتان مذهبتان وأربع حائل مذهبة وبرسم الوزير بدلة موكبة مذهبة فى تحت وبرسم أولاده الثلاثة ثلاث بدلات مذهبة وبرسم جهته حلة مذهبة فى تحت وهؤلاء

المميزون لكل منهم تحت وبقة ما يخص المستخدمين وابن أبي الرداد في تحوت كل تحت فيه عدة بدلات وحضر متولى الدفتر واستأذن على ما يحمل برسم الخليفة وما يفرق وما يفصل برسم الخلع وما يخرج من حاصل الخزائن غير الواصل وهو ما يفصل برسم الغلمان الخاص عن سبعمائة قباء خمسمائة وشفتان سقلاطون داري وبرسم رؤساء العشارى من الشقق الدمياطي والمناديل السوسى والفوط الحرير الاحمر وبرسم الثواني التى برسم الخاص من العشارية من الشقق الاسكندراني والكلونات فوق بانفاق جميع ذاك وتفصيل ما يجب منه ثم ابتيع ذلك بمطالبة ثانية برسم ما هو مستمر العموم من النقد العين والورق للموسم المذكور وهو من العين أربعة آلاف وخمسمائة دينار ومن الورق خمسة عشر ألف درهم فوقع باطلاق ذلك وذكر تفصيل الكسوات والهبات بأسماء أربابها وحضر متولى المائدة الآمرية بمطالبة يستدعى ماجرت به العادة في هذا الموسم من الحيوان والضأن والبقر وغير ذلك من الاصناف برسم التفرقة والاسمطة وحضر متولى دار التعبية يستدعى ما يتباع به الثمرة والزهرة وهيئة المتبعين لتعبية السكرة لاجل حلول الركاب بها ومقامه فيها وتعبية جميع مقاصيرها التى برسم الاستاذين والاصحاب والخواشى وهو مائة دينار فوقع باطلاقها وفي العاشر من الشهر المذكور يعني شهر رجب وفي النيل ستة عشر ذراعا فتوجه المأمون الى صناعة العماثر بمصر ورميت العشاريات بين يديه وقد جددت وزيت جميعها بالسور الديبقي الملونة والكواخج والاهلة الذهب والفضة وشمل الانعام أبواب الرسوم على عادتهم وعدى في احدى العشاريات الى المقياس وخلق العمود بما جرت به عادتهم من الطيب وقرت رسوم الاطلاق وانكفاً الى دار الذهب وأمر باطلاق ما يخص المبيت في انقياس بجميع الشهود والمتصدرين وهى العشرات من الخبز عشرة قناطير وعشرة خراف شوى وعشر جامات حىوى وعشر شمعات وأول من يحضر المبيت الشريف الخطيب سيد المقرين وامام المتصدرين وله ولاجماعة من الدراهم التى تفرق أوفى نصيب قال وخرج الخليفة بزي الخلافة ووقارها وناموسها بالياب الطميم التى تذهل الابصار والمنديل بالشدة العربية التى يتفرد لباسها في الاعياد والمواسم خاصة لاعلى الدوام وكانت تسمى عندهم شدة الوقار مرصعة بغالي الياقوت والزمرد والجوهر وعند لباسها تحفى لها الاعلام ويحجب الكلام وبها ولا يكون سلام قريب منه وخليل غير الوزير الا بتقيل الارض من بعيد من غير دنو ثم بين يديه من مقدمي خزانته من يحمل سيفه ورحمه المرصعين بأخضر ما يكون ثم المذاب التى كل منها عمودها ذهب ويتفرد بحمام الصقالبة ويمشى بين الصفين المرتبين راجلا على بسط حرير فرشت له وكل من الصفين يتناهي في مواصلة تقيل الارض الى أن وصل الى مجلس خلافته وصعد على الكرسي الممشى بالديباج المنصوب برسم ركوبه وقد صفت الرواض وأزمة الاصطبلات خيل المظلة بعد أن أزال

الاغشية الحرير والشقق الديبقي المذهبة عن السروج وبقيت كما وصفها الله تعالى في كتابه
 قدّم اليه ما وقع اختياره عليه وأمر بأن يجنب البقية في الموكب بين يديه ولما علما قدّم
 اليه استفتح مقرئوا الحضرة وتسلم جميع مقدمي الركاب ركابه والرواض الشكيمة وزال حكم
 الاستاذين المستخدمين في الركاب وعادت الموالى والاقارب الى محالهم واستدعى بالوزير
 بجميع نعمته فواصل تقبيل الارض الى أن قبل ركابه وشرفه بتقبيل يديه بحكم خلوها من
 قضيب الملك في هذه المواسم ولما أدى ما يجب من فرض السلام أخذ السيف من الامير
 افتخار الدولة أحد الامراء الاستاذين المميزين المحنكين متولى خزانة الكسوة الخاص
 وسامه بعد أن قبله لاختيه الذي يتولى حمله في الموكب بعد أن أرخيت عذبتة تشريفاً له
 مدة حمله خاصة وترفع بعد ذلك وشد وسطه بالمنطقة الذهب تأديبا وتمظيها لما معه وسلم
 الرمح والدرقة لمن يتولى حملهما بلواء الموكب ولم يكن للخدمة المذكورة عذبة مرخاة ولا
 منطقة واستدعى ركوب الوزير وأولاده من عند باب قاعة الذهب وخرج الخليفة من القاعة
 المذكورة الى أول دهليز فتلقته جماعة صبيان ركابه العشرة المقدمين أرباب الميمنة والميسرة
 وصبيان وراء صبيان الرسائل وصبيان السلام كل منهم في الخدمة المعينة لا يخرج عنها لسواها
 وجميعهم بالمناديل الشروب المعلمة وبأوساطهم العراض التي يتبقي المقصورة وليس الجميع عبيدا
 بشراء ولا سودان بل مولدة وأولاد أعيان وأهل فهم ولسان ثم احتاط بركابه بعدهم من
 هو على غير زعيم بل بالقنايين المفرجة والمناديل السوسي وهم المتولون لحمل السلاح الخاص
 الذي لا يكون الا في موكبهم خاصة على الاستمرار من الصواري والفرنجيات والدايبس
 واللتوت والصاصم بالدرق الصيني والني بالكواخ الفضة والذهب وبحصل الاستدعاء من
 صبيان السلام في مسافة الدهليز لكل من هو مستخدم في الموكب ركوبه من محل حجبتة
 الى أن خرج الخليفة من باب الذهب وقد ضربت القربية وأبواق السلام واجتمع الزهج
 من كل مكان ونشرت المطلة فاجتمع اليها الزويلية بالعدد القربية وظلل بها وسارت بسيره
 والقرآن الكريم عن يمينه ويساره والحجيرة الصبيان المنشدون واجتمع الموكب بجملته
 على ما ذكر أولا والترتيب أمامه لمتولى الباب وحجابه وتلوه لمتولى الست وكل منهم على
 حكم المداير التي وصلت اليه لا سبيل الى الخروج عما رسم فيها وسار بجملة موكبهم على
 ترتيب أوضاعه بين حصنين مانعين من طوارق عساكره فارسها وراجلها كل طائفة يقدمها
 زمامها وقد ازدحموا في المصافات بالعدد المذهبة الحربية والآلات المضيئة وليس بينهم
 طريق لسالك وقد زين لهم جميع ما يكون أمامهم من الطرق جميعها حوائيتها وأدراجها جميع
 مساكنها وأبواب حاراتها بأنواع من الستور والديباج والديبقي على اختلاف أجناسها ثم
 بأنصاف السلاخ وملأت النظارة الفجاج والبطاح والوهاد والربا والصدقات والرسوم تعم

أهل الجانبين من أرباب الجوامع والمساجد وبوابى الابواب والسقائين والفقراء والمساكين في طول الطريق الى أن أطل على الخيام المنصوبة فوقف بموكبه واستدعى الوزير بعده من مقدمى ركابه فأجتاز راكباً بمفرده وجميع حاشيته بسلاحهم رجالة في ركابه بعد أن بالغ في الإيحاء بتقبييل الأرض أمامه فرد عليه بكمه السلام وعاد الخليفة في سيره بالموكب بعد أن حصل الوزير أمامه وترجل جميع من شرف بحجبه في ركابه وآخرهم متولى حمل سيفه ورمحه وصبيان السلام يستدعون كل منهم الى تقبييل الأرض بجميع نفوته ا كباراله وتميزوا واحتاطوا بركابه ووصل الى المضارب في الحرس الشديد على أبوابها وسرادقاتها من كل جانب وقد تبين وجهة من حصل بها ويمكن من الدخول اليها وترجل الوزير في الدهليز الثالث من دهايزها وتقدم الى الخليفة وأخذ شكمة الفرس من يد الرواض وشق به الخيام التي جمعت جميع الصور الآدمية والوحشية وقد فرشت جميعها بالديسطة الجهرية والاندلسية الى أن وصل الى القاعة الكبرى فيها وترجل على سرير خلافته وجلس في محل عظمته وأجلس وزيره على الكرسي الذي أعده له واحتاط به المستخدمون حملة السلاح المنتصب جميعه وحجبوا العيون عن النظرائه وصف بين يديه الامراء والضيوف والمشرفون بحجبه وختم المقرئون القرآن العظيم وقدم عدى الملك النساب شعراء المجلس على طبقاتهم وعند انقضاء خدمة آخرهم عادت المستخدمون والرواض مقدمة ما أمروا به من الدواب فعلاه الخليفة والوزير يمسك الشكمة بيده وانتظم موكبا عظيما والقراء عوض الرحمة والجماعة في ركابه رجالة على حكم ما كانوا عليه أولا وصعد من القاعة التي في دهايز الباب القبلي منها نخرج منه وانفصلت خدمة جميع الامراء والضيوف من ركابه بأحسن وداع من تقبييل الأرض وصعد الخليفة ووزيره وأولاده واخوته والاصحاب والخواشي الى السكرة وهى من جنات الدنيا المزخرفة وتلقاه أخوه بعظمة سلامه وتقبييل الأرض بين يديه وجلس لوقته وفتحت الطاقات التي في المنظرة وعن يمينه وزيره وعن يساره أخوه جالسان واعتمد الناس جميعهم عند مشاهدته تقبييل الأرض له وإدامة النظر نحوه والمستخدمون جميعهم على السد مشدودى الاوساط واقفين عليه فلما أمرهم الوزير أن يكسروه قبلوا الأرض جميعاً وانصرفوا عنه وتولته الفعلة في البساتين السلطانية بالفتح من الجانبين والقرآن والتكبير من الجانب الغربي حيث الخليفة والرهج واللعب من الجانب الشرقى ولما كمل فتحه انحدرت العشاريات عن آخرها اللطيف منها يقدم الكبير والجميع مزينة بالذهب والفضة والستور المرقومة ورؤساؤهم وخدامهم بالكسوات الجميلة وبعد ذلك غلقت الطاقات وحل الخليفة بالمقصورة التي لراحتة وكذلك الوزير وأولاده واخوته وجميع الامراء الاستاذين والاصحاب والخواشي واستدعى للوقت والى مصر من البر الشرقى وخلع عليه بدلة منديلها وثوبها مذهباً وثوبان

عتابي وسقلاطون وقبل الارض من تحت المنطرة وعسدى في البحر الى حفظ مكانه ثم استدعى بعده حامي البساتين ومشارفها نخلع عليهم بدلتين حريري وثوبين سقلاطون وعتابي ثم متولى ديوان العمار كذلك ثم مقدمى الرؤساء كذلك واعتمد كل من سلم اليه الاثباتات المشتملة على أصناف الانعام من العين والورق وصواني الفطرة والموائد التي يهتم بها جميع الجهات والخراف المشوية والحمامات الحلواء تفرقة ذلك على ما رسم وهو شامل غير مخصص من أخى الخليفة والوزير الى الامحاب والخواشى من أرباب السيوف والاقلام ثم الامراء المستخدمين والضيوف المميزين من الاجناد وغيرهم من الادوان ممن يتعلق به خدمة تختص بالموسم من البحارة وأرباب اللعب وغيرهم وعيت الاسمطة في المسطحات المنصوبة لها بالجانب من الباب الغربى من الخيام وأمر الوزير أخاه بالمضى اليها والجلوس عليها فتوجه وبين يديه متولى حجابة الباب ونوابه والمعروفية والحجاب واستدعت الامراء والضيوف بالسقاة من خيامهم وأجلس كل منهم على السباط في موضعه على عادتهم وتلاهم العساكر على طبقاتهم ولم يمنع حضورهم ما يسير لكل منهم من جميع ما ذكر على حكم ميزته ولما انقضى حكم الاسمطة المختصة بالامراء السكبار عاد أخو الوزير الى حيث مقر الخلافة وبقي متولى الباب جالسا لاسمطة العبيد وجميع المستخدمين من الراجل والسودان وعيت المائدة الخاص بالسكرة التي ما يحضرها الا العوالى الخاص المستخدمين في الخدم السكبار ويجمع له حالتان حضوره في أشرف مقام وجلوسه في محل يحصل له به حرمة وذمام وجلس الخليفة عليها وأخوه على شماله ووزيره على يمينه بعد أن أدى كل منهما ما يجب من سلامه وتعظيمه وحضر أولاد الوزير وأخوته والشيخ أبو الحسن كاتب الدست وابنه سالم ومن الاستاذين المحنكيين أرباب الخدم وجرى الحال في المائدة الشريفة على ما هو مألوف وفرق من جملتها لكل من أرباب الخدم الذين لم يحضروا عليها ما هو لكل منهم على سبيل الشرف وتميز في ذلك اليوم خاصة ما يختص بالقاضى وشهوده والداعي وابن خاله الذين يخصصون عن سواهم بمقامهم دون غيرهم في قاعة الخيمة الكبرى أمام سرير الخلافة المنصوب مدة النهار مع ما يحمل اليهم من الموائد وغيرها مما هو بأسمائهم في الاثباتات مذكور ولما تكامل وضع المائدة وانقضى حكمها قبل كل من الحاضرين الارض وانصرف بعد أن استصحب منها ما تقتضيه نفسه على حكم الشرف والبركة ويقضى بعد ذلك الفرائض الواجبة في وقتها ولا بد من راحة بعدها وحضر مقدما الركاب وحاسبا كاتب الدفتر على ما معهم ما رسم تفرقة الرسوم والصدقات في مسافة الطريق فأكمل لهما على ما بقى معهما مثل ما كان أو لا ولما استحق العود عاد كل من المستخدمين الى شغل من ترتيب الموكب ومصفات العساكر وترتيب من يشرف بالحضرة من الامراء والضيوف وفرقت الصواني الخاص التي تكون

بين يدي الخليفة مدة النهار الجامعة للثروة من كل جهة والزينة من كل معنى والغرابة من كل صنف وقد جمعت ملاذ جميع الحواس والعدة منها يسيرة وليس ذلك لتقصير من هم الجهات التي تتنوع فيها بالغرائب بل للتعجب الشديد عليها ثم اضيق الزمان لان كلا منها لا مندوحة أن يكون فيه زهرة وثمره وطول المسكت كذلك يتألف مافيه واذا شملت مع قلتها من له الوجاهة العالية من أخى الخليفة والوزير لم يكن له غير صينية واحدة وأخذ كل من الحاشية أهبة تجمله لموضع ميزته وغير الخليفة ثيابه بما يقتضيه الموكب وهو بدلة حريري بشدة الوقار وعلم الجوهر وسير الى الوزير صحبة مقدم خزانة السكوة الخاص على يد المستخدمين عنده من الاستاذين من جملة بدلات الجمع التي يتوجه منها الى زيه ما يؤمر به من يسى اليه بدلة مكلمة حريري وبندياها بياض بالشدة الدانية غير العربية ولما لبس ماسيراليه وحضر بين يديه لشكر نعمته أمره بركوب أخيه في احدى العشاريات فامثل أمره وتوجه صحبته من السكرة بجميع خواصه وحواشيه وفتح لهم الباب الذي هو منها بشاطئ الخليج وقدم له احدى العشاريات الموكبة وفيها مقدم رياسة البحرية فركب فيها بجمعه والوزير واقف راجل على شاطئ الخليج خدمة له الى أن انحدرت العشاريات جميعها قدامه ومراكب الالعاب بغير احد من أرباب الرهج والمستخدمون في البرين يمنعون من يقاربه والمتفرجون لا يصددهم ويردهم ما يحل بهم بل يرمون أنفسهم من على الدواب ويسرون بسيره وعاد الوزير الى السكرة فلما شاهد الخليفة الدواب الخاص التي يرسم ركوبه أمره بما وقع عليه اختياره منها وعلاه فاحتاط بركابه مقدمو الركاب واستفتح القراء وخرج من باب السكرة ودخل من باب الخليفة القبل وشق قاعتها على سرير مما سكنته وخص بالسلام فيها شيوخ الكتاب العوالى والقاضى والداعى ومن معهم ولهم بذلك ميزة عظيمة يحتصون بها دون غيرهم وخرج منها الى البستان المعروف بترار وسار في ميدانه وجميعه من الجانبين سور مفعود من شجر نارنج اصولها مفترقة وفروعها مجتمعة وظلمات الطريق وعليها من الثمرة التي أخرجها من وقته الى هذا اليوم وقد خرجت بهجتها عن المعتاد وحصل عليها ثمرة سنتين احداهما انتهت والاخرى في الابتداء وهو بهيته وزيه وترتيب عساكره وأمرائه وخرج من الباب بعد أن عم من له رسم بانعامه وعاد الرهج والموكب على ما كان عليه فلما وصل الى السد الذي على بركة الحبش كسر بين يديه * (وقال في كتاب الذخائر) * ان مما أخرج من القصر في سنة احدى وستين وأربعمائة في خلافة المستنصر قبة العشارى وقاربه وكسوة رحله وهو مما استعمله الوزير أحمد بن على الجرجراى في سنة ست وثلاثين وأربعمائة وكان فيه مائة ألف وسبعة وستون ألفا وسبعمائة درهم فضة نقرة وان المطلق لصناع الصاغة عن اجرة ذلك وفي ثمن ذهب لطلائه خاصة ألفان وسبعمائة دينار وعمل ابو سهل التستري (م ٤٦ - خطط ني)

لوالدة المستنصر عشاريا يعرف بالفضي وحلى رواقه بفضة تقديرها مائة ألف وثلاثون ألف درهم ولزم ذلك اجرة الصناعة ولطلاء بعضه ألفان وأربعمائة دينار واستعمل كسوة برسمه بمال جليل وأنفق على العشاريات التي برسم النزه البحرية التي عدتها ستة وثلاثون عشاريا بالتقدير بجميع آلاتها وكساها وحلاها من مناطق ورؤس منجوقات واهلة وصفريات وغير ذلك أربعمائة ألف دينار * وقال ابن الطوير إذا اذن الله سبحانه وتعالى بزيادة النيل المبارك طالع ابن أبي الرداد بما استقر عليه أذرع القاع في اليوم الخامس والعشرين من يؤونة وأرخه بما يوافقه من أيام الشهور العربي فعلم ذلك من مطالعته وأخرجت الى ديوان المكاتبات فنزلت في السير المرتب بأصل القاع والزيادة بعد ذلك في كل يوم تؤرخ بيوميه من الشهر العربي وما وافقه من أيام الشهر القبطي لا يزال كذلك وهو محافظ على كتمان ذلك لا يعلم به أحد قبيل الخليفة وبعده الوزير فإذا انتهى في ذراع الوفاء وهو السادس عشر الى أن يبقى منه أصبع أو اصبعان وعلم ذلك من مطالعته أمر أن يحمل الى المقياس في تلك الليلة من المطابخ عشرة قناطير من الخبز السميد وعشرة من الخراف المشوية وعشرة من الجمادات الحلواء وعشر شمعات ويؤمر بالبيت في تلك الليلة بالمقياس فيحضر اليه قراء الحضرة والمتصدرون بالجوامع بالقاهرة ومصر ومن يجري مجراهم فيستعملون ذلك ويقعدون للشمع عليهم من العشاء الآخرة وهم يتلون القرآن برفق ويطربون بمكان التطريب فيختمون الختمة الشريفة ويكون هذا الاجتماع في جامع المقياس فيوفي الماء ستة عشر ذراعا في تلك الليلة ولوفاء النيل عندهم قدر عظيم وينهجون به ابتهاجا زائدا وذلك لانه عمارة الديار وبه انتظام الخلق على فضل الله فيحسن عند الخليفة موقعه ويهتم بأمره اهتماما عظيما أكثر من كل المواسم فإذا أصبح الصبح من هذا اليوم وحضرت مطالعة ابن أبي الرداد اليه بالوفاء دكب الى المقياس لتخليقه فيستدعى الوزير على العادة فيحضر الى القصر فيركب الخليفة يرى أيام الركوب من غير مظلة ولا ما يجري مجراها بل في هيئة عظيمة من الثياب والوزير تابعه في الجمع الهائل على ترتيب الموكب ويخرج شاقا من باب زويلة وسالكا الشارع الى آخر الركن من بستان عباس المعروف اليوم بسيف الاسلام فيعطف سالكا على جامع ابن طولون والجسر الاعظم بين الركنين الى الساحل بمصر الى الطريق المسلوكة على طرف الخشابين الشرقي على دار الفاضل الى باب الصاغة بجوارها وله دهليز ماذ بمصاطب مفروشة بالحصر العبداني بسطا وتأزيرا فيشقها والوزير تابعه فيخرج منها منعظا على الصناعة الاخرى وكانت برسم المنكس الى السيوفيين ثم على منازل العز التي هي اليوم مدرسة ثم الى دار الملك فيدخل من الباب المقابل لسلوكة فيترجل الوزير عنده للدخول بين يديه ماشيا الى المكان المعدله ويكون قد حل أمس ذلك اليوم من القصر البيت المتخذ للعشاري

الخاص وهو بيت مئمن من عاج وآبنوس عرض كل جزء ثلاثة أذرع وطوله قامه رجل تام فيجمع بين الأجزاء الثمانية فيصير بيتا دوره أربعة وعشرون ذراعا وعليه قبة من خشب محكم الصناعة وهو بقبة ملبس بصفائح الفضة والذهب فيتسليمه رئيس العشاريات الخاص ويركبه على العشارى المختص بالخليفة ويجعل باكر ذلك اليوم الذى يركب فيه الخليفة على الباب الذى يخرج منه لاركوب الى المقياس فاذا استقر الخليفة بالمنظرة بدار الملك التى يخرج من بابها الى العشارى وأسند اليه استدعى الوزير من مكانه فيحضر اليه ويخرج بين يديه الى أن يركب في العشارى فيدخل البيت المذهب وحده ومعه من الاستاذين المحنكين من يأمره من ثلاثة الى أربعة ثم يطلع في العشارى خواص الخليفة خاصة ورسم الوزير انسان أو ثلاثة من خواصه وليس في العشارى من هو جالس سوى الخليفة باطنا والوزير ظاهرا في رواق من باب البيت الذى هو بعرايس من الجانبين قائمة مخروطة من أخف الخشب وهى مدهونة مذهبة وعليها من جانبيها ستور معمولة برسمها على قدرها فاذا اجتمع في العشارى من حرت عادته بالاجتماع اندفع من باب القنطرة طالبا باب المقياس العالى على الدرج التى يعلوها النيل فيدخل الوزير ومعه الاستاذون بين يدي الخليفة الى الفسقية فيصلى هو والوزير ركعات كل واحد بفردة فاذا فرغ من صلاته أحضرت الآلة التى فيها الزعفران والمسك فيديفها بيده بآلة ويتناولها صاحب بيت المال فيناولها لابن أبى الرداد فيلقى نفسه في الفسقية وعليه شلاله وعمامة والعمود قريب من درج الفسقية فيتماق فيه برجليه ويده اليسرى ويحلقه بيده اليمنى وقراء الحضرة من الجانب الآخر يقرؤن القرآن نوبة بنوبة ثم يخرج على فوره راكبا في العشارى المذكور وهو بالخيار اما أن يعود الى دار الملك ويركب منها عادا الى القاهرة أو ينحدر في العشارى الى المقس فينتبه الموكب الى القاهرة ويكون في البحر في ذلك اليوم ألف قرقورة مشحونة بالعالم فرحا بوفاء النيل وينظر الخليفة فاذا استقر بالقصر اهتم بركوب فتح الخليج وفيهمة عظيمة ظاهرة للاهتمام بذلك ثم يصير ابن أبى الرداد باكر ثاني ذلك اليوم الى القصر بلايوان السكير الذى في الشباك الى باب الملك بجواره فيجد خلعة معبأة هناك فيؤمر بلبسها ويخرج من باب العيد شاقا بها بين القصرين من أوله قصدا لاشاعة ذلك فان ذلك من علامة وفاء النيل ولاهل البلاد الى ذلك تطالع وتكون خلعة مدهبة وكان من العدول المحنكين فيشرف في الخلعة بالطلسان المقور ويندب له من التغييرات ولمن يريد خمس تغييرات مركبات بالحلى ويحمل أمامه على أربع يقال مع أربعة من مستخدمى بيت المال أربعة أكياس في كل كيس خمسة درهم ظاهرة في أكفهم وبصحبه أقاربه وبنو عمه وأصدقاؤه ويندب له الطبل والبوق ويكتنف به عدة كثيرة من المتصرفين الرحالة فيخرج من باب العيد ويركب إحدى التغييرات وهى أميرها وشرف أمامه

بجماين من التفارات التي قدمنا ذكرها يعني في ركوب أول العام من زى الموكب فيسير شاقا القاهرة والابواق تضرب أمامه كبارا وصغارا والطلل وراءه مثل الامراء وينزل على كل باب يدخل منه الخليفة ويخرج من باب القصر فيقبله ويركب وهكذا يعمل كل من يخلع عليه من كبير وصغير من الامراء المطوقين الى من دونهم سيفا وقلما ويخرج من باب زويلة طالبا مصر من الشارع الاعظم الى مسجد عبد الله الى دار الانماط جائزا على الجامع الى شاطئ البحر فيعبدى الى المقياس بخلعه وأكياسه وهذه الاكياس معدة لارباب الرسوم عليه في خلعه ولنفسه ولبنى عمه بتقرير من أول الزمان فاذا انقضى هذا الشأن شرع في الركوب الى فتح الخليج ثاني يوم وقد كان وقع الاهتمام به منذ دخلت زيادة النيل ذراع الوفاء اهتماما عظيما فيعمل في بيت المال من التمايل شكل الوحوش من الغزلان والسباع والفيلة والزرافات عدة وافرة منها ما هو ملبس بالعنبر ومنها ما هو ملبس بالصندل ثم شكل التفاح والارجح اللطيف والوحوش مفسرة الاعين والاعضاء بالذهب الى غير ذلك ثم تخرج الخيمة التي يقال لها القاتول لان فراشا سقط من أعلى عمودها فمات فسميت بذلك وطوله سبعون ذراعا واعلاه صفرية فضة تسع راوية ماء وعليه الفلكة التي كانت في الايوان الى قريب الوقت ثم يعمل في أول العمود شقة دائرة ثم أوسع منها ويتوالى ذلك الى احدى عشرة شقة فتصير سعة الخيمة ما يزيد على فدانين مستديرة وتنصب في بر الخليج الغربي على حافته مكان بستان الحلى اليوم وكانت ثم منظرة يقال لها السكره يرسم جلوس الخليفة لفتح الخليج في مثل هذا اليوم وينصب أرباب الرتب من الامراء من بحرى تلك الخيمة الكبرى خياما كثيرة ويتميزون فيها على قدر مهمهم وضررهم اياها في الاماكن الاقرب فالاقرب على قدر رتبهم فاذا تم ذلك وعزم الخليفة على الركوب نالت يوم التخليق أو رابعه أخرج كل من المستخدمين في المواضع المقدم ذكرها في ركوب أول العام آلات الموكب على عادته ويزاد فيه اخراج أربعين بوقا عشرة من الذهب وثلاثون من الفضة ويكون بواقوها ركباناً وأرباب الابواق النحاس مشاة ومن الطبول الكبار التي مكان خشبها فضة عشرة فاذا حضر الوزير الى باب القصر خرج الخليفة في هيئة عظيمة ومهمة عالية وقد تضاعفت مهم الاجناد في ذلك اليوم فارسها وراجلها ويخرج زى الخليفة من المظلة والسيف والرمح والالوية والدواة وغير ذلك من الاستاذين المنسكين ويركب في ذلك اليوم من الاقارب المقيمين بالقصر عشرون أو ثلاثون وهم بالنوبة في كل سنة فيتقدمون الى المنظرة في مكان لهم محبة استاذين خدمتهم وحفظهم ويكون قد لقف عمودا لخيمة الكبرى المشار اليها اما بدبيج أبيض أو أحمر أو أصفر من أعلاه الى أسفله وينصب مسنداً اليه سرير الملك ويقضى بقرقوبي وعرائيسه ذهب ظاهرة فيخرج الخليفة للركوب ويركب فيخرج من باب القصر وعليه ثوب يقال له

البدنة وهو كله ذهب وحرير مرقوم والمظلة من شكله ولا يلبس هذا الثوب في غير هذا اليوم ويسير بالموكب الهائل شاقا القاهرة من الطريق التي ركب منها لتخليق المقياس الا انه لا يدخل طرق مصر من الخشابين بل خارجها من طريق الساحل فاذا جاز على جامع ابن طولون وجد قد ربط من رأس المنارة من مكان العشاري الفحاس جبل طويل قوي موضوع آخره في الطريق وفيه قوم يقال لهم النحتارية واحد في زى فارس على شكل فرس وفي يده رح ويكتفه درقة فينحدر على بكرة وفي رجله آخر ممسكها وهو يتقلب في الهواء بطنا وظهره حتى يصل الى الارض ويكون قاضي القضاة وأعيان الشهود جلوسا في باب الجامع من هذه الجهة فاذا وازاهم الخليفة وكانوا قد ركبوا وقف لهم وقفة فيسلم على القاضي ثم يدخل فيقبل الرجل التي من جانبه لا غير ويدخل بالشهود في الفرجة أمام وجه الدابة بمقدار قصبة المساحة فيسلم عليهم ويرجعون الى دوابهم فيركبون ويكون قد نصب لهم بالقرب من الخيمة الكبرى خيمتان احدهما ديباج أحمر والاخرى ديبقى أبيض بصفارى فضة لكل واحدة فيتم الخليفة بهيئته الى أن يدخل من باب الخيمة ويكون الوزير قد تقدمه على العادة ليعلمه فيجده راجلا على باب الخيمة فيمشى بين يديه الى سرير الملك فينزل ويحس على المرتبة المنصوبة فيه ويحيط به الاستاذون المحنكون والامراء المطوقون بعدهم ويوضع لوزير الكرسي الجارى به عادته فيجلس عليه ورجلاه تحك الارض ويقف أرباب الرتب صافين من ناحية سرير الملك الى ناحية الخيمة والقراء يقرؤون القرآن ساعة زمانية فاذا ختموا قراءتهم استأذن صاحب الباب على حضور الشراء ليعلمه بما يطلق هذا اليوم فيؤمر بتقديمهم واحدا بعد واحد ولهم منازل على مقدار أقدارهم فالواحد يتقدم الواحد بخطوة في الانشاد وهو أمر معروف عند مستخدم يقال له النائب وتقدم شاعر يقال له ابن جبر وأنشأ قصيدة منها

فتح الخليج فسال منه الماء * وعلت عليه الراية البيضاء

فصفت موارده لنا فكانه * كف الامام فمرقها الاعطاء

فانتقد الناس عليه في قوله فسال منه الماء وقالوا أى شئ يخرج من البحر غير الماء فضيع مقاله بعد هذا المطاع وتقدم شاعر يقال له مسعود الدولة بن جرير وأنشد

مازال هذا السد ينظر فتحه * أذن الخليفة بالثوال المرسل

حتى اذا برز الامام بوجهه * وسطا عليه كل حامل معول

فجرى كأن قد ديف فيه غير * يملوه كافور بطيب المنسل

فانتقدوا عليه أيضاً قوله في البيت الثاني وقالوا أهلك وجه الامام بسطوات المعاول عليه وان كان قصيد ففتح السد بالمعاول لكنه مانظمه الاقفا ثم تقدم له شاعر شاهد يقال له كافي

الدولة أبو العباس أحمد وأشد قصيدة شهد له جماعة منهم القاضي الأمير بن سنان فانه عملها بحضوره يديها

لمن اجتماع الخلق في ذا المشهد * للنيل أم لك يا بن بنت محمد
 أم لا اجتماعكم معافي موطن * واقبها فيه لأصدق موعد
 ليس اجتماع الخلق الا للذي * حاز الفضيلة منكما في المولد
 شكروا لكل منكما لوفائه * بالسبي لكن ميلهم للاجود
 ولئن اذا اعتمد الوفاء لفعله * بالقصد ليس له كمن لم يقصد
 هذا ينفي ويعود بنقص تارة * وتبدا أنت النقص ان لم يردد
 وقواه ان بلغ النهاية قصرت * واذا بلغت الى النهاية تبتدى
 فالآن قد ضاقت مسالك سعيه * بالسب فهو به بحال مقيد
 فاذا أردت صلاحه فافتح له * ليري جنابا مخضبا وترى ندي
 وأمر بفصد العرق منه فما شكا * جسم فصيح الجسم ان لم يفصد
 واستسلم الى امثال يومك هكذا * في عيش مغبوط وعن مخلد

فأمر له على الفور بمحسين ديناراً وخلع عليه وزيد في جاريه ثم يقوم الخليفة عن السرير
 راكباً والوزير بين يديه حتى يطلع على المنطرة المعروفة بالسكرة وقد فرشت بالفرش المدة
 لها فيجلس فيها ويتهياً أيضاً للوزير مكان يجلس فيه ويحيط بالسد حامى البساتين ومشارفها
 لانه من حقوق خدمتهما فتفتح احدى طاقات المنطرة ويطل منها الخليفة على الخليج
 وطاقة تقاربها يتطلع منها استاذ من الخواص ويشير بالفتح فيفتح بأيدي عمال البساتين
 بالمعاول ويخدم بالطبل والبوق من البرين فاذا اعتدل الماء في الخليج دخلت العشاريات
 الاطاف ويقال لها السماويات وكأنها خدم بين يدي العشارى الذهبي المقدم ذكره ثم العشاريات
 الخاص الكبار وهى ستة الذهبي المذكور والفضى والاحمر والاصفر واللازوردى والصقلى
 وكان انشاء نجار من رؤساء الصناعة صقلى وزاد فيه على الانشاء المعتاد فنسب اليه وهذه
 العشاريات لا تخرج عن خاص الخليفة في أيام النيل وتحوط الى الاولولة للفرجة وسارت في
 الخليج وعلى يد كل منهما الستور الديبقى الملونة وبرؤسها وفي أعناقها الالهة وقلائد من
 الخرز فتسند الى البر الذى فيه المنطرة الجالس فيها الخليفة فاذا استقر جلولس الخليفة
 والوزير بالمنطرة ودخل قاضى القضاة والشهود الخيمة الديبقى البيضاء وصلت المائدة من
 القصر في الجانب الغربى من الخليج على رؤس الفراشين صحبة صاحب المائدة وعدتها مائة
 شدة في الضايير الواسعة وعليها القوارات الحرير وفوقها الطراحات ولها رواء عظيم ومسك
 فائح فتوضع في خيمة واسمة منصوبة لذلك ويحمل للوزير ما هو مستقر له بعادة جارية ومن

صواني التماثيل المذكورة ثلاث صوان ويخصص منها أيضا لاولاده واخوته خارجا عن ذلك اكراما وافقادا ويحمل الى قاضي القضاة والشهود شدة من الطعام الخاص من غير تماثيل توقيرا للشرع ويحمل الى كل أمير في خيمته شدة طعام وصينية تماثيل ويصل من ذلك الى الناس شيء كثير ولا يزالون كذلك الى أن يؤذن بالظهر فيصلون ويقومون الى العصر فاذا أذن به صلى وركب الموكب كله لانتظار ركوب الخليفة فيركب لابسا غير البدة بل بهيئته والمظلة مناسبة لثيابه التي عليه واليمنية والترتيب بأجمعه على حاله ويسير في البر الغربي من الخليج شاقا البساتين هناك حتى يدخل من باب القنطرة الى القصر والوزير تابعه على الرسم المعتاد ويمر فيه للقوم أحسن الايام ويمضي الوزير الى داره مخدوما على العادة * وقال في كتاب الذخائر والتحف ان المتعمل من الفضة قبة العشاري المعروف بالمقدم وقاربه وكسوة رحله في سنة ست وثلاثين وأربعمائة في وزارة علي بن أحمد الجرجاني مائة ألف وسبعة وستون ألفا وسبعمائة درهم نقرة وان المطلق للصناع عن أجرة الصناعة وفي ثمن ذهب لطلائع خاصة ألفان وتسعمائة دينار وسبعون وكانت الفضة في ذلك الوقت كل مائة درهم بسطة دنانير وربع سعر ستة عشر درهما بدينار ولما تولى أبو سعيد سهل التستري الوساطة سنة ست وثلاثين وأربعمائة استعمل لأم المستنصر عشاريا يعرف بالفضي وحلى رواقه بفضة تقديرها مائة ألف وثلاثون ألف درهم ولزم ذلك أجرة الصناعة وطلائع بعضه ألفان وأربعمائة دينار سوى كسوة له بمال جليل والمنفق على ستة وثلاثين عشاريا برسم النزه البحرية لآلاتها وحلاها من مناطق ورؤس منجوقات وأهله وصفريات وغير ذلك أربعمائة ألف دينار وكانت العادة عندهم اذا حصل وفاء النيل أن يكتب الى العمال فما كتب من انشاء تاج الرياسة أبي القاسم علي بن منجب بن سليمان الصيرفي * أما بعد فان أحق ما وجبت به التهنيئة والبشرى • وغدت المسار منتشرة تتوالى وتترى • وكان من اللطائف التي غمرت بالمنة العظمى والنعمة الجسيمة الكبرى • ما استدعى الشكر لموجد العالم وخالقه • وظلت النعمة به عامة لصامات الحيوان وناطقه • وتلك الموهبة بوفاء النيل المبارك الذي يسره الله تعالى وله الحمد يوم كذا فان هذه العطية تؤدي الى خصب البلاد وعمارتها • وشمول المصالح وغزارتها • وتقضي بتضاعف المنافع والخيرات • وتكثر الارزاق والاقوات • ويتساهم العائدة فيها جميع العباد • وتنتهي البركة بها الى كل دان وناء وكل حاضر وباد • فأذع هذه النعمة قبلك • وانشرها في كل من يتدبر عملاك • وحظهم على • مواصلة الشكر لهذه اللطاف الشاملة لهم ولك • فاعلم هذا واعمل به ان شاء الله تعالى • وكتب أيضا أن أولى ما تضاعف به الابتهاج والجدل • وانفتح فيه الرجا واتسع الأمل • ما عم نفسه صامات الحيوان وناطقه • وأحدث لكل أحد اغتباطا • لزمه وآلى أن لا يفارقه • وذلك ما من الله به من وفاء النيل المبارك الذي

تحيا به كل أرض موات • وتكتسى بعد اقشعرارها حلة النبات • ويكون سبباً لتوافر الاقوات •
فانه وفي المقدار الذى يحتاج اليه فلتدفع هذه المنة فى القاصى والدانى • لتستعمل الكفاة بينهم
ضروب البشائر والتهاني • ان شاء الله تعالى • وكتب أيضاً من لطف الله الواجب حمده اللازم
شكره • وفضله الذى لا يمل بشره ولا يسأم ذكره • ومنه الذى استبشر به الانام • وتضاعف فيه
الانعام • ومثل الله الحياة به فى قوله تعالى انما مثل الحيوة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط
به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام • أمر النيل المبارك الذى يعم النجود والتهائم • وتنفع
به الخلائق وترتع فيما يظهروه البهائم • وقد توجه اليك بهذا الكتاب بهذه البشرى فلان فأجره
على رسمه فى اظهاره مجللاً • وايصاله الى رسمه مكملًا • واذا عت هذه النعمة على الكفاة ليعتاسموا
الاغتباط بها • وبالقوا فى الشكر لله سبحانه وتعالى بمقتضاها وعلى حسبها • فاعلم ذلك واعمل به
ان شاء الله تعالى

* (منظرة الدكة) * وكان من جملة مناظر الخلفاء الفاطميين منظرة تعرف بالدكة
لها بستان عظيم بجوار المقس فيما بينه وبين اراضى اللوق وما زالت باقية حتى زالت الدولة
وحكر مكان البستان وصار خطة تعرف الى اليوم بخط الدكة فخرت المنظرة وزال أثرها
قال ابن عبد الظاهر الدكة بالمقس كانت بستانا وكان الخليفة اذا ركب من كسر الخليج من
السكرة بمظلته يسير فى البر الغري ومضارب الناس والامراء وخيهم عن يمينه وشماله الى أن
يصل الى هذا البستان المعروف بالدكة وقد غلقت أبوابه ودهاليزه فيدخل اليه بمفرده
ويسقى منه الفرس الذى تحته وهى قضية ذكر المؤرخ لسيرة المأمونية أنهم كانوا يعتمدونها
الى آخر وقت ولم يعلم سببها ثم يخرج ويسير الى أن يقف على التربة الآتى ذكرها ويدخل
من باب القنطرة وينزل الى القصر والدكة الآن آدرو حارات شهرتها تغسنى عن وصفها
فسبحان من لا يتغير * وقال ابن الطوير عن الظاهر لاعزاز دين الله أبى هاشم على بن الحاكم
بأمر الله كان بمنظرة يقال لها الدكة بساحل المقس يعنى أنه مات بها

* (منظرة المقس) * وكان من جملة مناظرهم أيضاً منظرة بجوار جامع المقس الذى تسميه
العامة اليوم جامع المقسى وكانت هذه المنظرة بحرى الجامع المذكور وهى مطلة على النيل
الاظيم وكان حينئذ ساحل النيل بالمقس وكانت هذه المنظرة معدة لنزول الخليفة بها
عند تجهيز الاسطول الى غزو الفرنج فتحضر رؤساء المراكب بالشواني وهى مزينة بأنواع
العدد والسلاح ويلعبون بها فى النيل حيث الآن الخليج الناصرى تجاه الجامع وما وراء
الخليج من غريبه قال ابن المأمون وذكر تجهيز العساكر فى البر عند ورود كتب صاحبي
دمشق وحلب فى سنة سبع عشرة وخمسة مائة ما بحث على غزو الفرنج ومسيرها مع حسام
الملك وركب الخليفة الأمر بأحكام الله وتوجه الى الجامع بالمقس وجلس بالمنظرة فى أعلاه

واستدعى مقدم الاسطول الثاني وخلع عليه وانحدرت الاساطيل مشحونة بالرجال والعدد والآلات والاسلحة واعتمد ماجرت العادة به من الانعام عليهم وعاد الخليفة الى البستان المعروف بالبعل الى آخر النهار وتوجه الى قصره بعد تفرقة جميع الرسوم والصدقات والهبات الجارى بها العادة في الركوبات * وقال ابن الطوير فاذا تكملت النفقة وتجهزت المراكب وتميأت للسفر ركب الخليفة والوزير الى ساحل المقس وكان هناك على شاطئ البحر بالجامع منظره يجلس فيها الخليفة برسم وداعه يعنى الاسطول ولقائه اذا عاد فاذا جلس هو والوزير لاوداع جاءت القواد بالمراكب من مصر الى هناك للحرركات في البحر بين يديه وهى مزينة بأسلحتها ولبوسها وفيها المنجنيقات تلعب فتنحدر وتقلع بالمجاذيف كما يفعل في لقاء العدو بالبحر المملح ويحضر بين يدي الخليفة المقدم والرئيس فيوصيها ويدعو للجماعة بالنصرة والسلامة ويعطى المقدم مائة دينار والرئيس عشرين ديناراً وتحد الى دمياط وتخرج الى البحر المملح فيكون لها ببلاد العدو صيت وهيبة فاذا وقع لهم مركب لايسألون عما فيه سوى الصغار والرجال والنساء والسلاح وما عدا ذلك فلاسلطول وافق مرة ان قدم على الاسطول سيف الملك الجمل فكسب بطشة عظيمة فيها ألف وخمسمائة شخص بعد أن بعث عليهم بالقتال وقتل منهم نحواً من مائة وعشرين رجلاً وحضر الى القاهرة ففرح الخليفة وركب الى المقس وجلس بالمنظرة للقائهم وأطلقوا الاسرى بين يديه تحت المنظرة من جانب البر فاستدعيت الجمل لركوبهم وشق بهم القاهرة ومصر وهم كل اثنين على جمل ظهر الظهر وعاد الخليفة الى القصر فجلس في احدى مناظره لنظرهم في جوازهم فلما عادوا بهم من مصر صاروا بهم الى المناخات فصاح منهم ألف رجل فانضافوا الى من فى المناخ وأما النساء والصبيان فأنهم دخلوا بهم الى القصر بعد أن حمل منهم للوزير نصيب وافر وأخذ الجهات والاقارب بقيتهن فيستخدمونهن ويعلمونهن الصنائع ويتولى الاستاذون تربية الصبيان وتعليمهم الخط والرماية ويقال لهم الترابى ومن استريب به من الاسرى ونبه عليه بقوة وأوقع به والشيخ الذى لا يتفع به يمضى فيه حكم السيف بمكان يقال له بئر المنامة فى الخراب قريب مصر ولم يسمع على الدولة قط أنها قادت أسيراً بمال ولا بأسير مثله وهذه الحال فى كل سنة أخذة فى الزيادة لا النقص وقدم على الاسطول مرة أمير يقال له حرب بن قفور صاحب الحاجب لؤلؤ فكسب بطشة حصل فيها خمسمائة رجل انتهى وقد خربت هذه المنظرة وكان موضعها برج كبير صار يعرف فى الدولة الايوبية بقلعة المقس مشرف على النيل فلما جدد صاحب الوزير شمس الدين عبد الله المقسى جامع المقس على ما هو عليه الآن فى سنة سبعين وسبعمائة هدم هذا البرج وجعل مكانه جنينة شرقي الجامع وتحدث الناس أنه وجد فيه مالا والله أعلم

* (منظرة البعل) * وكان من مناظرهم بظاهر القاهرة منظرة في بستان أنيق يعرف بالبعل أنشأه الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالي وموضع هذا البستان الى اليوم يعرف بالبعل وصارت أرضه مزرعة في جانب الخليج الغربي بحرى أرض الطباله في كوم الريش مقابل قناطر الاوز وقد خربت المنظرة وبقي منها آثار أدركتها يعطن بها الكتان تدل على عظمتها وجلالتها في حال عمارتها وكانت منظرة البعل من أجل منتزهاتهم وكان لهم بها أوقات عميمة المبرات جليلة الخيرات * قال ابن المأمون فأما يوم السبت والثلاثاء فيكون ركوب الوزير من داره بالرهية ويتوجه الى القصر فيركب الخليفة الى ضواحي القاهرة للنزهة في مثل الروضة والمشتهى ودار الملك والتاج والبعل وقبة الهواء والخمسة وجوه والبستان الكبير وكان لكل منظرة منهن فرش معلوم مستقر فيها من الايام الافضل لالصيف والشتاء وتفرق الرسوم ويسلم لمقدمي الركاب اليمن والشمال لكل واحد عشرون دينارا وخمسون رباغيا ولتالى مقدم الركاب اليمن مائة كاغدة في كل كاغدة ثلاثة دراهم ومائة كاغدة في كل كاغدة درهما ولتالى مقدم الشمال مثل ذلك فأما الدنانير فللكل باب يخرج منه من البلد دينار ولكل باب يدخل منه دينار ولكل جامع يجتاز عليه دينار ما خلا جامع مصر فان رسمه خمسة دنانير ولكل مسجد يجتاز عليه رباغى ولكل من يقف ويتلو القرآن كاغدة والفقراء والمساكين من الرجال والنساء لكل من يقف كاغدة ولكل من يركب الخليفة دينار ان ويكون مع هذا متولى صناديق الاتفاق يحجب الخليفة ويبيده خريطة ديباج فيها خمسمائة دينار لما عساه يؤمر به فاذا حصل فى احدى المناظر المذكورة فرق من العين ما يبلغه سبعة وخمسون دينارا ومن الرباغية مائة وستة وثمانون دينارا للحواشي والاستاذين وأصحاب الدواوين والشعراء والمؤذنين والمقرئين والمنجمين وغيرهم ومن الخراف الشواء خمسون رأسا منها طبقان حارّة مكملّة مشورة برسم المائدة الخاص مضافا لما يحضر من القصور من الموائد الخاص والحلاوات وطبق واحد برسم مائدة الوزير وبقية ذلك باسماء أربابه ورأسا بقر برسم الهرائس فاذا جلس الخليفة على المائدة استدعى الوزير وخواصه ومن جرت العادة بجلوسه معه ومن تأخر عن المائدة ممن جرت عادته بحضورها حمل اليه من بين يدي الخليفة على سبيل التشريف وعند عود الخليفة الى القصر يحاسب متولى الدفتر مقسدي الركاب على ما أتفق عليه في مسافة الطريق من جامع ومسجد وباب ودابة وأما تفرقة الصدقات فهم فيها على حكم الامانة قال واذا وقع الركوب الى الميادين جرى الحال فيها على الرسم المستقر من الانعام ويؤمر متولى خزائن الخاص وصناديق الاتفاق أن يكون معه خريطة في السرج ديباج تسمى خريطة الموكب فيها ألف دينار معدة لمن يؤمر بالانعام عليه في حال الركوب

(* منظره التاج) * هي من جملة المناظر التي كانت الخلفاء تنزلها للترهة بهاها الافضل ابن أمير الجيوش وكان لها فرش معد لها لشتاء والصيف وقد خربت ولم يبق لها سوى أثر كوم توجد تحته الحجارة الكبار وما حول هذا الكوم صار مزارع من جملة أراضي منية الشيرج قال ابن عبد الظاهر وأما التاج فكان حوله البساتين عدة وأعظم ما كان حوله قبة الهوام وباعدها الحس وجوه التي هي باقية

(* منظره الحس وجوه) * كانت أيضا من مناظرهم التي يتزهدون فيها وهي من انشاء الافضل بن أمير الجيوش وكان لها فرش معد لها وبقى منها آثار بناء جليل على بئر متسعة كان بها خمسة أوجه من المحال الحشب التي تنقل الماء لسقي البستان العظيم الوصف البديع الزى البيسج الهيثة والعامية تقول التاج والسبع وجوه الى الآن وموضعها الى وقتنا هذان أعظم متفرجات القاهرة وينبت هناك في أيام النيل عند ما يعم تلك الاراضي البشني فتفتن رؤيته وتبهج النفوس نضارته وزينته فاذا نضب ماء النيل زرعت تلك البسطة قرطا وكتانا يقصر الوصف عن تعداد حسنه وأدركت حول الحس وجوه غروسا من نخل وغيره تشبه أن كون من بقايا البستان القديم وقد تلاشت الآن ثم ان السلطان الملك المؤيد شيخ المحمودى الظاهري جدد عمارة منظره فوق الحس وجوه ابتداء بناءها في يوم الاثنين أول شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة

(* منظره باب الفتوح) * وكان للخلفاء الفاطميين منظره خارج باب الفتوح وكان يومئذ ما خرج عن باب الفتوح يراها بين الباب وبين البساتين الجيوشية وكانت هذه المنظره معدة لجلوس الخليفة فيها عند عرض العساكر ووداعها اذا سارت في البر الى البلاد الشامية قال ابن المأمون وفي هذا الشهر يعني المحرم سنة سبع عشرة وخمسمائة وصلت رسل ظهير الدين طفديكين صاحب دمشق وآق سنقر صاحب حلب يكتب الى الخليفة الأمر بإحكام الله والى الوزير المأمون الى القصر فاستدعوا لتقيل الارض كما جرت العادة من اظهار التجميل وكان مضمون الكتب بعد التصدير والتعظيم والسؤال والضراعة أن الاخبار تظافرت بقله الفرنج بالاعمال الفلاسطينية والتغور الساحلية وأن الفرصة قد أمكنت فيهم والله قد أذن بهلاكهم وأنهم ينتظرون انعام الدولة العلوية وعوايد افضالها ويستتصرون بقوتها ويحثون على نصرة الاسلام وقطع دابر الكفر وتجهيز العساكر المنصورة والاساطيل المظفرة والمساعدة على التوجه نحوهم لئلا يتواصل مددهم وتعود الى القوة شوكتهم فقوى العزم على النفقة في العساكر فارسها وراجلها وتجردها وتقدم الى الازمة باحضار الرجال الاقوياء وابتدئ بالنفقة في الفرسان بين يدى الخليفة في قاعة الذهب وأحضر الوزان وصناديق المال وأفرغت الاكياس على البساط واستمر الحال بعد ذلك في الدار المأمونية وتردد

الرأى فيمن يتقدم فوق الاتفاق على حسام الملك البرني وأحضر مقدم الاساطيل الثانية لان الاساطيل توجهت في الغزو وخلع عليه وأمر بأن ينزل الى الصناعتين بمصر والجزيرة وينفق في أربعين شينياً ويكمل نفقاتها وعددها ويكون التوجه بها بحجة العسكر وأنفق في عشرين من الامراء للتوجه صحبته فكمالت النفقة في الفارس والراجل وفي الامراء السائرين وفي الاطباء والمؤذنين والقراء وندب من الحجاب عدة وجعل لكل منهم خدمة فمنهم من يتولى خزانة الحيام وسير معه من حاصل الخزائن برسم ضعفاء العسكر ومن لا يقدر على خيمة خيم ومنهم حاجب على خزائن السلاح وأنفق في عدة من كتاب ديوان الجيش لعرض العساكر وفي كتاب العربان وأحضر مقدمو الحراسين بالحفار وتقدم اليها بأنه من تأخر عن العرض بعسقلان وقبض النفقة فلا واجب له ولا اقطاع وكتبت الكتب الى المستخدمين بالثغور الثلاثة الاسكندرية ودمياط وعسقلان بطلاق وايتباع ما يستدعي برسم الاسمطة على ثغر عسقلان للعساكر والعربان من الاصناف والغلال ووقع الاهتمام بنجاز أمر الرسل الواصلين وكتبت الاجوبة عن كتبهم وجهز المال والخلع المذهبات والاطواق والسيوف والمناطق الذهب والخليل بالمرابك الحلى الثقال وغير ذلك من التجملات وخلع على الرسل وأطلق لهم التغيير وسلمت اليهم الكتب والتذاكر وتوجهوا بحجة العسكر وركب الخليفة الأمر بأحكام الله الى باب الفتوح ونظر بالمنظرة واستدعى حسام الملك وخلع عليه بدلة جليلة مذهبة وطوقه بطوق ذهب وقلده ومنطقه بمثل ذلك ثم قال الوزير المأمون للامراء بحيث يسمع الخليفة هذا الأمير مقدمكم ومقدم العساكر كلها وما وعد به أنجزته وما قرره أمضيته فقبلوا الارض وخرجوا من بين يديه وسلم متولى بيت المال وخزائن الكسوة لحسام الملك الكتب بما ضمنته الصناديق من المال وأعدال الكسوات وحملت قدامه وفتحت طاقات المنظرة فاما شاهد العساكر الخليفة قبلوا الارض فأشار اليهم بالتوجه فساروا باجمعهم وركب الخليفة وتوجه الى الجامع بالمقس وجلس بالمنظرة واستدعى مقدم الاسطول وخلع عليه وأنحدرت الاساطيل مشحونة بالرجال والعدة

* (منظرة الصناعة) * وكان من جملة مناظر الخلفاء منظرة بالصناعة في الساحل القديم من مصر يجلس بها الخليفة تارة حتى تقدم له العشاريات فيركبها ويسير للمقياس حتى يخلق بين يديه عند الوفاء وكان بهذه الصناعة ديوان العماير وأنشأ هذه المنظرة والصناعة التي هي فيها الوزير المأمون ولم تزل الى آخر الدولة ودهليزها ماد بمصاطب مفروشة بالحصر العبداني بسطا وتأزيرا وقد خربت هذه الصناعة والمنظرة وصار موضعهما الآن بستانا كان يعرف ببستان ابن كيسان ويعرف في زمننا هذا الذي نحن فيه الآن ببستان الطواشي وهو بأول مراغة مصر تجاه غيط الجرف على يسرة من يسلك من المراغة يريد الكبارة

وباب مصر قال ابن المأمون وكانت جميع مراكب الاساطيل ماتنشا بالابالصناعةالى بالجزيرة فأنكر الوزير المأمون ذلك وأمر بان يكون انشاء الشواني وغيرها من المراكب النيلية الديوانية بالصناعة بمصر وأضاف اليها دارالزيب وانشا المنطرة بها واسمها بق الى الآن عليها وقصد بذلك أن يكون حلول الخليفة يوم تقدمه الاساطيل ورميها بالمنطرة المذكورة وأن يكون ما ينشأ من الجرائى والشانديات فى الصناعة بالجزيرة قال ولما وفى النيل ستة عشر ذراعاً ركب الخليفة والوزير الى الصناعة بمصر ورميت العشاريات بين أيديهما ثم عديا فى احداها الى المقياس وقال ابن الطوير الخدمة فى ديوان الجهاد ويقال له ديوان العمائر وكان محله بصناعة الانشاء بمصر للأسطول والمراكب الحاملة للغلات السلطانية والاحطاب وغيرها وكانت تزيد على خمسين عشاريا ويلها عشرون ديماساً منها عشرة برسم خاص الخليفة أيام الخليج وغيرها ولكل منها رئيس ونواقي لا يرحون ينفق فيهم من مال هذا الديوان وبقية العشاريات الدواميس برسم ولادة الاعمال المميزة فهى بحر لهم وينفق فى رؤسائها ورجالها، أينما كانوا من مال هذا الديوان وتقيم مع أحدهم مدة مقامه فإذا صرف عاد فيه وخرج المتولى الجديد فى العشارى المرسى بالصناعة ولا يخرج الا بتوقيع باطلاقه والانفاق فيه وللعشارفين بالاعمال عشاريات دون هذه وفى هذا الديوان برسم خدمة ما يجرى فى الاساطيل نائبان من قبل مقدم الاسطول وفيه من الحواصل اعمارة المراكب شئ كثير وإذا لم ينف ارتفاعه بما يحتاج اليه استدعى له من بيت المال ما يسد خلله قال وكان من أهم أمورهم احتفالهم بالاساطيل والاجناد ومواصلة انشاء المراكب بمصر والاسكندرية ودمياط من الشواني الحربية والشانديات والمسطحات الى بلاد الساحل حين كانت بأيديهم مثل صور وعكا وعسقلان وكانت جريدة قواده أكثر من خمسة آلاف مدونة منهم عشرة أعيان تصل جامكية كل منهم الى عشرين ديناراً ثم الى خمسة عشر ثم الى عشرة دنانير ثم الى ثمانية ثم الى دينارين وهى أقلها ولهم اقطاعات تعرف بأبواب الغزاة بما فيه من النطرون فيصل دينارهم بالنسبة الى نصف دينار وحواليه ويعين من هؤلاء القواد العشرة من يقع الاجماع عليه لرياسة الاسطول المتوجه للغزو فيكون معه الفانوس وكلهم يهتدون به ويقامون باقلاعه ورسون بارسائه ويقدم على الاسطول أمير كبير من أعيان الاسراء وأقواهم جناباً ويتولى النفقة فيهم للغزو الخليفة بنفسه بحضور الوزير فإذا أراد النفقة فيما تعين من عدة المراكب السائرة وكانت آخر وقت تزيد على خمسة وسبعين شينياً وعشر مسطحات وعشر حمالة فيتقدم الى التقيا باحضار الرجال ويسمع بذلك من هو خارج مصر والقاهرة فيدخل اليها ولهم المشاهدة والجرايات المتقررة مدة أيام السفر وهم معروفون عند عشرين نقبياً ولا يمترض أحد أحداً الا من رغب فى ذلك من نفسه فإذا اجتمعت العدة المغلفة للمراكب المطلوبة أعلم المقدم بذلك الوزير فطالع الخليفة

بالحال وفرز يوم للنفقة فحضر الوزير بالاستدعاء على العادة فيجلس الخليفة على هيئته في المجلس ويجلس الوزير في مكانه ويحضر صاحب ديوان الجيش وهما المستوفي وهو أميرها ويجلس داخل عتبة المجلس وهذه رتبة له مميزة وكاتب الجيش الاصل ويجلس بجانبه تحت العتبة على حصر مفروشة بالقاعة ولا يخلو المستوفي أن يكون عدلا أو من أعيان الكتاب المسلمين وأما كاتب الجيش فهو دى في الاغاب ويفرش أمام المجلس أنطاع تصب عليها لدرامهم ويحضر الوزانون يبيت المال لذلك فاذا تهيأ الاتفاق أدخل القابضون مائة مائة ويقفون في آخر الوقوف بين يدي الخليفة من جانب واحد نقابة نقابة وتكون أسماؤهم قد رتبت في أوراق لاستدعائهم بين يدي الخليفة ويستدعى مستوفي الجيش من تلك الاوراق واحدا واحدا فاذا خرج اسمه عبر من الجانب الذي هو فيه الى الجانب الخالي فاذا تكمل عشرة رجال وزن الوزانون لهم النفقة وكانت لكل واحد خمسة دنانير صرف كل دينار ستة وثلاثون درهما فيتسلمها النقيب وتكتب بيده وباسمه وتمضي النفقة كذلك الى آخرها فاذا تم ذلك اليوم ركب الوزير من بين يدي الخليفة وانفض ذلك الجمع فيحمل من عند الخليفة مائة يقال لها غداء الوزير وهي سبع محفلات أوساط احداها بلحم دجاج وفستق والبقية من شواء وهي مكمورة بالازهار فتكون هذه عدة أيام تارة متوالية وتارة متفرقة فاذا تكملت النفقة وتجهزت المراكب وتهيأت للسفر ركب الخليفة والوزير الى ساحل المقدس وذكر ابن أبي طي أن المعز لدين الله انشأ ستمائة مركب لم ير مثلهما في البحر على مدينة وعمل دار صناعة بالمقدس

* (دار الملك) * وكان من جملة مناظرهم دار الملك بمصر وهي من انشاء الافضل ابن أمير الجيوش ابتداء في بنائها وانشائها في سنة احدى وخمسمائة فلما اكملت تحول اليها من دار القباب بالقاهرة وسكنها وحول اليها الدواوين من القصر فصارت بها وجعل فيها الاسمطة واتخذ بها مجلسا سماه مجلس العطايا كان يجلس فيه فلما قتل الافضل صارت دار الملك هذه من جملة منزهات الخلفاء وكان بها بستان عظيم وما زالت عظيمة الى أن انقرضت الدولة فجعلها الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب دار متجر ثم عملت في أيام الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري دار وكالة وموضع دار الملك ما وراء حجة الحروب بجوار المدرسة المعزية وبقي منها جدار يجلس تحته يباعوا الحناء * قال ابن المأمون ومن جملة ما قرره القائد أبو عبد الله من تعظيم المملكة وتفخيم أمر الساطنة أن المجلس الذي يجلس فيه الافضل بدار الملك يسمى مجلس العطايا فقال القائد مجلس يدعى بهذا الاسم ما يشاهد فيه دينار يدفع لمن يسأل وأمر بتفصيل ثمان ظروف ديباج أطلس من كل لون اثنين وجعل في سبعة منها خمسة وثلاثين ألف دينار في كل ظرف خمسة آلاف دينار سكب وبطاقة بوزنه وعدده

وشرابة حرير كبيرة من ذلك ستة ظروف دنائير بالسوبة عن الدين والشمال في مجلس
المعطايا الذي يرسم الجلوس وعند مرتبة الافضل بقاعة اللؤلؤة طرفان أحدهما دنائير
والآخر دراهم جدد فالذي في اللؤلؤة يرسم ما يستدعيه الافضل اذا كان عند الحرم وأما
الذي في مجلس المعطايا فان جميع الشعراء لم يكن لهم في الايام الافضلية ولا فيما قبلها على
الشعر جار وإنما كان لهم اذا اتفق طرب السلطان واستحسانه لشعر من أنشد منهم ما
يسهله الله على حكم الجائزة فرأى القائد أن يكون ذلك من بين يديه من الظروف
وكذلك من يتضرع ويسأل في طلب صدقة أو ينعم عليه ابتداء بغير سؤال يخرج ذلك من الظروف
واذا انصرف الحاضرون نزل القائد المبلغ بخطه في البطاقة ويكتب عليه الافضل بخطه صح
ويعاد الى الظرف ويحتم عليه فلما استهل رجب من سنة اثنى عشرة وخمسمائة وجلس
الافضل في مجلس المعطايا على عادته وحضر الاجل المظفر أخوه للنساء وجلس بين يديه
وشاهد الظروف والقائد وولده وأخوه قيام على رأسه وتقدمت الشعراء على طبقاتهم أمر
لكل منهم بجائزة وشاع خبر الظروف وكثر القول فيها واستعظم أمرها وضوعف مبلغها
واتسع هذا الانعام بالصدقات الجارية بها العادة في مثل هذا الشهر لفقهاء مصر والرباطات
بالقراة وفقرائها * وقال ابن الطوير وقد ذكر ركوب الخليفة في أول العام وحضور القرة
وينقطع الركوب بعد هذا اليوم الذي هو أول العام فيكون في أحاد الايام الى أن يكمل شهر
ولا يتعدى ذلك يومى السبت والثلاثاء فاذا عزم الخليفة على الركوب في احد هذه الايام أعلم
بذلك وعلامته اتفاق الاسلحة في صبيان الركاب من خزانة السلاح خاصة دون مساواها
وأكثر ذلك الى مصر ويركب الوزير محبته من ورائه على أخضر من النظام المتقدم يعنى في
ركوب أول العام وأقل جمع فيخرج شاقا القاهرة وشوارعها على الجامع الطولوني على
المشاهد الى درب الصفاء ويقال له الشارع الاعظم الى دار الانعاط الى الجامع العتيق فاذا
وصل الى بابه وجد الشريف الخطيب قد وقف على مصطبة بجانبه فيها محراب مفروشة
بمحصر معلق عليها سجادة وفي يده المصحف المنسوب خطه الى على بن أبي طالب رضى الله عنه
وهو من حاصله فاذا وازاه وقف في موضعه وناوله المصحف من يده فيسلمه منه ويقبله
ويتبرك به مرارا ويعطيه صاحب الخريطة المرسومة لاصلات ثلاثين دينارا وهى رسمه متى
اجتاز به فيوصلها الشريف الى مشارف الجامع فيكون نصيبهما منها خمسة عشر دينارا
والباقي للقومة والمؤذنين دون غيرهم ويسير الى أن يصل دار الملك فيتزلفها والوزير معه
ومنذ يخرج من باب القصر الى أن يصل الى دار الملك لا يمر بمسجد الا أعطى قيمه من
الخريطة دينارا فلا يزال بدار الملك نهاره فتأتيه المساندة من القصر وعدتها خمسون شدة
على رؤس الفراشين مع صاحب المساندة وهو أستاذ جليل غير محنك وكل شدة فيها طيفور

فيها الأواني الخالص وفيها من الاطعمة الخالص من كل نوع شهى وكل صنف من المطاعم العالية ولها رواء ورائحة المسك فائحة منها وعلى كل شدة طريحة حرير تعلو القوارة التي هي الشدة فيحمل الى الوزير منها جزء وافر ولمن صحبه وللأمراء ولكافة الحاضرين في الخدمة ويصل منها الى الناس بمصر من بعضهم بعضاً شيء كثير ولا يزال الى أن يؤذن عليه بالمعصر فيصلي ويتحرك الى العود الى القاهرة والناس في طريقه لنظرة فيركب وزيه في هذه الايام انه يلبس الثياب المذهبة البياض والملونة والمتنديل من النسبة وهو مشدود شدة مفردة عن شدات الناس وذوآبته مرخاة من جانبه الأيسر ويتقلد بالسيف العربي المجوهر بغير حنك ولا مظلة ولا يتيمة فان ذلك في أوقات مخصوصة ولا يمر أيضاً بمسجد في سلوكه في هذه الطريق بالساحل الا ويعطي قيمه دينارا أيضاً كما جرى في الرواح وينعطف من باب الخرق ويدخل من باب زويلة شاقا القاهرة حتى يدخل القصر فيكون ذلك من المحرم الى شهر رمضان اما أربع مرات أو خمس مرات ومن شعر الاسعد اسعد بن مذهب بن زكريا بن أبي مليح مما في دار الملك هذه

حللت بدار الملك والنيل آخذ * بأطرافها والموج يوسمها ضربا
نخيلته قد غار لها وطنتها * عليها فأضحى عند ذاك لها حربا
(منازل العز) *

بنها السيدة تغريد أم العزيز بالله بن المعز ولم يكن بمصر أحسن منها وكانت مطلة على النيل لا يحجبها شيء عن نظره وما زال الخلفاء من بعد المعز يتداولونها وكانت معدة لزيارتهم وكان يجوارها حمام ولها منها باب وموضعها الآن مدرسة تعرف بالمدرسة التقوية منسوبة للحاكم المظفر تقي الدين عمرو بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شادي
(الهودج) * وكان من منزهاتهم العظيمة البناء العجيبة البديعة الزى بناء في جزيرة الفسطاط التي تعرف اليوم بالروضة يقال له الهودج بناء الخليفة الأمر بأحكام الله لمحبوته البدوية التي غلب عليه حبها بجوار البستان المختار وكان يتردد اليه كثيراً وقتل وهو متوجه اليه وما زال منزهاً للخلفاء من بعده قال ابن سعيد في كتاب المحلى بالإشعار قال القرطبي في تاريخه تذاكر الناس في حديث البدوية وابن مياح من بني عمها وما يتعلق بذلك من ذكر الأمر حتى صارت رواياتهم في هذا الشأن كأحاديث البطال وألف ليلة وليلة وما أشبه ذلك والاختصار منه أن يقال ان الأمر كان قد بلى بعشق الجوارى العربيات وصارت له عيون بالبوادى فبلغه أن جارية بالصعيد من أكمل العرب وأظرفهم شاعرة جميلة فيقال انه تزيا بزى بداء الاعراب وكان يجول في الاحياء الى أن انتهى الى حبيها وبات هناك في ضائفة وتحيل حتى عاينها هنالك فما ملك صبره ورجع الى مقر ملكه وأرسل الى أهلها يخطبها

وتزوجها فلما وصلت صعب عليها مفارقة ما اعتادته وأجبت أن تسرح طرفها في الفضاء ولا تنقبض نفسها تحت حيطان المدينة فبنى لها البناء المشهور في جزيرة النسطاط المعروف بالهودج وكان غريب الشكل على شط النيل وبقيت متعلقة الخاطر بآبن عم لها ربيت معه يعرف بآبن مياح فكثبت إليه من قصر الأمر

يا بن مياح اليك المشتكى * مالك من يسدكم قد ملكا
كنت في حي مطاعا أمرا * نائلا ماشئت منكم مدركا
فانا الآن بقصر مرصد * لأرى الا خبيثا ممسكا
كم تئينا كأغصان اللوا * حيث لا نخشى علينا دركا
فأجابها

بنت عمى والى غديتها * بطوى حتى علا واحتبكا
بجت بالشكوى وعندي ضعفها * لو غدا ينفع منا المشتكى
مالك الامر اليسه أشتكى * مالك وهو الذى قد ملكا
قال وللناس في طلب ابن مياح واختفائه أخبار تطول وكان من عرب طي في قصر
الآمر طراد بن مهمل السنبسى قبلفته هذه القضية فقال

ألا بلغوا الأمر المصطفى * مقال طراد ونعم المقال
قطعت الالفين عن ألفه * بها سمر الحى بين الرجال
كذا كان آباؤك الاكرمون * سألت فقل لى جواب السؤال

فقال الخليفة الأمر لما بلغته الايات جواب سؤاله قطع لسانه على فضوله وطلب في
أحياء العرب فلم يوجد فقالت العرب ما أخسر صفقة طراد باع آيات الحى بثلاثة آيات وكان
بالاسكندرية مكين الدولة أبو طالب أحمد بن عبد المجيد بن أحمد بن الحسن بن حديد
له مرواة عظيمة ويحتذى أفعال البرامكة وللشعراء فيه أمداح كثيرة مدحه سافرا انداد
وأمية بن أبي الصلت وغيرهما وكان له بستان يتفرج فيه به جرن كبير من رخام وهو قطعة
واحدة وينحدر فيه الماء فيبقى كالبركة من كبره وكان يجد في نفسه برؤيته زيادة على
أهل التعم والمباهاة في عصره فوشى به للبدوية محبوبة الأمر فسأت الخليفة الأمر في حمل
الجرن إليها فأرسل الى ابن حديد باحضار الجرن فلم يجد بدا من حمله من البستان فلما صار
الى الأمر أمر بعمله في الهودج فقلقى ابن حديد وصارت في قلبه جرارة من أخذ الجرن
فأخذ يخدم البدوية ومن يلوذ بها بأنواع الخدم العظيمة الخارجة عن الحد في الكثرة حتى
قالت البدوية هذا الرجل أخجلنا بكثرة تحفه ولم يكلفنا قط أمرا نقدر عليه عند الخليفة
مولانا فلما قيل له هذا القول عنها قال مالى حاجة بعد الدعاء لله بحفظ مكانها وطول حياتها
(م ٤٨ - خطط ن)

في عز غير رد الفسقية التي قامت من دارى التي بنيتها في أيامهم من نعمتهم ترد الى مكانها فتعجبت من ذلك وردتها عليه فقبل له حصلت في حد أن خيرتك البدوية في جميع المطالب فنزلت همتك الى قطعة حجر فقال أنا أعرف بتقضى ما كان لها أمل سوى أن لا تغلب فى أخذ ذلك الحجر من مكانه وقد بلغها الله أمها وكان هذا المكين متولى قضاء الاسكندرية ونظرها في أيام الأمر وبلغ من علو همته وعظم مروءته أن سلطان الملوك حيدرة أخا الوزير المأمون بن البطاخي لما قبله الأمر ولاية نجر الاسكندرية في سنة سبع عشرة وخمسمائة وأضاف اليه الاعمال البحرية ووصل الى الثغر ووصف له الطيب دهن شمع بحضور القاضى المذكور فأمر في الحال بعض غلمانه بالمضى الى داره لاحضار دهن شمع فما كان أكثر من مسافة الطريق الا أن أحضر حقا محتوما فك عنه فوجد فيه منديل لطيف مذهب على مداف بلور فيه ثلاثة بيوت كل بيت عليه قبة ذهب مشبكة مرصعة بياقوت وجوهر بيت دهن يمسك وبيت دهن بكافور وبيت دهن بعنبر طيب ولم يكن فيه شئ مصنوع لوقته فعند ما احضره الرسول تعجب المؤمن والحاضرون من علو همته فعند ماشاهد القاضى ذلك بالغ في شكر انعامه وحلف بالحرام ان عاد الى ملكه فكان جواب المؤمن قد قبلته منك الحاجة اليه ولا نظر في قيمته بل لاظهار هذه الهمة واذاعتها وذكر أن قيمة هذا المداف وما عليه خمسمائة دينار فانظر رحمك الله الى من يكون دهن الشمع عنده فى اثناء قيمته خمسمائة دينار ودهن الشمع لا يكاد أكثر الناس يحتاج اليه البتة فاذا تكون ثيابه وحلى نسائه وفرش داره وغير ذلك من التجملات وهذا انما هو حال قاضى الاسكندرية ومن قاضى الاسكندرية بالنسبة الى اعيان الدولة بالحضرة وما نسبة اعيان الدولة وان عظمت أحوالهم الى أمر الخلافة وأبهاها الا يسير فقير وما زال الخليفة الأمر يتردد الى الهودج المذكور الى أن ركب يوم الثلاثاء رابع ذى القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة يريد الهودج وقد كن له عدة من الترابية فى فرن عند رأس الجسر من ناحية الروضة فوثبوا عليه وأخنوه بالجراحة حتى هلك وحمل فى العشارى الى الألوثة فمات بها وقيل قبل أن يصل اليها وقد خرب هذا الهودج وجهل مكانه من الروضة ولله عاقبة الامور

(قصر القرافة) وكان لهم بالقرافة قصر بنته السيدة تغريد أم العزيز بالله بن المعز فى سنة ست وستين وثلثمائة على يد الحسين بن عبد العزيز الفارسى المحتسب هو والحمام الذى فى غريبه وبنت البئر والبستان وجامع القرافة وكان هذا القصر نزهة من النزه من أحسن الآثار فى اتقان بنيانه وصحة أركانه وله منظره مليحة كبيرة محمولة على قبة ماد تجوز المارة من تحته ويقبل المسافرين فى أيام القيظ هناك ويركب الراكب اليه على زلافة وكان كاحسن ما يكون من البناء وتحت حوض اسقى الدواب يوم الحلول فيه وكان مكانه بالقرب من مسجد

الفتح ولما كان في سنة عشرين وأربعمائة جده الخليفة الآمر وعمل تحته مصطبة للصوفية وكان يجلس في الطاق بأعلى القصر ويرقص أهل الطريقة من الصوفية والمجامر بالالوية موضوعة بين أيديهم والشموع الكثيرة تزهو وقد بسط تحتهم حصراً فوقها بسط ومدت لهم الاسمطة التي عليها كل نوع لذيذ ولون شهى من الاطعمة والحلوى أصنافاً مصنفة فاتفق أن تواجد الشيخ أبو عبد الله بن الجوهري الواعظ ومزق مرقعته وفرت على العادة خرقاً وسأل الشيخ أبو اسحاق ابراهيم المعروف بالقارح المقرئ خرقه منها ووضعها في رأسه فلما فرغ التزيق قال الخليفة الآمر بأحكام الله من طاق بالمنظرة يا شيخ أبا اسحق قال ليك يامولانا قال أين خرقتي فقال مجيباً له في الحال هاهي على رأسي يا أمير المؤمنين فاستحسن الآمر ذلك وأعجبه موقعه فأمر في الساعة والوقت فأحضر من خزائن الكسوات ألف نصفية ففرقت على الحاضرين وعلى فقراء القرافة ونثر عليهم متولى بيت المال من الطاق ألف دينار فتخاطفها الحاضرون وتماهد المغربلون الأرض التي هناك أياماً لاخذ ما يواريه التراب وما برح قصر الاندلس بالقرافة حتى زالت الدولة فهدم في شهر ربيع الآخر سنة سبع وستين وخسمائة (المنظرة ببركة الحبش) وكانت لهم منظرة تشرف على بركة الحبش قال الشريف أبو عبد الله محمد الجواني في كتاب النقط على الخطط أن الخليفة الآمر بأحكام الله بني على المنظرة التي يقال لها بئر دكة الحركة منظرة من خشب مدهونة فيها طاقات تشرف على خضرة بركة الحبش وصور فيها الشعراء كل شاعر وبلده واستدعى من كل واحد منهم قطعة من الشعر في المدح وذكر الحركة وكتب ذلك عند رأس كل شاعر وبجانب صورة كل منهم رف لطيف مذهب فلما دخل الآمر وقرأ الاشعار أمر أن يحط على كل رف صرّة محتومة فيها خمسون ديناراً وأن يدخل كل شاعر ويأخذ صرته بيده ففعلوا ذلك وأخذوا صرورهم وكانوا عدة شعراء

* (البساتين) * وكان للخلفاء عدة بساتين يتنزهون بها منها البساتين الجبوشية وهما بستانان كبيران أحدهما من عند زقاق السكحل خارج باب الفتوح الى المطرية والآخر يمتد من خارج باب القنطرة الى الخندق وكان لهما شأن عظيم ومن شدة غرام الافضل بالبستان الذي كان يجاور بستان البعل عمل له سورا مثل سور القاهرة وعمل فيه بحرا كبيرا وقبة عشاري تحمل ثمانية أرباب ونى في وسط البحر منظرة محمولة على أربع عواميد من احسن الرخام وحفها بشجر النارج فكان نارنجها لا يقطع حتى يتساقط وسلط على هذا البحر أربع سواق وجعل له معبرا من نحاس مخروط زنته قنطار وكان يملأ في عدة أيام وجلب اليه من الطيور المسمومة شياً كثيراً واستخدم للحمام الذي كان به عدة مطيرين وعمر به أبراجاً عدة للحمام والطيور المسمومة وسرح فيه كثيراً من الطاوس وكان البستانان اللذان

على يسار الخارج من باب الفتوح بينهما بستان الخندق لسكل منهما أربعة ابواب من الاربع جهات على كل منها عدة من الارمن وجميع الدهاليز مؤزرة بالحصر العبداني وعلى ابوابها سلاسل كثيرة من حديد ولا يدخل منها الا السلطان وأولاده وأقاربه * قال ابن عسبد الظاهر واتفقت جماعة على أن الذي يشتمل عليه مبيعهما في السنة من زهر وثمر نيف وثلاثون ألف دينار وانها لا تقوم بمؤنهما على حكم اليقين لا الشك وكان الحاصل بالبستان الكبير والمحصن الى آخر الايام الامرية وهي سنة اربع وعشرين وخمسمائة ثمانمائة وأحد عشر رأساً من البقر ومن الجمال مائة وثلاثة رؤس ومن العمال وغيرهم ألف رجل وذكر أن لدى دار سور البستانين من سنط وجيز وأثل من أول حددهما الشرقي وهو ركن بركة الارمن مع حددهما البحري والغربي جميعا الى آخر زقاق السكحل في هذه المسافة الطويلة سبعة عشر ألف ألف ومائتا شجرة وبقي قبلهما جميعا لم يحصن وان السنط تغصن حتى الحق بالجيز في العظم وان معظم قرطه يسقط الى الطريق فيأخذه الناس وبعد ذلك يباع بأربعمائة دينار وكان به كل ثمرة لها دويرة مفردة وعليها سياج وفيها نخل منقوش في ألواح عليها برسم الخالص لا تجنى الا بحضور المشارف وكان فيهما اليومون تفاحي يؤكل بقشره بغير سكر وأقام هذان البستانان بيد الورثة الجيوشية مع البلاد التي لهم مدة أيام الوزير المأمون لم يخرج عنهم وكشف ذلك في أيام الخليفة الحافظ فكان فيهما ستمائة رأس من البقر وثمانون جلا وقوم ما عليهما من الأثل والجيز فكانت قيمته مائتي ألف دينار وطلب الأمير شرف الدين وكانت له حرمة عظيمة من الخليفة الحافظ قطع شجرة واحدة من سنط فأبى عليه فتشفع اليه وقومت بسبعين دينارا فرسم الخليفة ان كانت وسط البستان تقطع والا فلا ولما جرى في آخر أيام الحافظ ما جرى من الخلف ذبحت أبقاره وجماله ونهب ما فيه من الآلات والانقاض ولم يبق الا الجيز والسنط والأثل لعدم من يشتريه انتهى وكان هذان البستانان من جملة بساتين الجيوشية وهو أن أمير الجيوش بدرا الجمالي حبس عدة بلاد وغيرها منها في البر الشرقي بناحية بهتيت والاميرية والمثنية وفي البر الغربي ناحية سقط ونها ووسيم مع هذين البستانين المذكورين على عقبه فاستأجر هذا الحبس الوزراء مدة سنين باجرة يسيرة وصار يزرع في الشرقي منه الكتان ومنه ما تبلغ قطيعته ثلاثة دنانير ونصف اوربعا عن كل فدان فيتناولون فيه ربعا جزيلا لانفسهم فاما بعد العهد انقرضت أعقابه ولم يبق من ذريته سوى امرأة كبيرة فأفتى الفقهاء بان هذا الحبس باطل فصار للديوان السلطاني يتصرف فيه ويحمل متحصله مع أموال بيت المسال وتلاشت البستانين وبني في أماكنها ما يأتي ذكره ان شاء الله تعالى وبني العزيز بالله بستانا بناحية سردوس

(* قبة الهواء) * وكان من أحسن منزهات الخلفاء الفاطميين قبة الهواء وهي مستشرف

بهج بديع فيما بين التاج والخمس وجوه يحيط به عدة بستين لكل بستان منها اسم ولهذه القبة فرش معدة في الشتاء والصيف ويركب اليها الخليفة في أيام الركوبات التي هي يوم السبت والثلاثاء

* (بحر أبي المنجا) * وكان من منزهات الخلفاء يوم فتح بحر أبي المنجا قال ابن المأمون وكان الماء لا يصل الى الشرقية الا من السردوسى ومن الصمام ومن المواضع البعيدة فكان أكثرها يشرق في أكثر السنين وكان أبو المنجا اليهودى مشارف الاعمال المذكورة فتضرر المزارعون اليه وسألوا في فتح ترعة يصل الماء منها في ابتداء الهم فابتدأ بحفر خليج أبي المنجا في يوم الثلاثاء السادس من شعبان سنة ست وخمسة وركب الافضل ابن أمير الجيوش ضحى وصحبه القائد أبو عبد الله محمد بن قاتك البطائحي وجميع اخوته والعساكر تحاذيه في البر وجمت شيوخ البلاد وأولادها وركبوا في المراكب ومعهم حزم البوص في البحر وصاروا المشارى والمراكب تتبعها الى أن رماها الموج الى الموضع الذى حفروا فيه البحر وأقام الحفر فيه سنتين وفى كل سنة تبتن الفائدة فيه ويتضاعف من ارتفاع البلاد ما يهون الغرامة عليه * ولما عرض على الافضل جملة ما أنفق فيه استعظمه وقال غررنا هذا المال جميعه والاسم لابی المنجا فغير اسمه ودعى بالبحر الافضل فلم يتم ذلك ولم يعرف الا بأبى المنجا ثم جرى بين أبى المنجا وبين ابن أبى الليث صاحب الديوان بسبب الذى أنفق خطوط أدت الى اعتقال أبى المنجا عدة سنين ثم نفى الى الاسكندرية بعد أن كادت نفسه تناف ولم يزل القائد أبو عبد الله بن قاتك يتلطف بحاله الى تضاعف من عبء البلاد ما سهل أمر النفقة فيه ورأيت بخط ابن عبد الظاهر وهذا ابو المنجا هو جسد بنى صغير الحكماء اليهود والذين أسلموا منهم ولما طال اعتقال أبى المنجا في الاسكندرية في مكان بفردة مضيقاً عليه تحيل في تحصيل مصحف وكتب ختمة وكتب في آخرها كتبها أبو المنجا اليهودى وبعثها الى السوق ليبيعه فقامت قيامة أهل الثغر وطولع بأمره الى الخليفة فأخرج وقيل له ما حملك على هذا فقال طلب الخلاص بالقتل فأدب وأطلق سبيله وقيل انه كان في محبسه حية عظيمة فأحضر اليه في بعض الايام لبن فرأى الحية وقد شربت منه ودخلت جحرها فصار في كل يوم يحضر لها لبناً فتخرج وتشرب منه وتدخل مكانها ولم تؤذ ولما ولى المأمون البطائحي وزارة الأمر بأحكام الله بعد الافضل بن أمير الجيوش تحدث الأمر معه في رؤية فتح هذا الخليج وأن يكون له يوم كخليج القاهرة فشد الأمر معه عدي الملك أبا البركات بن عثمان وكيه وأمره بأن يبنى على مكان السد منظره متسعة تكون من بحرى السد وشرع في عمارتها بعد كمال الذيل وما زال يوم فتح سد هذا البحر يوماً مشهوداً الى أن زالت الدولة الفاطمية ففعل استولى بنو أيوب من بعدهم على مملكة مصر أجروا

الحال فيه على ما كان قال القاضي الفاضل في متجددات سنة سبع وسبعين وخمسمائة وركب السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب لفتح بحر أبي المنجا وعاد قال وفي سنة تسعين وخمسمائة كسر بحر أبي المنجا بعد أن تأخر كسره عن عيد الصليب بسبعة ايام وكان ذلك لقصور النيل في هذه السنة ولم يباشر السلطان الملك العزيز عثمان بن السلطان صلاح الدين بنفسه وركب أخوه شرف الدين يعقوب الطواشي لكسره وبدأت في هذا اليوم من مخايل القبوط ما يوجب سوء الافعال من المجاهرة بالمنكرات والاعلان بالفواحش وقد أفرط هذا الامر واشترك فيه الأمر والمأمور ولم ينسأخ شهر رمضان الا وقد شهد ما لم يشهده رمضان قبله في الاسلام وبدأ عقاب الله في الماء الذي كانت المعاصي على ظهره فان المراكب كان يركب فيها في رمضان الرجال والنساء مختلطين مكشفات الوجوه وأبدى الرجال تنال منها ما تنال في الحلوات والطبول والميدان مرتفعات الاصوات والصنجات واستنابوا في الدليل عن الحر بالساء والجلاب ظاهرا وقيل انهم شربوا الخمر مستورا وقربت المراكب بعضها من بعض وعجز المنكر عن الانكار الا بقلبه ورفع الامر الى السلطان فتدب حاجبه في بعض الليالي ففرق منهم من وجده في الحالة الحاضرة ثم عادوا بعد عوده وذكر أنه وجد في بعض المعادى خمرأ فأراقه ولما استهل شوال وهو مطموع فيه تضاعف هذا المنكر وفشت هذه الفاحشة ونسأل الله المغو والعافية عن الكبائر والتجاوز عما تسقط فيه المعاذير * وقال في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة كسر بحر أبي المنجا وباشر العزيز كسره وزاد النيل فيه أصبعاً وهي الأصبع الثامنة عشرة من ثمانى عشر ذراعا وهذا الحد يسمى عند أهل مصر اللجة الكبرى وقد تلاشى في زمننا امر الاجتماع في يوم فتح سد بحر أبي المنجا وقل الاحتفال به لشغل الناس بهم المعيشة (قصر الورد بالخاقانية) وكان من أيام منزهات الخلفاء يوم قصر الورد بناحية الخاقانية وهي قرية من قرى قايوب كانت من خاص الخليفة وبها جنان كثيرة للخليفة وكانت من أحسن المنزهات المصرية وكان بها عدة دويرات يزرع فيها الورد فيسير اليها الخليفة يوماً ويصنع له فيها قصر عظيم من الورد ويخدم بضيافة عظيمة * قال ابن الطوير عن الخليفة الأمر بأحكام الله وعمل له بالخاقانية وكانت من خاص الخليفة قصر من ورد فسار اليها يوماً وخدم بضيافة عظيمة فلما استقر هناك خرج اليه أمير يقال له حسام الملك من الامراء الذين كانوا مع المؤمن أخي المأمون البطاحي وتخاذلوا عنه فوصل الى الخاقانية وهو لابس لامة حربه والتمس الثول بين يديه يعنى الخليفة فاستقل ما جاء به في ذلك الوقت مما بنافي مافيه الخليفة من الراحة والزهة وحيل بينه وبين مقصوده فقال لجساعة من حواشي الخليفة أنهم منافقون على الخليفة ان لم أصل اليه فانه يعاقبكم بذلك فأطلعوا الخليفة على أمره وحليته بالسلاح ووقوله فأمر باحضاره فلما وقعت عينه عليه قال يامولانا لمن تركت أعداءك يعنى

الوزير المأمون البطائحي وأخاه وكان الأمر قد قبض عليهما واعتقلهما هذا والمهد قريب غير بعيد أمنت القدر فما أجابه الا وهو على الرهاويج من الخيل فلم تمض ساعة الا وهو بالقصر فمضى الى مكان اعتقال المأمون وأخيه فزادها وثاقا وحراسة وفي أثناء ذلك وصل ابن نجيب الدولة الذي كان سيره المأمون في وزارته الى اليمن لتحقيق نسبه أنه ولد من جارية نزار بن المستنصر لما خرجت من القصر وهي به حامل ويدعو اليه بقية الناس وأحضر الى القاهرة على جبل مشوه فأدخل خزانة البنود وقتل هو والمأمون وجماعة في تلك الليلة وصلوا ظاهر القاهرة

* (بركة الحب) * هي بظاهر القاهرة من بحريها وتسميها العامة في زمننا هذا الذي نحن فيه بركة الحاج لنزول الحجاج بها عند سيرهم من القاهرة الى الحج في كل سنة ونزولهم عند العود بها ومنها يدخلون الى القاهرة ومن الناس من يقول جب يوسف وهو خطأ وانما هي أرض جب عميرة وعميرة هذا هو ابن تميم بن حيزم التجيبي من بني القرناء نسبت هذه الارض اليه ف قيل لها أرض جب عميرة ذكره ابن يونس وكان من عادة الخليفة المستنصر بالله أبي تميم معد بن الظاهر بن الحاكم في كل سنة أن يركب على النجيب مع النساء والحشم الى جب عميرة هذا وهو موضع زهرة بهيئة أنه خارج الى الحج على سبيل اللعب والمجانة وربما حمل معه الخمر في الروايا عوضاً عن الماء ويسقيه من معه وأنشده مرة الشريف أبو الحسن علي بن الحسين بن حيدرة العقيلي في يوم عرفة

قم فانحر الراح يوم النحر بالماء * ولا تضح ضحى الا بصهايا

وادرك حبسج الندامى قبل نفرهم * الى منى قصفهم مع كل هيفاء

وعج على مكة الروحاء مبتكراً * فطف بها حول ركن العود والنائي

قال ابن دحية نخرج في ساعته بروايا الخمر تزجي بنغمات حداة المسلاهي ونساق. حتي أناخ بعين شمس في كبكبة من الفساق. فاقام بها سوق الفسوق على ساق. وفي ذلك العام أخذه الله تعالى وأهل مصر بالسنين. حتي يبيع في أيامه الرغيف بالتمن الثمين. وعاد ماء النيل بعد عذوبته كالفسلين. ولم يبق بشاطئيه أحد بعد ان كانوا محفوفين بحور عين. وقال ابن ميسر فلما كان في جمادى الآخرة من سنة أربع وخمسين وأربعمائة خرج المستنصر على عادته الى بركة الحب فاتفق أن بعض الاتراك جرد سيفاً في سكر منه على بعض عبيد الشراء فاجتمع عليه طائفة من العبيد وقتلوه فاجتمع الاتراك بالمستنصر وقالوا ان كان هذا عن رضاك فالسمع والطاعة وان كان عن غير رضاك فلا نرضى بذلك فانكر المستنصر ما وقع وتبرأ مما فعله العبيد فتجمع الاتراك لحرب العبيد وبرز بعضهم الى بعض وكابح بين الفريقين قتال شديد على كوم شريك انهمزم فيه العبيد وقتل منهم عدد كثير وكانت أم المستنصر تعين العبيد وتمدهم

بالاموال والاسلحة فاتفق في بعض الايام أن بعض الاتراك ظفريشي مما تبعث به أم المستنصر الى العميد فأعلم بذلك أصحابه وقد قويت شوكتهم بانهمزام العميد فاجتمعوا بأسرهم ودخلوا على المستنصر وخاطبوه في ذلك وأغلظوا في القول وجهروا بما لا ينبغي وصار السيف قائماً والحروب متتابعة الى أن كان من خراب مصر بالغلاء والفن ما كان وكان من قبل المستنصر يترددون الى بركة الجب قال المسيحي ولانتي عشرة خلت من ذى القعدة سنة أربع وثمانين وثلثمائة عرض العزيز بالله عساكره بظاهر القاهرة عند سطح الجب فنصب له مضرب ديباج رومي فيه الف ثوب بصفوية فضة ونصبت له فائزة مثقل وقبة مثقل بالجوهر وضرب لابنه الامير أبي على منصور مضرب آخر وعرضت العساكر وكان عدتها مائة عسكري وأقبلت أسارى الروم وعدتهم مائتان وخمسون فطيف بهم وكان يوماً عظيماً حسناً لم تزل العساكر تسير بين يديه من ضحوة النهار الى صلاة المغرب وما زالت بركة الجب منزهة للخلفاء والملوك من بني أيوب وكان السلطان صلاح الدين يبرز اليها للصيد ويقم فيها الايام وفعل ذلك الملوك من بعده واعتنى بها الملك الناصر محمد بن قلاوون وبنيها أحواشا وميداناً كما سيأتي ذكره ان شاء الله تعالى وبركة الجب وما يليها في درك بني صبرة وهم ينسبون الى صبرة بن بطيخ بن مغالة بن دحجان بن غلب بن السكيب بن أبي عمرو بن دمية ابن جدس بن اريش بن ارش بن جزيلة بن ظم فظم أحد بطون ظم وفيهم بنو جذام ابن صبرة بن بصرة بن غنم بن غطفان بن سعد بن مالك بن حرام بن جذام اخي ظم

(المشتهى) وكان من مواضعهم التي أعدت للترهة المشتهى

ذكر الايام التي كان الخلفاء الفاطميون يتخذونها أعياداً ومواسم تتسع بها

أحوال الرعية وتكثر نعمهم

وكان للخلفاء الفاطميين في طول السنة أعياد ومواسم وهي موسم رأس السنة وموسم اول العام ويوم عاشوراء ومولد النبي صلى الله عليه وسلم ومولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومولد الحسن ومولد الحسين عليهما السلام ومولد فاطمة الزهراء عليها السلام ومولد الخليفة الحاضر ولية اول رجب ولية نصفه ولية اول شعبان ولية نصفه وموسم ليلة رمضان وغرة رمضان وسباط رمضان ولية الختم وموسم عيد الفطر وموسم عيد النحر وعيد الغدير وكسوة الشتاء وكسوة الصيف وموسم فتح الخليج ويوم التوروز ويوم الفطاس ويوم الميلاد وخمس العرس وأيام الركوبات

(موسم رأس السنة) وكان للخلفاء الفاطميين اعتناء بليمة اول المحرم في كل عام لانها اول ايام السنة وابتداء أوقاتها وكان من رسومهم في ليلة رأس السنة أن يعمل بمطبخ القصر عدة كثيرة من الخراف المقموم والكثير من الرؤس المقموم وتفرق على جميع أرباب

الرتب واصحاب الدواوين من العوالى والادوان أرباب السيوف والاقلام مع حقان اللين
والخبز وأنواع الحلواء فيعم ذلك سائر الناس من خاص الخليفة وجهاته والاستاذين المحنكين
الى أرباب الضوء وهم المشاعلية ويتنقل ذلك فى ايدى اهل القاهرة ومصر

* (موسم أول العام) * وكان لهم بأول العام عناية كبيرة فيه يركب الخليفة بزيه المفخم
وهيئته العظيمة كما تقدم ويفرق فيه دنانير الفرة التى مر ذكرها عند ذكر دار الضرب ويفرق
من السباط الذى يعمل بالقصر لاعيان أرباب الخدم من أرباب السيوف والاقلام بتقرير
مرتب خرفان شواء وزبادى طعام وجامات حلواء وخبز وقطع منفوخة من سكر وأرز
بلبن وسكر فيتناول الناس من ذلك ما يحل وصفه ويتسبطون بما يصل اليهم من دنانير
الفره من رسوم الركوب كما شرح فيما تقدم

* (يوم عاشوراء) * كانوا يتخذونه يوم حزن تعطل فيه الاسواق ويعمل فيه السباط
العظيم المسمى سباط الحزن وقد ذكر عند ذكر المشهد الحسينى فانظره وكان يصل الى
الناس منه شئ كثير فلما زالت الدولة اتخذ الملوك من بنى أيوب يوم عاشوراء يوم سرور
يوسعون فيه على عيالهم ويتسبطون فى المطاعم ويصنعون الحلوات ويتخذون الاواني الجديدة
ويكبتحلون ويدخلون الحمام جرياً على عادة أهل الشام التى سنها لهم الحجاج فى أيام عبد
الملك بن مروان ليرغموا بذلك آناف شيعة على بن أبى طالب كرم الله وجهه الذين يتخذون
يوم عاشوراء يوم عزاء وحزن فيه على الحسين بن على لانه قتل فيه وقد أدركنا بقايا مما
عمله بنو أيوب من اتخاذ يوم عاشوراء يوم سرور وتسبط وكلا الفعلين غير جيد والصواب
ترك ذلك والافتداء بفعل السلف فقط * وما أحسن قول أبى الحسين الجزار الشاعر يخاطب
الشريف شهاب الدين ناظر الاهراء وكتب بها اليه ليلة عاشوراء عند ما أخر عنه ما كان
من جاريه فى الاهراء

قل لشهاب الدين ذى الفضل لندى * والسيد بن السيد بن السيد

أقسم بالفرد العلى الصمد * ان لم يبادر لتجاز موعدى

لأحضرن للهناء فى غد * مكحل العينين مخضوب اليد

يمرض للشريف بما يرمى به الاشراف من التشيع وانه اذا جاء بهيئة السرور فى يوم
عاشوراء غاظه ذلك لانه من أفعال الغضب وهو من أحسن ماسمعت فى التعريض فله دره
(عيد النصر) وهو السادس عشر من المحرم عمله الخليفة الحافظ لدين الله لانه
اليوم الذى ظهر فيه من محبسه ويفعل فيه مايفعل فى الاعياد من الخطبة والصلاة والزينة
والتوسعة فى النفقة وكتب فيه أبو القاسم على بن الصيرفى الى بعض الخطباء عيد النصر
وهو أفضل الاعياد وأسناها وأعلاها وأدناها على تقصير الواصف اذا بلغ وتناهى ونحن
(م ٤٩ - خططى)

تأمر أن تبرز في يوم الاحد السادس عشر من المحرم سنة اثنتين وثلاثين وخمسة على الهية التي جرت العادة بمثلها في الاعياد وتوعد بأن تقرأ على الناس الخطبة التي سيرناها اليك قرين هذا الامر بشرح هذا اليوم وتفصيله وذكر ما خصه الله به من تشريفه وتفضيله وتعمد في ذلك ماجرى الرسم فيه في كل عيد وتنتهي فيه الى الغاية التي ليس عليها مزيد فاعلم هذا واعمل به ان شاء الله تعالى

* (المواليد الستة) * كانت مواسم جليلة يعمل الناس فيها ميزات من ذهب وفضة وخشكناخ وحلواء كما مر ذلك

* (ليالى الوقود الاربع) * كانت من أبهج الليالى وأحسنها يحشر الناس لمشاهدتها من كل أوب وتصل الى الناس فيها أنواع من البر وتمتظم فيها ميزة أهل الجوامع والمشاهد فانظره في موضعه تحده

* (موسم شهر رمضان) * وكان لهم في شهر رمضان عدة أنواع من البر منها كشف المساجد قال الشريف الجواني في كتاب النقط كان القضاة بمصر اذ بقى لشهر رمضان ثلاثة أيام طافوا يوما على المشاهد والمساجد بالقاهرة ومصر فيبدعون بجامع المقس ثم بجوامع القاهرة ثم بالمشاهد ثم بالقرافة ثم بجامع مصر ثم بمشهد الرأس لنظر حصر ذلك وقناديله وعمارتها وازالة شعثه وكان أكثر الناس ممن يلوذ بسباب الحكم والشهود والطفيليين يتعينون لذلك اليوم والطواف مع القاضى لحضور السباط

* (ابطال المسكرات) * قال ابن المأمون وكانت العادة جارية من الايام الافضية في آخر جمادى الآخرة من كل سنة أن تغلق جميع قاعات الخمارين بالقاهرة ومصر وتختتم ويحذر من بيع الخمر فرأى الوزير المأمون لما ولى الوزارة بعد الافضل بن أمير الحيوش أن يكون ذلك في سائر أعمال الدولة فكتب به الى جميع ولاة الاعمال وأن ينادى بأنه ممن تعرض لبيع شئ من المسكرات أو لشراؤها سرا أو جهرا فقد عرض نفسه لتلافها وبرئت الذمة من هلاكها

* (ومنها غرة رمضان) * وكان في أول يوم من شهر رمضان يرسل لجميع الامراء وغيرهم من أرباب الرتب والخدم لكل واحد طبق ولكل واحد من أولاده ونسائه طبق فيه حلواء وبوسطه صرة من ذهب فيم ذلك سائر أهل الدولة ويقال لذلك غرة رمضان * (ومنها ركوب الخليفة في أول شهر رمضان) * قال ابن الطوير فاذا انقضى شعبان اهتم بركوب أول شهر رمضان وهو يقوم مقام الرؤية عند المتشيعين فيجرب امره في اللباس والالات والاسلحة والعرض والركوب والترتيب والموكب والطريق المسلوكة كما وصفناه في أول العام لا يختل بوجهه ويكتب الى الولاة والنواب والاعمال بمسايطير مخلقة يذكرونها ركوب الخليفة

* (ومنها سباط شهر رمضان) * وقد تقدم ذكر السباط في قاعة الذهب من القصر
 * (سجور الخليفة) * قال ابن المأمون وقد ذكر أسمطة رمضان وجلس الخليفة بعد
 ذلك في الروشن الى وقت السجور والمقرئون تحته يتلون عشرا ويطربون بحيث يشاهدهم
 الخليفة ثم حضر بعدهم المؤذنون وأخذوا في التكبير وذكر فضائل السجور وختموا بالدعاء
 وقدمت الخاد للوعاظ فذكروا فضائل الشهر ومدح الخليفة والصوفيات وقام كل من الجماعة
 للرقص ولم يزالوا الى أن انقضى من الليل أكثر من نصفه فحضر بين يدي الخليفة أستاذ
 بما أنعم به عليهم وعلى الفراشين وأحضرت جفان القطائف وجرار الجلاب برسمهم فأكلوا
 وملأوا أكمامهم وفضل عنهم مخططفه الفراشون ثم جلس الخليفة في السدلا التي كان بها
 عند الفطور وبين يديه المساندة معبأة جميعها من جميع الحيوان وغيره والقعبة الكبيرة الخاصة
 مملوءة أوساطه بالهمة المعروفة وحضر الجلساء واستعمل كل منهم ما قدر عليه وأوما الخليفة
 بأن يستعمل من القعبة فيفرق الفراشون عليهم أجمعين وكل من تناول شيئاً قام وقبل الأرض
 وأخذ منه على سبيل البركة لاولاده وأهله لأن ذلك كان مستفاضاً عندهم غير معيب على
 فاعله ثم قدمت الصحون الصيني مملوءة قطائف فأخذ منها الجماعة الكفاية وقام الخليفة
 وجلس بالاذنهج وبين يديه السجورات المطيبات من لبنين رطب ومخض وعدة أنواع عصارات
 وافطولات وسويق ناعم وجريش جميع ذلك بقلوبات وموز ثم يكون بين يديه صينية ذهب
 مملوءة سفوفاً وحضر الجلساء وأخذ كل منهم في تقبيل الأرض والسؤال بما بنعم عليه منه
 فتناولوه المستخدمون والاستاذون وفرقوه فأخذ القوم في أكمامهم ثم سلم الجميع وانصرفوا
 * (ومنها الختم في آخر رمضان) * وكان يعمل في التاسع والعشرين منه * قال ابن
 المأمون ولما كان التاسع والعشرون من شهر رمضان خرج الأمر باضاف ما هو مستقر
 للمقرئين والمؤذنين في كل ليلة برسم السجور بحكم انها ليلة ختم الشهر وحضر الاجل الوزير
 المأمون في آخر النهار الى القصر للفطور مع الخليفة والحضور على الاسمطة على العادة وحضر
 اخوته وعمومته وجميع الجلساء وحضر المقرئون والمؤذنون وسلموا على عاداتهم وجلسوا
 تحت الروشن وحمل من عند معظم الجهات والسيدات والمميزات من أهل القصور ثلاثي
 وموكيات مملوءة ماء ملفوفة في عراضى ديبق وجعلها أمام المذكورين لتشملها بركة ختم
 القرآن الكريم واستفتح المقرئون من الحمد الى خاتمة القرآن تلاوة وتطريباً ثم وقف بعد
 ذلك من خطب فسمع ودعا فأبلغ ورفع الفراشون ما عدوه برسم الجهات ثم كبر المؤذنون
 وهللوا وأخذوا في الصوفيات الى أن نثر عليهم من الروشن دنانير ودراهم ورباعيات وقدمت
 جفان القطائف على الرسم مع البسندود والحلواء فجروا على عاداتهم وملأوا أكمامهم ثم
 خرج أستاذ من باب الدار الجديدة بخلع خلعها على الخطيب وغيره ودراهم تفرق على

الطائفتين من المقرئين والمؤذنين

* (ذكر مذاهبهم في أول الشهر) *

اعلم أن القوم كانوا شيعية ثم غلوا حتى عدّوا من غلاة أهل الرفض وللشيعية في إنشاء الشهور عمل أحسن ما رأيت فيه ما حكاه أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني في كتاب الآثار العافية عن القرون الخالية قال (٣) وفي سنين من الهجرة نجمت ناجمة لاجل أخذهم بالتأويل إلى اليهود والنصارى فإذا لهم جداول وحسابات يستخرجون بها شهورهم ويعرفون منها صيامهم والمسلمون مضطرون إلى رؤية الهلال وتفقد ما اكتسبوا القمر من النور وجدوهما شاكين في ذلك مختلفين فيه مقلدين بعضهم بعضاً في عمل رؤية الهلال بطريق الزيجات فرجموا إلى أصحاب علم الهيئة فالفوا زيجاتهم مفتوحة بمعرفة أوائل ما يراد من شهور العرب بصنوف الحسابات فظنوا أنها معمولة لرؤية الألهة فأخذوا بعضها ونسبوه إلى جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام وزعموا أنه سرّ من أسرار النبوة وتلك الحسابات مبنية على حركات التدبير الوسطى دون المعدلة أو معمولة على سنة القمر التي هي ثلثمائة وأربعة وخمسون يوماً وخمس يوم وسدس يوم وأن ستة أشهر من السنة تامة وستة أشهر ناقصة وإن كل ناقص منها فهو تال لتام فلما قصدوا استخراج الصوم والفطر بها خرجت قبل الواجب يوماً في أغلب الأحوال فأولوا قوله عليه السلام صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته وقالوا معني صوموا لرؤيته أي صوموا اليوم الذي يرى في عشيته كما يقال تهبوا لاستقباله فيقدم الهبؤ على الاستقبال قال ورمضان لا ينقص عن ثلاثين يوماً أبداً

* (قافلة الحاج) * قال في كتاب الذخائر والتحف أن المنفق على الموسم كان في كل سنة تسافر فيها القافلة مائة ألف وعشرين ألف دينار منها ثمن الطب والخلواء والشمع راتباً في كل سنة عشرة آلاف دينار ومنها نفقة الوفد الواصلين إلى الحضرة أربعون ألف دينار ومنها في ثمن الحمايات والصدقات وأجرة الجمال ومعونة من يسير من العسكرية وكبير الموسم وخدم القافلة وحفر الآبار وغير ذلك ستون ألف دينار وأن النفقة كانت في أيام الوزير البازوري قد زادت في كل سنة وبلغت إلى مائتي ألف دينار ولم تبلغ النفقة على الموسم مثل ذلك في دولة من الدول

* (موسم عيد الفطر) * وكان لهم في موسم عيد الفطر عدة وجوه من الخيرات منها تفرقة الفطرة وتفرقة الكسوة وعمل السباط وركوب الخليفة لصلاة العيد وقد تقدم ذكر ذلك كله فيما سبق

(قوله وفي سنين الح) هكذا هذه العبارة موجودة في الأصل ولا يخفى ما فيها من الركاكة والسقامة فلتحذر ولتراجع اهـ مصححه

* (عيد النحر) * فيه تفرقة الرسوم من الذهب والفضة وتفرقة الكسوة لأرباب الخدم من أهل السيف والقلم وفيه ركوب الخليفة لصلاة العيد وفيه تفرقة الاضاحي كما مر ذلك ميّناً في موضعه من هذا الكتاب

* (عيد الغدير) * فيه تزويج الايامي وفيه الكسوة وتفرقة الهبات لكبراء الدولة ورؤسائها وشيوخها وأمرائها وضيوفها والاستاذين المحنكين والمميزين وفيه النحر أيضاً وتفرقة التحائر على أرباب الرسوم وعق الرقاب وغير ذلك كما سبق بيانه فيما تقدم

* (كسوة الشتاء والصيف) * وكان لهم في كل من فصلي الشتاء والصيف كسوة تفرق على أهل الدولة وعلى أولادهم ونسائهم وقد مر ذكر ذلك

* (موسم فتح الخليج) * وكانت لهم في موسم فتح الخليج وجوه من البرمها الركوب لتخليق المقياس وميت القراء بجامع المقياس وتشریف ابن أبي الرّدّاد بالخلع وغيرها وركوب الخليفة الى فتح الخليج وتفرقة الرسوم على أرباب الدولة من الكسوة والعين والمآكل والتحف وقد تقدم تفصيل ذلك

* (ذكر التوروز) *

وكان التوروز القبطي في أيامهم من جملة المواسم فتعطل فيه الاسواق ويقل فيه سمي الناس في الطرقات وتفرق فيه الكسوة لرجال أهل الدولة وأولادهم ونسائهم والرسوم من المال وحوائج التوروز * قال ابن زولاق وفي هذه السنة يعني سنة ثلاث وستين وثلاثمائة منع المعز لدين الله من وقود النيران لیسلة التوروز في السكك ومن صب الماء يوم التوروز وقال في سنة أربع وستين وثلاثمائة وفي يوم التوروز زاد اللعب بالماء ووقود النيران وطاف أهل الاسواق وعملوا فيه وخرجوا الى القاهرة بلعبهم ولعبوا ثلاثة أيام وأظهروا السماجات والخلي في الاسواق ثم أمر المعز بالبدء بالكف وأن لا توقد نار ولا يصب ماء وأخذ قوم خفيسوا وأخذ قوم فطيف بهم على الجمال وقال ابن ميسر في حوادث سنة ست عشرة وخمسمائة وفيها أراد الأمر بأحكام الله أن يحضر الى دار الملك في التوروز السكّان في جمادى الآخرة في المراكب على ما كان عليه الافضل بن أمير الجيوش فاعاد المأمون عليه أنه لا يمكن فان الافضل لا يجري مجراه مجرى الخليفة وحمل اليه من الثياب الفاخرة برسم التوروز للجهات ماله قيمة جليلة وقال ابن المأمون وحل موسم التوروز في التاسع من رجب سنة سبع عشرة وخمسمائة ووصلت الكسوة المختصة به من الطراز ونغر الاسكندرية مع ما يتباع من المذاب المذهبة والحيرى والسوادج وأطلق جميع ما هو مستقر من الكسوات الرجالية والنسائية والعين والورق وجميع الاصناف المختصة بالموسم على اختلافها بتفصيلها وأسماء أربابها وأصناف التوروز البطيخ والرمال وعراجين الموز وأفراد البسر وأقفاص التمر القوصى وأقفاص

السفرجل وبكل الهريسة المعمولة من لحم الدجاج ولحم الضأن ولحم البقر من كل لون بكلة مع خبز بر مارق قال وأحضر كاتب الدفتر الاثبات بما جرت العادة به من اطلاق العين والورق والكسوات على اختلافها في يوم النوروز وغير ذلك من جميع الاصناف وهو أربعة آلاف دينار وخمسة عشر ألف درهم فضة والكسوات عدة كثيرة من شقق ديبقي مذهبات وحريريات ومعاصر وعصائب مشاومات ملونات وشقق لاذ مذهب وحريري ومشفع وفوط ديبقي حريري فأما العين والورق والكسوات فذلك لا يخرج عن تحوزه القصور ودار الوزارة والشيخ والاصحاب والحواشى والمستخدمون ورؤساء العشاريات وبحارتهما ولم يكن لاحد من الامراء على اختلاف درجاتهم في ذلك نصيب وأما الاصناف من البطيخ والمان والبسر والتمر والسفرجل والنعاب والهرايس على اختلافها فيشمل ذلك جميع من تقدم ذكرهم ويشركهم في ذلك جميع الامراء أرباب الاطواق والاقصاب وسائر الامائل وقد تقدم شرح ذلك فوقه الوزير المأمون على جميع ذلك بالانفاق وقال القاضي الفاضل في تعليق المتجددات لسنة أربع وثمانين وخمسة يوم الثلاثاء رابع عشر رجب يوم النوروز القبطي وهو مستهل توت وتوت أول سنتهم وقد كان بمصر في الايام الماضية والدولة الحالية يعني دولة الحلفاء الفاطميين من مواسم بطالاتهم ومواقيت ضلالاتهم فكانت المنكرات ظاهرة فيه والفواحش صريحة في يومه ويركب فيه أمير موسوم بأمر النوروز ومعه جمع كثير ويتسلط على الناس في طاب رسم رتبة على دور الاكابر بالجل الكبار ويكتب منشير وينتدب مترسمين كل ذلك يخرج مخرج الطير ويقنع بالميسور من الهبات ويجمع المؤنثون والفاسقات تحت قصر اللؤلؤة بحيث يشاهدهم الخليفة وبأيديهم الملاهي وترتفع الاصوات وتشرب الخمر والمز رشربا ظاهرا بينهم وفي الطرقات ويتراش الناس بالماء وبالماء والخمر وبالماء بمزوجا بالاقدار فان غلط مستور وخرج من داره لقيه من يرشه ويفسد ثيابه ويستخف بجرمته فاما فدى نفسه وأما فضح ولم يجر الحال في هذا النوروز على هذا ولكن قد رش الماء في الحارات وأحيا المنكر في الدور أرباب الخسارات وقال في سنة اثنتين وتسعين وخمسة وجرى الامر في النوروز على العادة من رش الماء واستجد فيه هذا العام التراجم بالبيض والتصافع بالانطاع وانقطع الناس عن التصرف ومن ظفر به في الطريق رش بماء نجسة وخرق به * قال مؤلفه رحمه الله تعالى أن أول من اتخذ النوروز جمشيد ويقال في اسمه أيضاً جمشاد أحد ملوك الفرس الاول ومعناه اليوم الجديد والفرس فيه آراء وأعمال على مصطلحهم غير أنه في غير هذا اليوم وقد صنف على بن حمزة الاصفهانى كتاباً مفيداً في أعياد الفرس وذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر من طريق حماد بن سلمة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة قال كان اليوم الذي رد الله فيه الى سليمان بن داود خاتمه

يوم النوروز فجاءت اليه الشياطين بالتحف وكانت تحفة الخطاطيف أن جاءت بالماء في مناقيرها فرشته بين يدي سليمان فأتخذ الناس رش الماء من ذلك اليوم وعن مقاتل بن سليمان قال سمي ذلك اليوم نيروزاً وذلك أنه وافق هذا اليوم الذي يسمونه النيروز فكانت الملوك تآمن بذلك اليوم واتخذوه عيداً وكانوا يرشون الماء في ذلك اليوم ويهدون كفمل الخطاف ويتمنون بذلك ولله در القائل

كيف ابتهاجك بالنوروز يا سكتي * وكل ما فيه بحكي وأحكيه
فناره كليب النار في كبدى * وماؤه كتو الى دمعتي فيه
(وقال آخر)

نورز الناس ونورز * ت ولكن بدموعي
وذكرت نارهم والنار ما بين ضلوعي
(وقال غيره)

ولما أتى النوروز يا غاية المنى * وأنت على الاعراض والهجر والصد
بعثت بنار الشوق ليلاً الى الحشى * فنورزت صبحاً بالدموع على الحد

* (الميلاد) وهو اليوم الذي ولد فيه عبد الله ورسوله المسيح عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم والنصارى اتخذ ليلة يوم الميلاد عيداً وتعمله قبط مصر في التاسع والعشرين من كيهك وما برح لاهل مصر به اعتناء وكان من رسوم الدولة الفاطمية فيه تفرقة الجلمات المملوءة من الحلوات القاهرة والمتارد التي فيها السمك وقرابات الجلاب وطياير الزلاية والبورى فيشمل ذلك أرباب الدولة أصحاب السيوف والاقلام بتقرير معلوم على ما ذكره ابن المأمون في تاريخه

(الغطاس) ومن مواسم النصارى بمصر عمل الغطاس في اليوم الحادى عشر من طوبة * قال المسعودى في مروج الذهب ولبيلة الغطاس بمصر شأن عظيم عند أهلها لا ينتم الناس فيها وهي ليلة احدى عشرة من طوبة ولقد حضرت سنة ثلاثين وثلاثمائة ليلة الغطاس بمصر والاخشيد محمد بن طفج في داره المعروفة بالختار في الجزيرة الراكبة على النيل والنيل مطيف بها وقد أمر فأسرج من جانب الجزيرة وجانب القسطنطين ألف مشعل غير ما أسرج أهل مصر من المشاعل والشمع وقد حضر النيل في تلك الليلة مئو ألف من الناس من المسلمين والنصارى منهم في الزواريق ومنهم في الدور الدانية من النيل ومنهم على الشواطى لا يتناكرون كل ما يمكنهم اظهاره من الماء كل والمشارب وآلات الذهب والفضة والجواهر والملاهي والعزف والقصف وهي أحسن ليلية تكون بمصر وأشملها سرورا ولا تغلق فيها الدروب ويغطس أكثرهم في النيل ويزعمون أن ذلك أمان من المرض ونشرة للداء وقال المسيحي

في سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة كان غطاس النصارى فضربت الخيام والمضارب والاشرعة في عدة مواضع على شاطئ النيل فنصبت أسيرة للرئيس فهد بن ابراهيم النصراني كاتب الاستاذ رجوان وأوقدت له الشموع والمشاعل وحضر المغنون والملهون وجلس مع أهله يشرب الى أن كان وقت الغطاس فغطس وانصرف * وقال في سنة خمس عشرة وأربعمائة وفي ايلة الاربعاء رابع ذى القعدة كان غطاس النصارى فجري الرسم من الناس في شراء الفواكه والضأن وغيره ونزل أمير المؤمنين الظاهر لاعزاز دين الله ابن الحاكم لقصر جده العزيز بالله بمصر لئلا ينظر الغطاس ومعه الحرم ونودي أن لا يختلط المسلمون مع النصارى عند نزولهم الى البحر في الليل وضرب بدر الدولة الخادم الاسود متولى الشرطتين خيمة عند الجسر وجلس فيها وأمر الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله بأن توقد المشاعل والنار في الليل فكان وقيداً كثيراً وحضر الرهبان والقسوس بالصلبان والنيران فقسسوا هناك طويلاً الى أن غطسوا وقال ابن المأمون انه كان من رسوم الدولة أنه يفرق على سائر أهل الدولة الترنج والتارنج والليمون المراكبي وأطنان القصب والسمك والبورى برسوم مقررة لكل واحد من أرباب السيوف والاقلام

* (خمس العهد) * ويسميه أهل مصر من العامة خيس العدس ويعمله نصارى مصر قبل الفصح بثلاثة أيام ويتهادون فيه وكان من جملة رسوم الدولة الفاطمية في خيس العدس ضرب خمسمائة دينار ذهباً عشرة آلاف خروبة وتفرقتها على جميع أرباب الرسوم كما تقدم * (أيام الركوبات) * وكان الخليفة يركب في كل يوم سبت وثلاثاء الى منزلهاته بالبساتين والتاج وقبة الهواء والخمس وجوه وبستان البعل ودار الملك ومنازل العز والروضة فيم الناس في هذه الايام من الصدقات أنواع ما بين ذهب ومآكل وأشربة وحلاوات وغير ذلك كما تقدم بيانه في موضعه من هذا الكتاب

* (صلاة الجمعة) * وكان الخليفة يركب في كل سنة ثلاث ركبات لصلاة الجمعة بالناس في جامع القاهرة الذي يعرف بالجامع الازهر مرة وفي جامع الخطبة المعروف بالجامع الحاكمي مرة وفي جامع عمرو بن العاص بمصر أخرى فينال الناس منه في هذه الجمعة الثلاث رسوم وهبات وصدقات كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى عند ذكر الجامع الازهر ولله در الفقيه عمارة النبي فقد ضمن مرثيته أهل القصر جلا مما ذكر وهي القصيدة التي قال ابن سعد فيها ولم يسمع فيما يكتب في دولة بعد انقراضها أحسن منها

ربيت يادهر كف المجد بالشلل * وجيده بعد حسن الحلي بالعطل
سعيت في منهج الرأى العنور فان * قدرت من عثرات الدهر فاستقل
جدعت مارتك الاقنى فانفك لا * ينفك ما بين قرع السن والحجل

هدمت قاعدة المروفي عن عجل * سعت مهلا أما تمشي على مهل
 لطف و لطف بني الآمال قاطبة * على خيمتها في أكرم الدول *
 قدمت مصر فاولتي خلافتها ■ من المكارم ما أربي على الامل
 قوم عرفت بهم كسب الالوف ومن ■ كاهلأ أنها جاءت ولم أسل
 وكنت من وزراء الدست حين سما * رأس الحصان يهاديه على الكفيل
 ونلت من عظماء الجيش مكرمة * وخلة حرس من طرؤ الخلال
 يا عاذلي في هوي أبناء فاطمة * لك الملامة ان قصرت في عدلي
 بالله درساحة القصرين وابك ممي * عليهما لاعلى سفين والجل
 وقل لاهليهما والله ما التجمت * فيكم جراحي ولا قرحي بمندمل
 ماذا عسى كانت الافرنج فاعلة * في نسل آل أمير المؤمنين على
 هل كان في الامرشي غير قسمة ما * ملكتم بين حكم السبي والفعل
 وقد حصاتم عليها واسم جسدكم * محمد وابوكم غير منتقل ■
 مررت بالقصر والاركان خالية * من الوقود وكانت قبلة القبل
 فلت عنها بوجهي خوف منتقد * من الاعادي ووجه الود لم يمل
 أسلت من أسفى دمعي غداة خلت * رحابكم وغدت مهجورة السبل
 أبكي على مآراءت من مكارمكم * حال الزمان عليها وهي لم تحل
 دار الضيافة كانت أنس وافدكم * واليوم أوحش من رسم ومن طلل
 وفطرة الصوم اذ أضحت مكارمكم * تشكو من الدهر حيفاً غير محتمل
 وكسوة الناس في الفصيلين قد درست * ورث منها جديد عندهم وبلى
 وموسم كان في يوم الخليج لكم * يأتي بجمدكم فيه على الجمل *
 وأول العام والعبيدين كم لكم ■ فيهن من وبلى جود ليس بالوشل
 والارض تهتز في يوم الفديركا * بهتز ما بين قصرىكم من الاسل
 والحيل تعرض في وشى وفي شية ■ مثل المرأس في حلى وفي حلل
 ولا حلتكم قرى الاضياف من سعة الأ * طباق الا على الاكتاف والعجل
 وما خصصتم ببر أهلى ملتكم ■ حتي عمتهم به الافصى من الملل
 كانت رواتبكم للذمتين وللـ ■ ضيف المقيم ولطاري من الرسل
 ثم الطراز بتئيس الذ عظمت ■ منه الصلات لاهل الارض والدول
 وللعوامع من احسانكم نعم * لمن تصدر في علم وفي عمل
 وربما عادت الدنيا فعملها * منكم وأضحت بكم محولة العقل ■
 (م ٥٥ - خططي)

والله لا فاز يوم الحشر مفضلكم * ولا نجا من عذاب الله غير ولى
 ولا سقى الماء من حر ومن ظمأ * من كف خير البرايا خاتم الرسل
 ولا رأى جنّة الله التي خلقت * من خان عهد الامام العاضد بن على
 * أتقى وهدائي والذخيرة لى * اذا ارتهنت بما قدمت من عملى
 تالله لم أوفهم فى المصدق حقهم * لان فضلهم كالوابل المهلل *
 ولو تضاعفت الاقوال واتسعت * ما كنت فيهم بمحمد الله بالخيال
 باب النجاة هم دنيا وآخرة * وجههم فهو أصل الدين والعمل
 نور الهدى ومصباح الدجى ومج * بل القيث ان ربت الانواء فى المحل
 * أئمة خلقوا نوراً فنورهم * من محض خالص نور الله لم يفل
 والله ما زلت عن حيى لهم أبداً * ما أخبر الله لى فى مدة الاجل
 وبسبب هذه القعيدة قتل عمارة رحمه الله وتمجّلت له الذنوب انتهى مذكّره
 رحمه الله تعالى

ذكر ما كان من أمر القصرين والمناظر بعد زوال الدولة الفاطمية
 ولما مات العاضد لدين الله فى يوم عاشوراء سنة سبع وستين وخمسة احتاط الطواشى
 قراقوش على أهل العاضد وأولاده فكانت عدة الاشراف فى القصور مائة وثلاثين والاطفال
 خمسة وسبعين وجمعهم فى مكان أفرد لهم خارج القصر وجمع عمومته وعشيرته فى ايوان
 بالقصر واحترز عليهم وفرق بين الرجال والنساء اثلاثاً يتناسلوا وليكون ذلك أسرع لانقراضهم
 وتسلم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب القصر بما فيه من الخزائن والدواوين وغيرها
 من الاموال والنفائس وكانت عظيمة الوصف واستعرض من فيه من الجوارى والعبيد
 فأطلق من كان حراً ووهب واستخدم باقيهم وأطلق البيع فى كل جديد وعتيق فاستمر البيع
 فيما وجد بالقصر عشر سنين وأخلى القصور من سكانها وأغلق أبوابها ثم ملكها أمراءه
 وضرب الألواح على ما كان للخلفاء وأتباعهم من الدور والرباع وأقطع خواصه منها وباع
 بعضها ثم قسم القصور فأعطى القصر الكبير للأمراء فسكنوا فيه وأسكن أباه نجم الدين أيوب
 ابن شادى فى قصر اللؤلؤة على الخليج وأخذ أصحابه دور من كان ينسب الى الدولة الفاطمية
 فكان الرجل اذا استحسن داراً أخرج منها سكانها ونزل بها قال القاضى الفاضل وفى ثالث
 عشره يعنى ربيعاً الآخر سنة سبع وستين كشف حاصل الخزائن الخاصة بالقصر فقبل ان
 الموجود فيه مائة صندوق كسوة فاخرة من موشح ومرصع وعقود مئونة وذخائر نفيسة وجواهر
 نفيسة وغير ذلك من ذخائر جمّة المحطّر وكان السكشاف بهاء الدين قراقوش وبيان وأخلت
 أمكنة من القصر الغربى سكن بها الأمير موسك والامير ابو الهيجاء السمنى وغيره من الفز

أو مدفن لا آبائهم وورخ ذلك الاشهاد بثالث عشر ربيع الاول سنة ستين وستمائة وأثبت
على قاضي القضاة صاحب تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الاعز الشافعي رحمه الله تعالى.
وتقرر مع المذكورين أن مهما كان قبضوه من أثمان بعض الاماكن المذكورة التي عاقده
عليها وكلاؤهم واتصلوا اليه بحاسبوا به من جملة ما يحرز ثمنه عند وكيل بيت المال وقبضت
ايدي المذكورين عن التصرف في الاماكن المذكورة وغيرها وورسم ببيعها فباعها وكيل
بيت المال لجال الدين ظافر أولاً فأولاً وتقصت شيئاً فشيئاً وبني في أماكنها ما يأتي ذكره ان
شاء الله تعالى واشترى قاعة السدرة بجوار المدرسة والتربة الصالحية قاضي القضاة شمس
الدين محمد بن ابراهيم بن عبد الواحد بن علي بن مسرور المقدسي الحنبلي مدرس الحنابلة
بالمدرسة الصالحية بألف وخمسة وسبعين ديناراً في رابع جمادى الآخرة سنة ستين وستمائة
من كمال الدين ظافر بن الفقيه نصر وكيل بيت المال ثم باعها المذكور للملك الظاهر بيبرس
في حادى عشرى جمادى الآخرة المذكور وقاعة السدرة هذه قدصارت هي وقاعة الخيم
أصل المدرسة الظاهرية الركنية البيبرسية البندقارية قال القاضي الفاضل وفي يوم الاثنين
سادس شهر رجب يعني من سنة أربع وثمانين وخمسمائة ظهر تسحب رجلين من المعتقلين
في القصر أحدهما من أقارب المستنصر والآخر من أقارب الحافظ وأكبرهما سناً كان معتقلاً
بالايوان حدث به مرض وأثخن فيه ففك حديدته ونقل الى القصر الغربي في أوائل سنة
ثلاث وثمانين واستمر لما به ولم يستقل من المرض وطلب ففقد واسمه موسى بن عبدالرحمن
أبى حمزة بن حيدرة بن أبى الحسن أخى الحافظ واسم الآخر موسى بن عبد الرحمن بن
أبى محمد بن أبى اليسر بن محسن بن المستنصر وكان طفلاً في وقت الكائنات بأهله وأقام
بالقصر الغربى مع من أسر به الى أن كبر وشب قال وذكر أن الناصر الغربى قد استولى
عليه الحراب وعلا على جدر انه التثمت والهدم وانه يجاور اصطبلات فيها جماعة من
المفسدين وربما تساق اليه للتطرق للنساء المعتقلات والمتساق منه اذا قويت نفسه على
التسحب لم تكن عقلته في القصر المذكور مانعة من التسحب قال وعدد من بقى من هذه
الذرية بدار المظفر والقصر الغربى والايوان مائتان واثنتان وخمسون شخصاً ذكور ثمانية
وتسعون واثلاث مائة وأربعة وخمسون تفصيله المقيمون بدار المظفر أحد وثلاثون ذكوراً أحد
عشر كلهم أولاد العاضد لصلبه اثنا عشر بنات العاضد خمسة أخوته أربع جهات العاضد
أربع بنات الحافظ ثلاث جهات يوسف ابنه وجبريل ابن عمه أربع المعتقلون بالايوان خمسة
وخمسون رجلاً منهم الامير أبو الظاهر بن جبريل بن الحافظ المقيمون بالقصر الغربى مائة
وسنة وستون شخصاً ذكور اثنتان وثلاثون أكبرهم عمره عشرون سنة وأصغرهم عمره
سبع عشرة سنة اثنا مائة وأربع وثلاثون بنات أربع وستون اخوات وعمات وزوجات

وملئت المناظر المصونة عن الناظر والمتزهات التي لم يختر ابتذالها في الخاطر فسميحان
مظهر المعجائب ومحدثها ووارث الارض ومورثها قال ومقدار ما يحبس أنه خرج من القصر
ما بين دينار ودرهم ومصاغ وجوهر ونحاس وملبوس وأثاث وقماش وسلاح ما لا يفي
به ملك الاكسرة ولا تتصوره الخواطر الحاضرة ولا يشتمل على مثله الممالك العامرة
ولا يقدر على حسابه الا من يقدر على حساب الخلق في الآخرة * وقال الحافظ
جمال الدين يوسف اليعموري وجدت بخط المذهب أبي طالب محمد بن علي بن الخيمي
حدثني الأمير عضد الدين مرهف بن مجد الدين سويدا لدولة بن منقذ أن القصر أغلق على
ثمانية عشر ألف نسمة عشرة آلاف شريف وشريفة وثمانية آلاف عبد وخادم وأمة ومولدة
وتربية * وقال ابن عبد الظاهر عن القصر لما أخذه صلاح الدين وأخرج من به كان فيه
اثنا عشر ألف نسمة ليس فيهم نخل الا الخليفة وأهله وأولاده ولما أخرجوا منه أسكنوا
في دار المظفر وقبض أيضاً صلاح الدين على الأمير داود بن العاضد وكان ولي العهد وينت
بالحامد لله واعتقل معه جميع اخوته الأمير أبو الامانة جبريل وأبو الفتوح وابنه أبو القاسم
وسليمان بن داود وعبد الظاهر حيدرة بن العاضد وعبد الوهاب بن ابراهيم بن العاضد
واسماعيل بن العاضد وجعفر بن أبي الظاهر بن جبريل وعبد الظاهر بن أبي الفتوح بن
جبريل بن الحافظ وجماعة من بني أعمامه فلم يزالوا في الاعتقال بدار الافضل من حارة
برجوان الى أن انتقل الملك الكامل محمد بن العادل بن أبي بكر بن أيوب من دار الوزارة
بالقاهرة الى قلعة الجبل فنقل معه ولد العاضد واخوته وأولاد عمه واعتقلهم بالقلعة وبها مات
العاضد واستمر البقية حتى انقرضت الدولة الايوبية وملك الاراك الى أن تسلطن الملك
الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى فلما كان في سنة ستين وستائة أشهد على من بقي
منهم كمال الدين اسماعيل بن العاضد وعماد الدين أبو القاسم ابن الأمير أبي الفتوح بن
العاضد وبدر الدين عبد الوهاب بن ابراهيم بن العاضد أن جميع المواضع التي قبلى المدارس
الصالحية من القصر الكبير والموضع المعروف بالتربة ظاهرا وباطنا يخط الخوخ السبع وجميع
الموضع المعروف بالقصر الياقنى بالخط المذكور وجميع الموضع المعروف بسكن أولاد شيخ
الشيوخ وغيرهم من القصر الشارع بابه قبالة دار الحديث النبوى الكاملية وجميع الموضع
المعروف بالقصر الغربى وجميع الموضع المعروف بدار القطرة بخط المشهد الحسينى وجميع
الموضع المعروف بدار الضيافة بحارة برجوان وجميع الموضع المعروف بالؤلؤة وجميع قصر
الزمرذ وجميع البستان الكافورى ملك لبيت المال المولوى السلطانى الملكى الظاهرى من
وجهه صحيح شرعى لا رجعة لهم فيه ولا لواحد منهم في ذلك ولا فى شئ منه ولا منوبة
بسبب يد ولا ملك ولا وجه من الوجوه كلها خلا ما في ذلك من مسجد لله تبارك وتعالى

سبعون * قال وفي جمادى الآخرة سنة ثمان وثمانين وخمسمائة كانت عدة من في
 دار المظفر بحارة برجوان والقصر الغربي والايوان من أولاد العاضد
 وأقاربه ومن معهم مضافا اليهم ثلثمائة واثنين وسبعين نفساً دار المظفر
 أحرار ومالك مائة وست وستون نفساً القصر الغربي أحرار مائة
 وأربعون نفساً الايوان تسعة وسبعون رجلاً بالغون وأما
 منازل العز فاشتراها الملك المظفر تقي الدين عمر بن
 شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شادى في نصف
 شعبان سنة ست وستين وخمسمائة وجعلها
 مدرسة للفقهاء الشافعية واشترى الروضة
 وجعلها وقفاً على المدرسة
 المذكورة والله تعالى أعلم
 بالصواب واليه المرجع
 والمآب وصلى الله
 على سيدنا محمد
 وآله وسلم

تم الجزء الثاني ويتلوه الجزء الثالث وأوله الحارات



{ فهرست }

الجزء الثاني من كتاب الخطط للعلامة المقرئزي

صفحة	محتوى	صفحة	محتوى
٧٢	ذكر ما قيل في مصر هل فتحت بصلاح أو غنوة	٢	ذكر تاريخ الخليفة
٧٤	ذكر من شهد فتح مصر من الصحابة رضى الله عنهم	٥	ذكر ما قيل في مدة ايام الدنيا ماضيها وبقاياها
٧٥	ذكر السبب في تسمية مدينة مصر بالفسطاط	١٥	ذكر التواريخ التي كانت للامم قبل تاريخ القبط
٧٦	ذكر الخطط التي كانت بمدينة الفسطاط	١٩	ذكر تاريخ القبط
٨٠	ذكر امراء الفسطاط من حين فتحت مصر الى أن بنى العسكر	٢١	ذكر دقلطيانوس الذي يعرف تاريخ القبط به
٨٩	ذكر العسكر الذي بنى بظاهر مدينة فسطاط مصر	٢٣	ذكر أسابيع الايام
٩١	ذكر من نزل العسكر من امراء مصر من حين بنى الى أن بنيت القطائع	٢٤	ذكر أعياد القبط من النصارى بديار مصر
١٠٣	ذكر القطائع ودولة بنى طولون	٣٣	ذكر ما يوافق ايام الشهور القبطية من الاعمال في الزراعات وزيادة النيل وغير ذلك على ما نقله اهل مصر عن قدمائهم واعتمدوا عليه في امورهم
١٢٤	ذكر من ولي مصر من الامراء بعد خراب القطائع الى أن بنيت قاهرة المعز على يد القائد جوهر	٣٩	ذكر تحويل السنة الخراجية القبطية الى السنة الهلالية العربية
١٢٩	ذكر ما كانت عليه مدينة الفسطاط من كثرة العمارة	٥٩	ذكر فسطاط مصر
١٣٥	ذكر الآثار الواردة في خراب مصر	٥٥	ذكر ما كان عليه موضع الفسطاط قبل الاسلام الى أن اختطه المسلمون مدينة
١٣٧	ذكر خراب الفسطاط	٦١	ذكر الحصن الذي يعرف بمصر الشمع
١٤٤	ذكر ما قيل في مدينة فسطاط مصر	٦٣	ذكر حصار المسلمين بالقصر وفتح مصر
١٤٩	ذكر ما عليه مدينة مصر الآن وصفها		
١٥١	ذكر ساحل النيل بمدينة مصر		

صفحة	محتوى	صفحة	محتوى
٢١٤	باب البرقية	١٥٤	ذكر المنشأة
٠٠٠	ذكر قصور الخلفاء ومناظرهم والاماع بطرف من مآثرهم وما صارت اليه احوالها من بعدهم	١٥٧	ذكر ابواب مدينة مصر
٢١٥	القصر الكبير	٠٠٠	ذكر القاهرة قاهرة المعز لدين الله
٢١٦	قاعة الذهب	١٥٨	ذكر ما قيل في نسب الخلفاء الفاطميين
٢١٩	كيفية سباط شهر رمضان بهذه القاعة		بنا القاهرة
٢٢٠	عمل سباط عيد الفطر بهذه القاعة	١٦٠	ذكر الخلفاء الفاطميين
٢٢٢	الايوان الكبير	١٧٦	ذكر ما كان عليه موضع القاهرة
٠٠٠	عيد القدير		قبل وضعها
٢٢٥	المحوّل	١٧٧	ذكر حد القاهرة
٢٢٧	وصف الدعوة وترتيبها	١٧٩	ذكر بناء القاهرة وما كانت عليه في الدولة الفاطمية
٠٠٠	الدعوة الاولى	١٨٤	ذكر ما صارت اليه القاهرة بعد استيلاء الدولة الايوبية عليها
٢٢٩	الدعوة الثانية	١٨٦	ذكر طرف مما قيل في القاهرة ومنزهاها
٠٠٠	الدعوة الثالثة	١٩٦	ذكر ما قيل في مدة بقاء القاهرة ووقت خرابها
٢٣٠	الدعوة الرابعة	١٩٨	ذكر مسالك القاهرة وشوارعها على ما هي عليه الآن
٢٣١	الدعوة الخامسة	٢٠٤	ذكر سور القاهرة
٠٠٠	الدعوة السادسة	٢٠٩	ذكر ابواب القاهرة
٢٣٢	الدعوة السابعة	٠٠٠	باب زويلة
٠٠٠	الدعوة الثامنة	٢١٠	باب النصر
٢٣٣	الدعوة التاسعة	٢١١	باب الفتوح
٠٠٠	ابتداء هذه الدعوة	٢١٣	باب القنطرة
٢٣٥	الدواوين	٠٠٠	باب الشعرية
٢٣٦	ديوان المجلس	٠٠٠	باب سعادة
٢٤١	ديوان النظر	٠٠٠	الباب المحروق
٢٤٢	ديوان التحقيق		
٠٠٠	ديوان الجيوش والرواتب		
٢٤٤	ديوان الانشاء والمكاتبات		

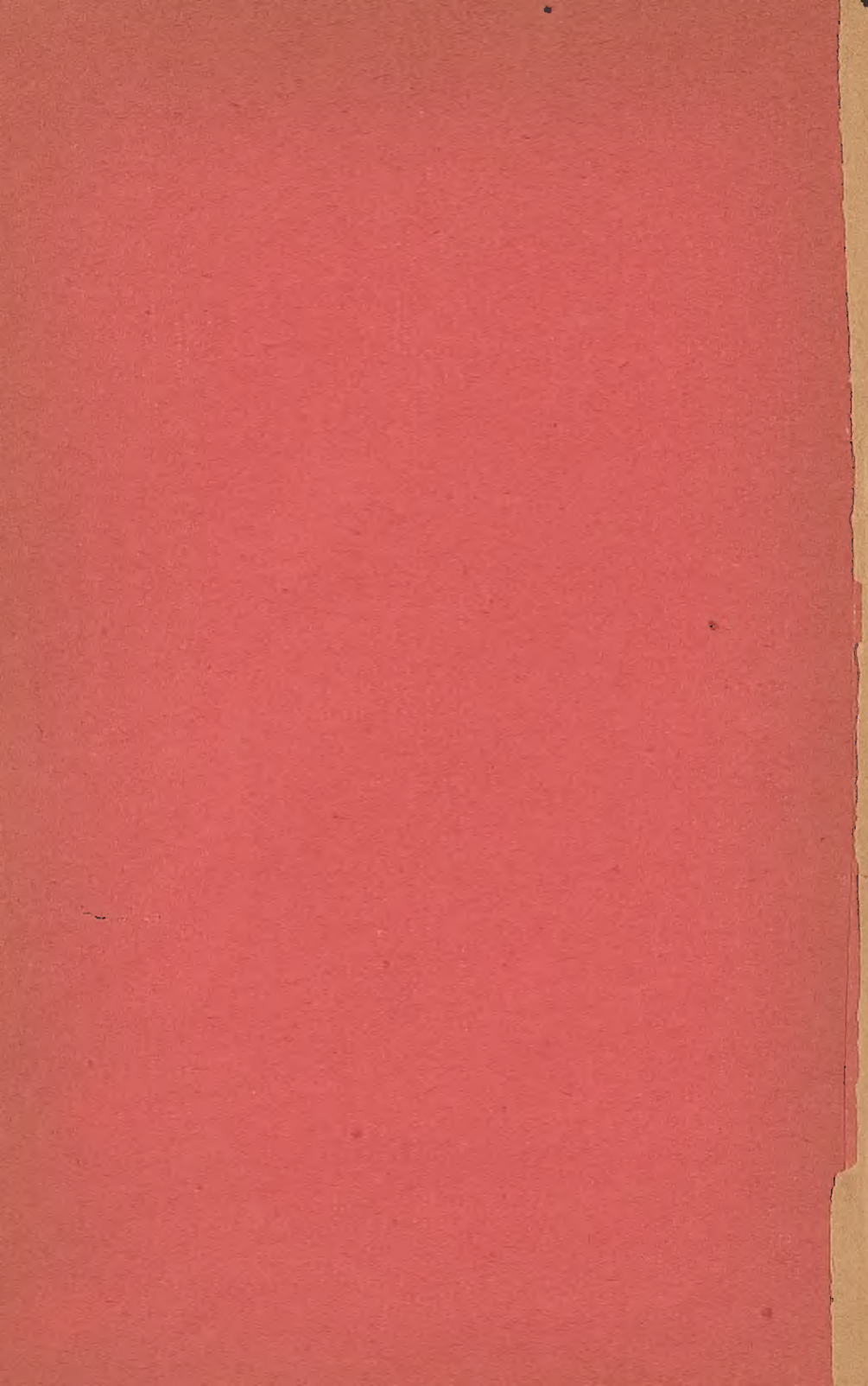
صفحة	صفحة
٢٧٣ خزانة التوابل	٠٠٠ التوقيع بالقلم الدقيق في المظالم
٢٧٦ دار النعبة	٠٠٠ التوقيع بالقلم الجليل
٠٠٠ خزانة الادم	٢٤٥ مجلس النظر في المظالم
٠٠٠ خزائن دار افتكين	٠٠٠ وتب الامراء
٠٠٠ خبر تزار وافتكين	٢٤٦ قاضي القضاة
٢٧٨ خزانة البنود	٢٤٧ قاعة الفضة
٢٨١ دار الفطرة	٠٠٠ قاعة السدرة
٢٨٣ المشهد الحسيني	٠٠٠ قاعة الخيم
٢٨٩ ما كان يعمل في يوم عاشوراء	٠٠٠ المناظر الثلاث
٢٩١ ذكر أبواب القصر الكبير الشرقي	٠٠٠ قصر الشوك
٠٠٠ باب الذهب	٠٠٠ قصر أولاد الشيخ
٢٩٢ جلوس الخليفة في الموالد بالمنظرة	٢٤٨ قصر الزمرذ
علو باب الذهب	٠٠٠ الركن الخلق
٢٩٤ باب البحر	٠٠٠ السقيفة
٢٩٥ باب الريح	٢٥٠ دار الضرب
٢٩٧ باب الزمرذ	٢٥١ خزائن السلاح
٠٠٠ باب العيد	٠٠٠ المارستان العتيق
٠٠٠ باب قصر الشوك	٢٥٢ التربة المعزية
٠٠٠ باب الديلم	٢٥٣ القصر النافى
٠٠٠ باب تربة الزعفران	٠٠٠ الخزائن التي كانت بالقصر
٠٠٠ باب الزهومة	٠٠٠ خزانة الكتب
٠٠٠ ذكر المنحرج	٢٥٥ خزانة الكسوات
٣٠١ ذكر دار الوزارة الكبرى	٢٦٢ خزائن الجوهر والطيب والطرائف
٣٠٤ ذكر رتبة الوزارة وهيئة خلعهم	٢٦٦ خزائن الفرس والامنة
ومقدار جاريهم وما يتعلق بذلك	٢٦٨ خزائن السلاح
٣٠٩ ذكر الحجر التي كانت برسم الصبيان	٢٦٩ خزائن السروج
الحجرية	٢٧٠ خزائن الخيم
٣١١ ذكر المناخ السعيد	٢٧٢ خزانة الثمرات

صفحة	صفحة
٣٤٤	ذكر اصطبل الطارمة
٣٤٥	ذكر دار الضرب وما يتعلق بها
الفاطميين ومواقع تزهم وما كان لهم فيها من أمور جميلة	٣١٣
٣٤٨	دار العلم الجديدة
٣٥١	موسم أول العام
٣٥٢	ذكر ما كان يضرب في خميس العدى
٣٥٣	من خرايب الذهب
٣٦٨	ذكر دار الوكالة الآمرية
٣٧٠	ذكر مصلى العيد
٣٧١	ذكر هيئة صلاة العيد وما يتعلق بها
٣٧٢	ذكر القصر الصغير الغربى
٣٧٤	الميدان
٣٧٦	اليستان الكافورى
٣٧٨	القاعة
٣٧٩	أبواب القصر الغربى
٣٨٠	باب الساباط
٣٨١	باب التباين
٣٨٢	باب الزمرذ
٣٨٣	ذكر دار العلم
	٣٣٨
	ذكر دار الضيافة
	٣٣٩
	ذكر اصطبل الحجزية
	٣٤٠
	ذكر مطبخ القصر
	٣٤١
	درب السلسلة
	٣٤٢
	ذكر الدار المأمونية
	٣٤٣
	المأمون البطائحي
	٣٤٤
	حبس المعونة
	٣٤٥
	ذكر الحسبة ودار العيار
	٣٤٦
	اصطبل الجميزة
	٣٤٧
	دار الديباج
	٣٤٨

صحيفة	صحيفة
٠٠٠ موسم عيد الفطر	٣٨٤ المشتهى
٣٨٩ عيد النحر	٠٠٠ ذكر الايام التي كانت الخلفاء
٠٠٠ عيد الغدير	الفاطميون يتخذونها اعيادا ومواسم
٠٠٠ كسوة الشتاء والصيف	تسعى بها احوال الرعية وتكثر نعمهم
٠٠٠ موسم فتح الخليج	٠٠٠ موسم رأس السنة
٠٠٠ ذكر الثوروز	٣٨٥ موسم أول العام
٣٩١ الميلاد	٠٠٠ يوم عاشوراء
٠٠٠ الفطاس	٠٠٠ عيد النصر
٣٩٢ خميس العهد	٣٨٦ المواليد الستة
٠٠٠ أيام الركوبات	٠٠٠ ليالى الوقود الاربع
٠٠٠ صلاة الجمعة	٠٠٠ موسم شهر رمضان
٣٩٤ ذكر ما كان من أمر القصرين	٠٠٠ ابطال المسكرات
والمناظر بعد زوال الدولة الفاطمية	٣٨٨ ذكر مذاهبهم في أول الشهور
	٠٠٠ قافلة الحاج

(تمت الفهرست)







COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0055241964

DERCO

AUG 20 1974

